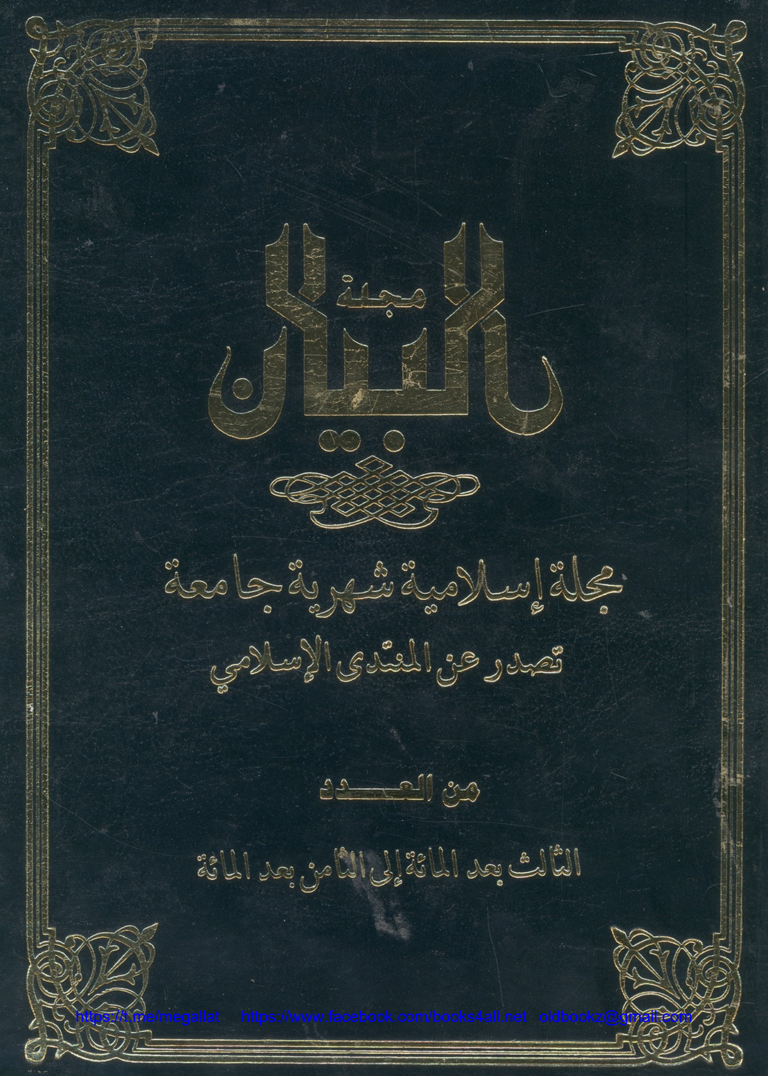

مجلة
البيان
مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي
من العدد
الثالث بعد المائة إلى الثامن بعد المائة
https://t.me/megallat https://www.facebook.com/books4all.net oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة صغيرة

حرّق «بيريز» لبنان بعناقيد حقده، واحترقت قلوب الثكالى واليتامى بحصده الأطفال والنساء والشيوخ، وقدم ذلك كله قُرْبانًا للناخب الصهيوني ؛ عله يمنحه بقاءً لفترة أخرى على كرسي الوزارة، بيد أن (بني صهيون) رفعوا أيديهم في وجهه، وقالوا: عفواً « مستر بيريز» لم تكن إرهابيًا بالقدر الكافي، «نتنياهو» وعد بأكثر، فهو جدير بتحقيق وحشية أكبر لأهدافنا التوراتية في «إسرائيل الكبرى».

عفواً... قتلت الآلاف، نريد من يقتل الملايين، دمرت قرى، نريد من يدمر كل القرى والمدن، وعدتهم بسلام ذليل نريد لهم ذلاً بدون سلام، وسحقًا بدون مباحثات ... وجاء «نتنياهو» لكي يرفع الصوت بالحقد المكنون في النفس اليهودية، ويعلنه باستكبار: الذل والصغار لكل (الجيويم)!.

ولعل ذلك رسالة إلى كل من يعقل ، وكل منخدع بوهم السلام المزعوم، وهيهات أن نقتنع : أن الذئب قد تحول إلى حمل وديع، يريد أن يعيش مع الحملان (الشرق أوسطية) في سلام حالم ، يسعد فيه الحملان برغد العيش وهناءة الحياة ! .

(والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين) ... ولا مرات

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس :

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

في هذا العدد :

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصر : القاهرة — ش الجلاء — الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٢٤٥٧٤٥/٥٤

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٢٣ .

اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف — المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ — ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.

أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313-677-006 Fax 313-677 0065
الرقم المجاني : (Subscription No.: 1-800-99-Fajer)

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
اوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
امريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الأردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وامريكا ٥ر١ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالا . مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس . المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيه ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة
EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

قالها اليهود

نعم للتوراة ... لا للشرق أوسطية

«كان سعيدا تلك الليلة، يطلق النكات هنا وهناك، ويمازح المراسلين والمراسلات بصورة غير معهودة ... وحينما انتصف الليل تلقى مكالمة «كهربت» الجو وانقلب ذلك المرح إلى مخلوق كئيب وحزين جدا».

هكذا وصف مراسل محطة التلفزيون الفرنسي الثانية مشاعر رئيس السلطة الفلسطينية عرفات وتقبله لخبر صعود نتنياهو إلى سدة السلطة في الكيان الصهيوني .. وفي تلك الليلة التاريخية اختارت يهود أن ترجع إلى نفسها، وأن تعبر عن ذاتها، فأتت بهذه القائمة المجرمة من شذاذ الصهاينة إلى موقع السلطة.. نعم، لقد اختارت يهود. ولم يختر العرب سوى أسلوب ردود الأفعال بعد أن تلطخت أيد واسودت وجوه....

هذا المستوى من الانحدار والصغار لخصته الحقيقة الفجة العارية: أن مصير طابور التطبيع والاستسلام قد أصبح في يد عدوهم .. مهاجر روسي من أصقاع سيبيريا، أو «فلاشا» أثيوبي أصبح يكتب مصير هذا الطابور البئيس من المراهنين على الحصان الخاسر «بيريز».



ماذا نتصور من زعامات وضعت مصيرها في يد عدوها .. وكيف كانت النتيجة ستختلف بعد أن رهن هؤلاء ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم في أيدي الحاخامات، وقبّلوا أيديهم وفتحوا لهم قلوبهم وقصورهم وعقولهم.

كانت ظاهرة ـ وربما تستمر في هذا الزمن المتصهين ـ أن يستقبل رموز «سلام الشجعان» حاخامات يهود، بقبعاتهم السوداء، ومعاطفهم الصوفية، ووجوههم الشائهة ... يستضيفونهم، ويسمعون منهم، ويصغون لمواعظهم... بينما شعوبهم ودعاتها ونبضها الصافي لا يعرف سوى عنواناً

وحيداً يسهل الوصول إليه: المحاكمات العسكرية ثم الإعدامات...

كانت الانتخابات حافلة بالضجيج والتحضر والإثارة .. كانت من الإثارة حتى إن شعوب المنطقة العربية سهرت حتى الصباح تتابع كيف يمكن أن تجري انتخابات حقيقية يتقدم فيها مرشح في بداية المساء... وما أن ينشر الفجر خيوطه حتى يتبدل المنتصر إلى خاسر وينقلب الخاسر منتصراً، وكان لسان حال أبطال (الخمس تسعات العربية): أن هاكم انتخابات تشاهدونها إذا لم نذقكم طعم الاختيار الحر .. هكذا أكدت الدويلة الصهيونية مبدأ أنها الديمقراطية الوحيدة في المنطقة في بحر الديكتاتوريات المحمية.. كما يقول الكاتب الفلسطيني «إدوارد سعيد» حينما تطرق إلى أسلوب الطرفين الحاكمين في التعامل مع شعوبهما، فضرب لحادثة اعتقال الدكتور «إياد السراج» رئيس رابطة حقوق الإنسان الفلسطينية، الذي تحدث عن الانتهاكات المتعمدة من قبل عرفات ورجاله ضد العزل من شعبه، فما كان مصيره إلا الاعتقال .. قارن الكاتب بين هذه الحادثة المتزامنة مع إعلان نتائج الانتخابات اليهودية، فقال: «نظام الحكم النموذجي ـ وفقاً لعرفات ـ هو النظام الذي يعتمد على القسر والمنفعة الشخصية ..، ما لا يرغب فيه، أو يعتقد أنه مناوئ له: يجب أن يزول ويختفي ، أو يوضع وراء القضبان على الأقل... فالتاريخ يعلمنا أن قوة الفكر الإنساني وإبداعه بلا حدود ، وأن اعتقال «إياد السراج» بسبب شجاعته، يستنهض الهمم أكثر ، ويؤدي إلى المزيد من الاحتجاج والمقاومة وسط الفلسطينيين، وليس العكس مثلما يعتقد عرفات...



وها هي إسرائيل، بعد أقل من شهرين على هجماتها الوحشية على لبنان، تعود إلى مركز الأحداث عن طريق انتخاباتها التي استحوذت على اهتمام العالم (إلى حد كبير بفضل شبكة «سي .إن.إن» التلفزيونية)، بل ها هو «نتنياهو» يصبح رجل الساعة بمجرد إعلان فوزه في الانتخابات.



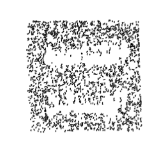
إن قدرة (إسرائيل) على كسب القبول هي القضية الأساسية هنا، وبغض النظر عن فوز «نتنياهو» من عدمه، فإن أسلوب «السلام» كان وسيظل مفروضاً

من جانب (إسرائيل)، التي تستطيع ان تملي كل شروطها على العرب، خصوصاً الفلسطينيين الضعفاء، ومأساتنا الحقيقية هي أننا لم نتحرر بعد من التصور البدائي للقوة، وأننا لم ندرك بعد أن المعرفة والمعلومات والقبول أهم من القوة الغاشمة والشرطة. والطريقة الوحيدة لإحداث التغيير الضروري هي: أن نشرع في العمل، على غرار ما فعل الدكتور «إياد السراج» وأمثاله، أي نعمل على نقل ميدان المعركة إلى حيز الذهن، وليس الشارع فقط، علينا أن نجهر بأفكارنا، وأن نصر على الحقيقة، ونرفض الوصفات الجاهزة والتخيلات الأيديولوجية، وأن نتفحص بعناية الهراء الذي يفيض من وسائل الإعلام».

نعم.. هنا يكمن الفرق بين أمة صغيرة تملك خياراً ـ حتى لو كان شريراً ـ وأخرى ترهن نفسها حين تسلب منها الإرادة الحرة ... وهذا درس بليغ ..

تنبع من هذه النقطة قضية مهمة، هي حقيقة الصراع: إن تاريخ الصراع مع صهيون منذ قرن شهد ثباتاً في نظرة الطرفين حياله.. فاليهود ظلوا دوماً متدرعين بالحلم التوراتي أساساً، واختلفوا حول أسلوب تحقيق الحلم وحصد أكبر قدر من الغنائم له .. ظلت المواجهة تحكمها نظرة شمولية تختلف في جزئيات دقيقة وتلتقي في قواسم مشتركة ضخمة... ما انتزع بالقوة المباشرة أو بالدهاء والتدجين السياسي صب في تأكيد حلم إقامة الكيان أولاً، ثم توسعه وجعله حقيقة واقعة حتى المرحلة الأخيرة، حيث أصبحت هذه الدويلة الصغيرة مركز استقطاب إقليمي ودولي، وتسابق المهرولون المتاجرون بدماء شعوبهم إلى كسب ودها، ثم تقديمها إلى شعوبهم على أنها النموذج الفذّ الذي يجب الاقتداء به!.

ومع شراسة الصهاينة ووضوح هدفهم البعيد: ظلت القيادات العربية تتعامل بفنون من التحرك السياسي الساخر والعبثي، تماماً كما يفعل أبطال (مسرحيات اللامعقول) أو العبث في وقت الكارثة... واستمر الخطاب السياسي العربي يجتر شخصيات شعراء الهجاء والقدح والعنتريات الفارغة لعقود .. وحصر نفسه في دائرة رد الفعل والمتاجرة بالصراع لتحقيق مطامع



هزيلة وصغيرة، وافتقد الرؤية العقدية التي ظلت باستمرار درع عدوه..
وانتهى المطاف بنا إلى (شرم الشيخ) حيث تحول الهجاء إلى مديح، والقدح إلى ثناء جماعي، يشيد بدم يهود المسفوك على تراب فلسطين المغتصب .. تحولت عبارات منتفشة ضخمة إلى كلمات تثير السخرية : السليبة ، المحتلة، المغتصبة.. والسخرية الأعظم أن الشفاه نفسها هي التي تتغنى بالسلام، والشرق أوسطية ، والتطبيع، والويل والثبور من « الأصولية » الإسلامية.

هذا الدرس الذي يتكرر ـ وهو مرشح للاستمرار ـ طالما افتقدت شعوب المنطقة أمرين: رؤية شاملة للصراع ، وخيار حر، وهذه الرؤية هي التي تحارب اليوم باسم القضاء على الإرهاب... والتطرف .

وفي روسيا: المفكرون الغربيون علقوا على تودد « يلتسين» للكنيسة، وحرصه على أن يختتم برنامجه الانتخابي بالظهور مع رموز وبطاركة الكنيسة الأرثوذكسية: بأنه زمن الأصوليات التي يمكن أن ترتكب مجازر بشعة ـ كتلك التي جرت في البوسنة ـ طالما أن الكنيسة تباركها...

زمن صعود الليكود حطم خرافة أخرى عزف عليها إعلام التطبيع و« البيريزيون » العرب، وهي: أن الشعوب في وقت الخيار تنحاز إلى أولئك الذين يعدونها بالرخاء والاستقرار وجني الثمار الاقتصادية، كما وعد « بيريز » ناخبيه، وأنجز ذلك عبر الاستثمارات الهائلة التي تدفقت على اليهود بعد جهوده الضخمة في هذا المجال .

في تلك الأمسية التي تلقى فيها « حزب بيريز » العربي الضربة القاضية: صوت اليهود مرة أخرى لمشروعهم الصهيوني؛ ليثبتوا خيارهم الحر ورفعهم لأصولية يهودية مغضوب عليها، وليزيحوا وهم الشرق أوسطية، ويؤكدوا واقع (إسرائيل الكبرى) ، حتى ولو شحب وجه أنصار التطبيع، أو أصيبوا بقارعة مزلزلة .

(*) لسنا في مجال تقويم منهج كل من د. إدوارد سعيد أو د. إياد السراج حينما نستشهد بمواقفهم ، إنما من باب الاستئناس بالأحداث ، ومن باب (وشهد شاهد من أهلها) .

- البيان -



حقيقة الإيمان (١)

بقلم: د. محمد أمحزون

إن من أهم الأسباب التي دعت إلى الكتابة في هذا الموضوع : النظرة الغالبة على بعض الدعاة والعلماء ، بل وبعض الجماعات الإسلامية التي تعتقد أن الإيمان هو التصديق القلبي وقول اللسان المجرد من عمل القلب وعمل الجوارح . وبنت على إثر ذلك لوازم وأحكاماً ، أهونها تخطئة السلف في إجماعهم على أن الإيمان قول وعمل ، واتخاذ مواقف متساهلة في قضايا تحكيم الشريعة والولاء والبراء.. وغيرها .

ولذلك : فإن الغرض من هذه الدراسة هو تعريف حقيقة الإيمان الشرعي، وذلك بعد استقراء النصوص الواردة في القرآن الكريم وفي الصحيحين عن مسألة الإيمان .

كما أن هذه الدراسة ستبحث في دلالة الإيمان في السياق القرآني والحديثي، وفي أركان الإيمان ، وعراه، ومراتبه .. في إطار منهج أهل السنة والجماعة، سائلاً المولى (سبحانه وتعالى) أن ينفع بها ، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم .

أ- الإيمان في اللغة :

قال ابن فارس في مادة «أم ن» : «الهمزة، والميم ، والنون : أصلان متقاربان، أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب ، والآخر: التصديق، وأما التصديق: فقول الله (تعالى): ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]» [١].

وقال ابن منظور : الإيمان: التصديق[٢] (يعني في اللغة)، أما في الاصطلاح الشرعي فذكر كلاماً آخر .

ويطلق الإيمان لغة على: الأمن ضد الخوف .

١) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، انظر مادة: أم ن .

٢) ابن منظور : لسان العرب، انظر مادة : أم ن .

٢ـ الإيمان على مستوى الدلالة في سياق القرآن والحديث:

أ ـ دلالة لفظ الإيمان ولفظ الإسلام على أصل الدين عند الإفراد :

تتنوع دلالات لفظ الإيمان بتنوع السياق كغيره من ألفاظ القرآن الكريم، فدلالته على أصل الدين كدلالة لفظ الإسلام عندما يأتي كلا اللفظين في السياق منفرداً ، كقوله (تعالى) : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ٨٥] ، وقوله (تعالى) : ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [المائدة : ٥]، وقوله (تعالى) : ﴿ **وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ [آل عمران : ٢٠]، وقوله (تعالى) : ﴿ **فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا** ﴾ [البقرة : ١٣٧] .. فحكم (جل ذكره) بأن من أسلم فقد اهتدى ، ومن آمن فقد اهتدى ، وسوى بينهما [١] .

ومنه : قول النبي ﷺ لوفد عبد القيس : « هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ... » (الحديث) [٢] ، وقوله ﷺ : « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت، وصوم رمضان ... » [٣] ، وقوله ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون ـ أو بضع وستون ـ شعبة، فأفضلها : قول لا إله إلا الله، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق .. » (الحديث) [٤] .

فالإيمان أو الإسلام هنا اسم شامل وجامع لكل الطاعات قولاً وعملاً ، إذ لابد أن يقترن فيه بالعلم في الباطن (المعرفة و التصديق) مقتضاه من العمل القلبي : (المحبة، والتعظيم، والرضا .. وغير ذلك من أعمال القلوب) ،كما أنه لا بد أن يقترن فيه بالخبر (قول اللسان) مقتضاه من الاستسلام والانقياد بالطاعة (عمل الجوارح) [٥] .

١) ابن منده : كتاب الإيمان ، جـ١، ص ٣٢٢ .
٢) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح ، كتاب الإيمان ، جـ١، ص ١٨٨ .
٣) المصدر نفسه ، كتاب الإيمان ، جـ١، ص ١٧٧ .
٤) المصدر نفسه ، كتاب الإيمان ، جـ٢، ص ٦ .
٥) ابن تيمية : الإيمان ، ص ١٧٦ .

وهكذا.. إذا ذكر الإيمان مجرداً : دخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة، وإذا ذكر الإسلام مجرداً دخل فيه الإيمان والأعمال الصالحة ، على أنهما اسمان لمعنى واحد عند الإطلاق أو التجريد .

ب ـ دلالة لفظ الإيمان على الإيمان الباطن ، ولفظ الإسلام على الأعمال الظاهرة عند الاقتران :

عندما يذكر الإيمان مع الإسلام في السياق القرآني والحديثي : فإن الإيمان يدل على الاعتقاد الباطني والإسلام يدل على الأعمال الظاهرة، كقوله (تعالى) : ﴿ **قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : ٨٤] ، وقوله (تعالى) : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ** ﴾[الزخرف : ٦٩] ، وقوله (تعالى) : ﴿ **عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ** ﴾ [التحريم : ٥] .

ومن الحديث : قول النبي ﷺ : « الإسلام علانية والإيمان في القلب »[١] ، وقوله ﷺ في دعائه : « اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ... » (الحديث)[٢] .

وهكذا عند الاقتران، فالإيمان قسيم الإسلام ، حيث فسر النبي ﷺ في حديث جبريل (عليه السلام) الإيمان بإيمان القلب وخضوعه، وهو الإيمان بالله، وملائكته ، وكتبه ، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وفسر الإسلام بأعمال الجوارح ، وهي مباني أو أركان الإسلام الخمسة[٣] ، ودلالتهما جميعاً عند الاقتران تساوي معنى الدين ، ولذلك : قال النبي ﷺ : « هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم »[٤] .

---

١) أخرجه أحمد في المسند (بترتيب الشيخ عبد الرحمن الساعاتي) ، جـ١، ص ٦٦ .
٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب التهجد ، جـ٢، ص ٤١ .
٣) ابن تيمية : الإيمان ، ص ٢٥٠ .
٤) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب الإيمان ، جـ١، ص ١٨ .

جـ ـ تجاذب الإيمان والإسلام مفهوم الإيمان المجمل والإيمان الواجب على مستوى الدلالة عند الاقتران :

الذي ينبغي تبيانه ها هنا هو: أن دلالة الإيمان ودلالة الإسلام قد تشتركان على مستوى المفهوم ، إذ إن الإيمان يرد في القرآن الكريم في سياق يراد به الإيمان المجمل ، كقوله (تعالى) : ﴿ إن تُسْمِعُ إلاَّ من يُؤْمِنُ بآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [النمل : ٨١]، وفي سياق آخر: نجد الإيمان يراد به الإيمان الواجب والكامل،كقوله (تعالى) : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾[الحجرات : ١٤] .

وما قيل في الإيمان يقال في الإسلام، حيث ترد لفظة الإسلام فتعني الإيمان المجمل، كما في قوله (تعالى) : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾[الحجرات : ١٤]، وفي سياق آخر نجدها تعني الإيمان الواجب، كما في قوله (تعالى) : ﴿ إن تُسْمِعُ إلاَّ من يُؤْمِنُ بآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [النمل: ٨١] .

وبذلك: يكون لفظ الإيمان والإسلام يتجاذبان هذين المفهومين على مستوى الدلالة ، وهو ما يدفع إلى القول بأن مفهومي المصطلحين يخضعان إلى السياق من القرآن الكريم .

٣ ـ الإيمان في اصطلاح الكتاب والسنة :

أ ـ الإيمان في القرآن الكريم:

ورد لفظ الإيمان ومشتقاته في (٨١١) موضعاً من القرآن الكريم، وفي هذا دلالة على أهمية هذا الأصل العظيم، لقوله (تعالى) : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥] .

وقد جاء هذا اللفظ في السياق القرآني في صور ومعان متعددة ، يمكن حصرها في خمس حالات، هي :

الحالة الأولى : ورد فيها الإيمان في (٧٨١) موضعاً : أنه قول وعمل ، وهو الإيمان الشرعي [(١)] .

---

١) انظر تفسير الطبري (جامع البيان عن تاويل آي القرآن)، وقد بيّن أبو جعفر الطبري معنى الإيمان عند تفسيره لقوله (تعالى) ـ في أول سورة البقرة ـ: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[البقرة:٣]، قال : « ومعنى الإيمان عند العرب: التصديق، فيُدعى المصدِّق بالشيء قولاً مؤمناً=

الحالة الثانية : ذكر فيها الإيمان بمعنى الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر ، وهذا حال أهل الكتاب، وخاصة اليهود، جاء ذلك في (١١) موضعاً ، كما في قوله (تعالى) : ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ** ﴾[١] [البقرة: ٨٥] [٢] .

الحالة الثالثة : ورد فيها الإيمان بمعنى ادعاء الإيمان باللسان مع عدم ثبوته في القلب ، وهذا حال المنافقين ، جاء ذلك في (١٠) مواضع ، كما في قوله (تعالى) : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ** ﴾[٣] [البقرة: ٨] .

الحالة الرابعة : ذكر فيها الإيمان بمعنى التشريك في الإيمان بالله (جل ذكره) باتخاذ الأنداد معه، وهذا حال المشركين ، جاء ذلك في (٦) مواضع ،كما في قوله (تعالى): ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ** ﴾ [يوسف: ١٠٦][٤] .

= به ، ويُدعى المصدِّق قوله بفعله مؤمناً .. والإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله ، وتصديق الإقرار بالفعل . وإذا كان ذلك كذلك ، فالذي هو أولى بتأويل الآية وأشبه بصفة القوم: أن يكونوا موصوفين بالتصديق بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً » . وهو النهج الذي سار عليه في تفسيره كله .

١) وكذلك في الآيات : ٨٨، ٩١ ، ٩٣ من البقرة ، ٧٣ من آل عمران، ٤٦ ، ٥١، ١٣٦، ١٥٠ ، ١٥٥ من النساء .

٢) وقال أبو جعفر في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ ...** ﴾ [النساء: ١٣٦] : «فإن قال قائل : وما وجه دعاء هؤلاء إلى الإيمان بالله ورسوله وكتبه، وقد سماهم مؤمنين ؟ قيل : إنه (جل ثناؤه) لم يسمهم مؤمنين ، وإنما وصفهم بأنهم آمنوا ، وذلك وصف لهم بخصوص من التصديق ؛ وذلك أنهم كانوا صنفين : أهل توراة مصدقين بها وبمن جاء بها، وهم مكذبون بالإنجيل والقرآن وعيسى ومحمد (صلوات الله عليهما) ، وصنف أهل إنجيل، وهم مصدقون به وبالتوراة وسائر الكتب، مكذبون بمحمد ﷺ والفرقان ، فقال (جل ثناؤه) لهم: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ ، يعني بما هم به مؤمنون من الكتب والرسل، ﴿ **آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ محمد ﷺ .. » المصدر نفسه ، الآية ١٣٦ من النساء .

٣) وكذا: الآيات ١٤، ٧٦ من البقرة ، ٧٢، ١١٩ من آل عمران ، ٦٠ من النساء ، ٤١ من المائدة ، ٤٧ من النور، ٦١ من المائدة ، ١٠ من العنكبوت.

٤) وكذا : الآيات ٧٢ من النحل ، ٦٧ من العنكبوت ، ٤١ من سبأ ، ١٢ من غافر.

الحالة الخامسة: ورد فيها الإيمان بمعنى التصديق الخبري، وذلك في (٣) مواضع، كما في قوله (تعالى): ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]، يؤمن للمؤمنين، أي: يصدقهم[١].

وهكذا.. فما عدا الحالة الأولى، فإن الإيمان في الحالات الثانية والثالثة والرابعة ذكر في القرآن على وجه الذم؛ لأنه ليس الإيمان الشرعي المطلوب، بل هو مجرد ادعاء، أو اتباع الهوى وتحريف الكلم عن مواضعه، أو اتخاذ الأنداد والشركاء مع الله (جل ذكره).

أما الحالة الخامسة: فلا علاقة لها بمفهوم الإيمان الشرعي الذي هو نقيض الكفر والشرك والنفاق، حيث ورد فيها لفظ الإيمان بمعنى التصديق الخبري.

ب ـ الإيمان في السنة:

أما الإيمان في السنة: فهو قول وعمل؛ ولهذا استهل الإمام البخاري (رحمه الله) كتاب الإيمان بقوله: باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام[٢] على خمس»، وهو قول وفعل، يزيد وينقص[٣].

على أن جميع الأحاديث النبوية الواردة في الصحيحين تتحدث عن علم القلب وعمله وقول اللسان وعمل الجوارح، وهي الأجزاء المكونة للإيمان الشرعي[٤].. وهذه بعض الأمثلة:

ـ فمن الأحاديث: ما يشمل شُعَب الإيمان كلها، كحديث: «الإيمان بضع وستون شعبة، فأفضلها: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق»[٥]،

---

١) وكذا: ٩٤ من التوبة، و١٧ من يوسف.

٢) للتنبيه: فإن الإيمان والإسلام اسمان لمعنى واحد عند الإفراد أو الإطلاق، كما سبق بيانه في مبحث: الإيمان على مستوى الدلالة في السياقين القرآني والحديثي.

٣) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، جـ١، ص ٧ ـ ١٦.

٤) انظر الجامع الصحيح للبخاري، كتاب الإيمان، جـ١، من ص ٧ إلى ص ٢٠، والجامع الصحيح لمسلم (بشرح النووي)، كتاب الإيمان، جـ١، من ص ١٤٥ إلى ص ٢٤٤، وجـ٢، من ص ٢ إلى ص ٢٣٣.

٥) سبق تخريجه.

وحديث جبريل (عليه السلام) عن الإسلام والإيمان والإحسان [١]، وحديث سفيان بن عبد الله الثقفي (رضي الله عنه) قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: « قل آمنت بالله فاستقم » [٢].

ـ ومن الحديث النبوي ما يخبر عن علم القلب، كقوله ﷺ: « انتدب الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي: أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة ... » الحديث [٣].

ـ ومن الحديث ما ينبئ عن عمل القلب، كقوله ﷺ: « ... فإن الحياء من الإيمان ... » الحديث،[٤] وقوله ﷺ: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» [٥].

ـ ومنه من ينبئ عن قول اللسان، كقوله ﷺ: « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ...» الحديث [٦]، وقوله ﷺ: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله ... » الحديث [٧].

ـ ومنه ما أورد عمل الجوارح من فعل الطاعات وترك المعاصي، كقوله ﷺ لوفد عبد القيس: « ...هل تدرون ما الإيمان بالله ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمساً من المغنم، ونهاهم عن الدُّبَّاء، والحَنْتَم، والمُزَفَّت » [٨]، وقوله ﷺ: « لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولايسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولايشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن » [٩].

---

١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، جـ١، ص ١٨.
٢) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، جـ٢، ص ٩.
٣) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، جـ١، ص ١٤.
٤) المصدر نفسه، جـ١، ص ١١.
٥) المصدر نفسه، جـ١، ص ٩.
٦) المصدر نفسه، جـ١، ص ٨ ـ ٩.
٧) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، جـ١، ص ٢٠٦.
٨) سبق تخريجه.
٩) المصدر نفسه، جـ٢، ص ٤١ ـ ٤٢.

وخلاصة القول : بعد استقراء جملة من نصوص الكتاب والسنة الصحيحة الواردة في الإيمان تبين أن الإيمان: اعتقاد، وقول، وعمل ، وأنه التزام وتنفيذ، وإقرار وامتثال، وطاعة باللسان والقلب والجوارح، وأنه يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

ولهذا: عرّفه السلف تعريفًا جامعًا بقولهم: الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية ، وثبت إجماعهم على ذلك [1] .

والقصد من قولهم : « قول وعمل » أي: أرادوا قول القلب [2] واللسان وعمل القلب والجوارح [3] .

٤ـ ركنا الإيمان : القول والعمل ، والعلاقة بين أجزائهما :

إن العلاقة بين علم القلب وقول اللسان وأعمال القلب وأعمال الجوارح علاقة لا انفكاك عنها ، ومن سوء فهمها دخل على كثير من المسلمين ـ قديمًا وحديثًا ـ الوهم والانحراف ، حيث ظنوا أنه يمكن أن يكون إنسان كامل الإيمان في القلب مع عدم عمل الجوارح مطلقًا ، كما ظنوا أن تماثل الناس في أعمال الجوارح يقتضي تماثل إيمانهم وأجورهم ، ولم يدركوا أنه حسب علاقة عمل الجارحة بعمل القلب يكون الحكم على العمل والثواب عليه ، إذ قد يتفق العملان في المظهر والآداء ، وبينهما مثل ما بين السماء والأرض في الدرجة والأجر، فشتان بين صلاة يقترن بها الخشوع وحضور القلب وحسن الآداء، وصلاة يتشعب فيها البال في أودية الدنيا منقورة كنقر الغراب .

ولفهم هذه القضية ينبغي معرفة ركني الإيمان : القول والعمل ، وحقيقة الترابط بين أجزائهما على ضوء مذهب السلف :

---

١) نقل إجماع السلف: أن الإيمان قول وعمل كثير من العلماء، منهم: البخاري، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وأبو عمرو الطلمنكي، والقاسم بن سلام، والبغوي، وابن عبد البر القرطبي، وابن تيمية. . انظر: البغوي : شرح السنة ، جـ١ ، ص ٣٨، واللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، جـ١ ، ص ١٧٣ ، ١٧٦، وابن عبد البر : التمهيد ، جـ٩ ، ص ٢٣٨، وابن تيمية : الإيمان ، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣، وابن حجر : الفتح ، حـ١ ، ص ٤٧ .

٢) أي: علم القلب وتصديقه .

٣) ابن تيمية : الإيمان ، ص ١٦٢ ـ ١٦٣ .

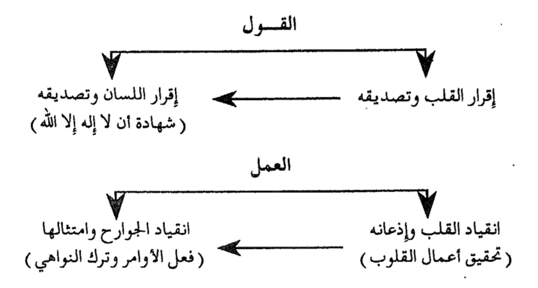
يقول ابن تيمية (رحمه الله) : « أجمع السلف: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص ، ومعنى ذلك: أنه قول القلب وعمل القلب، ثم قول اللسان وعمل الجوارح.

فأما قول القلب: فهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ .

وهذا التصديق يتبعه عمل القلب ، وهو : حب الله ورسوله ، وتعظيم الله ورسوله، وتعزير الرسول وتوقيره ، وخشية الله والإنابة إليه، والإخلاص له والتوكل عليه.. إلى غير ذلك من الأحوال.

فهذه الأعمال القلبية كلها من الإيمان ، وهي مما يستلزمها ويوجبها التصديق والاعتقاد ، ويتبع الاعتقاد: قول اللسان ، ويتبع عمل القلب: عمل الجوارح، من: الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج.. ونحو ذلك » [1] .

ويمكننا إيضاح هذا المفهوم في الشكل الآتي:



ومن هذين الركنين (القول والعمل) والأجزاء المتفرقة عنهما تتركب حقيقة الإيمان الشرعي [2] .

---

١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جـ ٧ ، ص ٦٧٢ .

٢) د. سفر بن عبد الرحمن : ظاهرة الإرجاء في الفكر المعاصر ، ص ٣٧٢ .

ويمكن توضيح العلاقة بين هذه الأجزاء بمثال الصلاة ؛ فالصلاة ـ وهي من أعمال الجوارح ـ ورد تسميتها في القرآن الكريم إيمانًا في قوله (تعالى) : **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾** [البقرة: ١٤٣] أي: صلاتكم إلى بيت المقدس[1] ، فهي تشمل ركني الإيمان بمكوناته الأربعة : علم القلب، وعمله ، وقول اللسان، وعمل الجوارح .

أما علم القلب فهو: إقراره وتصديقه بوجوبها ، وعمل القلب هو: الانقياد والإذعان والخضوع بأدائها ، وقول اللسان هو: القراءة والأذكار الواردة فيها ، وعمل الجوارح هو: القيام والركوع والسجود [2] .

علاقة علم القلب وعمله بقول اللسان وعمل الجوارح :

إن علم القلب يتعلق بالتوحيد الخبري الاعتقادي ؛ لأن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر يتضمن توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، وتصديق الرسول ﷺ في كل ما أخبر به عن ربه من الكتب وما فيها ، والملائكة وأعمالهم وصفاتهم ، والنبيين ودعوتهم وأخبارهم ، وأحوال البرزخ والآخرة ومقادير الخلق ، إيمانًا مفصلاً ومجملاً .

وعمل القلب يتضمن التوحيد الطلبي الإرادي ، وهو توحيد الله (عز وجل) بعبادته وحده حبًّا، وخوفًا ، ورجاءً، ورغبةً، ورهبةً ، وإنابةً، وتوكلاً ، وخشوعًا، واستعانةً، ودعاءً ، وإجلالاً ، وتعظيمًا ، وانقيادًا، وتسليمًا لأمره الكوني وأمره الشرعي، ورضًا بحكمه القدري الشرعي .

وشهادة « أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » ـ التي هي رأس الأعمال الظاهرة وأول فريضة على العبد ـ إنما هي إنشاء للالتزام بنوعي التوحيد الخبري الاعتقادي والطلبي الإرادي ، ومن ثم: سميت كلمة التوحيد، ومن هنا.: كان أجهل الناس بها من ظن أن المطلوب شرعًا هو التلفظ بها باللسان فقط [3] غير مدرك العلاقة العضوية بين علم القلب وقول اللسان من ناحية ، وبين عمل القلب

١) البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب الإيمان ، جـ١، ص ١٥ .

٢) ظاهرة الإرجاء في الفكر المعاصر ، ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

٣) المرجع نفسه ، ص ٣٨٢ .

وعمل الجوارح من ناحية ثانية ، فكل عمل من أعمال الإنسان الظاهرة على لسانه أو جوارحه لابد أن يكون تعبيراً لإراداته ، وإلاّ كان صاحبه منافقًا .

ومن هنا : فالقلب موضع الإيمان الأصلي ومستودعه ، وإيمانه أهم أجزاء الإيمان. ولذلك: كان علمه وعمله خاصة هو أصل الإيمان الذي لايوجد بدونه مهما أقر اللسان وعملت الجوارح من الإيمان ، ولذا: لم يسم المنافق مؤمنًا ، وإن نطق بكلمة التوحيد وكثر عمل جوارحه بالصلاة والجهاد . . بل حتى المؤمن إذا نوى بعمله وجهاده وصدقته طلب الدنيا أو الرياء حبط عمله وتبدلت المثوبة في حقه عقوبة وعذابًا [1] .

وهذا مما يدل على جلالة وعظم علم القلب وعمله وأهميتهما القصوى ، إذ هما مصدر توجيه اللسان والجوارح ومنبع عملها وأساس خيرها وشرها ، لقوله (تعالى): ﴿ **لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

على أن ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلب ـ كالصدق ، والإخلاص، واليقين، والمحبة، والرضا ـ أمر محسوس يدل على ارتباط أجزاء الحقيقة الإيمانية ارتباط العلة بالمعلول، فعلى محك هذه الأعمال القلبية بطلت أكثر دعاوى المتعبدين، وهلك كثير من الخلق ؛ فالصدق : يخرج كل من ادعى الإيمان وأظهره وهو يبطن خلافه من المنافقين ، والإخلاص: يخرج كل من عبد مع الله غيره من المشركين ، واليقين: يخرج من زعزعته الشبهات واعتراه الشك في أمر الله من الزنادقة والفلاسفة المتشككين، والمحبة: تخرج من لم يحقق متابعة الرسول ﷺ من المبتدعة الضالين، والرضا : يخرج من اعترض على شرع الله وأمره ونهيه، أو اعترض على أفعاله وقضائه وقدره ، أو كره بعض ما أنزل الله من أصحاب الرأي والأقيسة العقلية والأعراف السياسية[2] .

---

١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، جـ ١٣ ، ص ٥٠ .

٢) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، جـ٣ ، ص ٦٩ ، وظاهرة الإرجاء في الفكر المعاصر ، ص٤٢١ - ٤٣٦ (بتصرف) .

ولما كان القلب هو مركز الإرادة والعقل والتوجيهات: ورد ذكره في (١٣٢) موضعًا من القرآن الكريم ، كما استأثر في السنة بحيز كبير [١] ، وهذه بعض الأمثلة من نصوص الكتاب والسنة :

قال (تعالى) : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦] ، وقال (جل ذكره) في حق من حقق الولاء والبراء : ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[المجادلة: ٢٢] ، وقال (تعالى) : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال (تعالى) : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ [الزمر: ٤٥]، وقال (تعالى): ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[التوبة: ٤٥].

وثبت عن النبي ﷺ قوله : « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » [٢] وقوله ﷺ : « التقوى ها هنا » ثم أشار بيده إلى صدره ثلاث مرات[٣] ، وقوله ﷺ : «الإسلام علانية، والإيمان في القلب»[٤] وقوله ﷺ : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»[٥].

ومع الأسف، لقد ترتب على إهمال أعمال القلوب وإغفالها من الآثار المدمرة في حياة الأمة الشيء الكثير، ومن أخطر ذلك: انحسار مفهوم العبادة الذي أصبح قاصرًا على شعائر الصلاة والزكاة والحج، ووقوع كثير من الناس في الشرك الأكبر بتحكيم القوانين الوضعية والتحاكم إليها وإحلالها محلّ الشريعة ، بل هناك من دعاة العلمانية في الدوائر الرسمية والثقافية من يرفع عقيرته معترضًا على كثير مما أنزل الله ، خاصة في مجال الحجاب والولاء والبراء والجهاد والسياسة الشرعية والمعاملات المالية ... وغير ذلك من أحكام الشريعة .

ـ يتبع ـ

---

١) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص ٥٤٩ ـ ٥٥١، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، جـ٥ ، ص ٤٥٤ ـ ٤٦٠ .

٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب الإيمان ، جـ١ ، ص ١٩ .

٣) أخرجه احمد في المسند (بترتيب الشيخ الساعاتي) ، جـ١ ، ص ٦٦ .

٤) سبق تخريجه .

٥) أخرجه الترمذي في سننه ، انظر : جامع الأصول لابن الأثير ، كتاب الدعاء، جـ٤ ، ص ٣٤٢.

تعليمنا والعلم المفقود

بقلم :
محمد بن عبد الله الدويش

إن المتأمل في التعليم السائد اليوم ـ سواءً أكان على مقاعد الدراسة، أو حتى في حلق العلم ودروس المساجد ـ يرى أن هناك إهمالاً عند الكثيرين في العناية بتعليم الرقائق والأدب والسلوك، وأنهم شغلوا كثيرًا بتعليم المسائل والخلافيات وآراء الرجال، وصار الحديث في هذه القضايا غالبًا من اختصاص الوعاظ القصاصين وحدهم، لذا : غلبت علينا قسوة القلب، وفعلت الأهواء بنا ما فعلت إلا من رحم ربك.

وهذه إشارات عاجلة تؤكد أهمية العناية بهذا الجانب من العلم، وضرورة تقريره ضمن منهاج التعليم، إن كنا نريد أن تُخرِج لنا هذه البرامج علماء ربانيين.

إن هذا المطلب الملح تدفع إليه الحقائق الآتية:

أولاً: طالب العلم داعية ومعلم بفعله قبل قوله:

إن طالب العلم وهو يسعى لنشر الخير والعلم لدى الناس، لا يقف دوره على مجرد تبليغ المسائل بقوله، بل يجب أن يرى الناس ذلك من خلال سلوكه وسمته.

لهذا قال أبو العالية: «كنا إذا أتينا الرجل لنأخذ عنه: نظرنا إلى صلاته، فإن أحسن الصلاة أخذنا عنه، وإن أساء لم نأخذ عنه»[١].

بل كان السلف يعدون تعلم هدي العالم وسمته مطلبًا أعلى من تعلم المسائل، قال إبراهيم: «كنا نأتي مسروقًا فنتعلم من هديه ودله»[٢].

---

١) رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل، ص٤٠٩.

٢) جامع بيان العلم وفضله، ١/ ١٢٧.

وقال ابن سيرين: «كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم»[1].

وروى ابن المبارك عن مخلد بن الحسن: «نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من حديث»[2].

وأوصى حبيب الشهيد (وهو من الفقهاء) ابنه، فقال: «يا بني: اصحب الفقهاء، وتعلم منهم، وخذ من أدبهم؛ فإنه أحب إليّ من كثير من الحديث»[3].

فكم يترك طالب العلم أثرًا على تلامذته، وعلى عامة الناس من خلال هديه وسمته، وسلوكه وعمله، بل وكم يمحو الخلل في سلوكه الكثير الكثير مما يدعو الناس إليه بقوله.

ثانيا: عوائق في وجه طالب العلم:

يتعرض طالب العلم لمزالق خطيرة وعوائق تعرض له كما تعرض لسائر الناس، بل ربما كانت في حقه أخطر، ومنها:

١ ــ الإعجاب بالنفس: وهذا (عافنا الله منه) عنوان الضلالة وبداية الشطط والانحراف، وليس أدل على ذلك من أن الشيطان إنما طرد من رحمة الله، وكتبت عليه اللعنة إلى يوم الدين بسبب العجب والغرور الذي قاده للاستكبار عن أمر الله.

قال الغزالي: «والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم، ومحل استقرارهم، والصفات الرديئة مثل: الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها، كلاب نابحة، فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب»[4].

٢ ــ الحسد، وهو خصلة ذميمة، وصفة قبيحة، يسعى الشيطان إلى إهلاك الصالحين بأن يقذفها في قلوبهم.

٣ ــ الهوى، وحين يستحكم بصاحبه يريه الحق باطلاً، والباطل حقًا، والمعروف منكرًا، والمنكر معروفًا.

٤ ــ لبس الحق بالباطل وكتمان الحق، ولهذا: أخذ الله المواثيق على الذين آتاهم العلم ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ**﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وتوعد

---

١) جامع بيان العلم وفضله، ١/ ١٢٧.

٢) جامع بيان العلم وفضله، ١/ ١٢٧.

٣) جامع بيان العلم وفضله، ١/ ١٢٧.

٤) إحياء علوم الدين، ١/ ٤٩.

الذين يكتمون العلم فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] ولم يقبل (تبارك وتعالى) توبة هؤلاء إلا بشرط البيان، فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠].

٥ ـ التوصل بالعلم للأغراض والمكاسب الشخصية، ولهذا توعد الله (تبارك وتعالى) أمثال هؤلاء الذين يشترون بآيات الله ثمنًا قليلاً ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٤، ١٧٥].

ولله در الجرجاني (رحمه الله) حين قال:

يقولون لي فيك انقباض وإنما
رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرى النَّاسَ من داناهم هان عندهم
ومن أكرمته عزة النفس أكرما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما
بدا طمع صيرته لي سُلَّما
إذا قيل هذا مورد قلت قد أرى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي
لأخدم من لا قيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة
إذًا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا
محياه بالأطماع حتى تجهما

. وليس المقصود هنا تعداد الآفات التي يمكن أن يقع فيها طالب العلم، فهذه أمثلة تدل على ما سواها، ونماذج تذكر بأخواتها، فما السبيل لتجاوز هذه الآفات؟ وما الطريق لاجتنابها؟ وهل نحن نعلِّم طالب العلم ما يكون له وسيلة لتجاوزها؟ أم أننا نعنى بإعطائه الأداة، ونهمل بناء النفس التي تحمله؟.

ثالثًا: صفات أهل العلم في القرآن:

إن التعلم يهدف إلى الرقي بالمرء إلى منازل أهل العلم، فما صفاتهم في كتاب الله (عز وجل)؟:

أ ـ هم يسجدون لله ويخشعون ويبكون حين يسمعون آياته ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩] إنه ليس هديًا خاصًا بهذه الأمة؛ بل هو سنة فيمن كان قبلنا.

وقال عبد الأعلى التيمي: «من أوتي من العلم ما لا يبكيه لخليق أن لا يكون أوتي علمًا ينفعه، لأن الله (تعالى) نعت العلماء، ثم قرأ القرآن ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ...﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩].

ب ـ والعلماء هم أهل الخشية لله (سبحانه وتعالى) ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

ج ـ والذين يعلمون يقنتون لله سجدًا وقيامًا، يحذرون عذابه ويرجون رحمته ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

أليس من واجب طالب العلم أن يتصف بهذه الصفات، وأن يتطلع إلى هذه المنازل؟ فهل في تعليمنا ما يحققها لديه ويغرسها في نفسه؟ ونعوذ بالله إن كان فيه ما يمحو بقية أثرها ويزيله؛ فهذا عنوان البوار والهلاك.

رابعًا: العناية به في عصر النبوة:

ويصور لنا ذلك أحد شبان أصحاب النبي ﷺ، وأنهم كانوا يعنون بتعلمه، فعن جندب بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا(٢).

فهو يذكر لنا (رضي الله عنه) جانبًا مهمًا من جوانب التعلم التي قد غفل عنها كثير من طلبة العلم اليوم،

١) أخرجه الدارمي، ح/ ٢٩٦.

٢) رواه ابن ماجة، ح/ ٦١.

فاهملوا تعلم الإيمان ومسائله، وشعروا أن العلم إنما يتمثل في تعلم مسائل الأحكام وحدها، والعناية بجمع آراء الرجال واختلافهم حول مثل هذه المسائل، ونسي أولئك أصل الأصول وأساس الأسس، لذا: فلا نعجب حين ندرك هذا الخلل أن نرى عدم التوافق بين ما يحمله بعض الناس من العلم وبين سلوكه وسمته.

وعن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فشخص ببصره إلى السماء، ثم قال: «هذا أوان يُخْتَلَسُ العلم من الناس، حتى لا يقدروا منه على شيء»، فقال زياد بن لبيد الأنصاري: يا رسول الله، وكيف يُخْتَلَسُ منا وقد قرأنا القرآن؟ فوالله لنقرأنه ولنقرئه نساءنا وأبناءنا، فقال: «ثكلتك أمك يا زياد، إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا يغني عنهم؟» قال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت، قال: قلت: ألا تسمع ما يقول أخوكِ أبو الدرداء، فأخبرته بالذي قال، قال: صدق أبو الدرداء، إن شئت أخبرتك بأول علم يرفع من الناس: الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً[1].

وانظر (رحمك الله) كيف عد عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) الخشوع علماً، وأنه أول علم يرفع.

ويحكي لنا حنظلة (رضي الله عنه) صورة من مجالسهم مع النبي ﷺ في هذا الحديث، إذ يقول: «لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت ياحنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت: تكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافستا الأزواج والأولاد والضيعات

١) رواه الدارمي، ح/٢٩٣.

نسينا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات[1].

والشاهد من الحديث: أن تلك المجالس التي كانوا يجلسون فيها مع النبي ﷺ كانت تبلغ بهم إلى هذه الحال.

خامساً: عناية السلف به:

ولقد كان السلف (رضوان الله عليهم) يعنون بذلك، فها هو ابن مسعود (رضي الله عنه) يقول: «ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم خشية الله»[2].

ومالك (رحمه الله) يقول: «العلم والحكمة نور يهدي به الله من يَشاء، وليس بكثرة المسائل»[3].

وقال أيضًا: «إن حقًا على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، وأن يكون متبعًا لأثر من مضى قبله»[4].

وقيل لسعد بن إبراهيم: من أفقه أهل المدينة؟ قال: أتقاهم لربه[5].

ولعل من صور عناية السلف به: أنك لا تكاد تجد كتاب حديث يخلو من أبواب الزهد والأدب والرقاق، بل وصنفوا مصنفات خاصة في ذلك، مثل: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب، والمحدث الفاصل للرامهرمزي، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، وأخلاق العلماء، وأخلاق أهل القرآن كلاهما للآجري.

فهل نعيد الاعتبار لهذا العلم المفقود؟.

---

١) رواه مسلم، ح/ ٢٧٥٠.
٢) جامع بيان العلم وفضله، ٢/ ٥.٢.
٣) جامع بيان العلم وفضله، ٢/ ٥٢.
٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ١/ ١٥٦، وانظر آداب طالب العلم لمحمد رسلان.
٥) أخرجه الدارمي، ح/ ٣٠٠.

تجار قريش

محمد العبدة

من الأشياء الملفتة للنظر والمثيرة للإعجاب في تاريخ البعثة النبوية والحديث عن مكة ، أنه رغم اشتغال قريش بالتجارة لم يعترهم ما يعتري التجار من شدة الحرص والخوف على المال والسعي لحمايته ، فكانوا من أكرم الناس وفادة ورفادة، كما لم يعترهم الجبن والضعف رغم بعدهم عن الغزو والسلب كما كانت تفعل سائر العرب ، فكانوا من أشجع الناس، بل كانوا كالأسود على براثنها ، وعندما جاء الإسلام كان من الذين استجابوا له وانقادوا إليه أبو بكر الصديق، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان .. وهم من تجار قريش، وقد قدموا أموالهم دعمًا للدعوة الناشئة ودعمًا للدولة الناشئة في ساعة العسرة، وكان مال أبي بكر خير مواساة للرسول ﷺ في بداية الدعوة .

إن المال خير وبركة إذا سُخِّر لتقوية الدعوة ونشرها، وهو وسيلة ناجعة من وسائل الإعداد ، والدعوة بحاجة للمال في كل عصر، ولكن لا يعني هذا أن يكون له الدور الأكبر ، وأن يكون لصاحب المال الدور القيادي وإن كان ينقصه العلم والفقه في الدعوة، كما ينقصه الحزم والعزم، إن ما يقدمه المسلم في هذا المجال يبتغي به وجه الله، فله الأجر والثواب عند الله ، وله الشكر والدعوات الصالحة من الناس ، أما أن يقدم صاحب المال لتكون له

اليد الطولى في الأمور ، فهذا سفه في الرأي ، وفشل في مسيرة الدعوة ، ووضع للأمور في غير مواضعها ، ونحن لا نتكلم عن النيات ، فذلك بين العبد وربه ، ولكننا نتكلم عن ظاهر الأمر، كما إننا لا نتكلم هنا من باب الاحتراس والتنظير للمسلمين ، بل نتكلم عن واقع قد بلوناه وعانينا منه في أكثر من قطر إسلامي، وهو موجود في واقع الدعوة المعاصرة (ولا حاجة هنا طبعًا لذكر الأسماء)، ولكن هذا شيء يتعجب منه المرء ، كيف يُبعد أصحاب العلم والفكر والخبرة ، ليتصدر أناس خليّون من كل هذا .

وإن هذه النظرة للأمور ما كانت لتحدث في الجاهلية قبل الإسلام، فقد شَرُف أبو طالب ولم يكن غنيًّا ، وكذلك والده عبد المطلب ، وقد يَشْرُف الغني ولكن إذا كان صاحب عقل ورئاسة ، وشجاعة وكرم .

كما لا نجد هذا الخطل في الراي عند أحزاب المناهج الوضعية، فلم نسمع أن رجلاً أصبح زعيمًا لغناه فقط ، ولا يتمتع بمميزات القيادة ، فلا ندري ماذا أصاب المسلمين حتى خسروا الميزان، وإذا أرادوا التمثل بعثمان (رضي الله عنه)، فإنما اختاره ذلك الجيل لصفات عظيمة فيه، لا لشيء آخر .

الربا والأدوات النقدية المعاصرة (٣)

د. محمد بن عبدالله الشباني



في الحلقة السابقة من هذه الدراسة تمت مناقشة ماهية النقود في الإسلام، والمواطن الربوية في عمليات العملات الورقية، وفي هذه الحلقة سيتم مناقشة أدوات الدفع من غير النقود الورقية، ومواطن الربا في هذه الأدوات.

لقد تعددت أدوات الدفع المستخدمة في النظام النقدي المعاصر، كما تعددت أشكال الوسائل المستخدمة في دفع الالتزامات، وبخاصة بعد ثورة الاتصالات الإلكترونية، بحيث أصبح العالم مرتبط بعضه ببعض حيث تتم المبادلات التجارية، وسداد الالتزامات في وقت حدوث عمليات التبادل، مهما تباعدت الأقاليم وتعددت أمكنة السداد، فأصبح من الممكن استخدام بطاقات الصرف الإلكتروني لسداد الالتزامات في أي مكان في العالم.

أساليب سداد الالتزامات الجديدة:

لا بد من إلقاء الضوء على تلك الوسائل المستخدمة في سداد الالتزامات بدون استخدام النقود الورقية وتحديد مواطن الربا فيها، وتتمثل هذه الأدوات في الأشكال التالية:

الشيكات:

تنقسم الشيكات التي يتم تبادلها لسداد الالتزامات إلى نوعين:

النوع الأول: شيكات يصدرها

الأفراد على البنوك التي يوجد لديها حسابات خاصة بهم ويتم الإيداع فيها، و«الشيك» بهذه الصفة هو أمر مكتوب وفق أوضاع شكلية استقر عليها الصرف، تتضمن أمرًا صادرًا من شخص (هو الساحب) إلى شخص آخر (هو المسحوب عليه ـ البنك): بأن يدفع لشخص ثالث أو لأمره أو لحامله (المستفيد) مبلغًا معينًا بمجرد الاطلاع[1]، والشيك إذا كان لأمر ساحبه فهو ورقه ثلاثية الأطراف، ويشبه عندئذ السُّفْتَجَة[2] مع اختلاف بين السفتجة والشيك، من حيث: إن سحب الشيك بدون وجود رصيد للساحب لدى المسحوب عليه يفي به، يُعتبر جريمة يستحق عليها الساحب العقوبة، وهي عقوبة مقصورة على ساحب الشيك، والشيك بهذا الاعتبار: هو ورقة تجارية، والتكييف الفقهي للشيك يرتبط بأن الإيداع في البنك المسحوب عليه من الساحب ليس إيداعًا حقيقة، وإنما هو صورة من صور الإقراض يترتب عليها انتقال ملكية النقود إلى البنك المودع لديه، وبهذا يكون السحب على الحساب الجاري في البنك من قبيل تقاضي دين أو جزء منه، وهذا حق للمقرض: يباشره بنفسه إن شاء، أو بمن ينوب عنه؛ حيث يتم تظهير الشيك تظهيرًا ناقلاً للملكية، أو تظهير توكيل، والذي يقصد منه تمكين المظهَّر إليه من تحصيل قيمة الشيك لحساب المظهِّر.

على ضوء ذلك: فإن الشيك يمثل نوعًا جديدًا من أساليب سداد الالتزامات واعتباره صورة من صور وسائل إيجاد النقود الائتمانية من خلال توسيع نطاق نقل الأموال حسابيًّا بين مختلف الحسابات سواء في البنك الواحد أو فروعه أو بين مختلف البنوك الأخرى وفروعها.

الشيك ـ وفق أسلوب التعامل به الجاري عرفًا بوصفه أداة للتحويل على مدينه (البنك) بسداد ما عليه من

---

١) بنوك تجارية بدون ربا، ص٧٦، لكاتب الدراسة.

٢) حوالة صادرة من دائن، يُكَلِّفُ فيها مدينه دفع مبلغ معين لإذن شخص ثالث أو لإذن نفسه، أو لإذن الحامل للحوالة، المعجم الوجيز، ص٣١٢.

التزام من وديعته التي لدى البنك ـ جائز شرعًا ؛ على أساس القاعدة الشرعية: **الأصل في الأمور الإباحة إلا ما جاء دليل بحرمتها**، ولا يدخل الربا في الشيك نفسه بوصفه وسيلة من وسائل دفع الالتزامات المستحدثة، أي: إنها تقوم بدور النقود من حيث سداد الالتزام عند شراء سلعة من السلع... و إذا كانت السلعة ذهبًا أو فضة مصنعة، فهل يجوز دفع قيمة هذه السلع المصنعة من الذهب أو الفضة بالشيك، بحكم أن أساس النقود الورقية مرتبط بالذهب من حيث ما يعرف بالتغطية عند إصدار النقود الورقية أو عملة ورقية أخرى مغطاة جزئيًّا أو كليًّا بالذهب، أو مربوطة سوقيًّا من حيث التأثير في قيمتها بالذهب مثل الدولار؟.

إن الشبه تثار على أساس.أن الشيك حوالة على البنك، و بالتالي: فقدان شرط التقابض في المجلس، وعليه: فلا يجوز شراء الذهب أو الفضة؛ باعتبار أن هذين المعدنين هما أصل النقدين، وأن النقود الورقية أجناس، والذهب جنس، والفضة جنس، والعلة الجامعة بينهما هي الثمنية، وبالتالي: فلا بد من التقابض في مجلس العقد، وعليه: فلا يجوز استخدام الشيك بدلاً عن النقد عن شراء هذين المعدنين، أما الرأي الآخر: فيرى جواز ذلك؛ حيث إن الذهب والفضة المصنعة أو التبر لا يعتبرون نقودًا، وبالتالي: فقدوا شرط الثمنية، وإنما يعتبرون سلعة من السلع، يجوز شراؤها وسداد قيمتها بالشيك الذي يمثل وسيلة من وسائل الدفع باعتباره حوالة، حيث يجوز أن يحيل المدين على دائنه ـ وهو البنك الذي قام المُحيل بوضع نقود لديه ـ وديعة مسموحًا للبنك بالتصرف فيها، مع شرط إعادتها أو جزء منها حسب طلب المودع أو بموجب أمر منه، وهذا الرأي يقوم على ما يراه ابن القيم (رحمه الله): بأن النقود هي وسيلة لتقويم السلع، وأن الذهب أو الفضة ـ سواء أكانا حلية أو سبائك ـ هما سلع خرجت عن طبيعة النقود، وهو رأي سبقت الإشارة إليه في الحلقات الماضية، ونحن نميل إلى الأخذ به، وعليه: فلا بأس من سداد قيمة

المصوغات والتبر والسبائك من الذهب أو الفضة بالشيكات التي يصدرها المشتري على البنك الذي أودع لديه ماله.

النوع الثاني: «الشيك السياحي»

وهو أسلوب من أساليب السداد الخاصة بالمسافرين تمكنهم من سداد التزاماتهم المالية التي نشأت خلال قيامهم بالسفر خارج بلدانهم، ويُعرَّف «الشيك السياحي» بعدة تعاريف، منها[1]: «أنه شيك مسحوب على مراسل البنك المصدر له»، ومنها: «أنه الشكل المعدل لخطاب الاعتماد السياحي، ويتميز بقابليته للوفاء لدى البنوك على المستوى العالمي»، ومنها: «أنه أحد أنواع الشيكات التي استحدثت لتمكين السياح من الحصول على ما يلزمهم من نقود دون حاجة إلى حملها معهم والتعرض لمخاطر السرقة والضياع».

بوجه عام، فإن الشيك السياحي هو: عبارة عن شكل من تلك الصكوك التي يستخدمها المسافرون أداةً للوفاء، وتتميز بالسهولة من ناحية، حيث تكون مقبولة في الوفاء، ليس فقط لدى فروع البنك المصدر لها أو لدى مراسليه، وإنما لدى الأفراد أيضاً، ويقبل هؤلاء تسوية حقوقهم عن طريقها.

فالشيك السياحي هو: صك يحمل اسم شيك لكنه سند محرر في شكل تعهد بالوفاء.

يأخذ الشيك السياحي المواصفات والشروط نفسها للشيك العادي الذي يصدره الأفراد، إلا أنه يختلف عنه في أن من يقوم بإصدار الشيك السياحي يجمع بين صفة الساحب والمسحوب عليه في الوقت نفسه، وبهذا يأخذ شكل الأوراق النقدية؛ حيث له خصائص أوراق النقد نفسها التي تتميز عن غيرها من الصكوك في: أنها تصدر في مجموعات، كما تنقسم إلى قطع ذات قيم متساوية، كما أنها تصدر بدون تحديد مدة معينة لتقادمها، ولكنها تختلف عن الأوراق النقدية من حيث إنها تعتبر تعهداً بالدفع من جانب البنك المصدر لها مقابل إيداع بعض



---

١) الشيكات السياحية: طبيعتها ونظامها القانوني، د. أميرة صدقي، ص ٢١ـ٢٢.

أوراق النقد، كما إنها من ناحية التداول تتم على أساس التظهير، أما النقود فهي صكوك للحامل تنتقل من يد إلى أخرى عن طريق التسليم المادي[1]، وبالتالي: فإن الشيك السياحي هو نوع من أنواع النقود الائتمانية يمكن عن طريقه تسوية الالتزامات دون حاجة إلى الالتجاء إلى الأوراق النقدية.

تتمثل العلاقة في الشيك السياحي في أن لها ثلاثة أطراف: فالطرف الأول: البنك أو الشركة الـمُصْدِرة للشيك السياحي، والطرف الثاني: المراسل أو البائع الذي يتولى بيع هذه الشيكات للجمهور، حيث يعتبر وكيلاً عن الـمُصْدِر للشيك، فالمراسل هو وكيل عن الشركة المصدرة لهذا الشيك، فالشيك لديه بمثابة وديعة، وهو غير ملزم برد الثمن إلا بعد صرفها على المشتري، ويتقاضى البنك المراسل عمولة لقاء مصارفته لهذه الشيكات، أما الطرف الثالث: فهو المشتري لهذا الشيك، حيث يقوم بدفع مبلغ معين من النقود، إما بالعملة نفسها المصدر بها الشيك أو بعملة أخرى؛ فالعلاقة بين الشركة المصدرة للشيك السياحي والمشتري علاقة تصارف، تمت من خلال المراسل الوكيل للبنك المصدر وفق عقد الإصدار الذي يوقع عليه المشتري لهذه الشيكات، فيما يعرف بطلب الشراء، حيث حددت التزامات المشتري التي من ضمنها التوقيع على الشيكات المشتراة في المكان المخصص لحظة الشراء، والالتزام بالتوقيع مرة ثانية عند قبض قيمة الشيك أو عند تظهيره لشخص آخر لقاء حصوله على سلع أو خدمات، وتنتهي دورة الشيكْ السياحي بقيام المصدر الأول بسداد قيمتها لمن يقوم بالمطالبة بالسداد سواء المشتري الأصلي أو من ظُهِّر له الشيك[2].

من خلال الاستعراض السابق لطبيعة الشيك السياحي، فإن مجال الخوف من تحقق الربا هو عند الشراء وعند البيع لهذا الشيك ، فمن ناحية: شراء الشيكات السياحية بقيمة دولارية تدفع عنها ريالات مثلاً؛ ففي هذه الحالة يعتبر الأمر مصارفة ولا يتم التقابض النقدي، حيث يتم شراء

١) المرجع السابق، ص ٧٣ ـ ٧٩ .

٢) المرجع السابق ، ص ١١٢ – ١٢٨ .

صك ذمة بقيمة عدد من الدولارات مقابل دفع ريالات وبموجب هذا في أي مكان من الأمكنة لدى مراسليه (وكلائه) مع قابليته للتظهير، فهو سند دين، وبهذا: فهو لا يعتبر نقداً، ولكنه بديل عن النقد، وعلى هذا الأساس: يمكن اعتبار تسليم الشيك مقابل العملة التي تم شراؤه بها: تقابضاً مادياً، وعليه: فإذا تم إصدار الشيك بالعملة نفسها، وتم شراؤه بالعملة المصدر بها، فلا يجوز الزيادة في قيمة الشيك، وما يتم دفعه يمكن تخريجه على أساس السُّفْتَجَة. والسفتجة تعرف: بأنها إعطاء مال لآخر مع اشتراط القضاء في بلد آخر، والقصد منها: ضمان السلامة من خطر الطريق، فهو يدفع قيمة الشيك السياحي على سبيل القرض لا على سبيل الأمانة[1]، لكن في حالة قيام المشتري بشراء الشيك السياحي بنقد مخالف للنقد الذي صدر به الشيك؛ فلو كان الشيك مصدراً بالدولارات، وتم دفع قيمة هذا الشيك بالريالات فيمكن تخريج الشيك على أنه مصارفة، يتم التبادل فيها بين الشيك السياحي والعملة المشتراة به بسعر صرف العملة الواردة في الشيك السياحي مع العملة المشترى بها، أي: إنه يجب توافر شرط التقابض في مجلس العقد، أي قبض قيمة الشيك بالعملة المشتراة بها؛ سواء أكان القبض نقداً أو بتسجيل على الحساب مع تسليم الشيك السياحي للمشتري، باعتبار أن الشيك السياحي يتصف ببعض صفات النقود الورقية.

إن موطن الربا في الشيك السياحي هو: إذا تم شراء الشيك السياحي بالعملة نفسها المصدر بها الشيك السياحي، وتفاوتت القيمة بين الشيك وما تم دفعه، أما إذا اختلف نوع العملة المشترى بها الشيك مع العملة المصدر بها، فتنطبق أحكام الصرف من حيث ضرورة توافر شرط التقابض، وكذلك ينطبق الأمر في حالة بيع الشيك السياحي أو تظهيره.

بطاقات الائتمان:

بدأ استعمال بطاقة الائتمان بعد الحرب العالمية الثانية، وتقوم فكرة

---

١) الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية، د. عمر بن عبدالعزيز المترك، ص٢٧٩.

بطاقة الائتمان على فكرة الشراء على الحساب؛ حيث كان يستعملها أصحاب المتاجر مع فئة معروفة من عملائهم؛ حيث يسمح لهم بالشراء حاضراً، ثم الدفع في نهاية الشهر أو بداية الشهر الذي يليه، ثم تطورت الفكرة لدى بعض المتاجر الكبيرة ذات الفروع المتعددة، فأصدرت بطاقات بلاستيكية تحمل اسم الزبون ورقم حسابه مع المتجر، ويسمح له أن يشتري على الحساب على أن يتم الدفع بعد إرسال الفاتورة له، أو يقوم بدفع المستحق عليه على أقساط شهرية، بالإضافة إلى رسوم تحدد على البطاقة، حيث يتم الاتفاق مع البنوك بإعطائهم ائتماناً على المبالغ المستحقة لهم لدى الزبائن الممنوح لهم هذه البطاقات، حتى أصبح كل متجر يصدر مثل هذه البطاقات، فأصبح يتعين على الزبون حمل عدة بطاقات، لكل متجر من المتاجر التي يتعامل معها بطاقة، لأنه لا يستطيع استعمال بطاقة متجر في متجر آخر، وهذا أدى إلى ظهور بطاقة واحدة على المستوى القومي تغطي كافة حدود الدولة، وتقبل في جميع المتاجر في داخل الدولة الواحدة، وبالعمله المحلية، ثم تطور الأمر بضمان حصولهم على قيمة مبيعاتهم وحسب السعر السائد لعملة كل دولة، بحيث لا يتحمل التاجر أي مخاطر من تغيير سعر صرف العملة، ويحصل على مستحقاته بسرعة وبعملته المحلية بدون الدخول في متاهات أسعار الصرف بين مختلف العملات في دول العالم.[1]

كيفية عمل بطاقات الائتمان:

إن أسلوب عملية التعامل ببطاقات الائتمان يتمثل في تقديم بطاقة الائتمان التي يتم الحصول عليها، إما مباشرة من المصدر لها، أو عن طريق البنك الذي يتعامل معه حامل البطاقة، فعند شرائه لسلعة من السلع أو صرف مبلغ من المبالغ من خلال أجهزة الصرف الآلي لا يحتاج الأمر إلا إلى إدخال البطاقة في الجهاز الذي يتولى جميع الإجراءات الخاصة بالسحب وإعطائه إشعاراً بما تم خصمه ودفعه إليه، أو قيام البائع الذي يتولى استلام

١) بطاقة الائتمان: عيوبها ومحاسنها، د. وديع أحمد فاضل كابلي، مجلة (أهلاً وسهلاً)، ١٨ مارس ٩٤م.

بطاقة الائتمان الخاصة بالمشتري التي تحمل اسمه ورقم حسابه وتوقيعه، حيث يتم إدخال البطاقة في جهاز خاص وكتابة المبلغ المحدد في نموذج ورقي يقوم المشتري حامل البطاقة بالتوقيع عليه، بما يماثل التوقيع الذي يوجد على البطاقة، وفي بعض الأحيان: يقوم البائع بالاتصال برقم معين، ليتأكد من وجود رصيد كاف في حساب حامل البطاقة، وبعد إتمام العملية يسلم البائع المشتريات التي وقع عليها المشتري، ويحتفظ بنسخة منها لديه، ونسخة ثانية ترسل إلى الجهة المصدرة للبطاقة للقيام بسداد المستحق للبائع، وفي نهاية الشهر تُرسل فاتورة بها كشف الحساب بجميع المشتريات والمسحوبات النقدية على عنوان حامل البطاقة حيث يقوم بدفع كامل المبلغ أو دفعه على أقساط شهرية، ويتم الدفع: إما نقداً، أو بشيك، أو خصماً من الحساب لدى البنك الوسيط في منح صاحب الحساب لديه هذه البطاقة.

أنواع البطاقات:

تتعدد أنواع البطاقات، ويمكن تقسيمها إلى نوعين:

النوع الأول: بطاقات المتجر التي يمكن استعمالها فقط في تلك المتاجر أو فروعها المنتشرة في أنحاء البلاد.

أما النوع الثاني: ـ وهو أكثر شيوعاً ـ : فهو البطاقات الشاملة التي لها طبيعة دولية، مثل بطاقات «أمريكان اكسبرس» و «ميروا» «وماستركارد» ... إلخ.

كما تنقسم تلك البطاقات ـ من حيث الدفع ـ إلى نوعين:

النوع الأول: يعرف ببطاقة السحب، وهي التي تسمح لحاملها بإمكانية السحب النقدي من حساب حامل البطاقة، شريطة توفر ما يغطي المبلغ المسحوب من الحساب وتسديد قيمة المشتريات من البضائع والخدمات لدى نقاط البيع المتوفر لديها أجهزة الاتصال، وهذا النوع ينقسم إلى قسمين: قسم خاص بالسحب وتسديد المشتريات داخل الدولة الواحدة، وقسم يتم السحب فيه خارج الدولة من خلال شبكة الاتصال العالمية، ويتم القيد على حساب العميل مباشرة، وبعض بطاقات السحب الدولية التي تصدرها بعض

البنوك لا تشترط في حالة السحب من أجهزتها تسجيل أي عمولة، ولكن في حالة السحب من أجهزة بنوك أخرى يتم تسجيل عمولة سحب على حساب حامل البطاقة، ولا تستفيد الجهات المصدرة لهذا النوع من البطاقات التي لا تحتسب فائدة على السحب عند شراء البطاقة من مراكز البيع في خارج الدولة أو داخلها من حساب حامل البطاقة، ولكنها تأخذ عمولة على مقدار المباع بما يعادل أحياناً ما بين ٢٪ إلى ٧٪ من قيمة ما قام حامل البطاقة بشرائه.

النوع الثاني: ما يعرف ببطاقة الائتمان، حيث يمكن لحامل البطاقة السحب أو الشراء وسداد ما قام بسحبه أو ما قام بشرائه من نقاط البيع على دفعات حسب رغبته وضمن أقساط شهرية بحد أدنى تحدده الجهة المصدرة للبطاقة، وفي هذه الحالة: فإن الجهة المصدرة للبطاقة تتقاضى فائدة على الرصيد المتبقي على حامل البطاقة تتراوح بين ١٨٪ إلى ٢٤٪ سنوياً.

التكييف الفقهي لبطاقات الائتمان، ومواطن الربا فيها:

على ضوء ما سبق من تحديد لماهية بطاقات الائتمان: فإن هذه البطاقات تمثل نوعاً جديداً من أساليب سداد الالتزامات وصورة من صور وسائل إيجاد النقود الائتمانية من خلال توسيع نطاق نقل الأموال حسابيًّا بين مختلف الحسابات للبنك الواحد أو البنوك المختلفة.

والسداد والسحب ـ من حساب الشخص ـ الذي يجري التعامل به باستخدام بطاقات السحب الائتمانية جائز شرعاً على أساس القاعدة الشرعية: **الأصل في الأمور الإباحة إلا ما جاء دليل بحرمته**، وهو يمثل سحباً وسداداً من وديعته التي لدى البنك، ولا يدخل الربا إلا فيما يعرف ببطاقات الائتمان؛ حيث يتم تسديد ما تم سحبه، وما تم سداده من قبل البنك المصدر للبطاقة، واحتساب الفوائد على الرصيد غير المسدد، فهذا يعتبر إقراضاً لمن يحمل هذا النوع من البطاقات الائتمانية، وكذلك ما يتم تحميله على حساب حامل البطاقة الذي يقوم بالسحب النقدي بموجب بطاقات الائتمان، كما أن هناك صورة أخرى للتعامل الربوي بالنسبة لمن

يحمل بطاقة الائتمان ، حيث يقوم باستخدامها لسداد مشترياته، ويتم القيد الفوري على حسابه، ولكن مُصدِر البطاقة الذي يقوم بالسداد للبائع نيابة عنه يأخذ نسبة من قيمة ما تم شراؤه من البائع ما بين ٢٪ إلى ٧٪ من قيمة فاتورة البيع، فإن ما يأخذه البنك يعتبر ربًا؛ لأن ما يتم يشبه الخصم؛ فالبائع يقدم للبنك المصدر للبطاقة فاتورة الشراء لخصمها لديه، وهو يقبل ذلك من أجل تنمية مبيعاته.

كلمة لمستخدم هذه البطاقات:

ولهذا: فإن مستخدم بطاقات الائتمان، ولو كان لا يدفع هو فائدة على ما يقوم بشرائه لكفاية رصيده، فإنه يكون متعاونًا على الإثم، من خلال تشجيعه للبنوك باشتراكه في هذه البطاقات، بجانب ما تسببه هذه البطاقات من محاذير، منها:

١ ــ الإسراف في الاستهلاك؛ فوجود هذه البطاقات يؤدي إلى سهولة الشراء الفوري والدفع المؤجل، مما يدفع بعض الأفراد إلى الإنفاق بدون حساب؛ حيث لا يشعر المرء بتلك المدفوعات إلا عندما يتسلم كشف الحساب الشهري ويستحق عليه الدفع، وهذا قد يقع تحت النهي الذي جاء في الحديث الذي رواه أحمد عن عبدالله بن مسعود: «أن رسول الله ﷺ نهى عن التعقر في المال والأهل»، كما قد يضطره إلى دفع فوائد ربوية لعدم كفاية الرصيد عند المطالبة بالسداد.

٢ ـ رسوم الاشتراك لبعض بطاقات الائتمان تتراوح ــ حسب نوعية البطاقة: عادية، فضية، ذهبية ـ من ثلاثمئة ريال سعودي إلى ألف ريال سعودي، بجانب أن هناك رسوم تجديد سنوية تتراوح ما بين ثلاثمئة إلى سبعمئة ريال، وهذه الرسوم التي تؤخذ نوع من أكل الأموال بالباطل من قبل مُصْدِري هذه البطاقات.

٣ ـ هناك بعض البنوك التي تحاول أن تمارس العمل على ضوء الشريعة، ولكنها فيما يتعلق ببطاقات الائتمان تتساهل في الممارسة؛ بحكم أنها تقوم بعمل الوكالة للشركات المصدرة لهذه البطاقات، فتقوم بإشعار عملائها بأن من يستخدم أجهزة سحبها لا تأخذ عليه عمولة للسحب النقدي، وإذا تم

السحب من أجهزة خاصة ببنوك أخرى، فإنها تأخذ رسمًا خاصًّا بالسحب النقدي، أما بالنسبة للشراء من نقاط البيع: فهذه البنوك لا تأخذ من العميل شيئًا، حتى لو تجاوز ما تم دفعه رصيد حسابه، لكنها تأخذ من البائع نسبة معينة لقاء سدادها للمشتريات التي تم استخدام البطاقة المصدرة من قبلها، ولا شك أن ما تأخذه من البائع هو نوع من الخصم الربوي، لا يجوز أن تمارسه تلك البنوك، وخاصة أنها تحاول أبراز الصورة الإسلامية للتعامل.

٤ ـ العمولات (الربا) على الرصيد الذي لا يستطيع العميل أن يسدده عند استلامه لكشف الحساب الوارد له من البنك مما يؤدي إلى تراكم الفوائد على الرصيد حيث تصل نسبة الربا إلى ما بين ١٨٪ إلى ٢٤٪ سنويًّا.

هل لاستخدام هذه البطاقات فوائد؟:

حقق التعامل ببطاقات الائتمان بعض الفوائد، من أهمها:

١ ـ الأمان: فالشخص لا يحتاج إلى حمل مبالغ نقدية كبيرة معه في كل الأوقات، سواء أكان في داخل حدود بلده أو كان مسافرًا في البلاد الأخرى؛ وبذلك يقل تعرضه للسرقة، أو فقدان ما يحمله من نقود.

٢ ـ سهولة إجراء التعاملات التجارية ودفع فواتير الفنادق وإيجار السيارات وغيرها.

وتحقيق هذه الفوائد وتجنب المحاذير الشرعية من استخدام بطاقات الائتمان يمكن أن يتحقق إذا اقتصر الفرد على بطاقات السحب فقط، حيث إن هذه البطاقات تماثل الشيكات من حيث اعتبارها وسيلة لسداد الالتزامات أو للسحب من مال حامل البطاقة لدى البنك.

سؤال مهم:

والتساؤل الذي يمكن أن يثار فيما لو أخذ البنك عمولة لقاء استخدام بطاقات السحب سواء على كل عملية سحب أو استفسار، أو عمولة مقطوعة سنوية لقاء منح حامل البطاقة خدمة استخدام أجهزة الصرف الآلي.

ولا شك أن هناك مصاريف يتحملها البنك لقاء توفير هذه الخدمة سواء ما يتعلق بقيمة الجهاز أو تكاليف الخطوط الهاتفية المستخدمة من قبَل هذه الأجهزة، فهل يجوز أخذ

هذه العمولة؟.

إن الإجابة على ذلك يحددها واقع السوق من ناحية، وواقع أعمال البنوك، فإذا كانت البنوك تلتزم في أعمالها أحكام الشريعة، وكان توفير هذه الخدمة سوف يؤدي إلى خسائر يتحملها البنك المصدر لهذه البطاقة، فلا بأس بأخذ عمولة مقطوعة كأجرة لتوفير هذه الخدمة لمستخدم هذه البطاقة، بشرط عدم ربط هذه العمولة بالزمن أو بالمبلغ المسحوب، وإنما هي أجرة تدفع للبنك لقاء توفيره لهذه الخدمة، على أساس أن هذه الخدمة تؤدي إلى تحمل البنك نفقات إضافية، أما بالنسبة لأخذ عمولة على نقاط البيع التي تستخدم أجهزة الصرف، فهذا لا يجوز أخذه، لسببين:

الأول: أن البنك لم يتحمل أي خسارة، فالمبلغ تم خصمه من حساب حامل البطاقة؛ وبالتالي: فأخذ أي عمولة يعتبر أخذاً لأموال الناس بالباطل.

الثاني: أن أخذ عمولة لقاء سداد قيمة ما اشتراه حامل البطاقة من البائع؛ سواء أكانت البطاقة بطاقة ائتمان أو بطاقة سحب دولية، فإن فاتورة البيع التي يتم الخصم عليها تشبه «الكمبيالة»، ومن الأمور المتفق عليها: أن ما يؤخذ من خصم لقاء سداد قيمة الكمبيالة من تاريخ استحقاقها يعتبر ربا ، ويسري هذا الحكم على ما يؤخذ من البائعين؛ حيث يقوم مُصْدِر البطاقة بسداد قيمة ما اشتراه حاملو البطاقات مقابل الخصم الذي يحصل عليه هو، أي: مُصْدِر البطاقة وليس حامل البطاقة، وأن ما يعطيه البائع للمُصْدِر هو بمثابة خصم... فلو لم يقم البائع بهذا الخصم، لما قام مصدر البطاقة بسداد قيمة ما قام حامل البطاقة بشرائه، فالبائع إنما خضع لذلك رغبة في زيادة مبيعاته، حيث إن معظم حاملي البطاقات قد لا يكون لديهم الرصيد الكافي لتغطية مشترياتهم، وبالتالي: فإن عملية البيع التي تتم بين حامل البطاقة والبائع هي بيع بالأجل، وضمان مصدر البطاقة الائتمانية وقيامه بالسداد بعد خصم النسبة المقررة مسبقاً لقبول السداد للبائع، ثم مطالبة الحامل بالسداد، سواء بالكامل أو بالتقسيط لمصدر البطاقة: هو نوع من أنواع بيع الدين بالدين.

فرعون باشا

نموذج للحاكم المستنير !! (٢)



ياسر قاري

بعد مقدمة عن ملامح المخطط الأوروبي لمواجهة الإسلام وتغريب الأمة بأيد تنتمي إليها، استعرض الكاتب ـ في الحلقة الماضية ـ سيرة «محمد علي» ونشأته، والعوامل الداخلية والمحلية والشخصية التي مكنته من اعتلاء هرم السلطة في مصر، ثم ختم بسياساته الاقتصادية، ويستكمل في هذه الحلقة معالجة بقية الموضوع. ـ البيان ـ



دراسات تاريخية

رابعاً: حروب محمد علي ومؤامراته:

لقد خاض محمد علي باشا حروباً مختلفة في الجزيرة العربية والشام، والسودان، واليونان، مرة لحسابه الشخصي، ومرات عديدة لمصلحة قوى خارجية استطاعت أن تجعل منه رجل الأمن في المنطقة بأسرها، ولكن قبل الخوض في ذلك: ينبغي التساؤل عن الأسباب أو الأخطار المحتملة التي دفعت الباشا لتكوين جيش قوي منظم بعد توليه السلطة مباشرة، وفي ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تمر بها بلاد الإسلام بصفة عامة، خاصة أن العرب والمماليك والعثمانيين ـ وهم جيران الباشا القريبون ـ أضعف من أن يقاتلوه، أما بالنسبة لصده لقوى أوروبا المتربصة فهو في حكم المستحيل؛ إذ عجزت دار الخلافة بكل مواردها عن فعل ذلك[1].

إن السبب الرئيس لغزو محمد علي للسودان هو تأمين حدود دولته، وجلب (الرقيق) ليكونوا نواة لجيشه الجديد؛ حتى يكون ولاء الجنود له وحده، وما ذلك إلا لكون الباشا غريباً بذاته عن الشعب المصري، الذي أصبح يكن له كل

١) سليمان الغنّام: سياسة محمد علي باشا التوسعية ...، ص ٦١ .

البغض والكراهية؛ بسبب سياساته الغاشمة، هذا بالإضافة إلى رغبة الباشا في إبعاد الشعور الوطني عن الجيش، واستعباد الشعب المصري لخدمة مصالح بريطانيا، ولضرب القوى الناهضة، كما سيحدث في الجزيرة العربية واليونان والشام[1]، بينما نجد أن بريطانيا التي أرهقها وأقلقها تنامي قوة الدولة السعودية الأولى التي باتت تشكل خطراً على طريق التجارة بين الهند وأوروبا، ولعدم وجود عامل مشترك لتكوين علاقة بينهما: لجأت إلى الاعتماد على عناصر محلية يمكن الوثوق بها للقضاء عليها، فكان محمد علي باشا هو ذراعها في المنطقة[2]، ومما يؤكد هذه الحقيقة: أنّ تكليف السلطان للباشا اقتصر على تخليص الحجاز فقط، وليس تعقب (الوهابيين)، بيد أن الباشا وضع شروطًا تعجيزية للصلح، مما يعني استمرار القتال، ولذا: فهي حملة صليبية في ثوب إسلامي[3]، ونجد أن بريطانيا قد أوفدت «فورستر سادلير» إلى الجزيرة العربية لتهنئة إبراهيم باشا بقضائه على الوهابية!، وبحث استعداده للتعاون في القضاء على القرصنة في الخليج العربي التي تهدد الرعايا العثمانيين!!، والملاحظ هنا: أن مقاومة الغزو البريطاني لسواحل الخليج، الذي كانت تتزعمه الدولة السعودية الأولى وحلفاؤها سمته بريطانيا قرصنة بحرية، في الوقت الذي كانت تدعي فيه الحرص فيه على رعايا الدولة العثمانية في المنطقة! تلكم هي بريطانيا التي قتلت المسلمين في الهند، والتي ترفض التدخل الأجنبي في المنطقة.

يقول محمد فريد بك: رأى السلطان محمود الثاني قمع الوهابية خشية امتداد دعوتهم، وبالتالي: تفريق كلمة الإسلام!، مما يخدم أوروبا المتربصة، فكلّف محمد علي بتلك المهمة في سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م الذي عهد بدوره إلى ابنه طوسون برئاسة الحملة الأولى، ثم إبراهيم لقيادة الحملة الثانية سنة

---

١) السابق، ص ٦٣ .

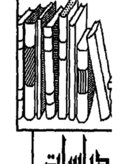
٢) قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ص ١٥٨ .

٣) السابق، ص ١٨٦ .

١٢٣١هـ/ ١٨١٦م[١]، وقد أشرت فيما سبق إلى عرض الباشا التوجه إلى الحجاز مقابل منصب والي مصر، لكن محمد فريد بك متحامل على السعوديين؛ كونه من عمّال حفيد محمد علي باشا الخديوي عباس حلمي الثاني! ، ثم كيف يمكن لـ (دعوة هدامة!) تهدف إلى تفريق المسلمين بالانتشار في أرجاء الجزيرة كلها وحتى العراق والشام لو لم تكن على الحق؟!.

ثم إن إبراهيم باشا استعان بالقادة العسكريين الفرنسيين مثل «مييير» إبان حملته سنة ١٢٣٥هـ[٢]، في الوقت الذي يقول الجبرتي عن معسكر إبراهيم بأنه: لا تقام فيه صلاة، وأكثر عساكره على غير الملة، وبصحبتهم صناديق المسكرات، وقد كشفوا عن كثير من قتلى عسكره فوجدوهم غلفًا غير مختونين[٣].

وبهزيمته للسعوديين قضى الباشا على محاولة جادة لقيام وحدة إسلامية من الخليج إلى البحر الأحمر، ومن الأناضول إلى بحر العرب؛ بسبب عمالته لصالح الأوربيين وضد شعوب المنطقة[٤].



دراسات تاريخية

لماذا اتجه الباشا إلى اليونان؟:

بعد ذلك توجه الباشا بأمر السلطان إلى اليونان لمحاربة الثوار الذين تدعمهم روسيا القيصرية، واضطر إلى الإذعان لأمر الباشا؛ لأن قوته الحربية ما كانت تساعده على العصيان[٥]، وفي هذا دلالة على ما يخفيه الباشا في جعبته للسلطان في المستقبل القريب كما سيأتي معنا، بينما نجد أن الشعراء في أوروبا مثل «فكتور هوجو» و«اللورد بايرون» والرسامين والصحفيين بكوا على نجاح إبراهيم باشا في إخماد الثورة، ووضعوا مؤلفات محزنة، ونسجوا حكايات خيالية حول وحشية الأتراك في أوروبا[٦] .. أين منها الحداثيون

١) تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٤٠٦.

٢) السابق، ص ٤٠٩.

٣) عجائب الآثار، ٤/ ٢٠٠.

٤) قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ص ١٩٨.

٥) تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٤١٤.

٦) تاريخ الدولة العثمانية، أوزتونا، ١/ ٦٧٤.

المعاصرون الذين ابتليت بهم الأمة، وأين مواقفهم بالنسبة للصومال والبوسنة وكشمير والفلبين والأكراد وفلسطين الحبيبة!.

وبسبب الدعم الأوروبي والتبرعات التي انهالت على الثورة التي تولى كبرها الشعراء المثقفون انتفض اليونانيون في جزر المورة، فعهد السلطان إلى والي مصر ثانية، وأسند إليه حكم المنطقة إن هو أخضعها لسيطرته، لكن روسيا وبريطانيا وفرنسا لم تكن لترضى عن استقلال سائر بلاد اليونان بديلاً، فافتعلوا الأحداث وضربوا أسطول الدولة العثمانية في ميناء ناقارين سنة ١٨٢٧م/١٢٤٢هـ واعتذرت أوروبا عن خطئها!، لكنها لم تلتزم بدفع أي تعويضات للسلطان، وقد وصفت صحف أوروبا تلك المهزلة بـ(لطخة عار)، لكن المهمة قد تحققت، وهي القضاء على أسطول السلطان فقط[1]، في الوقت الذي سمح الباشا لرعاياه اليونانيين بالمشاركة في ثورة جزر «المورة»، وقام بتحرير مماليكه اليونانيين الذين أُهْدُوا إليه لذلك الغرض؛ ليعبر للأوروبيين عن تعاطفه مع كل ما هو أوروبي ونصراني[2]، بالإضافة إلى ذلك: فإن الباشا اتفق سرًّا مع الأميرال الإنجليزي «كودرنجتون» على سحب الأسطول المصري من المورة[3].

لقد فتحت هزيمة وتدمير أسطول الدولة العثمانية في حرب «المورة» الباب أمام روسيا المتربصة؛ إذ إن السلطان محمود الثاني كان قد ألغى طائفة الانكشارية، فأصبحت الدولة بلا جيش ولا أسطول يدافع عنها، فأعلنت روسيا الحرب، واستولت على سواحل البحر الأسود الشرقية (كان بحيرة عثمانية قبل ذلك) ورومانيا و«أورنة»، وتقدمت حتى الأناضول، حيث عقدت معاهدة ضمنت بموجبها النفاذ إلى سواحل البحر الأسود وإرغام السلطان على دفع التعويضات عن الحرب بقيمة (١١,٥) مليون قطعة ذهبية،

---

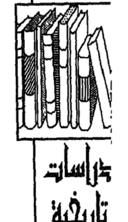
١) السابق، ٢/١٠-١١.

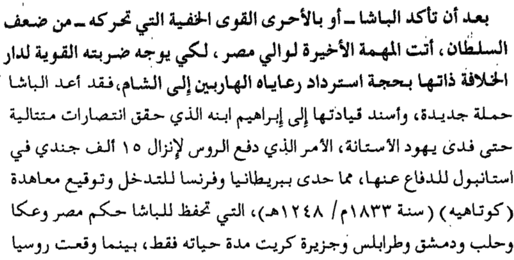
٢) سياسة محمد علي باشا التوسعية ...، ص ٢٩.

٣) عمر عمر، تاريخ المشرق العربي، ص ٣١٤.

وذلك لوضع العراقيل المالية أمام إصلاحات محمود الثاني[1]، ومرة ثانية: امتنع الباشا عن إرسال قوة لمواجهة روسيا، في الوقت الذي كان يتصور المجيء إلى استانبول ليتبوأ مقام الصدارة العظمى وإدخال السلطان تحت نفوذه[2].

في هذه الأثناء حاول المستشار النمساوي «مترنخ» إقناع الباشا بالإجهاز على الثورة في اليونان، ونصحه بأن هذا يخدم مصالحه التجارية، وأنّ الإنجليز لا يمكن أن يؤيدوه ليصبح قويًا مهما بدت نصائحهم مفيدة، فإنهم لا يريدون مصر إلا ضعيفة، فكان جوابه: «إذا كانت بريطانيا لا تريدني أن أفعل ذلك، فماذا بوسعي أن أفعل؟»، وقد طلب الباشا من القنصل البريطاني أن يظهر الأسطول الإنجليزي أمام سواحل الإسكندرية، وأن تحاصر الدول الثلاث القسم الآخر من أسطوله في المياه اليونانية، والعجيب: أن إبراهيم باشا لم يكن موجوداً أثناء إطلاق النار العفوي الذي استغل لضرب أسطول السلطان[3]، وعلى الرغم من أن بريطانيا ظنت أنها سوف تبعد شبح الروس عن المنطقة بتصرفاتها تلك: إلا أنّ الذي حصل هو عقد السلطان المعاهدة المجحفة التي سبق ذكرها.





بعد أن تأكد الباشا ـ أو بالأحرى القوى الخفية التي تحركه ـ من ضعف السلطان، أتت المهمة الأخيرة لوالي مصر، لكي يوجه ضربته القوية لدار الخلافة ذاتها بحجة استرداد رعاياه الهاربين إلى الشام، فقد أعد الباشا حملة جديدة، وأسند قيادتها إلى إبراهيم ابنه الذي حقق انتصارات متتالية حتى فدى يهود الأستانة، الأمر الذي دفع الروس لإنزال ١٥ ألف جندي في استانبول للدفاع عنها، مما حدى ببريطانيا وفرنسا للتدخل وتوقيع معاهدة (كوتاهيه) (سنة ١٨٣٣م/ ١٢٤٨هـ)، التي تحفظ للباشا حكم مصر وعكا وحلب ودمشق وطرابلس وجزيرة كريت مدة حياته فقط، بينما وقعت روسيا

---

١) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ٢/ ١٢ ـ ١٣.

٢) السابق، ٢/ ١٥.

٣) سياسة محمد علي باشا التوسعية، ص ٧٢.

حلفًا دفاعيًّا مع السلطان عرف باسم معاهدة (خونكاراسكله سي) في الفترة نفسها لحماية العاصمة لو هاجمها المصريون أو غيرهم[1].

ثم إن الإنجليز سعوا إلى تحريض السلطان على التحرش بالجيش المصري في الشام وإرغامه على خوض الحرب مجدداً[2]،في الوقت الذي حاول اللورد « بالمرستون » زعزعة حكومة الباشا في الشام، بتحريضه على الاستمرار في تجنيد أهل الشام، قاصداً من ذلك إثارتهم عليه وإعاقة طموحات الباشا[3].

في المقابل: ألغى إبراهيم باشا كافة القيود المفروضة على النصارى واليهود في كل بلد سيطر عليه بدعوى المساواة والحرية، وهي أمور تشير إلى تأثير المحفل الماسوني عليه، كما فتح المجال أمام الإرساليات النصرانية الفرنسية والأمريكية، وتم نقل المطابع؛ من مالطا ، وتأسيس مدرسة للبنات، بالإضافة إلى تزويد الأديرة بالمطابع ليسيطروا على الفكر والثقافة في المنطقة[4].

إن الهدنة التي توصل إليها السلطان مع الباشا كانت مؤقتة لتربص كل منهما بالآخر، فالأول قَبِل بها بسبب تمزق جيشه وسعيه إلى عدم الاعتماد على الروس، بينما الثاني دعاه خوفه من التخلي عن كل البلاد التي انتزعها مع كونه عازمًا على الاستقلال التام عن الدولة عند سنوح الفرصة[5] . وبسبب إصرار الباشا على إبقاء جبال طوروس تحت يده، وكما ذكرت آنفًا تحريض الإنجليز للطرفين على القتال: اندلعت الحرب مجدداً، فكانت موقعة (نصيبين) أو « نزيب » سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م، التي انتهت بالقضاء على جيش السلطان « محمود الثاني » الذي وافاه الأجل قبل أن تصله أخبار المعركة، ثم إنّ القائد العام للبحرية العثمانية انسحب بأسطول الدولة إلى مصر؛ وذلك بسبب خوفه ـ على حد زعمه ـ من وقوع الأسطول تحت أيدي

---

١) تاريخ الدولة العثمانية، ص ٤٥١ .

٢) عبد العزيز نوار، الشعوب الإسلامية، ص ١٨٣ .

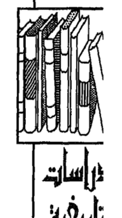
٣) عايض الروقي، حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية ، ص ١٢٣.

٤) قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين ، ص ١٩٥ ـ ١٩٨، بتصرف .

٥) تاريخ الدولة العلية العثمانية، ٢ /٣٧ .

الروس، بينما الوقائع تشير إلى حلقة جديدة من الخيانة كون الصدر الأعظم الجديد هو (خسرو باشا) الذي نفاه محمد علي من مصر وتولى السلطة مكانه.

فزعت أوروبا مما آل إليه أمر الدولة العلية، فسعت بريطانيا والنمسا لعقد صلح جديد بين الطرفين في الوقت الذي عارضت فرنسا إرجاع بلاد الشام للسلطان كشرط لعقد الصلح، وأيدتها روسيا التي كانت ترغب في تقليص نفوذ الباشا في حديقتها الخلفية، في الوقت الذي لم تمانع ببقائه في مصر لكي يظل عصًا يضرب بها السلطان متى شاءت دول أوروبا، وقد رأى الساسة الروس أن الدولة العثمانية سوف تتوجه نحو روسيا في حالة إخراج محمد علي من مصر[1]، وبعد مداولات كثيرة توصلت دول أوروبا إلى عقد مؤتمر لندن سنة (١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م) الذي يقضي بانسحاب الباشا من الشام، وحق إنجلترا والنمسا في حماية الأهالي الذين يرغبون في الانضمام إلى السلطان؛ كالدروز والموارنة والنصيرية، وفي حالة رفض الباشا فإنه يُخلع من كل ولاياته[2].



وبالفعل نفذ الحلفاء بنود الاتفاقية، وقاموا بمحاربة جيش إبراهيم باشا، وتم إخراجه من الشام، لكن « الكومودور نابير » عرض على محمد علي وساطة الحكومة الإنجليزية لدى الباب العالي في إعطاء مصر له ولورثته لو تنازل عن الشام وردّ الأسطول العثماني، فقبل هذه الشروط لحفظ مصر لذريته، وتم ذلك في سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤١م[3] واشترطوا عليه تخفيض الجيش، وعدم بناء سفن حربية إلا بإذن السلطان، ويبدو لي أن مهمة الباشا العسكرية قد انتهت تمامًا، فلم يسجل التاريخ أي مغامرات أخرى للباشا وأولاده، وبدأت مرحلة الحصاد بالنسبة لأوروبا.

---

١) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ٢ / ٣٧ .

٢) تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٦٥ .

٣) السابق ، ص ٤٦٩ .

قامت روسيا ـ التي لم تفلح في الاتفاق مع نابليون على تقسيم الدولة، بسبب اختلافهما على تبعية مدينة (استنبول) ـ بمحاربة الدولة العثمانية مجدداً فيما يعرف بحرب (القرم)، بينما احتلت فرنسا بلاد الشام بحجة قمع الفتنة الطائفية (التي أوجدها الأوروبيون أنفسهم)، وبحجة عجز الجيش العثماني عن إعادة هذه المنطقة ! وظلت هناك لمدة ثلاث سنوات أوهمت الأهالي النصارى خلالها بحمايتهم من تعدي المسلمين المتعصبين المتوحشين عليهم!![1].

المطالبة بالدستور المشبوه :

كذلك : فإن الحلفاء ضغطوا على السلطان عبد المجيد الثاني لإصدار دستور للبلاد يساوي فيه بين الرعايا جميعاً، وتم استقدام قانوني فرنسي لتلك المهمة، ومن المفارقات أن المستشار النمساوي « مترنخ » حذّر الدولة العثمانية من الخطر الكامن وراء اقتفاء أثر أوروبا وتنظيماتها التي لا تجاري منطق النظام العثماني، ولقد فتح الدستور البلاد أمام جحافل التنصير من كل حدب وصوب[2] ، في الوقت الذي أغدقت فيه الصحافة الأوروبية المديح على وزير الخارجية رشيد باشا، إثر قيامه بضربته المسرحية (إعلان الدستور)، كما مدحها السفير الروسي في الأستانة[3]، وقد كان هذا الوزير سفيراً فوق العادة في لندن وأعجب بنظام الحكم البرلماني .

ثم إن حروب الباشا للدولة العلية قد عرقل في مسيرة الإصلاح فيها، وبغض النظر عن أسلوب العلاج الذي اتبعه السلطان محمود الثاني، فإن واقع الحال يشهد بأن أوروبا كانت متخوفة من نهضة إسلامية جديدة، فالسفير الروسي بباريس « بوتزودي بورجو » صرح بأن القوات الروسية لاقت من الجيش العثماني الجديد ما لم تلاقه من قبل من طائفة الانكشارية، ولو تأخرت روسيا

---

١) السابق ، ص ٥٢٨ .

٢) حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية ، ص ٤٠٨ ـ ٤١٠ ، بتصرف .

٣) تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٥٦٢ .

في إشهار الحرب على الباب العالي سنة واحدة لما أمكنها أن تتحصل على النتائج نفسها[١]، أما القنصل البريطاني في مصر «هودجز» فقد أرسل لوزير خارجيته «بالمرستون» يخبره أن السلطان محمود الثاني لو استمر به العمر أكثر لاستطاع التغلب على كل أعدائه بمن فيهم تابعه القوي محمد علي باشا[٢]، ومما يؤيد هذا القول: أن السفير الروسي في الأستانة «دبيتر» كتب لبلاده في سنة ١٧٨٤م محذراً من أن الروس لا يلبثون أن يأخذوا تركيا في مدة عشر سنوات، وكذلك توقع نابليون من قبله[٣]، وذلك قبل أن يتولى السلطان محمود الثاني الحكم ويضع برنامجه الإصلاحي!.

احتلال الجزائر والحادثة المفتعلة:

ساهمت حروب الباشا كذلك في احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٨٣٠م، إذ تعذر على السلطان (في فترة تكوين جيش جديد ومواجهة خصوم أشداء، وبالذات الروس والباشا) إرسال جيش لإنقاذ البلاد، ولقد افتعلت فرنسا حادثة ضرب «الباي حسين» للقنصل الفرنسي (بمنشّة) كانت بيده؛ لخروجه عن الأدب ولمطالبة تجار جزائريين لديونهم المستحقة على فرنسيين، مما اعتبره مجلس الوزراء الفرنسي إهانة، فقرر وجوب الاستيلاء على الإقليم[٤]، ولقد سبق لفرنسا أن عرضت على الباشا احتلال الجزائر وتونس وليبيا سوية، على أن تدعمه ماليًّا وعسكريًّا بشرط أن يقيم حكومة تمنح فرنسا مزايا تجارية واقتصادية فيها، لكنه رفض بسبب اعتراض بريطانيا، وليس لأي اعتبارات دينية أو وطنية أو غيرها، فكتب يقول: «وثقوا أن قراري لا ينبع من عاطفة دينية، فأنتم تعرفون وتعلمون أنني متحرر من هذه الاعتبارات التي يتقيد بها



١) تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٤٣٢.

٢) حروب محمد علي في الشام وأثرها...، ص ٣٩٩.

٣) تعليق على التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي، معة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية، تعليق محمد العبدة، ص ١٩٢.

٤) تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٤٤٧.

قومي، قد تقولون: إن مواطني حمير وثيران، هذه حقيقة أعلمها»[١].

استطاع محمد علي أن يقوم بما لم يستطع الاستعمار الغربي أن يقوم به بشكل مباشر في العمل على تحطيم الهوية الإسلامية التي كانت أساسًا في صمود الشرق الإسلامي ضد الموجات المعادية، وهيأ المناخ لقيام مؤسسات ماسونية ونصرانية وقومية، بينما رهن الاقتصاد الإقليمي للغرب[٢]، ولقد قال عنه «أرنولد توينبي»: «إنه ديكتاتور تمكن من تحويل الآراء النابليونية إلى حقائق فعالة في مصر»[٣]، بل وفي المشرق الإسلامي بأسره!.

وجد الإنجليز في شخص محمد علي رجلاً قويًا يستطيع حماية خط التجارة إلى المشرق، وبالتالي: المصالح البريطانية، على أن يراعي المشاعر الدينية، وألا يعارض مصالح إنجلترا، ولو تظاهر بعكس ذلك[٤]، ولقد صرّح الباشا بتلك العلاقة الوطيدة بقوله: «بدون أصدقائي الإنجليز لا أستطيع أن أعمل شيئًا، لقد أدركت منذ زمن طويل أنني لا أستطيع أن أحقق أي شيء عظيم بدون إذن بريطانيا»[٥]، ولإظهار غيرته الدينية (!): أعلن الباشا خلال حروب الشام أنه سيخلّص الدولة العثمانية من السلطان الفاسد الذي قضى على التقاليد الإسلامية واتبع أساليب الغرب[٦]، بل ذهب إلى أبعد من ذلك (وضمن مزيد من التناقض في شخصيته)، إذ أخبر القناصل الأوربيين بأنه مستعد لمساعدة إخوانه في الأستانة ـ فيما لو زحف الروس إليها ـ للدفاع عن أراضي المسلمين وديارهم[٧]، (ونقول: إذا لم تستح فاصنع ما شئت!) ولقد

---

١) سياسة محمد علي باشا التوسعية، ص ٨٢ ـ ٨٤، بتصرف، وينبغي ملاحظة أن رفض بريطانيا كان بسبب ادخار جيشه وقوته لمهمة أكبر، ألا وهي محاربة السلطان نفسه (قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ص ١٩٠).

٢) قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ص ١٩٩.

٣) السابق، ص ١٨٢.

٤) سياسة محمد علي باشا التوسعية، ص ١٧.

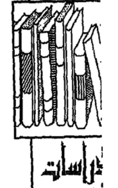
٥) السابق، ص ٦٣.

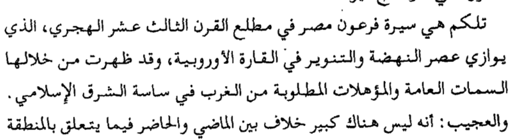
٦) تاريخ المشرق العربي، ص ٣١٧.

٧) حروب محمد علي في الشام وأثرها...، ص ٣٨٩.

سار على نـهجه حفيده الخديوي الأخير لمصر، إذ يقول: إن جده الباشا محمد علي خضع خضوعًا كاملاً للسلطان ، وساعده ، وقدم له خدمات، منها إخماد ثورة اليونان[١]، ونسي خيانة حرب جزر المورة وحروب الشام وموقعة نصيبين!.

إن بريطانيا لم تكن راغبة في إسقاط الباشا نهائيًّا، فصفاته الشخصية ونظام حكمه تتلاءم مع متطلبات سياستها في مصر، كما أن نهجه المعادي للإسلام باعتباره أيديولوجية سياسية ومفهومًا حضاريًّا ، وتعلقه بالمظاهر والمفاهيم الغربية في الحكم والإدارة والمؤسسات الثقافية والاجتماعية يكفل إضعاف روابط مصر بتراثها وعلاقتها بأمتها، وبالتالي: يفقدها هويتها الحقيقية، ويجعلها تدور في حلقة مفرغة تبحث عن هويتها[٢] في الوقت الذي فتح الباشا الطريق أمام التغلغل الاستعماري الغربي، إذ زاد اعتماد مصر على الأسواق الأجنبية ورؤوس الأموال الأوروبية، بينما قوّض قوى المعارضة الرئيسة، وهم العلماء، وأشاع الفرقة بينهم، وضرب بعضهم ببعض، وذلك بسبب اشتغالهم بالدنيا، والتحاسد عليها، والتطلع إلى الدعوات والولائم[٣] بينما تكفل الإنجليز بصنعه بطلاً قوميًّا (حرر مصر من الأجانب ـ هكذا زعموا بعد جلائهم عن الإسكندرية)[٤] تمامًا مثل ما فعل الحلفاء مع مصطفى كمال أتاتورك في حربه مع اليونان!.





تلكم هي سيرة فرعون مصر في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، الذي يوازي عصر النهضة والتنوير في القارة الأوروبية، وقد ظهرت من خلالها السمات العامة والمؤهلات المطلوبة من الغرب في ساسة الشرق الإسلامي. والعجيب: أنه ليس هناك كبير خلاف بين الماضي والحاضر فيما يتعلق بالمنطقة

---

١) مذكرات عباس حلمي ، ص ٤٩ .

٢) سياسة محمد علي باشا التوسعية ، ص ١١٧ .

٣) تاريخ المشرق العربي ، ص ٣٢٣ .

٤) علي حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٥٨ .

وأحداثها وشخصياتها، وهذا في حد ذاته يشبه الروايات العالمية الشهيرة التي يُعاد تمثيلها باستخدام وسائل عصرية ومتطورة دون المساس بالنص الأصلي أو الشخصيات الرئيسة، إن هذه النسيرة تذكرنا أو تعلمنا أن الغرب مهما بدا متحضراً ولطيفًا ومتعاطفًا ، فإن ذلك مردّه إلى وجود من يقوم عنه بتنفيذ رغباته وأهدافه دونما حاجة إلى بذل الجهد؛ لذا: اقتضت الأخلاق الأوروبية الرفيعة والتقاليد العريقة معاملة الآخر بكل تحضّر ومدنيّة!.

كذلك: فإن البرلمانات الغربية ووكالات الأنباء العالمية تبنت هي الأخرى لغة لطيفة ومتعاطفة في الماضي والحاضر مع المصلحين المستنيرين! من أبناء الأمة، وقدمتهم على أنهم حملة الإسلام الصحيح، ولا عجب في ذلك؛ فالأرواح جنود مجندة! لكن تبادل الأدوار أو تغيير العبارات والألفاظ لم يعد يجدي في ظل تكشف الحقائق وتصحيح المسار لدى الأجيال الجديدة، ولربما تكون هذه هي المرحلة الأخيرة التي يسجل فيها التاريخ بعض النماذج المتكررة للفرعون المستنير؛ لأن المسرحية قد أوشكت على الانتهاء، وسوف يسدل الستار، وحينئذ سنعلم حقًّا عدد الباشوات منذ فرعون العصر الحديث.

ذكرى الخليل

أَلهبتْ لوعَةَ القلوبِ الخليلُ ... فهي نارٌ من المآقي تَسيلُ
يومُ (باروخَ) والسَّجاجيدُ غرقى ... في دمِ السّاجدينَ يومٌ مَهُولُ
عُجْ على مسجدٍ حناياهُ تَدْمَى ... وأصِخْ للوجودِ ماذا يقولُ:(١)
في جبالِ الخليلِ للنُّورِ بَحْرٌ ... فيهِ تَشْفى الأرواحُ وهو عليلُ
أمْرَضَتْهُ أفعى من الصُّمِّ صِلٌّ(٢) ... ثمَّ ألفٌ من الرؤوسِ ذيولُ

***

سَحَرتْ كلَّ ساحرٍ في البرايا ... البغيُّ التي اسمُها راشيلُ
لَبِسَتْ جِلْدَ دَيْنَصُورٍ وشَبَّتْ ... فعلى نفسِها الحُواةُ تَبولُ

***

آه يا مسجدَ الخليلِ ومن حُمْـ ... ـرِ النَّوافيرِ فيكَ تَجري سُيولُ
شَقَّ جنكيزُ في لُحومِ المصلِّيـ ... ـنَ طريقًا .. لكيْ يَمُرَّ المغولُ
صُوَّمٌ .. قُوَّمٌ .. ضُيوفُ مليكٍ ... بيتُه للمسافرينَ سبيلُ
ما تَهَنَّوْا برشفةٍ مِنْ رَحيقٍ ... كلُّ مالِ الوجودِ فيها قليلُ
إذ تَرِفُّ(٣) الأرواحُ فجرًا .. وكالأمـ ... ـواجِ في الرِّيحِ يَهْدرُ التنزيلُ
جنَّةٌ حُوِّلَتْ بنيرونَ نارًا ... وحياةٌ فيها المنايا تجولُ

---

١) عُجْ : مِلْ . أصِخْ : استمع جيدًا .
٢) الصِّلُّ : حيّة من أخبث الحيات .
٣) تَرِفُّ : تُرفرفُ .

شعر : د. عبد الرحمن بارود

أطلقتْها صُهيونُ مجزرةً حَمْـ ... ـراء يَعْلُو صُراخُها والعويلُ
تَعْصِفُ الرِّيحُ والقلوبُ طيورٌ ... نحو أوطانها دعاها الرَّحيلُ
تركبُ البيدَ كلَّما جَنَّ ليلٌ ... ولها من (بناتِ نعشٍ)[1] دليلُ
ثمَّ بينَ الزيتونِ تهوي .. تِباعًا ... والأحبّاءُ في الترابِ نزولُ
فهي بينَ القبورِ تمشي الهُوَيْنَى ... ولها كالمطوَّقاتِ[2] هَديلُ

***

دَرَّ دُرُّ الخليلِ لو وزنوها ... بالجبالِ الشُّمُّ الرواسي تَميلُ
تطرحُ النومَ خَلْفَها وبَريقُ الـ ... ـفجرِ لمَّا تنشقُّ عنه السُّدولُ[3]
عندما تَصْدَحُ المآذنُ يَسْري ... في شرايينها الحُداءُ الجميلُ
وبالرَّوْحِ الجِنانِ يَنْسابُ فيها ... مِنْ بَساتينها النسيمُ العليلُ
تَشْحَذُ السيفَ في انتظار (صلاح) ... ولخيلِ الفتوحِ فيها صهيلِ
أنَّ بينَ البحرينِ أرضًا حرامًا ... وطيورًا أحجارُها سِجِّيلُ
في قِسِيٍّ[4] الأقدارِ .. منّا .. سهامٌ ... من تُسَدَّدْ إليهِ فهو قتيلُ
ولِسِرْبِ النُّسورِ فوق الثريّا ... شَرَفٌ باذخٌ ومجْدٌ أثيلُ
من طِرازِ الفتى (عمادِ بن عقلٍ) ... الردَّى تحتَهُ جوادٌ أصيلُ
طارَ ليلاً فحطَّ نَسْرٌ (ابْنِ عَيَّا ... شٍ) .. فطارتْ من اليهودِ العقولُ
في سويداءِ قلبِها أنْزَلَتْهُمْ ... أمَّةٌ أطبقتْ عليها المُحولُ[5]

---

١) بنات نعش : سبعة نجوم معروفة في السماء .
٢) المطوَّقات : الحَمَام .
٣) السُّدول : السَّتائر .
٤) قسِيّ : جمع قوس، وهو ما يرمى به .
٥) المُحُول : جمع مَحْل ،وهو القحط والشِّدَّة .

كبُرتْ والسَّماءُ تهطلُ في القُدْ ... سِ وقالتْ : الآنَ يَشْفى الغليلُ
ولَنُمرودنا الغشومِ ادَّرَعْنا : ... [حَسْبُنا اللهُ وهو نعمَ الوكيلُ]
كم مَصَصَتَ الدِّماءَ .. كالعَلَقِ الأسْـ ... ـودِ .. جسمُ العملاقِ منه هزيلُ
وهتكْتَ الأعراضَ .. كلبًا عقورًا ... غابَ عنه التحريمُ والتحليلُ
وعجنتَ الترابَ بالناسِ عجنًا ... وضحايا (قانا) شهودٌ عُدولُ
أصبحَ ابْنُ المِرِّيخِ مِنْ أهلِ يافا ... وابْنُ يافا هو الغريبُ الدَّخيلُ
وجعلتَ الأذنابَ فينا رؤوسًا ... فعلى رأسِ كلِّ حُرٍّ عميلُ
أوَهذا هو السَّلامُ المرجَّى ؟ ... أيُّ شيءٍ إذنْ هو المستحيلُ ؟
سوفَ يهوي بكَ الجنونُ قريبًا ... في رحًى وَطْؤُها عليكَ ثقيلُ

***

في فلسطينَ .. يا فتى .. كلُّ شِبْرٍ ... بدماءٍ زكيةٍ مجبولُ
ولزيتونها المباركِ .. في الأعـ ... ـماقِ .. عِرْقٌ بزمزمٍ موصولُ
ما إخالُ الحدودَ إلا سيوفًا ... كلُّها مِنْ قِرابِه مسلولُ
هلْ جبالُ الشامِ إلا ليوثٌ ... رابضاتٌ .. بها تَحُفُّ الشُّبولُ ؟
هل رأيتَ الجليلَ؟ كمْ أنتَ خَلا ... بٌ !! وكمْ أنتَ شامخٌ يا جليلُ !!
يا خليلي ... سَقْيًا لحيفا ويافا ... ولمرجِ ابنِ عامرٍ، يا خليلُ
يَنْثُرُ الدُّرَّ .. حيث شاءَ .. مَليكٌ ... عَزَّ .. في مُلْكِه الذي لا يزولُ
وأنا ابنٌ لغزةٍ كم غذَاني ... ونَمَاني .. لِبانُها المعسولُ[1] !!
رَمْلُها يُنْبِتُ البطولةَ إنْ يَسْـ ... ـقُطْ رعيلٌ في الساحِ يَبْرُزْ رَعيلُ

***

١) اللِّبانُ : حليب الأم، المَعْسُولُ : الممزوج بالعسل .

نحنُ رحّالةٌ ... قصَدْنا مَليكًا عَرْشُه فوقَ مُلْكِه محمولُ
اشترانا.. منّا.. فقلْنا: رَبِحْنا لا نُقيلُ المولى ولا نستقيلُ[1]
وبه.. لا بنا ... نقارعُ جِنًّا بَعْدَ إنسٍ لنا عليهمْ ذُحولُ[2]
نحن غُرٌّ محجلون غُزاةٌ خَلْفَ غَازٍ لَهُ الجهادُ سبيلُ
في ظِلالِ السيوفِ عَدْنٌ ورزقي ها هُنا ... تحت ظِلِّ رُمْحي يَقيلُ

***

جاء نُمروذُ راكبًا .. فوق فيلٍ ليسَ تحميكَ يا جبانُ الفُيولُ
إنَّ (عزًّا) يُحيلُ فيلَكَ كَوْمًا من رمادٍ فعزٌّ .... عِزْرائيلُ
وإذا شَنَّتِ الجماجمُ حربًا فبماذا يُخَوَّفُ المقتولُ ؟!
والذي خَطَّهُ لكمْ ربُّ موسى في الكتابينِ ما له تبديلُ

***

1) لا نَقيل ولا نستقيل: لا نوافق على فسخ العقد، ولا نطلب نحن فسخه، الكلمتان من كلمات الأنصار في بيعة العقبة.
2) ذُحُولُ: جمع ذَحْل، وهو الثار.

(أروى) على مشارف الرؤية ...!

١ - «بهجة حلم»

وجئتِ فما أطيب الغربتين   وما أعذب الألم المنتظرْ!
وما أعذب الموج في مقلتيك   تراوده نغمات المطرْ!
وما أعذب الشدْو بين الجفون   يلملم في غربتي ما انتشر!
وما أجمل الأحرف الهائمات   وألوانها خلف موج الحُوَر !
وهُدْبُكِ يحضن في مقلتيك   طيوراً من النور بعد السهر !
فإذْ تغمضين أرى لوحةً   من الماء فيها ارتعاش الزهر
فتبسم أجفانك الهاجعات   فتضحك بين الحروف الفِكَر
أنمتِ..؟ أفي حلم تركضي؟   أفي خمره توقدين السمر ؟!
أتملأُ من جنة نومها   وتهدي أباها صباح الثمر؟!!
وفي الصّحو تعزف أنغامها   و(بابا) هي النغم المبتدر
عليها من الحُلم رقص الدّنان   وفوح الورود ... وغيم الحذر
فينبلج الحسن في صورة   تماوج فيها ألوف الصورْ
وألتحف الصمت في هيبة   فينثال من خافقي ما استعر
يطوف لهيبًا يذيب الغمامَ   ليقطر فوق الثغور القمرا!
ويلثمها ضمئًا حانيًا   فتسقيه بسمةً في خفر
فيهطل عزف الفؤاد ضياءً   و (أروى) الشّذا والهوى والوتر

شعر: عبد الوهاب الزميلي

٢ـ «دمعة..!»

فهل وردة القلب تدري به..؟ فلا غدر للورد فيمن غدرْ

٣ـ «ركام جرح»

لَكَمْ جَرَحَ القلبَ في صمته حضورُ الحياة وغيبُ القدر
ووخز سؤال بأشواكه ينقّب عن دربها والسفر
وعن أفق قادمٍ تنتهي إليه تمدّد بين الحفر
وعن قومها خلف أجفانهم تواروا..!! فهل يشفق المنحدر؟!
يجرّهم حلم ضاحك نزولاً.. إلى كالح محتقر
ـ: (صعوداً لتقطف عبدانُنا وجوه النجوم فأين النظر؟!)
وتصبغ أحلامهم أوجهًا لتبرق في الصدف المبتكَر

٤ـ «على جفاف الرؤية»

فيا وردة القلب هل تشهدين سقوط الغبار وموت التتر
أيكبر أحبابنا بعدنا..؟ ويوفون عن كاذب ما نذر
أتَنْبت في دربنا الشامخاتُ لتخلع دربًا ذليل الشجر
إذن فاشهدي أنني لم أهن وأنّي أبيْتُ.. الدروبَ الأُخرْ

موت مدينة



محمد علي البدوي

رائحة الموت تفوح في أطراف المدينة، الصمت شبه مطلق يلتحف المكان، وأصوات الرصاص تخترق حاجز الصمت، الأبنية المهدمة وبقايا الشظايا المتطايرة قد رُسِمَتْ بوضوح على الجدران المتهالكة، الجثث متناثرة في كل مكان، تنبعث منها روائح مقززة.

على أطراف المدينة المنكوبة وقف (آدم) طالب الجامعة يعانق بناظريه بقايا مدينته المحتضرة، وحديث هامس في داخله: «ما الذي جرى لك يا مدينتي؟ جرح الأمس لم يندمل حتى يحدث فيك بنوك جرحًا آخر؟ إلى من توجه هذه الأسلحة؟ ولمصلحة من تسيل كل هذه الدماء؟».

كانت الأسئلة المدببة تطنُّ في رأسه بقوة، وأفكار حزينة تعصف به وهو يتخطى الجثث الملقاة على قارعة الطريق «كل هذه الوجوه أعرف أصحابها! إنهم أبناء مدينة واحدة، بل أبناء عمومة، ما الذي أصابهم؟! هم أنفسهم يدفعون ثمن هذه الحروب الملعونة».. وأمام ما بقي من أطلال منزله وقف طويلاً، لم يستطع أن يتقدم أكثر من ذلك، صور الماضي الجميل تتراقص أمام عينيه وبقايا الأمس المنصرم تتداح في ذاكراته، ومن بعيد كانت أصوات القنابل ودوي القذائف حبلى



بالقلق، محملة بالخوف من المجهول، بينما المدينة ما تزال تحترق، وهم يتراقصون في نشوة ، فيزداد وقع المأساة في نفسه، ويعاود الحديث في داخله : «إنهم يرقصون فرحًا بالانتصار! وأي انتصار هذا وفيهم القاتل والمقتول؟! وبأي شيء انتصروا؟ رباه . . . رباه أي عقول هذه» .

أقدامه المترهلة تعجز عن حمله، وجسمه النحيل لم يعد يقوى على حمله، وقد أعياه المسير وأضناه التعب، فوقف أمام معسكر للقوات الأجنبية، كانت القبعات الزرقاء تنتشر بكثرة،وعيونهم المشوبة بالزرقة تبعث في نفسه مزيداً من التقزز، صدى ضحكاتهم العالية يطنّ في أذنيه، وهو يشاهد الكؤوس المترعة تفوح منها رائحة الجريمة، وفتاة مستلبة ترقص في خجل رقصة النصرا ، لم يتمالك نفسه، قام على الفور يتهاوى في مشيته كالمخمور ، بينما شريط المأساة أخذ يتجلى أما عينيه في وضوح لم تحجبه دموعه الغزيرة التي أخذت تتساقط في حرقة وألم، غاب في بقايا المدينة المنكوبة، وصور كثيرة أخذت تلاحقه (المدينة التي مازالت تحترق، الجثث الملقاة على قارعة الطريق، الفتاة إياها ترقص في خجل، القبعات الزرقاء، الدم المستباح يجري في غزارة) .

العناقيد!!

بينما تدمر عناقيد الحقد (*) (قانا) ، كانت الحمائم تجتمع لتزيل من بنود ميثاقها نصوص تدمير الصقور !!

سلام على أدعياء السلام ومن ليس تنفعه باصرة
يريدون أن تستحيل الذئاب حماة لذمتنا الخافرة (١)
أتعجب أن يستحيل البغاث نسوراً على الأمة الهاذرة (٢)
وأن تلعق الحَجْل باقي الفتات وأشداق أسيادها فاغرة (٣)
نسينا بأن اليهود قطيع مع الوحش تجمعها آصرة (٤)
لهم في صياغة تلك العهود وفي نقضها صنعة ماهرة
أما كان بين الرسول الكريم عهود مع الطغمة الفاجرة
فخانوا المواثيق وقت الشتات فكيف وهم دولة ظاهرة
رويدك إن البعيد يعود وللغيب أفلاكه السائرة
وهذي بشائر عهد السلام يجدد أولاه آخره

***



*) عناقيد الحقد هي الترجمة الحقيقية للعملية العسكرية البشعة التي قامت بها إسرائيل.
١) خافرة: بمعنى مخفورة.
٢) البغاث: الهزيل من صغار الطير. الهاذرة: من الهَذَر، وهو الكلام الكثير بلا فائدة.
٣) الحَجْل: جمع حَجَلة، وهو نوع من الطير تشبيهاً لها بحمام السلام.
٤) الآصرة : القرابة.

شعر: جمال فضل

على جرح (قانا) تثور القروح ... ومن كل جرح لنا ذاكره
نعم.. إنهم يقتلون الصغار ... وللثُكل لوعته الحائرة
وراياتهم نحو صنع السلام ... عوالٍ ولكنها فاقرة
عناقيدهم تلك لن تستكين ... لأغصان همتنا الخائرة
عناقيدهم من صميم الكفاح ... سرابيل بطشتها سافرة
لها همة أن تبيد الجميع ... فنحن لنا الهمة القاصرة

❊❊❊

يحيف بنا من يريد الشعوب ... عبيداً لقوته القاهرة [1] !
ويهدي البغاة سلاح الدمار ... لتُخمد جذوتنا الثائرة
يفرق وحدتنا والجهود ... لتصبح تلك الخطا عاثرة
ويرفع راياته للسلام ... وآثام أنجاله سافرة
لحا الله من يستجيز الركوع ... لأعداء أمته الطاهرة
ويرضى بأمن الجوار اللئيم ... على رَمَض العيشة الصاغرة
ألا إن نصر الإله العزيز ... يراوح في الآية العاطرة
نكشّفهم لك كي (تستبين) ... فصفك أخلاطه ظاهرة [2]
دماء الضحايا ستحيي الجموع ... وأشلاؤهم جذوة ثائرة
وتلك الذرى سوف لن تستكين ... فأنجمها في الهدي سائرة

---

١) الحيف: هو الجور في التعامل. والقوة القاهرة: مقارنة بقوى البشر لا القهر المطلق الذي هو لله وحده.

٢) من قوله (تعالى): ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]

الشهيد والسلام الذبيح

صعودًا ... صعودًا ... إلى سدرة المنتهى

فإن السلام الذي يزعمونَ ... انتهى !!!

دماؤك طوفان عزمٍ ومدٌ ... وملحمةُ الثأر أشعلتَها

وكفاكَ للشمس مرفوعتان ... وراياتك الخُضْرُ أعلنْتَها

وأشعلت فينا .. فتيل الجهاد ... وكل المخاوف ... مَزَّقْتَها

دم القدْس يجري .. بأصلابنا ... ومن دمك الحرّ روّيْتَها

وما قتلوك .. وما صلبوك ... وإن الأمانةَ ... ما خنْتَها

رفعت الجهادَ .. لنا رايةً ... بوشْم فلسطينَ شَكَّلْتَها

نقشت عليها حروف الكفاح ... وعمركَ ... ملحمة صُغْتَها

صعودًا ... صعودًا ... إلى سدرة المنتهى

فإن السلام الذي يزعمونَ ..: انتهى !!!

وصهيون يسْرق تاريخنا ... ويقتلُ فينا رؤى عشْتَها

نهرْول .. نعدو .. إلى غاصب ... يرانا دُمًى ... أدْمَنَتْ صمْتها

وتصْهل خيل الجدود ضحًى ... ولكنهم ... مَزَّقوا صَوْتها

بمرج الزهور .. دماء العصور ... تفورُ ... وترْشقهم مَقْتها

فلسطينُ قصة أمجادنا ... ولكنهم أعلنوا موْتها

فيا ليت كانتْ .. ويا ليت كنَّا ... وهل تنفع الآن ... ياليتها ؟

دفنَّا .... تواريخنا جَهْرة ... وفي دمك الحرُّ كفَّنْتَها

وما قتلوك ...وما صلبوك ... وإن القضيَّة ... ما خُنْتَها



شعر : د. صابر عبد الدايم

فهل تطلق الآن أسرارها؟
وكل السراديب فتشتها !!!
وهل تجمع الآن أشلاءها ؟
وكل الملفات فجرتها !!!
رفضت زمان الهزيمة فابدأ
حياتك .. إذْ أنت حررْتها
وعش في صدور الألى .. يرفضون
حياة الهوان التي عفْتَها
وعش في الحقول جذور إباء
بأرض القداسات ألقيْتَها
وسرْ في الشرايين .. نهْر حياة
من التيه والوهم ... أيقظتَها
وفي الأفْق .. ألمح أنشودة
وكم أنت للقدْس غنيتَها
« أخي جاوز الظالمون المدى »[1] ..
وإن السلام الذبيح انتهى !
فأطلقْ خيولك من أسرْها
وأنقذ مرابع ... شيَّدْتَها
« وجدِّد حسامك من غمده »[2]
لتُحيي أرضًا .. محوْا سَمْتَها
إليها « محمَّد » أسرى ... ومنْها
عروجا .. إلى سدْرة المنتهى
وبورك فيها .. وما حولها
وسُرَّاقُها .. شوَّهُوا ذاتها !!!
« وجاسوا خلال الديار بـبأس »
وهم يعلنون ... لنا موتها !!
أنتركهم يغصبون السلام ...
وأرْضًا ... يعدون تابوتَها ؟!
فقم يا شهيد السلام ... وأسْرجْ
خيولاً .... إلى القدْس وجِّهْتها !
تُغير صباحًا ... وتعدو ضباحًا
وأنْتَ إلى الفتْح .. قدْ قُدْتَها
فما قتلوك .. وما صلبوكَ
وإن القضيَّةَ ... ما خُنْتَها
فعشْ في الحقول جذور إباء
بأرض القداسات ألقيْتَها
وسرْ في الشرايين نهْر حياة
من التيه والوهم أيقظْتَها
دم القدْس يجرى بأصلابنا
ومن دمك الحُرِّ روَّيْتَها

(١،٢) هذا الشطر مقتبس من قصيدة « أنشودة فلسطين » للشاعر علي محمود طه.



كثيراً ما ينظر إلى الأمم المتحدة على أنها إطار مؤسسي لنظام متكامل يهدف إلى السيطرة على العالم ، وكثيرا ما يطلق على أجهزتها وفعالياتها أنها : (حكومة عالمية) .

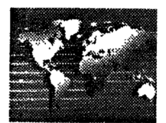
إن هذا الوصف بالضبط ؛ هو ما اختاره الأمين القبطي للمنظمة الدولية عندما ألف عنها كتابا سماه : (الحكومة العالمية) (*).

فهل الأمم المتحدة حقًا حكومة عالمية ؟!.

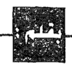
وهل لهذه الحكومة ما للحكومات من أركان : حاكم، ومحكوم، ونظام حكم؟.

إن المتأمل سيرى أن لهذه الحكومة حاكم ، أو بالأحرى مجلس قيادة، يتمثل في الدول دائمة العضوية، وفيها محكوم هو الدول الصغرى والمتوسطة، وأما نظام الحكم فيها: فهو الميثاق والمقررات والمرئيات لدى الدول الكبرى، المبرمة في نصوص وفصول ومواد وضعتها ـ في الأساس ـ دول الكبر الدولي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ، فلها الدور الأساس في صياغة هذا البرنامج التسلطي الدولي (الحكومة العالمية) ، فأمريكا ظلت ترقب أوضاع العالم أثناء الحرب العالمية الثانية التي لم تدخلها إلا متأخرة ـ بعد عامين من اندلاعها ـ فضلاً عن أن أراضيها لم تشهد أي معارك ، وأتاح لها ذلك كله فرصة التأمل الهادئ من أجل التخطيط لعالم ما بعد الحرب، وقد شهدت الولايات المتحدة ـ وحتى قبل أن تشارك رسميًا في الحرب ـ ظهور عشرات المنظمات والهيئات التي ركزت كل

المســلمون



والعــالم



عبد العزيز كامل

جهودها لبحث سبل إرساء نظام جديد للعالم ، في وقت كانت فيه أوروبا مشغولة حتى النخاع ببحث سبل وآليات كسب الحرب؛ ولذلك: لم يكن غريباً أن تصبح الصياغات الأولى لمشروع ميثاق الأمم المتحدة في مراحله الأولى كلها صياغات أمريكية بالأساس.

ولذلك: لم يكن محض مصادفة أن يسمى إعلان الأمم المتحدة: (إعلان واشنطن)، ويصدر في تلك العاصمة الأمريكية في يناير ١٩٤٢م، وأن تعقد أهم مراحل المفاوضات التمهيدية الخاصة بإنشاء المنظمة في مدينة (دامبرتون أوكس) إحدى ضواحي واشنطن عام ١٩٤٤م، وأن يعقد المؤتمر التأسيسي المنشئ للأمم المتحدة في (سان فرانسيسكو) عام ١٩٤٥م، وأن تصبح (نيويورك) هي المقر الدائم لتلك الحكومة العالمية، بعد الإعلان عن قيامها في ٢٤ أكتوبر ١٩٤٥م .

إن تلك الحكومة ـ أو هذه المنظمة ـ هي أمريكية الوجهة، نصرانية المصدر .. فهي أمريكية الوجهة؛ لأن الولايات المتحدة الأمريكية هي صاحبتها ، ومنشئتها، ونصرانية المصدر ؛ لأن النصرانية هي ديانة أمريكا والديانة الأصلية للحضارة الغربية بأكملها، بشقيها الغربي والشرقي؛ ولم يكن ظل النصرانية غائباً عن صياغة بنود ذلك الميثاق الأممي ،ويدل على ذلك دلالة صارخة: أن ما يعرف بـ(مجلس اتحاد كنائس المسيح) كان أحد أهم جهتين وكلتا بتشكيل اللجان لصياغة الأفكار الأمريكية الرسمية حول فلسفة المنظمة وملامح مبادئها ، وقد ترأس تلك اللجنة الكنسية «فوستر دالاس» الذي أصبح فيما بعد وزيراً للخارجية الأمريكية، وقد



المسلمون والعالم

شارك في اللجنة كذلك عدد من رموز اليهودية والكاثوليكية.

هل هي مصادفة ألا يوجد في قائمة أسماء أمناء المنظمة الدولية طوال تاريخها اسم مسلم، على الرغم من أن الدول الإسلامية الأعضاء فيها تبلغ الثمانين ؟ وهل هي مصادفة أنه عندما تقرر اختيار رجل من العرب أميناً، أن يكون هذا (الأمين) نصرانيًّا ؟! إن ميثاق المنظمة بعد بلورته لم يعرض على جهة قبل مجلس الشيوخ الأمريكي، فللأمريكيين قبل غيرهم حق النظر في الكيفية التي سينتهي إليها نظام العالم، ولهذا: لم يكن أمام مجلس الشيوخ إلا أن أقره بأغلبية (٨٩) صوتًا ضد صوتين، ووافق أن تكون الولايات المتحدة هي أول دولة تودع وثائق تصديقها لدى المنظمة الدولية الجديدة، وأصبحت أمريكا بعد ذلك المستودع الرئيس للأفكار الخاصة، ليس فقط بإنشاء منظمة الأمم المتحدة، ولكن أيضًا بإنشاء العديد من الوكالات الدولية المتخصصة والتابعة لها.

أما اليهود: فلا تسل عن ضلوعهم في تهيئة الأوضاع لنشوء تلك المنظمة، ويكفي دليلاً على ذلك: أن باكورة إنتاج الأمم المتحدة بعد قيامها، كان: إقامة دولة اليهود .. (إسرائيل) !.

كيف إذن تدير هذه الحكومة سلطاتها على «الرعية» من دول العالم الصغرى والوسطى؟ لقد أجاب على ذلك المؤتمرون في (يالتا) عندما اتفقوا على اقتسام مناطق النفوذ في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية.. حينها تطرق بحث زعماء إنجلترا وروسيا وأمريكا (تشرشل - ستالين - روزفلت) إلى كيفية تكريس واقع ما بعد الحرب لصالحهم، وفي (يالتا) تم الاتفاق على أن يكون للدول الكبرى حق النقض (الفيتو) دون أن يكون لبقية الدول ولو حق النقد لهذا الحق، وقد وصل الأمر بعد استقرار هذا التقليد، إلى حد أن السناتور الأمريكي (كونالي) قام بتمزيق نسخة من طلب قدمته بعض الدول لتعديل نظام التصويت، وصاح قائلاً: «إنه من دون الفيتو، لن يكون هناك ميثاق أصلاً .. » !!.



وهكذا . . . بالقوة . . أراد أساطين الشرعية الدولية فرض شريعتهم الديكتاتورية على الجموع البشرية .

إن ربع هذه الجموع تمثله أمة الإسلام ، التي تقترب دولها من نصف أعضاء المنظمة (٨٠ من ١٨٠) ! ولهذا : يحق لنا ونحن نتساءل عن مدى شرعية (الشرعية الدولية) أن نطرح هذه الأسئلة :

هل كان هناك لأمة الإسلام دور في صياغة هذا (الدستور) الذي يطبق على دولها في شؤونها الدولية؟ وهل استشير الإسلام في وضع مبادئه؟ ، أو كان مصدراً من مصادر استلهامه؟ ، وهل روعيت مصلحة الشعوب الإسلامية في أثناء وضع أهدافه؟، وهل تملك تلك الشعوب والدول، ـ مجتمعة أو منفردة ـ أن تخرج عن إطار الهيمنة التي أدخلت نفسها بنفسها تحت سلطتها ؟ وهل يملك أحد ـ ولو كانت الدول الإسلامية كلها ، أو الدنيا بأسرها ـ أن تغير حقائق وأهداف وقيم الدين الخاتم، وسلب أحقيته ـ ولو نظريًا ـ في قيادة البشرية وتوجيهها بمقتضى رسالة الله الأخيرة إلى البشر ؟.

لقد كنت أظن أن برنامج الأمم المتحدة لحكم العالم قد صيغ لضمان سيطرة الغرب النصراني مع صنوه اليهودي على العالم فقط، ولكن تأكد لي ـ بعد التفحص في بنود هذا البرنامج ـ : أنه قد أحكمت خطته ليحول دون قيام أي منافسة لهم على زعامة العالم، وخاصة إذا كانت من العالم الإسلامي، الذي قامت زعامتهم على أنقاض خلافته الضائعة .

إن هذا البرنامج ـ بعبارة أخرى ـ يراد منه أن يمكّن للدول الكبرى النصرانية أن تظل قائدة إلى الأبد، وفي القمة إلى الأبد ، ويراد منه في الوقت نفسه : أن تظل الدول الصغرى ـ التي يمثل المسلمون غالبيتها ـ مقودة إلى الأبد، وفي القاع إلى الأبد ، فهل هذه شرعية ؟!! .

إننا ونحن نناقش مدى شرعية (الشرعية الدولية) ينبغي أن نستحضر الثوابت الإسلامية ، ونستظهر المعاني القرآنية، بعيداً عن ضغط الواقع.



الذي يدفع بعضنا إلى الخروج من جلده والتكلم بغير لسانه . . .

وهنا : لابد من استظهار الحقائق التالية، قبل استعراض ماهية ونوعية بنود الميثاق الدولي لحكم العالم :

● أن الفرضية التي انطلق منها الغرب وهو يؤسس لحكومته العالمية، وهي بقاء أمم العالم الثالث (وأكثرها من العالم الإسلامي) مستضعفة ، هذه الفرضية لاينبغي أن تغير من قناعة الأمة الإسلامية في أحقيتها الأصلية في أخذ الزمام وتسلم الدفة .

● أن الإصرار على وصف هذا الوضع الشاذ المتمثل في تسلط الأعداء بـ(الشرعية) ، والإمعان في إضفاء الاحترام والتبجيل لهم، يساعد على ترسيخ مفهوم التبعية لدى شعوب المسلمين .

● أنه لا معنى للاستتار بحقائق الدين خلف جدران الوهن ، وترديد مقولة المهزومين بأنه لا مخرج عن تلك الولاية الدولية القسرية، ولا مناص بالتالي من النزول على شرعيتها ؛ فإن هذه إن وقعت قدراً ، فليس معناها أن تسوغ شرعاً .

● أن النزول على كل أحكام تلك الشرعية الدولية ، سيعني التسليم لولاتها الدوليين بحقوق ليست لهم ، ولا هي مقبولة منهم، مثل: إلغاء الجهاد الإسلامي لنشر الدين الحق أو حتى حمايته ، إنْ طلباً أو دفعاً ، وإلغاء القسمة الإسلامية لدول الأرض إلى ديار إسلام وديار كفر، واستبدال ذلك بدول مستقلة أو غير مستقلة بحسب ارتضاء الغرب عنها.

● بل سيعني هذا النزول على أحكام الشرعية الدولية : التنازل عن التقسيم الإلهي للبشر إلى مؤمن وكافر من الناحية العملية، مما يترتب عليه التنازل عن عقيدة الولاء والبراء .

● أن أصحاب شريعة الإسلام الإلهية التي لم تلق شرعية أو احتراماً من أصحاب الشرعية الدولية حين أصلوا لها، لاينبغي أن يكافئوا تلك (الشرعية الوضعية) بإضفاء الشرعية الإسلامية عليها .

● أن شريعة الإسلام الشاملة الكاملة تأبى أن تكون حاكمة في داخل

المسلمون



والعالم

بلاد المسلمين ومحكومة خارجها ، وترفض أن يُتحاكم إليها في السياسة الداخلية، ثم يتحاكم إلى غيرها في السياسة الخارجية .

● أن ما تهدف إليه المنظمة الدولية لا يتعلق بأمر ثانوي بالنسبة لأمة الإسلام ، بل يتعلق بأصل كيانها ووظيفتها التي أنيطت بها في حاضرها ومستقبلها .

● أن الاضطرار إلى أكل جزء من الميتة لا يجعل لحمها من الطيبات، واللجوء إلى استبقاء النفس بجرعة خمر ؛ لايجعل الخمر من المباحات ، فكذلك الوقوع تحت حكم الكفار اضطراراً؛ لايجعلهم من الأخيار الذين نتسابق إلى تحكيمهم في رقاب الأمة ودمائها وأموالها .

● سواء أكانت المعاهدات الدولية عقوداً أو عهوداً، فإن العقود والعهود تحل أو تحرم بحسب المعقود عليه ، ولا يتصور حل التعاقد على إهانة أمة الإسلام على يد الظالمين، أو التعاهد على تسليم الكافرين زمام أمر العالمين.

وأخيراً :

● قد يثور تساؤل حول مدى صدقية القول باستهداف الأمة الإسلامية من خلال فرض هيمنة الدول النصرانية ، فقد يقول قائل : وهل الدول الإسلامية فقط من ضمن دول العالم الثالث هي المقصودة بالعداء وفرض الهيمنة ، أم أن ذلك أمر مشترك مع كل الأمم الضعيفة والمتخلفة بسبب ضعفها وتخلفها؟ والجواب على ذلك ينبع من استقراء ممارسات الدول الكبرى والفَرق بين تعاطيها مع القضايا الإسلامية ـ كما سبق التفصيل في مقال سابق ـ وتعاملها مع القوى الناهضة الأخرى ، ولننظر على سبيل المثال في نموذج (الهند وباكستان) : كيف سمح لهذه الهندوسية بتملك القنبلة النووية، ولم يسمح لتلك المسلمة بتملكها ؟، وهناك مثال أظهر يوضح التحيز السافر ، وهو نموذج (الدولة العبرية) مع الدول العربية، بل مع كل الدول الإسلامية، ليس في المجال النووي فقط، بل في كل المجالات ... وليس آخر الأمثلة ما يحدث مع كل من البوسنة وألبانيا



وكوسوفو من جهة وما يحدث مع الصرب والكروات من جهة أخرى .

إن الممارسات ـ نعم الممارسات ـ هي التي تفصح عن الشعارات، فتفضحها أو تمدحها، وقد لا يتفطن كثير من الناس لخفايا وخبايا الشعارات؛ لدقة حبكتها أو التواء صياغتها أو استتار غايتها ، ولكن سرعان ما يكشف الظاهرُ الباطن. وقد تبنت الأمم المتحدة منذ أبرم ميثاقها سبعة مبادئ ، حوتها المادة الثانية منه، فلنستعرض تلك المبادئ، ولنقرأ ما بين سطورها غير مخدوعين بظواهرها، ولنسأل الأيام والليالي ... لأي شيء وضعت ؟.

المبدأ الأول: المساواة السيادية بين الدول ، فتنص الفقرة الأولى من المادة الثانية على أن «الأمم المتحدة تقوم على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع أعضائها ، سيادة قانونية في الحقوق والواجبات»، وقد نقضت المنظمة واقعيًا هذا المبدأ الذي خطته نظريًا ، فلم تتردد في هدمه بإعطاء الدول الكبرى وحدها مزايا خاصة ، أهمها الحق في مقعد دائم في مجلس الأمن الذي يبت في القضايا الدولية ، وكذلك أعطت الدول الكبرى لنفسها حق النقض الذي يمكّن كل دولة كبرى عمليًا من الحيلولة دون صدور أي قرارات تتعلق بمسائل موضوعية إذا كانت لا ترغب في صدورها!.

المبدأ الثاني: وقد قررته الفقرة الثانية من المادة الثانية، إذ يشترط لكي يكفل للأعضاء جميع الحقوق والمزايا المترتبة على صفة العضوية بأن يقوموا بتنفيذ الالتزامات التي تعهدوا بها على أنفسهم «بحسن نية»، وهي التزامات قد تكون مادية أو في شكل تسهيلات لتمكين الأمم المتحدة من الدفاع أو الهجوم في العمليات التي تدور في فلك المصالح العليا للقوى العظمى . و«حسن النية» المشترط لكسب مزايا العضوية ، قد ضربت الدول الكبرى فيه (أروغ) الأمثلة ، وبخاصة في القضايا الإسلامية ـ كما سبق إيضاحه ـ .

وأما إذا لم يتوفر «حسن النية» من الضحية صاحبة العضوية ، فلا حقوق ولا مزايا ولا مكافآت ، ولا مناص من العقوبات .

المسلمون



والعالم

المبدأ الثالث: فرضت الفقرة الثالثة من المادة الثانية على الدول الأعضاء الالتزام بمبدأ « إنهاء المنازعات بالطرق السلمية ، على نحو لا يجعل السلم والأمن والعدل الدولي عرضة للخطر » وهذا بالطبع من باب التوجيه والنصحية من الدول الكبرى لأخواتها الصغرى بأن تحل النزاعات بالطرق السلمية، لا بالقنبلة الذرية كما فعلت أمريكا في (هيروشيما) ، ولا بالغزو المباشر كما فعلت بريطانيا في (جرينادا)، ولا بالاجتياح السافر كما فعلت روسيا في (أفغانستان) و(الشيشان) ، ولا بإبادة الآلاف من الثوار كما فعلت فرنسا في الجزائر!!.

المبدأ الرابع : في الفقرة الرابعة من المادة الثانية ، وهو يلزم الأعضاء « بتحريم التهديد باستخدام القوة أو استخدامها فعلاً ضد سلامة الأراضي والاستقلال السياسي على وجه لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة » .

ولكن ماذا لو اتفق مع مقاصد الأمم المتحدة ومن هم وراء الأمم المتحدة؟، إن الأمر وقتها يختلف ، ودولة اليهود مثال على ذلك، فهي تمرغ هذا المبدأ في التراب كل ساعة وكل دقيقة وثانية ، بعدد ما في ترساناتها من أسلحة نووية وكيماوية وجرثومية ، وبعدد الأشبار والأمتار التي استولت عليها بالقوة العسكرية ، كل هذا تحت مظلة الشرعية الدولية .

المبدأ الخامس : تلتزم جميع الدول بموجب الفقرة الخامسة من المادة الثانية من الميثاق بتقديم « كل ما في وسعها من عون إلى الأمم المتحدة في أي عمل تتخذه وفق هذا الميثاق » .

وأيضاً :« تلتزم بالامتناع عن مساعدة أي دولة تتخذ الأمم المتحدة إزاءها أي عمل من أعمال الردع » ليس هذا فحسب، بل فرض الميثاق على الدول الأعضاء بموجب المادة (٤٣) بأن « يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن ما يلزم من القوات المسلحة والمساعدات والتسهيلات الضرورية، ومنها حق المرور» إذا تطلب الأمر ! .

إن كل دول الإسلام مثلاً لا تملك إسعاف شعب مسلم ولو مات أطفاله

المسلمون



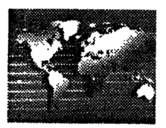
والعالم

جوعًا أو هلكوا مرضًا ؛ لأن الأمم المتحدة قررت فرض حصار عليه، لخلافات سياسية ـ حقيقية أو وهمية ـ مع قادته ، ودول العالم الإسلامي كلها لا تستطيع أن تخرج على الشرعية الدولية؛ فتهب لنجدة شعب مستضعف يستأصل على مرأى ومسمع من العالم ـ كما في البوسنة أو الشيشان ـ ، لأن الأمر لابد أن يترك لعدالة الأمم المتحدة والقانون الدولي، إن هذا البند بالذات يفسر لنا حالة الموات التي تصيب العالم الإسلامي ودوله في تعاملها مع القضايا الدولية الإسلامية .

المبدأ السادس : يوجب الميثاق حتى على الدول غير الأعضاء أن تلتزم قسرًا بمبادئ وقرارات الأمم المتحدة ، وأسند الميثاق لها ـ بموجب الفقرة السادسة من المادة الثانية ـ أن « تعمل على أن تسير الدول غير الأعضاء على هدي المبادئ الواردة في الميثاق »، وأكدت في هذا الصدد أن « الأمن الدولي لا يتجزأ » ، والمعنى : اشتركوا في العضوية أو لا تشتركوا ، فسوف تشملكم مظلتنا .. ومعنى هذا أيضًا : أن الصورة التي يراها الكبار للعالم ينبغي ألا تتغير ، ومواضع النفوذ غير قابلة للمناقشة ، وأن من يخرج عن الخط الأحمر، فلابد من تجييش العالم ضده .

المبدأ السابع : ليست للمنظمة الدولية مسؤولية تجاه الشؤون الداخلية في الدول، ومع هذا قيد هذا الإطلاق بشرط، هو : « على أن هذا المبدأ لا يحول دون تطبيق تدابير الردع الواردة في الميثاق »، ولم يتضمن الميثاق تعريفًا أو حصرًا للمسائل التي تقع تحت طائلة تحمل المسؤولية أو عدم تحملها ، فالأمر متروك لـ« ذكاء» و « نزاهة » القائمين على المنظمة الدولية، لتقدير من يستحق العقوبة والردع ـ لانحرافاته الداخلية ـ ومن لا يستحق .

إن هذه المبادئ وغيرها من تفصيلات « الميثاق الدولي » تجسد حقيقة اعتبار الأمم المتحدة نفسها حكومة عالمية ، وسواء أسلّمت لها شعوب الأرض بذلك أو لم تسلم ، فإنها تتعامل على أساس أنها حكومة فوق كل حكومة ، حتى إن المادة (١٠٤) منها تنص على أن الأمم المتحدة: «تتمتع



في بلاد كل عضو من أعضائها بالأهلية القانونية التي يتطلبها قيامها بأعبائها وتحقيق مقاصدها » ، أي : أعباء ومقاصد الدول الكبرى ـ وعلى رأسها أمريكا بالطبع ـ .

إن تحكم الدول دائمة العضوية حال دون أي مساس بمكتسبات ومصالح تلك الدول المستمرة باستمرار قيام المنظمة الدولية ، حتى إنها حالت دون إدخال أي تعديلات جوهرية على الميثاق طوال نصف القرن الماضي . . إن هذا الثبات ـ بل الجمود ـ على التمسك ببقاء كل شيء على ما هو عليه ، يرشح المنظمة في الاستمرار في إدارة شؤون العالم على النحو المرسوم لها، ولكن .. لحساب من ؟ ... لحساب الدولة الكبرى أولاً ، ثم لصاحباتها الدائمات ثانيًا . . والواضح أن الولايات المتحدة تستدرج بقية شركائها الواحدة تلو الأخرى مع الزمن ؛ لتخرجهم من حلبة المنافسة على السيطرة على العالم ـ كما فعلت مع الاتحاد السوفييتي ـ لتنفرد هي بعد ذلك بهذا العالم، وتصبح الدنيا في قبضة أولئك النصارى المتهودين، أو قل : اليهود المتنصرين : البروتستانت ، الذين يؤمنون بـ (الكتاب المقدس) التوراة والإنجيل معًا .

ونقرر هنا الحقيقة المرة ، وهي : أن بين البروتستانت واليهود صلات وصلات، منها ما نعرفها ، ومنها ما لا نعرفها ، فإلى متى يضع المسلمون رؤوسهم في الرمال ويقللون من شأن (العلو الكبير) الذي بلغه اليهود في هذا الزمان ؟ . .

ونسأل سؤالاً : أليس من الممكن أن يستغل اليهود هذه الأوضاع فيقفزوا فوق ظهر المنظمة الأممية بصورة علنية (بدلاً من الحكومة الخفية) ليتسلموا قيادة العالم عن طريق الأمم المتحدة بعد تطويرها وتحويرها . . ؟ لِمَ لا ... وهل يمكن لليهود أن يجدوا صيغة أسهل وأنسب من هذه الصيغة لتحقيق حلمهم القديم ... (**الحكومة العالمية**) ؟! .

المسلمون



والعالم

(*) أعيد طبع الكتاب مؤخرًا عن طريق دار المعارف بمصر .

(بورنا) المنسية وواجبنا نحوها

قبيلة بورنا قبيلة وثنية يبلغ تعدادها نحو ثلاثة ملايين نسمة، لم تصل الدعوة الإسلامية إلى أغلبهم حتى الآن، مع أنهم يعيشون بالقرب من قبائل إسلامية، وهم يعيشون بين دولتي إثيوبيا وكينيا، وقليل منهم دخل الإسلام قريباً، وأتوقع أن يسلم أكثرهم إذا وفق الله (تعالى) الدعاة للقيام بواجب الدعوة إلى الله (تعالى) في هذه المنطقة المنسية، وذلك بوضع خطة مدروسة يتعاون في تنفيذها الدعاة مع أهل الخير؛ لتأهيلهم وإمدادهم بما يستحقونه من دعم.

معلومات أولية عن المنطقة:

أولاً: الموقع:

تبعد منطقة (بورنا) عن العاصمة (أديس أبابا) ٤٧٥كم على الخط الجنوبي المؤدي مباشرة إلى (كينيا)، و٣٣٠كم عرضاً على الخط نفسه المؤدي إلى مدينة (مويلي)، التي هي إحدى مدن بورنا، وهي مدينة يقع نصفها في إثيوبيا ونصفها الآخر في كينيا، وهذه القبيلة تمتد داخل كينيا ٤٠٠كم٢ تقريباً.

ثانياً: المناخ:

ويمتاز جو (بورنا) بالاعتدال، وإن كان يميل في الطرف الجنوبي إلى الحرارة صيفاً، كما أن أراضيها صحراوية، بينما الطرف الشمالي الذي يلي إثيوبيا بارد وجبلي ذو أشجار وأنهار.

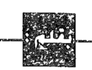
ثالثاً: الثروة الحيوانية والزراعية:

المنطقة غنية بالثروة الحيوانية وبخاصة الأبقار، ويبلغ متوسط ما يملكه

المسلمون



والعالم



مندوب المجلة المتجول

الرجل حوالي (١٠٠) بقرة، وتعتبر في مرتبة متقدمة في إنتاج الأبقار والجمال، ومن أجود أنواعهما ذوات اللون الأبيض... وهناك أغنام كثيرة أيضًا، ويباع الحليب بأرخص من الماء في بعض المناطق، وتوجد الزراعة بالقدر الكافي لأهالي المنطقة، فلا يحتاجون إلى غيرها؛ لأن هناك واحات في عدة أماكن في المنطقة.

رابعاً: العادات والتقاليد:

أهل بورنا وثنيون؛ وعاداتهم جاهلية وتقاليدهم كذلك، وهم من أشد الناس تمسكًا بعاداتهم وتقاليدهم، وقد بقوا حتى الآن متمسكين بها، ولم تؤثر عليهم المدنية والثقافات الغربية أو الشرقية، ومن العجب: أن هؤلاء القوم قد نظموا حياتهم تنظيمًا عجيبًا؛ حيث إن لهم رئيسًا يدير أمورهم، تجب طاعته طاعة مطلقة، بحيث لا يحركون ساكنًا إلا بأمره وإشارته، حتى ولو أدى ذلك إلى ضررهم.

وحسب تنظيمهم: يعتبرون كدولة، ويتكون تنظيمهم من: مجلس للشورى، ورؤساء للقبائل، ورئيس عام، وموجهين مرتَّبين حسب مكانتهم، فإذا اعتدى عليهم الأعداء لا يحاربونهم إلا بأمر من الرئيس، وإذا أمر أو وجه إلى ذلك فطاعته واجبة، وتنفيذ ما يأمر به ضروري.

خامساً: شخصيتهم الفطرية:

وهم قوم يتسمون بالقوة، والثقة بالنفس، والثبات في الملمات، والذكاء الفطري، ويتسمون بالفصاحة وطلاقة اللسان، وقد استمعنا إلى

المسلمون والعالم



طالب صغير يحفظ القرآن، فقرأ علينا آيات، دهشنا من حفظه، وطلاقة لسانه، وفصاحته.. وهم بدو رحل ينتقلون من مكان إلى مكان مع دوابهم.

سادسا: أهم المدن والقرى:

(١) نعيلي: وهي عاصمتهم الرسمية وأغلبية سكانها مسلمون، وأكثرهم من اللاجئين العائدين من الصومال، وبها نشاط إسلامي لا بأس به.

(٢) ميغا: وهي على بعد (٦٦٥) كم من العاصمة، وهي مدينة تقع في وسط بورنا، وهي إحدى مديريات المنطقة: جوها معتدل طيب، في موقع استراتيجي مهم، تكتنفها الجبال وكأنها قلعة من القلاع، كما أن هناك قلعة قديمة على مدخل المدينة منذ عهد «هيلاسلاسي»، ولعلها تكون ـ بإذن الله ـ قلعة إسلامية ومنطلقاً للدعوة لنشر العقيدة الصحيحة والمنهج السليم، ومما تختص به هذه المدينة ما يلي:

- وجود الماء وقربه، فلو حفر بئر يخرج الماء من أقرب مكان.
- اعتدال جوها.
- توسط موقعها؛ مما يسهل نشر الدعوة منها إلى مختلف الجهات.
- وجود الدعاة من: شباب، وشيوخ من أهل البلد، يعتمد عليهم بعد الله (تعالى) في الدعوة.
- هي منطقة مركّز عليها من قبل المنصرين.
- يملك المسلمون فيها مساحات كبيرة من الأراضي.
- هي منطقة زراعية، غنية بالمواشي من: الأبقار والجمال والأغنام، مما يسهل المعيشة فيها.
- يسيطر المسلمون على مقاليد الأمور فيها.

(٣) مويل: وهي مقسمة بين إثيوبيا وكينيا، وأغلب سكانها من المسلمين (ومن القوميات الوافدة إلى المنطقة لغرض التجارة)، والنشاط

المسلمون



والعالم

الإسلامي فيها جيد (حيث توجد عدة مساجد ومدارس إسلامية أهلية) وهي مدينة استراتيجية ذات أهمية دعوية، وبخاصة قسمها الكيني.

(٤) يابلو: وهي على بعد (٥٦٥كم) من العاصمة أديس أبابا، وهي أيضا مديرية المنطقة، ومساحتها كبيرة، والمسلمون فيها نحو ٥٠٪.

والنشاط الإسلامي فيها جيد؛ لنزول عدد من المسلمين اللاجئين العائدين من الصومال بها، وفيهم دعاة محليون جيدون، ويقومون بنشاط ملموس، ويوجد في المدينة مسجدان: أحدهما كان منزلاً حَوَّلَه أحد المحسنين إلى مسجد لأهل السنة بدلاً من مسجد طردوا منه، وقد أخذ أهل السنة أرضًا واسعة لبناء مسجد، ويمكن إقامة مركز إسلامي على تلك الأرض إذا وجد من يتبناه (فأين أهل الخير؟!).

(٥) فنطاوي: وهي مدينة تقع على بعد (٤٩٥كم) وهي تابعة لمديرية (يابلو)، والمسلمون فيها نحو ٥٠٪، وفيها مسجد وخلوة لتحفيظ القرآن الكريم، وفيها نشاط إسلامي محدود، وتحتاج إلى داعية وموجه إلى المنهج الصحيح؛ لأن المسلمين في المنطقة ليس لديهم فهم صحيح عن الإسلام؛ بسبب الجهل وكثرة المشعوذين.

وهناك مدن أخرى مثل (دبلق) و(هريرو) و(أدرا) و(غنالي) و(أغرمارم) و(كبرمنغست).

النشاط الإسلامي في بورنا:

ويمكننا القول: إن النشاط الإسلامي في المنطقة ليس كما ينبغي، وخاصة أن الدعوة الصحيحة لم تدخل المنطقة بعد، ولا يوجد من يتبنى المنهج الصحيح الخالي من البدع والخرافات، ومن هنا: يوجه الذين أسلموا منهم ـ وبخاصة الدعاة المصلحين ـ عتابًا ولومًا شديدًا للمسلمين، وقد قال واحد منهم: نحن نحاجُّكم عند الله يوم القيامة، فقيل له: لماذا؟ فقال: إن دعاة التنصير يسعون ليل نهار لالتقاط أبنائنا، وتكثيف

المسلمون

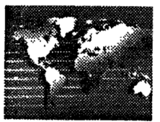
والعالم

جهودهم عندنا بمختلف الوسائل، وأنتم لم تتقدموا إلينا بدعوة إسلامية صحيحة، اعلموا أنه لو وجهت الدعوة الإسلامية الصحيحة إلينا لكنا أسبق إلى الإسلام؛ لأن الإسلام دين الفطرة، ونحن على الفطرة وعاداتنا وتقاليدنا تتفق ـ غالبًا ـ مع التوجيهات الإسلامية.

وفي الحقيقة: إن كلام هذا الشخص يتفق مع ما قاله شيخ الإسلام «ابن تيمية»: «ما عرض الإسلام على قوم وثنيين مع ملة أخرى إلا اختاروه»، وإذا كان الأمر كذلك فَتَحَتَّمَ علينا أن نقوم بأداء هذا الواجب الخطير قبل المحاجة أمام الله (سبحانه وتعالى)... فهل يستجاب لهم؟، (عسى ولعل).

أهمية نشر الدعوة في أهل (بورنا):

هذه مهمة عظيمة، نسأل الله (تعالى) أن يكتب لنا شرف القيام بها مع إخلاص النية؛ حتى يبقى لنا الثواب إلى قيام الساعة؛ لقوله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص من أجورهم شيئًا»، ولقوله ﷺ: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة».



فأجور هؤلاء الذين يسلمون، ثم أجور ذرياتهم تكتب لنا ـ إذا أخلصنا النية ـ إلى قيام الساعة، وهذه درجة عظيمة ينبغي أن نهتم بتحصيلها، ونتحمل المشاق والصعاب لبلوغها، ونسهر الليالي والأيام لإدراكها، فسبحان الله! ما أعظمها من درجة! وما أغلاه من ثواب!، فهذه المنزلة ينبغي أن يشمر إليها الصالحون، ويتنافس فيها العلماء العاملون، ويتسابق إليها الدعاة المصلحون، فيا لها من منزلة تأخرت عدة قرون لحكم يعلمها الله (تعالى)، ولعل منها أن الله (تعالى) كتب لأهل عصرنا من الدعاة والعلماء أن يشاركوا فيها؛ إذ من العجب العجاب: أن قومًا يقدرون بعدة ملايين على قرب من المسلمين: يتجاورون معهم في

السكن، وتحيط بهم عدة قبائل من المسلمين، بل تخالطهم وتساكنهم وتتجر معهم أحياناً، وتتقاتل وتتناحر معهم أحياناً، وتتصالح أحياناً أخرى، وتتفاهم بلغتهم وتشاركهم في كثير من العادات والتقاليد، ومع توافر هذه الأسباب الميسرة لدعوتهم وإدخالهم في دين الله (تعالى) فلا يزالون على وثنيتهم... حكى لنا الشيخ حسن بن علي (وهو من أهل بورنا) : أن زميله الذي أسلم من البورنيين تناقش مع أحد عقلائهم، فجرى في المناقشة أن الوثني قال له : ماذا تسموننا؟، فقال المسلم : كفاراً، فقال : ما معنى كفار؟ قال : الكافر المعاند، فقال : هل دعوتمونا فعاندنا؟، فقال : كيف ندعوكم وأنتم تقتلون الناس من غيركم؟، فقال : أناشدك بالله أن تريني في مناطق بورنا كلها قبر رجل رباني يدعو إلى الله، قتله البورنيون!!!.

وهذه المحاورة وقعت قريباً وأصحابها أحياء معروفون، وهي توضح حقيقة واقعية : أن الدعاة إلى الله على بصيرة وبمنهج صحيح لم يتجهوا إلى دعوة هؤلاء القوم، بل حصلت بعض المعوقات بسبب بعض العادات الناتجة من بعض المسلمين المجاورين لهؤلاء؛ إذ يشترطون شروطاً ـ ما أنزل الله بها من سلطان ـ إذا تقدم أحد من البورنيين للدخول في الإسلام، ومن ذلك :

١ ـ يشترطون عليه الخروج من قبيلته، والانتساب إلى قبيلة الداعية، وتغيير اسم أبيه إلى اسم الداعية!!.

٢ ـ مقاطعة آبائه وإخوانه وقبيلته، بل والهجرة إلى قبيلة الداعي المتناحرة مع قبيلته.

٣ ـ دفع واحدة أو عدة مواش إذا أراد الدخول في الإسلام كأجرة!.

٤ ـ إذا دفع عدة أبقار أو جمال : يمكن إدخال والده المتوفى في الإسلام!.



٥ ـ وجوب عقيقة على أولاده، يأكل منها الداعي!.

وقد يأتي رجل فيطلب الإسلام، فيقال له: لا نجد لك الآن اسماً، أو: لا يوجد مكان للتسجيل!، ومما سمعناه: أن أحدهم طلب من هؤلاء أن يسلم، فاعتذروا إليه بعدم وجود المكان، ثم توفي شخص من هؤلاء المسلمين، فذهب إليهم، فقال لهم: أريد أن تسجلوني في مكان المتوفى!!!.

وقد أدت هذه التعقيدات والعقبات إلى نفور هؤلاء القوم من المسلمين المجاورين لهم، بل إلى قتالهم والإغارة عليهم، فكانت النتيجة: أن تأصلت العداوة بين الطائفتين المتناحرتين، ومع هذا: فهؤلاء الوثنيون هم أقرب إلى الإسلام من غيرهم من الملل، وعندهم ميل فطري إلى الإسلام، فهو دين الفطرة ودين السماحة، فانظر كيف تحول في عرف أولئك ـ بسبب جهل بعض المسلمين ـ إلى غل وحائل عن الولوج فيه!.

ومن الأسباب الميسرة لدخولهم في الإسلام:

١ ـ أنه دين الفطرة الذي لا تعقيد فيه.

٢ ـ أن البورنيين يحبون الإسلام بفطرتهم ويفضلونه على غيره من الملل والنحل، ويوضح هذا: ما يتناقلونه فيما بينهم من أن صالحهم أو كاهنهم أوصاهم قديماً بالدخول في الإسلام، وعدم الدخول في غيره، وأنهم يتناقلون تلك الوصية جيلاً عن جيل.

٣ ـ وقد يكون الإسلام قد دخلهم قديماً، ثم كثر فيهم الجهل حتى رجعوا إلى الوثنية، ويشهد لهذا أمور، منها:

أ ـ أن أحد زعمائهم ـ وهو الحاج غويو ـ ذكر لنا أنهم كانوا على الإسلام قبل (٦٠٠) سنة.

ب ـ تقاليدهم وعاداتهم فيها بقايا من دين الإسلام، ويوضح هذا ما سيأتي عن حياتهم الاجتماعية.

ج ـ نظام الزواج؛ فالرجل يتزوج من الواحدة إلى الرابعة (وهذا هو



الأغلب) لا يتجاوز ذلك إلا نادراً.

د ـ أن قبائلهم تقسم على مسميات تشعر أن هذه القبائل كانت مسلمة ، من ذلك: القبائل المسماة بالقَالوّ، وهم في لغتهم: العلماء الربانيون ،وهي قبائل محترمة لديهم.

٤ ـ حالتهم الاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم قريبة إلى الإسلام منها إلى أي ملة أخرى، فمن ذلك:

أ ـ اللباس: فمن عاداتهم في اللباس أن الرجل إذا بلغ سنوات معينة يلبس نوعا من العمامة، وأن أنثاهم لا تكشف العورة، فالعري قبيح جداً لديهم، بخلاف القبائل الوثنية المتأصلة.

ب ـ السواك يلازمهم نساءً ورجالاً، فالسواك لا يفارقهم.

ج ـ الزنا من أشد العظائم لديهم.

د ـ الكذب والخيانة أقبح الأمور عندهم.

هـ ـ فضيلة أداء الأمانات والصدق والوفاء بالعهود عندهم.

٥ ـ أنهم قوم بدو رحل يشبهون عرب الجاهلية في أمور كثيرة ، مثل: العفة، والذكاء، وسلامة الفطرة، وصفاء الذهن.

وفي الحقيقة: عندما تحدثنا إليهم وظهرت لنا نجابتهم وطلاقة ألسنتهم وفصاحتهم وبلاغتهم ؛ تذكرنا ما كان يعرف عن عرب الجاهلية في الفصاحة، والبلاغة، والذكاء، والعفة، وأداء الأمانات، وعدم الكذب، والصراحة الصارمة، كما أنهم ـ من ناحية أخرى ـ يشبهون عرب الجاهلية في تتبع مواقع القطر في الحل والترحال مع مواشيهم وإبلهم، كما أنهم يشبهونهم في الأخذ بالثأر والإغارة على القبائل المجاورة المخاصمة، وكذلك يشبهونهم في الشجاعة والبطولة والإقدام.

صراعاتهم مع المنصرين:

بذل المنصرون جهوداً كبيرة لتنصيرهم، وقد باءت أغلبها بالفشل،

المســلمون



والعـــالم

ومن تلك الجهود:

أ ـ أن الأمبراطور الهالك «هيلاسلاسي» عرض على زعيمهم الروحي تنصيرهم، فتشاور هذا الزعيم مع قومه، واتفقوا على أن دين النصارى لا يناسبهم؛ لأنه لا يتناسب مع عاداتهم وتقاليدهم.

وقد رد زعيمهم على هيلاسلاسي بالرفض لتنصرهم قائلاً: إن عاداتنا وتقاليدنا لا يمكن أن نتنازل عنها بأي حال من الأحوال، ومن يريد تنصير قومي، فإنه لا يمكنه ذلك إلا بعد قطع رقبتي، وبهذا الجواب يئس هيلاسلاسي من تنصيرهم بواسطة زعيمهم الأعلى، ثم قام بمحاولة أخرى: حيث نصر أحد المثقفين منهم وولاه إحدى المديريات، وأرغم هذا الوالي نحو ٥٠٠ من الفلاحين بتخويفهم بالطرد من مزارعهم إن لم يتنصروا، فأطاعوه خوفًا، ثم أحضر لهم قسيسًا يعلمهم، وأراد بناء كنيسة لهم، وبعد أن مكث معهم القسيس نحو ثلاثة أشهر اكتشف أن أحدهم دخل في الإسلام؛ حيث إن ذلك المسلم قال بحضرته بدون تفكر: لا إله إلا الله، فسأله عن ذلك فقال: أسلمت قريبًا، فقال القسيس: عجبًا! إني أعلمكم كلمات في النصرانية منذ ثلاثة أشهر ولا تستطيعون نطقها إلى الآن، وكيف تستطيع نطق هذه الكلمة التي تعلمتها قريبًا؟ فقال: إني دخلت الإسلام عن رغبة، ودخلت في النصرانية كرهًا وخوفًا، فقال القسيس للحاضرين: هل أنتم كذلك؟ فقالوا كلهم: نحن كذلك مكرهون، فكتب تقريرًا إلى «هيلاسلاسي» أنه لا فائدة في هؤلاء، ولا في بناء الكنائس لهم، وانتقل القسيس من ذلك المكان يجر أذيال الخيبة.

ومع هذا: لم يتركهم «هيلاسلاسي» حيث نقل إلى مدنهم النصارى من الموظفين الإداريين، فبنوا الكنائس في المدن الاستيطانية، غير أنه لا يُرى أثر للنصارى في القرى والأرياف.

ب ـ وبعد هلاك «هيلاسلاسي»، ودخول البلاد في الشيوعية، لم

المسلمون



والعالم

يحاول أحد تنصيرهم من جهة الدولة بالطريقة الرسمية ،ولكن جاء إليهم المنصرون الغربيون، وهم أشد خبثًا وأقوى حيلة، وأساليبهم متنوعة وطرقهم متعددة، ففي الآونة الأخيرة نزل هؤلاء بقراهم ومدنهم يحملون في يدٍ المساعدات، وفي الأخرى التنصير؛ لتخريب الأخلاق وبقايا عاداتهم الحسنة والفطرية.

وقد تنصر بعض شبابهم وبعض الضعفاء منهم على أيدي هؤلاء، ولا زالت الكثرة الباقية على الوثنية تقاوم التنصير، وتعاديه، وتكرهه،... ومما وقع قريبًا في هذه السنة :أن منصرًا أوروبيًا ذهب مع مجموعته إلى بواديهم فجمعهم من عدة قرى فوعظهم وطالبهم بأمرين:

١) الإيمان بابن الله المسيح.

٢) والصلاة له وعبادته يوم الأحد.

فسألوه: هل للمسيح الذي تدعونا للإيمان به أب؟ فقال المنصر: نعم، فقالوا: مستحيل أن نؤمن بالابن والأب موجود!!! لأن عادتهم تقتضي احترام الأب وتقديمه على الابن في كل شيء، ثم قالوا له: إنك تأمرنا بعبادته في الأسبوع يومًا واحدًا ، ونحن نعبده وندعوه ليل نهار صباح مساء، لا يومًا واحدًا في الأسبوع، فبهت هذا المنصر ورجع عنهم خائبًا، وهذه الواقعة حدثت قريبًا في قرية قريبة من مدينة (ميغا).

وهي تدل على مقاومتهم للتنصير بفطرهم السليمة التي تأبى مثل دعاوى المنصرين الباطلة التي تخالف العقول النقية والفطر السليمة.

فأين أنتم يا مسلمون

المسلمون



والعالم

في الشيشان:

بعد خراب البلاد.. هل ننقذ العباد؟!

يفرض الواقع المأساوي في الشيشان ـ بعد ما يقرب من خمسة عشر شهرا متواصلة من القتال والتشريد والدمار ـ على المسلمين أن يفكروا جديًا في تحرك واقعي وملموس للتخفيف من هذه الكارثة على إخوانهم المسلمين، وأن يبادروا لنجدتهم بدلاً من الانتظار المعتاد للمبادرة الصورية لدول الغرب الصليبي، ولعل المجال الدعوي الذي به حياة القلوب وسلامة الأديان، والمجال الإغاثي الذي به إغاثة الأنفس ونماء العمران: من أهم المجالات التي يحتاجها المسلمون المنكوبون في الشيشان.

أولاً: الجانب الدعوي:

مما يسهّل الأمر كثيراً على الدعاة في الشيشان: سرعة تقبّل الشعب هناك للحق، وانصياعهم له إذا عُرض عليهم عرضًا سليمًا خاليًا من الجفاء، وصحيحًا من البدع؛ وتعتبر البرامج الدعوية من أهم الأولويات التي يجب أن يشرع فيها كل من أراد الإعمار سواء من الأفراد أو من الهيئات والمنظمات الإغاثية.

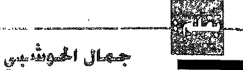
وتعد المناطق الجبلية الآن ـ بعد انسحاب الروس منها مؤخراً ـ أماكن خصبة للدعوة، يمكن أن يتفرّغ فيها الدعاة لتوعية الأهالي وتعليمهم أمور دينهم.

ومما ينبغي الإشارة إليه بمداد الإكبار: قيام بعض المجاهدين الوافدين

المســلمون



والعــالم



جمال الحوشبي

لنصرة إخوانهم الشيشان من الجمهوريات المجاورة بعمل حلقات لتدريس القرآن الكريم وتعليمهم اللغة العربية في القرى ، وقد توافد على هذه الحلقات عدد هائل من أهالي تلك القرى وما جاورها، بل لقد كانوا يتفاعلون جداً مع تلك الجهود الدعوية المتواضعة تفاعلاً عجيباً، ويذكر بعض الإخوة الدعاة هناك كيف تم الإلحاح عليهم لبقائهم معهم يعلّمونهم القرآن ويفقهونهم في الدين .

ويشيد بعض من قام بهذا العمل الدعوي بين المسلمين الشيشان بمقدار التغيّر الحادث بين الأهالي، وبتلهفهم على توجيهات الدعاة، وبتجاوبهم مع دروسهم ، مما يؤكد أن الغالب هناك هو انتشار الجهل الذي أدّى إلى شيوع مظاهر من الخرافات والبدع، ومما ينبغي على القائمين بالدعوة إلى الله في مناطق الشيشان أن يعرفوه أموراً مهمة، منها :

الانتشار الواضح للفكر الصوفي وتعدد طرقه بين المسلمين هناك، حيث يتبع غالبية شعب الشيشان طريقتين واسعتي الانتشار، هما : الطريقة القادرية ، والطريقة النقشبندية، وذلك ناجم عن تمسك الشعب جيلاً بعد جيل بموروثات الأجداد القدامى منذ أيام الإمام « منصور أو شورما الشيشاني »، ثم من جاء بعده من الأعلام ـ الذين برزوا خلال الحروب المتوالية ضد الصليبيين الروس ـ ممن تعلموا على أيدي شيوخ

المســلمون



والعــالم

تلك الطرق الذين كانت مدارس التعليم تمتلئ بهم في ذلك الوقت.

وبتتبع بعض أخبار المسلمين هناك وسؤال بعض طلبة العلم ممن بدؤوا بتعلم أصول أهل السنة في بعض الجامعات الإسلامية: يمكننا أن نحكم بصدق المقولة التي ذكرها أحد الدعاة المطلعين على الوضع في الجمهوريات الإسلامية: من أن الصوفي هناك لا يدري معني التصوف، وأن الشيعي لا يعرف معنى التشيّع، وقلة هم الذين ينحرفون عن علم وعقيدة راسخة؛ لأن الفكر الشيوعي كان هو السائد! والتحلل الذي مارسه بين المسلمين في ترسيخ الثقافات والعادات والسلوكيات الشيوعية أخرج مزيجًا يصعب تصنيفه.

إذن: لابد من إعادة الدعوة لمنهج أهل السنة من جديد بالحكمة والموعظة الحسنة، وسوف يُقبل الناس ـ بإذن الله ـ أفواجًا، متى كانت الدعوة إلى الله صادقة في أهدافها وثوابتها، بعيدة عن التحريف أو الخرافة، ومتجرّدة عن التحزب أو المطامع الدنيوية والمكاسب المادية.

■ كما ينبغي على الدعاة مراعاة التركيبة الطبقية للشعب الشيشاني الذي يميل إلى القبلية، وقد كانت هذه التركيبة أظهر في السابق، عندما كان هناك مجلس مهمته البت في شؤون الشعب، يتم تعيينه عن طريق اختيار أفراد من العشائر والقبائل، وغالبًا ما يكونون من كبار السن، ويدخل من ضمن صلاحيات هذا المجلس: اختيار زعيم البلاد ـ متى دعت الضرورة ـ للفصل في القضايا التي تعترض البلاد، ثم بعد انتهائها يعود فردًا من أفراد الشعب كما كان، له ما لهم وعليه ما عليهم. وقد وصف عالم الأجناس الفرنسي «آرنست شانتر» ـ عندما زار بلاد الشيشان عام ١٨٨٧م ـ المجتمع الشيشاني بقوله: «... تسود المساواة والتعاون بين الشيشان، والسلطات التي يخلعونها على مجلس كبرائهم محدودة من



حيث الزمن والمدى، ومن حيث الصلاحيات... ». ويوجد في الشيشان (١٤) محافظة، وأكثر من (٤٠٠) مدينة وقرية.

والشيشان قوم يعتزون جداً بأرومتهم، ويتمسكون بثقافاتهم وعاداتهم التي تميزهم عن غيرهم، وقد أدّى هذا الاعتزاز بالعرق والجنس إلى شيوع نوع من التعصب الذميم بقومية الشيشاني وعراقته، حتى إن بعضهم ربما افتخر بمآثر الأجداد الوثنيين، ونسي أن ذلك من التصرفات التي لا يقرّها الإسلام، وهذا كما أشرتُ سابقاً من أثر الجهل السائد وغياب الدعاة المصلحين هناك.

ومما أفرزته هذه العصبية القومية عند بعضهم: الاعتزاز بثقافة وتركيبة الشيشان بمعزل عن تأثير الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، ولم يسلم من هذه النعرة حتى بعض المثقفين، فتراهم ـ عند حديثهم عن تاريخ دخول الإسلام للشيشان ـ يغفلون أن الإسلام دخل بلاد داغستان التي كانت الشيشان جزءاً منها قديماً، ويغفلون عن ذكر كثير من الحقائق التي تؤكد أن دخول الإسلام إلى « الشيشان » و « شروان » وأجزاء من شمال « أذربيجان » ـ وهي المنطقة التي كانت تسمّى قديماً ببلاد الداغستان ـ قد كان أيام الفتوحات الإسلامية المتقدمة في القرن الهجري الأول أيام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). أما بلاد الأنجوش ـ التي فُصلت عن الشيشان مؤخراً، واعتبرت في عام ١٩٣٦م مقاطعة مستقلة تابعة للاتحاد السوفييتي؛ زيادة في تفرقة الأمة الواحدة ـ فقد تأخّر دخول الإسلام فيها وفي مناطق أخرى محيطة بالشيشان عندما استعصت على الفتوحات الإسلامية؛ لأسباب عدة ليس هذا مقام ذكرها [١].

١) تطرقت إلى طرف من ذلك في كتاب مستقل حول جمهورية الشيشان في مبحث: (الشيشان في ظل الإسلام).

المسلمون

والعالم

إن مما يجب على الدعاة إلى الله أن يكثروا منه : بث روح الأخوة في الله، التي تجمع بين المسلمين على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وبلدانهم، وتجلية عقيدة الولاء والبراء بوضوح، والتحذير من سياسة الأعداء في المناطق الإسلامية ، وتوعية المسلمين بسياسة العدو المحتل الذي يقوم بترسيخ سياسة (فرق تسد) عبر رسمه للحدود المعروفة اليوم، التي ما هي إلا ميراث أليم من تركة الأعداء الحاقدين ،كما يجب إظهار معايير التفوق والتمايز الحقيقية ، وأنها ليست بأي حال من الأحوال عائدة إلى الجنس أو العرق، وأن معيار التفاضل في الإسلام إنما هو التقوى والعمل الصالح ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] .

«إن التاريخ الإسلامي يشهد للشيشان بالفخر ؛ لصمودهم الطويل في وجه الكفرة من الروس القياصرة ثم البلاشفة ، وتمسكهم الصادق بالإسلام؛ إذ لم يستطع المسيحيون تنصيرهم ، ولا الشيوعيون نجحوا في إبعادهم عن دينهم، ولما عمد الشيوعيون إلى منعهم من الصلاة في المساجد أو ممارسة الشعائر الإسلامية الظاهرة اضطر الشيشاني المسلم أن يجعل من بيته مسجداً ومدرسة معاً !» .

إن الدعوة في الشيشان ـ كغيرها في أي مكان آخر ـ تحتاج إلى معايشة للأهالي والقيام بخدمتهم ومساعدتهم وتلمّس احتياجاتهم ، والحذر من فرض الدعوة عليهم بالقوة أو إثارة الحزبية والمذهبية بينهم باسم الإسلام. ويمكن الحصول على نتائج طيبة في الدعوة إذا تبنّت الهيئات والمنظمات الإغاثية إنشاء مراكز ثابتة أو متنقلة للدعوة في المدن والقرى داخل الشيشان أو خارجها ، وكذا : القيام بحلقات لتحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية وتعليم اللغة العربية، يقوم عليها مدرسون من ذوي الخبرة والعقيدة الصحيحة.



ومما ينبغي أن يحرص عليه الدعاة هناك : تنشئة الصغار وتعهّد الشباب بالتربية على المنهج الصحيح، ودعوة العوام واللقاء بهم في منتدياتهم وأماكن تجمعهم، مع التذكير الدائم بالحديث عن أصالة شعب الشيشان وتمسكه بدينه وحبه لرسول الله ﷺ وسائر الصحابة وسلف الأمة.

كما تجدر الإشارة إلى أن أكثر الشعب الشيشاني قد فقد الثقة بعلماء السوء في بلده ممن انحاز إلى الحكومة العميلة التي نصّبها الروس في الشيشان وقاموا بتأييدها ، ولهذا بقيت الساحة الدعوية هناك صالحة للعمل ولا تحتاج إلا إلى تظافر الجهود وتنسيق العمل الدعوي الذي لا يقل أهمية عن العمل العسكري أو الإغاثي في البلاد.

ومن أخصب الجمهوريات التي يمكن أن تقام فيها مراكز للدعوة الإسلامية :(داغستان) و(أنجوشيا) و(قراتشاي) ،حيث يوجد بها تجمعات كبيرة من المهاجرين الشيشان مع الحرص ـ بالإضافة إلى تدريب الدعاة لهذا الغرض ـ على تزويدهم بالوسائل الدعوية المهمة، كالأشرطة والكتيبات الإسلامية المترجمة باللغة الروسية التي يفهمها الجميع تقريباً .

ولعل من المفيد هنا : أن أكرر التذكير بضرورة الاستعانة بعدد من العلماء والدعاة وطلبة العلم الموثوق بهم في كل من طاجيكستان وداغستان وغيرهما، ممن يحملون منهج أهل السنة وذوي الأمانة والعقيدة السليمة ، وإعانتهم بما يلزم من أجل القيام بمهمة الدعوة في أوساط الشيشانيين في الداخل أو الخارج، بدلاً من التفكير بإرسال دعاة من الدول العربية يتكلف إرسالهم وتأمين السكن لهم مبالغ طائلة مقارنة باحتياجات أولئك الدعاة من تلك الجمهوريات الإسلامية، إضافة إلى ما يتطلبه الوضع هناك من تأمين وسائل خاصة لتنقلاتهم وتجنيد أفراد قادرين على عملية الترجمة اللازمة في هذا المجال ، وعند القيام بإعانة أولئك الدعاة من تلك



الجمهوريات الإسلامية وتأمين احتياجاتهم: فإننا نقوم ـ بالإضافة إلى نشر العقيدة الصحيحة وتعليم الناس أمور دينهم ـ بمساعدتهم كذلك وتأمين القوت الذي يحتاجونه ، خاصة وأن معظم طلبة العلم والدعاة هناك فقراء وبحاجة هم كذلك إلى الدعم والمساعدة، كما أن تأمين مكتبة إسلامية متكاملة يعتمد عليها الدعاة وطلبة العلم هناك وإقامة منتدى يلتقون فيه لتبادل الخبرات والاهتمامات يعد من الأمور المهمة التي يجب أن تأخذ مزيداً من الاهتمام.

أضف إلى ذلك: كون هؤلاء الدعاة أعلم من غيرهم بالتركيبة الاجتماعية والبيئية في الشيشان؛ مما يسهل عليهم التخاطب معهم بعلم وحكمة، ومن ثمّ: التأثير عليهم عبر تلمس احتياجاتهم .

وهناك برامج دعوية عملية أخرى يمكننا عن طريقها المساهمة بجهد فعّال لتصحيح الواقع الذي يعاني منه المسلمون هناك.

ثانياً : الجانب الإغاثي:

تزامن استمرار الحرب في الشيشان مع حلول فصل الشتاء القارس جداً[1] ، ومع اتساع مدى الحرب ، وانتقال لهيبها إلى مدن وقرى أخرى في الشيشان يضطر المئات يومياً إلى النزوح عن منازلهم، قاطعين مئات الأميال سيراً على الأقدام للبحث عن مكان آمن داخل الشيشان أو خارجها(*):

لهذا: كان المجال الطبي أول ما يجب التفكير فيه لإغاثة المسلمين هناك، سواء في داخل الشيشان أو في خارجها.



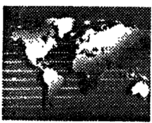
1) مناخ جمهورية الشيشان بارد جداً شتاءً، حتى إن مياه الأنهار قد تتجمّد فيه ، وهو معتدل في بقية الفصول .

*) انظر تفاصيل ذلك في: «أوضاع اللاجئين الشيشان»، العدد ١٠١ من (البيان)، ص ٩٤ ـ ٩٦.

ومن المؤسف: أنه لا توجد حتى الآن أي مؤسسة إسلامية تعمل في الجانب الإغاثي والطبي، اللهم إلا بعض الجهود الفردية التي يقوم بها الإخوة العاملون في مكاتب هيئة الإغاثة في كلٍّ من موسكو والتشيك. ولم ينفرد بالساحة ـ كالعادة ـ إلا المؤسسات التنصيرية التي لم تتوانَ ـ في ظل هذه الظروف العصيبة ـ عن تقديم خدماتها ومساعداتها الطبية للمنكوبين، تمهيداً لتقديم الصليب لهم بعد ذلك، غير عابئين بوابل النيران أو بقساوة شتاء الشيشان.

وتعد منظمة (أطباء بلا حدود) و (الصليب الأحمر) من أبرز المنظمات الصليبية العاملة في الجانب الطبي والإغاثي على الساحة، وما فتئت المنظمتان تقدمان خدماتهما حتى للمقاتلين أنفسهم، وفي إحدى العمليات الهجومية من قبل مقاتلي الشيشان: جُرح ما يزيد على ثلاثة عشر مقاتلاً، فلم يجد إخوانهم ما يعالجونهم به، وذكر أحدهم كيف تقدمت إليهم منظمة (أطباء بلا حدود) بعرض مساعداتها الطبية لأكثر من ثلاث مرات، لم يُقابلوا في كلٍّ منها إلا بالرفض القاطع.

المسلمون والعالم



ومما ينبغي مراعاته كذلك في المجال الإغاثي: ضرورة الاهتمام بالإمداد للمقيمين داخل الشيشان، بالإضافة إلى إغاثة اللاجئين خارجها، هذا وإن كانت هناك صعوبة في التنقل بين هؤلاء النازحين أو الدخول إلى المناطق التي لجؤوا إليها، مما يجعل إغاثة المدنيين في الداخل تعد بحق عملية شاقة ومضنية. ونقل المواد الطبية والإغاثية صعبة وشاقة؛ للأسباب الآتية:

١ ـ صعوبة نقل المساعدات العينية بعد تكثيف الروس لنقاط التفتيش على الحدود بين جمهورية الشيشان وما يحيط بها من الجمهوريات الإسلامية في أعقاب الهجمات الشيشانية الأخيرة من داغستان، وظروف مقتل الرئيس «جوهر دوداييف»، وتوقع عمليات هجومية ثأرية.

٢ ـ صعوبة التنقّل الشخصي أو نقل المواد الإغاثية إلى داخل الشيشان ، وربما كلّف نقل شاحنة واحدة مليئة بالمواد الغذائية من جمهورية مجاورة ـ ومن ثم: إيصالها إلى المنكوبين في الداخل ـ أضعاف قيمتها ؛ بسبب الضرائب والرُّشا التي يتعاطاها الروس قبل السماح لهذه الشاحنة بالمرور.

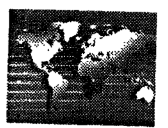
٣ ـ احتمالات حجز هذه المساعدات من قِبَل الجنود الروس ومنع دخولها، أو توزيعها على بقية الجنود الروس أنفسهم الذين يعانون من نقص الإمدادات الواردة من موسكو ، وضعف الروح المعنوية والنفسية كلما استمرت الحرب، حتى أصبح الواحد منهم مستعداً لبيع عتاده العسكري في مقابل بعض النقود.

أضف إلى ذلك: شراسة الحرب الدائرة في الداخل ، التي لا تهدأ مرة حتى تعود مرات؛ ولذلك: فإن الحل الأسلم ـ في ظل هذه الظروف ـ هو إيصال الدعم المادي إلى بعض الموثوق بهم في الداخل؛ لشراء ما يحتاجه المقاتلون من السلاح وشراء ما يتوفر مع المزارعين من مواد غذائية حتى تخفّ القبضة الروسية على الحدود.

ومما ينبغي عدم إغفاله كذلك: أهمية إعمار المرافق الحيوية في الداخل كما كانت، فلقد هُدمت المساجد والمستشفيات والمدارس ومحطات الكهرباء والوقود، ويستحيل أن تعود لوظائفها كما كانت إلا بعد إعمار جديد؛ لقد استطاعت الهمجية الروسية تدمير معظم المرافق الحيوية والإنسانية بالكامل ، حتى إنك لن تستطيع وصف مدينة جروزني في أعقاب الدمار الذي حَلّ بها، إذ من الصعب وجود بناية واحدة سليمة ، فالدمار وآثار الحريق في كل مكان، حيث إن جروزني وحدها الآن تحتاج إلى (مدينة جديدة) بكل مرافقها من شبكات طرق وخدمات عامة وغيرها.

إن العجيب حقًّا في هذه الأزمة هو هذا التباطؤ من قِبَل المسلمين في

المسلمون



والعالم

إغاثة إخوانهم المنكوبين في الشيشان، متجاهلين أدنى حقوق الأخوة الإسلامية، التي شبهها رسول الله ﷺ بالجسد الواحد عندما يتداعى كل عضو منه بالحمى والسهر إذا اشتكى منه عضو واحد، وهذا التباطؤ ظهر واضحًا جليًا طوال ست سنوات عجاف بدأت منذ استقلال جمهورية الشيشان عام ١٩٩١م واستمرت حتى الآن، ولم تشهد الساحة الشيشانية على ثراها طوال هذه المدة أي عمل إسلامي يُذكر، سواء في مجال الدعوة وتفقيه الناس بأمور دينهم وعقيدتهم ، أو في مجال الإغاثة والمساعدة المادية.

وبينما كانت وكالات الأنباء العالمية تقوم بتقصّي أخبار الحرب وآثارها المدمرة ، ونقل تلك الأخبار أولاً بأول، فإن وسائل إعلامنا كان يرهقها نقل الغثاء الذي زاد من فجوة التفرق والضياع.

أما على الصعيد السياسي: فإن الساحة السياسية لم تشهد تحركًا فعّالاً من قبَل المسلمين للمطالبة بفك الحصار عن المدن والقرى الشيشانية ، أو التنديد الفعّال ضد القصف بالقذائف والصواريخ واستخدام الأسلحة المحرمة دوليًا ، وقتل الأبرياء، وتشريد السكان، وإهلاك الحرث والنسل، كما لم تقم حتى الآن أي جهة إسلامية بأقل القليل الواجب من إرسال المستلزمات الإغاثية إلى داخل الشيشان، أو حتى لأماكن تجمع اللاجئين في الجمهوريات المجاورة ، وتعيين مندوبين لتوزيعها على المشردين الموجودين في تلك المناطق .

إن روابط الدين والتاريخ والمصير المشترك تتطلب منا خطوات جادة في نصرة إخواننا المنكوبين في أقطار الأرض، بدلاً من أن تكون مواقفنا المتأخرة مجرّد رجع صدى لمواقف الدول الصليبية في الشرق أو الغرب!.

في دائرة الضوء

قضية الهوية

صراع الهويّات وحقيقته

بقلم: د. محمد يحيى

عندما يُبْرِزُ المسلم ـ تحديداً ـ هويته بأنه : مسلم، فإنه يواجه في المناخ الراهن من قبل التوجهات (اللادينية) بعدة طروحات مضادة، تبدأ بمواجهة الهوية الإسلامية بعدة هويات أخرى ، وتنتهي برفض قضية الهوية والذاتية نفسها؛ باعتبارها تنتمي ـ في زعمهم ـ إلى عهد غابر من الفكر .

والهويات المضادة التي تطرح في مواجهة الهوية الإسلامية ورفضاً لها تتراوح بين الانتماء الجغرافي (إفريقي آسيوي، شرق أوسطي ، بحر متوسطي، أوروبي)، والانتماء العرقي (عربي ، تركي ، إيراني، زنجي ، أبيض)، والانتماء الزماني : إلى الحاضر (في دعاوى العصرية)، وإلى الماضي في دعاوى (كالفرعونية، والفينيقية، والبابلية، والطورانية ... وغيرها)، وقبل كل شيء : الانتماء الثقافي (اللاديني) (كاتخاذ المذاهب الفلسفية والوضعية المختلفة ذات الأصل الغربي، مثل: الماركسية، والليبرالية، والعلمانية محكًّا للهوية) .

وفي الواقع تزدحم الساحة في البلاد الإسلامية والعربية بدعوات إلى هويات مضادة للهوية الإسلامية، تتخذ شتى الأشكال

والمظاهر نفسها، لكنها تتفنن في أنها تزعم لنفسها الأولوية على الهوية الإسلامية، إن لم تنفها وتلغها كلية، وعلى هذا المستوى تزعم هذه الدعوات لنفسها أنها : هي الأصل الذي يسبق الإسلام في الزمان والمكان واللغة والثقافة ، والذي يتسع لجوانب شاملة من الخبرة الإنسانية يضيق عنها الإسلام، وبجانب مزاعم الأسبقية في الأصل والسعة في الانطباق توجد مزاعم بأن الهوية الإسلامية هي هوية طفيلية مفروضة على هويات أصلية، وأنها ـ على أفضل الأحوال ـ لا تعدو أن تكون هوية ثانوية هامشية لها مجال محدود جداً تنطبق فيه ، وهو مجال لا يتعدى ما يسمى بعلاقة الفرد بربه .

إن قسماً كبيراً من الصراع والمحاجَّة الفكرية الدائرين الآن على الساحة العربية الإسلامية يدور حول محور القضية التي نحن بصددها؛ حيث تتخذ التيارات المضادة للإسلام من الهويات المضادة سلاحًا تحارب به الهوية والذاتية الإسلامية؛ وأصبح من المألوف الآن أن يسمع المرء صيحات من نوعية «إننا مصريون، أو عرب، أو أوروبيون.. قبل أن نكون مسلمين» أو «الديموقراطية، والاشتراكية، والحرية، قبل الإسلام» أو « نعم للحضارة العالمية، ولا للانغلاق الإسلامي» !.

وكل هذه التطورات مألوفة على مر السنوات أو حتى العقود الماضية، لكن الجديد في الأمر ـ في الفترة القريبة ـ هو نفي قضية الهوية عندما تطرح من الوجهة الإسلامية في مواجهة الطروحات المتغربة العلمانية، والحجة التي تتكرر كثيراً في كتابات من يطلق عليهم الآن ممثلو النخبة الثقافية والفكرية العربية هي : أن قضية الهوية والذاتية والانتماء الديني قد أصبحت جزءاً من ماضٍ بائد، وأن التمسك بهذه المفاهيم والتأكيد عليها لا محل ولا

معنى له في عالم تسيطر عليه مفاهيم العالمية الثقافية والاندماج الدولي والتعددية الثقافية والحضارية والتقرب من «الآخر» واحترامه.

وفي إطار هذه المفاهيم يصبح الحديث عن الهوية والذاتية (لاسيما الإسلامية): نوعًا من الأنانية والتقوقع والعزلة، بل وضربًا من التخلف المتعمد عن مواكبة العصر، ونوعًا من إعلان الحرب العدوانية غير المبررة على «العالم».

والواقع: أن هذه الصيحات لا تسمع إلا عندما يرفع شعار الهوية الإسلامية وحده، ولكن عندما ترفع الدعوة إلى تأكيد هويات أخرى دينية وعرقية وثقافية: فإننا نسمع صيحات الترحيب والتحبيذ والدفاع؛ فعندما يتحدث بعضهم عن هوية مسيحية أصلية لبعض الأقليات في بلدان عربية، أو عن هوية عرقية لزنوج في بعض البلدان العربية الإفريقية: نجد أصوات النخب العلمانية نفسها التي تهاجم شعار الهوية الإسلامية بضراوة تدافع بالضراوة نفسها عن تلك الهويات الأخرى حتى المستندة منها إلى مزاعم دينية غير إسلامية، والغريب أن الهجوم في الحالة الأولى والدفاع في الحالة الثانية يجريان وفق حجة واحدة، هي مثلاً: مناصرة حقوق الإنسان؛ فرفع لواء الهوية الإسلامية في البلدان ذات الغالبية المسلمة يوصف عند أهل النخبة العلمانية بأنه انتهاك لحقوق غير المسلمين وافتئات عليها، أما رفع شعار الهويات المسيحية أو البهائية أو الآشورية أو الزنجية... إلى آخره، فيوصف بأنه تحقيق وتجسيد لمبادئ حقوق الإنسان، حتى وإن صاحبته دعاوى انفصالية أو لجوء إلى العنف والإرهاب. فلماذا التناقض ؟!.

إن سبب هذا التناقض الذي لا يكاد يلاحظه أحد في طروحات الفكر الثقافي اللاديني الراهن هو أن الرغبة الحقيقية التي تحرك هذا الفكر لا تكمن في إلغاء مفهوم الهوية ذاته

ـ كما يزعمون الآن ـ لصالح مفاهيم العالمية والاندماج الحضاري، وإنما تكمن في إلغاء مفهوم الهوية الإسلامية وحده، وتأكيد سائر الهويات والذاتيات على حساب هذه الهوية الإسلامية ، المطلوب الحقيقي كان ــ ولا يزال ــ إلغاء التمسك بالهوية الإسلامية وحدها، مع تأكيد الهويات الدينية والثقافية الأخرى المخالفة لها ورفعها في وجهها، لكن الذي حدث هو أن أصحاب الدعوة (اللادينية) الآن، وفي مواجهة الصحوة الإسلامية في بلدان عدة ، لا يستطيعون طرح هذا الأمر بشكل مباشر وواضح؛ لذا : فقد لجؤوا ــ كحيلة في المحاجة ــ إلى نفي واستبعاد مفهوم الذاتية والهوية كله وفي حد ذاته، وذلك على المستوى الإعلامي الظاهري؛ حتى يخدعوا جمهور القراء والمتابعين من المسلمين بتصوير الأمر لهم: وكأن هذا المفهوم قد انتهت صلاحيته أو (موضته) على الساحة الفكرية، وأن السائد أو العصري الآن هو مفاهيم العالمية وتمازج وذوبان الحضارات والتفاعل مع الآخر... إلى آخره، ولكن حينما يتصور المخدوعون أن قضية الهوية قد أصبحت بالفعل من التراث الغابر يأتي أهل النخبة اللادينية ــ ومن باب خلفي ـ بطروحات جديدة أو متسربلة بأقنعة مختلفة ، تبرر تأكيد الهويات الدينية والثقافية غير الإسلامية، ويكتشف بعض المخدوعين أنه في الوقت الذي تتعالى فيه الأصوات بنبذ مفاهيم الهوية والذاتية الإسلامية وحدها، بحجة الاندماج في العالمية الثقافية والتعددية الحضارية، فإن الهويات (اللاإسلامية) ــ دينية كانت أم ثقافيــة ــ تطرح بشدة، وتجد (لادينيين) مستميتين في الدفاع عنها، ليس تحت شعار الذاتية والهوية وحده ، ولكن (على سبيل التعمية) تحت شعارات حقوق الإنسان (التعددية والديموقراطية)،

في دائرة الضوء

وهي الشعارات نفسها التي يجري رفض الهوية الإسلامية بالاستناد إليها.

ويلاحظ المتتبع لمجريات الأمور أن هذه الخدعة العلمانية قد نجحت إلى حد كبير في دهاليز سياسات بعض المؤسسات الدينية في عالمنا الإسلامي، فالندوات والمؤتمرات يكثر عقدها هذه الأيام من جانب هذه المؤسسات والمرتبطين بها حول «الحوار الحضاري» و«تقارب الأديان» و«لقاء الثقافات».. وغير ذلك، ويخفت في الوقت نفسه الحديث عند أهل هذه المؤسسات عن الهوية والذاتية الإسلامية؛ بحجة أن ترديد هذا الحديث أصبح ضرباً من التطرف والمغالاة والتعصب واحتقار مشاعر الغير، بل وتحقيرهم، ولكن بينما نجد من أصحاب الفكر الإسلامي (أو من يفترض أنهم كذلك) من ينساق وراء هذا التصور ويلفظ الحديث عن الهوية الإسلامية، نجد في المقابل - بل وفي المؤتمرات نفسها والتجمعات ذاتها - من يرفعون شعار الهويات والذاتيات المضادة أو المخالفة، بل ويتهمون المسلمين بأنهم إن تكلموا عن هويتهم فهم عدوانيون متسلطون.

إن الموضوع برمته لا يعدو أن يكون حيلة بارعة من حيل الحجاج الفكري، وأصحاب هذه الحيلة يرفعون في وجه المنادين بالهوية الإسلامية دعوة (تذويب) اختفاء الهويات الخاصة في الهوية العالمية الحضارية الجديدة (في زعمهم)، التي تتشكل من تفاعل وتمازج وتغير الهويات الخاصة، ولكن عندما يقبل المرء على التعرف على هذه الهوية العالمية الجديدة يجد بالتحليل أنها ليست سوى الهويات الغربية المعروفة من دينية (مسيحية - يهودية) وثقافية (وثنية) وفكرية (علمانية المذاهب المتعددة)، وقد ضخمت وحولت إلى «عالمية» تفرض وتطبق على الجميع.

إن الهوية العالمية الجديدة التي يقال إنها قد نسخت كل الهويات الخاصة (وبالتحديد الهوية الإسلامية) ليست في الواقع سوى هوية خاصة (غربية ـ علمانية ـ مسيحية) اتخذت لها قناع التمويه والتدليس لكي تفرض على الجميع وتبرر سحق الهوية الإسلامية التي ينكرون عليه الاتساع والشمولية، ويحولونها إلى مجرد « هوية خاصة » أو « ذاتية محدودة »، ولكن هذا الموضوع يتصل بما يسمى « السياسات الثقافية »، وله مجال آخر في البلاد الإسلامية والعربية .

القانون الدولي الإسلامي

(علم السير) (٣)

مفهومه - تدوينه - خصائصه



بقلم: عثمان جمعة ضميرية

أخذ الكاتب ـ في الحلقة الأولى ـ في تعريف «القانون الدولي الإسلامي» (علم السير) شارحا ومحللاً ، ومتطرقا لبعض المسائل العلمية، وفي الحلقة الثانية عالج بعض خصائص القانون الدولي الإسلامي، ويواصل في هذه الحلقة معالجة بعضها الآخر .

ـ البيان ـ

سياسة شرعية

أحكام السير والعلاقات الدولية في الإسلام تخاطب الفرد والدولة:

إن الشريعة الإسلامية خطاب عام للمكلفين ، أفراداً وجماعات، وهم محل للتكليف بوصفهم أفراداً وبوصفهم جماعات ، وقد قال الله (تعالى) : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣] .

وفي كثير من الآيات القرآنية الكريمة يتوجه الخطاب مباشرة إلى الإنسان الفرد، كما يتوجه إلى الجماعة والأمة، وهذا أمر واضح في القرآن الكريم: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة: ٦٧]، فالخطاب هنا موجه للفرد، ثم يتوجه إلى الجماعة بمثل قوله (تعالى): ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

وينبني على ذلك: أنه إذا أخذنا

الخطاب المباشر معياراً للشخصية القانونية وجب علينا أن نرتب على ذلك نتيجة حتمية ، وهي : أن الإنسان بوصفه إنسانًا هو محل التكليف في الشريعة الإسلامية؛ لأن النصوص الشرعية تخاطبه خطابًا مباشرًا ، فتلزمه بالتكليف، وتكسبه الحقوق ، وتبشره بالثواب، وتوقع عليه الجزاء بطريق مباشر [1] . فليست أحكام العلاقات الدولية قاصرة على الدول ، بل هي مفتوحة عامة شاملة، تقوم أصلاً على الكيان الفردي، سواء أكان الفرد منفردًا، أو في جماعة، أو في تشكيل سياسي باسم (دولة) .

يقول الدكتور محمد طلعت الغنيمي : « وهكذا نجد أن النظرية الإسلامية أكثر تقبلاً للفرد كشخص من أشخاص القانون الدولي، بيد أنها لا تحصر الشخصية القانونية الدولية فيه، وإنما تقر ـ إلى جانب ذلك ـ بالشخصية القانونية الدولية للدولة .

ومن ثم : فإن الرأي المعاصر الذي يعترف لكل من الدولة والفرد بالشخصية القانونية الدولية إنما يتفق مع النظرية الإسلامية في تحديد أشخاص القانون الدولي » [2] .

ولذلك : يصح ـ مثلاً ـ أن يعقد مسلم معاهدة أمان لغير مسلم [3] ، ولا يشترط أن يكون ذلك من خلال كيان الدولة، وبهذا : أصبح للفرد شخصية دولية معترف بها ، فعقد الأمان الذي عقده المسلم للأجنبي ملزم للدولة كما تلزم المعاهدة بين دار الإسلام ودار الحرب كدولتين مستقلتين ، ولا يقدح في ذلك أن هناك أحكامًا تتطلب أن يمارسها الإمام (رئيس الدولة) أو تتطلب إذنه [4] ، فإن هذا توزيع للاختصاص؛

---

1) « أحكام القانون الدولي في الشريعة »، د.حامد سلطان ، ص ١٨٠ ـ ١٨١ .

2) « قانون السلام في الإسلام»، د. محمد طلعت الغنيمي، ص ٣١٨ .

3) انظر : « شرح السير الكبير » ، ١/ ٢٥٢، وما بعدها، ٢/ ٥٧٦ـ ٥٧٧ .

4) وذلك أن بعض الفقهاء يميزون بين تصرف النبي ﷺ بالقضاء وتصرفه بالفتوى ـ وهي التبليغ ـ وتصرفه بالإمامة . فما كان من هذا النوع الأخير لا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بإذن الإمام اقتداء به (عليه الصلاة والسلام) ، ولأن سبب تصرفه فيه بوصف الإمامة دون التبليغ يقتضي ذلك . انظر بالتفصيل : « الفروق » للقرافي : ١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٩، ثم خص هذا بكتاب كامل اسمه « الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام» .

لأن للمسلم الفرد أحوالاً يمثل فيها المجتمع الإسلامي كله، ولا تعني هذه الاختصاصات الخاصة للإمام ـ الإذن بالجهاد، وعقد الذمة... ونحوها ـ أن الشكل الرسمي للدولة حجاب دون الأصل السابق ذكره، وهو أن الجماعة الدولية جماعة أفراد، وأن الكيان الرسمي أمر غير لازم ولا مشترط في كثير من الأحيان، وأن اشتراطه هو استثناء من الأصل(١) .

بينما يثير مركز الفرد في القانون الدولي الوضعي جدلاً كبيراً، حيث يصر الشراح التقليديون على أن القانون الدولي هو قانون الدول فحسب، ولايرتبون للفرد حقوقًا أو واجبات دولية بصفة مباشرة، وإنما اعتبروه مجرد محل لهذه القواعد، أما الإسلام فقد اعترف للفرد بالشخصية القانونية الدولية منذ خمسة عشر قرنًا، دون تفريق بين الرجال والنساء، ودون تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الإقليم(٢) .

ومن هنا: فإن الرأي المعاصر الذي يعترف لكل من الدولة والفرد بالشخصية القانونية ، إنما يتفق مع الأحكام الإسلامية في تحديد أشخاص القانون الدولي .

والشريعة ليست نظامًا قانونيًّا داخليًّا فحسب أدمجت فيه الأحكام والقواعد الدولية، وليست نظامًا دوليًّا فحسب أدمجت فيه الأحكام والقواعد القانونية الداخلية. وإنما هي نظام وشريعة عالمية تنتظم العلاقات الداخلية والدولية معًا، ويسري الفرع الداخلي منها في النطاق الإقليمي للدولة الإسلامية العالمية، بينما تسري أحكام الفرع الدولي منها على العلاقات ما بين الدولة الإسلامية، وغيرها من الدول الأخرى(٣) .

ويذهب الدكتور حسني جابر إلي أن الشريعة الإسلامية قد قررت قاعدة: أن القانون الدولي له الأولوية على القانون الداخلي عند التعارض، والأصل في ذلك قوله (تعالى):

---

١) انظر: « مصنفة النظم الإسلامية» د. مصطفى وصفي، ص ١٨٠ ـ ١٨٣ ، ٢٩٣ .

٢) انظر: « القانون الدولي العام» د. حامد سلطان ، ص ٦٥ ـ ٦٦.

٣) « أحكام القانون الدولي في الشريعة » ، د. حامد سلطان، ص ١٨٢ ـ ١٨٣ ، وانظر أيضًا: « الشخصية الدولية » د. كامل ياقوت، ص ٢٣٨ وما بعدها .

﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ [الأنفال: ٧٢] ، فمناصرة الأقليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية ـ إذا تعرضوا لاضطهاد ديني ـ هو واجب ، بناء على تشريع داخلي إسلامي يندرج في عموميات الجهاد ، إلا أن ذلك يمتنع إذا كان بين الدولة الإسلامية وبين إحدى تلك الدول معاهدة لا تمكن المسلمين من تلك المناصرة ، كمعاهدة عدم اعتداء أو نحوها [١] .

إلا أننا نلاحظ : أنه حتى في هذه الحالة، فإن ذلك لا يعني أولوية في قانون ثنائي ، وإنما هو سريان لحكم شرعي في العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم في الفرع الدولي من القانون أو الفقه الإسلامي .

وهذه الوحدة في النظام القانوني الإسلامي ليست مماثلة تماماً لنظرية وحدة القانون عند الغربيين ؛ لأنهم لا يكتفون بأن النظم القانونية المختلفة يربطها رباط الوحدة ، بل يبحثون بعد ذلك عن القاعدة الأساسية في البناء القانوني ، وعن مكان وجودها ، وذلك لكي يعترفوا للفرع القانوني الذي توجد فيه بالصدارة أو التفوق القانوني لأحكامه على سائر الأحكام في الفروع الأخرى . أما الأحكام في الشريعة الإسلامية: فهي كلها متساوية ما دام أن مصدرها واحد ، فالأحكام الواردة في القرآن الكريم كلها متساوية من حيث طبيعتها القانونية، وكذلك الأحكام الواردة في السنة النبوية ، غير أن الاختلاف في القوة القانونية قائم على أساس التدرج في قوة المصدر ، كما جاء ذلك في حديث معاذ (رضي الله عنه) [٢] من

---

١) انظر : « القانون الدولي »، د. حسني جابر، ص ٣٩.

٢) عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ ـ لما بعثه إلى اليمن ـ قال : « كيف تقضي إذا عرض عليك قضاء، ؟ قال : أقضي بكتاب الله، قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله ﷺ، قال : فإن لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله (تعالى) ؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ » أخرجه أبو داود في الأقضية: ٥/ ٢١٢ـ ٢١٣، والترمذي في الأحكام : ٤/ ٥٥٦ ـ ٥٥٧، والإمام أحمد : ٥/ ٢٣٠، وصححه عدد من العلماء ، وتلقوه بالقبول ، انظر بالتفصيل : « المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر » للزركشي: ص ٦٣ ـ ٦٥، « تلخيص الحبير» لابن حجر : ٤/ ١٨٢ ـ ١٨٣ .

سياسة شرعية

ترتيب المصادر، بحيث يكون القرآن أولاً ، ثم السنة ، ثم الاجتهاد [١] .

كما أن النظر إلى مقاصد الشريعة الإسلامية من حيث قصد الشارع في وضع الشريعة ابتداءً إنما يقوم على حفظ مقاصدها ، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها : أن تكون ضرورية ، والثاني: أن تكون حاجية ، والثالث: أن تكون تحسينية، والمقاصد الضرورية في الشريعة أصل للحاجية والتحسينية . فالضروريات أهم هذه المقاصد ؛ لأنه يترتب على فقدها اختلال نظام الحياة، وشيوع الفوضى بين الناس، وضياع مصالحهم، وتليها الحاجيات ؛ لأنه يترتب على فقدها وقوع الناس في الحرج والعسر، واحتمال المشقات، وتليها التحسينيات ؛ لأنه لا يترتب على فقدها اختلال نظام الحياة ولا الوقوع في الحرج ، ولكن يترتب على فقدها خروج الناس عن مقتضى الكمال الإنساني والمروءة وما تستحسنه العقول.

وعلى هذا : فالأحكام التي شرعت لحفظ الضروريات أهم الأحكام وأحقها بالمراعاة ، ثم الأحكام التي شرعت لتوفير الحاجيات ، ثم الأحكام التي شرعت للتحسينيات ، فهي مرتبة من الأعلى إلى الأدنى [٢] .

وتأسيساً على هذه الخاصية ؛ فإن أحكام العلاقات الدولية في الإسلام تستمد من مصادر التشريع الإسلامي كأي فرع من فروع الفقه، وهي المصادر الأصلية : « الكتاب، والسنة ، والإجماع ، والقياس» ، ثم المصادر التبعية الأخرى [٣] .

ففي القرآن الكريم نجد : أصول العلاقات الدولية في حالي السلم والحرب، وطريقة معاملة المسلمين لغير المسلمين في دار الإسلام وفي دار الحرب، فكل ما يتعلق بأصل العلاقات وطبيعتها والمعاهدات والوفاء بها ، والجهاد وما يترتب عليه من آثار... كل هذا نجد قواعده في كلي الشريعة وعمدة الملة، وهو القرآن الكريم، ثم تأتي السنة النبوية القولية والعملية

١) انظر: « أحكام القانون الدولي » ، ص١٨٣ .

٢) انظر : « الموافقات » للشاطبي : ٢ / ٨ ـ ٢٥ .

٣) في الشريعة الإسلامية علم قائم بذاته تدرس فيه مصادر التشريع ومناهج الاستنباط، وهو علم أصول الفقه ، مما تضاهي به الشريعة الإسلامية؛ لما فيه من دقة ومنهجية وقواعد، ولذلك لا نرى محلاً ـ هنا ـ لدراسة مصادر القانون الدولي بالتفصيل ، لأنها هي نفسها مصادر التشريع الإسلامي التي أومأت إليها .

والتقريرية، فتبين هذه القواعد والأصول خير بيان ، وترسي قواعد وأصولاً جديدة، وقد ألمعنا ـ فيما سبق ـ إلى أبواب الجهاد والسير والمغازي والأمان والجزية في كتب الحديث والسنة ، بل إن «علم السير»، إنما سمي بهذا الاسم أخذاً من سيرة النبي ﷺ في معاملاته للآخرين .

وأما الإجماع والقياس: فإنهما يستندان إلى المصدرين السابقين، فالإجماع لابد أن يكون مستنداً إلى دليل شرعي من الكتاب أو السنة يسمى «مستند الإجماع»[1]، وإذا لم يكن في الواقعة نص فاجتهادهم لايتعدى استنباط حكمه بواسطة قياسه على ما فيه نص أو تطبيق قواعدالشريعة ومبادئها العامة أو بالاستدلال بما أقامته الشريعة من دلائل ، كالاستحسان والاستصحاب أو مراعاة العرف والاستصلاح أو المصالح المرسلة[2] .

فإذا استعملنا التعبيرات التي يعرفها القانون المعاصر، أمكننا أن نقول : إن مصادر القانون الدولي في الإسلام هي:

أولاً : سلطة ، ونقصد بها سلطة العقيدة باعتبارها مصدر الالتزام بالأحكام التي وردت في الكتاب والسنة .

ثانياً : المعاهدات والمواثيق التي تبرم بين الدولة الإسلامية وبين غيرها من الدول ، ثم : الفقه، ويندرج تحته الفتاوى والتعليقات والآراء المستنبطة بالاجتهاد أو القياس .

وأخيراً : العرف، وهو في القانون الدولي الوضعي من أكبر المصادر وأغزرها، مع أنه في الإسلام مصدر ثانوي، إلا أن له أهميته وقيمته[3] .

---

(١) انظر: «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي: ١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٨، «أصول الفقه» للشيخ محمد أبو زهرة، ص ٢٠٨ ـ ٢١١ .

(٢) هذه المصادر التشريعية خصص لها الشيخ عبدالوهاب خلاف (رحمه الله) كتابًا قائمًا بذاته فصل فيه القول في مدى حجيتها وهو «مصادر التشريع فيما لا نص فيه» ، وللدكتور عبد العزيز الربيعة كتاب «دلة التشريع المختلف في الاحتجاج بها».

(٣) «ميثاق الأمم والشعوب»، ص٥ ، وانظر: «دولة الإسلام والعالم» د. حميد الله، ص ٤٢ ـ٦١، وجدير بالملاحظة: أن بعض الكتاب قابل مصادر القانون الدولي الإسلامي بمصادر القانون الدولي الحديث، ولحظ تشابهًا بين النصوص كمصدر للقانون الدولي الحديث ومصادر التشريع الإسلامي الأصلية ـ وهي القرآن والسنة ـ وجعل بعضهم السنة النبوية مرادفة للأعراف العربية والعادات القبلية، وهذا منهج خطير وخلط كبير ؛ حيث جعلوا السنة والنصوص الشرعية بمستوى العادات وأقوال البشر وأحكامهم ومواثيقهم الدولية، وقدسبق آنفًا في الكلام على خصائص مصادر الأحكام الدولية في الإسلام ما يرد على ذلك .

وانظر : «الحرب والسلم في شرعة الإسلام» د.مجيد خدوري، ص ٧٢ .

سياسة شرعية

والأحكام الإسلامية في ذلك تتلافى الخلاف القائم بين القانونيين في طبيعة القواعد القانونية الدولية والمذاهب التي تفرقت وتعددت في تحديد الصلة بين القانون الدولي والقانون الداخلي، وما يترتب على ذلك من آثار ومشكلات ، وإن كان يجمعها مدرستان اثنتان : مدرسة ثنائية القانون، ومدرسة وحدة القانون ، وإن كان ما جرى عليه العمل في علاقات الدول لا يؤدي إلى اعتماد نظرية منهما وكلتاهما تعرضت لنقد شديد واعتراضات [1] .

أساس الإلزام في القانون الدولي الإسلامي:

يقوم النظام الإسلامي على الالتزام الذاتي بقواعد العلاقات الدولية كجزء من قانونها الداخلي، أي ولو بدون معاهدة أو عرف دولي ، وبصرف النظر عن قوة الدولة الإسلامية وسيادتها وقدرتها على الدول الأخرى، فالقانون الدولي الإسلامي يستند إلى إرادة الدولة الإسلامية، شأنه في ذلك شأن أي قانون إسلامي آخر في البلاد، وحتى الالتزامات المفروضة بمقتضى معاهدات ثنائية أو متعددة الأطراف (دولية) فإن لها الأساس نفسه، وهي ما لم تنل التصديق والنشر من جانب الدولة الإسلامية فإنها تغدو غير ملزمة، فهو التزام ذاتي سببه التكليف الشرعي، باعتبار أن أحكام الشريعة الإسلامية خطاب ملزم للمسلم في ذاته ، فهو يطبق أحكام وقواعد السِّيَر في مجالها، كما تطبق أي قاعدة شرعية أخرى في مجالها، وكلها على وجه الالتزام ، وعلى وجه حكمها الشرعي من الوجوب أو الندب أو الإباحة أو الكراهة أو التحريم ؛ فإنه ـ على سبيل المثال ـ إذا طلب العدو الأمان أو الهدنة أو الذمة ، فيجب إجابته إلى ذلك فرضًا بنص القرآن الكريم على ذلك ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ [التوبة : ٦] .

وفي الحديث الصحيح عن سليمان بن بريدة عن أبيه ـ في الدعوة إلى الإسلام قبل القتال ـ : « .. فإن هم أبوا (الإسلام) فاسألهم الجزية ، فإن

---

١) انظر : « القانون الدولي » د. حامد سلطان، ص ١٩ ـ ٢٣.

أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم»[1]؛ وكذلك: اعتبار عقد الأمن ملزم لنا وحدنا دون من يعقد معهم من المشركين، وكذلك: ولا ننتهز فرصة ضعف للإجهاز عليه، ولا يجوز للمسلمين قتل الصبي أو المرأة في الحرب ـ إلا في أحوال خاصة كما سيأتي ـ ولا يجوز الغدر بهم حتى ولو غدروا هم [2].

وهذا الالتزام الخاص منشؤه: أننا مخاطبون بأحكام الشريعة دونهم، وهم ليسوا مخاطبين بفروعها ولا يلتزمونها[3]، فالتزامنا بها التزام أصيل وناشيء عن خضوعنا لله (تعالى) في كل أعمالنا، وقد كانت الدولة الإسلامية في أوج قوتها وعنفوان سيادتها تلزم نفسها بنفسها بأدق آداب الإسلام في القتال والمعاهدات [4]، ولو لم يلتزمها من تحاربهم، إلا إذا ساغ في الشرع رد العدوان بمثله [5].

وأساس الإلزام بهذه الأحكام ـ وسائر الأحكام ـ أنها أوامر الله (سبحانه وتعالى) لعباده، فهو وحده الحاكم الآمر الواجب الطاعة، وهذا مقتضى الإيمان بالله وتوحيده وعبادته؛ ولذلك: اتفق العلماء على أن الحاكم هو الله (سبحانه وتعالى)، وأنه لا أحد يستحق أن ينفذ حكمه على الخلق إلا من كان له الخلق والأمر (سبحانه وتعالى).

وقد أوسع العز بن عبد السلام (رحمه الله) هذا المعنى شرحاً في كتابه «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» حيث قال في قاعدة: من تجب طاعته، ومن تجوز ومن لا تجوز طاعته: «لا طاعة لأحد من المخلوقين إلا لمن أذن الله في طاعته، كالرسل، والعلماء، والأئمة، والقضاة، والولاة،

---

1) أخرجه الإمام محمد بن الحسن الشيباني في «السير» من كتاب الأصل، ص ٩٣، وفي «السير الكبير»: ١/٣٨ ـ ٣٩ بشرح السرخسي، والحديث أخرجه الإمام مسلم في الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم.

2) لحديث «أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك» أخرجه أبو داود في البيوع، باب الرجل يأخذ حقه: ٥/١٨٥، والترمذي في البيوع، وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني: ١/٧٠٨ ـ ٧٠٩.

3) أجمع العلماء على أن الكفار مخاطبون بالإيمان وأصول الدين، واختلفوا في تكليفهم بالفروع على مذاهب.

4) انظر: حكم القاضي «جُميع بن حاضر» بخروج الجيش المسلم من (سمرقند)؛ ـ لأنه فاجأ أهل البلدة وفتحها دون إنذار ودعوة ـ في «فتوح البلدان» للبلاذري: ٣/٥١٩، «تاريخ الطبري»: ٦/٥٦٧ ـ ٥٦٨، «الكامل في التاريخ» لابن الأثير: ٤/١٢٦ ـ ١٦٣.

5) انظر: «مصنفة النظم الإسلامية»، ص ٢٨٢ ـ ٣٢١.

والآباء، والأمهات، والسادات، والأزواج، والمستأجرين على الأعمال والصناعات، ولا طاعة لأحد في معصية الله (عز وجل) لما فيها من المفسدة الموبقة في الدارين أو في إحداهما، فمن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة له، إلا أن يكره إنساناً على أمر يبيحه الإكراه، فلا إثم على مطيعه»(١).

وعلى هذا: فما يوجد عند الدول الأخرى من قواعد في العلاقات الدولية لا يلزم الدولة الإسلامية، ولا يعتبر من قواعد قانونها الدولي إلا إذا أرادته ورضيته صراحة كما في المعاهدات، أو ضمناً كما في العرف.

ومن البدهي: أن إرادتها مقيدة بأحكام الشريعة الإسلامية، فلا تملك الخروج عليها، فإذا اختارت ورضيت بما هو خارج عن هذه الحدود كان رضاها باطلاً لا يلزمها بشيء، حتى لو كان ما رضيت به مشروطاً عليها في معاهدة هي طرف فيها، وعلى هذا: فلو عقدت معاهدة بين المسلمين والكفار على ما لا يجوز ـ كمنع فك أسرى المسلمين وردّ مسلم أسروه وأفلت منهم، وترك ما لنا عندهم من مسلم أو غيره، وعقد ذمة لهم بدون جزية، أو أن يقيموا ببلاد الحجاز، أو يظهروا الخمر بدار الإسلام ... ـ: فسد الشرط؛ لأنه أحل حراماً، وفسد العقد؛ لاقترانه بشرط مفسد(٢).

قال الإمام محمد بن الحسن: «وما يتعذر الوفاء به شرعاً لا يجوز إعطاء العهد عليه، فإن فعلوا ذلك فلينقضوا هذا العهد ... لأن هذا شرط مخالف لحكم الشرع، وقد قال ﷺ: «ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مئة شرط»..»(٣).

أما في القانون الدولي فقد نشأت مدارس متعددة لتفسير طبيعة القانون الدولي ومصادره وأساس الإلزام بقواعده، «ويمكن أن تجمع النظريات المختلفة في إطار مدرستين رئيستين؛ المدرسة الأولى هي: المدرسة الإرادية، أو الوضعية، والمدرسة الثانية هي: المدرسة الموضوعية»(٤).

١) قواعد الأحكام، ٢/١٥٧ ـ ١٥٨.

٢) «مجموعة بحوث فقهية»، ص ١٩، «حاشية الشرقاوي على التحرير»: ٢/٤٦٨، وانظر: «الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام» للقرافي، ص ٣٦ ـ ٣٣٧.

٣) أخرجه البخاري في الشروط، باب الشروط في الولاء: ٨/٣٢٦ وفي مواضع أخرى، وانظر: «شرح السير الكبير»، ٣/٧٨٨.

٤) «قواعد العلاقات الدولية» د. جعفر عبد السلام، ص ٩١.

وبالمقارنة بين الأحكام الإسلامية والقانون الوضعي في ذلك نلمح شبهاً بين أفكار نظرية القانون الطبيعي ـ التي تنتمي إلى المدرسة الموضوعية ـ والأصول التي تقوم عليها الشريعة الإسلامية ، فهناك إطار ثابت من القواعد الشرعية، هو الذي وردت فيه النصوص القطعية أو المحكمة[١] ، وهو ما يتفق مع فكرة وجود قواعد أبدية سرمدية ثابتة وخالدة مع الزمن التي يقوم عليها القانون الطبيعي .

يبقى خلاف جوهري بين أفكار شرَّاح القانون الطبيعي ـ في جملتهم ـ والشريعة، تصل بمصدر هذه القواعد؛ ففي الشريعة : المصدر هو إرادة الله (تعالى)، أما في القانون الطبيعي : فهو طبيعة الأشياء، أو مقتضيات العقل ، إلى غير ذلك من الأفكار[٢] ، وهذا الشبه بين القانون والشريعة إنما جاء نتيجة التأثير الإسلامي على أصحاب هذا الاتجاه، الذين درسوا الثقافة الإسلامية وعلوم الإسلام، وكانت فكرة القانون الطبيعي قد ملكت أفئدة رجال الدين والفلسفة والقانون في أوروبا العصور الوسطى ، وكلهم نشؤوا في بيئة إسلامية الثقافة، ودرسوا الثقافة الإسلامية ، وكان رائدهم الأول «توما الإكويني»، ثم أمثال : «سوارز» و«إيالا» و«فتيوريا»، ويكفي للكشف عن ثقافتهم الإسلامية أنهم ما بين علماء في الفلسفة والتاريخ والقانون ، وأنهم من بيئة إسلامية الثقافة من أسبانيا، إحدى مراكز الإشعاع الإسلامي .

ثم جاء من هولندا عالمها الشهير «جروسيوس» الذي تأثر بكتابات المسلمين، وعلى الأخص الإمام محمد بن الحسن الشيباني، وإن كانوا يخفون مصادر تأثرهم خشية الإرهاب الديني الذي كانت تعيشه أوروبا في تلك العصور[٣] .

---

١) المحكم في اصطلاح الأصوليين: هو ما أحكم المراد به قطعًا، فلا يحتمل إلا وجهًا واحدًا، أو هو ما دل على معناه الذي لا يقبل إبطالاً ولا تبديلاً بنفسه دلالة واضحة لا يبقى معه احتمالاً للتأويل؛ كالآيات الدالة على وجود الخالق (سبحانه) ، وكقوله ﷺ : «الجهاد ماض إلى يوم القيامة» (أخرجه أبو داود في الجهاد ٣/٣٨٠)، انظر : «الفصول في الأصول» للجصاص ٣/٧٣، و«أصول السرخسي» ١/١٦٥ .

٢) «قواعد العلاقات الدولية»، ص ١٣٠ .

٣) انظر: «الشخصية الدولية» د. محمد كامل ياقوت، ص ٢٧١ ـ ٢٧٣ ، وراجع «القانون بين الأمم» فان دوجلان: ١/٤٥، وما بعدها .

بريد البيان

وفاة (داعية) جليل :

لسان الصدق للدعاة الصالحين هو من علامات حسن الخاتمة ، والشيخ محمد بن عمر أحمد العمودي ـ الذي توفي في ١٢ من رجب ١٤١٦ هـ ـ من الدعاة الذين كانت خاتمتهم بمذهب السلف الصالح ، فقد كان في بداياته صوفيًا لكنه اهتدى إلى المنهج الحق بعد قراءته لرسالة (كشف الشبهات) للشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله).

درس «الشيخ» القرآن على معلمه أحمد المخزومي، والعلوم الشرعية على الشيخ محمد بن أمين العبيدي ، وخلفه في التدريس، بالإضافة إلى الإمامة وإلقاء المواعظ.

كان يركز في تدريسه للأطفال على اللغة والنحو، وألف رسالتين، هما:

١ ـ دليل الصبيان إلى التعبير بلغة القرآن.

٢ ـ قارب نقل الركاب إلى سفن الإعراب.

كما كان من آثاره :

١ ـ مدرسة الهدى في (شيلا).

٢ ـ مدرسة التوحيد في (متوندوفي) .

كما أوصى ببناء مركز لأهل السنة والجماعة على المنهج السلفي في (لامو) بكينيا.

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

أبو بكر بن عبده بن أبي بكر

■ **بهاء الدين رمضان** : سبق للمجلة أن عرضت لموضوع الشيشان في عدة مقالات، وعرضكم لكتاب «الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين» لم يأت بجديد، لذا: نعتذر عن نشره، وجزاكم الله خيراً .

■ **مصطفى محمد** : نعتذر عن نشر مشاركتكم « جزاء عقوق الوالدين » ، ومرحبًا بك في مشاركات أخرى .

■ **فائز سعيد جمهور الزهراني**: مقالتكم «النصيحة أمن الفضيحة » تم إجازتها ، وستنشر في أحد الأعداد المقبلة بمشيئة الله .

■ **محمد سعيد مبارك الزهراني**: مقالكم «مصدر القرآن الكريم» موضوعه كبير ولم تستوف مضمونه .

■ **سمير عايد الرويلي** : نشكرك لك مشاعرك الطيبة تجاه المجلة ، أما بالنسبة لاقتراحك فإنه يناسب المجلات الأسبوعية.

■ **عبد الله الفارس** : نشكرك على متابعتك للبيان وإشادتك بها ، وأما مشاركتك فقد وصلت بعد فوات المناسبة، ومثل هذه المشاركات لابد أن تكون دراسة علمية متكاملة ، وأن تصل قبل المناسبة بشهر على الاقل.

■ **محمد معافا الأهدل:** رسالتك الأولى ستصلك رسالة خاصة بشأنها، اما بالنسبة لرسالتك الثانية: فإننا نشكر لك غيرتك وحرصك على إخوانك، وما ذكرته من اقتراحات: بعضه مطبق فعلاً، وبعضه الآخر لا يناسب طبيعة المجلة .

ملحوظتان:

١ـ تصلنا رسائل من عدد كبير من القراء يطلبون فيها اشتراكات مجانية، الأمر الذي يتعذر على المجلة تلبيته في الوقت الحاضر؛ لظروف المجلة، ولعل أصحاب الاشتراكات الكرام اطلعوا في العدد السابق (١٠٢) على الاستمارة المرفقة ، التي تحمل دعوة للمساهمة من قبل القادرين من القراء في دعم الاشتراكات المجانية، مشاركة في الدعوة إلى الله وتبصير المسلمين في العالم بواجباتهم وقضاياهم.

٢ ـ يرجى من الكتاب الذين يراسلون المجلة إرسال المقال دفعة واحدة، حيث لوحظ أن بعض الكتاب تصل مقالاتهم مقسمة في أكثر من رسالة .

الورقة الأخيرة



أدوات النفي .. لم تعد نافية؟!

يقلم : حسن قطامش

● أدوات النفي.. للنفي، وهذا معلوم في لغة العرب، لغة الذكر المبين ، وما علمنا ـ شكًّا أو يقينًا ـ أن أدوات النفي تثبت ما تنفيه في الوقت ذاته.

لكن في بعض قواميس العرب الآن تتبدل اللغة حسب تقلب متحدثيها، الذين يظهرون ما لا يبطنون، ويبطنون غير الذي يظهرون، فإذا انقلب حال المتحدث فلا حرج من «انقلاب» الحديث .

ولعل أبرز القواميس «المنقلبة» تلك : القاموس السياسي، وفيه يظهر الخطاب المنقلب جليًّا، ويصير النفي للإثبات، والإثبات يضحى نفيًا .

ولقد برز ذلك واتضحت معالمه ، وظهرت رؤاه في التعامل مع يهود ، وإن كان ظاهراً في سواه كثيراً، ولكنه هنا أظهر وأبين.

كانت مفردات الخطاب الثوري إثر الاحتلال اليهودي لفلسطين: «لا صلح ، لا اعتراف ، لا تفاوض» «وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة» .

وظلت تلك الشعارات الرنانة تخترق الأسماع عبر أبواق «الصمود والتصدي» ! من مرئي ومسموع ومقروء ، ثم ما لبثت الأيام تمضي حتى أخذ حملة تلك الشعارات يؤبنونها ، ثم ما

لبثوا ـ كذلك ـ أن تقاطروا زرافات ووحدانًا يلهثون وراء « سلام الشجعان » ، فمن « أرض السلام البارد » إلى « مملكة السلام الدافئ » إلى « سلام أبناء العمومة » ثم « سلام الأسود »، والبقية . . . آتية، والأيام حبالى بكل عجيب .

وكأن كل هذه « الإثباتات » من عداوة وبغضاء واحتلال ديار وانتهاك حرمات . . إلى غير ذلك : صار « واقعًا » ولا وجود له .

ولعلنا نستعرض بعض التصريحات في الآونة الأخيرة، التي ظهرت فيها أدوات النفي، لغير النفي!! :

ـ يرتع اليهود في « أرض الكنانة » بأفكارهم وبذورهم على أنهم خبراء زراعيون ، ولا يخفى على أحد ما أصاب الزراعة من (خبراتهم) !!، وإذا بوزير الزراعة يخرج علينا ليقول : « لم نستورد بذورًا من إسرائيل !! » .

ـ ويجيء وزير الخارجية ، ويقول: « **لن** نوقع على معاهدة منع الانتشار النووي إلا إذا وقعت (إسرائيل) » ويومها قيل: ليخفف من حدة خطابه حفظًا لماء الوجه ، لأنه موقع لا محالة، وهو ما حدث بالفعل دون أن توقع إسرائيل .

ـ ويأتي وزير الاقتصاد ليقول: « **لا** نخشى من دخول إسرائيل اقتصاديًا إلى المنطقة ، ولا للهيمنة الاقتصادية، نعم للمساواة » وإذا به مع آخرين يقومون بجولة من « التطبيع الساخن » لإسرائيل لعقد اتفاقيات ومشاريع اقتصادية !!.

ـ ونعرج على لبنان ليصرح لنا أحد وزرائها بأن : « إسرائيل **غير** قادرة على سرقة مياه الليطاني »، وإذا بأحد رؤسائها السابقين يؤكد أنها تسرق وتسرق، ولديه الأدلة ، ونقول: لقد سرقت إسرائيل كميات إضافية من المياه المتفق عليها من وادي عربة في الأردن !! ، فالذي يسرق من المتفق عليه، أليس بالأحرى أن يسرق ما لا اتفاق عليه؟! .

ـ ثم هل نشكك في كلام وزير خارجية الجزائر حين قال : « الجزائر **لن** تحذو حذو الساعين للتطبيع مع إسرائيل »؛ إذ إننا تعلمنا أن قاموس النفاق السياسي نفيه إثبات ، وإثباته نفي .

وحسبنا الله ونعم الوكيل

AL-BAYAN

Islamic Magazine

Subscription Form

(BLOCK CAPITALS PLEASE)

Name ---------- Surname ----------

Address ----------

City ---------- Post Code ----------

Country ----------

New ☐ 1 Year ☐ 2 Years ☐ 3 Years ☐

Renew ☐ Amount Enclosed ----------

(Sterling Only) (Cheques payable to AL-BAYAN)

Please quote subscription number in all correspondance:----------

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST

7 Bridges Place , Parsons Green

LONDON SW6 4HR

U.K.

سيمة اشتراك

مجلة **البيان**

(مجلة إسلامية شهرية)

سم : ....

وان : ....

نـة : .... الرمز البريدي : ....

لة : ....

واحدة ☐ سنتان ☐ مدة أخرى ☐ .. جديد ☐

مة المدفوعة : .... تجديد ☐

ب الشيكات لأمر (*البيـان*) على شركة الراجحي المصرفية للاستثمار

ع الربوة – شارع الأربعين – حساب رقم ٢١٠٠ / ٧

جاء كتابة رقم الاشتراك في حالة التجديد أو المراسلة : ....

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس:

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel: 0171 - 731 8145
Fax: 0171 - 736 4255

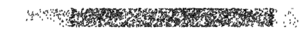
كلمة صغيرة

زعماء الدين النصارى في لبنان كيان كبير، له وزنه الرسمي ، من احترام الدولة لهم ، ومراعاة توجههم في كل مناسبة ، تقديراً لثقلهم في الساحة، ولذلك:

حينما طلب هؤلاء الزعماء من الرموز النصرانية عدم المشاركة في انتخابات ١٩٩٢م؛ أحجم كثيرٌ من هؤلاء عن المشاركة، استجابة لهم، ولما رأوا أن ذلك عاد عليهم بالخيبة ، ووصول رموز جدد لا سيما من الإسلاميين؛ عادوا ليعطوا الضوء الأخضر لنوابهم بالمشاركة النيابية ، مع تحفظهم المعلن عن الانتخابات المقبلة .

غريب جداً دور (رجال الدين) النصارى في لبنان، وتدخلهم في العمل السياسي، وهم الذين جاء في كتابهم المقدس « دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله » .

والأعجب أن يحجم كثير من علماء دين الإسلام ودعاته ـ وهو دين يشمل الحياة جميعها؛ والحكم فيه لله ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ـ عن المشاركة الفعالة في الحياة العامة، ويُضرب على يد دعاته في كثير من البلاد الإسلامية ، وتصدر قوانين تحرم الدخول في (اللعبة الانتخابية) للإسلاميين ، بدعوى أنه لا يصح أن يدخل فيها ذوو الانتماء الديني عموماً ، مع اعتقادنا الجازم أن نصرة هذا الدين لن تأتي عن طريق تلك الأساليب المحدودة الأثر. إلا أن المقارنة بين المنهجين مثيرة للعجب والتساؤل، وتنبئ عن واقع اليم للأمة ؛ لاضطراب موازينها ... والله المستعان.



في هذا العدد :

■ المزوعون ■

الأردن : الشركة الاردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصر : القاهرة – ش الجلاء – الاهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن احمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٢٤٥٧٤٥/٥٤

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩ ، الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠ ، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي امام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ – ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.

أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313-677-006 Fax 313-677 0065
الرقم المجاني : (Subscription No.: 1-800-99-Fajer)

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهاً استرلينياً
أوروبا	٢٠ جنيهاً استرلينياً
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهاً استرلينياً
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهاً استرلينياً
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهاً استرلينياً

■ سعر العدد ■

الأردن ٥٠ قرشاً ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ١٫٥ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالاً ، مصر ١٢٥ قرشاً ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس ، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيه ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة .

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

يا دعاة الإسلام:

لنتجرد ولنصدق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

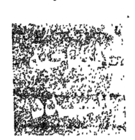
فالدعوة الصادقة إلى الله هي سبيل كل داعية مخلص لتبليغ هذا الدين وتبصير الناس بأخلاقه وآدابه وأحكامه ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨].

والدعوة إلى المنهاج الصالح الصحيح هي رسالة الأنبياء ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣].

فكلما كانت الدعوة منطلقة من تجريد الإخلاص لله (تعالى) وتجريد المتابعة للرسول ﷺ كلما كانت آثارها إيجابية ونتائجها موفقة .



وفي ظل الإحباطات التي تعيشها الدعوة في بعض البلدان؛ نتيجة لنقص العلم الشرعي، ولفقدان التأصيل الصحيح لمسائل الخلاف : تشتد حاجتنا إلى الرجوع لمنهج الأنبياء (عليهم السلام) في الدعوة : من البدء بالعقيدة، وتحقيق العبودية لله (تعالى)، وتجريد القصد والمتابعة للرسول ﷺ ، والعض على ذلك بالنواجذ .



فكثيراً ما نشاهد في الواقع الدعوي من الأخطاء والتجاوزات ما يمكن إرجاعه إلى النقص في تلك المؤهلات الآنفة الذكر؛ مما قد يتسبب في فقد تأثير الدعوة في بعض المجتمعات ، وربما أدى إلى تعطيلها .

فقد نشاهد أحيانًا من يظن أنّه قد بلغ الآفاق بقوله وفعله ، بعبادته ودعوته، وينتفش بكبرياء واستعلاء ، ويتكلم بعجب وأستاذية ، حتى يظن أنَّ النَّاس ،كل النَّاس يشيرون إليه بالبنان .

إذا شارك بكلمة أو درس أو خطبة، تسلل العجب إلى قلبه، وشعر أنه الداعية النشيط ، والمجاهد المبارك ، والعامل المنتج.. ويقول لنفسه بقوة : نعم ، ولم لا أكون كذلك ..؟!، ألم أتحرك حينما تقاعس الناس ، وأتكلّم حينما سكت الناس، وأنتج حينما عجز الناس..؟! عملي لا يُلحق شأوه، ودعوتي لايُشقّ لها غبار .. نظراتي مسددة ، وأعمالي موفقة ...

وتلك هي الهاوية ..!! إن الكبر والعجب يقودان في الغالب إلى الأمن من مكر الله ، وهذا داءٌ خطير مقعد، يحطم همة الإنسان ، ويقعده عن التضحية والبناء، ويجعله يتآكل من الداخل .. وكيف يصح ذلك ورسول الله ﷺ يقول: « إنَّ قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحدٍ يصرفه حيث يشاء»؟!، وها هو ذا رسول الله ﷺ يقول في دعائه: « اللهم مصرّف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك » [رواه مسلم].

يقول ذلك وهو سيد ولد آدم، الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.. بل يصلي حتى تتورم قدماه، ويقول: « أفلا أكون عبداً شكوراً؟!» [رواه البخاري].

تربية تزكي النفس، وتدفعها إلى الاعتصام بالله ، ولا تجعلها تركن إلى نفسها، فتعلق القلب لا يكون إلا بالله (سبحانه وتعالى).

ولهذا: كان النبي ﷺ يوصي أصحابه بذلك، فهو يقول مثلاً لمعاذ بن جبل: «إني لأحبك يا معاذ، فلا تدع أن تقول في دبر كلّ صلاة : اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» [أخرجه أبو داود].





إن الخوف من الله ، والانكسار بين يديه ، والثقة به وحده ، هو الذي يهذب النفس الإنسانية ويروضها، ويطامن من كبريائها، ويحد من غرورها وعجبها، فالمرء ينشط ويدعو ويضحي بنفسه وماله، ويبذل قصارى جهده

لخدمة هذا الدين .. ومع ذلك: فهو يلح في الدعاء، ويتضرع إلى الله بقلب مخبت منيب، يسأله القبول والرضا، ويشعر بضعفه وحاجته إلى عون ربه (عزّ وجل)، ولهذا: قالت عائشة (رضي الله عنها) لرسول الله ﷺ في قول الله (عز وجل): ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]: أهم الذين يزنون ويسرقون ويشربون الخمر؟ فقال: «لا يا بنت الصديق، هم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون، يخافون ألا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات» [أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة] .. هكذا ربى رسول الله ﷺ أصحابه.

فها هو ذا أبو بكر الصديق يأتيه قائلاً: علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، فقال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم» [رواه البخاري].

أبو بكر .. خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ يقول: «رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً»، فكيف إذن يقول غيره..؟! كيف نقول نحن..؟!.

أما أبو بكر فيقول: «ودِدْتُ أني شجرة تعضد!».

وهذا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ذلك الرجل الجبار القوي في دين الله، الذي أعز الله به الإسلام، وقوّى به المسلمين، الذي إذا سلك فجًّا سلك الشيطان فجًّا آخر .. حينما علم أن رسول الله ﷺ علّم حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) أسماء المنافقين، ذهب إليه وألح عليه في السؤال: هل سماني لك رسول الله ﷺ ..؟!.



شيء عجيب جداً .. عمر الفاروق لا يأمن على نفسه النفاق ..!! فكيف يأمن من كان دونه بمراحل ..؟!.



وتأتي ثمرة هذه التربية العجيبة حينما طُعن (رضي الله عنه) وهو خليفة، وجعل يألم، فقال له ابن عباس مواسياً: «يا أمير المؤمنين، ولئن كان ذاك، لقد صحبتَ رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو

عنك راضٍ، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راضٍ، ثم صحبت صحبَتَهم فأحسنت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنَّهم وهم عنك راضون» ، ما الظن بعمر بعد كل هذا الثناء..؟!.

هل أحس بالعجب والخيلاء والأمن..؟! هل أحس بالانتفاش وتعاظم في نفسه..؟! أم أنّه أسند ذلك إلى فضل الله ومنته؟.

قال عمر لابن عباس : «أمَّا ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه: فإنما ذاك منٌّ من الله (تعالى) منَّ به عليّ، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه: فإنَّما ذاك منٌّ من الله (جلَّ ذكره) منَّ به عليَّ، وأما ما ترى من جزعي: فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو أنَّ لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديتُ به من عذاب الله (عز وجل) قبل أن أراه»! [أخرجه البخاري].

الله أكبر ! بهذه النفوس الحية الزكية التي تظهر الحاجة والافتقار لله (تعالى) ، وتلتجئ إليه بصدق ويقين: تنجح الدعوة وتؤتي ثمارها ، وبذلك أيضًا يثبت الرجال على تحمل أعباء الدعوة وتكاليفها ، ويشدون على لوائها وإن أصابهم ما أصابهم من اللأواء والعنت .

ما أحوج الدعاة إلى التجرّد والصدق ، والبعد عن حظوظ النفس وشهواتها ، فكم من الطاقات تهدر وتتآكل بسبب التعالي والإعجاب بالنفس ، وصدق الرسول ﷺ بقوله: «ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» [أخرجه أحمد والترمذي].

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين .







حقيقة الإيمان

الحلقة الأخيرة

بقلم: د. محمد أمحزون

قدم الكاتب الحلقة الأولى من الموضوع بالأسباب التي دعته إلى الكتابة فيه، ثم الغرض من كتابته، ثم شرع في بيان مصطلح «الإيمان» في اللغة، وعلى مستوى الدلالة في سياق القرآن والحديث، وكذلك مفهومه في الكتاب والسنة، ثم تحدث عن ركني الإيمان: القول والعمل، ويفصل في هذه الحلقة الحديث عن جوانب أخرى من الموضوع.

- البيان -

من عرى الإيمان:

أ ـ إفراد الله بالحكم:

إن إفراد الله (عز وجل) بالحكم، أو تحكيم شريعته في شؤون الحياة كلها: عروة من عرى الإيمان وأصل من أصول الاعتقاد، فقد جاءت الآيات القرآنية مؤكدة أن الحكم بما أنزل الله من صفات المؤمنين، وأن التحاكم إلى غير شرع الله من صفات المنافقين.

وإذا كان جوهر الإيمان هو الانقياد والخضوع والطاعة، فلا يتحقق ذلك إلا بقبول أحكام الشرع والإذعان لحكم المخبر.

ولقد جاءت الآيات المحكمات الدالة على اتباع شريعة الله والتحاكم إليها وحدها مذيلة بوصف الفلاح والخير لمن امتثل أمر الله وأطاع رسوله ﷺ.

قال (تعالى): ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ إلى قوله (تعالى): ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٤٧ ـ ٥١].

ففي الآية الأولى نفى الله (جل ثناؤه) الإيمان عمّن تولّى عن الطاعة والامتثال وإن كان قد أتى بالقول ، وفي الآية الثانية جعل (جل ذكره) تحكيم الشريعة شرط الإيمان الذي لايتحقق إلا به .

وقال (تعالى) : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

يقول أبو جعفر الطبري في تفسير هذه الآية : « يعني (جل ثناؤه) بقوله : فليس الأمر كما يزعمون أن يؤمنوا بما أنزل إليك وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدوا عنك إذا دُعُوا إليك يا محمد، واستأنف القسم (جل ذكره) فقال : ﴿ وَرَبِّكَ ﴾ يا محمد ﴿ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي : لا يصدقون بي وبك وبما أنزل إليك ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ حتى يجعلوك حكماً بينهم فيما اختلط بينهم من أمورهم، فالتبس عليهم حكمه... ثم يفسر نفي الحرج بنفي الشك في طاعته ﷺ وأن الذي قضى بينهم حق لا يجوز خلافه »[1] .

وقال (تعالى) : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

يقول النسفي في تفسير هذه الآية : « ... وإن كان العصيان عصيان رد ، وامتناع عن القبول فهو ضلال وكفر ، وإن كان عصيان فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق »[2] .

ويستخلص مما سبق : أن تحكيم الشريعة في حياة الناس أصل من أصول الاعتقاد؛ فمن ردّ الأمور إلى شرع الله (تعالى) فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن لم يرض بتحكيم ما جاء به النبي ﷺ في أصول الدين وفروعه فهو معترض على دين الله ، ولا يكون مؤمناً ـ وإن زعم ذلك ـ كما قال (تعالى) : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ [النساء : ٦٠] .

---

١) تفسير الطبري ، الآية ٦٥ من سورة النساء .

٢) تفسير النسفي ، الآية ٣٦ من سورة الأحزاب .

كما أن الذي لا ينقاد ويخضع لشرع الله ـ وإن كان مصدقًا به ـ فهو كافر؛ لأن الكفر لا يختص بالتكذيب فقط، بل هو أنواع، منه: كفر إباء واستكبار ، وكفر استهزاء ، وكفر إعراض، وكفر شك ونفاق [1] .

يقول الحافظ ابن عبد البر في هذا الصدد: «قد أجمع العلماء ... أن من دفع شيئًا أنزله الله ...وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله : أنه كافر » [2] .

لكن إذا كان الحاكم يقرّ بالشريعة وينزل عند أحكامها، ثم حكم في قضية بعينها بغير حكم الله، إما عن جهل بها أو حكم فيها هوى ومعصية، فهذا ذنب، وهو الذي عناه ابن عباس (رضي الله عنهما) بقوله : كفر دون كفر [3] ، ويدل عليه قول الرسول ﷺ : «لينقضن عرى الإسلام عروة عروة ، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضًا الحكم وآخرهنَّ الصلاة» [4] .

أما من يعتقد أفضلية القانون الوضعي على شرع الله أو مساواته له، أو ينتقص أحكام الشريعة بقوله : إنما نزلت لزمان غير زماننا ولعلل وأسباب انقضت فسقطت أحكامها، أو أنها لا تفي بمتطلبات العصر المستجدة، أو شرع ما لم يأذن به الله ؛ فأحل حرامًا أو حرّم حلالاً ، فهذا كافر مرتد لا إيمان له، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم .

ب ـ إفراد الله بالولاء :

إن الولاء والبراء هو أوثق عرى الإيمان ، ولازم من لوازم التوحيد، وهو بهذا جزء مهم من العقيدة التي تعدّ معرفتها والعمل بها أمرًا ضروريًّا بالنسبة للمسلم؛ ليكون ولاؤه وبراؤه بحسبها، إذ من المحال أن يكون صحيحًا بدون تحقيق الموالاة والمعاداة الشرعية.

والنصوص الشرعية التي تدل على أهمية هذا الأصل كثيرة، منها:

قول الله (جل ذكره): ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ**

١) حافظ بن أحمد حكمي : ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة ، ص ٩٦ .

٢) ابن عبد البر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، جـ ٤، ص ٢٢٦ .

٣) القاسم بن سلام : كتاب الإيمان ، ص ٤٥ .

٤) أخرجه أحمد في المسند (بترتيب الساعاتي) ، جـ ١، ص ١١٧ .



حادَّ اللَّه ورسولَه ولو كانوا آباءَهُم أو أبناءهُم أو إخوانَهُم أو عشيرتَهُم أولئك كتب في قلوبهم الإيمانَ وأيَّدهم بروحٍ منه ﴾ [المجادلة: ٢٢] .

وقال (تعالى): ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنوا لا تتَّخذوا آباءكُم وإخوانكُم أولياءَ إن استحبُّوا الكُفرَ على الإيمانِ ومن يتولَّهُم منكُم فأولئك هُمُ الظَّالمونَ ﴾ [التوبة: ٢٣] .

وقال (تعالى): ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنوا لا تتَّخذوا اليهودَ والنَّصارى أولياءَ بعضُهُم أولياءُ بعضٍ ومن يتولَّهُم منكُم فإنَّه منهُم إنَّ اللَّهَ لا يهدي القومَ الظَّالمين ﴾ [المائدة: ٥١] .

وقال (تعالى): ﴿ ولو كانوا يؤمنون باللَّه والنَّبيِّ وما أُنزل إليه ما اتَّخذوهُم أولياءَ ولكنَّ كثيرًا منهُم فاسقونَ ﴾ [المائدة: ٨١] .

أما الأحاديث النبوية الواردة في الولاء والبراء، فمنها قول النبي ﷺ: «أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله» [(١)]، وقوله ﷺ: «أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله» [(٢)]، وقوله ﷺ: «من أعطى لله ومنع لله، وأحب لله وأبغض لله: فقد استكمل إيمانه» [(٣)] .

وفي العموم: إن الولاء للمسلمين بمحبتهم، ونصرتهم، والاهتمام بشؤونهم، والنصح لهم، والدعاء لهم، ومواساتهم: من مقتضيات تحقيق الإيمان الشرعي، كما أن البراءة من الكافرين والمنافقين ببغضهم، والحذر من التشبه بهم، ومخالفة مناهجهم: من لوازم تحقيق الإيمان .

فالتميز والمفاصلة أمران ضروريان للمسلمين في هذا العصر، فليس هناك أنصاف حلول ولا التقاء في منتصف الطريق مع أعداء الدين من اليهود، والنصارى، ومن سار على دربهم من المنافقين.. إنما هو الاستمساك بالدين الخالص في كل نواحي الحياة، والثبات على منهج الدعوة الأول، وإلا فهي البراءة الكاملة،

---

١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الإيمان، جـ ١١، ص ٤١، وأحمد في المسند، جـ ٤، ص ٢٨٦. وقال محقق كتاب الإيمان لابن أبي شيبة (الألباني): أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعًا، وهو حسن، ص ٤٥ .

٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير، جـ ١، ص ٦٩. وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير: حديث حسن، جـ ٢، ص ٣٤٣ .

٣) أخرجه الترمذي في السنن، وقال حديث حسن، انظر: جامع الأصول، جـ ١، ص ٢٤٠ .



والمفاصلة التامة ، والحسم الصريح : (لكم دينكم ولي دين) [1] .

التلازم بين الحكم بما أنزل الله والولاء والبراء في القرآن الكريم:

عندما تؤمن الأمة إيمانًا كاملاً بأن الشريعة الإسلامية هي هويتها ودستور حياتها، وأن مبادئها وقيمها هي منهاج تعاملها فيما بينها ومع الآخرين: فإنها ستحرص على تطبيقها؛ لأنها مصدر عزتها وقوتها وكرامتها، ومن ثم: ستحافظ عليها، وتعادي وتوالي من أجلها ، وستعتبر أي مساس لسلطانها وسيادتها خيانة في حق هذا الدين .

أما عندما يغيب التحاكم إلى شرع الله من حياة المسلمين ، فإن الفراغ الرهيب في حياتهم ستملؤه النظم والقوانين والمناهج المستوردة التي تعمل على صنع أجيال متمردة على حكم الله بالسياسات الإعلامية والتعليمية والثقافية ، ومن ثم: تذوب الفواصل بينهم وبين أعدائهم ، فيتشبهون بهم في وسائل العيش وطرق الحياة المختلفة ، لأن المغلوب لا يزال مقلداً للغالب في كل شيء .

ولهذا أمر الله (جل ثناؤه) في كتابه الكريم بعدم تتبع أهواء الذين كفروا من أهل الكتاب والاحتكام إلى نظمهم الجاهلية، بما يقتضي عدم موالاتهم والبراءة منهم، وذلك في موضعين من القرآن الكريم ، قال (تعالى) : **﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾** [المائدة: ٤٩] ، وقال (جل ذكره) : **﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾** [الجاثية: ١٨] .

ج ـ إفراد الله بالنسك :

لم يجعل الله (سبحانه وتعالى) لأحد من المخلوقين ـ سواءً أكان نبيًا أو مَلَكًا ـ أن يستعان به، أو ينذر له، أو يستغاث به، أو يرغب إليه، أو يذبح له ، أو يقسم به.. فلا يستحق ذلك أحد من الملائكة والنبيين، فضلاً عن غيرهم من الصالحين[2] .

---

١) سيد قطب : في ظلال القرآن ، م ٦، ص ٣٩٩٣ (بتصرف) .

٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوى، جـ١، ص ٢٩١ـ٢٩٥ .

فالله (سبحانه) هو المعبود بحق ، فلا يُحلف إلا به، ولا ينذر إلا له، ولايدعى إلا إياه، ولا يستغاث ويستعان إلا به ، ولا يذبح إلا باسمه، قال (تعالى) : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام: ١١٨].

وقد كان المشركون يخوِّفون إبراهيم الخليل (صلوات الله وسلامه عليه) بمعبوداتهم، فردّ عليهم بقوله : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٨١].

وفي الصحيح عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال : لما نزلت ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ قال أصحاب رسول الله ﷺ أيّنا لم يظلم؟ فانزل الله : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1] [لقمان: ١٣].

وقال (تعالى) : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

والمقصود بالإسلام هنا : الإيمان بالله، وعبادته وحده لاشريك له.

ولما كان النسك من أعظم العبادات وأجلها ـ كما قال ابن تيمية (رحمه الله) ـ فإن خرم هذا الأصل من أصول الاعتقاد من ثلاثة أوجه يعد شركًا ونفيًا للإيمان:

- أن يتقرب إلى المخلوق بأنواع العبادات والقربات ليقربه إلى الله زلفى .
- أن يتخذ عند الله شفعاء عنده بغير إذنه.
- أن يدعو الموتى ويتوجه إليهم مباشرة بالدعاء والاستعانة والاستغاثة[2] .

مراتب الإيمان:

أ ـ الإيمان المجمل :

هو الإقرار بما جاء به الرسول ﷺ جملةً ، وتصديقه في كل ما أخبر به عن ربه من: الكتب ، والملائكة، والنبيين، ومقادير الخلق، وأحوال الآخرة.. إجمالاً؛ لقوله (تعالى): ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ

---

١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب الإيمان، جـ ١ ، ص ١٤ .

٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، جـ١، ص ١٢٣، ١٢٤، ١٥٥، ١٥٨، جـ٣، ص١٠٥-١٠٦، جـ١٦، ص٥٣٢.

وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وهو أصل الإيمان؛ لقوله (تعالى) : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٦]، فذكر (جل ثناؤه) الإيمان المجمل المتعلق بأصل الدين ؛ وذلك لأن الإيمان الواجب يستثنى فيه ولا يقطع به، والله أمرنا هنا بالقطع.

وكذلك : فهو الإقرار بالشهادتين (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) ؛ لأن أول واجب على المكلف هو التلفظ بهما إيمانًا مجملاً بألا يعبد إلا الله، وأن يعبد بما شرع على لسان رسوله ﷺ .

ويعرّف ابن تيمية (رحمه الله) المجمل : « بما لا يكفي وحده في العمل وإن كان ظاهره حقًّا » [1] .

ويدخل في الإيمان المجمل : الظالم لنفسه، كما في قوله (تعالى) : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر : ٣٢] .

فالذين اصطفى الله (عز وجل) هم المسلمون بمراتبهم الثلاث : الظالم لنفسه وهو من تحقق فيه الإيمان المجمل ، والمقتصد من أهل الإيمان الواجب ، والسابق بالخيرات من المحسنين .

فعصاة أهل التوحيد يدخلون في دائرة الإيمان المجمل؛ لقول النبي ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن » [2] فهذه المعاصي تخرج فاعلها من دائرة الإيمان الواجب إلى دائرة الإيمان المجمل .

يقول ابن تيمية (رحمه الله) : « والخطاب بالإيمان ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يدخل فيه الذين أسلموا ولم تدخل حقيقة الإيمان في قلوبهم ، لكن جزءاً من الإيمان والإسلام يثابون عليه (الإيمان المجمل) ، لكن يعاقبون على ترك المفروضات

١) ابن تيمية : الإيمان ، ص ٣٧٥ . ٢) أخرجه مسلم ، ح / ١٠٠، كتاب الإيمان ، باب بيان نقصان الإيمان .



(الإيمان الواجب)، وهؤلاء كالأعراب المذكورين في الآية (من سورة الحجرات) وغيرهم ، فإنهم قالوا (آمنا) من غير قيام منهم بما أمروا به باطنًا وظاهرًا ، فلا دخلت حقيقة الإيمان في قلوبهم، ولا جاهدوا في سبيل الله ، وقد كان دعاهم النبي ﷺ إلى الجهاد ، وقد يكونون من أهل الكبائر المعرَّضين للوعيد، كالذين يصلون ويتركون، ويجاهدون ويأتون الكبائر ، وهؤلاء لا يخرجون من الإسلام، بل هم مسلمون (يقصد الإيمان المجمل) .

فدل هذا كله على أن هؤلاء من فساق الملة، فإن الفسق يكون تارة بترك الفرائض، وتارة بفعل المحرمات ، وهؤلاء لما تركوا ما فرض عليهم من الجهاد، وحصل عندهم نوع من الريب الذي أضعف إيمانهم: لم يكونوا من الصادقين الذين وصفهم[1] ، وإن كانوا صادقين في أنهم في الباطن متدينون بدين الإسلام...

فهكذا كان إسلام غير المهاجرين والأنصار: أسلموا رغبة ورهبة ،كإسلام الطلقاء من قريش بعد أن قهرهم النبي ﷺ ، وإسلام المؤلفة قلوبهم من هؤلاء ومن أهل نجد. وليس كل من أسلم لرغبة أو رهبة كان المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار، بل يدخلون في الإسلام والطاعة وليس في قلوبهم تكذيب ومعاداة الرسول ﷺ (الإيمان المجمل) ، ولا استنارت قلوبهم بنور الإيمان ولا استبصروا به (الإيمان الواجب) »[2] .

وهناك قضية رئيسة ينبغي التنبيه عليها، وهي: أن الإيمان المجمل ليس وحده طوق النجاة في الآخرة ، بل هو الخطوة الأولى للدخول في الدين ، إذ لا بد من فعل الأمر وترك النهي لتحقيق الإيمان الواجب ، فأهل السنة يقررون أن ترك العمل بالكلية هو ترك لركن الإيمان الذي لا يكون إلا به ؛ لأن الإيمان قول وعمل ، والعمل الصالح هو مناط النجاة في الآخرة .

أخرج أبو نعيم في «الحلية» بإسناده إلى عمرو بن عثمان الرَّقي قال: « قيل لابن عيينة : إن قومًا يقولون الإيمان كلام، فقال : كان هذا قبل أن تنزل الأحكام ، فأمر

---

١) وصفهم في آية لاحقة من السورة : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥] .

٢) ابن تيمية : الإيمان ، ص ٢٢٨ ، ٢٣٨ .

الناس أن يقولوا (لا إله إلا الله) ، فلما علم صدقهم أمرهم بالصلاة ففعلوا ، ولو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار » فذكر الأركان، إلى أن قال: « فلما علم الله ما تتابع عليهم من الفرائض وقبولهم قال: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾ [المائدة: ٣]، فمن ترك شيئًا من ذلك كسلاً أو مجونًا أدبناه عليه وكان ناقص الإيمان ، ومن تركها جاحدًا كان كافرًا » [١]

ويقول ابن تيمية : « ومن الممتنع أن يكون الرجل مؤمنًا إيمانًا ثابتًا في قلبه ، بأنّ الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج، ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة ، ولا يصوم رمضان، ولا يؤدي الزكاة، ولا يحج إلى بيته ، فهذا ممتنع ، ولا يصدر هذا إلا مع نفاق وزندقة ، لا مع إيمان صحيح » [٢] .

ب ـ الإيمان الواجب :

هو ما زاد عن الإيمان المجمل بفعل الواجبات وترك المحرمات [٣] ، كما في قوله (تعالى) : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ** ﴾ [الزخرف: ٦٩] وقوله (تعالى): ﴿ **فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾ [الحج: ٥٠]، وقوله (عز من قائل): ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً** ﴾ [البقرة: ٢٠٨] ، يدعوهم باسم الإيمان المجمل ليحققوا الإيمان الواجب بالأخذ « بجميع عرى الإسلام وشرائعه ، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره» [٤] ، وقوله (جل ذكره) : ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا** ﴾ [الحجرات: ١٤] فهنا نفى الله (عز وجل) عنهم الإيمان الواجب، وأثبت لهم الإيمان المجمل أو الإسلام العام، كما أن الإيمان المراد في الآية هو الإيمان المستحب، وهو أعلى درجة من الإسلام .

وبيّن الله (تعالى) الإيمان الواجب بعد ذلك في السورة نفسها بقوله (جل ثناؤه) : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ [الحجرات: ١٥] ، كما

---

١) نقلاً عن الحافظ في الفتح ، جـ١ ، ص ١٠٣ .
٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جـ٧ ، ٦١١ .
٣) يعبر عنه ابن تيمية تارة بالإيمان الواجب، ص ٣٥٠ ، ٣٩٤، وتارة بالإيمان المطلق، ص ٢٠٩ ، ٢٢٨ .
٤) تفسير ابن كثير ، الآية (٢٠٨) من سورة البقرة .

بيّنه في سورة الأنفال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال : ٢ – ٤] .

والإيمان الواجب يزيد وينقص ، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ، وإذا ذهب بعضه بقي بعضه ، خلافًا لرأي أهل البدع من الخوارج والمرجئة في المسألة [١] ، ومن خرج منه بترك بعض الفرائض أو ارتكاب بعض المحرمات انتقل إلى دائرة الإيمان المجمل أو مطلق الإيمان .

ويعدّ الإيمان أعلى درجة من الإسلام عند الاقتران ؛ ففي حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » [٢] .

ففسر « المسلم » بأمر ظاهر ، وهو سلامة الناس منه، وفسر « المؤمن » بأمر باطن، وهو أن يأمنوه على دمائهم وأموالهم، وهذه الصفة أعلى من تلك ؛ فإن من كان مأمونًا سلم الناس منه، وليس كل من سلموا منه يكون مأمونًا، فقد يترك أذاهم وهم لا يأمنون إليه ويثقون به؛ خوفًا أن يكون ترك أذاهم لا لإيمان في قلبه، بل لرغبة أو لرهبة في نفسه [٣] ؛

وكذلك حديث عمرو بن عَبَسة مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ، أن رجلاً قال له : ما الإسلام؟ قال : « إطعام الطعام، ولين الكلام »، قال : فما الإيمان ؟ قال : « السماحة، والصبر » [٤] .

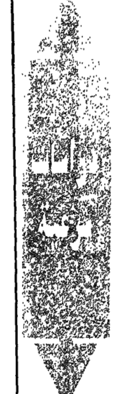
فإطعام الطعام ولين الكلام عملان ظاهران يفعلهما الإنسان لمقاصد متعددة، وأما السماحة والصبر فخلقان في النفس ، وهذا أعلى من ذاك [٥] .

فالمؤمن لا يرتاب في المحنة أو الفتنة التي تزلزل الإيمان في القلب : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ

١) ابن تيمية : الإيمان ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .
٢) أخرجه النسائي في السنن ، جـ٨، ص ١٠٤ .
٣) ابن تيمية : الإيمان ، ص ٢٥٠.
٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ، كتاب الإيمان ، جـ١١، ص ٣٣، وأحمد في المسند ، جـ ٤ ، ص ٣٨٥، جـ٥، ص ٢٤٣ ، ٣١٩ .
٥) ابن تيمية : الإيمان ، ص ٢٥١ .

أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] .

وبما أن الريب ضد اليقين ـ إلا من اطمأن قلبه علماً وعملاً ـ فإن الإنسان لو كان عالماً بالحق ، لكن المصيبة أو الخوف أورثه جزعاً: لم يكن صاحب يقين ، ففي مواطن الابتلاء والشدة تظهر حقيقة الإيمان بالصبر والثبات على المبدأ ، والموفق من وفقه الله (عز وجل).



جـ ـ كمال الإيمان (الإيمان المستحب) :

هو ما زاد عن الإيمان الواجب من الأعمال المستحبة والمندوبة، وهي المرتبة التي ينال بها المسلم علو الدرجة والمنزلة العالية .

وكمال الإيمان يجمع كمال الإخلاص لله والإتيان بالفعل الحسن على الوجه الذي يحبه الله (عز وجل) ويرضاه ، لقوله (تعالى) : ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]، وقال (تعالى) : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]

ومن حديث رسول الله ﷺ قوله : «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً» [١] .

وسئل (عليه الصلاة والسلام): أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» [٢] ، وفي حديث جبريل (عليه السلام) جعل مرتبة الإحسان أخص من مرتبة الإيمان [٣] .

وصح عن عمار بن ياسر (رضي الله عنهما) أنه قال: «ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان (وفي رواية : ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان): الإنصاف من نفسه ، والإنفاق من الإقتار ، وبذل السلام للعالم» [٤] .

---

١) أخرجه أحمد في المسند ، جـ٢ ، ص ٢٥٠، وأبو داود والترمذي ، انظر جامع الأصول لابن الأثير ، كتاب الخلق ، جـ٤ ، ص ٥ .

٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب الإيمان ، جـ١ ، ص ٩ .

٣) سبق تخريجه .

٤) أخرجه البخاري معلقاً في صحيحه: كتاب الإيمان، جـ١، ص ١٢، وانظر: الإيمان لابن تيمية، ص ٢١٢.

والوسيلة لبلوغ درجة الكمال: أن الإيمان كلما ازداد وقوي زاد معه العمل الصالح ، ولذلك: كان ابن مسعود (رضي الله عنه) يقول في دعائه: «اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا» [1] ، وقال مالك بن دينار : «الإيمان يبدو في القلب ضعيفًا ضئيلاً كالبقلة ، فإن صاحبه تعاهده فسقاه بالعلوم النافعة والأعمال الصالحة وأماط عنه الدَّغَل وما يضعفه ويوهنه أوشك أن ينمو ويزداد ، ويصير له أصل وفروع ، وثمرة وظل ، إلى ما لا يتناهى، حتى يصير أمثال الجبال ، وإن صاحبه أهمله ولم يتعاهده ، جاءه عنز فنتفتها، أو صبي فذهب بها، أو أكثر عليها الدغل، فأضعفها أو أهلكها أو أيبسها ، كذلك الإيمان» [2] .

إذن: فحقيقة الإيمان الشرعية ـ التي تقرر نصوص الكتاب والسنة بأنها مركبة من ركني القول والعمل ـ تشهد بالترابط بين مراتب الإيمان الثلاثة، كالترابط الحاصل بين حلقات السلسلة، يشد بعضها بعضًا ويكمل بعضها بعضًا .

بل إن التلازم حتمي بين المرتبة الأولى والثانية في أن العمل لا ينفك عن الإيمان الباطن ، وأن كليهما مناط النجاة في الدنيا بعصمة الدم والمال واستحقاق الأخوة من المؤمنين ، وفي الآخرة بالنجاة من سخط الله وعذابه.

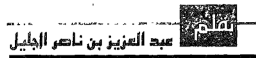
ويظل المعيار الحقيقي للحكم على حقيقة الإيمان هو معيار الصدر الأول وواقع السلف الصالح قبل اختلاف الأمة، بل في حياة النبي ﷺ حين اكتمل الإيمان في واقع الجيل القدوة ونفوسهم قولاً وعملاً ، فأنزل الله (تعالى) في حجة الوداع في يوم الجمعة في عرفة قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [3] [المائدة: ٣] .

١) ابن تيمية : الإيمان ، ص ٢١٢.
٢) المصدر نفسه ، ص ٢١٣ .
٣) البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب الإيمان ، جـ١ ، ص ١٦ .

دراسات تربوية

المفهوم الصحيح للعبادة

ومظاهر انحرافه وضعفه



بقلم عبد العزيز بن ناصر الجليل

يواصل الأخ الكاتب ـ وفقه الله ـ وقفاته الإيمانية التربوية عند بعض الآيات القرآنية في دراساته (وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم) ، وهذه وقفته العاشرة عند آية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ حيث تطرق لمعاني هذه الآية الكريمة وما ورد فيها من أحاديث، مع لمحات علمية وتوجيهات دعوية، سنختار بعضاً منها ؛ لما انطوت عليه من دراسة وتحقيق وإيضاح لمفاهيم انحرف معناها في حس الكثير من المسلمين. - البيان -

ما العبادة ؟ :

اختلفت أقوال العلماء في مفهوم العبادة وتعريفها، وهذا الاختلاف هو من اختلاف التنوع لا التضاد، أي: إن هذه التعريفات يكمل بعضها بعضاً ، والإلمام بكل هذه الأقوال ينتج عنه المفهوم الصحيح للعبادة، ومن هذه الأقوال:

قول ابن القيم (رحمه الله تعالى) :

« أصل العبادة: محبة الله، بل إفراده بالمحبة، وأن يكون الحب كله لله، فلا يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله وفيه، كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه، فمحبتنا لهم من تمام محبته، وليست محبة معه، كمحبة من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحبه ، وإذا كانت المحبة له حقيقة عبوديته وسرها: فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه»[1].

وقوله في موطن آخر :

« العبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع » [2] .

ويعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله تعالى) فيقول: « العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة »[3].

---

١) مدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٩١ .

٢) مدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٧٧ .

٣) العبودية لابن تيمية ،ص٤، ت : بشير عيون.

وعلى ضوء ذلك: لا يكون العبد متحققًا بوصف العبودية إلا بأصلين عظيمين :

١ ـ الإخلاص لله (جل وعلا).

٢ ـ متابعة الرسول ﷺ .

ومما سبق بيانه من النقولات وغيرها يتضح لنا جليًّا معنى العبادة الحقة التي أمرنا الله (عز وجل) أن نتعبد له بها، ويمكن تلخيص هذا المعنى العظيم وتلك الحقيقة الضخمة فيما يلي :

* العبادة الحقة تعني تمام المحبة مع تمام الخضوع والتذلل لله (عز وجل) الذي يعني طاعته (سبحانه) والانقياد لأمره، ومحبة ما يحب ، وبغض ما يكره، واتباع رسوله ﷺ فيما أمر ونهى وما سن وما شرع، من غير زيادة ولا نقصان؛ وإلا .. فما قيمة محبة وخضوع لايثمران طاعة واتباعًا وقبولاً والتزاماً؟.

* العبادة الحقة تفرض على العبد أن يكون في كل أوقاته وتحركاته وسكناته مصبوغًا بصبغة العبودية ، لا يخرج عنها في أي لحظة من اللحظات.

* ومن صرف شيئًا من العبادة لغير الله (تعالى) فهو مشرك تجب البراءة منه ومن شركه، ولا تصح العبادة إلا بهذه البراءة.

[illegible]

بعد أن اتضح لنا مفهوم العبادة الحقة كما عرضناها من فهم العلماء الربانيين للكتاب والسنة: فلابد بعد ذلك من عرض هذه المفاهيم العظيمة والحقائق الضخمة على واقعنا نحن المسلمين في هذه الأزمنة المتأخرة، وهل هذا الفهم الصحيح للعبادة هو السائد اليوم بين المسلمين؟ أم أن هذا الفهم قد اعتراه من الضعف والانحراف الشيء الكثير؟.

إن المتأمل في حال المسلمين الأليم، والغربة التي يعيشها أهل الإسلام اليوم: ليجد كثيراً من المفاهيم العقدية قد انحرفت عند كثير من عامة المسلمين إلا من رحم الله (عز وجل)، فهناك انحراف في معنى التوحيد والعبادة، وانحراف في عقيدة اليوم الآخر، وانحراف في عقيدة القضاء والقدر، وانحراف .. وانحراف .. ولقد ساهم في هذه الانحرافات غزو أعداء المسلمين لديار المسلمين بثقافاتهم الكافرة

وأفكارهم المنحرفة، وقابل هذا الغزو من الأفكار جهلٌ عند كثير من الأجيال المسلمة بدينها وعقيدتها، وعجز عند أكثر علماء الأمة عن تعليم الناس والوقوف في وجه هذا الغزو، (فوافق الغزو قلباً خالياً فتمكنا).

من هنا سيتوجه التركيز على بعض مظاهر الانحراف والضعف في مفهوم العبادة، فمن ذلك ما يلي:

١ ـ الانحراف في تطبيق شرطي العبادة:

من مظاهر الانحراف في العبادة ـ فهمًا وتطبيقًا ـ ما هو منتشر بين أهل البدع والخرافة في القديم والحديث من ترك لأحد شرطي العبادة ـ أو كليهما ـ واللذين لا تصح العبادة إلا بهما، ألا وهما: الإخلاص والمتابعة... المراد هنا: إيضاح الانحراف الذي يترتب على ترك هذين الشرطين أو أحدهما؛ فترك الإخلاص في العبادة نتج عنه صرف العبادة التي هي لله وحده إلى غيره من الخلق ـ ولو كانوا أنبياء أو ملائكة أو أولياء ـ وهذا صرف للعبادة عن مستحقها، وحجتهم الداحضة عند ربهم: أنهم يؤمنون بأن الله الخالق الرازق بيده الضر والنفع، ولكنهم يتوسلون بالصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى؛ وهذا هو الشرك الأكبر الذي من أجله أنزلت الكتب وأرسلت الرسل، فترى هؤلاء يصرفون العبادة بأنواعها المختلفة من ذبح، ونذر، وخوف، ورغبة... وغير ذلك من أصناف العبادة إلى غير الله (عز وجل)، وهذا من أشد مظاهر الانحراف في العبادة؛ لأنه شرك أكبر يضاد الإخلاص لله (عز وجل)، الذي هو شرط من شروط كلمة التوحيد وقبول العبادة.. ومحل الكلام عن هذا الشرك وأنواعه مبسوط في كتب التوحيد والعقائد [1].

أما ترك الشرط الثاني لصحة العبادة (وهو المتابعة) فينتج عنه انحرافات كثيرة في العبادة وتطبيقاتها، حيث ظهرت ألوان وصور من العبادات التي لم يأذن بها الله (عز وجل)، ولم يشرعها الرسول ﷺ لأمته، وبخاصة

١) مثل: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، للشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)، وشروحه المعروفة، ومن أشهرها: (فتح المجيد) و (تيسير العزيز الحميد).

بين المتصوفة الذين يعطون لمشائخهم حق التشريع، ويعتبرون أقوالهم وأفعالهم مصدراً من مصادر الاستدلال، فظهرت بذلك هيئات وصور متعددة للعبادة والأوراد والأذكار، كلها مبتدعة ، سواء أكان ذلك في كيفيتها، أو كمها، أو هيئتها، أو طريقة أدائها، أو زمانها، أو مكانها ، وهذه كلها مردودة على أصحابها، لأنها تشريع لم يأذن به الله، قال (تعالى) : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى: ٢١]، ولقوله ﷺ: « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » [١] .

٢ ـ الانحراف في مفهوم العبادة:

وهو النظر إلى العبادة على أنها أداء للشعائر التعبدية من: صلاة، وصيام، وحج، وذبح، وقراءة قرآن . . . فحسب، وأن ما سوى ذلك من معاملات، وأخلاقيات، ومباحات . . وغيرها ، كل ذلك لا يدخل في العبادة.

نعم إن هذا المفهوم هو السائد عند بعض المسلمين، سواء أقالوه بلسان مقالهم أم بلسان حالهم وأعمالهم، ولا أدل على ذلك من أننا قد نجد ذاك العبد المصلي، الصائم، القارئ للقرآن، بعد فراغه من هذه الشعائر التعبدية لا يتورع أن يغشّ ، أو يرابي ، أو يظلم، أو يملأ بيته من آلات اللهو ووسائل الإفساد ما الله به عليم، وكذلك قد نرى المرأة المصلية الصائمة لا تتورع عن التصرف في نفسها بما يخالف الشرع، من سفور، أو زينة محرمة، أو اختلاط . . أو غيره . وإذا نصح مثل هؤلاء الناس، قالوا: إنهم من المصلين العابدين، وقد انتهى وقت العبادة! وهكذا تنحرف الغايات، وتنشأ اللوثات، وتفسد النيات، وذلك كمن يفصل أمر تعليمه وتعليم أولاده عن غاية العبادة لله (عز وجل)، ويربط ذلك بالشهادة والمال والوظيفة، بل يستخدم أي وسيلة توصله إلى ذلك.

إن العبادة بهذا المفهوم المنحرف تجعل المسلم في انفصال وانفصام بين

---

١) رواه البخاري من حديث عائشة (رضي الله عنها) ، ك/ الصلح ، ح/٢٦٩٧، ومسلم، ك/ الأقضية، ح/ ١٣٤٣.

حياته في مسجده وخارج مسجده، لأنه لو كان مفهوم العبادة التي يريدها الله (عز وجل) كما فهمها هذا الصنف من الناس لكانت عبثًا ، ولبقي أكثر الأوقات غير معمور بعبادة الله (عز وجل)، وهذا لا يرضاه الباري (جل وعلا)؛ ذلك لأن أوقات الصلوات لا تتعدى ساعتين أو ثلاث في اليوم والليلة، فماذا يكون شأن الساعات الباقية ؟ هل تنفق في غير عبادة؟! كلا.. فإن الله (سبحانه) لا يرضى لعباده هذه الحال.

إذن: فالواجب على كل مسلم أن يعلم أنه ما خلق إلا للعبادة، وأن وقته يجب أن يكون في عبادة؛ سواء ما كان منه في الشعائر التعبدية، أو ما كان منه في المعاملات، أو ما كان منه في المباحات، كل ذلك يجب أن يمارسه العبد وشعور العبادة لله (عز وجل) يصاحبه، فيراقب ربه في كل أعماله، وينوي بها التقرب إليه (عز وجل) والاستعانة بها على طاعته.

إن هذا الشعور وهذه النية تجعل العبد في كل أعماله - حتى في مباحاته ولذاته - عبداً لله ، مسلمًا وجهه لربه (عز وجل)[1]، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

٣ - الانحراف في التطبيق:

وقد ترتب على ذلك الانحراف في مفهوم العبادة انحراف آخر في تطبيق العبادة، فحتى الشعائر التعبدية التي حُصرت العبادة فيها بحسب، هي الأخرى نالها ما نالها من الضعف والميل بها عن حقيقتها وغايتها، وهذه نتيجة متوقعة وبدهية معروفة؛ فالانحراف في الفهم لابد أن ينتج عنه انحراف في التطبيق، ويوضح الأستاذ محمد قطب (وفقه الله) هذا الانحراف، فيقول:

« حين صار المطلوب كله هو أداء الشعيرة، وانحصرت « العبادة » كلها في هذا الأمر، كان حريًا بهذا اللون من العبادة أن ينحسر أكثر فأكثر، حتى يصبح المطلوب هو أداء الشعيرة بأي صورة

---

١) وقد تحدث الأستاذ محمد قطب حول هذا الموضوع حديثا مستفيضاً وفق فيه، عند حديثه عن مفهوم العبادة، انظر كتابه (مفاهيم ينبغي أن تصحح).

دراسات تربوية

كانت.. ولو كان أداءً آليا بغير روح، أو أداء تقليديًا يحركه الحرص على التقاليد أكثر مما يحركه الدافع إلى عبادة الله.

وتلك هي الصورة التي انتهت إليها العبادة في الجيل الذي شهد الانهيار».

٤ ـ الانحراف في مصدر التلقي:

ترتب على الانحراف السابق في مفهوم العبادة انحراف أشد خطرًا وأسوأ أثرًا ، حيث كان الانحراف السابق ذكره منحصرًا على مستوى الفرد ، بينما هذا الانحراف الذي نحن بصدده يتمثل في النظم التي تحكم في أكثر بلدان المسلمين اليوم، والتي يسعى أربابها إلى عزل الدين عن الحياة وتوجيهها وتنظيمها، وحصره بين جدران المسجد وأداء الشعائر التعبدية، ولسان مقالهم أو حالهم يردد تلك المقولة الجاهلية، والتي قالها أصحاب مدين لنبيهم شعيب (عليه الصلاة والسلام) ويقولها العلمانيون في زماننا: ما للدين وحجاب المرأة وعملها، ما للدين والسياسة وموالاة الكفار ومحبتهم، ما للدين والاقتصاد، ما للدين والإعلام والتعليم..!! إلخ، الدين: أن تعبد الله في المسجد، وتقرأ القرآن، وتذكر الله... هكذا يزعمون!! أما الحياة فلها نظمها التي تتناسب مع تطورها.. إلى آخر هذا الهذيان والانحراف والفجور.

إن هذا الفهم الأعوج هو ما قاله أهل مدين لنبيهم شعيب ﷺ بعد أن دعاهم إلى التوحيد وترك البخس والنقص في المكيال والميزان، قال الله (عز وجل): **﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾** [هود: ٨٧]. إنهم يقولون: يا شعيب: ما دخل عبادتك وصلاتك في حياتنا الاقتصادية، وفي اتباعنا لآبائنا وطاعتهم فيما كانوا يعبدون.. سبحان الله! ما أشبه قلوبهم بقلوب الجاهلين في زماننا هذا، وما أشبه مقولتهم بمقولة العلمانيين المنافقين(١).

والحاصل مما سبق: إذا حصرت العبادة في الشعائر التعبدية فحسب ،

---

١) تحدث الأستاذ سيد قطب عن قوله (تعالى): ﴿أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ الآية حديثًا قيمًا، فضح فيه منطلقات العلمانيين من الدين وتعاليمه ومحاولاتهم الدائبة لفصل الدين عن الحياة بدعاوى ما أنزل الله بها من سلطان، انظر الظلال (آية ٨٧ من سورة هود).

فما معنى قوله (تعالى): ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وما معنى قوله (تعالى): ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقد علق العلامة الشنقيطي (رحمه الله) على هذه الآية، فيقول:

« فهي فتوى سماوية من الخالق (جل وعلا) صرح فيها بأن متبع الشيطان المخالف لتشريع الرحمن مشرك بالله»(١).

إذن: فإن من أخص خصائص العبادة: الطاعة، والاتباع، والخضوع، والانقياد، فكما أن العبادة تأتي بمعنى الدعاء والنسك، فهي تأتي أيضاً بمعنى الطاعة والاتباع، ولكن الجاهلين أو المتجاهلين يريدون حصرها فقط في الشعائر التعبدية والعبادات الخاصة، ثم لا دخل بعد ذلك للعبادة في شؤون الحياة وتسيير دفتها.

وإن الذين يرون هذا الفصل المشين والفصام النكد بين الدين والحياة على قسمين:

*** إما أن يكونوا جهلة بحقيقة الدين وحقيقة العبادة في الإسلام،** إذ لم يكن لهم حظ من العلم الشرعي ينير بصائرهم، وإنما غاية ما عندهم ثقافات مشوهة من الغرب أوالشرق تسربت إلى قلوبهم على حين غفلة وخواء، فتمكنت منها، وهؤلاء وأمثالهم من الذين انحرفوا بمفهوم العبادة عن معناها الصحيح بسبب جهلهم، وقد نرى بعضهم من المصلين، الصائمين، التالين للقرآن الكريم! .

وعلاج هذا الصنف من الناس يكون بالعلم الشرعي، والرفق بهم حتى يفقهوا هذا الدين بمعناه الصحيح.

*** والأخطر من أولئك هم الذين يفهمون حقيقة العبادة وحقيقة دين الإسلام، ولكنهم يستكبرون عن** الانقياد لهذا الفهم، وينطلقون بخبث وغرض سيء لإثارة الشبهات، وصرف المسلمين عن دينهم، وتشويه هذه المفاهيم في نفوسهم، وهؤلاء إن صلوا أو قاموا ببعض الشعائر فهو نفاق وزندقة. والحذر من هؤلاء يجب أن يكون على أشده، كما أن فضح أفكارهم وخططهم هو المتعين، فهم من المنافقين الذين جاء

١) أضواء البيان ٧، / ١٧٠ .

الأمر الإلهي بمجاهدتهم، قال (تعالى) : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩].

٥ ـ الانحراف في المفهوم والتطبيق:

ومن مظاهر الانحراف في مفهوم العبادة وتطبيقها ما عرف عن بعض غلاة المتصوفة وزنادقتهم من أن أداء العبادات والطاعات مرتبط بحصول اليقين المطلق ـ هكذا زعموا ـ فإذا وصل العبد إلى هذا المستوى سقط عنه التكليف ولم يعد في حاجة إلى العبادة التي هي من منازل العامة! ، أما الخاصة، ومن يسمونهم بالأبدال والأقطاب: فقد بلغوا درجة اليقين التي ترفع عنهم التكاليف والعبادات (نعوذ بالله من هذه الحال)، ونبرأ إلى الله (عز وجل) من أهل الزندقة والإلحاد [١] .

هذا ... ومن شطحات الصوفية في مفهوم العبادة أيضاً: المقالة المشهورة عن بعضهم من أنهم «لا يعبدون الله خوفاً من ناره، ولاطمعاً في جنته ، وإنما حبًّا له وشوقاً إليه».

وواضح ما في هذا الكلام من تكلف وانحراف عن طريق الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، وسؤالهم الله (عز وجل) جنته وتعوذهم به من النار، يقول شيخ الإسلام (رحمه الله تعالى) في معرض رده على هذه المقالة:

« كان أفضل الخلق يسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار، ولما سأل بعض أصحابه عما يقول في صلاته، قال: إني أسأل الله الجنة وأعوذ بالله من النار، أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ ، فقال: «حولها ندندن» [٢]» [٣] .

وقال من قال من السلف: « من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري (أي خارجي) ؛ ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد » .

إذن: فالعبادة الحقة هي التي تجمع بين المحبة والخوف والرجاء والذلة والخضوع ،كماسبق ذلك في تعريف العبادة وحقيقتها.

---

١) وقد فضح الإمام ابن القيم هؤلاء المتصوفة الزنادقة في (مدارج السالكين)، ١/١٠٣، ١٠٤.

٢) ابن ماجة في الإقامة (٩١٠)، والدعاء (٣٨٤٧)، وأبو داود في الصلاة (٧٩٢) ، وفي صحيح ابن ماجة (٧٤٨).

٣) تفسير ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] لابن تيمية، تحقيق: عبد العلي حامد، ص١٣.

الانحرافات العقدية والعلمية

في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهـا في حيـاة الأمـة



خالد أبو الفتوح

الأمة الواعية هي التي تراجع نفسها من حين لآخر، تتأمل ماضيها بعين البصير، وتنقد حاضرها بعين الرقيب، وتستشرف مستقبلها بعين الناصح الأمين.

والعلماء (ورثة الأنبياء) يضطلعون بالدور الأكبر في هذه المراجعة، دور الطبيب الحاذق الخبير، الذي يتفحص الأعراض والظواهر؛ ليقف على حقيقة العلة والداء، ثم يصف بناءً على ذلك ـ مسترشداً بالنور وشفاء الصدور ـ علاج هذا الداء وطريقة استئصاله، ليعمل أهل الخير وطائفة الحق ـ منطلقين من أرضية ثابتة، معلومة الأبعاد ـ لتصحيح ما فسد، وإقامة ما اعوج.

والرسالة التي نحن بصددها هي من هذا النوع المُعِين على الوقوف على حال الأمة وواقعها بعد عهود من انفراج خط الانحراف، حتى وصل إلى مرحلة يصعب فيها ـ إلا على من وفقه الله (عز وجل) ـ إبصار الصراط المستقيم، وسط تشويش الداعين إلى أبواب الضلال.

وهذه الرسالة من الأهمية بمكان في هذا المجال، حتى قال عنها مقدمها والمشرف عليها الشيخ محمد قطب (وفقه الله) في تقدير بالغ ممزوج

بتواضع جم : « .. ولكنني أشهد أن رؤيتي لهذه القضية كانت رؤية الخطوط العريضة فحسب، أما الباحث : فقد حاول ـ وبنجاح ـ أن يقرأ الخطوط الدقيقة ، وقد فوجئت ـ وأنا الذي وجهته ووجهت طلابي إلى هذه النقطة ـ بأن واقع الأمة الذي أحدثهم عنه كان أسوأ بكثير مما حدثتهم عنه، وأسوأ بكثير مما كنت أعرف منه .. ».

« ولقد وضع يده على أخبار وحوادث لم أكن على علم بها، وهذه شهادة مني له ، شهادة تقدير للعمل الذي قام به » .

وموضوع الرسالة: «**الانحرافات العقدية والعلمية ـ في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ـ وآثارها في حياة الأمة**» (*).

وهي رسالة علمية تقدم بها مؤلفها الباحث «**علي بن بخيت الزهراني**» إلى قسم الدراسات العليا الشرعية ، فرع العقيدة ، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ونال عنها درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية فرع العقيدة، بتقدير ممتاز، مع التوصية بطبع الرسالة وتبادلها، وخرجت الرسالة ـ بعد طبعها ـ فيما يزيد عن ألف صفحة ، من القطع العادي (١٧سمX٢٤سم).

وقد قسم الباحث أطروحته ـ التي أمضى خمس سنوات لإتمامها ـ إلى مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة أبواب ، وخاتمة :

ـ اشتملت **المقدمة** على بيان الموضوع ، وأهميته ، والأسباب التي دعت إلى اختياره، وبعض ما اعترضه من عقبات ، وعرض خطة البحث .

ـ أما **التمهيد**: فتناول فيه باختصار: أحوال الأمة الإسلامية قبل القرنين محل الدراسة ، وركز فيه على أهمية العقيدة في حياة الأمة، مع بيان حال الصدر الأول من الصحابة، وأثر العقيدة فيهم ، ثم عرّج على ظهور الفرَق وبذور الانحرافات قبل القرنين المقصودين بالدراسة.

ـ وكان موضوع **الباب الأول** : **الأحوال العقدية والعلمية عند المسلمين في القرنين الماضيين** . ويعتبر هذا الباب عمدة الرسالة وأساسها ، وقد حوى تسعة فصول :

ناقش في الأول : انحصار مفهوم

العبادة ، والآثار السيئة التي ترتبت على ظن كثير من الناس أن العبادة هي مجرد أداء الشعائر التعبدية فقط .

وعرض في **الثاني : الفكر الإرجائي الذي يخرج العمل من الإيمان** ، وخطورة هذا الانحراف الذي هيمن على ساحة الفكر الإسلامي .. حتى قال عنه الأزهري : « ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على أهله من الإرجاء » .

وكان **الفصل الثالث** عن: **ضعف عقيدة الولاء والبراء**، التي تحولت إلى عقيدة عمياء عند أبناء المسلمين، وأوضح الأدوار التي أسهمت في إضعافها، بدءاً من دور السلطان العثماني « محمود الثاني » الذي قال : « إنني لا أريد ـ ابتداءً من الآن ـ أن يميز المسلمون إلا في المسجد ، والمسيحيون إلا في الكنيسة ، واليهود إلا في المعبد، إني أريد ـ ما دام يتوجه الجميع نحوي بالتحية(!) ـ أن يتمتع الجميع بالمساواة في الحقوق، وبحمايتي الأبوية . . » .

ثم عرض الباحث لأدوار أخرى أضعفت هذه العقيدة.

وفي **الفصل الرابع**: بيّن **غربة العقيدة الصحيحة ومقاومتها**، والافتراءات الكاذبة والتهم الباطلة التي حوربت بها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) .

ثم أوضح في **الفصل الخامس**: **هيمنة الفلسفة وعلم الكلام على علماء العقيدة ومؤلفاتها** ، بدءاً من العصر العباسي، وكيف انتهت دراسة العقيدة إلى مجرد دراسات لعلم الكلام في الكليات الشرعية في الجامعات الإسلامية المشهورة.

وأما **الفصل السادس** : فقد أطنب في بيان **انتشار مظاهر الشرك والبدع والخرافات** ، وقسمه إلى قسمين : أولاً: انتشار مظاهر الشرك ، ثانيًا : انتشار البدع والخرافات.

فتحدث في **القسم الأول**: عن بناء المساجد على الأضرحة والقبور، والاستغاثة والاستعانة بأصحاب هذه الأضرحة ، والذبح والنذر لها ، . . . وغير ذلك من مظاهر الشرك الأكبر والأصغر التي هيمنت على حياة الناس، الذين وصل الغلو ببعضهم إلى القول « بإسقاط فريضة الحج عمن يشد

الرحـال إلى بـعـض الأضـرحـة الـتـي يعظـمونها ويعبدونها من دون الله (عز وجل) »، وأصبح عندما « يداهم الأمة عدو أو ينزل بها خطب فلا تستعد كما يجب ـ إن هي استعدت أصلاً ـ ؛ لأن عندها من (الأرباب) ما لم يخل منهم قُطر ولا مصر ، فإذا دهمهم خطر فسرعان ما يهرع كل أهل بلد إلى مربوبهم! (مقبورهم) ... فيلوذون به ويستغيثون بجنابه ... » ! نعوذ بالله من الخذلان.

وفي **القسم الثاني**: تحدث عن انتشار البدع والخرافات ، ومنها الموالد والاحتفالات.

ثم كان طبيعيًا أن يكون الحديث في **الفصل السابع** عن: **الصوفية في هذين القرنين**: نشأتها، وأسباب انتشارها، ونفوذ أربابها في العالم الإسلامي، ونظرتهم إلى العلم والحياة ، ودعائم نظامهم التربوي وعقائدهم المنحرفة.

ثم تحدث في **الفصل الثامن** عن : **ازدياد نشاط الفرق المنحرفة وحربها للمسلمين** في هذين القرنين ، من رافضة ، ونصيرية ، ودروز ، وإسماعيلية . وبهائية، وقاديانية ...

وكان **الفصل التاسع** والأخير من أهم فصول هذا الباب ، حيث تحدث عن : **موقف العلماء** ، وأنه لم يكن على المستوى المطلوب، فقد تجافى كثير منهم عن المشاركة في الحياة العامة والتأثير في الأحداث ، كما شارك كثير منهم في الابتداع في الدين، مما جعل الإسلام أشبه ما يكون بالديانات المحرفة؛ لكثرة ما ابتُدِعَ فيه، كما انغمس كثير منهم في متاع الحياة الدنيا، فكانت النتيجة: عدم قيامهم بالأمانة التي حمَّلهم الله (عز وجل) إياها، « بينما البقية الصالحة منهم قد قبعت في بيوتها ، أو انزوت في الدرس والكتاب ، تحسب أن مهمتها قد انتهت إذا لقنت الناس العلم».

وبذلك انتهى الباب الأول الذي استغرق حوالي نصف الرسالة، إذ هو ـ كما يقول الباحث ـ : «المقصود الأعظم من البحث» .

ـ أما **الباب الثاني**: فقد كان موضوعه: **الانحرافات العلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين** ، وقد فصله إلى فصول

ثلاثة:

تحدث في الفصل الأول عن: **المستوى التعليمي ومناهج التعليم**، حيث « حدث تقلص ضخم (في مناهج التعليم) أبعد بالتدريج كل العلوم (الدنيوية) من معاهد العلم، في ذات الوقت الذي اقتصرت فيه العلوم الشرعية على فكر القرن الخامس على أكثر تقدير .. » وبدون أي تغيير، فكان المستوى التعليمي مقيداً بالمختصرات والشروح والحواشي والتقريرات، مع عدم اهتمام العلماء بعلم الحديث.

وفي الفصل الثاني: تناول: **التعصب المذهبي وآثاره السيئة على الحياة العلمية في هذين القرنين.**

وختم هذا الباب بالحديث في الفصل الثالث عن **رفض إعادة فتح باب الاجتهاد** الذي أغلق منذ القرن الخامس الهجري؛ لعدم الحاجة إليه آنذاك !!، وقد أشار الكاتب إلى الأسباب التي دعت إلى إعلان غلق باب الاجتهاد، ونوّه بجهود الإمام الشوكاني في مقاومة تلك المشكلة، وذكَر الآثار المترتبة على رفض إعادة فتح باب الاجتهاد، التي كان من أهمها: تجميد حياة الأمة وتوقفها عن النمو، لأنها محكومة بقوالب لم تعد تلائمها، ثم خروج هذه الحياة عن هذه القوالب، في الوقت الذي تخرج فيه من ظل الشريعة، فكان استيراد المبادئ والنظم الأوروبية بديلاً عن مرونة الاجتهاد الذي أُغلق بابه.

ـ وكان **الباب الثالث**: نتيجة حتمية للبابين السابقين، حيث تحدث عن **الآثار المترتبة على الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين** محل الدراسة، فتحدث ـ بعد التمهيد ـ في **الفصل الأول** عن: **الآثار الداخلية** (تفشي الضعف في الأمة)، فتناول: الضعف السياسي والحربي، الذي كانت ذروته: سقوط الدولة العثمانية، وتفكك ولاياتها، وما سبق ذلك من امتيازات أجنبية، وما وقع من ضعف حربي عسكري، كان سبباً مباشراً في هزائم المسلمين.

وتناول أيضاً: الضعف الاقتصادي الذي أحاط بالعالم الإسلامي في تلك الفترة، وأسباب حدوثه.

ثم أوضح ثالثًا: الضعف العلمي،



حيث التخلف في كل المجالات ، ومن ذلك : الأمية التي ما زالت نسبتها مرتفعة جداً، ووصل الضعف في هذا المجال إلى حد دراسة الدين واللغة والتاريخ في جامعات الغرب.

ثم تحدث أخيراً عن : الضعف الأخلاقي والاجتماعي ، وسقوط كثير من القيم الأخلاقية والاجتماعية ، بعد أن تحولت إلى مجرد تقاليد خاوية وعادات جوفاء لا رصيد لها من الدين.

أما الفصل الثاني، فكان عن : **الآثار الخارجية** ، واشتمل على ثلاث نقاط :

أولاً: الاستعمار الذي بسط سيطرته إثر قابلية العالم الإسلامي له؛ نتيجة الانحرافات المشار إليها سابقًا ، ولم يكن رحيله إلا ظاهريًا في أكثر الأحيان.

ثانيًا: الغزو الفكري واستيراد المبادىء والنظم من الغرب ، وقد كان الواقع العقدي المنحرف مدعاة للتغريبيين أن يقودوا الأمة حيث يريدون، حيث ركزوا على تنحية الشريعة الإسلامية ، وفصل الدين عن الحياة (العلمانية) ، وقضية تحرير المرأة، وقضية التطور ونبذ الدين ، وقضية القومية والوطنية ... وقضايا أخرى كثيرة حاولوا استغلالها لتهميش الإسلام والطعن فيه.

ثم كان **المبحث الثالث** في هذا الفصل عن: النشاط التنصيري في العالم الإسلامي : حيث استفحل هذا النشاط ، مستغلاً الظروف الاجتماعية السيئة من فقر وجهل ومرض وتخلف... ولئن أخفق هذا النشاط في تنصير أحد من المسلمين ـ إلا في النادر ـ إلا إنه نجح في زعزعة إيمانهم ، وخلخلة عقيدتهم ، وبث سمومه الفكرية والأخلاقية فيهم، ونزع الثقة من نفوسهم ، حتى تمكن من هزيمة أرواحهم وأسر عقولهم .

ـ وكان **الباب الرابع والأخير** عن : **الصحوة الإسلامية وآفاق المستقبل** ، وقسمه إلى فصلين : تحدث في الأول عن : **أثر حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العالم الإسلامي** ، وقد اهتم فيه ببيان زيف ادعاء تأثر بعض الحركات والشخصيات بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) ، أكثر من اهتمامه بمن تأثر بدعوته حقيقة، وبيّن أن الأثر الأكبر

لدعوة الشيخ كان في تبوؤ المنهج السلفي مكانة مرموقة في فكر شباب الصحوة الملتزمين بذلك المنهج.

أما **الفصل الثاني** فكان عن: **الصحوة الإسلامية في العصر الحاضر**، فتناول **أولاً**: العقبات في طريق الصحوة، وأهمها: استمرار الانحرافات العقدية، وما يقع من تفرق وتشاحن بين الفصائل داخل الصحوة، بالإضافة إلى تواطؤ أعداء الإسلام من منافقين ومشركين ويهود ونصارى على ضرب الصحوة، وحربها، والعمل على إجهاضها.

ثم تناول **ثانياً**: المبشرات في طريق الصحوة وآفاق المستقبل، حيث ذكر بعض المبشرات الواقعية: كاتساع القاعدة الجماهيرية، وإفلاس المذاهب المعادية للدين، ثم تحدث عن آفاق المستقبل في ضوء النصوص الشرعية.

ـ وأخيراً: أنهى الكاتب بحثه **بخاتمة** موجزة حوت سبع عشرة خلاصة، هي أهم النتائج التي توصل إليها.

* * *

وبعد: فإننا لا نستطيع إلا أن نشيد بهذا الجهد، الذي ندعو الله (عز وجل) أن ينفع به، وأن يكون ذخراً لكاتبه وكل من أسهم فيه.

وإن كانت هناك بعض الملاحظات (التكميلية) للرقي بهذا العمل إلى أقصى درجات النفع (من وجهة نظري الشخصية)، ومن ذلك:

١ ـ طول البحث وكثرة استطراداته ووفرة شواهده، وهذا إن كان ميزة في أطروحة علمية ـ كما هو أصل الكتاب ـ إلا أنه كان ينبغي إعادة النظر في ذلك عند نشره كمطبوعة يتم تداولها بين المخاطبين بالكتاب، وذلك حتى تتسع دائرة المستفيدين منه؛ لكي «لا ينشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»، ولعل الله (عز وجل) ييسر اختصاره أو تهذيبه؛ لتعم الفائدة منه.

٢ ـ عدم اعتنائه بذكر ودراسة الشخصيات والحركات التي حاولت مقاومة تلك الانحرافات، مكتفياً بالتنويه بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقط، فمع أهمية جهود حركة الشيخ (رحمه الله)، إلا أنه كان ينبغي عدم إغفال الجهود الأخرى لهؤلاء، حتى لو كان هناك على بعض هذه

الشخصيات والحركات بعض المآخذ والملاحظات ، فكان لا ينبغي إهمال جهودهم في تصحيح انحرافات عديدة (شرك القبور ـ العلمانية ـ الولاء والبراء ـ التعصب المذهبي والجمود الفقهي ...).

كما كان ينبغي دراسة مدى نجاح أو فشل جهودهم، وأسباب ذلك، فمن وجهة نظري: كان ينبغي إفراد باب لهذه الجهود ، وعدم الاكتفاء بذكرها عرضًا ـ كما فعل الباحث ـ ، مع الاعتراف بأن هذه النقطة تبعد قليلاً عن عنوان البحث ، ولكنها مهمة .

وفي هذا الباب : كان سيبدو الفصل الرابع من الباب الأول والفصل الأول من الباب الرابع في مكانهما الصحيح؛ حيث بدا الفصل الرابع (غربة العقيدة الصحيحة [التي حملتها حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب] ومقاومتها) غريبًا موضوعيًّا عن فصول الباب الأخرى ، كما بدا الفصل الأول من الباب الرابع (أثر حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العالم الإسلامي) غير وافٍ لموضوع الباب (الصحوة الإسلامية وآفاق المستقبل) .

٣ ـ ومما يتعلق بما سبق ، فقد كان تناوله لأثر حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب يشوبه بعض العاطفية وعدم العمق ، وكنا ننتظر اتباع الباحث المنهج العلمي الرصين ، الذي اتبعه في بقية الرسالة ، خاصة مع حركة بثقل وتأثير حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) .

٤ ـ كما كان يحسن بالباحث (تكميلاً لجهوده) بحث طرق ووسائل علاج الانحرافات المذكورة ؛ لتكمل إنارة الطريق لشباب الصحوة المباركة .

والرسالة على العموم جهد طيب وعمل مشكور جدير بالاطلاع عليه .. وملاحظاتي هذه لا تغض من أهمية الرسالة وقيمتها العلمية.

---

*) نشر هذا البحث عن طريق (دار الرسالة للنشر والتوزيع) بمكة المكرمة .

اليسار العربي وصلته بالنص القرآني



بقلم: عبد اللطيف بوعبد اللوي

كان عصرنا الراهن عصر التدافع العقدي، وكان وطننا الإسلامي مسرحًا لهذا التدافع، لكنه لم يكن تدافعًا أصيلاً منبعثًا من خصوصيات الأمة الحضارية والعقدية، ناتجًا عن تطورات طبيعية وسط مجتمعاتها، بل لم تكن الأصوات التي كانت تتعالى عندنا تنادي بهذا المذهب أو ذاك سوى أصداء وأبواق تردد ما يلقى إليها من الخارج.

وأبرز المذاهب التي صُدّرت إلينا في هذا العصر، ووجدت لها أنصاراً، وتشكلت على أساسها أحزاب ومنظمات، كان هو المذهب الاشتراكي، وهو لم يكن ـ كغيره ـ مذهبًا أصيلاً، منسجمًا مع تاريخ الأمة، ومنبعثًا من طبيعة تكوينها الحضاري؛ لذلك: فقد اصطدم بواقع يتناقض مع أطروحاته الفكرية ورؤاه التغييرية.

إذ كيف يمكن لأمة أقيمت على أساس ديني، وتشكلت علاقتها وبنياتها المختلفة انطلاقًا من مقتضيات دينها (الإسلام)، وما تزال وفيّة لدينها مستمسكة به، رغم كل الحملات المتوالية التي استهدفت إبعادها عنه، كيف يمكن لأمة من هذا الطراز أن تتقبل مذهبًا يؤمن بأن المادة هي أساس الوجود، وأن تحولاتها هي المتحكمة في مختلف التحولات الأخرى، والغيب عنده لا مكان له في هذا التحول، والدين لا يعدو أن يكون ظاهرة تاريخية، وإفرازاً لأوضاع معينة تحددها الصراعات الطبقية؟.

لذلك: فقد كان منتظراً أن طرحًا وفيًّا للمذهب الاشتراكي وأسسه الفكرية، لن يجد له أنصاراً داخل الشعوب الإسلامية المتدينة بطبيعة تكوينها.

وحتى يُمكنّ هذا الاتجاه لنفسه :كان عليه أن يلجأ إلى أسلوب

المداراة والمراوغة الفكرية حتى يجد لِذَاته حيزًا وسط الأمة، ونلحظ هذا الأسلوب من خلال كتابات زعماء اليسار داخل وطننا الإسلامي.

يقول باحث يساري: «إن التدين من العناصر الأصيلة في تكويننا الحضاري، والتدين أحد الأسلحة الخطيرة في أيدي اليمين؛ ولهذا كان المنتمي إلى اليسار في موقف رد الفعل من الدين والمتدين معًا بصفة عامة ، إنه يجد نفسه وجهًا لوجه أمام نقطة شائكة، وهي: أن أدوات التغيير ليست صناعة محلية، إنه في مأزق لم يعرفه الثوري في الغرب، وهو مأزق نفسي مرير، فبينما يتسلح الأوروبي بالماركسية ـ وهي صناعة أوروبية ـ في وجه الدين المسيحي ـ وهو بضاعة مستوردة ـ يفاجأ الثوري في الشرق بأنه يقف في الطرف المقابل، يستورد الفكر ونظريات التغيير من أوروبا، ليواجه حضارة متدينة من آلاف السنين؛ لهذا : يكون موقف المنتمي إلى اليسار في بلادنا هو رد فعل لجوهر هذه الحضارة، وردود الفعل تتسم بالتضخم والانفعال والمبالغة، ومن ثم: يصبح الموقف من الدين هو نقطة البدء عند اليساري العربي، وليس كذلك موقف اليميني من الدين؛ لأنه يرى فيه منذ البداية مسندًا مريحًا للكسل العقلي، وعاملاً خطيرًا في توطيد مصالحه الاجتماعية، فأغلبية الجماهير الشعبية متدينة وجاهلة، وبالتالي: يمكن الاعتماد عليها من هذه الزاوية، خاصة إذا كانت هي الهدف في الاستغلال الاجتماعي»[1].

لا يخفى ما في هذا الكلام من تعامل (مكيافيلي) مع الدين، فقد كان يتمنى الكاتب لو لم توجد هذه العقبة في وجه اليساري العربي، حتى يجد الطريق ممهدًا لبسط مقولاته، كما فعل رفيقه في الغرب، ولكن ما دام الواقع غير ما يتمنى فعليه أن يكيِّف مقولاته مع هذا الواقع، وذلك حتى يوجه مؤسسة الدين لخدمة توجهه، وانتزاعها من قبضة اليمين « فإن الدين كان وما يزال مؤسسة قوية من مؤسسات اليمين»![2] يتخذه تُكأة لتزكية الأوضاع

---

١) كلام للدكتور غالي شكري، انظر: لعبة اليمين واليسار، د.عماد الدين خليل، ص ٥٩ ـ ٦٠.

٢) عن «عباس صالح» ، المصدر نفسه ، ص ٦٧ .

مقال

القائمة والمحافظة عليها.

وجب إذن تفسير النصوص الدينية تفسيراً ثوريًا تقدميًا، بدل التفسير الرجعي المتخلف الذي يعكس الاختيارات اليمينية المحافظة، يقول يساري آخر: «إن العلم الاشتراكي علم عصري جدًا، وأجنبي بالنسبة إلينا، وهذا سبب من الأسباب الجوهرية في أن الاشتراكية ما زالت غير واضحة بالنسبة لجماهير الشعب...

والحقيقة: أن الدين الإسلامي ـ وهو دين الغالبية عندنا ـ قد فسر تفسيرات رجعية كثيرة (!).. وما تزال هذه الأفكار والتفسيرات الرجعية (!) متغلغلة في واقعنا حتى اليوم، فالدين الإسلامي لا يتناقض أبداً مع جوهر الاشتراكية (!)، فهو دين قائم على التكافل، وليس المطلوب أن نعود إلى تطبيق أنظمة قديمة.ونتجاهل النظم الحديثة، وهي نظم علمية تم تجريبها وثبت نجاحها!، وإنما المطلوب أن نوضح أن الخطوط العامة في الإسلام لا تتعارض مع الاشتراكية؛ وبذلك: نستطيع أن نستميل (!) الجماهير إلى الاشتراكية...»[1].

فالغرض إذن: ليس هو الاسلام، بل التمكين للاشتراكية في الواقع الإسلامي من خلال استغلال مَصْلحي للدين.

إن هذه الأقوال تُصَيِّر الدين لعبة بين قطبي اليمين واليسار، وأداة لتوجيه الجماهير في هذا الاتجاه أو ذاك، وهو ـ عندهم ـ لا حقيقة له مستقلة تُميِّزُه، فلا يُتصور أن تقوم جماعة بحمل رسالة هذا الدين دون أن تخضع لهذا التصنيف الثنائي (يمين أو يسار)، وهذا منطق يعكس نظرتهم الابتدائية للدين،كما يجدون ذلك مكتوبًا في أدبياتهم ومنطلقاتهم الفكرية.

وانطلاقًا من هذه النظرة: فقد امتدت أقلامهم إلى نصوص القرآن، يؤولونها تأويلات تتفق مع خطهم الفكري، وكان لهم في ذلك اعتداء

١) التاريخ الإسلامي والتفسير المادي للتاريخ، د. فتحي عثمان، ص ٣١٦.

بيِّن، واعتساف سافر على أصالة النص القرآني، وظهر جليًّا كيف يُصيِّر القرآن تابعًا لا متبوعًا، وكيف تفعل النزعات المذهبية بأصحابها.

نموذجان للانحراف الفكري:

وأوردُ فيما يلي نموذجين يصوّران هذا المسخ الفكري:

النموذج الأول: يتعرض «عباس صالح» للحديث عن الأبعاد «الثورية» لقوله (تعالى): ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ① أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ** ...﴾ [عبس: ١، ٢]، فيقول: «... فالإسلام في حاجة إلى تأييد القوي، وليس في حاجة إلى تأييد الضعفاء، إلا أن هذا الموقف كان مخطئًا، فالدين الجديد يحمل بذور الثورة الاجتماعية، ورجاله الحقيقيون هم هؤلاء الضعفاء، ولذلك: سرعان ما نزل القرآن يعتب على النبي هذا الموقف، حتى يصبح صحابته المقربون هم: صهيب، وبلال، وياسر، وعمار، وسلمان، وأبو ذر.. وغيرهم من العبيد والضعفاء، الذين كانوا يكوّنون بطانته الحقيقية...»(١). وهذا التحليل السخيف يصادم حقائق تاريخية تثبت أن من المسلمين الأوائل أغنياء استجابوا للدعوة وبذلوا في سبيلها الأموال والأنفس، وما نالهم من الأذى ليس بأقل مما نال إخوانهم من الفقراء.

وكأن الكاتب ـ بمثل هذا القول ـ يريد أن يرسي قاعدة جديدة، هي قاعدة: «الفقراء بعضهم أولياء بعض» يستبدلها بقاعدة: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [التوبة: ٧١].

إنه يريد إيهامنا بوجود حاجز بين أبي بكر وعثمان ومن إليهما من الأغنياء، وبلال وصهيب وسلمان ومن خلفهم من الضعفاء، والواقع التاريخي يثبت أن الإسلام صهر هؤلاء جميعًا في بوتقة إيمانية واحدة شعارها: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣].

ولكن لا يليق في التحليل المادي أن نتحدث عن الإيمان والتقوى، فهو حديث رجعي متجاوَز!.

---

(١) التاريخ الإسلامي والمذهب المادي في التفسير، د فتحي عثمان، ص ١١٣.

مقال

النموذج الثاني: يتعلق بتعليل مادي قدمه الكاتب عبد الرحمن الشرقاوي لحكم تحريم الخمر والميسر؛ وذلك ضمن كتابه : « محمد رسول الحرية » .

يقول متحدثًا عن الوضع النفسي المتأزم الذي آل إليه المسلمون عقب هزيمة « أحد » :

« روّع محمداً مناظر الرجال البواسل الذين ناضلوا معه في بدر وأحد، وهم ينحدرون في يأس هائل، فما يفيق الواحد منهم من الخمر، وما يغادر أماكن القمار إلا ليستمتع بإحدى المغنيات أو الراقصات اليهوديات. . . وأخيراً. . أطلق (يعني: محمداً) منادياً يدعو الناس إلى ترك الخمر؛ فقد حرمت، فلا يقربونها، وعليهم ألا يقربوا الميسر ولحم الخنزير. . . »(١).

والتحريم عند الكاتب كان لغرض اجتماعي بحت، يقول معللاً حكم التحريم: « . .ليدفعوا أموالهم لأسر الشهداء، بدلاً من تبديدها في الخمر والقمار ولحم الخنزير »(٢).

والكاتب لا يُخالف في كون الإسلام اعتنى بمسألة التكافل الاجتماعي، وشرع من الأحكام ما يكفل تحقيق هذا الأمر والنهوض به، ولكنّ القرآن يُقرِّر صراحة أن علة تحريم الخمر كانت شيئًا آخر، مخالفًا تمامًا لما ذكره « الشرقاوي »، فقد قال (تعالى) : **﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾** [المائدة: ٩١] .

وهذا التعليل القرآني ورد مباشرة عقب حكم التحريم، ولكن الكاتب تعامى عنه وراح يسوق تعليلاً ماديًا بعيداً.

بمثل هذه التأويلات الفاسدة حاول اليساريون العرب تضليل العامة ، وإيهامهم أن الدين الإسلامي لا يتناقض مع الاشتراكية، بل

١) محمد رسول الحرية، ص ٢٣٣ .

٢) المصدر نفسه، ص ٢٣٤ .

هي صميمه وجوهره، ولكنهم مع ذلك لم ينالوا من حقائقه شيئًا، بل الذي وقع: أن تلك الدعوات أفلست في منشئها وتبرأ منها أصحابها، وتساقطت تبعًا لذلك تلك التأويلات «التقدمية» «الثورية».

كناطح صخرة يومًا لِيُوهِنَها   فَلَمْ يضرْها وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلِ

وبقي كتاب الله كما كان .

وكذلك الزمان كفيل بكشف زيف وسخف كل الاتجاهات التغريبية التي تستهدف إخراج النص القرآني عن إطاره الشرعي وسياقه التاريخي، وإخضاعه للمناهج الغربية البعيدة عنه كل البعد .

إشكالية مفهوم الديمقراطية

من خلال مدارسها (*)

بقلم: سامي محمد صالح الدلال



ليس هناك مفهوم موحد للديمقراطية، بل هو مبدأ تتعدد مفاهيمه بحسب المدارس الفكرية، ولعلي أشير هنا إلى المدارس التالية:

ـ الليبرالية. ـ الاشتراكية.
ـ الدكتاتورية. ـ المصلحية.
ـ الجبرية. ـ الإسلامية!.

المدرسة الليبرالية:

وهي المدرسة الديمقراطية بالمفهوم الرأسمالي التقليدي، وتقوم على أسس:

ـ الانتخابات. ـ مجلس نيابي.
ـ حكومة تنفيذية.

وتتضمن هذه المدرسة:

ـ تعدد الأحزاب .
ـ فصل السلطات الثلاث: التشريعية، والتنفيذية، والقضائية.
ـ استقلال القضاء.
ـ وجود ظاهرة الأغلبية والمعارضة في داخل المجلس النيابي.

وسبق أن ناقشت أهم أفكار هذه الإشكالية عند الحديث عن إشكالية مبادئ الديمقراطية.

سمات هذه المدرسة:

إن أهم ما يميز هذه المدرسة ما يلي:

١ ـ أن انتخاباتها وإن كانت حرة في الغالب، إلا أن نتائج الانتخابات لا تعبر عن الرأي الحقيقي للناخبين، بسبب خضوعهم للزخم الإعلامي الذي يدخلهم فيما يشبه التنويم المغناطيسي.

٢ ـ أن كثيراً ممن يحق لهم ممارسة الانتخاب لا يحضرون الانتخابات، إما

(*) تناول الكاتب في مقالتين سابقتين بالعددين ٩٧، ٩٨ من البيان: إشكالية زاوية النظر للديمقراطية.

بسبب أعذار يعتذرون بها، أو بغير أعذار أصلاً، أو لعدم اقتناعهم بالمرشحين، أو لعدم اقتناعهم بالديمقراطية مطلقًا ، أو لشعورهم أن الديمقراطية تفوّت مصالح لهم، أو غير ذلك من الأعذار.

٣ ـ لو نظرنا إلى الناخبين في هذه المدرسة لوجدنا أن شرائحهم في الأغلب لا تتجاوز:

ـ طلبة الجامعات والدراسات العليا.

ـ الموجّهين التربويين في مختلف المراحل التعليمية.

ـ العمال. ـ الفلاحين. ـ المهنيين.

ـ الموظفين. ـ التجار.

ـ القادة السياسيين.

ـ المفكرين ، والعلماء، والباحثين.

إن الإشكالية هنا ناشئة من ممارسة عملية محددة المعالم رغم الاختلافات الهائلة بين مستويات الذين يمارسونها، فالقائد السياسي المحنَّك له في العملية الانتخابية صوت واحد مكافئ لصوت الطالب الجامعي في سنته الأولى، فيمكن لستة طلاب أن يدفعوا بمرشح إلى الفوز بكرسي المجلس، مقابل منافس له من القادة السياسيين لم يحظ إلا بخمسة أصوات!!!.

ومثل ذلك يقال عند المقارنة بين تأثير الأصوات للمفكرين والعلماء والباحثين بالعمال أو الفلاحين .. وهكذا.

٤ ـ أن طبيعة الوسط الانتخابي، أو بيئته، تترك آثارًا اضحة على العملية الانتخابية، فالبيئة البدوية أو الزراعية لها إفرازات انتخابية تختص بها مغايرة لتلك التي تختص بالبيئة المدنية أو الحضرية.

٥ ـ أن التزوير يكاد يكون الميزة الملتصقة بالانتخابات النيابية باستمرار، وله أشكال شتى، فإما أن يقع بشراء الأصوات، أو عند فرزها، أو من خلال التلاعب بصناديق الاقتراع، وإما أن يتم بإجبار الناخب على إعطاء صوته لمرشح بعينه، أو بحجب من يحق له الإدلاء بصوته من المشاركة في الانتخابات، أو بطرق أخرى غير ذلك، محصلتها النهائية: أنها لون من ألوان التزوير.

٦ ـ قلّما تنتهي انتخابات نيابية دون أن تترك وراءها آثاراً سلبية من العداوات والبغضاء والشقاق الذي يقع بين الأحزاب والطوائف والقبائل والأفراد، فالانتخابات بحدّ ذاتها تعتبر واحدة من أدوات التفتيت الاجتماعي،

والضعف السياسي، والتبذيد الاقتصادي، والدجل الإعلامي!!.

٧ – أن المرشح في الديمقراطية الليبرالية لا بد أن يكون غنيًّا رأسماليًّا قادراً على تمويل حملته الانتخابية، أو أن يكون مدعومًا ماليًّا من جهات حزبية أو من جهات أخرى لها مصلحة من إيصاله لكرسي المجلس النيابي، وهنا يتضح دور اليهود في استفادتهم من هذا اللون الديمقراطي، حيث إن مكانتهم المالية توظف بشكل مركز لإيصال المرشحين الذي يحقِّقون مآربهم إلى قاعات المجالس النيابية.

٨ – لا يشترط في المرشح في الديمقراطية الليبرالية أي مواصفات أخلاقية تتعلق بحسن السيرة الذاتية، فشرب الخمر، والزنا، والشذوذ الجنسي، لا يعتبر قدحًا في المرشح، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن هذه الموبقات أصبحت من العادات المباحة لدى كثير من أفراد الشعوب الديمقراطية الليبرالية في أمريكا وبلاد الغرب عموماً.

٩ – المكانة العلمية والمستوى الثقافي لهما أثرهما في نجاح المرشح؛ حيث إن ذلك يترك صداه المميز في الوجاهة الاجتماعية.

١٠ – الاستعلاء الشخصي، وإبراز المميزات، وتزكية الذات، والحط من قيمة المرشحين الآخرين، وتسفيه آرائهم وذكر مثالبهم.. من أهم سمات مرشحي الديمقراطية الليبرالية.

١١ – أن أكثر الفائزين بكراسي المجالس النيابية يتنكرون لوعودهم لناخبيهم، ويخالفون ما ذكروه في شعاراتهم الانتخابية بمجرد أن يستدفئوا بحرارة كراسي المجلس.

١٢ – في الديمقراطية الليبرالية : فإن نبض المجلس النيابي بمناقشاته وقراراته لا يعبر دائماً عن النبض الشعبي وتوجهاته، فهو في حالات كثيرة يعبّر عن مصالح النواب الشخصية، وأحيانًا أخرى يتوافق نبضه مع نبض الحكومة، خاصة إذا شعر بقرب رفع سيف الحلِّ على رأسه!!![1].

١٣ – أن المجلس النيابي في الديمقراطية الليبرالية يتمتع بصلاحيات مطلقة، وله الحرية التامة غير المقيدة في

---

١) إن ذلك قلّما يحدث في البلاد الغربية، لكنه كثير الحدوث في بلاد ما يسمى بالعالم الثالث ذات نظام الحكم الديمقراطي.

اتخاذ أي قرار مهما كان منافيًا للدين أو القيم الإنسانية المعتبرة عرفًا؛ ولذلك: فإن بعض المجالس النيابية الغربية أباحت ممارسة الشذوذ الجنسي (فعل قوم لوط)، كما أباحت زاوج المرأة بالمرأة والرجل بالرجل.

١٤ - أن الليبرالية الديمقراطية الغربية هي نتاج طبيعي لغياب احتكام الشعوب الغربية لمنهاج رباني، لذا: فإنها إفراز حتمي للشعور البشري بحاجته لتنظيمات وترتيبات يقيم عليها شؤون حياته وطريقة صياغة نظم تحصيل مصلحته؛ فهي اجتهاد بشري محض لإيجاد وسيلة تشريعية ملزمة للجميع؛ ولذلك: يجب أن يشترك الجميع في صياغتها الدستورية، ولو بشكل نظري له إيقاع عملي يتم من خلال المجلس، والمجلس هو الذي عبر بطريقته الخاصة عن ذلك الإيقاع، آخذاً بعين الاعتبار وبشكل خاص ومحدد تحقيق مصالح أعضائه أولاً.

١٥ - أن قرارات الحرب والسلام وميزانية الدولة والسياسات المختلفة لا تأخذ مجراها في الديمقراطية الليبرالية إلا عن طريق موافقة المجلس النيابي عليها، وبالتالي: فإن القرارات الكبرى هي بيد المجلس النيابي أكثر مما هي بيد رئيس الدولة.

وأخيراً أقول: إن الليبرالية الديمقراطية قد مدت بساط نفوذها وتنفيذها في كثير من دول العالم الثالث وخاصة الدول الإسلامية، وهي تغذ السير ضاغطة بشدة على دفة المسار الديمقراطي في دول الاتحاد السوفييتي السابق؛ لتحذو حذوها وتختط مسارها.

المدرسة الاشتراكية:

إن المدرسة الاشتراكية تمثل وجهاً من وجوه الحكم الشمولي[1]، وبالتالي: فإن إلحاق الوصف الديمقراطي بهذه المدرسة بحاجة إلى موائمة تبريرية، فبقدر ما يبرز الإيقاع الفردي في الديمقراطية الليبرالية، يختفي هذا الإيقاع في الديمقراطية الاشتراكية؛ ذلك أن المدرسة الاشتراكية تعتمد على التعبير

١) لقد تقلصت المدرسة الاشتراكية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي تقلصاً كبيراً، ولم يبق لها إلا بعض الرموز كالصين وكوبا وبعض المخلفات في العالم الثالث.

الجماعي عن الحس الجماهيري، وذلك من خلال تحالف المفردات الإنتاجية في أطر تنظيمية بإشراف الدولة تحت شعار: «لا إله، والحياة مادة»، ولذلك: فإنني بعد هذه المقدمة سأوضح المفهوم الديمقراطي في المدرسة الاشتراكية في النقاط التالية:

١ - تقوم الدول الاشتراكية على الأحادية الحزبية، فلا مكان لتعدد الأحزاب؛ فالحزب الحاكم - وهو الحزب الوحيد - هو الذي يضع قانون الانتخابات، وهو الذي يحدد طريقة الأداء الانتخابي ،كما أنه هو الذي يحدد المساحة النيابية التي يشغلها المستقلون.



٢ - إن المستقلين لا يمثلون في مجلس الشعب الاشتراكي موقع المعارضة، فالأنظمة الحاكمة في الدول الاشتراكية لا تتسع صدورها لأي شكل من أشكال المعارضة، فالمستقلون النيابيون يمثلون حالة الانتماء فقط.

٣ - إن تقسيمة مجلس الشعب الاشتراكي تعتمد بشكل أساس على التوزيع المعدّ مسبقاً للمساحات النيابية التي تحدد لكل مرفق عامل، أو كما يسمّونه هم: مرفق منتج أو إنتاجي، وهم العمال والفلاحون بشكل أغلب.

٤ - إن مجلس الشعب الاشتراكي يمثل صيغة تحالفية للقوى المنتجة، فهو تعبير عن تحالف قوى الشعب العاملة، التي تتشكل قاعدتها ممن يسمون بالبروليتاريا.

٥ - لا ينفرز انتخابياً في مجلس الشعب الاشتراكي إلا الحزبيون الذين يتسنمون مواقع حزبية قيادية.

٦ - إن قيادات القوات المسلحة لها مداخلات معينة تؤثر على قرارات مجلس الشعب الاشتراكي.

٧ - إن مجلس الشعب الاشتراكي يجب أن يكون في خدمة السياسة العامة للحزب الحاكم، وفي حال تسرب عناصر لها اجتهادات مخالفة لتوجهات الحزب الحاكم: فإن المجلس يُحَلّ، وفي حال تمرده على الحل: يقمع بالقوة.

٨ - باستثناء العدد القليل من المستقلين، فإن مجلس الشعب الاشتراكي لا يمثل الشعب بأي حال من الأحوال ،بل يمثل القوى الحزبية، ولذلك: فإن قراراته لا تصب في مصلحة الشعب، بل تصب في مصلحة الحزب، وبتعبير أدق: تصب في مصلحة المتنفذين الحزبيين، وهي في كل الأحوال منعتقة عن التقيد أو

الاسترشاد بأي شرعة ربانية حقة: كالإسلام، أو محرفة: كاليهودية أو النصرانية.

٩ - وبناء على ما ذكرت: فإن الديمقراطية الاشتراكية هي تعبير اصطلاحي أكثر مما هي تعبير واقعي عن المفهوم اللغوي للكلمة أو المفهوم الغربي التطبيقي لها، فهي مبنية على الولاء الحزبي وعلى المرتبة القيادية لدى الذي يشغل كرسي مجلس الشعب، أما المقاييس الأخلاقية: فلا مكان لها في القاموس الاشتراكي، كما أن الوجاهة الاجتماعية ليست معتبرة لدى المرشحين لشغل كراسي المجلس.

١٠ - إن القياديين الحزبيين يشكلون مراكز قوى ابتزازية وانتهازية غير منظورة، إذ إنهم يستفيدون ماديًا من مواقعهم الحزبية، من خلال سيطرتهم على مرافق الإنتاج؛ ولذلك: فإنهم يشكلون طبقة رأسمالية ترتدي قلنسوة اشتراكية.

إن هذه الطبقة هي التي يتشكل منها مجلس الشعب الاشتراكي، فإذا كانت قرارات المجلس تكرِّس المصلحة الحزبية في العموم، فإنها تكرِّس - بوصف أدق - مصلحة أولئك القياديين الحزبيين.

١١ - إن ديمقراطية الاشتراكيين، نظرًا لكونها معبرة عن تطلعات الحزبيين، فإنها تحظى بمعارضة شعبية واسعة، تلك المعارضة التي لا تستطيع الشعوب أن تعبر عن مكنونها، حتى ولو بطريقة إظهار مجرد الامتعاض، خشية من شدة بطش القمع الاشتراكي الديمقراطي، إن المكوِّنات الجنينية للثورة الشعبية المضادة إنما تترعرع في رحم ذلك الامتعاض، حيث تتنامى شيئًا فشيئًا، إلى أن تصل إلى مرحلة التعبير عن الذات عبر ولادة قيصرية تصاحبها آلام مبرحة، تنتهي بالإطاحة بهذه الديمقراطية الاشتراكية المستغلة، وقد يحدث هذا من خلال تضحيات قليلة - كما حصل في الاتحاد السوفييتي - أو من خلال تضحيات جسيمة - كما حصل في رومانيا - والله وحده يعلم ما هي التضحيات التي ستصاحب الإطاحة الشعبية بالاشتراكية الصينية.

المدرسة الديكتاتورية[1]:

هل للديكتاتورية مدرسة ديمقراطية؟!:

---

١) لفظة «الديكتاتورية» ليست لفظة عربية، بل هي لفظة أجنبية دخلت الاستعمال العربي اصطلاحيًا؛ للتعبير عن «حالة» معينة، هي واحدة من الحالات الكثيرة التي يشملها اللفظ القرآني: «الطاغوت».

نعم، إنها ديمقراطية اللهيب والنار، ديمقراطية القمع والبطش، ديمقراطية السجون والتعذيب.

إن حديثنا عن مفهوم الديمقراطية الديكتاتورية يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

١ - إن رواد الأنظمة الديكتاتورية لا يؤمنون بالديمقراطية إطلاقًا، لكنهم يتوشحون بها لتلميع صورهم البشعة، ويفعلون ذلك من خلال اصطناع مجلس نيابي.

٢ - إن هذا المجلس لا يعبر عن الإرادة الشعبية، ولا يمثل طبقات الشعب، ولا يتشكل من خلال انتخابات حرة نزيهة، بل من خلال انتخابات موجهة محسوبة سلفًا، ومحسومة مسبقًا لصالح النظام الديكتاتوري الحاكم، ذلك النظام الذي ربما كان حزبًا متسلطًا أو فردًا طاغيًا أو مجموعة أفراد متجبرين.

٣ - وبناءً عليه، فإن تركيبة المجلس تكون معدّة سلفًا من قِبَل النظام الحاكم، ولا يصل إلى المجلس النيابي إلا من وافق النظام الديكتاتوري على وصوله.

٤ - ولذلك: فإن أعضاء المجلس النيابي في ذلك النظام الديكتاتوري ليس لهم وظيفة إلا التسبيح بحمد النظام الحاكم، وسنّ القوانين التشريعية التي توطد هيمنته، وتعزّز مصالح أفراده.

٥ - وبناءً عليه: فإنه لا يشترط في أعضاء ذلك المجلس أي مستوى ثقافي رفيع أو وجاهة اجتماعية معتبرة أو مقدرة مالية ظاهرة، إلا بقدر ما يكون في ذلك من خدمة للنظام (الديكتاتوري) الحاكم، ولذلك: ما أكثر ما يتاجر أولئك الأوغاد النيابيون بالرشوة وأكل أموال الناس بالباطل، وما أكثر ما يسيطرون على الشركات والمؤسسات، ويفرضون عليهم الإتاوات السرية، مستغلّين نفوذهم ومستفيدين من عضويتهم المجلسية، وهم في كل ذلك يسابقون الزمن انتهازًا للفرصة قبل أن يأتي أوان انقضائها!!.

٦ - ولذلك: فإن هذه المجالس النيابية في ظل الأنظمة (الديكتاتورية) لا تتمتع بأدنى درجة من درجات المصداقية أمام شعوبها، فالعلاقة بين تلك المجالس النيابية وشعوبها مبنية على عدم الثقة، وعلى التشكيك في النوايا، وعلى استشراء التوجّسات والتربص بالمواقف.

٧ – ورغم كل ذلك: فإن تلك المجالس النيابية تبذل جهوداً جبارة؛ لاطناع الوجه الحسن للنظام (يكتاتوري) الحاكم لتجميل (كتاتوريته أمام الشعوب المنكوبة بتلك الأنظمة، ولتلميع صورته أمام العالم، إنها مهمة شعبية ودولية! فيا لهم من منافقين، كم لهم من الوجوه؟!!.

٨ـ إن مراكز القوى في الأنظمة الديكتاتورية الطاغوتية الحاكمة تتحكم في قرارات تلك المجالس النيابية بطريقة التحكم بالآلة عن بُعد (ريموت كونترول)، فتصدر تلك المجالس النيابية قراراتها بإشارة من النظام الحاكم، وتلحسها بإشارة أخرى!!.

٩ ـ ومن ذا الذي يجرؤ من أعضاء تلك المجالس النيابية على أن يفعل أو أن ينفعل بخلاف ذلك؟! فلو فعل، فسرعان ما تسحب الحصانة المجلسية منه.

١٠ – وإذا كان ذلك جائزاً على عضو المجلس، فهو جائز على أعضائه أجمعين، ففي لحظة يقوم بإصدار أمره المتعالي بحل المجلس النيابي، وإحالة أعضائه إلى القضاء الجائر لمحاكمتهم.

١١ ـ وعندما يتأكد النظام الديكتاتوري الطاغوتي من حسن التزام المجلس النيابي بتوجيهاته وأوامره؛ فإنه يتخذ منه وسيلة لقمع شعبه بتشريع القوانين التي تعطيه صلاحيات واسعة، وأحيانًا مطلقة، للأجهزة الأمنية لتدلي بدلوها القذر في اعتقال الأبرياء وسجن المستضعفين وتعذيب المعتقلين وإعدام المعارضين.

ـ وأخيراً: لا بد من لفت الانتباه إلى أن الأنظمة الديكتاتورية هي تلك الأنظمة التي يسيطر على دفة قيادتها العسكريون في الأغلب.

المدرسة المصلحية:

تمتاز هذه المدرسة بأن روادها ليسوا ليبراليين ولا اشتراكيين ولا ديكتاتوريين ولا إسلاميين، ولا يمثلون أي انتماء آخر.

إن روادها هم المصلحيون (الوصوليون)، تلك الفئة التي رأت أن مكاسبها تزداد وجيوبها تنتفخ وتجارتها تزدهر إذا سلكت مسلك الديمقراطية.

إن إشكاليتها ليست في تأصيل الفكر العقدي والنظري، بل في تأصيل الفكر النفعي والمصلحي؛ فأفكارها لا تتجاوز هذه الدائرة، إن هؤلاء النفعيين

والمصلحيين قد يرتدون لباس الليبرالية وليسوا بليبراليين، وقد يرتدون لباس الاشتراكية وليسوا باشتراكيين، وقد يلبسون لباس الإسلام وليسوا بإسلاميين، إنهم يدورون مع مصلحتهم حيث دارت، فإذا اقتضت المصلحة خلع لباس الليبرالية وارتداء لباس الإسلاميين فعلوا ذلك،غير هيّابين ولا وجلين، بل ولا مستحين، وإذا اقتضت المصلحة خلع لباس الإسلاميين وارتداء لباس الاشتراكيين أو الليبراليين أو القوميين أو الوطنيين فعلوا ذلك، ظاهرين غير مستترين.

فما هي معالم ديمقراطية هؤلاء القوم؟!:

يمكننا رصد تلك المعالم بما يلي:

١ - أن الهيكل العام الأغلب لهذه الديمقراطية ليبرالي؛ لذا: فإنه ينطبق عليها كثير من الأوصاف التي ذكرتها حول المدرسة الليبرالية.

٢ - من خلال الممارسة قد تتطعم ببعض مواصفات المدرسة الاشتراكية والديكتاتورية.

٣ - يمارس المرشحون خلال فترة الانتخابات جميع الوسائل المشروعة وغير المشروعة للتأثير على الناخبين لاجتذاب أصواتهم، فربما اشتروا الأصوات، وربما دخلوا في تحالفات انتخابية، وعيونهم - خلال كل ذلك - منصبَّة على حجم المكاسب ومقدار المنافع وعدد المصالح التي سيجنونها إذا أفلحوا في الوصول إلى المجلس النيابي، وفي سبيل ذلك: يكيلون الوعود الكاذبة لناخبيهم، وليس في نيَّتهم إلا الخداع والغش والدجل.

٤ - يعتبر النواب المصلحيون نجاحهم في احتلال كراسي المجلس النيابي فرصة ينبغي استغلالها حتى الثمالة، إنها فرصة العمر لتحقيق أوسع المصالح الذاتية في أقصر المُدَد الزمنية.

٥ - لذلك: تراهم منهمكين في استصدار القوانين التشريعية التي تكرس مصالحهم، وإن كانت على حساب المال العام للأمة.

٦ - ما إن يحتل هؤلاء المرشحون كراسي المجلس حتى يبادروا بتأسيس الشركات، وافتتاح المؤسسات - في كافة الخدمات، ولجميع أنواع التخصصات - بأسماء أسرهم وأقربائهم، مستفيدين من مواقعهم الجديدة التي تنفتح أمامها

جميع الأبواب وتذلل كافة الصعوبات وتزال جميع العقبات.

٧- وإذا ما اقترب المجلس من نهاية مدته المقررة سارع النواب المصلحيون إلى المزايدة على شعوبهم، من خلال طرح بعض المشاريع التي تدغدغ عواطف الناس، لعلهم يحظون منهم بجميل إعادة انتخابهم للمجلس النيابي الجديد.

٨ – أن كثيراً من النواب المصلحيين لا يجدون في تصرفاتهم غضاضة، ولا يستشعرون في قلوبهم أي حرج إذا أقروا ووافقوا على الصلح مع اليهود مثلاً، طالما في ذلك تدعيماً لمصالحهم واستبقاءً لكراسيهم، وقد يوافقون الحكومة على توقيع المعاهدات التي تسوِّد بياض البلاد وتكبل حرية العباد.

٩ – أن دستور المدرسة الديمقراطية المصلحية قابل للتنقيح في أي لحظة يراها أصحاب تلك المدرسة، مما يعزز مصالحهم، ولكنه في البلاد الإسلامية غير قابل للتنقيح إذا كان ذلك لمصلحة الإسلام!!! فتأمل!!.

المدرسة الجبرية[١]:

إنها ديمقراطية الالتقاء الجبري، إنها ديمقراطية التعايش الحرج...

إنها الخيار الأوحد عند أصحابها.. فإما هي وإما الكارثة!! هكذا يقولون!!.

إنها ديمقراطية الطوائف والأديان قبل أن تكون ديمقراطية الجماعات والأحزاب.

إن خير مثال للمدرسة الجبرية هو لبنان.

ذلك البلد الذي فيه من ينتسبون إلى الإسلام (حقًّا أو باطلاً) وهم طوائف عدة: السنة، والشيعة، والدروز.

ومنهم من ينتمي إلى النصرانية، وهم أيضاً طوائف، من أشهرها المارونية.

وأما الأحزاب فحدث ولا حرج...

إن أهم ما يميز هذه المدرسة هو:

١ – أن الانتخابات في إطارها الواقعي ــ وليس القانوني ــ تتم في الأطر الدينية ثم الطائفية.

٢ – أن توزيع الرئاسات يتم في الإطار العرفي المتفق عليه، ففي لبنان مثلاً: رئيس الجمهورية نصراني ماروني، ورئيس الحكومة مسلم سني، ورئيس المجلس النيابي شيعي.

٣ – أن المصالح الطائفية مقدمة على المصالح الوطنية.

---

١) لا نقصد بهذا التعبير الاصطلاح المعروف عن مفهوم طائفة الجبرية في العقيدة.

٤ - تسود أعمال المجلس النيابي روح التربص أكثر من روح التعاون.

٥ - أن الخلافات في داخل المجلس النيابي تستمد خلفيتها من الصراع الطائفي، وليس من اختلاف وجهات النظر المتعلقة بالمصلحة البحتة.

٦ - أن استمرار بقاء الديمقراطية الجبرية متعلق باستمرار وجود حالة التوازن في التمثيل الطائفي.

٧ - أن البديل للديمقراطية الجبرية هو التقسيم الجغرافي على أسس طائفية، ذلك التقسيم الذي لا يمكن أن يحصل إلا عبر حرب أهلية، وعندما تعجز كافة الأطراف عن تحقيق مكاسب على الساحة الجغرافية يعود الجميع قسراً وجبراً إلى التعايش الحرج في إطار الديمقراطية الجبرية.



٨ - أن تمرير أي طائفة من الطوائف لقرار من القرارات من خلال المجلس النيابي يعتمد ـ بالإضافة إلى عدد الأصوات الداعمة له ـ على القوى المختلفة التي تدعمه من خارج المجلس، وخاصة القوى العسكرية والقوى السياسية المحلية والوافدة.

٩ - إن حلَّ المجلس النيابي في دول الديمقراطية الجبرية يعتبر من أصعب القرارات السياسية ؛ بسبب ما يمكن أن يؤدي ذلك إلى اندلاع الحرب الأهلية وسقوط البلاد في حمامات من الدماء.

١٠ - حتى القرارات الوطنية البحتة والمتعلقة بأمن البلاد واستقرارها وتحريرها من القوات الأجنبية الغازية، يمكن أن تكون محل خلاف ولا تتفق الأطراف الطائفية في المجلس على إقرارها، مما يكرِّس السيطرة الأجنبية ويساعد على إبْقائها.

المدرسة الإسلامية:

لا توجد في الإسلام ديمقراطية أصلاً(*)، وإنما أقحمت الديمقراطية على المسلمين إقحاماً، وبالتالي: عندما سنناقش هذا الموضوع لاحقاً تحت عنوان «إشكالية الإسلاميين في فهم الديمقراطية» فإننا لن نناقشه من باب صحة هذا الإقحام، بل من باب ما

(*) قد يتعجب القارئ من هذا القول، ولكنه في نظرنا له وجهه، وقد بحث الموضوع باستفاضة في العديد من الدراسات، من أشملها (نظام الحكم في الإسلام) د/محمود الخالدي، وقد تطرق لبيان هذا الموضوع الشيخ الصادق عرجون (رحمه الله) في كتابه (موسوعة سماحة الإسلام) في فصل (أسطورة الديمقراطية). - البيان -

تورط فيه الإسلاميون من انزلاقهم في هذا المنحدر الخطر، وعلى هذا الأساس أقول: لا توجد مدرسة إسلامية ديمقراطية، بل توجد مدرسة ديمقراطية للإسلاميين الديمقراطيين فحسب.

إن خصائص هذه المدرسة وإفرازاتها ـ التي تمثل ورطة حقيقية للمسلمين ـ ستكون محل بيان وتوضيح عند مناقشتنا للإشكالية المتعلقة بهذا الموضوع، التي نوهت عنها قبل أسطر.

الملامح المشتركة لمدارس مفهوم الديمقراطية:

من خلال تطواف سريع بالمدارس الديمقراطية التي ذكرتها، يمكننا الإشارة إلى الملامح المشتركة لها كما يلي:

١ – جميع تلك المدارس تشترك في كونها نتاج البشر، متحررة تماماً من أي استدلال رباني.

٢ – أنها تستمد شرعيتها الحقيقية من مراكز القوى الحاكمة، سواء أكانت طبقة، أو حزباً، أو عسكراً، أو عائلة، أو طائفة.. ومع ذلك: فإنها جميعاً تدعي استمداد شرعيتها الحقيقة من الشعب!.

٣ – أن المجالس النيابية، رغم كون دورها تشريعيًّا ورقابيًّا، فإنها لا تمارس هذه الصلاحيات بشكل مستقل، بل بحسب ما يوده النظام الحاكم.

٤ – إن النظام الحاكم يستطيع شراء عدد غير قليل من ذمم النواب بما يغدقه عليهم من الأعْطية والامتيازات، بما يجعلهم في النهاية موظفين لصالح خدمة مصالحه.

٥ – من خلال المجالس النيابية يصادَر أي تحرك شعبي، حيث إن حجة النظام الحاكم جاهزة: ممثلوكم في المجلس، فعلام هذا التحرك؟!!.

٦– الأخلاقيات والسلوكيات تهدر قيمها الحقيقية في جميع المدارس الديمقراطية.

٧ – فيما يخص العالم الثالث: فإن المجالس النيابية كالخاتم في يد النظام الحاكم يلبسه متى يشاء، ويخلعه متى يشاء.

تلك هي أهم القواسم المشتركة في المدارس الديمقراطية، وإن كل قاسم منها هو كارثة حقيقية في ذاته!!.

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٠].

ربَّة القهرْ

يَا رَبَّةَ الْقَهْرِ والطُّغْيَان وَالصَّلَفِ   أَرْخِي الْعِنَانَ لأَفَّاكٍ وَمُنْحَرِفِ

وَاسْتَعْجِمي الخَلْقَ وَاغْتَالِي مَقَادِسَهُمْ   عِيثِي فَسَادًا بِهَذَا الْكَوْنِ وَاعْتَسِفِي

فَالأَرْضُ أَضْحَتْ لِذات الشُّؤْمِ جَاثِيَةً   وَاللُّؤْمُ عَرْبَدَ فِي الْجُدْرَانِ والسُّقُفِ

وَاللَّيْلُ صَارَتْ لَهُ فِي أَرْضِنَا زُمَرٌ   وَالْفَجْرُ غَادَرَنَا حُزْنًا وَلَمْ يَقِفِ

كَأَنَّنَا لَمْ يَكُنْ مِنْ رَهْطِنَا عُمَرٌ   أَوْ طَارِقٌ أَوْ ذَوُو الإِقْدَامِ وَالنَّصَفِ

كَأَنَّنَا لَمْ نُقِمْ فِي الْقُدْسِ مَلْحَمَةً   بِالْعَدْلِ وَالْعِزِّ وَالإِنْعَامِ وَالشَّرَفِ

لَمْ نَخْرُمِ الْعَهْدَ يَوْمًا، لَمْ نُبِحْ حَرَمًا   لَمْ نَسْرُقِ النَّوْمَ مِنْ أَجْفَانِ مُلْتَحِفِ

كَأَنَّنَا لَمْ يَكُنْ مِنَّا أُسُودُ وغًى   أَوْ سَيْفُ عَدْلٍ طَهُورُ الْقَصْدِ والطَّرَفِ

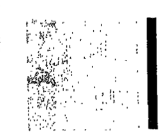
كَأَنَّنَا لَمْ نَزِنْ فَتْحًا بِمَرْحَمَةٍ   وَلا جَنَحْنَا لِسِلْمٍ صَادِقِ الْهَدَفِ

وَلا رَفَعْنَا لِنَشْرِ الْعَدْلِ أَلْوِيَةً   وَلا طَمِعْنَا بِغَيْرِ الْفَوْزِ بِالْغُرَفِ

نُجَاهِدُ الْقَهْرَ، لا نَبْغِي مُنَازَلَةً،   إِلاَّ غَدَاةَ يَسِيرُ الأَمْرُ لِلْجَنَفِ

أَوْ يَبْزُغُ الشَّرُّ فِي بَيْدَاءَ ظَامِئَةٍ   لِجُرْعَةِ الْمَاءِ لا لِلْخَمْرِ وَالزَّيَفِ

أَوْ يُصْبِحُ الأَمْرُ فِي أَيْدٍ مُلَطَّخَةٍ   بِمَا جَنَتْهُ عَلَى الأَسْلافِ وَالْخَلَفِ



***

شعر : مروان كُجُك

يَا رَبَّةَ الْحِقْدِ لَنْ يُجْدِيكِ كُلُّ لَظًى | وَلَوْ حَشَدْتِ لَهُ مَا شِئْتِ مِنْ طُرَفِ
فالأَمْرُ أصْبَحَ مَفْضُوحًا وَإنْ سَتَرَتْ | مَا تَبْتَغِيهِ حَمَاقَاتٌ مِنَ التَّرَفِ

***

هَيَّا اسْتَعِدُّوا بَنِي قَوْمِي لِنَازِلَةٍ | تَنَالُ آخِرَكُمْ فِي الْبِيدِ وَالْكُنُفِ(١)
لا تَسْتَبِيحُ بَنِي غَطْفَانَ إنْ عَصَفَتْ | وَتَتْرُكُ الرَّأسَ فِي دَوَّامَةِ الْخَرَفِ
سَتَنْهَشُ الْكُلَّ إنْ شَاؤُوا وَإنْ رَفَضُوا | وَتَزْرَعُ الطَّيْشَ فِي الأعراسِ وَالنُّطَفِ
وَتَعْزِلُ الْجَمْعَ عَنْ قُرْبَى وَمَرْحَمَةٍ | وَتَنْسفُ الْوَصْلَ فِي دَرْبٍ وَمُنْعَطَفِ
وَتَجْعَلُ الأَمْرَ لِلشُّذَّاذِ تَجْمَعُهُمْ | مِنْ كُلِّ أَرْضٍ وَتُلْقِيهِمْ عَلَى كَتِفِي
بِاللهِ عُودُوا لِمَا قَدْ عَزَّ غَابِرَكُمْ | وَوَحِّدُوهَا عَلَى الإسلامِ والشَّرَفِ
فَلَيْسَ فِي الأَرْضِ مِنْ عِزٍّ يُعِزُّكُمُ | غَيْرُ التَّجَلُّدِ عِنْدَ الْمَأْزِمِ الْوَكِفِ(٢)
وَاسْتَنْزِلُوا النَّصْرَ بِالتَّوْحِيدِ وَانْتَظِرُوا | فَتْحًا قَرِيبًا وَقَهْرَ الْهَائِجِ الصَّلِفِ

***

١) الكنف : جمع كنيف . وهو كل ساتر من بيت وغيره.
٢) الوكف : الذي يسيل بشدة وغزارة واستمرار.

الشيخ عبد المجيد الريمي

في حوار صريح عن هموم الدعوة وواقعها في اليمن

التحرير

فضيلة الشيخ عبد المجيد الريمي علم بارز من أعلام العلم والدعوة في اليمن، له جهود مشكورة في تأصيل العلم الشرعي ونشر منهج السلف الصالح، ويسرنا في هذا العدد أن نجلس إليه، نستأنس بعلمه وفضله، وقد أراد الشيخ عبد المجيد (حفظه الله) أن يبدأ هذا الحوار قائلاً:

أشكر الإخوة القائمين على مجلة البيان، وأسأل الله لهم التوفيق والنجاح في رسالتهم المهمة ، وهي: توعية الأمة، وإزالة الغثائية الفكرية والسطحية المعرفية ، وتأصيل المسائل، وتقرير الدلائل ، والجواب على المشكلات الدعوية والعقبات التي تواجه العاملين بأسلوب علمي هادئ، وأعترف هنا بأننا نستفيد كثيراً من بحوث هذه المجلة العظيمة في مسائل دعوية وتربوية ووعظية وعلمية وتاريخية.. وغير ذلك، فجزى الله الكاتبين والعاملين فيها خير الجزاء .

■ **الشيخ عبد المجيد الريمي من أبناء الدعوة السلفية في اليمن وأحد رموزها البارزين ، فما تقويمه لمسيرة هذه الدعوة؟ وما الطرح الذي يراه لمعالجة التشرذم الواقع بين أبنائها ؟.**

● لا شك أن الدعوة السلفية في اليمن قد حقق الله بها خيراً كثيراً في مجال العقيدة والتعليم والدعوة والاتباع، حيث واجهت هذه الدعوة كثيراً من العقائد الصوفية والشيعية بقوة الحجة والأدلة ووضوح المعتقد السلفي، فأحدثت تجديداً ملحوظاً في عقائد الناس

وتصوراتهم، وقللت نسبة الخرافة، وكثر المناصرون لها من أهل التوحيد، وأصبحت هذه الدعوة في كل المدن والقرى في اليمن بفضل الله، وكذلك: كثرت المراكز العلمية التي تعنى بالعلم الشرعي وتفقيه الناس بدينهم، وتجوب أنحاء اليمن قوافل من الخطباء والوعاظ والدعاة من مختلف هذه المراكز العلمية المباركة، وظهر حرص كثير من الشباب على اتباع السنة قولاً وعملاً، فلله الحمد.. وعلى كل حال: ففي حَمَلة هذه الدعوة ما في غيرهم من منافذ لتسلل الخطأ إلى فرد أو مجموعة، لأن العصمة للمنهج السلفي وليست لأفراد أو مجموعة من حملة هذا المنهج، ولكن كما قال (تعالى): **﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾** [النساء: ٥٩] فبذلك يحاصر الخطأ ويبقى المنهج العام والخط الواضح هو اتباع الدليل من قرآن وسنة، وأما معالجة التشرذم: فيكون بتحقيق أصول أهل السنة وجعلها مناط الاجتماع والافتراق وفصلها [أي: هذه الأصول] عن مسائل الاجتهاد التي تختلف فيها الأنظار والاجتهادات، فلا يشنع على المخالف فيها ويفارق من أجلها.

■ تموج اليمن دعوياً بخليط من التوجهات المتباينة، فيجد المتأمل مثلاً: إعراض فريق عن النص الصحيح تحت مبرر ما يسمى بالمصلحة، ويجد فريقاً آخر ذا نزعة ظاهرية مفرطة في تعامله مع النصوص وأخذه لها بشكل يجعله بعيداً عن اتباع منهج السلف في فهمها الذي يراعي القواعد الأصولية: من حمل للمطلق على المقيد، والعام على الخاص، ورد المتشابه إلى المحكم.. ونحوها، فهل ترون من خطورة حقيقية كبيرة على مسيرة الدعوة الإسلامية في اليمن من هذا التباين، وما الطريق الأمثل ـ من وجهة نظركم ـ لمعالجته؟.

● الواقع الدعوي في اليمن ـ كما ذكرت ـ فيه من الدعاة من يغلب جانب الواقع المفروض، فيرى ضرورة التفهم للمتغيرات التي حدثت وتحدث، بحيث تتطور الدعوة بتطور المتغيرات، وربما يحتج بالمصلحة إذا واجَهْتَه بالدليل، وليس النزاع في تقرير كون المصلحة مطلباً شرعياً ودليلاً علمياً؛ لأن هذا أمر



مسلم به؛ لأن الشريعة مبناها على المصالح والمفاسد: فتُقَدِّم خير الخيرين بتفويت أدناهما، وتُفَوِّت شر الشرين بارتكاب أدناهما، ولهذا الأمر أدلته الكلية والجزئية المبثوثة في الكتاب والسنة، وإنما النزاع في: هل ما يرتكب من مخالفات ـ فيما نراه ـ ينطبق عليه هذا الأصل، بمعنى: هل المصلحة الشرعية المعتبرة شرعًا متحققة بحيث قد ترجحت لديه المصلحة، أم إن المستدل بهذا الأصل ربما غفل عن جوانب متعددة من المفاسد؟، وبعض هذه المفاسد لا ينطبق عليها هذا الأصل المتقدم، أي: إن المصلحة الشرعية إنما هي في اجتناب تلك المخالفات باسم المصلحة لا ارتكابها باسم المصلحة، وذلك مثل الاعتراف بالمبدأ الديمقراطي وتحكيم الأكثرية في مسائل عقدية في التحليل والتحريم والولاء والبراء، ومثل الاعتراف بالأحزاب العلمانية وحقها في الوجود وممارسة سياسة الأمة وحكمها بمبادئها العلمانية المعروفة، ومن المعلوم شرعًا أن مسائل العقيدة لا تخضع للإلغاء والتسامح مع المخالفين بحجة المصلحة، وخاصة أن المطلوب التنازل عنه يصبح مبدأً ومنهجًا بالتدريج، فأول ما يستدل به المتنازلون هو أن الوقت حرج، والضرورة مفروضة، ثم مع مرور الأيام يرتفع هذا الأسلوب ويصبح التعبير عنه: بأنه الحل الأسلم، والخيار الأفضل، وأنه خير من العنف، ثم يصبح هو الحل الواجب والوحيد، وقد ذكرنا سابقًا أن المصلحة في مسائل العقيدة تكون في التزامها والتمسك بها والبراءة مما يخالفها ﴿... **فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [يونس: ٤١] ﴿**قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الأعراف: ٨٩]، وقال ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن

يقذف في النار» (متفق عليه)، فأنت ترى أن المصلحة هنا هي أن يقذف في النار، وليس بالتنازل من أجل مصلحة البقاء على حياته، وفي الحديث المذكور في كتاب التوحيد « دخل رجل النار في ذباب ودخل رجل الجنة في ذباب» (على ما قيل في سند الحديث) .. فالتنازل بذباب أوجب دخول النار، والثبات والتمسك بالعقيدة والامتناع عن التنازل ولو بذباب يتقرب به إلى الطاغوت أوجب دخول الجنة، وقد قال (تعالى): **﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (٢٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ﴾** [محمد: ٢٥، ٢٦]، ومن المعلوم أن العلمانيين يكرهون ما نزَّل الله قطعًا، ولم يأتوا بهذه الحلول المستوردة إلا للتخلص من هيمنة الشريعة عقيدة وحكمًا، فطاعتهم وموافقتهم على هذه الحلول تحقق لهم هذا الغرض الخبيث، ولم يبق إلا أن يقول الدعاة السالكون هذا المسلك: نحن لا نعترف بمفهوم الديمقراطية الغربية، فيقال لهم: لكن خصومكم من العلمانيين يريدونها بهذا المفهوم، وهم أقوى وأنتم أضعف، فكلما رجعتم إلى الضوابط الشرعية قالوا أنتم غير مؤمنين ولا معترفين بالديمقراطية في الحقيقة، فيلزمونكم بالجدية بالالتزام بها، فيبدأ النزاع في صفوف العاملين في هذا المسلك بين المحافظ والمتساهل؛ فيؤدي ذلك إلى انشقاقات وتكتلات تضعف الدعوة والدعاة، ويتسلل الخصم إلى الشخصيات الأقرب إلى التفاهم معه، فيحدث من سوء الظن والكيد وعدم الثقة ما هو معروف، ثم إن المصلحة المرجوة قد تبددت بوضع العراقيل وعدم التمكين وعدم القدرة على الحركة؛ بسبب القيود المفروضة والقوانين واللوائح التي لا يجوز الخروج عنها؛ لأنها ثوابت، وظهرت مفاسد عظيمة، منها: دعوى عدم قدرة الدعاة على الإصلاح، ومنها: فصل الشعب عن الحركة الإسلامية وتحجيمها في حزب، ومنها: إحراق الشعبية؛ لعدم تحقق الوعود.. وعندما يصل الأمر إلى منتهاه تقع الضربة القاصمة (لا سمح الله) وقد وصل الخصم إلى بغيته، من تضييق إطار الحركة الإسلامية وفصلها عن

الشعب، ليضربها وهو آمن من غضب الشعب، وقد شوه أهدافها بأنها لا تختلف عن الأهداف التي يحملها الآخرون، وهي حطام الدنيا.

وفي المقابل يأتي الفريق الآخر من الدعاة فيطرح نفسه بأنه البديل، فإذا هو يطرح أطروحات ويأتي بحلول يُعلم سلفاً أنها لن تؤدي إلى تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية، مثل: حصر الإسلام ودعوته في طلب العلم ـ ويقصد بالعلم علماً معيناً ـ، والمنع من التكتل والاجتماع على الأهداف والوسائل التي يرجى بها تحقيق غايات الدعوة الإسلامية، ومعاداة تلك التكتلات، والتحذير منها، والسعي لتفكيك اجتماعها، وتبديد جهودها، والتشكيك في أهدافها، بل وينصح المسلمين بألا يتعاونوا معها، ويرفع شعار الولاء للأنظمة الفاسدة، وتأصيل ذلك بأن ذلك هو معتقد السلف.. وليس الخلاف حول صحة هذا الأصل وهو الطاعة للحاكم المسلم في طاعة الله، وإنما الخلاف حول تحقيق مناط تطبيق هذا الأصل، ثم يأتي بحلول نظرية غير واقعية، إذ لا يملك منهجاً واضحاً شاملاً للتغيير وتطبيق شرع الله، فلا هو تبنى الدعوة بشمولها وخاطب الأمة وحركها بمنهج يستوعب جميع طاقاتها، ولا هو أفسح المجال لمن يسعى إلى ذلك وتعاون على البر والتقوى، ويا ليت الاختلاف منشؤه في اعتبار المرحلية، لهان الأمر، ولكن الأسس المهمة في عملية التغيير الشامل، وأهمها: قيام جماعة الدعوة بنظامها الذي يحقق معنى الجماعة يعتبر بدعة عند هذا الفريق، فمتى ستصبح البدعة سنة!... فيجمد على مسائل فرعية يتبناها ويرتب عليها الولاء والبراء والسنة والبدعة، ويشن حرباً لا هوادة فيها على مخالفيه في هذه الفروع، ويجعل ذلك أولى أولويات دعوته، ويُحَوِّل المعركة إليهم، وكان ينبغي أن تتوحد الجهود على أصول أهل السنة والجماعة لمواجهات طرق الكفر والبدع المشهورة التي هي ظاهرة للعيان، وليس مواجهتها محل خلاف، والذي ينبغي على هذا الفريق هو فقه

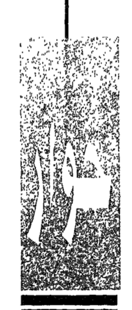
الأولويات، ومواجهة الأفسد فالفاسد فما دونه، ومراعاة فقه المصالح وأحكام الضرورات، وتبني الأصول العقدية والاجتماع عليها، والسعي لجمع شتات الأمة على منهج واضح، والسير بها نحو تغيير الواقع، لا تخذيلها وتثبيطها، وعدم الاستغناء عن العاملين للإسلام أو محاولة إلغائهم وتجاوز جهودهم وأعمالهم، وفتح باب التشاور والمدارسة العلمية لما تحتاجه الدعوة بين جميع الفصائل المنطوية تحت شعار أهل السنة والجماعة، وتربية النشء تربية صحيحة متكاملة، ومن أهمها: أن يفقه الهدف والغاية من التعليم والدعوة، وهو: إقامة شرع الله في جميع مجالات الحياة ، وإعطاؤه تصوراً واضحاً لكيفية التغيير في جميع المجالات السياسية والتعليمية والاقتصادية والإعلامية.. وغير ذلك، وتحديد موقف واضح من مقالة (ما لقيصر لقيصر وما لله لله) أو من مبدأ (ليس في الإمكان أحسن مما كان).

وعلى الفريق الأول صدق الالتزام بأصول أهل السنة ، فإن واقعه يتنافى مع تلك الأصول أو بعضها ، والسعي لنشر تلك الأصول وتعليمها، وتربية الشباب على ضوئها، وتحديد الموقف من المخالف فيها ومن أهل البدع المشهورة، والسعي لتوحيد العمل الإسلامي انطلاقاً من تلك الأصول، وعدم التعجل في قطف الثمار قبل أوانها؛ فمن تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه .

■ تصدُّر الأحداث للدعوة والفتوى ، وعدم ترتيب الأولويات ، وعدم التربية على العمل بالعلم والتحلي بآدابه ، وعدم مراعاة منهج السلف في النقد للآخرين والتعامل معهم ، وضعف فقه إنكار المنكر، وعدم إنزال الناس منازلهم.. ونحو ذلك: مخاطر حقيقة داخلية تواجه ـ مع عدم قولنا بالتعميم ـ التيار السلفي في اليمن ، فما تعليقكم ؟ وهل من كلمة موجزة توجهونها لأبناء التيار السلفي عامة في هذا الصدد ؟.

● ما ذكرته في سؤالك من تصدر الأحداث للدعوة والفتوى، وكذلك للجرح والتعديل.. إلخ: هذه مصيبة عظيمة، وخطورة كبيرة، وتقع المسؤولية في ذلك على العلماء المتصدرين للتعليم والفتوى والتربية، فكل عالم عليه

مسؤولية توجيه طلبته التوجيه السليم، وإلا فإثمهم عليه؛ لأنه لم يمنعهم من الوقوع في الأخطاء ، لأنهم غير مؤهلين، بل (ترك لهم الحبل على الغارب)، وعلى أبناء الدعوة السلفية الإقبال على إصلاح أنفسهم، وتكميل تربيتهم على الحق والعدل والرحمة، والتأسي بمنهج الرسول ﷺ في اللين والحكمة والعلم والعدل والإنصاف واحترام أهل العلم؛ قال (عليه الصلاة والسلام) ما معناه : «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقه»[1] وكذلك : من الخطأ أن يتصدى للدعوة من لا يفقه مراتب المصالح والمفاسد، ولا يعرف كيف يتعامل مع المصالح والمفاسد عند التزاحم، فربما أنكر منكراً بطريقة تؤدي إلى منكر أكبر، وربما والى وعادى على مسالة فترتب على ذلك فساد أعظم، وربما تشدد في مسألة وتساهل فيما هو أعظم .. وأمثال ذلك من الأمور التي يفتقد كثير من هؤلاء حيالها ميزان العلم والعدل والتقوى وفقه خير الخيرين وشر الشرين، والمسؤولية تقع اليوم على المربين والعلماء لتدارك مثل هذا الانحراف، وإلا فالمخاطر عظيمة، والله أعلم .



■ ما المخاطر التي تواجه الدعوة الإسلامية في اليمن من خارج أبنائها؟ نأمل ذكرها مرتبة حسب الأهمية من وجهة نظركم .

● المخاطر التي تواجه الدعوة الإسلامية في اليمن من خارج الصف الإسلامي كثيرة وخطيرة، من أهمها في نظري :

١ ـ الأحزاب العلمانية بكافة أشكالها من اشتراكيين وقوميين بعثيين وناصريين.. وغيرهم، وكذلك: دعاة وأنصار الديمقراطية الغربية بمفاهيمها السياسية والفكرية والأدبية.. وغيرها، وخاصة أنهم استطاعوا أن يجرُّوا فصيلاً كبيراً من الدعاة إلى الله إلى المعارك التي يكون المهاجم فيها هو الفريق العلماني، حيث يثير الشبهات ويشكك في قدرة الإسلاميين على فهم واقعهم والقبول بمتغيراته، فيدافع ذلك الفصيل من

١) انظر: صحيح الجامع، رقم ٥٤٤٣ .

مواقع الانهزام، وأنه لا معارضة بين الإسلام وكذا وكذا، وأن الإسلام يقبل كذا وكذا، وكل يوم يزداد الضغط فيزداد الضعف والانصهار في بوتقة الحلول المستوردة، فينتج عن ذلك مخاطر، منها: عدم إيصالنا إلى الأحزاب العلمانية مفهومنا الإسلامي الواضح للمسائل والمفاهيم السياسية ومقارعتهم بالدلائل القرآنية والأحاديث النبوية، ومنها: أن العلمانيين يشعرون بالتفوق عندما يحسون منا موافقة على حلولهم المستوردة وانبهارنا بما استوردوه، تماماً مثل انبهارنا بالتقنية الصناعية الوافدة إلينا، ومنها: حصول انشقاقات في الصف الإسلامي بين موافق ومخالف ومتهم بالتشدد وعدم الواقعية ومتهم بالتمييع والمؤامرة، بل وربما (بيع الآجل بالعاجل) وغير ذلك من المخاطر.

٢ ـ الحكومات والأنظمة المشبوهة التي تعمل على تفكيك الصف الإسلامي وإثارة نزاعاته وخلافاته القديمة والحديثة وتأجيج نيران العدوان والشقاق، نظراً لعدم الوعي السياسي لدى كثير من أبناء الصف الإسلامي، وعدم تفطنهم للاستخدام المباشر وغير المباشر لهم من قِبَل تلك الأنظمة في ضرب إخوانهم، وفي ضرب بعضهم بعضًا، بحجة: هذا متساهل، وهذا متميع، مما يؤدي إلى القضاء على الجميع.

٣ ـ الأحزاب البدعية، مثل: الباطنية والرافضة وغلاة الصوفية، فإنها خطر محقق؛ نظراً لمواقفهم التاريخية دائماً مع أعداء الإسلام والتآمر على الإسلام الصحيح وحملته، وبثهم مفاهيمهم المنحرفة باسم الإسلام وفي ثياب الإسلام وشعاراته ومواقعه.

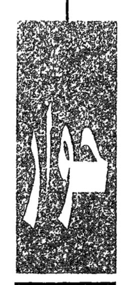
٤ ـ العقلانيون التجديديون واليسار الإسلامي ـ كما يسمونه ـ وغيره من دعاة النزعة العقلية ومعارضة الشرع بالعقل، أو تسليط العقل على الشرع ليمسخه بمفاهيمه التي تخالف ما استقرّ من المفاهيم التي مضى عليها سلفنا الصالح.

تلك في نظري أبرز وأهم المخاطر، والله أعلم.

■ **ما أبرز احتياجات اليمن دعويًا؟ وما واجب العلماء والدعاة ـ أفراد ومؤسسات ـ تجاه ذلك؟.**

● أبرز احتياجات اليمن دعويًا هي المؤسسات التعليمية والتربوية القائمة

على أصول ومنهج أهل السنة وعلى الفهم الشامل للإسلام فهمًا صحيحًا ومتوازنًا في الاهتمام بالقضايا التي تهم الأمة، ويأتي بعد ذلك الشعور بالمسؤولية والانطلاقة الدعوية بجد واجتهاد لشرح قضايا الإسلام للأمة، وإعلامهم بواجبهم أمام دينهم وأمتهم، ويأتي بعد ذلك: الاهتمام بهموم الناس ومشاكلهم والمشاركة في حلها بحسب الطاقة.. ويقوم على ذلك كله علماء مربون وفاهمون لما تحتاجه الأمة، ومدركون للمخاطر التي تواجه الدعوة، وعلى المؤسسات الدعوية والعلماء السعي لتحقيق ذلك بكل أمر ممكن شرعًا.



■ الأحزاب العلمانية، التشيع المنحرف، التصوف الضال، الفرقة الإسماعيلية، الفكر الاعتزالي، الفكر الخارجي: انحرافات عقدية لها وجود ملحوظ في اليمن، فما الطرق المثلى ـ من وجهة نظركم ـ لوقاية الشارع اليمني وتحصينه من مخاطرها؟.

● الطريق المثلى ـ من وجهة نظري ـ هي: نشر العلم النافع، ونشر عقيدة أهل السنة والجماعة، وتحذير الأمة من المفاهيم الدخيلة على الإسلام، والسعي الجاد لاحتواء شباب الأمة في الأطر الدعوية التي تحمي شباب الأمة من الوقوع في شباك هذه الفرق الضالة.

■ عدم مراعاة منهج أهل السنة والجماعة مع المخالفين من أبرز سمات تيار عريض من أبناء الدعوة السلفية في اليمن، فما أبرز مقومات ذلك المنهج لدى سلفنا الصالح من وجهة نظركم؟.

● أبرز مقومات ذلك المنهج السلفي العظيم في التعامل مع المخالف:

١ ـ الرسوخ في العلم، فانصاف المتعلمين يفسدون أكثر مما يصلحون.

٢ ـ تحرير محل النزاع والابتعاد عن الإجمال والإبهام والتهويش على المخالف.

٣ ـ العدل في الحكم على المخالف ولو جار عليك وظلمك، قال (تعالى): ﴿وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥] هذا مع أهل الملل، فما بالك مع الفصائل الإسلامية الدعوية.

٤ ـ حسن الظن بالداعية المسلم وحمل كلامه على ما أراد، لا على ما تريد أنت من التشنيع عليه وتحميل كلامه ما لا يحتمل، نظراً لما نعلمه من مقصده الحسن وسابقته في الإسلام والدعوة .

٥ ـ الحرص على أن يكون القصد من الحوار جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم، لا أن يكون تشقيق العمل الإسلامي وتقسيمه هدفًا مقصوداً من الحوار والردود .

٦ ـ المحافظة على بقاء الولاء والمناصرة، وألا تجعل الردود على المخالف وسيلة للقضاء على هذا الأصل العظيم : ﴿ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٧٣] .

٧ ـ الشهادة والاعتراف بما أحسن فيه المخالف وأجاد ووافق فيه الحق، لقوله (تعالى) : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، ولا نتعامل مع بعضنا بالمبدأ اليهودي والنصراني الذي حكاه القرآن الكريم : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ [البقرة : ١١٣] .

هذا ما استحضره في أصول المنهج السلفي في الرد على المخالف .

■ **يشاع بأن فئة عريضة داخل التيار السلفي في اليمن تتبنى مفاهيم خاطئة وتصورات مغلوطة نتج عنها بلبلة داخل التيار السلفي ... نأمل إيضاح حقيقة الأمر ، وذكر أبرز تلك المفاهيم إن وجدت .**

● هناك بعض المفاهيم الغريبة لبعض المنتسبين للمنهج السلفي في اليمن لا بد من تحذير شباب الدعوة السلفية منها، وبيان أنها دخيلة على منهج السلف، منها :

١ ـ زعمهم أن الإنصاف مع المخالف والموازنة بين حسناته وسيئاته ليس مشروعًا، ويكفي في الرد على هؤلاء مراجعة أي كتاب من كتب الرجال، ومواقف السلف من مختلف الاتجاهات التي حملت الحديث ونقلته، وكيف تعامل أئمة الحديث معهم .. ثم إنهم متناقضون؛ فهم يطبقون مبدأ الموازنة إلى

حد الميوعة المفرطة بل والتغافل التام عن مساوئ الأنظمة الحاكمة بأمرها، ويفتشون عن عيوب حملة الدعوة ويشيعونه، بل ويلفقون التهم ، ويمنعون الحديث عن عيوب تلك الأنظمة ويطوونه ولايروونه، بل يجعلون من تحدث عنه من أهل البدع ! .



٢ ـ من المفاهيم الغريبة جداً: زعم بعضهم أن التشريع والتقنين الذي يُحلل فيه الحرام ويُحرم فيه الحلال ليس كفراً أكبر ، وإنما هو كفر عملي أصغر ، وبعضهم يقول: حتى يعتقد، ولا يعرف اعتقاده حتى يصرح ويستحل باللفظ! أما الكتابة عندهم فليست تصريحًا ، مع أنه من الناحية الشرعية: الحكم المترتب على التلفظ لا يختلف عن الحكم المترتب على الكتابة .

٣ ـ ومن ذلك: التبديع والتفسيق للمخالف في مسائل اجتهادية، وإخراج من يخالفهم من إطار أهل السنة، فمثلاً: نسمع كثيراً من الأسئلة في المحاضرات والدروس: هل الإخوان المسلمون من أهل السنة والجماعة؟ هل جمعية الحكمة والقائمون عليها من أهل السنة والجماعة؟ فهذا يقول هم من أهل السنة في بعض الأمور، وذاك يتوقف، وكأن الحكم بأن هذا سني وهذا بدعي راجع إلى اجتهادهم، وليست المسألة محسومة بأصول أهل السنة المعروفة وأن من التزم بها فهو سني شئنا أم أبينا، فالدين دين الله، والجنة بيد الله، وليس عندنا صكوك غفران ولا صكوك حرمان من رحمة الله.

٤ ـ ومن ذلك: رمي المخالف بالألفاظ المجملة وبأسماء لا تعتبر في منهج أهل السنة والجماعة من ألفاظ المدح والذم بالإطلاق، مثلاً: يقولون: فلان حزبي، وفلان ليس بحزبي، فإذا قلت لهم: ماذا تعنون بالحزبي؟ أهو الرجل المتعصب لجماعته أو لشيخه أو لقبيلته بالباطل؟ فهذا مذموم، ولكن هذا المرض يوجد فيكم بكثرة يجعل نقدكم لهذا المعنى لا معنى له.. أم تريدون التحزب والتجمع على الحق والتعاون على

الدعوة تحزبًا مذمومًا؟ فإن أردتم ذلك فهذا ليس عيبًا شرعيًّا .. إن هي إلا أسماء سميتموها، ما أنزل الله بها من سلطان.

٥ ـ ومن ذلك: تصوير الجماعات الإسلامية وكأنها العدو الأول والخطر الأكبر، وجعل محاربتها أولى الأولويات، بل عندنا شيخ كبير يُرجع إليه بالفتوى يجعل الجماعات الإسلامية دسيسة من دسائس اليهود والنصارى!! وأنها ـ كما يقول ـ أنشئت لتحطيم الدين .. نعوذ بالله من هذا الحكم العجيب والفهم الغريب !!.

٦ ـ ومن ذلك: هجر المخالف في مسائل الاجتهاد، ومقاطعته، والتقليل من مكانته، وهضمه حقه، ونبزه بالألقاب، واعتباره أنه ليس بعالم، وأن العالم فلان .

٧ ـ ومن ذلك: قبولهم في الجرح والتعديل والتفسير والتبديع لمجرد أن الشيخ الفلاني قال فلان مبتدع والجماعة الفلانية مبتدعة، وبعبارة أخرى: وقعوا في التقليد في الأصول مع زعمهم أنهم من المحاربين للتقليد في الفروع.

٨ ـ ومن ذلك ـ وهو أخطر هذه المفاهيم ـ: كلها أنهم لا يحملون منهجًا تغييريًّا واقعيًّا متحركًا، فالجماعات بدعة، والعمل الجماعي المنظم بدعة، فإذا قلت لهم: سلّمنا أن الجماعات كلها بدعة، وأنكم أهل الحق، فما هو منهجكم في التغيير؛ حيث إن هناك أنظمة علمانية، تحكم بالعلمانية والاشتراكية والديمقراطية، وتقر الأحزاب العلمانية، وتسمح لها بالدعوة إلى الردة، وتبيح المحرمات.. كيف ستواجهون هذه الأمور؟ فيقولون: نُعَلِّم، فيقال: ثم ماذا إذا عَلَّمْتُم ؟!، وهل بالتعليم وحده يزول كل هذا الفساد؟، وبعبارة أخرى: اشرحوا لنا كيفية المنازعة التي أشار إليها الرسول ﷺ عند ظهور الكفر البواح، فلا نجد جوابًا، وقد صرح بعضهم من حملة هذا الفكر في خارج اليمن ـ والعياذ بالله ـ بأن مقولة (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) كلمة حكيمة تصلح لواقعنا اليوم! .. نعوذ بالله من الخذلان.

يا أهل اليمن ...

الحكمة يمانية

المسلمون



والعالم

يكاد يجمع المتابعون للساحة اليمنية على أن «أمانة المؤتمر الشعبي العام» هي صانعة السياسة اليمنية الخارجية، والمسؤولة بالدرجة الأولى ـ بواسطة عناصرها داخل الحكومة ـ عن إحداث التغيير المطلوب، لا سيما من القوى الدولية، في الخارطة السياسية اليمنية والجوانب الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، والمرء ينظر إلى ما يحدث الآن من إرهاصات ومقدمات تلوح في الأفق، مثل:

ـ محاولة الوقيعة بين التجمع اليمني للإصلاح والمؤتمر الشعبي، وإثارة الإشكالات بينهما حول بعض المسائل الداخلية والخارجية، ومضايقة بعض رموز الإصلاح، مما يضطرهم للاستقالة،والإعلام العلماني في الداخل والخارج يعمل على ترسيخ هذا التوجه بدعاوى لم تعد مجهولة، مثل دعاوى اتهام الإصلاحيين بالتطرف والأصولية ..

ـ ممارسة سياسة تجفيف منابع الصحوة الإسلامية: كإلغاء المعاهد العلمية ومدارس تحفيظ القرآن الكريم، والتضييق على الخطابة والدعوة داخل المساجد.. ونحو ذلك، وفي المقابل: إفساح المجال أمام أصحاب المذاهب الفكرية الهدامة والفرق البدعية التي تتلقى دعماً ماليًّا ومعنويًّا كبيراً من قِبَل بعض الدول والجهات الخارجية وبعض الرموز الرسمية وقيادات المعارضة ذات التوجه العلماني أو البدعي في الداخل؛ لنشر الأفكار (اللادينية) الهدامة والمعتقدات البدعية المنحرفة، عن طريق المؤسسات

بقلم: أيمن بن سعيد



التعليمية التي تملكها الدولة، وعن طريق افتتاح جامعات وكليات ومعاهد عليا وكثير من المعاهد والمدارس الخاصة التي تحمل هذه التوجهات وتدعو إليها .

ـ تشويه سمعة المؤسسات الخيرية والشخصيات الإسلامية، والعمل على تطويعها ، وفي المقابل: العمل على إبراز جهات وشخصيات تقبل ذلك التطويع، أو بينها وبين مؤسسات الصحوة الإسلامية عداء أو نفرة : كالمنتسبين إلى الطرق الصوفية، وحركات الرفض والتشيع، وبعض الطامعين في متع الحياة .. ونحو ذلك، وإبرازهم واجهات دينية وخيرية بشكل فردي أو مؤسسي.

ـ محاولة احتواء أكبر عدد ممكن من الشخصيات السياسية والاجتماعية داخل حزب المؤتمر الشعبي العام بكل وسيلة، والعمل على إضعاف العلاقة بين رموز الشعب الاجتماعية والسياسية والتجمع اليمني للإصلاح.

ـ العمل على تقليص نسبة الإسلاميين والمتعاطفين معهم داخل مجلس النواب اليمني القادم .

ـ تجويع الشعب وإذلاله ونزع سلاحه، تحت شعار ما يسمى بالإصلاحات الاقتصادية والمحافظة على الأمن ومحاربة الفساد، وفي المقابل: منع الأفراد أو الجهات التي يمكن أن يكون لها دور في تخفيف المعاناة داخل الحكومة أو خارجها من أداء الدور المرجو منهم بكفاءة وفاعلية .

المسلمون والعالم



ـ إطلاق يد بعض الذين ثبت عبثهم في مقدرات الدولة المالية والإدارية والأمنية الذين ينتمون لحزب المؤتمر الشعبي العام داخل الحكومة وخارجها، وفي المقابل: كف يد بعض الذين ثبتت كفاءتهم في هذه المجالات ممن لهم انتماء أو تعاطف مع الحركة الإسلامية .

ومن باب التعاون على البر والتقوى، وقيامًا بواجب النصح والتذكير بالله، وحرصًا على أرض يمن الخير وأرض الحكمة: فسأوجه مقالتي هذه إلى أمانة المؤتمر الشعبي العام، توضيحًا لهم وتذكيراً ؛علها أن تجد قبولاً لديهم، وبخاصة أن رأسها عرف بالذكاء والحنكة في التعامل مع الأحداث والمواقف ، وطلبًا للإيجاز والوضوح فسأجعل كلماتي في النقاط التالية :

أولاً : أهمية تذكر الله والدار الآخرة:

إن واجب الجميع أن يتذكروا الله والدار الآخرة؛ فالموت حق، والجنة حق، والنار حق، ولن ينفع العبد بين يدي ربه إلا ما قدم من عمل صالح مراد به وجهه (تعالى)، فإن كان في خدمة الدين ونفع المسلمين: فليبشر صاحبه بالخير ، وإن كان خلاف ذلك فلا يلومن إلا نفسه، قال الله (عز وجل) : ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [القصص: ٨٣]، وقال (سبحانه): ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ** ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

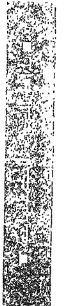
ثانيًا : أهمية تذكر نعمة الله عليهم في إبقائهم وإزالة عدوهم:

على القوم أن يتذكروا نعمة الله عليهم إذ أبقاهم في مواقع المسؤولية وأزال من كان يعمل على إزالتهم ، فليس من شكر الله محاربة دينه والكيد لأوليائه ؛ فإن الأيام دول ، والحياة عبَر ، فكم من رئيس صار مرؤوسًا ، وكم من غني صار فقيراً، وكم من عزيز صار ذليلاً، ولله في

المسلمون



والعالم



خلقه شؤون ؛ فالملك ملكه، والأمر أمره، وهو يمهل ولا يهمل؛ قال (عز وجل) : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦].

ثالثًا : خطأ الاعتذار عن تعطيل العمل بالشريعة بدعوى هيمنة الغرب :

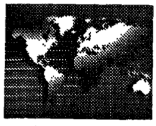
يتذرع بعض القوم عن عدم تبنيهم لخدمة الدين، وترك تطبيقهم للشريعة ، والعمل لنفع البلاد والعباد، بأن ذلك إرادة القوى الدولية التي لا يمكن مخالفتها وتجاهلها بحال، والحقيقة أن ذلك ليس بعذر، ويكفي دليلاً على ذلك : أن الإرادة الدولية كانت مع دعاة الانفصال من قادة الحزب الاشتراكي ، وكانت تسعى لإيكال الأمر إليهم بدلاً من القيادة الحالية، أو على الأقل الإبقاء على شيء من قوتهم التي كانوا عليها ، ومع هذا : فما وقع شيء من ذلك، وكان للقوم دور في مواجهة تلك الإرادة وتحويلها إلى واقع مخالف لها، فلماذا التذرع بدعوى الهيمنة في قضية دين الأمة وهويتها، ورد ذلك ومقاومته في قضية المنصب والمجد الشخصي.

وأخشى أن يكون الخوف من تلك الدعوى قد وصل لدى بعضهم إلى درجة ما يطلق عليه أهل العلم بالشرع : « شرك خوف السر ».

ومع هذا : فالواجب على القوم أن يدركوا أن الغرب مهما بلغت إمكاناتهم فهم بشر ذوو قدرات إنسانية قاصرة ومحدودة، ويمكن مواجهة مكرهم بمكر وكيدهم بكيد ، وعلى افتراض عدم قدرتنا على ذلك على التمام، فإن خوف العبد من الله (تعالى) يجب أن يكون أعظم من خوف غيره، ويجب عليه أن يضحي بدنياه لتبقى له أخراه، أما خلاف ذلك فإنه دليل انتكاس الإنسان وسوء مصيره إن لم يتداركه الله برحمته.

رابعًا : المستقبل للإسلام :

عاد كثير من الناس في العقود الأخيرة إلى الإسلام الخالص النقي، بعد



أن عشَّشَتْ الأفكار الدخيلة في عقولهم، وأثرت النظرة المادية للحياة على أكثرهم، وصار الشعار الذي تطلب غالبية الأمة من العلماء والدعاة رفعه: (الإسلام)، متجاوزين الشعارات التي كانت تجعل الإسلام في خندق* التبعية والانهزامية، حتى رفع بعضهم حين ذاك (اشتراكية الإسلام) ومتجاوزين أيضاً حتى شعار (ديمقراطية الإسلام)، مع قلة في الجهود وضعف ومحدودية في الإمكانات تفوق بكثير النتائج التي حققتها الأمة في طريق عودتها إلى الله (عز وجل)، فخير لمن يعادي الإسلام ويحارب دعاته ألا يفعل ذلك .. خير له دنيا ؛ لأن الإسلام هو قدر هذه المنطقة -بل هذه الأمة- ، والعمليات المتواصلة من التيار العلماني ومن يقف وراءه من خارج المنطقة لإفراغ عقل الأمة من هويتها الإسلامية ومنعها من العمل على تحويلها إلى واقع فعال على الأرض -عن طريق الإلهاء بشتى صوره- سيتم تجاوزها لمصلحة الأمة وهويتها، وستبقى هذه الجزيرة وما جاورها -بإذن الله- كما كانت هي موطن الإسلام وأبناؤها هم حملة رسالته.

وخير له أخرى؛ لأن الإسلام طريق النجاة يوم لاينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم من لوثات الشرك والأفكار الهدامة.

خامساً: المؤتمر الشعبي العام والميثاق :

رفع المؤتمر الشعبي العام في أول تكوينه شعار الإسلام ، وأصدر ما سمي بالميثاق، الذي أكد فيه انطلاقة من الإسلام عقيدة وشريعة .

ومع إدراكي للدور المشكور لعلماء اليمن في صياغة الميثاق، وحاجة أركان النظام في ذلك الوقت إلى شباب الصحوة لمساعدتهم في مواجهتهم المسلحة ضد النظام الاشتراكي في الجنوب وفرعه فيما كان يعرف باليمن الشمالي (الجبهة الوطنية)، إلا أنه كان بوسع التيار العلماني داخل المؤتمر الشعبي العام -وهو صاحب النفوذ والقرار- ألا يوافق على ذلك، وأن يرفع شعاراً (لادينيًّا) في وقت كانت فيه سوق



الشعارات عامرة، غير أنهم كانوا أذكى من ذلك !! .

أما اليوم: فقد سقطت الماركسية ، وتلتها القومية وأحزابها البعثية - والناصرية .. وسارت على خطاها الدعوة إلى الوطنية، والتي تحولت إلى دعوات مناطقية في كل قطر على حدة، بينما بقيت الدعوات الليبرالية التي تنادى بفصل الدين عن الدولة أو عن الحياة ـ على اختلاف بينها ـ دعوات نخبوية، إذ لم تقم لها قاعدة أصلاً في الأوساط الشعبية، حتى في تلك الدول التي عانت شعوبها من العيش في سجن كبير داخل أراضيها .

إننا في زمن سقطت فيه الشعارات (اللادينية)، وصارت جل شعوب العالم تعود إلى عقائدها وأصولها ، وما التنامي في شعبية الأحزاب والشخصيات الدينية وفوز أحزاب ما يسمى (اليمين) في كثير من البلدان والمواقع إلا خير شاهد على ذلك، فلماذا لا يكون الأمر في اليمن بأقل من عودة صادقة إلى ديننا ؟ ! وبدلاً من أن نعود جميعاً إلى ديننا الحق ـ وبخاصة بعد أن جربنا تبني وتطبيق الأفكار المنحرفة ولم نجد فيها سوى الخسار والدمار ـ نجد بعضهم يسبح ضد التيار ويريد تجريد البلاد والعباد من عقائدهم وتقاليدهم الحميدة، ليضمن الحفاظ على موقعه ؛ وليتسنى له العبث بمقدرات الأمة وإمكاناتها كيفما يشاء .

ولست أدري ما الفكر الذي سيتبوؤونه ، وما الشعار الذي سيرفعونه، وهل سيلغون الميثاق تحت شعار ما يسمى بالتطوير، أما سيجعلونها علمانية إسلامية كما ظهر مؤخراً في بعض البلدان، وهي توجهات فاشلة لا محالة؛ لأن الزمن تغير ، ووعي الناس ارتقى ، وأصبح قطاع كبير من الشعب يدرك الصحيح من الزائف، وخير للقوم أن يصدقوا مع أنفسهم وأن يقرنوا الشعار بالتطبيق والقول بالعمل.

مع أني لا أقول هذا الكلام للقوم إلا على سبيل التنزل، وإلا فلو أطبقت البشرية على الكفر لوجب على المسلمين أفراد ومجتمعات الاستمساك



المسلمون



والعالم

بدينهم والعض بالنواجذ عليه .

مع أني أجزم بأن مصيرهم إن تمادوا في طغيانهم سيكون ـ بإذن الله (تعالى) ـ مصير أسلافهم، وما ذاك على الله بعزيز ، إلا إنني أدعوهم وأذكرهم بقول الرسول الكريم ﷺ : « الإيمان يمان، والحكمة يمانية » [متفق عليه] .

سادسًا : ليحافظ الجميع على الأمن والاستقرار الاجتماعي :

استقرار الأوضاع واستتباب الأمن مطلب الجميع . . . وفي ظني : أن محاولة التهميش والإقصاء المتعمد الذي بُدئَ في ممارسته ـ من قِبَل التيار الليبرالي المتنفذ داخل المؤتمر الشعبي العام ـ للصحوة الإسلامية (كوادر وأنشطة) يتنافى مع ذلك، وأخشى أن يكون ذلك افتعالاً لحدوث انفجار قريبًا في الأوضاع الأمنية والاجتماعية ؛ نتيجة ذلك الكبت والتضييق، وخاصة في بلد كاليمن ذي التركيبة الاجتماعية الخاصة .

وهل يعي أصحاب النفوذ والقرار أن البلاد غير مهيأة لأن تعاني أكثر مما عانت من محن ومآسٍ نتيجة حرب مثل حرب السبعين يومًا الأخيرة والمكائد الدولية المتواصلة .

وهل يعي أصحاب النفوذ وأهل القرار أيضًا أن البلاد يكفيها ما هي فيه من تمزق مناطقي وقبلي وطائفي، وأن الاستمرار في تنفيذ تلك المخططات وممارسة تلك السياسات لا يخدمهم بوصفهم أشخاصًا ذوي سلطة ونفوذ، ولا يخدم البلد وطنًا، ولا الشعب أفرادًا .

وأود التذكير أن من الحكمة التي عرف بها أهل اليمن : أن يكونوا مع دينهم ومع ما يدعو إليه من المحبة والتعاون والإصلاح ونبذ كل ما يخالفه أو يناقضه من الاتجاهات العلمانية والفرق البدعية والطائفية البغيضة .

وأن يقفوا مع علمائهم ودعاتهم بقوة، معينين لهم، ومدافعين عنهم أثناء أدائهم لرسالتهم في بيان الإسلام، وإقامة المجتمع المسلم،

والمحافظة على هوية الأمة من أن تمس بأذى عن طريق المناوئين في الداخل والمناصرين لهم في الخارج ، ونهمس في آذان شباب الصحوة بخاصة بالحذر من التخلي عن علمائهم وما ينتج عن ذلك من فوضى قد تكون مخططًا لها من أعدائهم، والحذر الحذر من الانسياق وراء ردود الأفعال التي قد يسعى إليها أعداء الدعوة؛ فإن المناخ مهيأ أكثر من أي وقت مضى لتصيد الأخطاء وتضخيمها واستغلالها في محاصرة ومواجهة الصحوة وشبابها ، والإساءة إلى سمعتهم وتنفير الشارع اليمني عن دعوتهم .

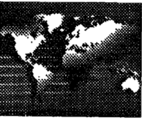
كما أن علماء اليمن ودعاته مطالبون بالاستمساك بدين الله، والاعتصام به، ورص الصفوف، والمحافظة على حقوق الأخوة الإسلامية، ونبذ أسباب الفرقة والتشرذم ، وترتيب الأولويات ، وإدراك طبيعة المرحلة؛ حتى لا تُمَس دعوتنا بأذى ونكون سببًا في وقوع ما لا يحمد .

نسأل الله (عز وجل) أن يجنب اليمن الويلات والمحن وأن يحفظ عليها إسلامها وعلماءها والمخلصين من أبنائها وأن يبقي لها أمنها واستقرارها .

والله من وراء القصد ،



المسلمون



والعالم

المسلمون البلغاريون

بين ناري الشيوعية والصليبية

بعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى عانى المسلمون البلغار من الاضطهاد، وزاد الطين بلة وصول الشيوعيين إلى الحكم بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٤م.

والمسلمون في بلغاريا: من الترك، ومن البلغار الذين أسلموا ـ ويعرفون بـ (البوماك) ـ، ومن الغجر (البدو الرحل).

ويغلب على المسلمين الفقر والتخلف والحرمان، ويمنعون من الهجرة إلى الخارج، مضايقة واضطهاداً لهم.

وقد حاولت بلغاريا ـ قبل أن تصبح شيوعية ـ تنصير المسلمين، إلا أن مقاومة هؤلاء أفشلت مخططاتهم، وقد سقط تحت سياط هؤلاء البلغار النصارى الألوف.

ثم زاد الاضطهاد والتضييق عند اجتياح الشيوعية البلاد، حتى منعت السلطات الشيوعية الحاكمة المسلمين من تأدية الحج. والمسلمون ليس لهم مدارس خاصة بهم، كما كانت بلغاريا تضم أكثر من ١٢٠٠ مسجد، وقد أجبرت السلطات المسلمين على الدفن بمقابر واحدة مع سائر السكان، وحظرت النحر يوم عيد الأضحى، وأجبرت النساء على السفور، وفي الآونة الأخيرة: أجبرت السلطات الحاكمة المسلمين على إسقاط التمايز القومي والديني، وألزمتهم بتغيير أسمائهم بالقوة إلى أسماء نصرانية أو بلغارية، وقد أثار هذا الأمر المسلمين البلغار، فعارضوا؛ فوقعت مجازر،

المسلمون

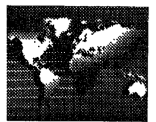


والعالم

بقلم:
عبد الله بن إبراهيم المسفر



المسلمون



والعالم

وهرب بعضهم إلى تركيا التي احتجت رسميًا، ووجه رئيسها خطاب تذمر إلى رئيس بلغاريا، وقال رئيس حكومة تركيا على منبر الأمم المتحدة في ١٩٨٥م : « إن حقوق هذه الأقلية المسلمة تنتهك، فأين هي حرية الفكر والدين وحقها في الحفاظ على شخصيتها؟ »، وقد تجاوز عدد المهاجرين إلى تركيا أكثر من ثلاثمئة ألف، نزحوا عن بلغاريا في عام ١٩٨٩م ، ومتحف صوفيا في العاصمة أصله مسجد هدمت مئذنته، ولا يوجد فيها اليوم إلا مسجد واحد !!.

ولعل أبرز أحداث بلغاريا : التطورات التي جرت أواخر عام ١٩٨٩م وبداية عام ١٩٩٠م، حيث جرت تغييرات مهمة على صعيد الحزب والحكومة، وأُبعد المسؤولون القدامى، وأُتيحت حريات التعبير والحريات الشخصية الأخرى، ووقع في ١٢ / ١ / ١٩٩٠م اتفاق بين الحكومة والمعارضة وممثلين عن المسلمين، جرى فيه إقرار حريات المسلمين الدينية والثقافية ، وأعيدت إليهم حرية اختيار الأسماء الإسلامية شريطة ألا يقيموا أو يطالبوا بحكم ذاتي !!، الأمر الذي يعتبر تقدمًا في الواقع المرير الذي فرضه الحزب الشيوعي السابق[1] .

إلا أن المسلمين هناك ما زالوا يعانون الأمرين في واقعهم وفي الضغط على رموزهم (العلماء المختارين بترشيح منهم) ومن ذلك : الحكم مؤخرًا على أحد العلماء بالسجن لعدة سنوات لمجرد أنه رشح خلافًا لما

١) الأقليات الإسلامية في العالم ، د. محمد علي قناوي .

تراه الحكومة، التي تريد شخصاً مشبوهاً بعينه، كما سنرى .

واقع المسلمين الآن :

بعض المغرضين لخص الوضع الذي تمر به الدولة الآن وما حل بقطاعاتها نتيجة إخفاقات الحكومة الاشتراكية بأنه (ذنب المسلمين)، فما المقصود من هذا؟ .

في الواقع: فإن الحكومة الاشتراكية ـ بذكاء أو غباء ، وهذا ما ستسفر عنه الأيام ـ بدأت حياتها الدستورية أو الحكمية بالاصطدام مع المسلمين في أعز وأهم المواقع، وهو دار الإفتاء العام . . .

إذ بتصرف مبيّت قام نائب رئيس الوزراء « شيفاروف » ـ وبمخالفة صريحة للدستور ـ بالتصديق على إعادة تعيين « نديم غينتشيف » المفتي السابق، وعلى هذا الأساس: صادق أيضاً عليه « خ . منتانوف » رئيس دائرة الأديان، ليجد بذلك « نديم غينتشيف » فرصة سانحة ليداهم دار الإفتاء ويطرد منها المفتي المرشح من المسلمين « فكري صالح حسن » والعاملين معه، فيما لم يلق المفتي « فكري صالح » أي اهتمام من قبل رئيس دائرة الأديان ، على الرغم من مصادقته السابقة من جانب ثلاث حكومات متعاقبة على اعتباره مفتياً عاماً رسمياً للمسلمين ، هذه كانت البداية غير الموفقة ـ على حد قول بعض المراقبين ـ للحكومة الاشتراكية .

لكنّ آخرين يرون أنها حركة ذكية تحقق من ورائها عدة أهداف :

١ ـ إشغال المسلمين فيما بينهم ، وتحويل أنظارهم عما يعد لهم خلف الكواليس .

٢ ـ شل حركة دار الإفتاء عن القيام بأي عمل فعال لصالح المسلمين خلال فترة حكمها .

٣ ـ عزل دار الإفتاء عن المعركة السياسية ، وخطف ورقة قوية من يد حركة الحقوق والحريات كانت تعتمد عليها بين وقت آخر .

المسلمون



والعالم

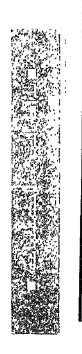
٤ ـ استغلال دار الإفتاء في تنفيذ ما لا تستطيع تنفيذه أو تحقيقه ، بحجة قانونيتها ، وابتعاداً عن الواجهة.

حال المسلمين في ظل المفتي المعين :

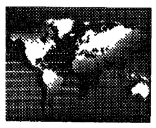
وكان من نتيجة ذلك : أن باب الفتنة أعيد كسره وأصبح مفتوحاً على مصراعيه؛ فلا « غينتشيف » يستطيع تثبيت أركانه بين المسلمين، لعدم الرغبة فيه ، رغم مساعدة الشرطة ومدعي عموم المناطق في تثبيت أعوانه في دور الإفتاء هناك ، ولا « فكري صالح » ومن معه يستطيعون عمل شيء .

وقد وجد « نديم غينتشيف » ضالته في هذه الفرصة ، حيث بدأها بالهجوم على الجمعيات الإسلامية وبعض العاملين فيها، وتناول الجميع بالدس والتحريض والتهم الرخيصة وإثارة مشاعر الحكومة ضدهم ، بل طالبها مباشرة بطردهم من البلاد كما هو نهج الحكومة المقدونية على حد تعبيره... كما باشر بتحريض مفتيي المناطق في التصدي لكل ما هو عربي ـ داعية كان أو موظفاً ـ في جمعية؛ لمنعه من الاختلاط بالمسلمين، أو أخذ حريته في العمل أو الحركة .. وبذلك: أخذ « غينتشيف » حريته، وتصرف بما هو مملى عليه في كل ما هو واقع تحت يده، وأكثر ما يخيف المطلعين والعارفين بطبيعة الرجل: وجود مادة في الدستور المُقَر والمرخص من الدولة ودائرة الأديان، تخوله بالتصرف في أوقافِ المسلمين الغنية ، وهو يردد الآن: أنه قد خطى خطوات في هذا الاتجاه، لكنها لم تتأكد بعد، رغم تواتر الخبر بشكل مؤكد ، وهذا إن ثبت فستكون طامة كبرى.. والله المستعان ..

مختصر القول : إن الوضع الدعوي والتربوي وعموم العمل الإسلامي تضرر من ذلك المشبوه ، أضف إلى ذلك: أن كثيراً من الجمعيات الخيرية التي كانت تعد على الأصابع أصلاً، إما أنها أغلقت مكاتبها ، أو قلصت



المسلمون



والعالم

من حجمها المتواضع، أما ما بقي منها فيعيش في الظل ، فلا خطة معدة، ولا رؤية مستقبلية واضحة ؛ مما ترتب على هذا : توقف الدعم عن الحلقات والأئمة المميزين أو تقلص أعمالهم ، فضلاً عن دخول بعض الشباب المتحمس دائرة الإحباط .

إننا ـ موضوعيًّا ـ لا نستطيع القول : إن هذا كله نتيجة عودة «نديم غينتشيف» لدار الإفتاء فقط ، بل هناك عوامل خارجية وأخرى داخلية من داخل الجمعيات القائمة أدت لهذه النتيجة... لكن على كل حال: مهما كان السبب، فإن المحصلة النهائية تشير إلى أن (٢٫٥) مليون مسلم ما زالوا لا يلقون ذلك الاهتمام اللازم واللائق من المسلمين الذي يلقاه إخوانهم المسلمون في ألبانيا على سبيل المثال لا الحصر؛ رغم أن المسلمين البلغار يتقدمون خطوات واسعة على إخوانهم الألبان في معرفتهم للإسلام وتقبل قطاع كبير منهم له .

المسلمون البلغار والوضع السياسي :

ومن الناحية السياسية : فالأوضاع الداخلية البلغارية التي يحكمها تصارع كافة الفئات على منصب الرئاسة الآن، وخارجيًّا : اهتمام الدول الأوروبية بمن يفوز ، قد دفع من جديد (الورقة المسلمة) إلى دائرة الاهتمام ، حيث يؤكد الجميع قاطبة أن المرشح ـ مهما كانت انتماءاته ـ عليه أن يحصل على أصوات المسلمين (المرجِّحة) حتى يصل إلى سدة الحكم، وذلك كما حصل عام ١٩٩٢م عندما فاز بفضل تلك الأصوات الرئيس الحالي على منافسه الاشتراكي ، بل حتى المعارضة الديمقراطية تعرف أن كلا مرشحيها (ستويانوف أو جيلف) في حاجة ماسة لأصوات المسلمين في الانتخابات الأولية .. مما أعطى قيمة للصوت المسلم وقدم ورقة تفاوضية قوية لـ (حركة الحقوق والحريات) التي عاد إليها بريقها ولمعانها السياسي في هذه الأجواء.

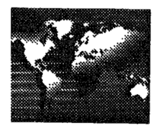
محصلة القول: إن المسلمين إن أحسنوا التصرف في توجيه الأصوات لمن يقدم لهم الضمانات الأكثر والأكبر لنيل كافة حقوقهم: فإنهم ـ بلا شك ـ سيفتحون بابًا جديداً ـ والله أعلم ـ على مستقبل أفضل وحقوق وحريات أكبر؛ لأنهم سيقصون الشريط في بدء إقصاء الحزب الاشتراكي عن الحكم أو السلطة بمعنى أصح.. ولكن إن تقاذفتهم الأهواء، وشغلتهم المصالح، وتناوشتهم السلبية وعدم المبالاة: فإنهم سيفتحون على أنفسهم بابـًا من الشر عظيم، حيث لن ينسى لهم الحزب الاشتراكي موقفهم ومحاولتهم القضاء عليه وإقصاءه عن الحلبة ...

المسلمون والموقف الصعب:

إذن: المسلمون في موقف صعب وحرج، لا تراجعهم أو سلبيتهم ستحميهم، أو تعفيهم، أو حتى ستعزلهم عن نتائج المعركة.. ولا مشاركتهم ستكون بلا نتائج أو أثمان تدفع، وأغرب ما في الأمر: أن التهديد قد طال الحركة المذكورة حتى من جهة المعارضة، وبالتحديد: من طرف اتحاد القوى الديمقراطية، الذي أعلن أنه لن يغفر للحركة أبداً إذا ما خسر مرشحه «ستويانوف» الانتخابات الأولية؛ لوقوف المسلمين خلف الرئيس الحالي... إذن: المسلمون كمن يسير على الحبال لن يسلم إذا وقف، ولن يسلم إذا وقع.. لكن أخف الضررين ـ إن لم يكن الرأي الأصوب ـ: يكمن في اتخاذ الرأي المناسب والموقف الحكيم الذي يحقق المصلحة الراجحة والواضحة والغالبة والعامة، وبعض الشر أهون من بعض، والله (تعالى) أعلم.

ووضع المسلمين باعتبارهم ورقة مهمة اليوم، وغداً ستصبح أهم مع النتائج المذكورة سابقًا من تراجع العنصر البلغاري، لن يروق للكائدين لهذا الدين وأعدائه المتربصين، فقوة المسلمين قوة لتركيا، وعلى الأقل شوكة في خاصرة البلقان المتأزم أصلاً، والكل يحسب للخط المخيف الذي يربط تركيا بمسلمي بلغاريا ومسلمي اليونان فمقدونيا فالبانيا فالبوسنة

المسلمون



والعالم

والهرسك ..كضلعي مثلث ، ضلعه الآخر في الجمهوريات الإسلامية؛ مما يجب أن يحسب له ألف حساب .. فالمتابع للأحداث يتأكد لديه أن الحكومة الاشتراكية ليست في غفلة عن هذا، وما سعيها الحثيث لتقليم أظافر الحركة (رغم علمانيتها)، والتضييق على المسلمين في كافة المجالات بدءاً من دار الإفتاء وانتهاءً بالبلديات ، وغضها الطرف عن التنصير الجاري على قدم وساق بين المسلمين ... إلا شواهد على ما نقول.. والمسلمون بالأمس وقبل هذه الاحتكاكات المتتالية كانوا ـ كما يبدو ـ قد نسوا الحقبة الشيوعية، فعادوا لسباتهم من جديد ، لكن هذه الضربات أيقظت من أيقظت منهم، ولفتت انتباههم إلى ما يدبر ويعد لهم ، ولعل (حركة الحقوق والحريات) قد فهمت مغزى هذه التحرشات وما يرمى من ورائها ، فسارعت لاتخاذ مواقف وإجراءات مضادة، لوحت من خلالها للعدو والصديق بالإمكانات التي تملكها، والقاعدة العريضة التي تقف من ورائها ، وقدرتها على استخدامها عند الضرورة ..

تحرك السلطة البلغارية على هذا المحور ، ليس في معزل عن التوجه العام في منطقة البلقان لإضعاف الأقليات المسلمة ، وفرض السيطرة عليها ، والمخيف هنا : أن أمريكا تتخذ هذه الأقليات ذريعة في مماحكاتها السياسية ضد الدول المستعصية والرافضة للانصياع للعصا أو الجزرة الأمريكية ، لكن طبيعة تقلب الأوضاع وتغير الحكومات يبقي كافة أبواب الاحتمالات خيرها وشرها مفتوحة .. لكن رغم هذا: فإنه يحدونا في الله أمل كبير أن العاقبة للإسلام وللمسلمين ... وما ذلك على الله بعزيز .





إخفاقات الحكومة تفضحها :

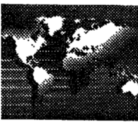
العجيب المضحك في الأمر: أن الإخفاق لازم الحكومة، حتى فيما يخص المسلمين (ولله الفضل والمنة) ؛ فهذا «راسم موسى» رئيس بلدية (كرجلي) المنتخب ، أعادته المحكمة العليا إلى منصبه، لاغية قرار المحكمة

المحلية بفصله ، وذلك بعد شهور خلت من الشد والجذب بين الحركة والحكومة ، ومن ورائها الحزب الاشتراكي ، وبعد أن رمى الحزب ومعه (٢٩) حزبًا آخرين ثقلهم أول مرة في الانتخابات البلدية في هذه المدينة، لكنهم لم ينجحوا مرة ثانية في رفع القضية للمحكمة المحلية التي قضت حينها ببطلان الانتخابات ، ووجوب إعادتها، فقد جاء قرار المحكمة العليا صفعة مؤلمة للحزب الاشتراكي وحكومته ، واعتبرها المحللون رسالة تودية من قبل الرئيس « جيليف » للحركة والأتراك وتركيا ، لكون رئيس المحكمة يعين مباشرة من قبل رئيس الدولة ، كما رأت فيها بعض التحليلات خطوة ذكية من « جيليف » في كسر القيد والشرط الذي طوق به اتحاد القوى الديمقراطية عنق الحركة ، حيث تعهد للحركة بالتصويت لـ « راسم موسى » في الانتخابات البلدية عند إعادتها ، إذا ما دعت الحركة أنصارها ومؤيديها للتصويت لـ « ستويانوف » في الانتخابات الأولية ، ثم الرئاسية .. وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من اقتناع جميع القوى بأهمية الورقة المسلمة .

وتلى هذا الإخفاق إخفاقٌ لم تتضح معالمه بعد، أو بمعنى أصح: لم تكتمل بواعثه ، إذ انقلب عدة أفراد من داخل مجلس الشورى ، على « نديم غينتشيف » ساعين للإطاحة به ، مستندين في ذلك إلى بعض مواد دستوره الذي أشرف بنفسه على إعداده ، وقد أفلحوا في عزل مفتي منطقة (بلوفديف) ، ويتحركون الآن بهمة ونشاط في باقي المدن ، وقيل: إنهم سيرفعون قضية ضده بتهمة الاختلاس واستغلال أموال الأوقاف..

عن ماذا ستسفر الأحداث؟، وماذا ستلد أيامنا الحبلى؟ ، وكيف ستجري الوقائع ؟،.. هذا ما سنتناوله في حديث لاحق.. ولله الأمر من قبل ومن بعد .

المسلمون



والعالم

مسلمو الروهنجيا

يواجهون الإبادة.. فهل نفعل شيئاً

أراكان كانت واحدة من الممالك المسلمة المزدهرة في جنوب شرق آسيا، الكائنة على طول الساحل الشرقي لخليج البنجال، وقد فقدت استقلالها منذ حوالي قرنين من الزمان، وكانت قد احتلتها القوات البورمية الغازية... ثم انتقلت أراكان إلى أيدي البريطانيين، وانتهى بها المطاف مجدداً إلى قبضة البورميين.

يعرف مسلمو أراكان بـ(الروهنجيا)، وقد تعرضوا لاضطهاد وحشي هائل على أيدي القوات البورمية المحتلة؛ حتى نتج عن ذلك خمس هجرات جماعية على نطاق واسع، شملت مئات الآلاف من البشر في كل مرة منذ أن نالت بورما استقلالها في عام ١٩٤٨م.

الخلفية التاريخية لمسلمي أراكان:

كان العرب المسلمون أول من وصل وأدخل الإسلام في أراكان خلال قرن من ظهور الإسلام في الجزيرة العربية، تبعهم الفارسيون والبربر والمغول والباتان والبنجاليون الذين جاؤوا إلى أراكان دعاة وتجاراً في أوقات مختلفة.

بعد أن دخل الإسلام البنجال في عام ١٢٠٣م تنامى المد الإسلامي في أراكان، وقامت دولة إسلامية بمساعدة سلاطين البنجال في عام ١٤٣٠م، وقد دامت أكثر من ثلاثة قرون قبل احتلالها من قبل البوذيين البورميين في عام ١٧٨٤م، وبعد فترة وجيزة تحت حكمهم احتلت بريطانيا أراكان مع أجزاء أخرى من بورما، وتم ضمها إلى الهند البريطانية، وفي عام ١٩٣٧م: تم فصلها من الهند البريطانية وأصبحت جزءاً من بورما المستقلة في عام ١٩٤٨م.

حملة الإبادة ضد مسلمي الروهنجيا:

بعد أن ضم البورميون أراكان عام ١٩٤٨م: جرت حملة إبادة جماعية



بقلم: د. محمد يونس (*)



مجردة من الرحمة ضد المسلمين، كانت سبباً في حدوث هجرات جماعية للاجئين على نطاق واسع بين وقت وآخر، ولقد كُثِّفَ اضطهاد الروهنجيا المسلمين خلال الحكم العسكري الاشتراكي الذي بدأ عام ١٩٦٢م واستمر قرابة ثلاثة عقود، جرى فيها تصفية الروهنجيا سياسيًّا، وإفقارهم اقتصاديًّا، وشلهم اجتماعيًّا ، ولقد تم تنزيلهم إلى مرتبة العبيد، دون التمتع بأيّ حقوق للإنسان تساويهم بغيرهم وتعتبرهم بشراً.... تولى بعد ذلك نظام عسكري جديد يعرف بمجلس حفظ النظام والقانون (SLORC)مقاليد الحكم في عام ١٩٨٨م بعد حدوث انتفاضة سريعة واسعة الانتشار ضد حكم الحزب الاشتراكي الحاكم.

مع ذلك: بدا النظام الجديد أكثر استبداداً وقسوة ضد الروهنجيا؛ حيث قام بإطلاق العنان لعهد الإرهاب في شمال أراكان ذي الأكثرية المسلمة، حيث قتل المسلمون، واقتلعت قراهم، واغتصبت النساء، وطردوا في جماعات؛ مما نتج عنه هجرة جماعية أخرى بدأت منذ أواخر عام ١٩٩١م ، وهؤلاء الذين ما زالوا في أراكان يعدون أيامهم، وهم في بؤس شديد وخوف ومعاناة .

مظاهر انتهاكات حقوق الإنسان:

إن الاضطهاد والمضايقات وانتهاكات حقوق الإنسان ضد الروهنجيا ليست لها ما يعادلها؛ سواء بالنسبة لمظاهر انتهاكات حقوق الإنسان في

*) رئيس منظمة تضامن الروهنجيا (أراكان : بورما) .



الأجزاء الأخرى من بورما أو بالنسبة للأقليات التي تقطن الأجزاء المتفرقة من العالم، وفوق كل ذلك (وهو ما يعتبر غاية الظلم): إلغاء مواطنتهم، والإعلان بأنهم «سكان غير شرعيين» في وطنهم، ويمكن ذكر بعض من الجرائم الشائنة التي يرتكبها النظام البوذي ضد مسلمي أراكان:

● فَقَدَ جميع الروهنجيا مواطنتهم بعد أن قام (مجلس حفظ النظام والقانون) بالإعلان بأن «الروهنجيا» أجانب غير شرعيين؛ حيث تم إصدار شهادات جنسية لكافة مواطني بورما عدا الروهنجيا .

● حُدِّدَتْ حركة الروهنجيا إلى درجة عدم السماح لهم بالانتقال من قرية إلى أخرى دون تصريح مسبق ، هذا الحظر في الحركة والتنقل أوجد واقعاً مريراً ، فأصبح المسلمون وكأنهم في سجن كبير.

● الاعتقالات الاعتباطية وتعذيب المسلمين بدون أي أسس قانونية.

● الإعدامات المتعجلة والقتل ـ بناءً على الأحكام العرفية ـ للروهنجيا على يد العسكر وأفراد الأمن الآخرين، دون خوف مرتكب الجريمة من مواجهة أي عقوبات أو محاكمة .

● إكراه الرجال والنساء والأطفال المسلمين على العمل بالسخرة تحت ظروف إذلالية، وغالباً ما يتعرضون للاغتصاب والضرب والإيذاء الجسدي وحتى القتل.

● اقتلاع القرى المسلمة قسراً ، ويُجبر سكانها على إخلائها وهجر منازلهم ، ويطردون إما عبر الحدود أو يعاد ترحيلهم إلى مناطق أخرى.

● يجري إنشاء مستوطنات جديدة للبوذيين في أراضي المسلمين التي يتم إخلاؤها، كما يُستخدم المسلمون عمالاً لبناء مساكن هؤلاء المستوطنين البوذيين، ويتم تسخيرهم للعمل بحصاد المحاصيل الزراعية لهم دون مقابل .

● فرض ضرائب على المنتجات الخاصة بالمسلمين، إلى درجة أن أحوالهم



تدنت عن حد الكفاف.

● مصادرة الأراضي والعقارات والمشاريع التجارية ـ التي يملكها المسلمون ـ بدون أسباب .

● تدنيس الأماكن الدينية، مثل: المساجد، والمدارس الدينية، والمقابر، حيث يدخلها رجال الأمن بأحذيتهم ويحتسون فيها الخمر.

● لا يحق للطلبة المسلمين مواصلة تعليمهم العالي، حيث لا يعتبرونهم مواطنين، ويجبرون على إحناء الرأس أمام علم بورما، وإلا فسوف يواجهون الطرد .

وبإصرار الأنظمة البورمية على إنكار الحقوق الشرعية للمسلمين الروهنجيا طوال العقود الخمسة الأخيرة، وعملهم المستمر لتنفيذ مخططهم الشرير ، وهو «التدمير الكامل لشعب الروهنجيا» : فقد أصبح لزامًا على المجتمع الدولي والأمة الإسلامية على وجه الخصوص التدخل ـ حتى باسم الإنسانية ـ لإنقاذ ٣,٥ مليون نفس من التصفية الكاملة .

وبالنظر لما سبق ذكره فإن مسلمي بورما يناشدون العالم الإسلامي بالنظر في :

ـ تقديم الدعم والمساعدة الكاملة سياسيًّا ومعنويًّا وماديًّا للنضال القائم للروهنجيا حتى ينالوا حقوقهم المشروعة .

ـ منح المساعدات الخاصة لتنمية البرامج التعليمية للروهنجيا .

ـ منح المساعدة الخاصة لمشاريع التنمية الاقتصادية للروهنجيا.

ـ تقديم المساعدة الضرورية للحفاظ على المعاهد الدينية والأنشطة الدعوية.

ـ إثارة موضوع الروهنجيا في المحافل الدولية والإقليمية؛ لاتخاذ الحلول اللازمة حول إنصاف المسلمين وإعطائهم حقوقهم .

هذا وبالله التوفيق ، فهو الموفق والمعين ...

في دائرة الضوء

من يملك الحقيقة المطلقة؟

بقلم: د. محمد يحيى

شاعت في الخطاب العلماني في الآونة الأخيرة مقولة تذهب إلى أن الحوار مع من يسمون عادة بـ «الأصوليين المسلمين» مرفوض؛ لأن هؤلاء الإسلاميين ! يدَّعون أنهم وحدهم يملكون الحقيقة المطلقة، بينما لا يملك خصومهم إلا الضلال..

الحق أن هذه الحجة هي واحدة فقط من عدة مقولات تُروَّج لتبرير عدم الحوار مع الإسلاميين، تارة بحجة أنهم معادون للديمقراطية وسوف ينقلبون عليها بمجرد وصولهم إلى الحكم، وتارة أخرى بحجة أنهم ليسوا على المستوى الفكري الذي يؤهلهم للدخول في حوار مع العلمانيين الذين يتسمون بالعقلانية والاستنارة، بينما يتسم الإسلاميون بالجهل والتخلف !!.

لكن هذه الحجة الأخيرة تسلط الضوء الفاضح لمقولة ادعاء الإسلاميين بامتلاك الحقيقة المطلقة ، ذلك لأن هذه المقولة، إن جاز أن توجه على الإطلاق، فإنما يجب أن توجه في المقام

الأول إلى الاتجاه العلماني ـ دون غيره ـ على اختلاف وتنوع مذاهبه وتياراته.

إن التوجه العلماني الفكري الذي بدأ في الغرب مع عصر النهضة (نهاية العصور الوسيطة في التقويم الميلادي) مع ما يسمى بالنزعة الإنسانية (أي: إعلاء شأن «الإنسان»، باعتباره القيمة الأسمى والمعيار الأوحد والمرجع الأخير) هو الذي ادَّعى لنفسه ملكية الحقيقة المطلقة.

لقد مر هذا التوجه بتحولات وتطورات عدة، من إحياء النزعات المادية الوثنية القديمة، إلى ما وصف بالتيار العقلاني المستنير في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، وإلى الفلسفات المثالية، ثم المادية (الجدلية والعلمية) في القرنين التاسع عشر والعشرين، وأخيراً: بفلسفات وتيارات حديثة عدة: كالبراجماتية، والوجودية... وغيرها.

ولكن في كل هذه التحولات كان التوجه العلماني ـ الذي نُقل إلينا وفرض علينا في البلاد العربية والإسلامية في أشكال ساذجة وسطحية، ولكنها متطرفة ـ هو الذي يدَّعي أنه يمتلك الحقيقة المطلقة في وجه خصمه الرئيس، وهو الدين (المسيحية في أوروبا، ثم الإسلام في عالمنا العربي).

وعلى الرغم من أن هذا التوجه جاء على أيدي مفكرين وكتاب وفلاسفة لا يزعم أحدهم أنه يوحى إليه من السماء ـ بل يؤكدون بشريتهم ـ إلا أنهم زعموا لفكرهم هذا أنه الحقيقة المطلقة، في الوقت الذي أضفوا فيه النسبية على الأفكار الدينية، التي هي بطبعها مطلقة، على الأقل لانتسابها إلى الله خالقاً

متعاليًا يغيِّر ولا يتغير .

دأب التوجه العلماني بأشكاله ـ إذن ـ على أن ينسب لنفسه وحده امتلاك الحقيقة المطلقة في كل مجالات القيم والمبادئ الخلقية والاجتماعية والتاريخية والعلمية ، فالعقل ـ الذي يزعم هذا التوجه أنه هو أداته الأساسية ـ مطلق أبدي، لا نسبية فيه ولا تغير ، وهو الذي يُنَصَّب حاكمًا، تعرض عليه شتى العقائد، والأفكار، والمذاهب، فيخطئها، أو يصدقها ويقرها .

وأمام العقل ـ أو بالأصح: أمام التوجه العلماني ـ فالكل نسبي متغير، وجزئي غير مكتمل ، فالأديان ليست إلا مواضعات تاريخية جاءت لأسباب مادية، ثم زال أثرها، أو زالت مصداقيتها وصلاحيتها مع زوال هذه الأسباب، والقيم والمبادئ في الأخلاق والاجتماع والفنون.. غير ثابتة، بل هي الأخرى متغيرة بتغير البيئات. والظروف التي أنتجتها، بل إن معاني اللغة واصطلاحاتها ليست هي الأخرى بمعزل عن عوامل النسبية والتغير، فالنص يعني غدًا ما لا يعنيه اليوم، والعكس صحيح .

الوحيد الذي يتعالى على كل هذا التغير والسيولة وعدم الثبات والنسبية والجزئية هو: العقل العلماني!، وهو ضمان اليقين المطلق، وراعيه، وفارضه على الأشياء والأفكار .

بهذه البساطة يذهب التوجه العلماني إلى أنه هو مالك الحقيقة المطلقة، وأن كل ما عداه باطل وضلال، أو هو على الأصح: نسبي ، وناقص، وغير دائم .

إذن: هم يرمون الإسلام

والإسلاميين بالنقيصة والتهمة التي تتجلى أوضح ما تتجلى فيهم هم، والزعم بامتلاك الحقيقة المطلقة ـ إذن ـ ليس بجريمة ولا عيب؛ لأن العلمانيين بشتى مذاهبهم هم أول من ينادي به لأنفسهم ، لكن هناك جانبًا آخر للقصة:

فالعلمانيون عندما يتهمون الإسلاميين بادعاء امتلاكهم للحقيقة المطلقة يوحون ويلمحون (بل يصرحون في أحيان كثيرة) إلى أن هؤلاء يقولون أن كل ما يزعمونه هو الصواب المطلق، حتى لو كان رأيًا في الشؤون الزراعية، أو التجارية، أو طريقة من طرق التدريس، أو تنظيمًا لحركة المرور، أو حلاً لمشكلات الصناعة والتقنية، أو وسيلة من وسائل مد المرافق الأساسية أو البنية التحتية.. وهذا ما لم يفعله أحد من الإسلاميين، حتى من يحاول منهم أن يؤصل بعضًا من هذه الأمور بإرجاع حلولها أو التعامل معها إلى مبادئ الشريعة الإسلامية .

إن الزعم العلماني بغير ذلك يرمي إلى تشويه صورة مخالفيهم، ويعتمد على حيلة منطقية أو جدلية سخيفة، تقول: بأن ينسب للمرء أبعد الآراء وأكثرها غرابة مما لم يقله في مجال كان له فيه رأي قريب إلى العقل والصواب .

ويرمي العلمانيون من وراء هذه الحملة إلى أن يقوضوا كل ما يقول به الإسلاميون ، ليس في مجال الشؤون الحياتية التقنية، بل في مجال العقيدة والقيم العليا؛ من ذا الذي سيثق فيما يقوله أشخاص زعموا أنهم وحدهم يمتلكون الحقيقة المطلقة في ميادين الري، والصرف،

والمجاري، والحاسبات، وتعبئة البضائع.. وكلها أمور نسبية متغيرة مفتوحة لاجتهادات وإضافات الباحثين من المسلمين وغير المسلمين على حد سواء؟.

لكن الحقيقة المطلقة ـ التي قال الإسلاميون فعلاً أنهم يمتلكونها ـ لا تقع أبداً في هذه المجالات، هذا ما يدركه جيداً العلمانيون، وإنما تقع في مجال آخر أعلى وأسمى، هو نفسه المجال الذي ادعى العلمانيون لأنفسهم امتلاك الحقيقة المطلقة فيه، ألا وهو مجال العقيدة العليا في مسائل الألوهية، والخلق، والبعث والنشور، والهداية، والشريعة، فهنا يؤكد الإسلاميون ـ بل كل المسلمين ـ أن إلههم واحد أحد، وأنه هو الذي بعث الأنبياء والرسل، وأن القرآن وحيه المنزَّل، والعلمانيون كذلك لهم حقيقتهم المطلقة في هذا المجال، فالذين يؤمنون بالدين منهم ـ حسبما يقولون ـ يفترض أنهم يتفقون مع المسلمين في الإيمان بهذه الحقيقة أو الحقائق المطلقة، أما الذين لا يؤمنون بالإسلام: فلهم حقيقتهم المطلقة الخاصة بهم، وهي ـ كما أسلفنا ـ: مفهوم العقل، الذي يحولونه من حقيقته النسبية الجزئية المحدودة إلى كيان مطلق.

إن كل الجعجعة والطنطنة حول رفض الحوار مع الإسلاميين وإقصائهم وإبعادهم ـ بل واضطهادهم ـ عن ساحات الفكر، والثقافة، والعمل الاجتماعي، والسياسي، التي يهيمن عليها ويحتكرها العلمانيون.. ليست سوى حجج جوفاء تغطي على الحقيقة المطلقة التي تحكم سلوك التوجه العلماني منذ أن عرفناه، وهذه

الحقيقة المطلقة هي: السيطرة التامة على كل مفاتيح الحياة والفكر والحركة، وإبعاد كل المخالفين عنها، إلى حد التصفية الشاملة، واستغلال هذا الاحتكار الأحادي لتشويه صورة الخصوم، والإيهام والتمويه بأن كل العيوب قد اجتمعت فيهم.

ولو كان العلمانيون من المؤمنين حقًّا في سلوكهم وفكرهم بالمبدأ النسبي في طرح الأمور كلها، لجاز لهم أن ينتقدوا الإسلاميين، إلا أنهم ـ كما رأينا ـ لا يؤمنون بهذا المبدأ؛ لسبب بسيط ووجيه، هو: أن أحداً لا يستطيع ـ مهما ادعى ـ أن يؤمن به أو يطبقه؛ لأن الفكر (أي فكر) لا بد له من ثوابت منطقية أو بدهية؛ حتى يستطيع مجرد الوجود والقيام.

أما دعاوى النسبية والتميع وعدم الثبات التي تروج: فالمستهدف فيها المسلمون في المقام الأول؛ لإضعاف عقيدتهم وزعزعتها في النفوس، بينما تبقى عقائد العلمانيين ـ ومعها عقائد أخرى صليبية وصهيونية ـ ثابتة، راسخة، مطلقة، تقام على أسسها وبها الدول والأنظمة، وتستباح في سبيلها كل حرمات المسلمين.

بين الجاهلية القديمة والمعاصرة

بقلم:
عبد الرحمن بن الحارث البنانى

صحيح أنه مرَّ بالعالم الإسلامي أزمات ـ بل نكبات ـ كثيرة من قبل، كان المسلمون يفقدون فيها تمكنهم في الأرض، أو يفقدون أمنهم وطمأنينتهم، أو يفقدون ديارهم وأموالهم... ولكنهم مع ذلك لم يخوضوا تجربة أقسى ولا أمر من تجربتهم المعاصرة في تاريخهم كله؛ فاليوم نحن نعايش ـ في كثير من الديار ـ الجاهلية المعاصرة التي تشابه الجاهلية الأولى في كثير من الأوجه.

حقيقة الجاهلية :

إن الجاهلية ليست منحصرة فيما كان قبل بعثة النبي ﷺ، بل قد توجد في مصر من الأمصار، أو توجد في شخص من الأشخاص ولو بعد البعثة، يقول ابن تيمية (رحمه الله) في بيان «الجاهلية»: «الناس قبل مبعث النبي ﷺ كانوا في حال جاهلية منسوبة إلى الجهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال، إنما أحدثه لهم جهال، وإنما يفعله جاهل، وكذلك كل ما يخالف ما جاء به المرسلون : من يهودية ونصرانية فهي جاهلية، وتلك كانت الجاهلية العامة.

فأما بعد ما بعث الله الرسول ﷺ : فالجاهلية المطلقة قد تكون في مصر دون مصر، كما هي في دار الكفار، وقد تكون في شخص دون شخص، كالرجل قبل أن يسلم، فإنه يكون في جاهلية، وإن كان في دار الإسلام.

فأما في زمان مطلق: فلا جاهلية بعد مبعث محمد ﷺ، فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة.

والجاهلية المقيدة قد تقوم في بعض ديار المسلمين وفي كثير من المسلمين، كما قال ﷺ: « أربع في أمتي من أمر الجاهلية...»[1]...»[2].

بعض أوجه التشابه بين الجاهلية الأولى والجاهلية المعاصرة :

أولاً: أن الدساتير التي تحكم في الجاهلية المعاصرة، مشابهة للدساتير التي تحكم في الجاهلية الأولى، فكلتا الجاهليتين تحكم بغير ما أنزل الله (عز وجل).

ففي الجاهلية الأولى تحكم القبيلة بدستور العادات والتقاليد والأعراف الموروثة عن الآباء والأجداد، يحيا الرجل منهم من أجلها، ويموت من أجلها، ويوالي من أجلها، ويعادي من أجلها، دون أن ينظر: هل هذه العادات والتقاليد صحيحة أم بخلاف ذلك؟!!.

يقول أحدهم :

وما أنا إلا من غزية إن غَوَتْ غويت وإن ترشد غزية أرشد

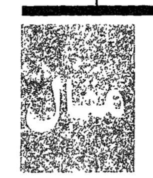
أما في الجاهلية المعاصرة فيتحقق المعنى في كل دولة تحكم بدستور مستمد من قوانين الشرق والغرب (اللهم إلا في بعض الأمور المسماة بالأحوال الشخصية، كالأحكام الخاصة بالنكاح والطلاق، أو غير ذلك من أحكام، لتدَّعي بذلك أنها دولة إسلامية) على تباين بين هذه الدول في الأخذ ببعض الأحكام الشرعية، فمقلة ومكثرة.

ثانياً: لقد اتخذ أهل الجاهلية الأولى أصنامًا وأوثانًا يعبدونها، ويعظمونها، ويذبحون لها من دون الله (عز وجل)، وقد جعلوا لها سدنة وخدمًا يقومون بخدمتها، وهم الكهنة والعرافون، فعظموهم وبجلوهم، فأحلوا ما أحلوا من المحرمات، وحرموا ما حرموا من المباحات، وتلك هي عبادتهم، وكذلك الشأن في اليهود والنصارى مع أحبارهم ورهبانهم: حيث أحلوا ما

---

١) رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري، كتاب الجنائز، ح/٩٣٤.

٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٧٨، ٧٩.



أحلوا من المحرمات، وحرموا ما حرموا من المباحات، كما يدل على ذلك قوله (تعالى): ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ .. الآية ﴾ [التوبة: ٣١]، وفسره النبي ﷺ لعدي بن حاتم (رضي الله عنه) بأنهم: «أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم»(١).

أما في الجاهلية المعاصرة فشرك المشركين فيها أعظم من شرك أهل الجاهلية الأولى؛ لأن أهل الجاهلية الأولى إذا اشتد فيهم الخطب دعوا الله مخلصين له الدين، أما مشركو زماننا إذا اشتد فيهم الخطب دعوا أصنامهم و أوثانهم من دون الله، ففي زماننا عبدة الأوثان والأصنام والقبور، وإن لم يكن الأحبار والرهبان، فهناك الطغاة والمتجبرون، ومع ذلك: فتوجد أصنام وأوثان مصنوعة – في الجملة –، منها : السلطة، والرئاسة، والجاه، والمال، والعادات، والتقاليد، والأعراف التي تخالف ما شرع الله (عز وجل)، والوطنية، والقومية، والاشتراكية، والقومية، والعلمانية، والوجودية..

فإذا كان حب السلطة والرئاسة و ...إلخ، مدعاة للعبودية لها، والتضحية بالدين في سبيلها ـ كما هو حال كثير من المسلمين في العالم الإسلامي ـ فهي عندئذ «وثنية» بلا قناع.

ولكن منها ما هو شرك مخرج من الملة، ومنها ما هو شرك غير مخرج من الملة، فهو شرك دون شرك؛ على حسب حب واعتقاد صاحبها لها،حقًّا: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

ثالثًا: لقد كان الربا في الجاهلية الأولى قائمًا ومنتشرًا فيهم، فقد كان المال والتجارة في أيدي قلة قليلة، وكانوا يتعاملون بالربا؛

١) انظر: السابق، ص ٩.

فيضاعفون تجارتهم وأموالهم، وكثرة كثيرة لا تملك إلا الشظف والجوع.

وقد كان للربا صورتان رئيستان: **ربا النسيئة، وربا الفضل.**

فأما ربا النسيئة: فقد قال عنه قتادة: إنه ربا أهل الجاهلية، يبيع الرجل البيع إلى أجل مسمى، فإذا حل الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاء: زاده وأخر عنه، وقال أبو بكر الجصاص: « أنه معلوم أن ربا الجاهلية إنما كان قرضاً مؤجلاً بزيادة مشروطة، فكانت الزيادة بدلاً من الأجل، فأبطله الله (تعالى) ».

وأما ربا الفضل: فهو أن يبيع الشيء بالشيء من نوعه مع زيادة؛ كبيع الذهب بالذهب، والدراهم بالدراهم، والقمح بالقمح، والشعير بالشعير... وهكذا، وقد ألحق هذا النوع بالربا لما فيه من شبه به.

وأما في الجاهلية المعاصرة: فيتمثل الربا في الديون المؤجلة بفوائد ربوية، أو في بعض المبيعات المثلية بتفاضل.

وهناك بعض البنوك والمصارف الربوية المحلية ـ في بلاد المسلمين ـ تأخذ نسبة من أموال المسلمين المودعة عندهم، فترسلها إلى البنوك والمصارف العالمية؛ لتقوم باستثمارها، ومن ثم: إرجاعها إلى البنوك والمصارف المحلية مع نسبة من الفوائد الربوية، والباقي لهم، قال (تعالى): ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩] « ياللهول! حرب مع الله ورسوله... حرب تواجهها النفس البشرية، حرب رهيبة معروفة المصير، مقررة العاقبة؟.. فأين الإنسان الضعيف الفاني من ذي القوة الجبارة الساحقة الماحقة؟!! ».

وهنا سؤال يفرض نفسه: ما هي الاستثمارات التي تقوم بها البنوك والمصارف العالمية؟!!.

الجواب: تستثمرها ـ غالباً ـ في أعمال غير مشروعة مثل: الأفلام الهابطة، والصحافة المسفة، والمراقص، والملاهي، والرقيق الأبيض، وسائر الحرف والاتجاهات التي تحطم الأخلاق.

وكذلك: تستثمرها في زراعة الأراضي والمصانع بشتى أشكالها من مصانع أسلحة لتدمير الأمم، أو مصانع سيارات، أو مصانع...، ومن ثم: تباع هذه الأسلحة وهذه السيارات وغير ذلك من المنتجات الاستهلاكية إلى البلاد الإسلامية بأسعار باهظة.

أي: إنهم يأخذون أموالنا ويستثمرونها، ونتاج أموالنا يبيعونه لنا بأغلى الأسعار؟!!.

نعم هذه هي الحقيقة المرة.

والأمرُّ من ذلك: أن جميع البنوك ـ التي تذهب أموالنا إليها ـ والمؤسسات في أوروبا وأمريكا تستقطع جزءاً من أموالنا للتنصير، وأغرب وأمرُّ من هذا كله: أن عدداً من مبالغ طائلة من أموال أغنياء المسلمين ـ التي وضعوها في البنوك الربوية ـ تذهب لمساعدة مجلس الكنائس العالمي.. سبحان الله العظيم !!.

أفبأموال المسلمين يُنْصَرُ أعداؤهم ؟!!.

رابعًا: لقد كانت الخمر والميسر ـ في الجاهلية الأولى ـ من تقاليد المجتمع الفاشية، ومن مفاخره كذلك، يعبر عن هذه الخصلة الشعر الجاهلي بجملته.. كالذي يقوله طرفة بن العبد:

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى ... وجدك لم أحفل متى قام عوّدي

فمنهن سبقي العاذلات بشربة ... كميت متى ما تُعلَ بالماء تزبد

وما زل تشرابي الخمور ولذتي ... وبذلي وإنفاقي طريفي وتالدي

إلى أن تحامتني العشيرة كلها ... وأفردت إفراد البعير المعبد

وكانت الدعارة في صور شتى كذلك من معالم هذا المجتمع ـ شأنه شأن كل مجتمع جاهلي قديم أو حديث ـ كالذي روته عائشة (رضي الله عنها) أن: «النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح الناس اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل ولِيّته أو بنته فيصدقها ثم ينكحها، والنكاح الآخر: كان الرجل يقول لامرأته ـ إذا

طهرت من طمثها ـ أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع... ونكاح آخر: يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة، كلهم يصيبها، فاذا حملت ووضعت، ومرّ ليال بعد أن تضع حملها، أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع به الرجل... ونكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها، وهن البغايا، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جُمِعُوا لها ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به، ودعي ابنه، لا يمتنع من ذلك..»[1].

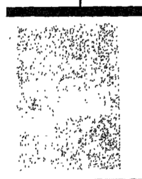
وأما في الجاهلية المعاصرة فقد تغيرت المسميات فقط، فتوجد ـ وللأسف الشديد ـ في بعض البلاد الإسلامية دور تُدعى البارات والمراقص، توجد فيها المومسات والخمور والقمار، ولهذه الدور موظفون وعمال يعملون فيها، وحُرَّاس لحمايتها، وتوضع لها المستشفيات الخاصة للكشف على المومسات ـ لحمايتهن وحماية المجتمع من الأمراض الجنسية!!.

كل هذا الاهتمام بهذه الدور لإفساد الشباب من ذكور وإناث، ولأن هذه الدور من أهم الموارد الاقتصادية!! فالدولة تأخذ عليها ضرائب، وتأخذ كذلك على المومسات ضرائب إذا كن يعملن لحسابهن الخاص.

وكذلك من أسباب اهتمام هذه المجتمعات بهذه الدور، اعتقادها أنها من أهم الأسباب لجلب السياح والمصطافين، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

خامساً: كان لدى أهل الجاهلية الأولى تخلف عقدي، وعدم تصور

1) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب ٣٦.



صحيح لبعض مفاهيم الإسلام، وذلك ناشئ عن عدم تصديقهم برسالة النبي ﷺ ، وعدم إيمانهم به إيمانًا وتصديقًا يؤديان إلى العمل.

وأما في المجتمع الجاهلي المعاصر: فأصبح لدى بعض المسلمين انحراف شديد عن حقيقة الإسلام، لا في السلوك وحده، ولكن في العقائد كذلك، فأصبح عندهم انحراف عقدي ، فهناك انحراف في مفهوم « لا إله الا الله » ـ أساس الإسلام كله ـ حتى تحولت الشهادتين إلى مجرد كلمة باللسان، لا علاقة لهما بالواقع، ولا مقتضى لهما في حياة بعض المسلمين أكثر من أن ينطقوا بها بضع مرات يوميًّا .

والعجب : أن كفار قريش أعرف من بعض المسلمين لبعض مفاهيم الإسلام؛ فهم قد عرفوا معنى « لا إله الا الله »، وهو : الإيمان بنفي الألوهية عما سوى الله، ومعنى الإيمان بالرسالة وباليوم والآخر هو : الانقياد التام والتفويض المطلق، بحيث لا يبقى لهم خيار في أنفسهم وأموالهم ، فضلاً عن غيرهم .

ومعنى ذلك : إلغاء سيادتهم وكبريائهم على العرب ، فقد كان إلغاء السيادة ـ بالصفة الدينية ـ : امتناعهم عن تنفيذ مرضاتهم أمام مرضاة الله ورسوله ﷺ ، وامتناعهم عن المظالم التي كانوا يفترونها على غيرهم، وعن السيئات التي كانوا يجترحونها صباح مساء.. عرفوا هذا المعنى فكانت نفوسهم تأبى عن قبول هذا الوضع، لا لكرامة وخير ﴿ **بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ** ﴾ [القيامة : ٥].

وعندهم تخلف في مفهوم الدنيا والآخرة ـ الذي يربط الدنيا بالآخرة ، ويجعل الدنيا مزرعة الآخرة ـ حتى تحول إلى فصل كامل بين الدنيا والآخرة، يجعلها موضع التقابل الكامل وموضع التضاد، فمن أراد الدنيا ترك الآخرة، ومن أراد الآخرة ترك الدنيا ، واكتفى منها بالكفاف .

ويجيء الفكر الإرجائي فيواكب هذا الانحراف العقدي المهلك

ـ عند بعض المسلمين ـ ، ويتسع تدريجيًّا مع كل تخلف جديد، على أساس قاعدته العظمى « أنه لا يضر مع الإيمان معصية » ـ والعجيب: أنه قد يكون من هذه المعاصي ما هو كفر ـ وأن الإيمان هو التصديق، أو هو الإقرار والتصديق، وأن العملِ خارج من مسمى الإيمان!.

سادساً : لما ظهر الإسلام في الجاهلية الأولى جوبه بتحديات، وكذلك جوبهت الصحوة الإسلامية ـ أو قل: اليقظة الإسلامية ـ عند ظهورها في العقود الأخيرة، وهذا وجه شبه يلمسه كل منصف .

والله المستعان

القانون الدولي الإسلامي

(علم السير)

الحلقة الأخيرة



عثمان جمعة ضميرية

سياسة شرعية

تطرق الكاتب في الحلقات السابقة إلى أكثر خصائص القانون الدولي الإسلامي، وانتهى في الحلقة الماضية بالحديث عن خاصية: أن أحكام السير تخاطب الفرد والدولة، ويواصل في هذه الحلقة عرض بقية الخصائص. - البيان -

خاصية الثبات والمرونة:

تقدم فيما سبق أن أحكام العلاقات الدولية في الإسلام تقوم أساسًا على الوحي (القرآن والسنة) الذي تكفل الله (تعالى) بحفظه، وأن المجتهدين في استنباطهم للأحكام يتقيدون بالنصوص الشرعية، ويطبقون قواعد الشريعة في الاستنباط، وهذا يعطي هذه الأحكام صفة الثبات والاستقرار[1]. حتى ولو تغير الحكام أو اختلفت أنظمة الحكم؛ لأن الأحكام الشرعية لا ترتبط بالهيئة الحاكمة، وإنما ترتبط بالدين الإسلامي الذي لا يتغير ولا يتبدل، قال (تعالى): ﴿ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ [يونس: ٦٤]، وقال: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

أي: لا تبديل لدين الله، وهو خبر بمعنى النهي، أي: لا تبدلوا دين الله[2].

ونضرب بعض الأمثلة على هذا الثبات في مجال العلاقات الدولية، لبيان ذلك الأثر الفريد الذي ينشئه

(١) «الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية»، د/ عابد السفياني، ص ١٠٩ - ١١٠.

(٢) انظر «تفسير البغوي»: ٦/ ٢٧١، «المحرر الوجيز» لابن عطية: ١٢/ ٢٥٩.

ثبات أحكام هذه العلاقات : فمن مبادئ العلاقات الدولية : احترام الكرامة الإنسانية في السلم والحرب ، والحفاظ على حقوق غير المسلمين في دار الإسلام، والعدالة التي ينبغي أن تتوخاها الحكومة المسلمة وتلتزم بها في التعامل مع المسلمين وغير المسلمين، والوفاء بالعهود والمواثيق حتى مع الأعداء، وعدم الغدر بهم حتى ولو غدروا هم بنا ، والفضيلة والأخلاق في المعاملات... وعالمية الدعوة الإسلامية، وحق المسلمين ـ بل واجبهم ـ في الدعوة إلى دين الله (تعالى) ، لأن الإسلام رسالة الله الأخيرة لهذه البشرية، فلا بد من إبلاغها لهم ، وحقيقة أن العلاقة التي تربط بين المسلمين هي آصرة العقيدة والإيمان، وأنه لا ولاء بين المسلمين والمشركين والكفار ، وإن كان هذا لا يمنع من البر بهم والإحسان إليهم في المعاملة، ووجوب إعداد المسلمين للقوة التي يحافظون بها على كيانهم ويرهبون بها عدوهم، لأن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة ... إلخ .

ولهذا الثبات فائدة عظمى ، لأنه يؤدي إلى اطمئنان الأفراد وأمنهم من المفاجآت والتقلبات، ووضوح أسس العدالة والنظام للكافة من أهل دار الإسلام في الدولة الإسلامية والمقيمين الأجانب غير المسلمين.. وهذا كله يؤدي إلى الثقة والازدهار ، وينتج أفضل الظروف للتقدم الاجتماعي والاقتصادي وحسن العلاقات الدولية وسيادة الأخلاق والآداب والفضيلة بسبب معرفة كل ذي حق حقه ، فتمتنع أسباب الصراع والاستغلال والغدر، وغير ذلك مما يحرض على الرذيلة وانتهاز الفرص بسبب ضعف القانون والعدالة .

وهذا الثبات أيضاً : يضبط الحركة البشرية والتطورات الحيوية ، فلا تمضي شاردة على غير هدى، كما وقع في الحياة الأوروبية عندما أفلتت من عروة العقيدة ، فانتهت تلك النهاية البائسة ذات البريق الخادع الذي يخفي في طياته الشقوة والحيرة والنكسة والارتكاس، كما أنه يقيم الميزان العدل الثابت الذي يرجع إليه الإنسان بكل ما يعرض له من مشاعر وأفكار وتصورات، وبكل ما يجدّ في حياته من ملابسات وظروف ، فيزن ذلك كله بهذا الميزان الثابت . ويعطينا هذا الثبات مقوّماً للفكر الإنساني، مقوماً منضبطاً بذاته يمكن أن ينضبط به الفكر الإنساني ،

فلا يتأرجح مع الشهوات والمؤثرات .

المرونة والدليل :

إلا أن ثبات الأحكام لا يعني جمود الفقه وعجزه عن مواجهة الوقائع الجديدة وتلبية حاجات الأمة[1] هذه ، فإن في مصادر التشريع الإسلامي مرونة وخصوبة وسعة تتنافى مع الجمود ، فإن أحكام المعاملات والعلاقات الدولية جاءت في القرآن الكريم بنصوص تدل على أحكام أساسية ومبادئ عامة لا تختلف من بيئة إلى أخرى ، وتقتضيها العدالة في كل أمة؛ ليكون أولو الأمر في سعة من أن يفرعوا ويفصلوا حسبما يلائم حالهم وتقتضيه مصالحهم، من غير أن يصطدموا بحكم تفصيلي شرعه القرآن، كما أن دلالة النصوص الشرعية ليست محصورة فيما يفهم من العبارة أو النص فحسب ، بل فيما يفهم من روحها ومعقولها، ومن هنا: كانت الدلالة دلالة منطوق ودلالة مفهوم. كما أن النصوص التشريعية لم ترد بأحكام مجردة من عللها والمصالح التي شرعت من أجلها، بل جاءت مقترنة بالعلة صراحة أو إشارة، مما فتح باب القياس أمام المجتهدين، ثم جاء الإجماع، والاجتهاد الجماعي كذلك، وسائر مصادر التشريع التبعية بما فيها من مرونة وقابلية لتلبية الحاجات ومواجهة الوقائع والمستجدات ؛ لتحكم حياة الناس في كل العصور والأماكن .

ومن الأمثلة على هذه المرونة والحركة في النظام السياسي الإسلامي: شكل الحكومة الإسلامية، فلم تحصر الشريعة شكل الحكومة في قالب ضيق، وإنما أفسحت له المجالات الصحيحة المتعددة، واكتفت بمبادئ عامة رحيبة تضبط هذا الشكل سريع التغير بطبيعته دون أن تحد من حركته الصحيحة ، ولعله من أجل ذلك: تعمد رسول الله ﷺ ألا يحدد أبا بكر (رضي الله عنه) خليفة له، على الرغم من فضله على سائر الصحابة.

وأيضاً: نجد الأمر نفسه في «الشورى» قاعدة للنظام السياسي الإسلامي، فهي واجب لا بد من إقامته، وإن كانت

---

[1]) وغني عن البيان أن نؤكد هنا: أن الثبات لا يعني الجمود الذي قال به شراح القانون الدستوري مثلاً بالنسبة للقواعد الدستورية ، لأن لفظ الجمود يلقي ظلالاً كريهة على الأحكام الشرعية، وهي بريئة منها. انظر : « المشروعية الإسلامية العليا » د. علي جريشة، ص ١٩٠ ـ ١٩١، وراجع « نظام الحكم الإسلامي»، د/محمود حلمي ، ص ١١٩ ـ ١٢٣.

سياسة شرعية

طريقتها لم تحددها النصوص الشرعية أو لم تقصرها على طريقة واحدة لا تتعداها، ليكون في ذلك سعة ومجالاً لاختيار أمثل الطرق لإقامة الشورى .

كما أن الاجتهاد يحدد للدولة الإسلامية طريقة تعاملها مع الدول الأخرى من النواحي المالية والاجتماعية والسياسية في حال السلم والحرب ضمن القواعد الشرعية والأحكام الأساسية الثابتة ، والأمثلة على ذلك كثيرة تعز على الحصر .

ومن نافلة القول أن نؤكد على أن هذه المرونة لا تعني بأي حال من الأحوال خروجاً على حكم شرعي ثابت سواء أكان كلياً أو جزئياً ؛ لأنها محكومة بضوابط دقيقة ، حتى لا يؤدي التطور إلى التشويه والتدهور والخروج على أحكام الله التي يحتاج إليها البشر ، فإن المرونة والتطور يختلفان عن الهدم والانطلاق بلا حدود ، الأمر الذي تتخذه بعض الاتجاهات المعاصرة في الحياة الاجتماعية والقانونية [1] .

ومن هنا يمكن أن نصوغ هذه الخاصية بعبارة تجمع الثبات والمرونة في سياق واحد مع ضابط ذلك وميزانه، فنقول مع الأستاذ سيد قطب (رحمه الله): إنها خاصية « الحركة داخل إطار ثابت حول محور ثابت »[2] .

أحكام العلاقات الدولية مقيدة بالمشروعية الإسلامية وقائمة على العدل الحقيقي :

تتقيد جميع الأحكام بالمشروعية الإسلامية [3] ، التي تتضمن التضامن في تنفيذ ما أمر الله به وفيما نهى الله عنه، فقد قال الله (تعالى): ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ثم قال: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة: ٢] .

ومن هنا : تتميز أحكام العلاقات الدولية عنها في ظل القانون الدولي

---

١) انظر بالتفصيل: « المشروعية الإسلامية»، د. مصطفى كمال وصفي ، ص ٢٨ ـ ٣١، «التشريع الجنائي الإسلامي»، عبد القادر عودة: ١ / ٧٢ ـ ٧٣، « خصائص التصور الإسلامي»، سيد قطب، ص ٨٥ وما بعدها.

٢) « خصائص التصور الإسلامي » ، ص ٨٥ .   ٣) «المشروعية الإسلامية العليا» ، د. علي جريشة.

سياسة شرعية

الحديث، حيث تقوم في الإسلام على هذا التضامن ، فإن وحدة الأمة الإسلامية التي تسكن دار الإسلام إنما تظهر فيها أحكام الشريعة الإسلامية ، وهذه الوحدة المتماسكة لا يجوز أن يقوم بينها وبين غيرها علاقة الحرب إلا لأجل إعلاء كلمة الله (تعالى) ، فلا يجوز أن تشن على سائر البلاد حربًا بقصد الاغتناء الاقتصادي، أو فتح الأسواق، أو تأمين المواصلات.. أو غير ذلك، وإنما الهدف الوحيد الذي يسوغ الحرب هو: الجهاد لإعلاء كلمة الله (تعالى)، ولذلك: قال (عليه الصلاة والسلام) وقد سئل عن الرجل: يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1] .

وتؤدي هذه المشروعية إلى أن تقدم أحكام العلاقات الدولية على العدل الحقيقي ،بل تهدف إلى تحقيق أعدل سيرة ممكنة للحاكم المسلم في مجال العلاقات الدولية ، وتتنزه عن اعتبارات الأنانية والظلم والصراع على المصالح الذاتية ، وحتى في المعاملة مع الأعداء : لايجوز أن تحملنا العداوة لهم وبغضهم على أن نتنكب جادة العدل، فإن شريعة الله (تعالى) هي شرعة الحق والعدل المطلق.

وقد أرست الآيات القرآنية هذا الأصل الكبير ، فقال (تعالى) : **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾** [النساء: ٥٨] ، وقال (تعالى) : **﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** [المائدة: ٤٢] ، وقال (تعالى) : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** [المائدة: ٨].

كما حكت الآيات القرآنية واقعة عملية، حيث تنزلت لتبرئ ساحة يهودي اتهم بالسرقة، بل لتقيم ميزان العدالة الذي لا يميل مع الهوى ولا مع العصبية، ويتارجح مع المودة والشنآن أيًّا كانت الملابسات والأحوال، وأمرت النبي ﷺ ألا يجادل عن الذين اتهموا

---

١) أخرجه البخاري في الجهاد ، (باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا): ٦/ ٢٧ ـ ٢٨، ومسلم في الإمارة، باب من قاتل .. ح/ ٢٨١٠ : ٣/ ١٥١٢ ـ ١٥١٣ .

اليهودي بذلك ؛ لأنهم يختانون أنفسهم: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٦) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ...﴾ (١).

ثم جاء الواقع التاريخي معلّمًا شاهدًا صادقًا على ذلك ، والأمثلة تعز على الحصر، حسبنا منها هنا الإشارة إلى ما سبق من حكم القاضي «حاضر بن جميع» على جيش المسلمين في الخروج من (سمرقند) بعد فتحها دون إنذار ، تحقيقًا لهذا العدل المطلق، وإلى حادثة أخرى فريدة حين ردّ أبو عبيدة (رضي الله عنه) على أهل الذمة في بلاد الشام ما جبي منهم من الجزية والخراج ؛ لأنه كان قد اشترط لهم أن يمنعهم ويدافع عنهم، وهو لا يقدر على ذلك؛ لما رأى تجمع الروم، وقال لهم: إنما رددنا عليكم أموالكم؛ لأنه بلغنا ما جُمِّع لنا من الجموع ، وإنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم ، وإنا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم ، فلما قال لهم ذلك، وردوا عليهم الأموال التي جبوها منهم، قالوا: ردكم الله علينا ونصركم عليهم، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئًا وأخذوا كل شيء بقي لنا حتى لايَدَعوا لنا شيئًا (٢).

هذا ، بينما تقوم الدول الاستعمارية ـ في القديم والحديث ـ على (الأنانية) وحب الذات، فتقوم باستغلال الشعوب الضعيفة واستنزافها ، شأنها في ذلك شأن (الأناني) في علاقته مع الناس، مما يثير الصراع ويفشي الظلم ، ويسوغ الغدر، ويبرر الواسطة ـ مهما كانت ـ بالغاية الأنانية التي تستهدف المصلحة الخاصة مهما كان الضرر الذي تلحقه بغيرها ، وواقع العلاقات الدولية اليوم شاهد ناطق بذلك ، وما قضايا المسلمين في بقاع كثيرة من العالم ببعيدة عنا (*).

---

١) سورة النساء، الآيات (١٠٥ ـ ١١٣) انظر القصة في «سنن الترمذي» : ١٨ / ٣٩٥ ـ ٣٩٩ مع «تحفة الأحوذي» للمباركفوري ، «تفسير الطبري» ٩ / ١٨٣، وانظر : ما كتبه الأستاذ سيد قطب في «الظلال» ٢ / ٧٥١ ـ ٧٥٣ .

٢) انظر : «الخراج» لأبي يوسف، ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

*) نعيد للأذهان بأن هذه الدراسة لمحات ووقفات من دراسة علمية شاملة عن الموضوع للكاتب لم تر النور بعد، شاكرين لفضيلة الكاتب إيثاره «البيان» لنشرها على صفحاتها ، وجزاه الله خير الجزاء. ـ البيان ـ



شروط قبول الرواية

بقلم : أحمد بن حسن بن علي

بما أن السنة النبوية (على صاحبها أفضل الصلاة والسلام) تُعتبر مصدراً من مصادر التشريع لهذه الأمة ، فمن المعروف أن هذه السنة انتقلت إلينا عن طريق الرواة؛ فالراوي الثاني يروى عن الأول والثالث عن الثاني.. وهكذا .

وحرصًا على سلامة هذا المصدر: فقد وضع علماؤنا رحمهم الله (تعالى) شروطًا لهؤلاء الرواة حتى تُقبل روايتهم ؛ وقد ذكر هذه الشروط الإمام أبو عمرو ابن الصلاح، فقال (رحمه الله تعالى): « أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يُشترط فيمن يُحتج بروايته أن يكون عدلاً ضابطًا لما يروي، وتفصيله: أن يكون مسلمًا ، بالغًا ، عاقلاً ، سالمًا من أسباب الفسق وخوارم المروءة، متيقظًا غير مغفل ، حافظًا إن حدّث من حفظه ، ضابطًا لكتابه إن حدّث من كتابة، وإن كان يحدّث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك أن يكون عالمًا بما يُحيل المعنى » [١] .

وقال الإمام ابن الأثير الجزري: « شروط من تُقبل روايته أربعة :

الشرط الأول: الإسلام.

الشرط الثاني : التكليف.

الشرط الثالث: العدالة.

الشرط الرابع: الضبط » [٢] .

لكن المتأمل لكلام ابن الأثير يجد أن بعض الشروط يُغني عن بعض ، فالشرط الأول والثاني يدخلان ضمن الشرط الثالث وهو العدالة؛ إذ إن الإسلام والتكليف من شروط العدالة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله تعالى): « الراوي إما أن تُقبل روايته مطلقًا، أو بقيد :

---

١) التقييد والإيضاح، للإمام العراقي ، ص ١١٤ .

٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول، (١/ ٧٢) .

أما المقبول مطلقًا: فلا بد أن يكون مأمونًا من الكذب بالمظنة، وشرط ذلك: العدالة، وخلوه عن الأغراض والعقائد الفاسدة التي يُظن معها جواز الوضع، وأن يكون مأمون السهو، بالحفظ والضبط والإتقان، وأما المقيد: فيختلف باختلاف القرائن، ولكل حديث ذوق، ويختص بنظرٍ ليس للآخر »[1].

وهذه الشروط التي ذكرها العلماء نجد أنها ترجع إلى شرطين أساسين، هما:

١ ـ العدالة. ٢ ـ الضبط.

فالعدالة هي: ملكة تحمل صاحبها على التقوى واجتناب الأدناس، وما يخل بالمروءة عند الناس[2].

والضبط هو: تيقظ الراوي، بألا يكون مغفلاً، حافظًا إن حدث من حفظه، ضابطًا إن حدث من كتابة[3].

* * * *

ما أحوجنا عند نقلنا لأي خبر أو موضوع من التثبت من مدى صحة مضمونه ومدى صدق راويه؛ لأن الملاحظ أن هذا العلم يكاد يكون حكرًا على الدراسات الحديثية فقط، بينما يجب أن يكون منهجًا في التلقي والبحث والتعامل.

ولقد بدأ نفر من العلماء والكتاب تَمَثُّل ذلك في رسائل علمية وأبحاث جامعية، والانطلاق من هذه المبادىء القيمة والسير على منوالها.

فما أجمل أن يكون ذلك منهجًا لنا معشر طلاب العلم في حديثنا ونقلنا وأبحاثنا.

وفقنا الله جميعًا إلى العلم النافع والعمل الصالح

---

١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (١٨/ ٤٧).

٢) الوسيط، للدكتور أبي شهبة، ص٨٥، ومنهج النقد للدكتور نور الدين عتر، ص ٧٩.

٣) التقييد والإيضاح، للإمام العراقي، ص ١١٤.

بريد البيان

لم تزل **البيان** حامدة شاكرة لله (عز وجل) على جميل التواصل بينها وبين قرائها الأعزاء، وما زالت طامعة وسعيدة بالمزيد من التواصل والتفاعل والتعاون.

وها نحن مقدرين وشاكرين نرد على بعض رسائل الإخوة الكرام.

■ **د. عبد السميع عبد الرحيم:** المقالات التي تنشر في المجلة تعرض على لجان علمية لتقييمها قبل إجازتها، ومتى أجيزت المقالة أخذت طريقها للنشر، والحكم على الشيء فرع عن تصوره؛ فنرجو إرسال نماذج من كتاباتك للنظر فيها.

وفقنا الله وإياك لكل خير.

■ **فاطمة جلال:** موضوعك مناسب، وسينشر في منتدى القراء في عدد قادم ـ إن شاء الله (تعالى) ـ.

■ **عبد الحميد عبد الله:** نشكر لك اهتمامك واقتراحاتك، ونفيدك بأن المجلة بصدد إعداد كشاف موضوعي للمواد المنشورة بالمجلة منذ صدورها حتى العدد (١٠٠)، راجين أن يلبي ذلك حاجة قرائنا الكرام، ويوافق مقترحاتك الطيبة.

وجزاك الله خيراً.

■ **عبد العزيز بن محمد الراجحي:** بدايةً: شكر الله لك ثناءك، ونبادلك المشاعر والدعاء إلى الله بالتوفيق والسداد، واقتراحاتك بناءة، وسوف تكون محل الاهتمام، ولكنَّا نرى أن فهرست المجلة كافٍ في تيسير الوصول إلى موضوعاتها.

■ **د. ناول عبد الهادي:** رغم جدية الموضوع وأجدرية الفكرة بالمعالجة، إلا أن لجنة الإجازة تعتذر عن نشر مقالتك، آملين أن نرى ونسعد بتواصل جديد أكثر مناسبة لمنهج المجلة.

■ **إبراهيم خليل إبراهيم:** نقدر فيض مشاعرك، ونسأل الله أن يكتب لك التوفيق، ومقالتك على ما فيها من عاطفة إلا أنها لا تزال دون مستوى النشر في المجلة، وسوف تصلك رسالة خاصة بشأن ما طلبت، ولعل مشاركاتك القادمة تكون أكثر مناسبة.

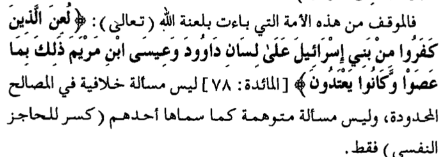
الورقة الأخيرة

هل حقاً عرفنا يهود

بقلم : أحمد العويمر

لقد سلط القرآن الكريم الأضواء على اليهود، وكشف حقيقتهم ودخائل أنفسهم، وكيف يتعاملون مع غيرهم، وحذر منهم... لكن هل حقًّا عرفنا هؤلاء الناس في الواقع حق المعرفة، وفهمنا سياساتهم القائمة على المكر والخداع والإفساد في الأرض والعلو والاستكبار وإيقاد الفتن، وتحريف الكلم عن مواضعه؟.

حسبنا قول الله (تعالى): ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].



فالموقف من هذه الأمة التي باءت بلعنة الله (تعالى): ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨] ليس مسألة خلافية في المصالح المحدودة، وليس مسألة متوهمة كما سماها أحدهم (كسر للحاجز النفسي) فقط.



المسألة مع (إخوان القردة والخنازير) هي مسألة عقيدة لا يمكن بحال للمسلم أن يتساهل فيها، فقد وقفوا وقفاتهم المعروفة من هذا الدين: من الكفر به، ومعاداته رغم ما قدمه لهم من (إحسان)، حتى إنهم لولا الله ثم حدب الأمة الإسلامية عليهم لكانوا أثراً بعد عين؛ لما صب عليهم من عقاب؛ لمواقفهم من كثير من الأمم.

ومع ذلك: فقد وجدنا في كتبهم المحرفة (كالتوراة) والموضوعة (كالتملود) ما يندى له الجبين من عداء للإنسانية عامة وللإسلام والمسلمين بخاصة، مما لا يتسع المجال لبيان بعضه، وليس آخره احتلال (أرض الإسراء والمعراج) وتشريد أهلها وسوم من بقي منهم سوء العذاب .

الغريب أن من قومنا من أسلم القياد لهم، وادعى زوراً وبهتاناً بأنهم (جنحوا للسلم) فجنح له .. بينما هم محتلون معتدون، ومواقفهم المتطرفة والمتشنجة من استمرار الاحتلال وبقاء المستعمرات وبقاء المستوطنين هي مواقف تهدد الأمن والاستقرار في المنطقة كلها .

وها هم بنو يعرب يتداعون على السلام معهم تداعي الفراش على النار.

وها هو (الليكود الحاكم) بغطرسته واستكباره يؤكد منطلقاته المعروفة ، وقومنا مازالوا سادرين في وهم السلام المزعوم، فماذا هم فاعلون يا ترى أمام الحزب المتطرف سوى المزيد من السقوط، والمزيد من الانحدار.

وها هو (نتنياهو) شامخاً بأنفه أمام ناخبيه، وأمام (الكونجرس) و (إيباك) في أمريكا، وحينما وجد نوعاً من الرفض لتوجهه جاء لمصر، فاظهر التنازل عن بعض لاءاته وأصر على بعضها ، وفي الوقت نفسه: يرسل مندوباً منه لبعض الدول العربية؛ ليبقى توجه التطبيع مع (إسرائيل) قائماً .

يا قومنا : لن يوقف الرجل ودولته ومن وراءهما سوى عودتنا إلى الحق، وصدق منطلقاتنا، ووحدة صفنا، وبث روح الجهاد الحقة في شعوبنا .. وحينها سيعرفون من هم! .. وبأي دينٍ يصطدمون.

فلماذا لا تعطى القوس باريها؟!!.

AL-BAYAN

Islamic Magazine

Subscription Form

-- (BLOCK CAPITALS PLEASE)

ame ---------------------------- Surname --------------------

ddress ---

----

ty -- Post Code --------

ountry ---

ew ☐ 1 Year ☐ 2 Years ☐ 3 Years ☐

new ☐ Amount Enclosed -------------------------
(Sterling Only) (Cheques payable to AL-BAYAN)

ase quote subscription number in all correspondance:--------------

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST
7 Bridges Place, Parsons Green
LONDON SW6 4HR
U.K.

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس:

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR. U.K
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

كلمة صغيرة

موضوعية الضائعة

الصحوة الإسلامية ـ التي تعني العودة إلى الإسلام عقيدة ومنهج حياة ـ ظاهرة ملموسة لكل منصف، غير أن أعداء هذا الدين يتجاهلونها وينفرون منها عن حقد وبغض؛ لما يحمله المنتمون لها من تصور عقدي يرفضون معه كل الأطاريح المنحرفة، وعلى رأسها: التوجهات العلمانية من يسارية ويمينية، والعجيب :أن المنحى العلماني بلغ به التطرف في الرأي: أن يُدَّعى ظلماً وعدواناً بأن كل منتمٍ لهذه الصحوة ـ كائناً من كان ـ فهو متطرف وإرهابي، ومن هذا المنطلق: نرى أن الموقف المتشنج والعدائي لهذه الصحوة ينبثق من ذلك التصور الظالم من مثل: «فرج فودة» و«فؤاد زكريا» و«سعيد العشماوي» وأضرابهم، الذين يتعاونون ـ كما هو واضح ـ مع الحاكمين بأمرهم لحرب هذه الصحوة ومحاولة القضاء عليها.

الأعجب: أن تظهر بوادر موضوعية في الموقف من هذه الصحوة من مفكرين وكتاب غربيين، منهم ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ الباحث الفرنسي: «فرانسوا بورجا» في كتابه: (الصحوة الإسلامية تجاهنا)، الذي دعا فيه إلى إعادة النظر في الآراء المسبقة السلبية والمعادية للصحوة الإسلامية، ومطالبته بفهم أطاريحها على ضوء استشراف آفاق المستقبل.

أين موضوعية العلمانيين العرب الذين لا يعرفونها إلا حينما يتعرض واحد منهم للنقد، وحين يحال للمحاكمة لتجاوزه وانحرافه عن الجادة، كما حدث في محاكمة المدعو نصر أبو زيد؟، فهم يريدون إيهام القارئ بأن المذكور صاحب علم ورأي حر، وهو أبعد ما يكون عن ذلك، بل هو حاطب ليل، مهما أرادوا أن يلمعوه.

في هذا العدد :

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الاردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصر : القاهرة – ش الجلاء – الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن احمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٥٤/٢٤٥٧٤٥

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩ ،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠ ، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ – ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.

أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313-677-006 Fax 313-677 0065
الرقم المجاني : (Subscription No.: 1-800-99-Fajer)

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الاردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، اوروبا وأمريكا ١٫٥ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالا ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيه ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

محاكمة مجرمي الحرب بين (نورمبرج) و(لاهاي)

فعالية الأولى وعجز الأخرى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه .. أما بعد:

فإن للإنسان حقوقًا معتبرة، جاء بها الإسلام، حيث كفلت الشريعة الإسلامية له المكانة اللائقة، وحرمت إلحاق الأذى المادي والمعنوي به، وهيأت للجميع الأمن والطمأنينة والمحافظة على حياتهم ورد أي اعتداء عليهم:

« إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، حرمة يومكم هذا ..» [أخرجه ابن ماجة، كتاب المناسك]، «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه...» [أخرجه الترمذي وابن ماجة، وأحمد في المسند]، حتى إن الإنسان بإيمانه أعظم حرمة من بيت الله الحرام: «ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة منك ...» [أخرجه ابن ماجة، كتاب الفتن].

وبقيت حقوق الإنسان المسلم لها قدرها لا يمسها أحد بسوء يوم كان للإسلام قوته ومكانته، وحينما فرط أكثر المسلمين في مصدر عزتهم نتيجة بعدهم عن دينهم، وتنحيتهم لشريعة ربهم، وأخذهم بالأنظمة والدساتير المستوردة: تحولوا إلى أتباع، واستبيحت بلدانهم، وانتهكت أعراضهم وصارت دماؤهم أرخص الدماء على يد المستعمرين وأذنابهم.





ومع ما تعرض له المسلمون في جل البلدان التي احتلها أولئك الأعداء، وما قاموا به من قتل واعتقال وتهجير إبان استعمارهم: فإن ذلك لم يوقظ إنسانيتهم، ولم يدفعهم ذلك لإنصاف المسلمين حتى بعد ظهور ما سمي بـ(وثيقة حقوق الإنسان) بعد نشوء هيئة الأمم المتحدة، ولم يظهر

موضوع (محاكمة مجرمي الحروب) إلا بعد الحرب العالمية الثانية لمحاسبة النازيين الذي أذاقوا دول الغرب أمرَّ العذاب في عنفوان قوتهم ـ إبان حكم هتلر ـ حيث أحيل إلى المحاكمة ثلاثة وعشرون من كبار قادة الحزب النازي الألماني من المدنيين والعسكريين بعد انتصار الحلفاء، وتدميرهم ألمانيا، ودخول جيوشهم (برلين)، وإصرارهم على أن تكون المحاكمة في مدينة (نورمبرج) مقر الحزب النازي طيلة خمسة وعشرين عاماً، شهدت صعود وارتقاء الحكم الهتلري، لتشهد هذه المدينة نفسها انهيار النازيين وسقوطهم، وتمت المحاكمة ابتداء من ٢١/١٠/١٩٤٥م، وانتهت إلى تثبيت التهم التالية عليهم:

١ ـ التآمر ضد السلام وانتهاك حرمة المعاهدات والاتفاقات الدولية.

٢ ـ التواطؤ على ارتكاب جرائم ضد السلام.

٣ ـ انتهاك قوانين الحروب وتنفيذ أعمال القتل والتخريب وقتل الرهائن.

٤ ـ اقتراف جرائم ضد الإنسانية.

يقول د/ ج.م. جلبرت في كتابه (محاكمات نورمبرج) ـ بعد أن ساق التهم آنفة الذكر ـ : إنه يستنتج من بين السطور تهمة خامسة لكنها في نظر المحكمة ـ على ما يبدو ـ تهمة أولى تغطي على كل التهم، وهي: مشاركة المتهمين ـ فيما يزعم ـ في مذابح اليهود في ألمانيا وبولونيا.

واستمرت المحاكمة على أشدها وبدون أي كلل حتى إعلان النطق الأخير بالحكم في الجلسة الختامية على النحو التالي:

١ ـ الإعدام لأحد عشر متهماً. ٢ ـ البراءة لثلاثة منهم.

٣ ـ أحكام مختلفة لبقية المتهمين.





ونفذ الإعدام في مساء اليوم نفسه مع الاعتراضات القانونية التي قدمت على تلك المحاكمة، من حيث التكييف القانوني للمحاكمة، وعدم وجود سوابق لها، وضرورة أن تكون المحاكمة (عسكرية).

لقد عانى المسلمون في جل ديار الإسلام مما سمي بـ (الاستعمار)

لبلدانهم، وانتهكت حريات شعوبهم، وسرقت خيرات بلدانهم، وتعرض مجاهدوهم للإعدام بتهمة المقاومة للمحتلين، ولم تنتهك حرمات أحد مثلما انتهكت حرمات المسلمين وبلدانهم، و (البوسنة والهرسك) أقرب شاهد ملموس يعرفه القاصي والداني عبر كل وسائل الإعلام ؛ حيث بلغ فيها العدوان الصربي ذروته والاستهتار الدولي أقصاه حيال تلاعب الصرب بقرارات هيئة الأمم المتحدة وانتهاكها لما سمته بالمناطق الآمنة، وقيامهم بالإعدامات الجماعية التي يعرفها الجميع.. ولم يُنصَف المسلمون حتى بعد عقد (اتفاق دايتون) للسلام، الذي ألغى بصورة فعلية قيام دولة إسلامية في أوروبا، حيث جعل البوسنة اتحاداً مع الكروات، وقبل المسلمون ذلك على مضض؛ خوفاً من الاستئصال الذي كان يجري بمباركة الهيئة الأممية والدول الكبرى، ومع أن ذلك الاتفاق تضمن محاكمة مجرمي الحرب في البلقان جميعهم، إلا أن الأمر استقر على محاكمة زعيمي الصرب: «كرادتيش» و«ميلاديتش»، وفي يوم الثلاثاء الموافق ٢٠/١٢/١٤١٦هـ بدأت محاكمة مجرمي حرب البوسنة في لاهاي (حيث توجد محكمة العدل الدولية) ومن المتوقع استمرارها طويلاً؛ لتتقصى! انتهاكات الصرب بحق المسلمين!!، وقد اتخذت إجراءات مبدئية بعزل المجرمَين الكبيرين من العمل السياسي، وبدأت المحاكمات على استحياء، مع أفراد من مجرمي الحرب، وبقي الأسبوع الأول حافلاً بنشر الأخبار حول إثبات ونفي موضوع (استقالة كراديتش) والحقيقة هي: ما قاله نائب الرئيس البوسني: «أصبحت الأسرة الدولية رهينة كراديتش وقائده العسكري».



افتتاحية العدد

لقد كانت متابعة ومعالجة هيئة الأمم المتحدة لهذه القضية لينة باردة ـ وربما متواطئة ـ مع استهتارهم بقرارات الهيئة، وتلك الصورة إفراز واضح لازدواجية المعايير التي تمارسها الهيئة تجاه حقوق المسلمين.

إن المحاكمة لمجرمي الحرب في (نورمبرج) استمرت بكل حماس ومتابعة

جادة، وصدرت القرارات بصورة سريعة وحازمة مع ملاحظاتهم على قانونية المحاكمة كما سبقت الإشارة إليه، أما محاكمات (لاهاي) الأخيرة لمجرمي حرب البلقان فقد بدأت على استحياء، وربما تأثر إيقاعها بتهديد الصرب بأنهم سيقتلون جنود هيئة الأمم المتحدة في حالة إلقاء القبض على زعيمهم وقائده العسكري.

إن القوة والجزم ـ بل الظلم ـ مع المسلمين، والتساهل والاستهتار مع غيرهم: ظاهرة ملموسة جعلت الهيئة في موقف مشبوه في إجراءاتها، مما يجعلنا غير متوقعين لأي إنصاف منها لحل قضايا المسلمين .. وسيتضح للجميع أن محاكمة (لاهاي) مهزلة في بداياتها، وفي أثنائها، وربما في نهاياتها، وهذا ما قد توضحه الأيام، لأن الهيئة قامت على أساس ظالم، فرق بين الدول، وأوجد (دولاً كبرى) لها حق النقض لكل ما لا تريده، وهناك أساليب أخرى لتمرير ما تريده تلك الدول بوسائل الضغوط والتهديد باتخاذ مواقف بعينها لمصالحها.

نحن لا ننتظر الإنصاف من هيئة الأمم المتحدة ولا من منظماتها، لذا لا نتوقع منها قرارات حازمة سوى ضد المسلمين. بينما يعربد الصهاينة ـ مثلاً ـ ويعتدون ولا يصدر ضدهم أي قرار بالعقوبات؛ لكننا نذكر أبناء أمتنا بأن عزتهم ومنعتهم لن تكون إلا بتجمعهم وتعاونهم، وبأن تكون منطلقاتهم هي أصول دينهم الحق بفهم سلفنا الصالح، وأنهم ما داموا (شذر مذر) فهم عالة على من سواهم، وسيكونون مُنْتَهَكين في كرامتهم ومسلوبين في حقوقهم، لأن إذلالنا هدف أعدائنا الذين يعملون له، كما قال (تعالى) : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].



محاكمة مجرمي الحرب



الوسائل وأحكامها في الشريعة الإسلامية

(١ من ٢)

بقلم: د. عبد الله التهامي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.. أما بعد:

فمن القضايا الملحَّة: معرفة فقه الوسائل وأحكام التوصل إلى المقاصد الشرعية، خاصة مع تكاثر الوسائل في هذا العصر وتجددها بصورة مذهلة أخّاذة، ويمكن الإشارة إلى أهمية بحث هذا الموضوع في الآتي:

١) أن الوسائل ربع التكليف؛ إذ التكليف إما نواهٍ أو أوامر، فيدخل في النواهي: المفاسد وأسبابها ـ وهي الذرائع ـ، ويدخل في الأوامر: المصالح وأسبابها ـ وهي الوسائل ـ .

٢) أن في معرفة الوسائل وكيفية الاستفادة منها فتحًا لآفاق الإنتاج والإبداع، وقبضاً لمعاقد الأمور، واستمساكاً بجادة الطريق، وسيراً على سواء الصراط.

٣) أن في العمل بالوسائل المنضبطة بالضوابط الشرعية: راحة للبال، وطمأنينة للنفس، وابتعاداً عن الهوى وحظوظ النفس، وتجرداً للحق، واتباعاً للشرع، فيكون العمل بذلك أدعى للصدق والإخلاص، وأقرب لالتماس الأجر والثواب.

٤) بفقه الوسائل يمكن تقدير حجم الخلافات الواقعة في عدد كبير من وسائل الإصلاح ومناهج التغيير والبناء، ومن ثم: الإجابة على أسئلة يكثر طرحها، مثل:

وسائل الدعوة هل هي توقيفية أم اجتهادية؟ وما الفرق بين البدع والوسائل؟ وهل الغاية تبرر الوسيلة؟.

المسألة الأولى: معنى الوسائل لغة واصطلاحا:

معنى الوسائل في اللغة:[١]

الوسائل والوُسُل: جمع وسيلة ، والوسيلة : ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، والوسيلة أخص من الوصيلة لتضمن الوسيلة لمعنى الرغبة.

وتأتي الوسيلة في اللغة لمعانٍ عدة، منها: المنزلة عند الملك، والدرجة، والقرابة، والرغبة، وتأتي بمعنى السرقة.

معنى الوسائل في اصطلاح الأصوليين:

وللأصوليين في معنى الوسائل اصطلاحان : **عام**، **وخاص**: فالوسائل في الاصطلاح **العام** هي: **الطرق المفضية إلى المصالح والمفاسد،** وبعبارة أخرى: هي **الطرق المؤدية إلى المقاصد.**

قال القرافي: «وموارد الأحكام على قسمين: مقاصد، وهي المتضمنة للمصالح والمفاسد في أنفسها، ووسائل، وهي: الطرق المفضية إليها»[٢].

ويلاحظ في هذا التعريف:

١ـ اتفاق الاصطلاح العام للوسائل مع المعنى اللغوي.

٢ ـ أن الاصطلاح العام للوسائل يطلق في مقابلة المقاصد.

٣ ـ يدخل في الوسائل بالاصطلاح العام أمران :

● الطرق المؤدية إلى المصالح ، كالأسباب والشروط الشرعية.

● الطرق المؤدية إلى المفاسد، كالحيل الباطلة، والذرائع المفضية إلى الحرام.

أما الوسائل في اصطلاح الأصوليين **الخاص** فهي: « **الطرق المفضية إلى تحقيق مصلحة شرعية**» .

---

١) انظر: أساس البلاغة ، ص ٤٩٩، والمفردات ، ص ٨٧١ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ١٨٥/٥، ولسان العرب، ١١/ ٧٢٤، ٧٢٥ .

٢) الفروق : ٢/ ٣٢.

ويلاحظ في الاصطلاح الخاص للوسائل :

١ ـ أن فيه تقييداً للمعنى اللغوي للوسيلة؛ إذ هو خاص بالوسيلة المؤدية إلى المصالح دون الوسيلة المؤدية إلى المفاسد .

٢ ـ أن الوسائل بالمعنى الخاص تطلق في مقابل الذرائع بالمعنى الخاص.

٣ ـ أن الوسائل بالمعنى الخاص يدخل فيها كل ما يتوقف عليه تحقيق المصالح الشرعية وتطبيق الأحكام المرضية ، من: لوازم، وشروط، وأسباب، وانتفاء موانع، وصيغ وألفاظ [١] .



المسألة الثانية: *الفرق بين الوسائل والذرائع* :

الذرائع كالوسائل لها معنيان عام وخاص.

فالذرائع بالإطلاق العام: كل ما يتذرع به سواء إلى المصالح أو إلى المفاسد[٢].

والذرائع بهذا الإطلاق تتفق مع الوسائل في الإطلاق العام، ويرجع ذلك إلى اتفاق اللفظتين في المعنى اللغوي؛ إذ الذريعة والوسيلة لغةً بمعنى ما يتوصل به إلى الشيء.

أما الذرائع في الاصطلاح الخاص فهي: الطرق المفضية إلى المفاسد .

ومعنى قاعدة سد الذرائع [٣]: أن الفعل المباح إذا كان ذريعة إلى محرم فالشارع يحرم هذه الذريعة ـ وإن لم يُقصد بها المحرم ـ ؛ لكونها مفضية إليه .

قال ابن تيمية : « والذريعة : ما كانت وسيلة وطريقاً إلى الشيء ، لكن صارت في عرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم ـ ولو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكن فيها مفسدة ـ ولهذا قيل: الذريعة: الفعل الذي ظاهره أنه مباح وهو وسيلة إلى فعل المحرم » [٤] .

---

١) انظر: مقاصد الشريعة ، لابن عاشور ، ص ١٤٨ ، والقواعد والأصول الجامعة ، لابن سعدي ، ص١٠، ١١.

٢) انظر: شرح تنقيح الفصول، ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، والفروق، ٣/٣٢، ٣٣.

٣) انظر : إغاثة اللهفان، ١/٣٦ ـ ٣٧٠، وإعلام الموقعين ، ٣/١٣٥ ـ ١٥٩ .

٤) الفتاوى الكبرى : ٦/١٧٢ .

ولمنع الذريعة قيود ثلاثة [1]:

أ ـ أن يؤدي الفعل المأذون فيه إلى مفسدة .

ب ـ أن تكون تلك المفسدة راجحة على مصلحة الفعل المأذون فيه .

جـ ـ أن يكون أداء الفعلِ المأذون فيه إلى المفسدة غالباً .

مثال ذلك : أن الله نهى عن سب آلهة الكفار مع كونه من مقتضيات الإيمان بألوهيته (سبحانه)، وذلك لكون هذا السب ذريعة إلى أن يسبوا الله (سبحانه وتعالى) عَدْواً وكفراً على وجه المقابلة ، قال (تعالى): **﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** [الأنعام: ١٠٨].

وقاعدة سد الذرائع يقابلها ـ على وجه الدقة ـ **قاعدة فتح الذرائع**، وهي: طلب تحصيل الوسائل المؤدية إلى المصالح .

وبذلك: يتبين أن الذرائع في الاصطلاح الخاص تقابل الوسائل في الاصطلاح الخاص [2] ، فالذرائع هي طرق الشر والفساد ، والوسائل هي طرق الخير والصلاح.

والمطلوب شرعاً في الذرائع: سدها ومنعها؛ سعياً لمنع المفاسد وإبطالها.

كما أن المطلوب بقاعدة سد الذرائع: **إبطال الحيل** [3] ؛ إذ الحيل ذرائع يتوصل بها إلى الحرام.

قال ابن القيم : « وتجويز الحيل يناقض سد الذرائع مناقضة ظاهرة ؛ فإن الشارع يسد الطريق إلى المفاسد بكل ممكن ، والمحتال يفتح الطريق إليها بحيلة .
فأين من يمنع من الجائز خشية الوقوع في المحرم، إلى من يعمل في التوصل إليه؟ » [4].

والحيل: منها ما هو جائز ـ بل واجب ـ ، ومنها ما هو محرم، وهو الغالب في

---

(١) انظر : المصلحة في الفقه الإسلامي، للدكتور حسين حامد حسان ، ص ٢٠٢ .

(٢) انظر : شرح تنقيح الفصول ، ص ٤٤٨، والفروق : ٢/ ٣٢، ٣٣.

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى ، ٦/ ٥ ـ ٣٢٠، وإغاثة اللهفان: ١/ ٣٣٨ ـ ٣٦٠، ٢/ ٧٢ ـ ١٢١، وإعلام الموقعين ، ٣/ ١٥٩ ـ ٢٤٠ .

(٤) إعلام الموقعين ، ٣/ ١٥٩ .

عرف الفقهاء.

قال ابن القيم : « فالحيلةَ جنس، تحته: التوصل إلى فعل الواجب، وترك الحرام، وتخليص الحق، ونصر المظلوم، وقهر الظالم، وعقوبة المعتدي ، وتحته: التوصل إلى استحلال المحرم، وإبطال الحقوق ، وإسقاط الواجبات، ولما قال النبي ﷺ : « لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » [1] غلب استعمال الحيل في عرف الفقهاء على النوع المذموم .

وكما يذم الناس أرباب الحيل فهم يذمون أيضًا العاجز الذي لاحيلة عنده؛ لعجزه وجهله بطرق تحصيل مصالحه.

فالأول: ماكر مخادع ، والثاني: عاجز مفرط، والممدوح غيرهما، وهو من له خبرة بطرق الخير والشر خفيّها وظاهرها؛ فيحسن التوصل إلى مقاصده المحمودة التي يحبها الله ورسوله بأنواع الحيل، ويعرف طرق الشر الظاهرة والخفية التي يتوصل بها إلى خداعه والمكر به، فيحترز منها، ولا يفعلها، ولا يدل عليها، وهذه كانت حالات سادات الصحابة (رضي الله عنهم) »[2].

والمقصود بالحيل التي يتوصل بها إلى المقاصد المحمودة : **الوسائل المنضبطة بالضوابط الشرعية .**

أما التحيل الممنوع فهو : «أن يقصد حل ما حرمه الشارع، أو سقوط ما أوجبه، بأن يأتي بسببٍ نَصَبَه الشارع سببًا إلى أمر مباح مقصود؛ فيجعله المحتال سببًا إلى أمر محرم مقصود اجتنابه » [3] .

مثال ذلك : أن بني إسرائيل لما حُرم عليهم صيد الحيتان يوم السبت نصبوا البرك والحبائل للحيتان قبل يوم السبت، فلما جاءت يوم السبت على عادتها في الكثرة نشبت بتلك الحبائل ، فلما انقضى يوم السبت أخذوها ؛ فمسخهم الله إلى صورة القردة [4] ، قال (تعالى): ﴿ **وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ**

١) لم أقف على تخريجه .

٢) إعلام الموقعين ، ٣/٢٤١ .

٣) إغاثة اللهفان ، ٢/٨٠ .

٤) انظر: إعلام الموقعين، ٣/١٦٢، وتفسير ابن كثير ، ١/١٠٩.

الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

جدول يبين أوجه الاتفاق والافتراق بين الوسائل والذرائع

أوجه الاتفاق أو الافتراق	الوسائل	الذرائع
١ ـ المعنى اللغوي	كل ما يتوصل به	
٢ ـ الاصطلاح العام	الطرق المؤدية إلى المصالح أو المفاسد	
٣ ـ الاصطلاح الخاص	الطرق المؤدية إلى المصالح	الطرق المؤدية إلى المفاسد
٤ ـ المقصد المتوسل إليه	مصلحة	مفسدة
٥ ـ حكم العمل بكلٍّ	مطلوب	ممنوع
٦ ـ اعتبار النية	لا بد من القصد إلى المقصد المتوسل إليه	لايشترط القصد إلى المفسدة

المسألة الثالثة: أقسام الوسائل :

أولاً: تنقسم مطلق الوسائل بالنظر إلى شهادة الشرع لها بالاعتبار أو بالإلغاء إلى ثلاثة أقسام:

١ـ وسائل معتبرة شرعًا، وهي: كل ما أمر به في الكتاب أو السنة أمْر وجوب أو استحباب، وهذه الوسائل كلها مصالح أو أسباب للمصالح لا للمفاسد .

٢ ـ وسائل ملغاة شرعًا ، وهي: كل ما نهي عنه في الكتاب أو السنة نهي تحريم أو كراهة، وهذه الوسائل كلها مفاسد أو أسباب للمفاسد لا للمصالح.

قال الشاطبي في بيان هذين القسمين : « فإذن: لا سبب مشروعًا إلا وفيه مصلحة لأجله شُرع ، فإن رأيته وقد انبنى عليه مفسدة: فاعلم أنها ليست ناشئة عن السبب المشروع.

وأيضًا : فلا سبب ممنوعًا إلا وفيه مفسدة لأجلها مُنع ، فإن رأيته وقد انبنى عليه مصلحة فيما يظهر: فاعلم أنها ليست بناشئة عن السبب الممنوع.

وإنما ينشأ عن كل واحد منها : ما وُضع له في الشرع إن كان مشروعًا ، وما منع

دراسات شرعية

منه إن كان ممنوعاً .

وبيان ذلك : أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ مثلاً ـ لم يقصد به الشارع إتلاف نفس ولا مال ، وإنما هو أمر يتبع السبب المشروع لرفع الحق وإخماد الباطل؛ كالجهاد، ليس مقصوده إتلاف النفوس ، بل إعلاء الكلمة؛ لكن يتبعه في الطريق الإتلاف : من جهة نصب الإنسان نفسه في محل يقتضي تنازع الفريقين وشهر السلاح وتناول القتال »[1] .

٣ ـ وسائل مسكوت عنها، وهي: الوسائل المرسلة، وضابطها : كل ما سكت عنه الشارع أو أباحه ، وهذا القسم من الوسائل هوالمقصود بالبحث في هذا المقام.

ثانياً : تنقسم الوسائل ـ بالنظر إلى درجة إفضائها إلى المقصود ـ إلى ما يأتي[2] :

وسائل قطعية الإفضاء ، ووسائل غالبة الإفضاء ، ووسائل كثيرة الإفضاء، ووسائل محتملة الإفضاء، ووسائل نادرة الإفضاء .

والمقصود: أن درجة الإفضاء قضية نسبية ، تختلف من وسيلة إلى أخرى، ومن مقصد إلى آخر ، وتختلف أيضاً باختلاف الأحوال، والأشخاص، والأزمنة، والأمكنة.

ثالثاً : تنقسم الوسائل بالنظر إلى تعيُّنها أو عدمه في تحقيق المقصد إلى:

١ ـ وسيلة متعينة؛ إذ لا توجد وسائل أخرى يتحقق بها هذا المقصد إلا هذه الوسيلة فقط؛ فأشبهت هذه الوسيلة في تعيُّنها : الواجب المعين والفرض المعين ، وذلك كالسفر إلى مكة لمن أراد الحج بالنسبة إلى البعيد؛ فإنه وسيلة لا بد منها لتحقيق المقصود وهو الحج .

٢ ـ وسيلة غير متعينة؛ يتحقق المقصد بها أو بغيرها من الوسائل ، فهذه

---

١) الموافقات ، ١/٢٣٨ ، ٢٣٩ .

٢) انظر: الموافقات، ٢/٣٤٨، ٣٤٩، ومقاصد الشريعة، لابن عاشور ، ص ٨٦ ، ٨٧.

الوسيلة أشبهت الواجب المخير، أو المطلق والفرض الكفائي، وذلك من جهة تعدد الوسائل وتخيُّر المكلف ما شاء منها ؛ كالسفر إلى مكة للحج بالنسبة إلى البعيد، فإنه مقصد يتحقق بأكثر من وسيلة: بالسفر برًّا، أو جوًّا، أو بحرًا .

رابعًا: تنقسم الوسائل بالنظر إلى نوعها إلى :

لوازم ، وأسباب ، وشروط ، وانتفاء موانع ، ومكملات، وسيأتي الكلام على هذه الأقسام عند الكلام على مقدمة الواجب .

خامساً: تنقسم الوسائل بالنظر إلى قربها من المقصد إلى :

١ ـ وسائل إلى المقصود . ٢ ـ وسائل إلى وسائل المقصود.

وقد بيّن هذين القسمين العز بن عبد السلام (رحمه الله)، فقال: « وهذان قسمان:

أحدهما: وسيلة إلى ما هو مقصود في نفسه؛ كتعريف التوحيد، وصفات الإله؛ فإن معرفة ذلك من أفضل المقاصد ، والتوسل إليه من أفضل الوسائل .

القسم الثاني : ما هو وسيلة إلى وسيلة؛ كتعليم أحكام الشرع؛ فإنه وسيلة إلى العلم بالأحكام، التي هي وسيلة إلى إقامة الطاعات، التي هي وسائل إلى المثوبة والرضوان، وكلاهما من أفضل المقاصد » [١] .

وقال في موضع آخر: « والحقوق كلها ضربان: أحدهما: مقاصد، والثاني: وسائل ، ووسائل وسائل» [٢] .

إذا علم ذلك: فإن جميع المقدمات والوسائط والتدابير المفضية إلى مقصدٍ ما: تدخل تحت مسمى الوسائل ، ويمكن أن نمثل لذلك بالمسلم الذي وجب عليه الحج من أهل الصين، فإنه لكي يؤدي فريضة الحج يلزمه ـ مثلاً ـ فعل الآتي : تحصيل التكاليف المادية الكافية لهذه الرحلة ، ثم تسجيل اسمه في قائمة الراغبين في الحج من وقت مبكر ، ثم الحصول على التصريح بالحج من الجهات الرسمية، ثم اختيار وسيلة السفر ـ ولتكن هي طائرة ـ وحجز مقعد فيها ، ثم الاستعداد للسفر بتهيئة لوازم السفر

---

١) قواعد الأحكام ، ١/١٠٥ .

٢) قواعد الأحكام ، ١/١٤١ .

وأغراضه الخاصة ، مع الحرص على الحضور في موعد الانطلاق، وعدم التأخر، ثم صعود الطائرة، ثم إكمال إجراءات الإقامة عندالوصول . . . إلى غير ذلك.

والحاصل: أن جميع هذه الأعمال التي لا بد من فعلها إما أن تكون وسائل مباشرة في تحقيق المقصد، أو تكون وسائل غير مباشرة، بل هي تفضي إلى وسائل وسائل وسائله ، والقاعدة : أن وسائل الوسائل وسائل .

المسألة الرابعة: خصائص الوسائل:

لكي تتميز الوسائل عن المقاصد، ولا تلتبس بها: فإن الوسائل تنفرد بالخصائص التالية :

١ـ أن كون الشيء وسيلة من الأمور النسبية؛ بمعنى: أن الشيء قد يكون وسيلة باعتبار، ومقصوداً باعتبار آخر .

قال الشاطبي : « والأعمال قد يكون بعضها وسيلة إلى البعض، وإن صح أن تكون مقصودة في أنفسها » (١) وذلك كالجهاد؛ فهو وسيلة إلى إعزاز الدين ومحو الكفر ، وهو مقصد يتوسل إليه بالإعداد والاستعداد(٢) .

٢ ـ أن الوسائل ـ من حيث هي وسائل ـ غير مقصودة لذاتها؛ بل هي مقصودة من حيث كونها محققة لمقصد آخر ، والقاعدة : أن الأسباب مطلوبة لأحكامها لا لأعيانها (٣).

قال الشاطبي: « وقد تقرر أن الوسائل ـ من حيث هي وسائل ـ غير مقصودة لأنفسها، وإنما هي تبع للمقاصد؛ بحيث لو سقطت المقاصد: سقطت الوسائل، وبحيث لو تُوصل إلى المقاصد دونها لم يُتوسل بها ، وبحيث لو فرضنا عدم المقاصد جملة؛ لم يكن للوسائل اعتبار، بل كانت تكون كالعبث » (٤) .

٣ ـ أن شرط اعتبار الوسيلة ـ من حيث كونها وسيلة ـ : ألاّ يعود هذا الاعتبار على المقصد بالبطلان.



---

١) الموافقات ، ١/ ٦٦ .

٢) انظر: قواعد الأحكام ، ١/ ١٠٥، ١٠٦ ، شرح تنقيح الفصول ، ٤٤٩ ، والفروق ، ٢/ ٣٣.

٣) انظر: قواعد الحصيري ، ٤٤٩ .

٤) الموافقات ، ٢/ ٢١٢.

مثال ذلك : أن المصلي إذا لم يجد ساتراً صلّى على حالته، وسقط عنه ستر العورة، وذلك: أن كل تكملة يفضي اعتبارها إلى رفض أصلها فلا يصح اعتبارها عند ذلك، لأمرين [1] :

أ ـ أن في إبطال الأصل إبطال للتكملة؛ لأن التكملة مع ما كملته كالصفة مع الموصوف، فإذا كان اعتبار الصفة يؤدي إلى ارتفاع الموصوف لزم من ذلك ارتفاع الصفة أيضاً ، فاعتبار التكملة على هذا الوجه مؤدٍّ إلى عدم اعتبارها ، وهذا محال لايتصور ، وإذا لم يتصور لم تعتبر التكملة، واعتبر الأصل من غير مزيد .

ب ـ أنه لا مقارنة بين مصلحة الأصل ومصلحة تكملته، فلو خُيّرنا بينهما لكان حصول مصلحة الأصل مع فوات مصلحة التكملة أولى من حصول التكملة ـ فرضاً ـ مع فوات الأصل .

٤ ـ إذا علم أن الوسائل غير مقصودة لذاتها ، فإنها إذا بطلت لايلزم من بطلانها بطلان الأصل؛ كالموصوف مع أوصافه ، ومن المعلوم أن الموصوف لا يرتفع بارتفاع بعض أوصافه .

مثال ذلك : الصلاة إذا بطل منها الذكر والقراءة أو التكبير... أو غير ذلك مما لا يعد ركناً لأمر؛ لا يبطل أصل الصلاة إلا إذا كانت الصفة ذاتية، بحيث صارت جزءاً من ماهية الموصوف، فهي إذ ذاك ركن من أركان الماهية وقاعدة من قواعد ذلك الأصل، وينخرم الأصل بانخرام قاعدة من قواعده، كما في الركوع والسجود ونحوهما في الصلاة بالنسبة للقادر عليهما [2] .

٥ ـ وعلى العكس مما سبق: فإن الوسائل تسقط بسقوط مقاصدها [3] ؛ إذ هي بالنسبة للأصل كالصفة مع الموصوف ، ولا بقاء للصفة مع ارتفاع الموصوف [4] .

---

١) انظر: الموافقات ، ٢/ ١٢ ـ ٢٥ .

٢) انظر: الموافقات ، ٢/ ٢٠ ، ٢١، ومقاصد الشريعة، لابن عاشور ، ١٤٨ .

٣) وتسقط الوسائل أيضاً إذا تبين عدم إفضائها إلى مقاصدها ، انظر: القواعد للمقري، ١/ ٢٤٢ .

٤) إلا إذا كانت هذه الوسيلة مقصوداً باعتبار آخر ، فإنها لا تسقط من هذه الجهة ، وذلك كمن لا شعر له في الحج فإنه يمر بالموسى على رأسه . انظر: قواعد الأحكام ، ص ١٠٧ ، والقواعد للمقري، ١/ ٣٢٩، وشرح تنقيح الفصول، ص٤٤٩ ، والفروق ، ٢/ ٣٢، والموافقات ، ٢/ ١٩، ٢٠ .

دراسات شرعية

والقاعدة: أنه كلما سقط اعتبار المقصد سقط اعتبار الوسيلة من حيث هي وسيلة إليه [1].

ويقرب من ذلك قولهم: «الفرع يسقط إذا سقط الأصل» كالحائض؛ لا تقضي رواتب الصلاة التي فاتتها أيام الحيض [2].

قال العز بن عبد السلام: «ولا شك بأن الوسائل تختلف بسقوط المقاصد؛ فمن فاتته الجمعة والجماعات أو الغزوات سقط عنه السعي إليها؛ لأنه استفاد الوجوب من وجوبهن، وكذلك تسقط وسائل المندوبات بسقوطهن؛ لأنها استفادت الندب منهن» [3].

٦ ـ أن الوسائل أخفض رتبة من المقاصد [4].

فمن ذلك: قولهم: «مراعاة المقاصد مقدمة على رعاية الوسائل أبداً»[5]، وقولهم: «التابع لا يتقدم المتبوع» كالإمام مع المأموم [6].

ولما كانت مرتبة الوسائل أدنى من مرتبة المقاصد حصل التساهل في حكم الوسائل؛ فمن ذلك: قولهم: «يغتفر في الوسائل ما لا يغتفر في المقاصد»[7]، وقولهم: «يغتفر في التوابع ما لا يغتفر في غيرها» [8]، وقريب منها: «يغتفر في الشيء ضمناً ما لا يغتفر فيه قصداً»، كالصلاة عن الغير: تجوز تبعاً لا قصداً، وذلك في ركعتي الطواف في الحج عن الغير، وكجواز بيع الحمل مع أمه تبعاً لا استقلالاً [9].

١) انظر: المصادر السابقة.
٢) انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي، ص ١١٨، والأشباه والنظائر لابن نجيم، ص ١٢١.
٣) قواعد الأحكام، ص ١٠٧.
٤) انظر: شرح تنقيح الفصول، ص ٤٤٩، والفروق، ٢/٣٣.
٥) انظر: القواعد للمقري، ١/٣٣٠.
٦) انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي، ص ١١٩ والأشباه والنظائر لابن نجيم، ص ١٢١.
٧) انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي، ص ١٥٨.
٨) انظر: المصدر السابق، ص ١٢٠، والأشباه والنظائر لابن نجيم، ص ١٢١.
٩) انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي، ص ١٢٠.

٧ ـ أنها مبنية ـ في الحكم عليها بالصحة أو البطلان ـ على الأدلة الكلية والقواعد العامة ؛ كالاستصلاح، وقاعدة (ما لا يتم الواجب إلا به) ، ومتى شهد للوسيلة دليل خاص بالاعتبار لم تكن وسيلة مرسلة ، بل هي ـ والحالة كذلك ـ مصلحة شرعية ، ومتى شهد للوسيلة دليل خاص بالإلغاء كانت مفسدة أو ذريعة إلى مفسدة . والحاصل : أن الوسائل لا حظَّ لها مَن أدلة الشرع الخاصة .

٨ ـ أنها منتشرة واسعة؛ يصعب حصرها، وتتعذر الإحاطة بها، لا سيما مع تجدد النوازل، واختلاف الأحوال، وتطاول الزمان ، فلا بد لها من أصول تجمعها ، وضوابط تعتبر بها .

٩ ـ أنها محتملة الإفضاء إلى مقاصدها؛ فقد يقطع بإفضائها ، وقد يكثر ، وقد يبعد ، بل قد يمتنع فيما إذا كانت موهومة ، وهذا بخلاف المصالح والمفاسد الشرعية : فإنها ـ كما تقدم ـ مفضية إلى مقاصدها .

١٠ ـ أنها قد تكون اجتهادية ؛ ذلك أنها في كثير من الأحيان تخضع لآراء المجتهدين ونظر المكلفين : فما يعتبره بعضهم وسيلة مناسبة قد لا يعتبره بعضهم، ومهما كان هذا الخلاف واقعاً في دائرة المسائل الاجتهادية فلا تثريب على المختلفين فيما اختلفوا فيه .

دراسات شرعية

تحديد أوقات الصلاة

بقلم : عبد الله الإسماعيل

لقد عظَّم الله (جل وعلا) شأن أوقات الصلاة ، كما قال (تعالى) : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣] ؛ ولذا: فإن العاجز عن فعل بعض شروط الصلاة وواجباتها كالطهارة، واستقبال القبلة، وستر العورة، والقيام، والركوع: فإنه يصلي في الوقت على أي حال يستطيعه ولو أمكنه فعلها بعد الوقت بتمام الشروط والواجبات. وكذا الأمر في صلاة الخوف ، بل حتى في حال القتال والمطاحنة فإنهم يصلون إيماءً مع إمكانهم أن يصلوها تامةً بعد خروج الوقت ؛ كل ذلك محافظة على وقت الصلاة[1] .

فإذا انضم إلى ذلك: جهل كثير من المسلمين بأوقات الصلوات الخمس، كان طرق هذا الموضوع ومدارسته بالغ الأهميَّة .

أولاً: وقت صلاة الظهر:

أجمع أهل العلم على أن دخول وقت الظهر بزوال الشمس عن كبد السماء[2].

وينتهي ـ على القول الصحيح ـ إذا صار ظلُّ كل شيء مثله سوى ظلّ الزوال ؛ لحديث ابن عباس (رضي الله عنهما) أن جبريل أمَّ النبي ﷺ في يومين، فصلَّى الظهر في اليوم الأول حين زالت الشمس ، وصلى الظهر في اليوم الثاني حين صار ظلّ كل شيء مثله، ثم قال جبريل: « يا محمد: هذا وقت الأنبياء من قبلك، والوقت فيما بين هذين اليومين »[3] .

مسألة: يعرف الزوال بزيادة الظلّ بعد تناهي قصره، وبيان ذلك: أن الشمس إذا

١) انظر :كتاب الصلاة لابن القيم ، ص ٥٦ ـ ٥٨ .

٢) انظر: الإجماع لابن المنذر ، ص ٧ .

٣) حديث صحيح، أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما.

طلعت صار لكل شاخص ظلّ طويل من جهة المغرب، ولا يزال الظل يقصر مع ارتفاع الشمس، حتى يتوقف عن النقصان، والشمس في وسط السماء، فإذا بدأ بالزيادة ـ ولو شعرة ـ فهو الزوال.

وإذا أردت ضبط آخر وقت الظهر: فضع علامة عند بداية الزيادة، واحسب مقدار طول الشاخص من عند العلامة لا من الشاخص، والظل الذي يكون بين الشاخص والعلامة هو الذي يسميه الفقهاء بظل الزوال، أو بفيء الزوال؛ أي: الظل الذي زالت عليه الشمس (١) .

ثانياً: وقت صلاة العصر:

يدخل وقت العصر بخروج وقت الظهر؛ أي من مصير ظل كل شيء مثله سوى فيء الزوال ؛ لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) مرفوعاً: «ثم إذا صليتم الظهر فإنه وقت إلى أن يحضر العصر» (٢) .

أما آخر وقت العصر ففيه خلاف قوي بين العلماء على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن آخره إذا صار ظلّ كل شيء مثليه سوى فيء الزوال، وما بعده إلى غروب الشمس فوقت ضرورة (٣) .

القول الثاني: أن آخره إذا اصفرت الشمس، وما بعده إلى غروب الشمس فوقت ضرورة.

القول الثالث: أن العصر ليس له وقت ضرورة، بل كله وقت جواز إلى غروب الشمس.

والراجح هو القول الثاني، وهو مذهب المالكية (٤) ، وقول الإمام أبي ثور، ورواية عن الإمام أحمد، وهي أصح عنه (٥)، واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية (٦) (رحمهم الله) .

---

١) انظر: المغني لابن قدامة.

٢) أخرجه مسلم، ح ٦١٢ .

٣) وقت الضرورة: هو الوقت الذي لا يجوز تأخير الصلاة إليه إلا لعذر، فإن أخرها لغير عذر أثم، ومتى فعلها فيها فهو مدرك لها أداءً في وقتها، سواء أخرها لعذر أو لغير عذر، (انظر: الشرح الكبير، ١/ ٤٣٦) .

٤) انظر: مواهب الجليل، ١/ ٣٨٩.

٥) انظر: المغني، ٢/ ١٥.

٦) انظر: مجموع الفتاوى، ٢٣/ ٢٦٨ .



والدليل عليه: ما أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) مرفوعًا: « فإذا صليتم العصر: فإنه وقت ما لم تصفر الشمس ».

أمّا وقت الضرورة فالدليل عليه مجموع حديثين:

الأول: حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) مرفوعًا: « ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر » (متفق عليه).

والثاني: حديث أنس (رضي الله عنه) قال: « سمعت رسول الله ﷺ يقول: « تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فنقرها أربعًا، لا يذكر الله فيها » [1].

فحديث أنس يدل على أن تأخير العصر إلى قرب غروب الشمس أمر مذموم، لكن من أخرها إليه فصلاته أداء؛ لحديث أبي هريرة (رضي الله عنه)، وهذا هو وقت الضرورة. ويكون حديث عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) محددًا لنهاية وقت الاختيار وبداية وقت الضرورة.

أما حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) في إمامة جبريل للنبي ﷺ، وفيه أنه صلى به العصر في اليوم الأول حين كان ظلّ كل شيء مثله، وصلّى به في اليوم الآخر حين كان ظلّ كل شيء مثليه، وفي آخر الحديث قال جبريل: « يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك، والوقت فيما بين هذين اليومين »: فإنه لا يعارض حديث عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما)؛ لأن حديث عبد الله بن عمرو دلّ على زيادة في وقت العصر فوجب الأخذ بها.

وبهذا الترجيح تجتمع الأدلة ولا تعارض.

ثالثًا: وقت صلاة المغرب:

أجمع أهل العلم على أن أول وقت المغرب إذا غربت الشمس [2].

أما آخر وقتها: فالراجح ـ وهو قول الجمهور ـ أنه ينتهي بمغيب الشفق الأحمر، والأدلة عليه كثيرة، منها:

ـ ما أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما)



---

١) أخرجه مسلم، ح ٦٢٢.

٢) انظر: مراتب الإجماع لابن حزم، ص ٣١.

مرفوعاً: «فإذا صليتم المغرب: فإنه وقت إلى أن يسقط الشفق».

ـ عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنهما) عن رسول الله ﷺ: «أنه أتاه سائل يسأله عن مواقيت الصلاة ... ثم أمره [يعني: بلالاً] [1]، فأقام المغرب حين وقعت الشمس ...» وفي اليوم الثاني: «... أخّر المغرب حتى كان عند سقوط الشفق».. ثم أصبح فدعى السائل: فقال: «الوقت بين هذين» [2].

أما حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) في إمامة جبريل للنبي ﷺ، وأنه صلى المغرب في اليومين حين غربت الشمس، فإنه محمول على تأكيد الاستحباب وكراهية التأخير، جمعاً بينه وبين الحديثين المتقدمين وما في معناهما، وعلى فرض التعارض: فإن حديثيّ ابن عمرو وأبي موسى مقدمان؛ لأنهما متأخران، فيبينان آخر الأمر بالمدينة[3].

وهنا تنبيهان:

الأول: أن المراد بالشفق الوارد في الأحاديث هو الشفق الأحمر لا الأبيض، والأدلة على ذلك كثيرة:

ـ قوله ﷺ: «ووقت المغرب ما لم يسقط ثور الشفق [4]» أخرجه مسلم، والثَّوَران إنما يطلق على الحمرة دون البياض [5].

ـ قول ابن عمر (رضي الله عنهما): «الشفق: الحمرة» [6].

الثاني: أن مغيب الشفق يكون بعد مضي ساعة إلى ساعة وربع تقريباً من غروب الشمس في الجزيرة العربية وأن وقت المغرب يزيد وينقص مع تغير الوقت صيفاً وشتاءً، خلافاً لما يتصوره بعض الناس أن وقت المغرب ساعة ونصف ثابت لا يتغيَّر.

رابعاً: وقت صلاة العشاء:

أجمع أهل العلم على أن وقت العشاء يبدأ بمغيب الشفق [7]، والمراد بالشفق

١) أي: المأمور هو بلال مؤذن الرسول ﷺ.
٢) أخرجه مسلم، ح ٦١٤.
٣) انظر: شرح مسلم للنووي، ٥/ ١١١، وإعلام الموقعين، ٢/ ٤٠٣.
٤) ثور الشفق: أي: ثورانه وانتشاره (شرح مسلم للنووي، ٥/ ١١٢).
٥) انظر: المغني، ٢/ ٢٦.
٦) أخرجه عبد الرزاق، ح ٢١٢٢، وصححه البيهقي وغيره، انظر: السنن الكبرى، ١/ ٣٧٣، وبلوغ المرام، ص ٤٤.
٧) حكاه النووي في المجموع، ٣/ ٤١.

دراسات شرعية

هو الحمرة على الأرجح من قولي العلماء كما سبقت الإشارة إليه .

أما آخر وقت العشاء ففيه خلاف قوي :

القول الأول: أن وقت العشاء يمتد إلى طلوع الفجر .

القول الثاني: أن وقت العشاء ينتهي بانتصاف الليل .

القول الثالث: بالتفصيل ؛ فوقت الاختيار ينتهي بانتصاف الليل، وما بعده فوقت ضرورة إلى طلوع الفجر .

والراجح هو القول الثاني: أنه ينتهي بانتصاف الليل، وليس له وقت ضرورة، وهو قول ابن حزم [1] (رحمه الله) وبعض الشافعية [2] وبعض الحنابلة[3]، واختاره من العلماء المعاصرين الشيخ ابن عثيمين (حفظه الله) [4] .

والدليل عليه: حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً: « فإذا صليتم العشاء: فإنه وقت إلى نصف الليل » أخرجه مسلم .

واستدل القائلون بأن ما بعد نصف الليل إلى طلوع الفجر وقت للعشاء ـ إما وقت اختيار، أو وقت ضرورة ـ بحديث أبي قتادة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: « أما إنه ليس في النوم تفريط ، إنما التفريط على من لم يصلِّ حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى » [5] .

فقالوا : إن هذا الحديث يدل على أن كل وقت متصل بالآخر ، وعليه: فإن وقت العشاء لا يخرج إلا بدخول وقت الفجر .

والجواب عن هذا الاستدلال أن يقال: إن حديث أبي قتادة عام مخصوص بغيره، فكما خصّ منه وقت الفجر ـ فإنه غير متصل بالظهر بالإجماع ـ [6]، فكذا يُخَصّ منه أيضاً وقت العشاء بالسنة، كما سبق في حديث عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) الذي يدل على انتهاء وقت العشاء بانتصاف الليل .

---

١) انظر: المحلى ٢، /١٩٨ .

٢) انظر : المهذب ٣، /٣٩ .

٣) انظر : الإنصاف ١، /٤٣٦ .

٤) انظر : الشرح الممتع ٢، /١٠٩ .

٥) أخرجه مسلم ، ح ٦٨١ .

٦) انظر : كتاب الإجماع لابن المنذر ، ص٧ .

وهنا ثلاثة تنبيهات :

الأول: يتوهم كثير من الناس أن الليل ينتصف عند الساعة الثانية عشرة، وهذا تصور خاطئ، والصواب: أن انتصاف الليل يُعرف بمضي نصف الوقت من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، فإذا كانت الشمس تغرب الساعة السادسة،والفجر يطلع الساعة الرابعة، فإن نصف الليل يكون الساعة الحادية عشرة تماماً، وبه يخرج وقت العشاء.

الثاني: يؤخر بعض الناس ـ وخاصّة النساء ـ صلاة العشاء إلى ما قبل النوم، ويكون التأخير في بعض الأحيان إلى ما بعد نصف الليل، وهذا خطأ كبير ينبغي التنبّه له وتحذير الآخرين منه .

الثالث: أن راتبة العشاء ـ وهي ركعتان بعد العشاء ـ يخرج وقتها بانتهاء وقت العشاء، وبعض الناس قد يؤخرها إلى آخر الليل، وحينئذ يكون فعلها قضاءً لا أداءً.

خامساً : وقت صلاة الفجر :

أجمع العلماء على أن وقت الفجر يدخل بطلوع الفجر الثاني [1] .

قال ابن قدامة [2] : « وهو البياض المستطيل المنتشر في الأفق، ويسمّى الفجر الصادق » .

ويخرج وقت الفجر بطلوع الشمس، لدليلين :

الأول: عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال: « إذا صليتم الفجر فإنه وقت إلى أن يطلع قرن الشمس» أخرجه مسلم .

الثاني: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: « من أدرك من الصبح ركعةً قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح» متفق عليه .

ـ ومما ينبغي التنبه له: أن بعض التقاويم الموجودة ليست دقيقة في بداية وقت الفجر ، فتتقدم الوقت بنحو عشر دقائق أو ربع ساعة ، ولذا: ينبغي أن ينتبه الأئمة في عدم التعجل بإقامة صلاة الفجر ، وكذا: بعض النساء في البيوت اللواتي يصلين الفجر من حين سماع الأذان ، فعليهن الانتظار والاحتياط، فلا يصلين إلا بعد مضي عشرين أو خمس وعشرين دقيقة. **وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد .**

1) انظر: الإفصاح، ١/١٠٦.
2) المغني، ٢/٣٠.

وإن تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئاً (*)



بقلم : د . عبد الكريم بكار



تشعر أمة الإسلام اليوم بغربة حقيقية بين الأمم المعاصرة ، وتجد نفسها فريدة ومتميزة على مستوى المبادئ والمفاهيم والأهداف؛ وهذا التميز والتأبي على السير في ركاب القوى العظمى جرَّ عليها ضغوطاً أدبية ومادية، هي أكبر مما نظن بكثير .

إن أدبياتنا تعلمنا أن الأسلوب الصحيح في مواجهة ضغوط الخارج وتحدياته لايكمن في التشاغل بالرد عليها؛ مما قد يجرنا إلى معارك خاسرة، وإنما يتمثل في الانكفاء على الداخل بالإصلاح والتنقية والتدعيم ... ولا ريب أن ذلك شاق على النفس ؛ لأن المرء آنذاك ينقد نفسه ، ويجعل من ذاته الحجر والنحّات في آن واحد ! .

والآية الكريمة التي نحن بصددها معْلم بارز في التأصيل لهذا الانكفاء، ولعلنا نقتبس من الدوران في فلكها الأنوار التالية :

١ـ إن كثيراً من النصوص يوجهنا نحو الانكفاء على الداخل في مواجهة الخارج بالنقد والإصلاح والتقويم والتحسين ، وإن المتتبع للمنهج القرآني في قصِّه أحوال الأمم السابقة يجد أن ما

(*) الآية : ١٢٠ من سورة آل عمران .

ذكره القرآن الكريم من أسباب انقراضها واندثار حضاراتها لا يعود أبداً إلى قصور عمراني، أو سوء في إدارة الموارد واستغلالها؛ وإنما يعود إلى قصور داخلي ، يتمثل في الإعراض عن منهج الله (جلَّ وعلا) واستدبار رسالات الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، وهذه الحقيقة بارزة في جميع أخبار الأمم السابقة ؛ حتى يتأصل في حسِّ القارئ للكتاب العزيز إعطاء الأولوية لصواب المنهج قبل أي شيء آخر .

وحين حلَّت الهزيمة بالمسلمين في أحد، وقال بعض الصحابة (رضوان الله عليهم): كيف نُهزَم ونحن جند الله؟! جاء الجواب: ﴿ **قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ** ﴾ [آل عمران: ١٦٥] فالهزيمة وقعت بسبب خلل داخلي ، وليس بسبب شراسة الأعداء، وكثرة عددهم وعتادهم؛ إذ لا ينبغي تضخيم العدو إلى الحد الذي يجعل تصور هزيمته شيئًا بعيداً ؛ فالعدو بَشَر له أحاسيسه ، وله موازناته ومشكلاته ، وبالتالي إمكاناته أيضًا، وفي هذا يقول (سبحانه) : ﴿ **إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ** ﴾ [النساء: ١٠٤] .

٢ ـ ترمي الآية الكريمة إلى تدعيم (الذاتي) في مقابل (الموضوعي)؛ إذ تعلِّم المسلم أنه إذا ساءت الظروف فإن عليه أن يُحسِّن من ذاته ؛ لأن من المعروف أنه حين تسوء الظروف ، فإن الغالب أن يسوء الإنسان نفسه، ولذلك: فإنه يحدث في حالات الفقر الشديد نوع من التحلل الخلقي من نحو: السرقة، والرشوة، وسؤال الناس، والذل، والتحايل، والغش، والبخل، وقطيعة الرحم ... والمطلوب من المسلم آنذاك: أن يقف (وقفة رجل) فيضغط على نفسه ، ويضبط سلوكه ويُلغي ـ أو يؤجل ـ بعض رغائبه، ويقتصد في نفقاته، حتى تمر العاصفة، وينتهي الظرف الاستثنائي.

ومن النصوص الواضحة في تدعيم الشخصية عند صعوبة الظروف قوله ﷺ : « يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة، فليتزوج؛ فإنه أغض

■ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا ■

للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[١] .

لم نكن على مدار التاريخ نمتلك الوعي الكافي بهذه الحقيقة، فبدل أن نلجأ إلى التربية والتوجيه والتعاضد والتراحم، واكتساب عادات جديدة، واقتلاع المشكلات من جذورها.. كنا نواجه التفسخ الاجتماعي والانحراف السلوكي بأمرين: القوة، ومزيد من القوانين، حيث كانا أقرب الأشياء إلينا تناولاً، وأقلها تكلفة ـ حسب ما يبدو ـ وقد عبَّر عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) عن هذه الحقيقة حيث قال: «يحدث للناس من الأقضية على مقدار ما يُحدثون من الفجور» .

ونحن نقول: إن شيئًا من التوسع في الأنظمة والتشريعات الرادعة يحدث عند جميع الأمم، حين يقع تهديد خطير لأمن الناس وحقوقهم، لكن الجزاءات والعقوبات هي أشبه شيء بالتدخل الجراحي في العلاج الطبي، فهو آخر الحلول، وعند اللجوء إليه ينبغي أن يتم في أضيق الحدود!.

إن العقوبات الرادعة إنما وجدت لمن فاتتهم التنشئة الاجتماعية القويمة؛ والعقوبات لا تنشيء مجتمعًا لكنها تحميه. وهذه رؤية إسلامية جلية، فآيات الأحكام ـ والعقوبات جزء منها ـ لا تشكل أكثر من عُشْر آيات القرآن الكريم، أما الباقي فكان يستهدف البناء الإيجابي للإنسان من الداخل. إن التجربة علمتنا أن كثرة القوانين وتعقيدها تصب دائمًا في مصلحة الأقوياء، وتزيد في قيود الضعفاء!، وأن البطش لا يحل المشكلات، لكن يؤجلها، فيكون حال المجتمع كمن يأكل عن طريق الدَّين، فهو ينتقل من سيء إلى أسوأ!!.

إن الاية الكريمة تعلمنا مرة أخرى. أن النصر الخاص يسبق النصر العام، وأن الأمة المنتصرة على أعدائها هي أمة حققت نصرًا داخليًّا أولاً، وحقق كل واحد من أفرادها نصرًا خاصًّا على

١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح.

صعيده الشخصي قبل كل ذلك .

٣ ـ لا ينبغي لنا أن نفهم نصًّا من النصوص بمعزل عن المنظومة التي ينتمي إليها ، ويعالج معها مشكلة واحدة؛ والنص الكريم هنا يوجهنا إلى أمرين: الصبر، والتقوى.

ويعني الصبر: احتمال المشاق والديمومة في تأدية التكاليف الربانية، مهما كانت الظروف قاسية ؛ لأن ذلك نصف النصر ، إذ إن نصف الفوز يأتي من جهودنا، وقبله من توفيق الله (تعالى) لنا، والنصف الثاني يأتي من أخطاء أعدائنا.

إن الصبر لا يعني الاستسلام للأحوال السيئة ـ كما هو مفهوم العوام ـ لكنه يعني عدم اللجوء إلى الحلول السريعة، وقد جرت العادة أن الناس حين يرون إنسانًا متفوقًا: يطلبون منه حلولاً سريعة لمشكلاتهم المتخمرة والمتأسنة؛ والحلول السريعة تفضي في كثير من الأحيان إلى اليأس والإحباط، أو إلى الاندفاع والتهور؛ مما يعقّد المشكلة أكثر مما يحلها !.

إن من المهم أن ندرك أن ثمة أوضاعًا كثيرة لا نستطيع أن نفعل حيالها الآن شيئًا ، لكن إذا قلنا : ماذا نستطيع أن نفعل تجاهها خلال عشرين عامًا ، فسوف نرى أننا نستطيع أن نفعل أشياء كثيرة جدًّا، فكأن الصبر استخدام للوقت في الخلاص من أوضاع لا نستطيع الآن أن ننجح في الخلاص منها .

حقيقةُ ضرورة اقتران الصبر بالعمل والحركة للخلاص من الأوضاع الصعبة حقيقةٌ قرآنية لامعة، نطقت بها الكثير من الآيات القرآنية، مثل قوله (سبحانه): **﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [النحل: ١١٠] ، وقوله (سبحانه): **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** [البقرة: ١٥٣]، وقوله (تعالى) : **﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾** [الإنسان: ٢٤]

■ ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ﴾ ■

في إشراقة آية

إن احتمال المعاناة دون حركة للخلاص من مسبِّباتها قد يكون ضربًا من اليأس والاستسلام، وقد يكون ضربًا من العجز أو قصر النظر أو ضيق الأفق... وهذا ما لا يرضى الله (جل وعلا) لعباده المؤمنين منه شيئًا.

أما التقوى فتعني هنا بصورة أساسية: نوعًا من الحصانة الداخلية من التأثر بالظروف السيئة المحيطة؛ إذ إن الهزائم العسكرية والظروف الاجتماعية والاقتصادية القاسية..

كل ذلك محدود الضرر ما لم يغير من المبادئ والأخلاق والنفوس والسلوك، بل إنها تصلِّب روح المقاومة، وتُكسب الخبرة، وتكشف عن الأجزاء الرخوة في البناء الداخلي، وتحطِّم هيبة العدو في النفوس.

وقد مرَّت أمم كثيرة بأقصى مما نمر به، لكنها استطاعت عن طريق الانتفاضة النفسية والشعورية، أن تتجاوز المحن، وتنبعث من جديد!.

٤ ـ إن المفهوم الأساسي للصبر والتقوى هنا هو: تهذيب الذات وتحسينها، وتدعيمها، والرقي بها؛ وهذا التدعيم يأخذ أشكالاً كثيرة، منها: المزيد من الالتزام الصارم، ومقاومة الشهوات، والتعاون، والمفاتحة، والمراجعة، والتضحية، والمواساة لبعضنا بعضًا، والحفاظ على رأس المال الوطني، والاقتصاد في الاستهلاك.. إنه يعني اكتساب عادات جديدة، من نحو تكثيف القراءة الجيدة، والنظر دائمًا إلى المستقبل بعقل مفتوح، وتحسين العلاقات مع الآخرين، والإكثار من المعروف والنوافل، إلى جانب التخلص من أكبر قدر ممكن من العادات السيئة، مثل عدم الدقة وخلف الوعد، وتأجيل أعمال اليوم إلى أوقات أخرى...

٥ ـ يركز الخطاب الإسلامي ـ بصورة عامة ـ على تدعيم الذاتي في كل الأحوال، وقلما يتطرق إلى علاج الظروف العامة التي يعيش فيها المسلم، ومن ثم: فإننا نجده يؤكد على

الصلاح واستقامة السلوك والانتهاء عن المناهي . . .

أما تناول الشروط الموضوعية الضرورية لاستجابة المسلم للدعوة فإنه ضعيف، وعلى بعض الأصعدة معدوم، وهو على كل حال فقير ، وتنقصه الخبرة والدربة .

إن بين الإنسان والظروف والأوضاع الحياتية العامة التي يعيشها علاقة جدلية ، فهو يؤثر فيها ويتأثر بها ، ولا بد للدعاة من أن يدركوا أن الفرد المسلم لا يستطيع أن يبتعد مسافات كبيرة عن الوضعية العامة للمجتمع، وذلك التباعد مرهق ومكلف؛ فحين يكون كسب القوت الضروري لا يتأتى للسواد الأعظم من الناس إلا عن طرق محرمة أو ملتوية ـ مثلاً ـ فإن الذين سوف يستجيبون لنداء (اللقمة الحلال) سيكونون قلة، وسوف تظل مبادئهم في حالة اختبار دائم ، وربما أدخلهم ذلك في مشكلات مع أقرب الناس إليهم .

ولهذا: فكما أن محاولات تحسين المستوى الشخصي للمسلم يظل ضروريًا وحيويًا ، فإن تحسين المناخ العام ينبغي أن يظل موضع عناية واهتمام ؛ إذ ليس المطلوب تحقيق شروط الدعوة الجيدة ، وإنما تحقيق شروط الاستجابة الناجحة أيضًا .

ولله الأمر من قبل ومن بعد

■ ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ﴾ ■

مقاصد التوبة

دعوة إلى السير في مدارج الكمال

(١ من ٢)

بقلم : د.محمد عز الدين توفيق

التوبة التي أمر الله بها عباده توبتان: توبة تغير السير ، وتوبة تصحح السير، توبة يسلم بها العبد ، وتوبة يجدد بها إسلامه ، فالأولى توبة إسلام، والثانية توبة إحسان، والثانية منهما تكمل عمل الأولى؛ ذلك أن التحول الذي تحدثه التوبة التي تعقب الغفلة والضلال، وإن كان شيئًا ضخمًا في مجال الأفكار والمعتقدات والمشاعر والأحاسيس والأقوال والأعمال ، إلا أنها غير كافية لتحقيق كل ما ينتظر الإنسان بعد الهداية ، فعندما ينهض بإصلاح ما فسد من أخلاقه وعاداته، وتقويم ما اعوج من أعماله وتصرفاته، ويتتبع بقايا الجاهلية في سلوكه: يكون قد شرع في التوبة الثانية، وإذا كانت التوبة الأولى تحدث مرة واحدة ويعيشها صاحبها في لحظة أو يوم، فإذا هو قد فصل بين عهدين من حياته، فإن التوبة الثانية تجديد مستمر، وعمل متواصل، وسعي دؤوب لتقليص هامش الإساءة بجميع صورها وتوسيع هامش الإحسان بكل أشكاله.

إن توبة الهداية والإيمان تشبه الوقود اللازم لتشغيل محرك معطل عن العمل، وتوبة الإحسان هي الوقود الآخر الذي يحتفظ بالمحرك في حالة اشتغال حتى يبلغ صاحب السيارة مأمنه .

وقد يقول قائل: إن الإسلام إنما تحدث عن توبة واحدة ، فلماذا جعلتهما توبتين؟. والحقيقة: أننا لم نفرد التوبة الأولى عن الثانية بخصائص خاصة، فالرجوع إلى الله والإقبال عليه قاسم مشترك فيهما، ولكننا ميّزنا بين

مرحلتين في حياة الإنسان، تحتاج كل منهما إلى توبة.

وإنما دعانا إلى هذا التمييز: ما نراه عند كثير من المسلمين من التهاون في الارتفاع بإسلامهم وإيمانهم، فتجد الواحد منهم ـ إذا كان قد حقق في أول التزامه بعض التحولات ـ لا يكاد يزيد عليها شيئاً جديداً، مع العلم أن إحلال السنة محل البدعة والطاعة محل المعصية لا يتم بين يوم وليلة .

لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ هكذا، فقد كان الواحد منهم إذا أسلم يخلع على عتبة الإسلام رداء الجاهلية ويشرع في إقصاء شوائبها من حياته، ويواصل الليل بالنهار والنهار بالليل، ليصل أقصى ما يستطيع الوصول إليه من درجات الإسلام .

إن الكمالات التي جاء بها الإسلام وأمر بالمنافسة عليها كثيرة جداً، كما أن النقائص التي نهى عنها لا تنحصر، وإذا كان الشيطان يضع العوائق في وجه ابن آدم يمنعه بها من التوبة الأولى، فإنه يستأنف محاولته مع من أفلت منه وتاب إلى ربه ليعوقه عن التوبة الثانية، فيصرفه عن تجديد إسلامه لتستوي أيامه، وتضيع منه الفرص، وتتحول حياته إلى ركود، بل لا يتردد في جر الإنسان إلى الوراء والتقهقر إلى الخلف، فبعد أن كان يتقدم إذا به يتأخر.

حوافز التوبة :

إن دوافع التوبة إذا استقرت في قلب المسلم، وصارت جزءاً من العلم الذي في صدره، دفعته للأخذ بأسباب الهداية التفصيلية، بعد أن أكرمه الله (تعالى) بنعمة الهداية العامة، ويوجد بحمد الله (تعالى) أكثر من حافز لهذا التجديد الذي يرتقي بنا في درجات الكمال الممكنة، ويجعلنا دوماً في زيادة من ديننا، ويجعل من التوبة عمل اليوم والليلة.

الحافز الأول: عموم الأمر بالتوبة والحث على تعجيلها :

لقد أمر الله (عز وجل) الناس كافة بالتوبة، وأمر بها المؤمنين خاصة، وهذا يعني أن أي إنسان مهما بلغ إيمانه، وتدينه واستقامته لا يستغني عن التوبة، فهي بداية السير ونهايته، يصبح فيها العبد ويمسي، ولا يدعها أبداً، لكن الناس يختلفون في موضوع

التوبة: فقد يتوب عبد من الكفر، في الوقت الذي يتوب آخر من بدعة، وثالث من ذنب كبير، ورابع من صغيرة، وخامس من شبهة، وسادس من تقصير في فريضة أو نافلة، وسابع من ترك نصيحة أو غفلة عن ذكر أو تهاون في دعوة أو جهاد...

فهناك - إذن - أمر إلهي عام لعموم الناس ولعموم المؤمنين بالتوبة إليه، وهذا الأمر يجعل من التوبة ثوبًا لا ينزعه العبد ما عاش، وإن نزعه لبعض الوقت عاد إليه من قريب.

فمن الآيات التي خاطب بها (سبحانه) عباده جميعًا: قوله (تعالى): ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢].

وقوله (سبحانه): ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ [النساء: ١٧، ١٨].

ومن الأحاديث: قوله ﷺ - فيما رواه الترمذي وحسنه -: «تُقبل توبة العبد ما لم يغرغر»، والغرغرة: الاحتضار، وقوله - فيما رواه مسلم -: «إن الله (تعالى) يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها».

أما الآيات التي خاطبت المؤمنين خاصة، فمنها قول الله (تعالى): ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨]، وقوله (عز وجل): ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

ولا يخفى أن التوبة التي أمر الله بها المؤمنين ليست توبة الإسلام والإيمان؛ فهم مسلمون مؤمنون، ولكنها توبة الإحسان التي تجدد إسلامهم، وتقوي إيمانهم، وتصلح ما فسد من أعمالهم وتقوّم ما اعوج من تصرفاتهم.

وما دامت الأخطاء واردة فالأمر بالتوبة قائم لا يجاوزه أحد، وهو في كل وقت على التعجيل والفور، لا التأخير والتراخي، وكل توبة قبل الموت فهي توبة من قريب، وكل ذنب

دراسات تربوية

فارتكابه جهالة.

الحافز الثاني: التفكر الدائم في حقيقة الزمن:

هناك حجاب كثيف من الغفلة يمنع أكثر الناس من إدراك حقيقة الزمن، فهم لا يرون في طلوع الشمس سوى بداية يوم جديد يربطون فيه الاتصال بمجموعة من الهموم الآنية والأغراض العاجلة، كما لا يرون في الليل سوى نهاية ذلك اليوم، ونادراً ما يتجاوزون هذا النظر القريب إلى نظر آخر بعيد، يبدو فيه تعاقب الليل والنهار درساً بليغاً، وموعظة، وذكرى للنفس: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً ﴾ [الفرقان: ٦٢].

كل يوم يأتي هو فرصة لمن كان على قيد الحياة، فهذه الأيام لا تتعاقب بلا نهاية، بل لكل إنسان منها عدد محدود، يبدأ يوم ولادته، وينتهي يوم وفاته.

إن قراءة الزمن ـ على ضوء الآيات والأحاديث وأقوال أهل العلم والإيمان ـ تنتهي بالعبد إلى نتيجة أخيرة، هي: أن أحسن ما يقدم بين يديه في هذه الأيام هو العمل الصالح، وأول عمل صالح يقدمه بين يديه هو التوبة الصادقة، فيقبل على ربه بالافتقار، ويعتذر إليه عن التقصير في القيام بواجب العبودية؛ لعل توبته تلك تشفع له بين يدي أعماله القليلة الهزيلة.

إن دورة اليوم، ودورة الأسبوع، ودورة الشهر، ودورة العام: كل منها يعطي مثلاً لعمر الإنسان، قال الله (تعالى): ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

ففي هذه الآيات تعريف للدنيا وما يفعل الناس فيها؛ فهي لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد، ومثالها في سرعة الانقضاء كمثل النبات يتم دورته في مدة يسيرة: فبينما هو نبت صاعد أخضر، إذا هو هشيم أصفر.

دراسات تربوية

وقال النبي ﷺ ـ فيما رواه الحاكم وابن المبارك في الزهد بسند صحيح من مرسل عمرو بن ميمون ـ : «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك».

ففي هذا الحديث: أن الزمن سريع الزوال، والدنيا فرص، إذا لم يغتنمها صاحبها فاتت وذهبت، فالشباب لا بد يأتي بعده الهرم، والحياة يأتي بعدها الموت.

قال الحسن البصري: إنما أنت أيام مجموعة، كلما مضى يوم مضى بعضك، وإنما أنت بين راحلتين تنقلانك، ينقلك الليل إلى النهار، وينقلك النهار إلى الليل، حتى يسلمانك إلى الآخرة، فمن أعظم منك يا ابن آدم خطرًا، والموت معقود بناصيتك، والدنيا تطوى من ورائك؟.

لقد التفت الحسن البصري (رحمه الله) في هذه القولة إلى البعد الزماني في تعريف الإنسان، فهو مجموعة من الأيام إذا مضى منها يوم مضى منه بعضه حتى ينتهي.

لقد قال بعض العارفين يصف الدنيا: إنها أنفاس تُعد، ورحال تُشد وعارية ترد، والتراب من بعد ينتظر الغد، وما ثمّ إلا أمل مكذوب، وأجل مكتوب، فكيف يغفل مَن يَوْمُه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، وعمره يقوده إلى أجله.

إن التفكر في حقيقة هذا الزمن على ضوء تصور الإسلام للحياة الإنسانية ضروري للقيام بتجديد شامل ومستمر في الأفكار والأعمال، فهو يكشف له أن بضاعته في هذه الحياة هي الزمن، وكل يوم يبزغ فجره فرصة إمهال ـ قد تكون الأخيرة ـ وبعدها العذاب الشديد أو المغفرة والرضوان.

إن هذا التفكر في ذلك البعد هو الذي يوقف داء التسويف الذي يعاني منه كثير من الناس عندما يَعِدون أنفسهم بالتوبة عدة مرات، ويقولون: غداً غداً، فيجيء الغد ويصير يومًا، ويصير اليوم من بعد ذلك أمسًا، وهم على حالهم، مغترون بالعافية والستر، لا يذكرون ما بين أيديهم من أهوال وأخطار، حتى يفجأهم الموت في وقت لم يتوقعوه، ويصرعهم في يوم لم

ينتظروه، فتفوتهم فرصة التوبة والتدارك .

ولا يحسبن أحد أن التفكر الذي ندعو إليه هو تلك الأفكار السوداوية التي تدعو إلى التشاؤم بهذه الحياة، بل نحن ندعو إلى تأمل إيجابي فعال، تكون ثمرته إعادة النظر في عوائد الحياة، وتصحيح ما لا يتفق مع قيمتها وأمانة الاستخلاف فيها .

إنه ما لم يستحضر الإنسان حقيقة الزمن بين عينيه بكل خطورتها فلن يتقدم خطوة واحدة في توبته، لكنه إن ذكر أن عمره ينقص ولا يزيد، وأنه يسعى في هدمه منذ نزل من بطن أمه، وأنه في كل يوم مودع .. تنبه وتيقظ، ولم يؤخر عمل اليوم إلى الغد؛ لأن للغد عمله .

وما أدري وإن أمَّلتُ عمراً
لعلي حين أصبح لست أمسي
ألم تر أن كل صباح يوم
وعمرك فيه أقصى منه أمس

الحافز الثالث : النظر إلى الماضي:

خلق الله (عز وجل) الإنسان بقدرات عقلية متميزة، ومنها القدرة على التذكر ، وهذه القدرة التي أوتيها الإنسان دون سائر الحيوانات ليست من أجل التعرف على الأشياء عند رؤيتها، أو من أجل إتقان المهن والحرف والمهارات، أو من أجل القراءة والكتابة ... أو غير ذلك من منافع الذاكرة فقط، بل هناك مهمة أخرى أسمى من هذا كله، هي : استرجاع الماضي بقصد المحاسبة والمراجعة ، قال الله (تعالى) : ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة : ١، ٢] .

والله (عز وجل) إذا أقسم بشيء من مخلوقاته : فإما لأجل بيان قدرة هذا الشيء ومنزلته، أو للتنبيه على ما فيه من دلائل الحكمة الإلهية ، وفي هذه الآية أقسم (سبحانه) بالنفس اللوامة تنبيهاً على هذه الآية العقلية، وهي : قدرة الإنسان على التفكير بعامة والتذكر بخاصة ، وثانياً : تنويها بهذه النفس التي استعملت هذه القدرات العقلية فيما خلقت لها ولم تقصرها على جانب التسخير والانتفاع فحسب، فجعلتها للتفكر والمحاسبة والاعتبار أيضاً .

إن الماضي لا يرجع، ولكن الإنسان

يستطيع أن يسترجعه من الذاكرة، فإذا أحداثه حاضرة في وعيه وشعوره ينظر إليها، فإذا كان القصد من استرجاعها هو المحاسبة والمراقبة، فنحن أمام حافز آخر من حوافز التوبة .

إن الذي ينسى ماضيه بمجرد مروره لا يمكن أن يصحح حاضره أو يخطط لمستقبله، لأنه يعيش عمراً متقطعاً منفصلاً بعضه عن بعض ، ولكن الذي يرى عمره سلسلة واحدة متصلة الحلقات، يأخذ من ماضيه لحاضره، ومن حاضره لمستقبله، وهذا الذي يأخذه هو الدروس والعبر، وهو التجارب والخبرات، فالذي يفكر في ماضيه على ضوء الطموحات التي اختطها لنفسه في الحياة ، وعلى ضوء الغاية التي يسعى إليها، وهي رضوان الله والجنة، يستقل طاعاته لا محالة ، ولسان حاله في كل مرحلة: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كذا ولتركت كذا، فيتدارك ما استطاع، ويعوض عما فات ويسابق الأيام في ذلك .

بهذا يؤدي الماضي للمسلم الذي ينظر فيه مهمة جليلة؛ لأنه يتحول إلى ناصح وموجه، يدلي بمشورته عند الحاجة.

وإذا كانت التوبة الصحيحة تمحو ما قبلها، فإن هذا لا يعني أن المسلم إذا تاب ينسى ما قدمت يداه : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ** ﴾ [الكهف: ٥٧] .

لكنه بعد التوبة يحتفظ لماضيه بهذه المهمة الإيجابية، وهي: الحث على الاستدراك وإصلاح الأخطاء، وهذا معنى قول بعض العلماء: معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عجبًا واستكباراً .

الحافز الرابع: النظر إلى المستقبل:

إذا كان الجسم الإنساني محصوراً في الحاضر، خاضعًا لسلطته: فإن القلب يستطيع أن يتحرر من هذه السلطة ليرتاد أغوار الماضي وآفاق المستقبل ، فيرى حياته في أطوارها الماضية والحاضرة والمقبلة، والذي ينظر إلى حياته بهذا الشكل الممتد ولا يبقى سجين الحاضر هو الذي يرى عواقب الأمور في بداياتها، فيغنم خيرها،

ينجو من شرها؛ لأنه يُعد لكل أمر عدته ويلبس لكل حالة لبوسها، ويتصرف أمام كل موقف بما يناسبه، لا قبل الأوان ولا بعد الأوان.

وإذا كان نظر المسلم إلى ما مضى يجدد عزمه ويشحذ همته، ليكون في يومه أفضل منه في أمسه، فإن نظره إلى المستقبل يحثه على المسارعة بتنفيذ ما عزم عليه من توبة وتصحيح، فالآجال بيد الله وحده، والأعمال بالخواتيم، والمستقبل يشمل ما ينتظره بعد الموت من أهوال القبر، وما ينتظره بعد البعث من أهوال الحشر والحساب.

إنه لا يدري متى يستدعى، ولا يدري ما اسمه غداً، ولايدري أيخف ميزانه أم يثقل، ولا يدري أيكون من السعداء أم من الأشقياء.

كيف ينسى المسلم هذا المستقبل وهو معني به، وسيعيش لحظاته لحظة لحظة، ويجتاز أطواره مرحلة مرحلة، حتى يكون مثواه في الجنة أو في النار.

وإنما يغفل عن هذا المستقبل من ضعفت خشيته، وبهت يقينه باليوم الآخر، وران على قلبه ما كسب من خطيئات، يلعب بالنار وهو لاهٍ غافل، ويقف على حافة الهاوية وهو سادر معرض، حتى يفجأه الموت وهو على عمل من أعماله الرديئة، فيهلك هلاك الأبد.

إنه لا ينجي من سوء الخاتمة إلا التفكر الدائم في المستقبل، والمستقبل يبدأ من اللحظة الآتية، ومن خاف سوء الخاتمة اجتهد في توسيع دائرة الإحسان في حياته وتقليص هامش الإساءة، وهذه هي التوبة الثانية بمعناها الواسع، فإنه لا يودع فترة من حياته إلا وقد شهد فيها إسلامه تحسنًا جديداً.

الجوائز والترويج السلعي من المنظور الإسلامي

د. محمد بن عبدالله الشباني



تعددت أساليب الجذب لبيع السلع، كما تنوعت وسائل وطرق تشجيع المستهلكين لاقتناء ما تنتجه المصانع وما يعرضه مسوقو هذه السلع، فأصحبت دراسة التسويق والترويج للمنتجات فنًّا يتم بحثه ودراسته في الجامعات .

إن الاهتمام بعمليات التسويق والترويج للسلع يعود في حقيقة أصله إلى المنطلقات الفكرية التي يقوم عليها النظام الرأسمالي.

إذ يقوم المفهوم الفلسفي للنظام الرأسمالي على فكرة الحرية المطلقة للعمل على تحقيق الاستجابة الكاملة للرغبات، وضرورة إزالة جميع المعوقات والحواجز التي تحد من تحقيق المنفعة الفردية، لهذا: قام الفكر الرأسمالي على مقولته المشهورة: (دعه يعمل، دعه يمر) وهذه المقولة هي تأكيد لمفهوم الرأسمالية القائم على أسس عدة، منها:

١ ـ البحث عن الربح بشتى الطرق والأساليب .

٢ ـ المنافسة والمزاحمة في الأسواق، واتباع جميع الأساليب التي تحقق للفرد الحصول على أكبر منفعة، حتى ولو أدى ذلك إلى حصول الضرر للآخرين.

٣ ـ استخدام الدعايات لتسويق السلع بدون النظر إلى القيم الأخلاقية، واستخدام كل الوسائل المثيرة للغرائز بدون التفات إلى حاجات المجتمع،

فالغاية الأولى والأخيرة: تحقيق الكسب وسلب ما لدى الناس من أموال .

لقد غزت أساليب وطرق الترويج والتسويق بلاد المسلمين، بدون النظر إلى المحاذير الشرعية أو الأخلاقية، فاصبحنا نرى في كل يوم أسلوبًا جديداً من أساليب الترويج للمنتجات الاستهلاكية، التي تمارس من قبل النظام الرأسمالي، حيث نلاحظ الكذب والتضليل والخداع عند تقديم المعلومات عن السلع التي يتم الترويج لها، واستخدام جميع المثيرات الغريزية بقصد تحقيق التأثير النفسي للفئة المقصودة جذبها للشراء، أو مخاطبة الغرائز الذاتية بقصد دفع الفرد للشراء، ومن ذلك مثلاً: ما يعمد إليه مروجو الأدوات التجميلية من إبراز تأثير جهازٍ ما على التخفيف من الوزن، أو إبراز تأثير المستحضر على زيادة الجمال، مع عدم الصدق في القول؛ حيث إن مروجو هذه السلع إنما يخاطبون الجانب الغريزي في الإنسان (*) .

وتعود أهمية الحكم الشرعي لهذا النوع من الممارسات التجارية إلى كثرتها، واتساع نطاقها، وانتشار التعامل بها في المجتمعات الإسلامية، وإلى تعلقها بتصرفات الفرد المسلم فيما يتعلق باستخدامه للمال الذي جعله الله قيامًا للناس ، ولما في هذا الأسلوب من دفع للأفراد في التوسع في الاستهلاك والشراء بدون حاجة؛ مما يستدعي الدراسة المستفيضة للوصول إلى الحكم الشرعي لهذا النوع من المعاملات المالية ، وفي هذه المقالة سوف أحاول دراسة هذا الجانب، مؤملاً من إثارته دفع مزيد من المتخصصين إلى المساهمة في مزيد من البحث للوصول إلى رأي حاسم في هذا الموضوع.

القاعدة الأصولية تقرر: أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره؛ ولهذا: فإن من مقتضيات البحث في هذه القضية: أعطاء تصور واقعي لهذه المعاملة .

الأسلوب المتبع في طرح الجوائز

(*) وسيتم (إن شاء الله) مناقشة الضوابط الشرعية للدعاية من وجهة النظر الإسلامية، في مقالات لاحقة .

دراسات اقتصادية

للترويج لشراء السلع من متجر معين، أو شراء سلعة معينة، هو: قيام البائع بتحديد جائزة عينية ـ أو عدة جوائز ـ يشترط فيمن يدخل في التنافس عليها أن يكون مشتريًا من هذا المتجر سلعًا ـ أو سلعة معينة ـ بقيمة معينة، خلال فترة زمنية معينة، ويتم إعطاء كوبونات (مستندات اشتراك لهؤلاء المشترين من هذا المحل أو المشترين لهذه السلعة)، وهذه الكوبونات تدخل في السحب للفوز بالجائزة، أو بأحد هذه الجوائز، فالشراء شرط في الاشتراك في الحصول على هذه الجائزة، وفي الغالب: يتم تحديد قدر معين من الثمن المدفوع ثمنًا لما يتم شراؤه؛ حتى يمكن الدخول في السحب للحصول على الجائزة، كما أن عدد المشتركين في السحب غير محدد بعدد معين، وإنما يتم تحديد مدة زمنية، يحق لمن يشتري خلالها الدخول في السحب؛ فالبائع متبرع ومانح للجائزة أو الجوائز لأشخاص غير محددين، ولكن يشترط على من يرغب في الدخول في السحب على هذه الجوائز ضرورة قيامه بالشراء لسلعة من السلع المعروضة للبيع لدى المتجر الذي قدم الجائزة أو الجوائز، أو لدى مالك السوق الذي يقوم بتأجير محلاته للتجار، ويرغب في دفع الناس إلى الشراء من هذا السوق؛ بقصد تثبيت المستأجرين من خلال زيادة مبيعاتهم، وبالتالي: رفع القيمة الإيجارية مستقبلاً .

السؤال الذي يمكن طرحه هو: ما نوع هذا التعاقد، وما مدى سلامته من حيث الصحة والفساد ، وبالتالي: ما الحكم عليه من حيث الجواز، والمنع، والحل، والكراهة، أو الحرمة ؟.

الممارسون لهذا النوع من الترويج يعتبرونه نوعًا من الهبة أو المنحة، وبالتالي: فيمكن أن يلحق بعقود التبرعات، وقبل مناقشة صحة مقولة من قال: إن هذه الجوائز هي هبات، أو منح، أو تبرعات يمنحها البائع لأحد المشترين من السلع التي يعرضها للبيع: فلا بد من دراسة عقد الهبة لتحديد مدى انطباق أحكام الهبة على الأسلوب الممارس من قبل التجار المروجين لسلعهم من خلال الإغراء بهذه الجوائز.

يعرف ابن قدامة الهبة بأنها: تمليك

في الحياة بغير عوض [١] .

فإذا كانت الهبة نظير العوض فهي بيع في الحقيقة، فلا تخالف البيع إلا في أمور يسيرة، منها: أنها تجوز مع جهل العوض، بخلاف البيع: فإنه يشترط فيه تعيين الثمن.. وأنها تجوز مع جهل الأجل، بخلاف البيع [٢] .

وعلى ضوء هذا: فإنه إذا ارتبطت الهبة بالعوض، فقد تغير حكمها، فتدخل ضمن عقود المعاوضات، وبالتالي: تخضع لأحكام البيوعات، فالجوائز التي تستخدم للترويج للسلع ليست منحاً ولا هبات، وإنما هي نوع من أنواع البيوع المستخدمة، ينبغي إخضاعها لأحكام البيوع وإن أخذت شكل الهبة؛ حيث إن «الهبة إما أن تكون هبة عين أو هبة منفعة، وهبة العين: منها ما يقصد بها الثواب، ومنها ما لا يقصد بها الثواب، وهبة الثواب اختلفوا فيها، فأجازها مالك وأبو حنيفة، ومنعها الشافعي، وبه قال داود وأبو ثور، وسبب الخلاف: هل هي بيع مجهول الثمن، أو ليس بيعاً مجهول الثمن؟؛ فمن رآه بيعاً مجهول الثمن، قال: هو من بيوع الغرر التي لا تجوز» [٣] .

على ضوء ذلك: فإن الجوائز التي تستخدم كوسيلة من وسائل الترويج لزيادة المبيعات وجذب المستهلكين هي نوع من أنواع البيوع الفاسدة، التي تقاس على البيوع التي ورد النهي عنها، حيث إن الهبة إذا كانت بعوض كانت بيعاً، يجري فيها حكم البيع كما ذكر ذلك سيد سابق في فقه السنة[٤].

ووفقاً لذلك: فإن هذه الجوائز تدخل ضمن عقود المعاوضات، وهي من البيوع الفاسدة التي لا يجوز ممارستها ، وضابط البيع الفاسد هو: ما اشتمل على شرط من الشروط التي تجعل البيع فاسداً، وهو ما اجتمع فيه أمور، هي[٥]:

---

١) المغني ، جـ٥، ص ٦٤٩ .

٢) الفقه على المذاهب الأربعة ، عبد الرحمن الجزيري ، جـ٣ .

٣) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، لابن رشد ، جـ٢ ، ص ٣٣١ .

٤) فقه السنة ، سيد سابق ، جـ٣ ، ص ٥٣٥ .

٥) الفقه على المذاهب الأربعة ، جـ٢ ، ص. ٢٢٦ ـ ٢٣٠ .

١ ـ أن يكون الشرط مما لا يقتضيه العقد .

٢ ـ أن يكون الشرط غير ملائم للعقد .

٣ ـ أن يكون لأحد المتعاقدين منفعة فيه .

فإذا اعتبرنا الهبة أو المنحة بعوض هي عقد معاوضة: فإن الجائزة التي يمكن أن يقال: إنها هبة أو منحة من البائع.. تدخل ضمن مفهوم الهبة التي قصد منها الثواب، وبالتالي: أصبحت عقد بيع تضمن شروطاً فاسدة، من حيث ربط الهبة بالشراء، وهو شرط لا يقتضيه العقد، وغير ملائم له، وفيه منفعة لأحد المتعاقدين وهو الواهب والمانح .

وعلى ذلك: فإن ضوابط الشرط الفاسد تنطبق على الشروط الموضوعة لنيل الجائزة أو المنحة أو الهبة، أيًّا كان الاسم، فالجوائز التي يتم استخدامها وسيلةً من وسائل الترويج للسلع بقصد زيادة المبيعات، بدفع الأفراد للشراء من خلال الرغبة في الحصول على هذه الجوائز، التي لا يمكن الحصول عليها إلا لمن قام بالشراء وحصل على كوبون للدخول به في عملية السحب .

إن هذه الوسيلة لدفع الناس للشراء تتعارض مع قواعد وأصول الشريعة الإسلامية، التي منها : النهي عن أكل أموال الناس بالباطل، سواء بخداعهم، أو التلبيس عليهم، أو الولوج إلى جيوبهم بالتغرير بهم من خلال أساليب بيوع الجهالة والغرر، وبالتالي: فإن هذا النوع من الممارسات، إذا لم تصل إلى درجة الحرمة، فلا أقل من وصولها إلى دائرة الشبهات المنهي عن الولوج فيها؛ حيث قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير (رضي الله عنهما)، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الحلال بيِّن، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى: يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله،

دراسات اقتصادية

وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[1].

على ضوء ما سبق يمكن تحديد الأدلة التي يمكن الاستناد إليها، ليتجنب ممارسة هذا العمل من أخذ أو منح هذه الهبات والمنح التي قصد منها الحصول على المعاوضة بشراء السلعة التي وضعت لها المنح أو الجوائز، حيث إن هذه الممارسة تؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل، وإلى الوقوع في البيوع الفاسدة المنهي عنها، ونحن نستند في رأينا حول كراهة ممارسة هذا النوع من المعاوضات إلى الأمور التالية :

أولاً : أن هذا الأسلوب من المعاوضات يندرج تحت النهي عن بيع المنابزة والملامسة وبيع الحصاة، فقد روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ «نهى عن الملامسة والمنابزة» وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة .يضًا أن رسول الله ﷺ «نهى عن الملامسة، وهو لمس الثوب لا ينظر إليه»، والنهي عن هذين النوعين لعلتين، هما : الجهالة، وكونه معلقًا على شرط، وهو نبذ الثوب إليه أو لمسه له، والعلة الجامعة مع ما يعرف بالمنح والجوائز هي : كون الجائزة أو المنحة معلقة على شرط أو أكثر من الشروط لدخول السحب على هذه المنح أو الجوائز، وتعليق الهبة أو المنحة على شرط قد أشار إليه ابن قدامة في المغني بعدم الصحة، يقول : «ولا يصح تعليق الهبة بشرط، لأنها تمليك لمعين في الحياة، فلم يجز تعليقها على شرط كالبيع، فإن علقها على شرط ـ كقول النبي ﷺ لأم سلمة : «إن رجعت هديتنا إلى النجاشي فهي لك» ـ كان وعداً، وإن شرط في الهبة شروطًا تنافي مقتضاها ؛ نحو أن يقول : وهبتك هذا بشرط أن لا تهبه أو تبيعه، أو بشرط أن تهب فلانًا شيئًا : لم يصح الشروط»[2]، وأما بيع الحصاة : فقد روى مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ «نهى عن بيع الحصاة، وعن بيع الغرر»، وتفسير بيع الحصاة هو : أن يقول :ارم هذه الحصاة، فعلى أي ثوب وقعت فهو لك بدرهم، وقيل : هو أن يقول بعتك من هذه الأرض مقدار ما تبلغ الحصاة إذا رميتها

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ له .

(٢) المغني، جـ٥، ص ٦٥٨ .

بكذا، والشبه بين بيع الحصاة والمنح أو الجوائز أو الهبات بعوض هو: أن المشتركين في السحب هم ممن قاموا بالشراء من متجر المانح أو الواهب للجائزة، ولكل واحد منهم قسيمة، حيث يتم خلط هذه القسائم الدالة على الشراء جميعاً، ثم السحب من هذا الخليط، فهو أشبه برمي الحصاة على البيع الذي يمثل الجوائز الموهوبة أو الممنوحة، فعنصر الجهل أو الغرر في ذلك واضح، من حيث جهل الموهوب له، حيث إن الموهوب له غير معروف إلا بعد السحب.

ثانياً: أن هذا الأسلوب من المعاوضات قد يندرج ضمن مفهوم (بيع وشرط) الذي ورد فيه النهي عن النبي ﷺ، حيث روى أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يحل سلف وبيع، ولا شرطان في بيع، ولا بيع ما ليس عندك»، وقد علق ابن قدامة على ذلك بقوله: «والشروط تنقسم إلى أربعة أقسام.... الثالث: ما ليس من مقتضاه، ولا من مصلحته، ولا ينافي مقتضاه، وهو نوعان، أحدهما: اشتراط منفعة البائع في المبيع...

الثاني: أن يشترط عقداً في عقد، نحو: أن يبيعه شيئاً بشرط أن يبيعه شيئاً آخر، أو يشتري منه، أو يؤجره، أو يزوجه، أو يسلفه، أو يصرف له الثمن، أو غيره، فهذا شرط فاسد يفسد به البيع، سواء اشترطه البائع أو المشتري [ويقاس على ذلك: الهبة المشروطة، باعتبار أن لها حكم بيع]..

الرابع: اشتراط ما ينافي مقتضى البيع»[1]، وعليه: فإن الهبة أو المنحة المتمثلة في الجائزة يتوفر فيها اشتراط منفعة البائع مقدم الجائزة أو المنحة؛ حيث إن الهبة مشروطة بالشراء من البائع، فلا يمكنه الاشتراك في السحب للحصول على الجائزة المقدمة من البائع إلا وفقاً لهذا الشرط.

ثالثاً: أن هذا الأسلوب يؤدي إلى التوسع في الاستهلاك من خلال شراء سلع لا يحتاج إليها الفرد، وإنما رغبة في الحصول على مال أكثر، مما سيكون حافزاً له للاشتراك في السباق للحصول

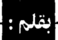
(١) المغني، جـ٤، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

ـلى الجائزة أو المنحة، وبالتالي: ـنطراره للشراء بغير حاجة لمايعرض ن سلع . ومن الأمور التي نهى عنها ـشرع، ووجَّه رسولنا (عليه أفضل ـصلاة والسلام) أمته إلى الابتعاد ـنها: التوسع في الإنفاق بدون حاجة، قد روى الإمام أحمد في مسنده، عن ـبد الله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ «نهى عن التبقر في المال والأهل» ومعنى التبقر هو: التكثر، والسعة، بل ن الشراء بقصد الدخول في المسابقات ـنيل الجوائز يدخل في النهي العام الوارد في قوله (تعالى): ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ [النساء: ٥] فالتوسع في شراء السلع الاستهلاكية التي يتولى مروجوها إيجاد الوسائل لجذب الناس ودفعهم للشراء بكل وسيلة من وسائل الإغراء والتغرير ـ ومن هذه الوسائل: تلك الجوائز التي تمنح لمن يقوم بالشراء، لا لسد حاجته، بل للحصول على جائزة من تلك الجوائز ـ فهذا الأسلوب يدفع إلى غرس عادة الحصول على المال بدون جهد .

بجانب أن زيادة الاستهلاك للمجتمعات الإسلامية التي تقوم باستيراد تلك السلع الاستهلاكية تؤدي إلى أن تذهب تلك الأموال المنفقة على تلك السلع الاستهلاكية غير المحتاج إليها إلى أيدي أعداء الأمة، من خلال زيادة الاستيراد لتلك السلع؛ مما يؤدي إلى التقليل من فرص نمو المدخرات، فالمصلحة العامة تقتضي منع مثل هذه الجوائز .



ظاهـرة النسـيان .. أسبابها وعلاجها



عبد الحكيم بن محمد بلال

آيات الله في الآفاق وفي الأنفس مبثوثة، ومن تلك الآيات: ما أودعه الله (تبارك وتعالى) في ذاكرة الإنسان من قدرة فائقة على تخزين المعلومات والأحداث وكل ما يمر بالإنسان، ثم استحضار ذلك أو بعضه في أوقات متباعدة، مما يبهر عقل الإنسان، في إدراك كيفية حصول ذلك، ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

وتلك الذاكرة نعمة من النعم يجب شكرها، وقد منّ الله على عباده بأن جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة لعلهم يشكرون، وإن الذي وهب هذه الذاكرة هو الذي جعل في طبيعتها النسيان .. ، ولا شك أن الإنسان يعتمد على ذاكرته في أمور دينه: من طلب علم، وعبادة، ودعوة، وفي أمور دنياه وشؤونه الحياتية.

إلا أن الجانب الأبرز هنا هو طلب العلم النافع، فإنه على أهمية كتابته، إلا أن الذاكرة تبقى أداة حفظ العلم واستذكاره الأساس، قال أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) لتلاميذه: «احفظوا عنا كما حفظنا»[١]، فلا غنى لطالب علم عن رعاية ذاكرته وتحسين أدائها.

فما حقيقة هذا النسيان؟ وما أسبابه؟ وهل له علاج؟ .. هذا ما

---

١) أخرجه ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٨٢)، وصحح محققه إسناده.

سأحاول إلقاء الضوء عليه، والله المستعان.

ما النسيان:

النسيان: ضد الذكر والحفظ [1]، ويعرفه بعض علماء النفس بأنه: «فقدان طبيعي جزئي أو كلي، مؤقت أو دائم لما اكتسبناه من ذكريات ومهارات حركية»[2].

والمذموم من النسيان ما كان لعلوم عينية، وعن كسب من الإنسان، وقد يكون ذلك بالتغافل والإعراض، وأما ما عذر فيه صاحبه: فهو ما لم يكن سببه منه،[3] وقد وقع مثل ذلك للنبي ﷺ في صلاته، وهذا النسيان هو المقصود من الحديث، دون النسيان المرضي الناتج عن صدمة دماغية أو انفعالية.

وينبغي أن نعلم أن النسيان قد يكون رحمة من الله (تعالى)، فلولاه ما سلا محزون عن موت حبيب، أو قريب، ولا كررت امرأة الحمل والولادة.

وبناءً على ما سبق: فإن ترك الحفظ تعللاً بخشية النسيان ضرب من خداع النفس ووسوسة الشيطان.

مخاطر النسيان وآثاره:

النسيان سبب لضياع العلم، وضياع الجهد والوقت، وطالما حذر السلف الصالح (رحمهم الله) من نسيان العلم وإهماله، فيندرس.

ولذا: كانوا يكثرون الوصية بمذاكرة العلم ومدارسته، قال علي (رضي الله عنه): «تزاوروا وتذاكروا الحديث، فإنكم إن لم تفعلوا يُدرس»[4]، وقال ابن جماعة الكناني: «لا بد لكل حافظ من أوقات يكرر فيها مواضيه ويراجعها، وإلا كلفه النسيان شططًا»[5].

---

١) لسان العرب، ٦/٤٤١٦.

٢) كيف تستذكر دروسك، زين شحاته، ص ٤٣.

٣) انظر: المفردات، للأصبهاني.

٤) جامع بيان العلم، ١/٦٢٣، وصحح محققه إسناده.

٥) تذكرة السامع، ص١٢٣.



وعليه: فإن من كمال العقل والحزم: الحرص على حفظ العلم، فحفظه كحفظ الروح، وأول خطوة هي: معرفة الأسباب .

أسباب النسيان :

تتفاوت أسباب النسيان من شخص لآخر، وقد تتعدد الأسباب في الشخص نفسه، ومن أسباب النسيان ما يلي :

١ ـ ضعف التقوى :

تقوى الله (عز وجل) أعظم سبب لتحصيل العلم النافع، وضعفها يضيع العلم ويفقده بهاءه ورونقه .

ومما يترتب على ضعف التقوى: الغفلة عن ذكر الله (تعالى)، فيدرك نصيبه من قوله (تعالى): ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦]، ينسيه الطاعة، ويذكره المعصية، ومن ضعف التقوى: تضييع أوامر الله وارتكاب المعاصي، وهو نسيان للنفس، كما أنه نسيان لله، ومن عقوبته: أن الله ينسيه مصالح نفسه، ويغفله عن منافعها وفوائدها .

٢ ـ كتمان العلم :

والنسيان هنا عقوبة عاجلة من جنس المعصية، بخلاف العقوبة الأخروية: أن يلجم كاتم العلم بلجام من نار ـ كما في الحديث ـ .

٣ ـ إهمال حق الجسد أو التقصير فيه :

وذلك لأن الذاكرة متصلة بالجسد، تتأثر بصحته وسقمه، وقوته وضعفه .

ومن حق الجسد: تعاهد الصحة، والعناية بالتغذية السليمة، باتباع الهدي النبوي فيها: كالأكل باعتدال، وترك الإكثار من الشبع .

ومن حقه أيضاً: الراحة الكافية، فإن كثرة الإجهاد أو السهر المضني مؤثر على سلامة الذاكرة .

٤ ـ تشتت الذهن بكثرة الأشغال والعلائق:

إن مما يضعف أداء الذاكرة: توزيعها بشكل عشوائي بلا تنظيم ولاتركيز، وإشغالها بكثير من التوافه، وما تقل أهميته؛ مما يعوقها ويضعف أداءها للمهمة الأساس، ولذا: فإن المهتمين بحفظهم وذاكرتهم يفضلون استخدام المفكرات اليومية، التي من فوائدها ادخار الذاكرة لما هو أهم، وفي هذا قد تختلف قدرات الأفراد وملكاتهم.

٥ ـ كثرة الهموم والأحزان:

الهمّ والحزن من أعظم ما يشتت القلب، ويضعف قوته.

وكثرة الهم والحزن على أمور الدنيا يعني أن القلب شغوف ومشغول بها، ولم يبق مكانًا لما سوى ذلك من الأمور النافعة.

٦ ـ ترك أسباب اكتساب القوة العقلية وتنميتها:

إن الذاكرة ملكة وطاقة تنتج إنتاجًا طيبًا، فإذا ما استخدمت بإحسان واعتدال، فأحسنت رعايتها وعُودت بتدرج على ما يريد صاحبها، أثمر ذلك نماءً واتساعًا، لذا: كان من أسباب حصول النسيان في هذا النطاق:

- إهمال خطوات الارتفاع بمستوى الذاكرة، وعوامل التذكر الجيد.
- تداخل المعلومات بسبب عدم تنظيم طرق إدخالها.
- الشرود أثناء القراءة أو الاستماع.
- شغل الذهن بأمور جانبية تشوش المعلومات.
- ضعف الرغبة فيما يقرأ أو يسمع.
- الشعور بالإحباط، وفقدان الثقة بالنفس، وضعف إرادة الاستذكار.
- ومن أهم الأسباب: قلة المراجعة وضعفها.

٧ ـ تركيز الذهن على أمر ما دون غيره:

وذلك أن النسيان أحيانًا يحدث لجانب من المعلومات دون غيره، وذلك بسبب التركيز على جانب آخر، فينبغي توزيع التركيز على الأهم فالمهم.



علاج النسيان وأساليب تقوية الحفظ:

١ ـ تجريد النية، وتحقيق التقوى، والاستعانة بالله (جل وعلا):

النية ذات أثر بالغ على أعمال الإنسان وأقواله وأحواله، والفرق واضح بين من كانت نيته خالصة، تحركه وتبعثه، وبين من انحطت همته واختلطت نيته. فإن الأول معان موفق، قال ابن عباس (رضي الله عنهما): «إنما يحفظ الرجل على قدر نيته»[١].

ثم التقوى تورث في القلب نوراً، وهي تتضمن ترك الذنوب والمعاصي التي لها رين على القلوب. وقد تكاثرت النقول عن السلف في التحذير من المعاصي، وبيان أثرها على العلم.. سأل رجل مالكًا: يا أبا عبد الله هل يصلح لهذا الحفظ شيء؟ قال: إن كان يصلح له شيء فترك المعاصي[٢].

٢ ـ الإكثار من ذكر الله وشكره:

ذكر الله حياة القلوب، وروح العبادات، يذهب الغفلة، ويورث اليقظة والنباهة؛ ذلك أن الله (عز وجل) يذكّر عبده الذاكر مصالحه ومنافعه، ويوفقه ويسدده.

ثم الشكر سبب لحفظ النعم الموجودة، وجلب النعم المفقودة، فإذا شكر العبد نعم الله عليه، وقام بذلك بقلبه ولسانه وجوارحه: فلا شك أن الله يزيده ويعطيه، وكما أن العقوبة تكون من جنس المعصية، فالجزاء من جنس العمل؛ قال (تبارك وتعالى): ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [إبراهيم: ٧].

٣ ـ العناية بصحة الجسد وغذائه وراحته، ومن صورها:

ـ الاهتمام بالغذاء المتوازن.

---

١) الجامع لآداب الراوي والسامع، للخطيب، ٢/٣١٢.

٢) السابق.

- تقليل الغذاء وعدم الشبع، وذكر العلماء أن أوقات الجوع أجود للحفظ من أوقات الشبع[1].

- النظافة والوضوء والتطيب ، وهي ذات أثر طيب على انشراح الصدر، واتقاد الذهن؛ ولذا :كان كثير من سلفنا الصالح يتهيؤون للدرس بالوضوء، والتطيب، ونظافة الملبس، حتى إنهم كانوا يكرهون أن يحدثوا عن رسول الله ﷺ وهم على غير وضوء[2].

وقد ذكر بعض العلماء أموراً لتنشيط الذاكرة، ولكنها في معظمها ليست موصوفة من مشكاة النبوة، فتقع تحت التجربة والبحث العلمي،كتناول العسل، والحبة السوداء، وأكل الزبيب، ومضغ اللبان.. ولا ندري مدى صحة ذلك طبيًا.

٤ ـ تنظيم الوقت وحسن استغلاله :

والمقصود منه هنا: الحرص على الأوقات المناسبة للحفظ ، التي اهتم العلماء بذكرها عند الكلام عن آداب طالب العلم ، قال ابن جماعة : وأجود الأوقات للحفظ: الأسحار، وللبحث : الأبكار، وللكتابة : وسط النهار، وللمطالعة والمذاكرة : الليل[3].

وعمومًا : فإن استغلال الأسحار والأبكار ، وطرف من الليل هو الأصل في ذلك،فإن إفراز الغدة فوق الكلوية (الكظرية) ـ كما تؤكد الأبحاث العلمية ـ يزداد حتى يصل إلى أعلى نسبة من هرمون التركيز من ٤ ـ ٨ صباحًا ، وأدنى درجة منه تكون بعد ١١ مساءً ، إذن: فلا بد من النوم ليلاً ، إذ إن أي إخلال بذلك يخفض التحصيل بنسبة ٢٥٪.

٥ ـ اتباع الأسس السليمة للحفظ والاستذكار :

وذلك يشمل عدة جوانب :

---

١) تذكرة السامع، ص٧٢، ٧٣ .

٢) انظر آثاراً عنهم: جامع بيان العلم وفضله ، ٢/١٢١٧ ، ١٢٢٠ .

٣) تذكرة السامع، ص ٧٢ ، ٧٣.

مقال

الجانب الأول : ما قبل الحفظ والتعلم : وهو ما يتعلق بالاستعداد النفسي، ويشمل عوامل عدة :

١ ـ إخلاص النية ، وتصحيح القصد .

٢ ـ الثقة بالنفس ، بمعنى التصميم على الإنجاز والنجاح ، مع الاستعانة بالله أولاً وأخيراً .

٣ ـ الاستمتاع بما يقرأ ويدرس ويحفظ ؛ لأنه إن لم تنشرح نفسه لذلك لم يتفاعل معه ، ولم يثبت في ذاكرته ثبات ما استمتع به .

٤ ـ الأخذ عمن يثق بعلمه وأمانته .

٥ ـ قوة الإرادة بدءاً واستمراراً : وذلك أمر يُربى عليه المسلم، وقوة الإرادة مظهر لأخلاق حميدة من الصبر والحلم .

٦ ـ التركيز الذهني : ومما يعين عليه : الاستمتاع وقوة الإرادة ،كما يعين عليه : اختيار الوقت والمكان المناسبين ، وكذلك : تحديد الهدف والتصميم عليه .

وإلماحاً إلى هذا العامل قال ابن جماعة : « وأجود أماكن الحفظ الغرف، وكل موضع بعيد عن الملهيات ، وليس بمحمود الحفظ بحضرة النبات والخضرة والأنهار، وقوارع الطرق، وضجيج الأصوات؛ لأنها تمنع من خلو القلب غالباً»[١] .

الجانب الثاني : أثناء الحفظ أو التعلم :

لا شك أن عملية الحفظ أو التعلم ، والكيفية التي تتم بها : لها أثر في عملية التذكر واستحضار ما في الذاكرة .

ومن الأسس التي ينبغي مراعاتها [٢]:

١ ـ التكرار : ويختلف باختلاف طبيعة المادة ، وطبيعة الحفظ

١) تذكرة السامع والمتكلم ،ص ٧٢ ، ٧٣ . .

٢) انظر المهارات الدراسية، ص ٩٨ وما بعدها .

ونوعه ، وكمية المحفوظ ، ومدة الحفظ .

٢ ـ توزيع التعلم في الحفظ والمراجعة على حد سواء: بأن تتخلله فترات استراحة، وهذا أفضل من تجميعه في وقت واحد؛ لأنه يتيح دقة أكثر في الملاحظة، حيث يتم بناء الذاكرة في فترة الاستراحة، ولأنه كذلك: يقلل التداخل.

٣ ـ اتباع الطريقة الكلية في التعلم :

« يقصد بالطريقة الكلية في التعلم أن تأخذ فكرة عامة عن الكل قبل الدخول في الأجزاء والتفاصيل؛ لأن إدراك الكل أولاً يسهل ربط كل جزء بالكل، وكل جزء بالجزء الآخر، فيكون الفهم أفضل والحفظ أسهل وأشمل وأدوم » .

٤ ـ التسميع الذاتي : وهو أفضل من القراءة مرات، ويذهب الملل، وهو تقويم ذاتي ، ويقوي الملاحظة ، ويعطي تعزيزاً فورياً ، ويبعد شبح الفشل ، لأنه يسهم في اكتشاف الأخطاء .

٥ ـ السماع من آخر : وهي وسيلة تحقق كثيراً من فوائد التسميع الذاتي، لكنها لا تغني عنه. وهي مُعِينة على التذكر، فقد تذكر النبي ﷺ باستماعه آية كان أُنسيها [١] .

٦ ـ رفع الصوت أثناء الحفظ بقدر لا يشق عليه ، فإن القراءة الخفيَّة للفهم، والرفيعة للحفظ والفهم [٢] .

٧ ـ النشاط الذاتي واستخدام المؤثرات: بوضع الخطوط مثلاً ، والتلخيص ، وكتابة ما يحتاج إلى تركيز أكثر في حفظه، كالتعاريف، والتواريخ.. ونحوها، ووضع التساؤلات لما يشكل فهمه ، ليركز عليه أثناء الإعادة والمراجعة، وليسأل عما استعصى عليه فهمه .. فكل ذلك معين للعقل على الحفظ والتركيز.

٨ ـ تنويع العمليات العقلية : بتناول المادة من عدة زوايا ، باستخدام :

١) مسلم ح/٧٨٨، وانظر : كيف تحفظ القرآن ، عبد الرب نواب الدين ، ص ٩٤ .

٢) انظر: الحث على طلب العلم ، للعسكري، ص ٧٢.



التفكير الاستقرائي ، والاستنتاجي ، والمكاني، والزماني، والسببي ، والتشابهي، والمقارن، والتقييمي . وذلك يرسخ المعلومة ، ويقلل تداخل المعلومات .

٩ ـ تنظيم المعلومات ، وله أشكال، منها: ترتيب الأحداث زمنيًّا، أو مكانيًّا ، واستخدام الأشكال ، وربط المعلومات، واستخدام المقارنات. .إلخ.

١٠ ـ معرفة المعنى : فإن حفظ الكلام الذي لا معنى له ، أو غير معلوم المعنى يحتاج لتسعة أمثال الوقت اللازم لحفظ الكلام المفهوم المعنى! ، وينبغي ألا يتهاون في الفهم ؛ لئلا يعتاد ذلك .

١١ ـ ربط القديم بالحديث : مما يسهل التعلم الجيد، ويحيي القديم ؛ باكتشاف أوجه الشبه والاختلاف .

١٢ ـ تقليل القدر المحفوظ ، بقدر ما يمكنه ضبطه بالإعادة مرتين . والأمر في هذا واضح؛ فإن كثرة الكلام يُنسي بعضه بعضاً .

١٣ ـ ومن أهم الأسس وأنفعها ،تمرين الذاكرة وتعويدها على الحفظ ، مع الصبر والمجاهدة: وبذلك يستفيد طالب العلم مما وهبه الله من قدرات وملكات عظيمة ، فإن الذاكرة ذات قدرة فائقة على الحفظ وتتسع كلما زاد مخزونها، قال الحارث بن أسامة : « كان العلماء يقولون: كل وعاء أفرغت فيه شيئًا فإنه يضيق إلا القلب ، فإنه كلما أفرغت فيه اتسع » [١].

الجانب الثالث : ما بعد التعلم :

وذلك بمقاومة النسيان ، وتلافيه قبل حلوله عبر خطوات عدة:

الخطوة الأولى : استمرار التعلم (المراجعة) :

بدايةً: ينبغي تصوُّر أهمية المراجعة تصوراً صحيحًا ، فهي ليست

١) الحث على طلب العلم ، للعسكري ، ص ٧١ .

إضاعة وقت ، ولا توقفاً عن العمل ، ولا تأخراً في التعلم والحفظ، بل هي تعلم بعينه، وهي التي تحفظ النتائج السابقة، وتحافظ على رأس المال، فإن ما تم حفظه وفهمه هو رأس المال؛ فإن المعلومات التي تحفظ جيداً لا تكاد تُنسى ، وإنما تكون في مكان ما في الذاكرة، ويحتاج استحضارها إلى وقت طويل بخلاف ما يترك وينسى فلا يكاد يمكن استحضاره (١).

وإذا أحسن الإنسان التعامل مع قواه العقلية ، وأحسن استغلال ذاكرته واستثمارها في شبابه وكهولته : تضاعفت قواه العقلية في الوقت الذي تضعف فيه بنية جسمه وبقية القوى الأخرى (٢). وهذا الأمر يفسر لك ما كان عليه سلفنا الصالح من ضبط وإتقان في سن الكبر، ولو جاوزوا الستين!!.

ولا شك في صعوبة المراجعة على النفس ـ كما ذكر ابن الجوزي ـ ولكن الحقيقة أنك أمام أمرين لا ثالث لهما : إما المراجعة، أو النسيان! فليختر العاقل لنفسه ما أراد ، وطالما تواصى السلف بألا يوضع العلم عند غير أهله ممن يضيعه وينساه، وتختلف حاجة الناس إلى كثرة المراجعة حسب درجات حفظهم ، وقوة استحضارهم .

أما طريقة المراجعة : فإن أمكن وجود شخص آخر موثوق به تتم المذاكرة معه والمراجعة عليه: فهو الأفضل، وهو الأصل الذي نص عليه السلف ، ويسمونه : المذاكرة ، والمدارسة . وإلا : فلا بد من المراجعة بأي طريقة ممكنة، كالقراءة على نفسه، والكتابة .. ونحو ذلك ، حتى لو احتاج الأمر لأن يقرأ على غيره ممن ليس من أهل العلم، كالصبيان ونحوهم، وتبقى الأهمية الكبرى للتكرار والمراجعة الشخصية .

وهنا لا بد من التنبيه على أمور :

● من المفضل أن يتم حفظ ما يراد تسميعه من الليل، ثم يعقبه نوم ، ثم

(١) خطوات النجاح، محمد العثمان، ص ٦٦ .

(٢) علاج النسيان، ص ٥٦ ـ ٥٨.



تجري مراجعته سحراً أو بكرة ؛ لأنه إذا تساوى زمن النوم واليقظة بين التعلم والتذكر: فإن زمن النوم أقل ضرراً على الحفظ من زمن اليقظة؛ لعدم التعرض لخبرات جديدة خلال النوم، والتي يحصل النسيان بسببها، فإن النسيان إنما يحدث من جراء حصول خبرات جديدة ، يفسح لها الدماغ مجالاً، فيطمس أشياء قبلها [١].

● من المهم بعد عملية الحفظ تجنب الانفعالات والمثيرات العصبية؛ لأنها تؤثر على الحفظ سلباً ، ومن الصعب تفسير ذلك عصبيًّا ، ولكن المقصود أن ذلك يذهل الإنسان عن أشياء يعلمها ، أو يحفظها.

● يقال في مراجعة الحرف والمهن كما قيل في مراجعة العلوم ، فإنها مما ينسى إذا لم تستعمل ! وكما جاء الأمر بتعلم الرمي، جاء التحذير من نسيانه بتركه، فقال ﷺ : « من علم الرمي ثم تركه ، فليس منا ، أو قد عصى »[٢] وقد حرص الصحابة على ممارسة ما تعلموه كما صح عن عقبة بن عامر في رميه في حال كبر سنه.

ومثل الرمي : كل حرفة ومهارة ، وكذا : كل علم يحتاج إلى تدريب ، كالفرائض، والحساب، والنحو، واللغات ... وكذا العلوم الطبيعية، فإن العقل يحتاج إلى مراجعتها وممارستها والتدرب فيها بحل المسائل التطبيقية فيها .

الخطوة الثانية : العمل والتطبيق :

العمل بالعلم هو ثمرة العلم ، وبه يزكو العلم ، ويثبت في النفس، ولا يكون نافعاً ما لم يُعمل به .

وقد اعتبر السلف العمل بالعلم معيناً على تثبيت العلم وزيادته،

---

١) انظر : المهارات الدراسية، ص: ١٢٤ .

٢) مسلم ، ح /١٩١٩ .

قال إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع : « كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل »[1] .

ولايثبت العلم بمثل العمل ، ولاسبيل إلى مراجعة كل العلوم ، فإن العمر قصير ، لكن ببركة العمل يثبت العلم ، وتأمل مثلاً حفظ أذكار الصلاة وأدعيتها، وقارن بين من يحاول التنويع بحيث يأتي بكل ـ أو جلّ ـ ما حفظ في صلواته ، وبين من تكون صلته بها محصورة بين الكتب، وقِس على ذلك .

الخطوة الثالثة : مواصلة الطلب، واستمرار التعلم :

يعجب، ولا ينقضي عجبه، من تأمل حال سلفنا الصالح (رحمهم الله تعالى) في مواصلة طلبهم للعلم حتى الممات، والشواهد كثيرة ، ومن مآسي عصرنا : أن اعتبرت بعض المراحل الدراسية هي الغاية ، من بلغها بلغ الكمال ! .

الخطوة الرابعة : تبليغ العلم وتعليمه :

وهذا ثمن العلم وزكاته، وإذا كان المال ينقص بالإنفاق فإن العلم يزكو بالتعليم، ولا ينبغي أن يكون التقصير في العمل ـ إذا وقع ـ مانعًا من تعليم العلم وتبليغه ، فإن هذا تقصير آخر ، ثم إن تعلم العلم وتعليمه معين جداً على العمل وباعث عليه . .

وأخيراً : فلا بد من التأكيد على أهمية اللجوء إلى الله (تعالى)، والإقبال عليه، والإكثار من دعائه (*) وسؤاله، فبيده (سبحانه) خزائن السموات والأرض، لايغيضها نفقة ، سحّاء الليل والنهار .

وختاماً : فقد ظهر أن المسألة تحتاج إلى حزم وجد ومثابرة ، نسأل الله للجميع التوفيق لمرضاته .

---

١) الجامع لأخلاق الراوي . . .، ٢/٣١٤ .

*) جدير بالتنبيه أن ما يطلق عليها صلاة حفظ القرآن لا يصح حديثها، وقد عده بعض العلماء موضوعاً. انظر: ضعيف سنن الترمذي ح/٧١٩ والمستدرك ١/٣١٦، وفضائل القرآن، لابن كثير، تحقيق : أبو إسحاق الحويني، ص ٢٩٠، ولايجوز أن يعمل بها في فضائل الأعمال؛ لضعفها الشديد ولعدم اندراجها تحت أصل عام، والله أعلم.

رسالة إلى أبي محجن

أيها الصحبُ أين أين المسير ؟!   ومتى المنتهى وكيف المصيرُ ؟!

أنا في زحمة الحياة غريب   فلمن يُشتكى ومن لي مجير ؟!

وعلى الساح أمتي تتهاوى   ذلَّ منصورها وذل النصير !!

نفد الزادُ يا رفاق طريقي   سئم الركبُ حين طال المسير

واضمحلت سنابل الحقل لما   جُفِّف النبعُ وهو عذب نمير

* * *

أيها الفارس العنيد ترجَّل   فخيولي حبيسة لا تغير !!

والسلاح الذي أُعِدَّ كليل   وأذى العرض لم يعد يستثير !

اصهلي يا براذن الفرس ماتت   خيل سعدٍ ومات فينا الضمير !

وأبو محجن يئن بقيد   فلِمَ القيدُ أيُّهذا الأسير؟؟

عربدي يا علوجَ أيلة هذا   زمن القحط !! شره مستطير

كبت الناس عنوة !!! ورجانا   ندع الزادَ والرِّكاب تسير

و(كريستوفر) يحثُّ خطاه   وهو بالصلح والوفاق بشير !

وإذا (الجات) أثمرت فجناها   سوف يأتي ، وشوكها لا يضير !

* * *





شعر : محمد بن عائض القرني

يا ليالي الشتاء عودي ربيعًا   نرجسيًا يضوع منه العبير

واهنئي يا يهود إنا أناس   ليس فينا حمائم أو صقور

فخذي القدسَ كلَّها وكفانا   (سمة الإذن) بالعبور نزور !

جزئي مسجد الخليل وإلا   وحُديه ؛ فذاك خطْب يسير

وصلاة مع الإمام فإن لم   يأت ، فالكاهن الحكيم نظير

هكذا دان قومنا أرأيتم   كيف هُنَّا صغيرنا والكبير ؟!

*   *   *

ليت شعري إلى متى نتمادى؟   في رضا الخصم وهو وغدٌ حقير !!

يا أبا محجن كفاك ترابًا (*)   (فيلُ كسرى) على الثغور يغير

كُشِف السترُ فالعفاف ذبيح   هُتك العرضُ والجناح كسير

فاعصب الرأس عزة تتلظى   أنت بالحرب والسلام خبير

أزِفت ساعة القصاص وإلا   فاجرع الموتَ ثم بئس المصير

أفما آن للنيام انتباهٌ   أوَ ما أيقظ النيام النذير ؟!

---

*) رضي الله عن أبي محجن، فقد تاب وجاهد جهاد المؤمن الغيور !! .

انتصار الحق

أيها الفارس .. مهلاً ..

لا تغادر صهوة الحق .. ولا تلقي اللجام ..

واستمع ..

يا فارس الحق .. صدى صوت الكرام ..

هل تذكرت .. الألى

ساروا حفاةً .. والألى راموا القيام ..

والألى .. من شرفة التاريخ

أعلوا هامة الصدق الهمام

والألى .. لم يعشقوا النوم ..

وما أغضوا لتسفية اللئام ..

* * *

أيها الفارس ..

لما تذبل الأشجار في وادي الربيع ..

لم تودعنا الأزاهير ..

التي تحلم بالظل الصريع ..

والإباء الشامخ .. الوردي

لم يستهوه الصوت الوديع ..

لم يزر خيمة ليلى العامرية ..

ما رأى قيساً وأطمار الشقاء الجاهلية ..

البيان الأدبي



شعر : موسى محمد هجاد

ما رثى للشعر إذ ينساب في عشق

ولم ينسيه أوراق (القضية) ؟ ..

ما عفى للقوم آثار الحمية ..

والخريف الهازل .. الهش ..

ارتمى حزنًا بأحضان المنية ..

ساءه (الترتيل) في قارعة الليل البهيم ..

واحتسى قسرا من الإعجاز .. آيات النعيم

لم ينم .. في ذلك الليل ..

رمى عن جفنه اللهو القديم ..

صاح مذعوراً تخطى حاجز الصمت .. الأليم ..

كيف أحيا في صباح الصيف .. مزهواً ..

وقد طال الأرق ؟!

كيف أستعذب أنغام الهوى ..

يصغي لها سمع الشفق ؟!

أين فارس مأواي الرفيق ..

أين أحلام الصباة .. استنفرت ..

من كاهن الليل النعيق ..

لم يعبرها (التقاة) ..

استعجمت أشباح أحلام الغريق ..

أيها الفارس لا تجزع ..

إذا طال الطريق ..

وأسأل التثبيت .. في وقت ..

علا صوت (النقيق)

واختفى في زحمة الأصوات ..

مصداق الصديق ..

* * *

أيها الفارس ..

نوح عانق المأساة .. أحقاب السنين ..

أعرضوا .. صموا .. عموا

لايستكين ..

صفقت أشرعة المركب ..

تستهزئ بالكفر الدفين ..

واستفاق القوم ..

في لجة طوفان من الحق المبين ..

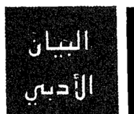
وانظروا

(لا عاصم اليوم) من الإغراق ..

(إلا من رحم) ..

فارجعوا .. لا تركضوا ..

لن يبلغ (الجوديَّ) عُبّادُ الصنم ..





معالم على طريق الأدب الإسلامي

(١ من ٣)

بقلم: طاهر العتباني

التنظير والنموذج:

عندما ظهرت الدعوة إلى الأدب الإسلامي في العصر الحديث وقف منها المثقفون العرب والمسلمون مواقف متعددة متباينة، فمنهم من احتفى بهذا المصطلح الجديد احتفاءً جمًّا، وتحمس له غاية الحماس دون أن يكون مع ذلك الحماس رؤية متكاملة تقوم على أسس واضحة وتتبنى تصوراً شاملاً لهذا المصطلح، ومنهم من رفضه بدعوى أن الأدب العربي كله منذ البعثة النبوية إلى اليوم أدب إسلامي، يُنتجهُ ـ في معظمه ـ مسلمون، فلا داعي إذن لهذا التمييز.

ولكن طائفةً من شداة الأدب ونقاده نظرت لهذا المصطلح نظرةً موضوعيةً هادئةً، تقوم على أسس واضحة ومعايير مستقيمة.

أول هذه المعايير والأسس: أن المذاهب الفكرية المختلفة التي كثرت في القرنين الأخيرين في أوروبا قد اصطنعت لنفسها مذاهب أدبيةً، تتفرع عن المذاهب الفكرية التي تدعو إليها وتتبناها، فكانت: الكلاسيكية، والكلاسيكية الجديدة، والرومانسية، والواقعية، والرمزية، والسيريالية، والبرناسية، والوجودية... وغيرها: مسميات لمدارس وتيارات فكرية أدبية، هي في حقيقتها الثوب الأدبي لتيارات

ومذاهب فكرية: كالفكر الذي ساد عصر النهضة، والفكر الرومانسي. والفكر الاشتراكي والماركسي... وغيرها من الأفكار.

لقد حاول كل من هذه المذاهب أن يضع تصوراً للكون والحياة والإنسان، هو بمثابة القاعدة، ثم تتفرع عنه ـ عن ذلك التصور ـ نظرية في السياسة، وأخرى في الاقتصاد، وثالثة في الاجتماع.. إلى غير ذلك من جوانب الحياة المختلفة، ومن ذلك: الأدب وفنونه.

والمثال على ذلك واضح: حيث كانت الرومانسية ـ مثلاً ـ ترى في الطبيعة الإله المعبود!، وكذلك كانت الشيوعية والاشتراكية وما تفرع عنها من الأدب الذي تسمّى باسم الأدب الواقعي، وما قبلها من التيارات والمذاهب تتخذ لنفسها آلهةً مختلفة، حتى وصل الأمر في نهاية المطاف بالفكر الشيوعي أنه لا يعترف بأيٍّ من الآلهة السابقة، ولكنه يرى أن الحياة لا يحكمها إلا قانون المادة الصماء، بحتميته السياسية، والاقتصادية، والتاريخية، والاجتماعية.. وغيرها من الحتميات.

لقد رأى ذلك الفريق الثالث أنه مادام كل مذهبٍ فكري ـ الذي هو عند معتنقه بمثابة دين وعقيدة ـ ينتج أدبًا ينسجم مع مبادئه، ويدعو إليها، ويكوّن لنفسه معايير وقيماً فنية وجمالية خاصة، فلا ضير إذن ـ بل هو واجب ـ **أن يكون للمنهج الإسلامي أدبه المتميز الذي يحمل** رسالته ويدعو إلى قيمه ومفاهيمه، ويتعامل مع الكون والحياة والإنسان بناءً على التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان.

ثاني هذه المعايير: أن الإسلام بوصفه رسالة شاملة للحياة البشرية ـ والأدب أحد جوانب هذه الحياة ـ لم يهمل هذه الناحية المهمة في حياة الإنسان، وهي الناحية التعبيرية عن المشاعر والعواطف والآراء والأفكار التي يحملها المسلم ويدعو إليها، ولكن الإسلام وضع المعايير والضوابط والأسس لهذا الجانب في حياة الإنسان المسلم، وجعلهُ ـ وهو يَشْعُرُ، ويُعبِّر، ويكتب ـ لا يخرج عن كونه مسلماً يتعبد إلى الله



(تعالى) بفكره ومشاعره وتعبيره، ولا عجب؛ فهذا حسان بن ثابت (رضي الله عنه) وهو الشاعر في الجاهلية والإسلام يضفي الإسلام على شعره ـ موضوعاته، وصوره، وتعبيراته، والقضايا التي يدافع عنها ـ يضفي عليها سمتًا إسلاميًّا واضحًا، ليقدّم بذلك ـ مع غيره من شعراء العهد النبوي ـ نموذجًا للأدب الإسلامي في ذلك العصر.

ثالث هذه المعايير: أن المنهج الإسلامي يبدأ التغيير من النفس الإنسانية بتثقيفها وتربيتها على قيمه ومبادئه، ويصوغ من هذه النفس عالمًا ترسَّخَتْ فيه هذه القيم، وتغلغلتْ في حواشيه وخفاياه؛ فلا بد ـ إذن ـ أن يأتي تعبيرها عن الكون والحياة والإنسان تعبيراً إسلاميًّا، سواء أكان ذلك: شعراً، أو قصةً، أو مسرحية، أو خاطرة، أو مقالة .

رابع هذه المعايير: أن المدارس الأدبية المختلفة ـ بدءاً بالكلاسيكية والرومانسية، وانتهاءً بغيرها من المدارس الأدبية ـ قد غرست في تربتنا الأدبية مبادئ وقيمًا فكرية ـ وربما فنية ـ لا تتفق مع منهجنا الإسلامي الذي هو معيار الحياة في كل جانب من جوانبها ـ أو هكذا ينبغي أن يكون ـ ؛ مما أفسد أذواقنا، وأحدث في شخصيتنا الإسلامية والأدبية نوعًا من التناقض، أصبح من المحتم معه أن نعود إلى منهجنا الإسلامي الشامل، نستمد منه تصورنا لأدبنا الذي يجب أن يكون هو وغيره من جوانب الحياة إسلاميًّا خالصًا، هذا فضلاً عمًا ران على أدبنا ـ شعراً ونثراً ـ عبر تاريخنا الطويل من ركامٍ هائل من الأفكار والمعاني والمشاعر والقيم التي بعدت كثيراً عن التصور الإسلامي النقي للكون والحياة والإنسان، فأصبح يلزمنا أن نعيد النظر في ذلك الأدب عبر تاريخه الطويل بناءً على تصورنا للأدب الإسلامي ونظريته الأصيلة.

خامس هذه المعايير: أن الصحوة الإسلامية التي تشهدها ديار الإسلام اليوم، بل وغير دياره، لا بد لها من الوقود الروحي والتعبيري والأدبي الذي يغذوها ويمدها بالطاقة التي تدفعها، ويجلو أمامها المفاهيم

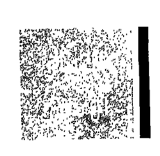
الإسلامية في ثوبٍ قشيب وعبارة رائقة، وتعبير موحٍ جميل، وليس أفضل في ذلك من تبني نظرية إسلامية للأدب، تأخذ على عاتقها تشكيل هذه البراعم التي نبتت في أرض الإسلام، والتي تود لو عادت الأمة إلى سابق عهدها قيماً وأخلاقاً وتصوراً وقيادةً للحياة.

سادس هذه المعايير: أن الأدب الإسلامي هو أحد العوامل المهمة في تجلية مفاهيم الإسلام وتوضحيها في عالم يمتلئ بالتيارات والمذاهب التي أصبحت تتترس خلف العبارة الموحية والتعبير الفني الجميل في بث أفكارها وتوصيل مفاهيمها وتنشئة الأجيال على ذلك.

وحتى لا يقع الكثير من أبناء الأمة ـ وهو ما حدث بالفعل ـ تحت تأثير الفكر الغازي في ثوب الأدب شعراً، وروايةً، وقصةً، ومسرحيةً، ودراسةً.. وغير ذلك من ألوان التعبير وفنونه، فإنه لا بد من وجود أدب إسلامي يكون بديلاً عن ذلك كله، وفي الوقت نفسه: بناءً لجانب مهم من جوانب حياتنا الإسلامية التي لا نستغني فيها عن البيان والتبيين.

سابع هذه المعايير: أن للشعوب الإسلامية الناطقة بغير العربية آداباً، سواء أكان ذلك شعراً أو نثراً، وهذه الآداب تتسم في كثير منها بسمات إسلامية خالصة وتعالج الموضوعات التي تطرحها من خلال التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، وهنا لا يصبح الأدب العربي ـ على فرض موافقته كله للتصور الإسلامي، وهو فرض غير صحيح ـ هو الأدب الوحيد الذي يتسم بسمة الإسلامية، بل لا بد من النظر بعين الاعتبار إلى هذه الآداب، وأقرب مثال على ذلك: شعر «إقبال» المكتوب بغير العربية(*).

كل هذه المعايير ـ وغيرها ـ كانت وراء تمسك أولئك النفر بهذا المصطلح الجديد والعمل على ترسيخ مفاهيمه في عالمنا الأدبي اليوم.



ومن ثم: ظهرت الدراسات المتعددة ـ وإن كانت قليلةً قياساً إلى غيرها من الدراسات الأدبية البعيدة عن هذا المصطلح ـ وظهرت كذلك النماذج الأدبية التي تتبنى نظرةً إسلامية للأدب: شعراً، أو قصة، أو

رواية، أو مسرحية . . بغض النظر عن مدى تحقيقها لما قد تبنته .

ومع اتساع قاعدة الأدب الإسلامي اليوم، وظهور جماعات أدبية تتبناه ومجلات وصحف متخصصة تهتم بنشر نصوصه ونماذجه والحديث حول قضاياه وأطاريحه ـ وإن كانت قليلة جداً ـ مع ذلك : فلا يزال الأدب الإسلامي المنتج على الساحة اليوم قليلاً، خصوصاً إذا تصورنا أن الأدب الذي ينتج على أيدي كتاب ومفكرين مسلمين يجب أن يعبر عن هويتهم وانتمائهم والتزامهم بهذا الدين .

كذلك : فلا يزال التعريف بقضاياه ورواده ونماذجه ونصوصه قليلاً .

وإذا كان هناك قصور لا يزال ظاهراً في تكوين نظرية إسلامية للأدب ـ إلا من بعض المحاولات الفردية ـ فإن ذلك مرده ـ فيما أتصور ـ يرجع إلى أن التنظير يجب أن يبدأ من الوقوف أمام النماذج الأدبية الإسلامية الجيدة، واستنطاقها ، والبحث في خصائصها وسماتها، بدلاً من البحث النظري الذي يقوم على الفرضيات المسبقة دون مواجهة النصوص والكشف عن عطاءاتها الخصبة، وهذا بالطبع لا يعني التقليل من أهمية البحوث النظرية التي تؤصل وتؤطر للأدب الإسلامي، وتستنبط مراميه وغاياته من خلال البحث في أصول المنهج الإسلامي .

كما أن جزءاً من القصور ربَّما يكون مرده إلى أننا لا نريد أن نعترف للنموذج الأدبي الجيد، الذي لا يتناقض مع مفاهيم الإسلام بأنه يمكن أن يقدم ما يُنتفع به في صياغة نظرية إسلامية للأدب .

إن كثيراً ممن ينظّرون للأدب الإسلامي ـ فيما هو ملاحظ ـ لا تمتد أيديهم إلى نصوص ونماذج قد تكون جيدة جداً وتضيف جديداً لكن أصحابها لا يرفعون لافتة الأدب الإسلامي واضحةً صريحة، في حين أن نصوصهم ـ أو كثيراً منها ـ تنسجم مع التصور الإسلامي للأدب انسجاماً، ولا عجب في هذا الكلام، ونحن نعرف أن النبي ﷺ كان يستنشد أصحابه من شعر أمية بن أبي الصلت، الذي آمن شعره وكفر قلبه .

إذن : لكي نتمكن من صياغة نظرية أدبية إسلامية على مستوى المنهج الإسلامي الذي ستعبر عنه النظرية ، وعلى مستوى هذا العصر الذي نعيش فيه : فلا بد أن يبدأ البحث من اكتشاف النموذج الذي يقدم ويضيف، أيًّا كان صاحبه، ومن هنا : فنحن ملزمون أن نعيد قراءة تراثنا الأدبي والشعري والتعبيري من جديد؛ لكي نعيد اكتشاف النماذج، ومن ثم : استنطاقها لاستخلاص السمات والمعالم لهذا الأدب، بل إن هذا يستدعي إعادة تجميع هذا التراث والتعرف على ما أهمل منه؛ حتى نستطيع إعادة النظر في نتائج كثير من البحوث والدراسات التي أظهرت أدبنا العربي في ثوبٍ بعيد عن الإسلام وقيمه ومفاهيمه.

إن كثيراً من البحوث التي تعرضت للأدب الإسلامي قد وقفت موقفاً متطرفًا من هذا الأدب، إما إلى الإفراط في وصفه بصفة الإسلامية في كل نواحيه وجوانبه، وإما التفريط فيه جملة بدعوى أن أقل القليل منه هو الذي يتوافق مع منهج الأدب الإسلامي، وكلا الرأيين ـ في نظري ـ غير صحيح .

من هنا : يصبح التفاعل المبدع بين الاستنباطات النظرية والنماذج المنتجة ـ أو تلك التي أعيد اكتشافها وقراءتها ـ هو الطريق الذي لا بد منه لترسيخ هذه النظرية في حياتنا الأدبية والفكرية .

كما أن هذه النظرة لن تمنعنا من الاستفادة من كل نصٍّ أو نموذج يُعاد اكتشافه وقراءته، سواءٌ أوافق الأدب الإسلامي في رؤيته أو خالفه؟ فما بين الاختلاف والاتفاق، والتناظر والمحاورة ، وقرع الرأي بالرأي والحجة بالحجة : يستبين الحق، ويستنبط الرأي الصواب، وتكتسب النظرة الموضوعية العميقة .

كما أني أعتقد أن اكتشاف معالم الأدب الإسلامي لا بد معه من تمحيص النصوص المناقضة للتصور الإسلامي ـ وهذا ما فعله بعض الباحثين فعلاً ـ ؛ لأن جزءاً من مهمتنا هو كشف عوار التصورات غير الإسلامية في الأدب : شعراً، ورواية، ومسرحية، وقصةً، ودراسة،



وكذلك تمييز الغث من السمين، خصوصاً وأن تيار الحداثة المعاصر ـ الذي انتقل إلينا على يد فئةٍ من أدباء العربية وشعرائها ـ انحرف بالمسار الأدبي العربي انحرافات وصلت إلى حد التشكيك في العقيدة، والتجرؤ على أصولها، ومحاولة تدمير كل المفاهيم الإسلامية، حتى تلك التي تعد بداهات في فكر المسلم وتصوره.

ولقد كانت المدارس الأدبية المختلفة التي تأثر بها الأدب العربي المعاصر إحدى الجراثيم التي لم نلتفت إليها وهي تتشبث بتربتنا الأدبية والفكرية، ولم نستطع التعامل مع معطياتها الفنية بمعزلٍ عن الفكر الذي حملته، فوصل بنا الحال اليوم إلى ما وصل إليه من فوضى فكرية وأدبية، وانغماسٍ حتى الأذنين في وبال التصورات والأفكار الوافدة المناقضة لعقيدتنا وتاريخنا وتراثنا وسَمْتنا الحضاريّ المتميز.

إن على كل دارس للأدب الإسلامي، أو مهتم به، أو مبدعٍ يتبناه ويدعو إليه ويرى فيه الخلاص مما ران على حياتنا الأدبية والثقافية بوجه، على أولئك جميعاً أن يأخذوا على عاتقهم قراءة كل ما يقع تحت أيديهم من نصوص أدبية لأدباء يتبنون النظرية الأدبية الإسلامية أو لا يتبنونها، يحدوهم في ذلك كله البحث عن كل معلم يمكن أن يسهم في بناء نظرية إسلامية للأدب، ويحرس مسيرتهم تلك: عمق التوغل في مصادر الإسلام ومعارفه وثقافته، والوقفات الطويلة المتأملة المتأنية أمام نصوص القرآن والسنة، وكتابات قادة الإصلاح ومفكري الصحوة وعلمائها ودعاتها الذين كان لهم دور في إبراز مفاهيم الإسلام الصحيحة وتصوره الحق للكون والحياة والإنسان.

الشكل والمضمون:

ظلت قضية الشكل والمضمون في العمل الأدبي تثير جدلاً عبر تاريخ الأدب الطويل، وانقسم الناس إزاءها مذاهب واتجاهاتٍ وآراءً وتيارات.

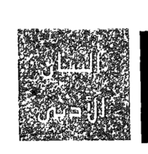
فما هي الرؤية التي يطرحها الأدب الإسلامي إزاء هذه الإشكالية

القديمة الجديدة؟ .

لقد كانت القصيدة العربية تتميز بسمات شكلية، سواء من ناحية الوزن والقافية، أو من حيث الصورة النموذجية للقصيدة التي تشمل موضوعات متعددة ـ هكذا في أغلب النماذج المستحسنة ـ ، تبدأ بالوقوف على الأطلال، وبكاء الديار، أو الرحلة في الصحراء، أو التغزل بالمحبوبة .. إلى غير ذلك من الموضوعات التي ربما انتهت بمدحٍ أو اعتذار أو هجاءٍ أو فخرٍ .. أو غير ذلك من أغراض القصيدة القديمة.

وأصبح من المتعارف عليه: أن (القصيدة النموذج) يحتشد فيها عدد من الأغراض الشعرية: من مدح، وهجاء، وفخرٍ، ونسيب، ووصف.. وما سوى ذلك من أغراض شعرنا العربي القديم .

وكان النموذج المنتج للقصيدة هو الذي حدد هذه السمات الشكلية وهذه الأغراض ، ثم جاء التنظير النقدي لاحقًا للنصوص مستنبطًا منها، حتى ترسخت نظريات في النقد العربي القديم بناءً على الجهود المتلاحقة للنقد الذي استنطق النصوص ، واعتُبر ـ في مرحلةٍ لاحقة من التاريخ الأدبي العربي ـ أن كل خروج على شكل القصيدة العربية، وعمود الشعر الذي رسخه النقد القديم خروج على الفن وقواعده ، حتى لقد وقف النقد العربي القديم موقف الرافض لتجديدات الشعراء كأبي تمام وغيره، حتى استقرت تجديداتهم هي الأخرى في ذاكرة التاريخ الأدبي والشعري، وأصبحت هي الأخرى ـ بعد ذلك ـ معالم وسمات وأسسًا نظرية تطبق على النصوص.



وعندما بدأت النهضة الحديثة في الأدب على يد البارودي، ومن بعده شوقي في الشعر، عاد أولئك المجددون من الرواد إلى النموذج القديم فاحتذوا شكله ونسجوا على منواله، سواء من حيث الأغراض، أو من حيث الأوزان والقوافي، أو جزالة الألفاظ واللغة، وانتزاع الصور التعبيرية والأخيلة والمعاني من دواوين الشعر العربي القديم، إلا في قليل

من التجديد الذي فرضته طبيعة العصر ومستجداته وقضاياه وظروفه الراهنة، حتى أنك لا تجد قصيدة لشوقي ـ وربما البارودي ـ إلا وهي معارضة واحتذاء لقصيدة أخرى من شعر العرب القدامى، وهذه المعارضات هي في حقيقتها نوع من الالتزام الشكلي للنموذج القديم.

ثم كان تيار الرومانسية والنقد العربي الذي بدأ يعيد النظر في هذه النصوص الشعرية القديمة منها والحديثة بناءً على معطيات نظرية وفروض نقدية منقولة من الأدب الغربي الحديث، ليكتشف ـ كما يرى ـ فقدان هذه النصوص إلى شروط الإبداع الجيد وسماته شكلاً ومضمونًا، كفقدانها للوحدة الموضوعية والنفسية.. وغير ذلك من المعايير الجديدة.

وهكذا أصبح كل جيل أدبي يعيد النظر في النصوص التي أنتجها الجيل السابق له، ويعاملها بمعاييره وفروضه ومعطياته، ليكتشف ـ إن حقًا وإن باطلاً ـ أنها نماذج لا تصلح للأدب المطلوب في اللحظة الراهنة.

إذن: كان لكل جيلٍ أدبي تصوره لقضية الشكل، وللمضمون كذلك، حاول ـ أفلح أم لم يفلح ـ أن ينفذها فيما أنتجه من النصوص.

من كل ذلك تصبح قضية الشكل الأدبي في تصورنا قضية يعطي لها كل عصر من روحه وسماته وخصائصه، وترتبط بروح ذلك العصر وإيقاعه ومتغيراته، فهي ـ في تصوّرنا لنظرية الأدب الإسلامي ـ مسألة متطورة ليس يحكمها تصور مبدئي محدد، خلافًا للمضمون الذي يجب أن يعبر عن تصور الأديب المسلم للكون والحياة والإنسان في إطار عصره وبيئته وقضايا ذلك العصر وروحه.

لقد استوعب الأدب العربي المعاصر ـ الذي لم يعرف عبر تاريخه الطويل غير النظم والنثر الفني ـ أجناسًا أدبية جديدة؛ منها: الرواية، والقصة القصيرة، والطويلة، والمسرحية الشعرية والنثرية على السواء، كما استوعب كثيراً من التجديدات الشكلية في القصيدة التي حدث لها أكبر تطور في تاريخها الطويل من ناحية الشكل ـ الوزن والقافية ـ ، أو

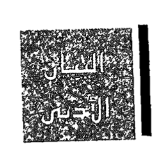
من ناحية رؤيتها لمفهوم الأغراض الذي ارتبط به الشعر القديم، وهي ناحية فيها ملمح شكلي، كما أن فيها ملمحًا مضمونيًّا أيضًا .

ولكن الذي حدث هو أن من استوعبوا هذه التجديدات الشكلية في القصيدة - التي تخلت عن كثير من أثوابها القديمة واستبدلت بها ثيابًا أخرى جديدة - وقعوا في المضامين نفسها التي حملتها هذه التجديدات في الشكل ، فنشأت تيارات ومذاهب أدبية في الأدب العربي المعاصر تتبنى الآراء والتصورات نفسها التي يحملها الأدب الوافد، وتدعو إلى المفاهيم نفسها دون محاولةٍ منها أن تستفيد من تجديدات الشكل وجماليات التعبير، بعيدًا عن المضمون والمفاهيم والأفكار والآراء التي حملها الأدب الذي تأثرت به .

ولعل هذا هو الذي حدا بكثيرين ممن تابعوا هذا التجديد إلى رفضه جملةً وتفصيلاً ، شكلاً ومضمونًا، دون أن تكون هناك نظرة هادئة موضوعية تنظر إلى الأمر من جميع جوانبه ، فتنتقي ما يتناسب مع تصورنا وانتمائنا الإسلامي، وترفض ما يأباه ذلك التصور وهذا الانتماء.

ونظرية الأدب الإسلامي - وهي تسعى لتأصيل مفاهيمها ومعالمها - لا بد أن تنظر إلى الشكل نظرةً واسعةً، ولا تضيق بأي شكل أدبي مهما يكن، فليس في الإسلام بوصفه منهجًا ما يمنع من التجديد في الشكل، بل إن المضمُون الجيد والجديد الذي يتوافق مع تصورنا الإسلامي لا يحتاج إلى شيءٍ قدر احتياجه إلى تجديدات في الشكل تستوعب ذلك الجديد في المضمون .

ومع اعترافنا المبدئي بأن بين الشكل والمضمُون - خصوصًا في مراحل التجديد الأولى - ارتباطًا كبيرًا ، فيجب أن يكون الأديب المسلم على حذرٍ منه، وأن يكون ذا سعة في فهمه لمنهجه وتصوره، وذا عمق ووعي هائل، يستطيع معه أن يتعامل مع الجديد بأصوله الثابتة وعقله المفتوح في آنٍ واحد ، فينتقي ويختار ما يمكن إضافته دون وقوعٍ تحت سنابك



الفكر الغربي الوافد، ودون انغلاقٍ يؤدي إلى الجمود والتقوقع، ولا غرو: فباب الاجتهاد يظل مفتوحًا لمن يملك آلته ويقدر على ذلك .

ومن هنا: فإن الأشكال الأدبية الجديدة التي أنتجتها آداب غير إسلامية، يجب أن يقف أمامها الأدب الإسلامي محللاً ومشرحًا؛ لكي يستطيع الإفادة من كل ذلك ، بل إن سعة المنهج الإسلامي وصلاحيته لكل عصرٍ، وبالتالي: سعة نظريته الأدبية والنقدية، كل ذلك يدعو إلى الاستفادة من كل جديد في الآداب الأخرى، بشرط غرسه في تربتنا الأدبية الإسلامية بعد إضفاء طابعنا عليه، ولهذا: تظل هذه التجديدات في الشكل موطنًا من مواطن الاجتهاد الأدبي ـ إن صح هذا التعبير ـ .

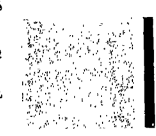
إن من أدبائنا الإسلاميين اليوم من يقف موقفًا متشددًا من قصيدة (التفعيلة) كتجديد شكلي أخذت به القصيدة المعاصرة، ويرى أنها تحللت من إطار البيت ذي التفعيلات المحددة إلى السطر الشعري، لهثًا وراء الفكر والتصور الغربي، وخروجًا على التراث واللغة وقواعد الفن، بل وعلى الدين، في حين أنه قد أنتجت بالفعل قصائد إسلامية في هذا الشكل الجديد، تتميز بحساسيتها الشديدة وقدرتها على الإضافة والتجديد، في الوقت الذي حملت فيه مضمونًا إسلاميًّا صافيًا رائقًا، لتؤكد لمن يقفون ضد مصطلح «إسلامية الأدب» أن الأدب الإسلامي حقيقةٌ واقعةٌ، وأنه معاصر في الوقت نفسه.

كذلك كان للنماذج الروائية والقصصية والمسرحية الإسلامية ـ التي أنتجها أدباء مسلمون، مثل: نجيب الكيلاني، وعلى أحمد باكثير ـ دور بارز في ترسيخ استيعاب الأدب الإسلامي لكل جديد في الشكل، يعين على إبراز مضامين الإسلام، ومفاهيمه، ورؤاه، وتصوراته للقضايا المختلفة.

(*) شعر إقبال وفكره يحمل بعض المفاهيم المنحرفة المخالفة للعقيدة الصحيحة، وقد ناقش ذلك بعض الباحثين، ومنهم الأستاذ سيد قطب في (خصائص التصور الإسلامي، جـ1) وكذا الأستاذ/ خليل الرحمن عبد الرحمن في كتابه (إقبال والحضارة الغربية). - البيان -

عجائب الأحلام

مضتْ تبعثر الخطا | بين الدروب المظلمه
طريدةً صراخها | يضيع وسط الهمهمه
والذئب يعدو خلفها | بين الكلاب المتخمه
وَأكْلُبُ الحي بدتْ | أمامه مُستسلمه
والذل في أجفانها | للذئب أمسى مرحمه
وإبنة الحي بها | من الجراح أوسمه
دماؤها قد كتبت | على الدروب مَعلَمَه
بأحرفٍ رموزها | غامضةٌ منمنمه
فتيانها قد قرؤوا | تلك الحروف المبهمه
فعرفوا مأساتها | من النيوب المجرمة
فجردوا سلاحهم | لقتل ذئب الدونمه
فجرّحوه فارتمى | يعوي بصوت المرحمه
يعوي بحزنٍ شاكيًا | من السهام المؤلمه
شكاته قد حركت | ضمائرًا مؤممه



شعر : إبراهيم بن عبد العزيز الفوزان

هناك ذئب أشقرٌ أتى لرفع المظلمه
أتى يجرُ تيهه عواؤه كالدمدمه
وأكلبُ الحي انحنت لصوته معظمه
حتى الكلابُ الخاملات أقبلت مسلِّمه
بنظرة من طرفه فيها معانٍ مبهمه
تناظرت جميعها ثم انحنت مهمهمه
فانطلقت نابحةً لنصر ذئب الدونمه
من فتيةٍ لم يدركوا حق الذئاب المكرمه
فهجمت بقسوةٍ بخطةٍ معممه
أما الفتاةُ لا تسل عن نفسها المحطمه
فتيانها قد هوجموا بأكلبٍ منظمه
فمزقت أجسادَهم نيوبُها المُسَمّمه
وأصبحت فتاتهم للذئب أشهى مطعمه
عجائبًا رأيتُها في نومةٍ مُنعمه
أحلامُها كأنها حقيقة مسلمه

مصر في القرن الواحد والعشرين

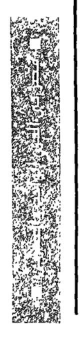
(قراءة أصولي) (١ من ٣)

تمثل الدراسات المستقبلية إحدى أهم المرتكزات العلمية التي تقوم عليها البرامج العملية لتوجيه طاقات وتنمية إمكانات تملكها مجموعة بشريةٌ ما نحو مستقبل أفضل في ظل مبادئ وأهداف محددة.

وقد تنبه بعض المنتمين إلى التيار الإسلامي لأهمية استشراف المستقبل ومحاولة رصده ، ولكنها حتى الآن - في نظري - محاولات تعتمد الجانب النظري التأصيلي، ولم تخرج بعد - فيما أعلم - إلى الإطار الواقعي الواضح المدروس، بما يتوافق مع حجم انتشار وأهمية تفاعل حركة الصحوة الإسلامية في المجتمع، في الوقت الذي بدا فيه العلمانيون آخذين بناصية هذه الدراسات، متظاهرين بـ (العلمية) و(العقلانية) و(الحرص على مستقبل البلاد).

ولا شك أن من هؤلاء مَن يُعَدُّون أهلاً - من منطلق توجهاتهم - للتصدر للحديث عن رؤاهم المستقبلية، ولكن هذا لا يمنعنا - نحن الأصوليين(*)! - من متابعة - وربما نقد - بعض الرؤى التي تُطرح على أنها (مشاريع مستقبلية) من قبَل هؤلاء .. نفعل ذلك ليس لهثًا وراء أطاريحهم ، ولكن رصداً وفقهاً لواقع يؤثر فينا ونؤثر فيه، وليس لتقديم حلول ومشاريع بديلة لهذه المشاريع على منوالها؛ فإن المشروع الإسلامي لُحمة واحدة - أساسها التوحيد - لا يمكن فصل أسلاخ منها لترقيع مشروع آخر يعترف أصحابه - وأحيانًا يفتخرون - بأنه لم يقم على تصور إسلامي شامل للكون والحياة

(*) يبدو أن الكاتب يستعمل هذا التعبير وأضرابه من باب المشاكلة اللفظية وإظهار عدم الاكتراث بما يَسِمُون به المنتسبين إلى الصحوة الإسلامية. - البيان -



بقلم: عبد الرحمن الكناني

المسلمون والعالم



والإنسان ، بل ينكرون أن هذا التصور موجود خارج المسجد ومحكمة الأحوال الشخصية ـ في أحسن الأحوال ـ !!.. ولكن لمحاولة بيان حقيقة (العقلانية) و(الاستنارة) في مشروع علماني!.

وعموماً : فإني أظن أن قراءتنا ـ معاشر الأصوليين ـ لهذه المشاريع مفيدة لنا من باب استبانة السبيل ، ومفيدة لهم أيضاً ـ إن تجرأنا وقلنا: إن هناك ما يمكن إفادتهم به! ـ من باب (التعارف) والتصافح العقلي.

نعود إلى موضوعنا: فقد نُشرت في بعض الصحف اليومية دراسة بعنوان (مصر في القرن الواحد والعشرين.. التحديات والآمال)[1]، ومما يعطي لهذه الدراسة أهمية كبرى: كونها عن (الشقيقة الكبرى) مصر، الدولة ذات الثقل الكبير في المنطقة، وكون كاتبها علماً بارزاً من أعلام السياسة المصرية ، هو : الدكتور أسامة الباز، وقد طرح فيها رؤية وتصوراً لما ينبغي أن تحتذي به مصر في القرن الميلادي المقبل.

عرض موجز للدراسة:

بدأت الدراسة بتمهيد يوضح أهمية الموضوع، وبيان لطبيعة القرن القادم، ثم استعراض موجز للتحديات و(الإنجازات) السابقة ، وتنويه بالآمال وعناصر التفاؤل التي تصاحب دخول مصر القرن الحادي والعشرين، ثم قدّم لرؤيته المستقبلية بعرض اثنتي عشرة دراسة مستقبلية، كان (مركز الأهرام للترجمة والنشر) كلف بها بعض المتخصصين، ودعاه أن يكون

١) نشرت في ثلاث حلقات متتالية بدءاً من ٦/٧/١٩٩٦م في صحيفة الأهرام القاهرية، كما نشرت في التوقيت نفسه في بعض الصحف الخليجية، كالقبس والاتحاد.

محرراً للكتاب الذي سيصدر بها، ودارت هذه الدراسات حول محاور أربعة:

١ ـ الثوابت والمتغيرات الأساسية في مصر: الجغرافيا، والسكان، والاقتصاد، والمرأة .

٢ ـ التطور الذي تشهده القيم السياسية والاجتماعية في المجتمع المصري: مفاهيم التطور في الألفية الثالثة ، الإحياء الديني، فكرة الوحدة الوطنية ودور الأقباط.

٣ ـ التطور الذي تشهده المؤسسات السياسية والاجتماعية: قضية الديمقراطية والنظام ، فجوة العلم والتكنولوجيا ، ودور المؤسسة العسكرية.

٤ ـ دور مصر : الإقليمي، والدولي.

وبعد عرض الدراسات الاثنتي عشرة قدم الدكتور أسامة الباز رؤيته الخاصة للمشروع المستقبلي لمصر في القرن القادم ، الذي حدد ملامحه بست ركائز:

١ ـ تنمية الموارد البشرية ، من خلال:

أ ـ خفض النمو السكاني باستخدام وسائل أكثر فعالية في الترويج لمفاهيم تنظيم الأسرة، وإقناع الجماهير بأفضلية الأسرة الصغيرة.

ب ـ تبني برنامج صارم لمحو الأمية .

٢ ـ القيام بمسح شامل للموارد الطبيعية ، وكيفية الاستفادة منها.

٣ ـ خطة طموحة للدخول في عالم البحوث العلمية والتكنولوجيا.

٤ ـ تطوير وإصلاح التعليم ، ووضع خطة شاملة (لحماية) عقول الشعب من السقوط في هوة التيارات الضالة المضللة، للانطلاق من أسار (الماضي) والحاضر إلى التقدم في الدنيا الجديدة.

٥ ـ الدخول في (إصلاح) سياسي (بعد) الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية، بحيث يشمل هذا الإصلاح تبني الأفراد والجماعات للديمقراطية قلباً وقالباً قبل مطالبة الحكام بها.

٦ ـ الاهتمام بتنمية القدرات العسكرية ، والحفاظ على موقع مصر باعتبارها قوة رائدة إقليمياً وعالمياً ، من حيث عدم تبعيتها، وقيادتها لدول أخرى.



ملحوظات عامة على الدراسة:

وقبل الخوض في مناقشة بعض التفصيلات لبعض القضايا التي أثارتها الدراسة أود التنبيه إلى ملحوظات عامة عليها:

أولاً: تجنب الدكتور الباز المناقشة التفصيلية للدراسات الاثنتي عشرة التي قدمها بين يدي رؤيته، ولم يعلق عليها بالقبول أو الرفض لما جاء فيها، ولكن تقديمه لهذه الدراسات باعتبارها أبحاث المشروع المستقبلي مع عدم اعتراضه عليها ـ وإن تحفظ على بعض جزئياتها ـ يجعلنا ننظر إلى رؤيته الخاصة على أنها إجمال، تفصله الدراسات المذكورة، مع كوننا لا نلزم أحداً بكلام غيره، ولكننا نناقش الدراسة باعتبارها مشروعاً علمانيًّا، وإن تعددت مدارسه.

ثانيًا: كثير ممن شاركوا في تقديم الدراسات ـ كما يقول الدكتور الباز ـ: شارك في صياغة برامج التنمية في مصر، أو في (صنع) تاريخ الحقبة السابقة، أو له إسهام بارز في الفكر السياسي والاجتماعي في العقود الماضية ...، فينبغي علينا أولاً النظر بتأمل في نتيجة جهودهم الماضية، وبحث آثار الخطط الخمسية وبرامج التنمية، وخطط النهوض والارتقاء بالمواطن، ورفع المعاناة... هل سيكون المستقبل امتداداً لفشل الماضي؟!، وهل عقمت مصر عن ولادة آخرين (بدون سوابق) قادرين على العبور بها إلى القرن القادم ؟! .

ثالثًا: معظم المفكرين الذين صدّر الدكتور الباز رؤيته بدراساتهم: إما خارجين من عباءة الماركسية بعد فشلهم في التبشير بها؛ إثر تيتمهم بوفاة الاتحاد السوفييتي الذي وافته المنية على يد الرفيق جورباتشوف، أو قادمين من الرؤى الأمريكية الليبرالية حاملين معهم رياح النظام العالمي الجديد (في شقه الإقليمي) على أمل أن يكون لها موطئ قدم على الخارطة المصرية، فالجميع كتبوا بقلم علماني ـ وإن اختلف مداده ـ، ولذا: كان موقع (الدين) في مشروعهم هو موقع (التوابل)!، حيث لابد منها لإعطاء النكهة، ولكنها ليست ضرورية أو مفيدة، ولذا أيضاً: رأينا الاضطراب عند معالجتهم علاقة (الدين) بالنسبة للفرد والمجتمع وتنميتهما.



المسلمون والعالم

رابعًا: يقر الدكتور الباز أن التحدي المستقبلي هو تحدٍّ حضاري، وهو كذلك بالفعل، ولكن لم تقدم لنا الدراسة تصوراً محدداً وواضحاً ـ أو غير واضح ـ لرؤية حضارية خاصة ومميزة تواجه الرؤى الحضارية الأخرى للدخول بها إلى القرن القادم.

خامساً: ذُكر في الدراسة بعض النقاط التي لا يُختلف على إيجابيتها إجمالاً، أما تفصيلاً فالأمر يختلف بحسب التوجه (الحضاري) الذي يتبناه (القارئ)، وذلك كالإحياء الحضاري، والاهتمام بتنمية الإنسان، ورفع فعاليته، وإصلاح وتطوير التعليم، ودخول عالم التكنولوجيا، والمسح الشامل للموارد الطبيعية للاستفادة منها، والاهتمام بتنمية قدرات البلاد العسكرية.

سادساً: وضع الدكتور الباز بداية لتدشين العمل بهذا المشروع، حددها في سنة ٢٠٠٥م، آخذاً في الاعتبار من يتحفظون على موعد كهذا تعجيلاً أو تأخيراً، وإذا كنا لا نناقش هذا الموعد أو غيره، ولكننا لا نستوعب كيف يمهد للعمل بهذا المشروع في هذا الموعد بإجراءات وتوجهات لا تتفق إن لم نَقُل تتعارض معه ـ كما سيتضح لاحقًا إن شاء الله (تعالى) ـ، وذلك إذا اعتبرنا أن هذا المشروع هو ما يصلح للمجتمع المصري في المرحلة المقبلة؟.

ملحوظات تفصيلية:

فتلك كانت بعض الملحوظات العامة على الدراسة، فإذا فحصناها بعين أكثر مجهرية رصدنا بعض الملامح الأخرى التي تتمثل في الملحوظات الآتية:

الملحوظة الأولى: مكانة (الإنسان) في المشروع:

حيث وضح غياب البعد الإنساني عن التنمية، واعتبار (الإنسان) مجرد (أداة) تنفيذ، ينبغي توجيه الاهتمام للجوانب التي تؤدي إلى تطويره من هذه الناحية، وليس لأنه يستحق ذلك باعتباره كياناً له المكانة الأولى والتكريم الأوفر بين خلق الله، بل لأنه: «هو العمود الفقري لأي تنمية أو تقدم، وأن الاستثمار في البشر وتنميتهم يمثل نقطة البدء في أي نهضة حقيقية»، و«الإنسان المصري هو الثروة الحقيقية المؤكدة في هذا المجتمع، وهو مصدر القوة الحقيقية





متى أحسن إعداده وأطلقت طاقته الإبداعية»، وأهمية دور المرأة «باعتبارها جزءاً من عملية التنمية»، و«لأن السكان يمكن أن يكونوا عنصراً فعالاً في دفع عملية التنمية، بخاصة **إذا كانوا أصحاء** ومنتجين»، وينبغي النظر في «الضغوط والتوترات التي تتعرض لها الطبقة الوسطى ذات الدخل الثابت، التي يمثل التدهور النسبي والمتزايد لوضعها **تهديداً للاستقرار الاجتماعي**».

ولا يختلف أحد على أن (الإنسان) هو المقصود بالتنمية، كما أنه عنصرها الفعال، ولكن قصر الحديث عنه والاهتمام به على الجوانب المادية وما يقاس ويوزن ويحصى ... وإهمال الجوانب المعنوية التي على رأسها تنمية روحه وعقله .. كل ذلك يشير إلى نبع المبادئ التي قامت عليها الحضارة الأوروبية التي تقدس القوة المادية، والتي ربما تأثرت بها ثقافات معظم من شارك في هذه الدراسة، وبالطبع فلن نسأل عن تربية - أو «تنمية» - إيمانية إسلامية لذلك الإنسان؛ لأنه لا ينبغي سؤال أرباب العلمانية عن أمر كهذا، بل ينبغي دعوتهم إليه.

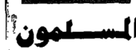
الملحوظة الثانية: تحرير الإنسان أم الوصاية عليه؟:

تحدّث كثير من المشاركين في الدراسة عن: «تحرير قدرات الإنسان الإبداعية»، و«زيادة الفاعلية»، و«تحريك طاقات المجتمع»، و«تعميق الممارسة والمشاركة الديمقراطية»..

والمفهوم: أن كل ذلك مبني على تحرير عقل الإنسان وإرادته في مناخ من حرية تبني خيار، ويكون ذلك بتنمية عقلية ومعرفية واسعة، مع رفع الوصاية على عقل وإرادة ذلك الإنسان..

فهل ما تمارسه الأجهزة الرسمية - من إعلامية وأمنية وغيرها - يتفق أو يمهد لهذا التحرير؟.. إن الحملات الإعلامية المكثفة، والأفلام والمسلسلات التلفزيونية الموجهة، وتعديلات منهاج التعليم بما يتفق مع الرؤية العلمانية والرسمية.. ليدلنا على وصاية كبرى على عقل الإنسان المصري.

وقد يعتبر بعض (المحايدين) أنه من الطبيعي أن يعبر القائمون على





والعالم

هذه الأجهزة عن توجههم، أيًا كان هذا التوجه ، ولكن الصورة تكتمل إذا اتضح حجم التضييق والملاحقات للدعاة الذين لا يسايرون الوجهة الرسمية، ومنع التيارات الإسلامية من العمل الدعوي (السلمي)، فلماذا لا تعطى الفرصة (للإنسان المصري) ليسمع ما يشاء ويختار ما يريد؟.

كما أن الممارسات الانتخابية المشبوهة من استغلال لمراكز النفوذ، والرشا الانتخابية الصريحة والمقنَّعة، إضافة إلى ما يذكر من تجاوزات وأحداث تزوير صدرت بها أحكام قضائية أكثر من مرة، وملاحقة المنتسبين إلى التيار الإسلامي في وظائفهم وأعمالهم، بل واستصدار (قرار) من وزير التعليم بمنع ارتداء الطالبات للحجاب إلا إذا وقَّع ولي أمرهن على إقرار بذلك في المدرسة (مع منع النقاب نهائيًا) إرهابًا لمن يُظهر مظهراً إسلاميًا... وغير ذلك من ممارسات تتحطم عليها دعاوى الليبرالية والحرية الشخصية والديمقراطية المزعومة: تدل دلالة واضحة على مصادرة إرادة الإنسان المصري.

إننا ـ معشر الإسلاميين ـ نعتقد أن التحرير الحقيقي للإنسان لا يكون إلا في العبودية الحقة لله (عز وجل)، حيث يتحرر الإنسان من المغريات التي قد تؤثر على خياره من مال، أو جاه ورياسة، أو شهوة جنس كما في الحديث الصحيح: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم..»، وكما في الحديث الآخر: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»، ويتحرر أيضًا من الموانع التي تكبل إرادته؛ لإيمانه بأن أكبر ما يخافه الإنسان قطعه بيد الله وحده، وهو الرزق والأجل: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ** ﴾ [الروم: ٤٠]، ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾ [قريش: ٣، ٤]،«ألا يمنعن أحدكم رهبةُ الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده ، فإنه لا يقرب من أجل ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو يذكر بعظيم».

الملحوظة الثالثة: الطفرات السياسية بين الوهم والحقيقة:

ومما له علاقة بالممارسات السابقة: ما ذُكر في مدخل الدراسة من أنه:



«شهدت الحياة السياسية في مصر طفرات لا يمكن إنكارها في اتجاه الديمقراطية، أساسها التعددية الحزبية، وحرية الصحافة، وتعميق سيادة القانون»، وأغفلت الدراسة أن هذه الطفرات صاحبتها ولاحقتها انتكاسات لا يستهان بها، فما زالت تسيطر على الحياة السياسية (العلمانية!) عقلية وروح احتكار السلطة وعدم القبول بمبدأ تداول السلطة، ولأننا لا نؤمن بأن الديمقراطية تفي بحاجات الإنسان من الحرية والعدالة، فسنورد هنا شهادات، ليست لمتهمين بالانتماء للصحوة الإسلامية، بل من مصادر تؤمن بهذه الديمقراطية وتدعو إليها:

فعن التعددية الحزبية: يقول الأستاذ/ السيد ياسين ـ وهو أحد المشاركين في هذه الدراسة ـ: «..مشكلة تداول السلطة في مصر وتطوير النظام الديمقراطي، وهل سيظل الحزب الوطني هو الحزب الأوحد الحاكم في القرن الواحد والعشرين أم سيتم تداولها، وهذه قضية جوهرية لم يتم الإدلاء فيها بالرأي»[1]، ويقول الدكتور السيد عوض عثمان: «.. ومن ناحية أخرى: فإن مؤسسات القطاع الخاص ـ خاصة الكبرى منها ـ ومؤسسات المجتمع المدني ـ وفي مقدمتها النقابات المهنية والعمالية، والجمعيات الطوعية، والاتحادات التي برزت في كافة المجالات ـ سوف تضع ثقلها وراء قوى وأحزاب متباينة، وتسهم بالتالي في زيادة حدة المعركة الانتخابية، وفي المقابل: فإن هناك خطراً حقيقيًّا من أن تصبح النقابات والجمعيات ساحة للعمل السياسي، كامتداد للأحزاب أو حتى بديل لها.

والمشكلة هنا: أن الدولة مستعدة أن تؤيد هذا الاتجاه إذا كان في مصلحة الحزب الوطني، ولكنها مستعدة أيضاً لمحاربته والحد منه إذا رأت أنه يسير في الاتجاه المعاكس!!»[2].

وتكمل الصورة عندما ندرك أن الحديث الدائر عن: الاتجاه نحو الممارسة الليبرالية، وتقليص الهيمنة على المجتمع المدني؛ وإفساح المجال أمام النشاط التطوعي، والاهتمام بالمنظمات الأهلية غير الحكومية ... كل



١) ندوة (مصر والقرن الواحد والعشرون)، مجلة عالم الكتب، ع/٤٧، القاهرة، يولية ١٩٩٥م.

٢) ملف الأهرام الاستراتيجي ـ السنة الأولى ـ العدد (٩) ـ ٩/١٩٩٥م، ص٨١.

ذلك المقصود منه التحلي بمظهر مسايرة الاتجاه العالمي في ذلك، مع عدم تنفيذ إلا ما يخدم أهداف الدولة، وما أدل على ذلك من محاربة الحكومة للنقابات المهنية المنتخبة من قِبَل المنتسبين إليها، والتضييق على منظمات حقوق الإنسان المصرية بدعوى دفاعها عن إرهابيين إذا تحدثت عن تجاوزات الأجهزة الرسمية ، بل التضييق على مشروع كفالة اليتيم الذي تبنته إحدى الجمعيات الدينية المسجلة منذ عشرات السنوات بوزارة الشؤون الاجتماعية ، بدعوى أن هذا المشروع سيخرج إرهابيين !!.

وقد وضعت الدولة حاجزاً اسمه عدم السماح بظهور أي حزب سياسي / ديني، معلنة تبرير ذلك: «لما قد يفرزه من أضرار واسعة المدى على الوحدة الوطنية، وتماسك المجتمع المصري في المستقبل»، ولكنه في الحقيقة حاجز لعدم السماح بإفساح المجال أمام اتجاهات ذات وجهة حضارية مخالفة لتوجه الدولة السائد بممارسة العمل السياسي والاجتماعي، حتى من خلال قنوات مصرح لها بذلك بالفعل .. وهكذا أصبح (تعدد الأحزاب) مجرد (ديكور ديمقراطي)، الغرض منه إلهاء الجماهير ، والإشباع النفسي الكاذب بمسايرة (روح العصر).

أما حرية الصحافة: فمع الإقرار بوجود حرية نسبية للتعبير في إطار محدد، إلا أن قانون الصحافة الأخير الذي رفضه ممثلو الصحفيين (القانون ٩٣ لعام ١٩٩٥م وتعديلاته) أظهر أن الدولة ضاقت ذرعاً بهذه الحرية النسبية، حيث « جاء القانون رقم ٩٣ مفاجئاً وصادماً لجموع الصحفيين، الذين شعروا بخطر وتهديد غير مسبوقين؛ فبالرغم من قسوة تشريعات الصحافة والنشر في مصر بشكل عام ، وما تنطوي عليه من قيود شتى على حرية التعبير ، إلا أن ما جاء به القانون المذكور ... تجاوز كل القيود السابقة »[1]، و « المعروف أن هناك ترسانة من القوانين والمواد التي تكبل هذه الحرية، حتى قبل صدور القانون ٩٣ ، لكن السياق العام في اللحظة

١) د. وحيد عبد المجيد، ملف الأهرام الاستراتيجي، السنة الأولى ، العدد (٧) ، ص٦١.

الراهنة لا يتيح التطلع إلى تغيير وتعديل جوهري يطلق حرية التعبير والصحافة ، رغم ضرورة ذلك لتجاوز حالة الركود، وإعطاء دفعة لعملية التطور الديمقراطي ، فإلى جانب القانون ٩٣ توجد قيود هائلة على حرية التعبير في عدد من القوانين الأخرى.. »[١].

وحتى إذا اكتملت حرية الصحافة ـ التي هي إحدى صور التعبير ـ فإنها حق أصيل وليست منحة أو هبة ممن سمح بها .

و«**تعميق سيادة القانون**» يوضحها الدكتور السيد عوض عثمان ، فيقول : « إن إحدى المشكلات المزمنة في العلاقة بين السلطات في النظام السياسي المصري بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م هي : ضعف السلطة التشريعية في مواجهة السلطة التنفيذية » إلى أن يقول : « وبعبارة أخرى : فإن أبرز علامات التطور الديمقراطي التي يتصور أن تتحقق في المرحلة القادمة، هي المزيد من فعالية مجلس الشعب في مزاولة سلطاته التشريعية والرقابية ، على نحو يختلف بشكل ملموس عن الفترة السابقة ، وإلا فإن الحديث عن الاقتراب نحو مزيد من الديمقراطية لن يكون سوى شعارات فارغة!! »[٢].

فإذا أضفنا إلى ذلك : استمرار قانون الطوارئ وعائلته، والقوانين التي تُقَنن حسب الطلب، مثل : قانون الصحافة المشار إليه سابقاً ، والقانون ١٠٠ لسنة ١٩٩٣م الخاص بإعادة تنظيم النقابات المهنية ، بحيث تتوافر الضمانات بعدم سيطرة الاتجاهات الإسلامية عليها، وتعديل قانون الحسبة بما يتفق وحرية تهجم العلمانيين على الدين، ومحاولة تعديل القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤م الخاص بالجمعيات الأهلية .. وغيرها ، عندها نفهم المقصود بتعميق سيادة القانون، وهو أن تكون القوانين خاضعة لتوجهات السلطة لا غير ، ثم المطالبة بعد ذلك بوجوب الالتزام بها .



---

١) المصدر السابق ، ص٦٢.   ٢) المصدر السابق، ع (٩) ـ ٩/١٩٩٥م، ص ٨٢.

مجاهدو الشيشان

يقدمون دروساً جديدة

«حين تتعرض رقعة جغرافية محدودة لهذا النوع الشرس من القتال، فإن المرء يتساءل: لماذا لم تحظ هذه البقعة الساخنة باهتمام وحرارة تماثل حرارة القضية، ونيران القتال، واشتعال طرفي الجبهة، لا أبالغ إن قلت: إن حرب الشيشان هي أعنف حرب عصابات شهدها العالم منذ الحرب العظمى، وإن كميات الرصاص والنيران التي تعرضت لها جروزني في أقل من سنتين تفوق تلك التي تعرضت لها برلين في حصارها وسرايفو في حربها الأهلية .. بحسبة بسيطة: ينال كل مواطن يقطن جروزني ما يعادل ٨٠٠ طلقة، ونصف قنبلة جوية، وثلاث وربع قنابل أرضية ... إنه جحيم قررنا بطوعنا أن نغمض أعيننا عنه، ونكتفي بمتابعته بصورة سطحية» .. هكذا تكلم مراسل التلفزيون الألماني وهو يعلق على «مفاجأة» اقتحام جروزني من قبل المجاهدين الشيشان في يوم صيفي صاعق، شهد صعودهم السريع وانقضاضهم المدهش على الجنود الروس المرعوبين، الذين تدفع بهم قيادتهم نحو معركة ... بلا قضية ...



الإعلام الدولي وطرق المعلومات السريعة أضحت اليوم ـ دون حاجة إلى أدلة ـ ترسم الواقع «الافتراضي» كما يقرر أباطرة المحطات الفضائية والإذاعات والوكالات المتعددة المواقع ، ونصيب الشيشان وقضيتهم انحسر ـ في الفترة الأخيرة ـ على حصر الموضوع في كونه «موضوعاً انتخابياً»،

بقلم: مبارك سالم

يلعب به مرشح البيت الأبيض لمنصب الكرملين ... لم يفت الفريق الأمريكي الذي رسم لبوريس يلتسين حملته الانتخابية وصورته المفترضة في أن « يلعب » بأرواح شعب كامل وقضية ضاربة بجذورها في عروق وصدور الشيشانيين بأسلوب أمريكي سينمائي .. تتحرك عدسات التصوير قبيل ساعات من التصويت على منصب الرئاسة الروسي لتلاحق زعامات الشيشان التي تتنقل بين الكرملين وقصر الضيافة ، وتسلط الأضواء على « صانع السلام » المخمور الذي يَعد أمة اضطهدت عبر قرون بأنه الذي سيحيل جبالها إلى قمم آمنة، وسهولها إلى ملاعب للطير...!! ثم يطير « طائر السلام » الثقيل إلى الشيشان في حركة تمثيلية ليعد الجموع المسحوقة بنيرانه بأنه جاد في عرضه ومبادرته... وما أن ينتصر (الرجل المريض)، وتضمن واشنطن عودته إلى الكرملين حتى تُنقض الوعود، وتبدأ الآلة الروسية المتوحشة عادتها المألوفة وهوايتها القديمة في سحق (المتمردين والمرتزقة) وبمباركة دولية شاملة وكاملة.. حتى « ألكسندر ليبيد » مستشار الرئيس الروسي للشؤون الأمنية ـ الذي ارتقى إلى القمة بانتقاده المر ليلتسين والجرائم الروس في الشيشان ـ انضم إلى فريق الكواسر البشرية التي لا ترى بأساً في سحق آدمية شعب الشيشان والقضاء على حريته وإرادته.

المسلمون



والعالم

وبعد أن تمت التمثيلية « السمجة » واتضح للمراهنين على يلتسين أنه ممسك بمقاليد السلطة، أبعدوا عدساتهم وأضواءهم عن الشيشان وقضيتها، وأدخلوها في « ثلاجة القضايا » التي يشربون منها ما يريدون حسب الظروف .. ويقدمونها وجبة سريعة كلما رأوا لذلك حاجة .

توارت قضية الشيشان بعد أن حققت أهدافها روسيًّا، وأمريكيًّا، ودوليًّا، وأصبحت من القضايا الهامشية التي لا تثير سوى النعاس، ولا تستحق أن تضعها الـ(سي . إن .إن) في نطاق اهتماماتها .. وتلك قسمة واضحة للنظام العالمي الجديد الذي يتحرك هنا أو هناك وقد سبقته جلبة وضجة أُعد لها بعناية، حيث الإعلام في خدمة السياسة، والمراسل هو الجندي الأول في الحملة العسكرية، والتقارير الصحفية لا تختلف كثيراً عن المنشورات العسكرية وأوراق التحذير التي تلقيها الطائرات المغيرة من الجو..

التزوير الإعلامي الغربي لصالح يلتسين:

وسائل الإعلام الغربية خصوصًا تعاملت مع الشيشان بازدراء شديد وتجاهل فاضح، وهذا ما يؤكده المراقب الروسي « يوري زاراكوفيش »، الذي أشار إلى إحدى المهازل المضحكة التي أفرزتها انتخابات الرئاسة الروسية قائلاً : « هل تصدقون أن التزوير الفاجع وصل إلى مرحلة أن دائرة الشيشان الأنتخابية أعطت ٨٠٪ من أصواتها للجزار يلتسين الذي كان يسرق من أبنائها ونسائها وشيوخها النومة الهنيئة؟!، وبالرغم من ذلك: فلا حديث أو متابعة دولية لهذه الفضيحة؛ لأن المعنيين هم الشيشان البغيضون!!..».

هؤلاء .. بدورهم فوجئوا بعد ثلاثة أيام من انتخاب يلتسين ـ الذي

المسلمون



والعالم

وقع اتفاقية للسلام مع المقاومة الشيشانية ـ بتحذير روسي « للعصابات الإجرامية » بأن تسلم سلاحها ورجالها.. وبتعالٍ شديد وجه الجنرال الروسي « فتيسلاف تيخاميروف » إنذاره، متجاهلاً اتفاقيات السلام السرابية، وقام بتغطية هذا النقض الواضح بحجة وجود أسرى روس لدى الشيشان، ويصف « رسلان حسب الله توف » حليف روسيا السابق والناطق باسم البرلمان الروسي فعلة الدب الروسي بقوله: مع إنذار « تيخاميروف » المفاجئ هذا تبخرت الآمال في تحقيق ما سبق الاتفاق عليه في الكرملين، وما تم توقيعه في (نازران) من اتفاقيات، مثلما سبق وأن تبخرت الآمال في خطط يلتسين لإقرار السلام بالشيشان.

بانتهاء المهلة المحددة لتسليم الأسلحة والرهائن المحتجزين: كانت أوامر الجنرال تيخاميروف قد صدرت فعلاً لقواته بالبدء في أكبر عملية تمشيط للبلاد، طوقت جنوب وشرق البلاد واستخدمت فيها الأسلحة والمدفعية الثقيلة، معززة بغطاء جوي حوّل سماء مناطق القصف إلى جحيم حقيقي... واستمر القصف حتى الثالثة صباح التاسع من يوليو.

ومع بزوغ فجر اليوم نفسه، وفي الخامسة صباحًا ـ بعد هدوء استمر ساعتين ـ عاودت قوات الجيش الروسي طلعاتها وهجومها البري، في محاولة للسيطرة على قرية جيخي ـ على بعد حوالي ثلاثين كيلو متراً من غرب جروزني ـ والملاصقة لحي أروس ـ مارتان، على الطريق المؤدي لجيخي اصطدمت حاملات الجنود الروس وعرباتهم المصفحة بمتاريس قوات المقاومة، حيث صدرت الأوامر للروس من جنرالاتهم بالتقهقر، على أن يتقدم بدلاً منهم سرب الطائرات الروسية المروحية والطائرات الحربية ليبدأ من جديد قصف جوي عنيف للقرية وقصف سكانها العزل.

قال الجنرال «شامانوف» قائد قوات وزارة الدفاع الروسي في الشيشان: «هدفنا من العملية كان مجرد التحقق من هويات مواطني القرية(!!)، وهو ما لم تسمح لنا به قوات المقاومة، فاضطررنا للتعامل معها»، ولم يكن هذا التفسير الهزلي للعملية بجديد، فقد سبق وكان حجة لعشرات العمليات العسكرية المتوحشة، التي راح ضحيتها آلاف مؤلفة.

ولم تمض أيام حتى غرقت قرى الشيشان في بحر من الدم والدموع والجثث، وخصت قوات يلتسين الديمقراطية المدنيين بجزء كبير من قذائفها وحممها؛ مما اضطر الرئيس الروسي لعزل تيخاميروف وتعيين قائد جديد هو «قسطنطين كوليكوفسكي» .. لكن هذا التغيير في الوجوه لم يصاحبه تغيير في السياسات أو الوسائل الوحشية لآلة الحرب الروسية .. أيقن الشيشان أن الحل بأيديهم .. ولذا: فاجؤوا العالم بهجومهم الصاعق بعد شهر من نقض روسيا لاتفاقها معهم..

مفاجآت الشيشان الجديدة:

رفضوا أن يكونوا مجرد «إعلان انتخابي» أو «وسيلة لوصول يلتسين لسدة الرئاسة»، وظهرت المفاجآت المصاحبة للهجوم: من الإعلان عن وجود جوهر دوداييف حيًا، وظهور القائد العسكري سلمان دادوييف على شاشات التلفاز .. إذن: قلب الشيشانيون المشهد رأساً على عقب، وأكدوا عدة نقاط مهمة لا بد للشعوب المسلمة من تذكرها واستلهامها في المعركة الدولية الشاملة ضدهم:

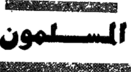
- أن الوحدة على الهدف والمبدأ أمر مكلف يحتاج إلى تضحيات كبيرة وعمل ضخم وكلام قليل، وأن الاختلاف على الوسائل والتفاصيل لا يجب أن يقف أمام القضية الكبرى التي يتفق الجميع على خطوطها

العريضة، فبالرغم من شراسة العدو وغلبته العددية والقتالية ومعرفته التفصيلية بنواحي الضعف ونقاط الاختلاف بين قادة الفصائل الشيشانية.. إلا أن المقاومة الشيشانية حافظت على حد معقول من الوحدة والتجانس التي أفضت إلى فشل الروس في شق صفوفهم وتفريق وحدة كلمتهم، لقد استند الشيشانيون إلى تاريخهم العريق في الصراع مع روسيا، والذي اتسم بوعي عالٍ من مسلمي الشيشان بقضيتهم، كما اتسم بوضوح أهدافهم واتفاقهم على حد أدنى من المطالب.

● أثبت الشيشان أن العملاء كالأحدية، لا يذكرون إلا من قبل التندر عليهم، فمن منكم يعرف اسم قائد الحكومة العميلة لموسكو، الذي يشبه كثيراً الزعامات الكرتونية المفروضة على شعوبها، تارة باسم السلطة الوطنية، وأخرى باسم الثورة، وثالثة تحت عنوان الخلاص أو الإنقاذ الشعبي!!.

● رسم الشيشان مساراً آخر لتأكيد عدالة قضيتهم، وأكدوا للجميع أن التفاوض مضيعة للوقت، وأن الواقع هو الذي يحدد مسارات هذه المفاوضات، كما كشفوا للعالم أن قوة عظمى كروسيا لا يمكن أن تحفظ العهد أو الوعد، وأن القضية العادلة تنتصر على الباطل مهما كثر خيله ورجله.

● نسف الشيشان نظريات جاهزة تستخدم دوماً لتثبيط الهمم وتهيئة الجو للتنازل يتلوه تنازل.. من هذه المقولات التي توظف بالباطل - رغم أن في بعضها حقًّا -: أن القضايا الحارة لا بد أن تخضع للموقف الدولي وحساباته، وأن قرب ساحة المعركة من العدو الروسي يؤثر سلبيًّا على القضية.. كما أكدوا للمسلمين: أنه حتى في حالة خذلان إخوانهم





والعالم

لهم، فإنهم قادرون على التوكل على الله، وحمل أرواحهم على راحاتهم.

● ضرب الشيشان في قتالهم الأخير مثالاً جديداً لم يألفه المسلمون في صراعهم الجهادي المعاصر: حين ابتعدوا عن التهويل، بل حاولوا أن يظهروا بمظهر المتواضع البعيد عن التهويل والمبالغة، واتضح هذا جليًّا في إعلانهم عن نيتهم الانسحاب من جروزني بعد احتلالها، وضربوا لهذا الانسحاب موعداً لا يتجاوز اليومين، لكن الأحداث أثبتت أنهم خططوا للاستيلاء على جروزني وأركان لفترة طويلة، هذا ما لم تتعود عليه قيادات أخرى تصر في كل مرة على المبالغة والتهويل من قدرتها، مما يصيب الجماهير بالإحباط.

● ومن الدروس الشاخصة: ابتعاد الشيشان عن صناعة الرمز والأسطورة الشخصية، فقضيتهم لم ترتبط منذ انفجارها بشخص أو اثنين أو عشرة، صحيح أن للزعامات الشخصية دوراً بارزاً في شحذ الهمم والالتفاف حول راية القضية، لكن العالم اليوم يلتف أيضاً حول البرنامج كما يلتف حول الزعامة، بل ربما أتت الزعامة في مرتبة بعيدة عن البرنامج... شتان بين الشيشان وقياداتهم وبعض تلك القيادات المفضوحة في الساحة، التي تختزل قضية شعب ـ بل أمة ـ بتاريخها ومقدساتها وعدالة قضيتها.. في شخص «أراجوز سياسي» أو زعيم من زعامات الفقاقيع الصابونية..!!.

● ولعل من الأرصدة المهمة التي انتزعها رجال الشيشان الأبطال: ذلك المجد الذي شهد لهم به عدوهم.. هذا «ألكسندر ليبيد» الجنرال الروسي ورئيس مجلس الأمن القومي يصرح بعد زيارته الخاطفة للشيشان بأنه يعجب أشد الإعجاب بصلابة وإيمان المقاتلين الشيشان، مقابل الانهيار



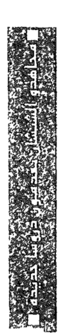
المروع في معنويات وأداء ثاني أضخم جيش في العالم، الذي انهار أمام بزوغ فجر الحلم الشيشاني ...

والسؤال : هل يشرق صبح الشيشان وينعمون بالحرية والاستقلال، كما سعوا وحاربوا لهذا الهدف منذ قرون ..؟.

لعل هذا السؤال يجد بعض حروف إجابته في كلمات « شامل » قائد الشيشان الراحل، الذي خاطبهم قائلاً: « أيها الجبليون: علينا أن نحارب، لا وقت لدينا لتأليف الأغنيات وإنشائها، ولا لرواية القصص، فلنجعل الأعداء يغنون فينا الأغنيات، وستعلمهم سيوفنا كيف يفعلون ذلك ... امسحوا دموعكم واشحذوا سيوفكم ».

ويبدو أن يلتسين وليبيد هما أول من نظم الأغنيات للشيشان، كما توقع قائدهم المجاهد بذلك !!.

فهل من معتبر ؟!



المسلمون



والعالم

المسلمون البلغاريون

بين الواقع والمأمول (٢ من ٢)

تطرقنا في العدد الماضي إلى تاريخ مسلمي بلغاريا، ومعاناتهم من الحكم الشيوعي وما بعده، وما يلاقونه من اضطهاد ومحاولة لشق صفوفهم، وتبني الحكومة لأشخاص مشبوهين ليكونوا مسؤولين عنهم، وإخفاقاتها حيال ما تخططه في هذا المجال.

وسنتحدث في هذا المقال عن واقع المسلمين الحالي فيما يلي:

إطلالة على الداخل:



الحالة السياسية القائمة في بلغاريا، والتزاحم على الصوت المسلم ـ كما أشرنا ـ وما سبقه من احتكاكات مع المسلمين: نبهت ولفتت أنظار الكثير من المسلمين ـ وإن لم يصل للدرجة المطلوبة ـ لحقيقة ما يجري أولاً، ولحقيقة التنافس السياسي وأهمية دورهم في الحلبة، وأنهم ليسوا في معزل عن نتائجه وإفرازاته، ولهذا: فلو خرج المسلمون من هذه المعمعة ـ على أقل تقدير ـ بسعة في الإدراك، وتفتح في الأذهان والأفهام، واتساع في الاهتمامات لتشمل هذا القطاع المهمل.. لكفى، وهذا بحد ذاته تطور محمود ومؤشر طيب.

فنحن لا يهمنا على المدى القريب أن نجني كل ثمار هذا التقدم؛ لأن ذلك غير منطقي، لكن بلا شك فإن ابتداء هذا التحول من الآن، سيكون له الأثر الكبير الملموس في حياة الجيل القادم، لأنه سيكون أكثر تفهماً ووعياً وجرأة وجسارة، وأكثر إيجابية وفعالية.. وهذا هو مدار الحديث:

بقلم:
عبد الله بن إبراهيم المسفر

بل هو مدار التنافس والتآمر في الوقت نفسه .

وعلى المدى القريب: فهذا التحول والانعطاف، إن استمر وتفاعل، سيحول ـ بإذن الله (تعالى) ـ دون تكرار مأساة الشيوعية وقهرها للمسلمين والتضييق عليهم، كما أنه سيدفع صانعي الأحداث والمسؤولين السياسيين جديًا أن يضعوا في حسبانهم كافة المعادلات ـ سيئة أو حسنة ـ ما دامت ترتبط بقطاع المسلمين .. فإن أضفنا لهذا الأمر: التوجه الأوروبي الخارجي، والمحيط العام ـ كما سيأتي ـ ، وفشل الخيار العسكري في تقويض الحلم البوسني: لازدادت قناعتنا بأن الحال لن يدوم طويلاً على هذا المنوال ، وإن دام فسيتغير للأحسن ـ إن شاء الله (تعالى) ـ .

الوضع الاجتماعي :

وهوكما تقدم ليس بأفضل حالاً من الوضع السياسي ، بل التغيير الديموجرافي (السكاني) باستمرار يدخل في حسابات السياسات الدولية والإقليمية والمحلية ، صحيح أن التحول الديموجرافي في بلغاريا على المدى البعيد لصالح المسلمين ، وهذا سيحول هو أيضًا ـ بإذن الله (تعالى) ـ عاجلاً دون حدوث صدام أو تهجير ، كما أنه يفرح القلوب المؤمنة أن الأعوام التي تمر سراعًا تحمل في طياتها خيرًا ـ إن شاء الله ـ للمسلمين .. إلا أننا يجب أن نكون يقظين متنبهين؛ لأن الكائدين

المسلمون والعالم

ليسوا في غيبة عما يدور، ولهذا: لن يعدموا الوسائل والطرق لتغيير عناصر المعادلة وقلب الموازين (قتلاً ، أو تهجيراً ، أو تذويبًا)، وإن كانت هذه الخيارات تبقى صعبة، وتحتاج لتوافر ظروف وأجواء معينة ..

الوضع الاقتصادي:

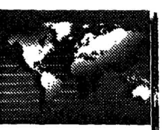
وهو مشابه لما مر ، إلا أننا في هذا المضمار نوجه الأنظار لإمكانية المسارعة في الاستثمار، وإن كان ما ذكرناه عامل منع ، فإننا ننبه أحباءنا أن الوضع لن يستمر على ما هو عليه؛ فبلغاريا ليست في معزل عن العالم، وبخاصة أوروبا ومن حولها من الدول، والتغيرات الجارية فيها لمزيد من الديمقراطية والتعددية.

وصحيح أن الوضع غير مستقر الآن، لكن ارتفاع سعر الدولار وهبوط سعر العملة يجعل الأيدي العاملة رخيصة ، وإمكانية الاستثمار متوفرة ، وتصدير المواد البلغارية للخارج مربحة .. ويمكن ـ على الأقل ـ الاستفادة من الوضع الحالي في وضع موطئ قدم للاستثمار والتجارة، فإن تيسر الأمر وسنحت فرص: تم اقتناصها ، وإن عدمت: ينتظر حتى تتغير الأوضاع والأحوال وينتعش الاقتصاد، ورجاؤنا ألاّ نكون كالمعتاد آخر الركب مقبلين ومستفيدين ..

هذا من زاوية، ومن زاوية أخرى: فإن الوضع الاقتصادي الآن يشغل الحكومة والشعب ، ولذا: فالحكومة البلغارية ليست لها قدرة على فتح جبهات استنزافية إضافية ، بل يسعى الحزب الاشتراكي الآن بكل جهده لإعادة الثقة المفقودة، وتلميع الصورة المشوهة لها لدى الغرب بعامة وأوروبا بشكل خاص .

الوضع الخارجي:

انتهاء حرب البوسنة ، وفشل صربيا وأوروبا وكل حاقد وكائد في إنهاء





الأمل البوسني تماماً في الوجود والحياة ، ثم استمرار الحرب في الشيشان، وانهيار ما تبقى من سمعة للجيش الروسي الجرار .. كل ذلك ـ في تقديري ـ أثَّر أيما أثر على تفكير أوروبا والغرب في مدى نجاح الخيار العسكري لحل النزاعات أو فرض السيطرة بالقوة ..

وحال المسلمين البلغار مختلف تماماً: فهم خط الدفاع الأول لتركيا القوية، ويقطنون دولة صغيرة منهكة ضعيفة.. كما أن بلغاريا تقع في منطقة تخضع لمخططات أمريكية أوروبية ، لذا: فلا مجال (في حدود تقديرنا البشري) لحدوث نزاع أو صدام جديد في هذه المنطقة على المدى القريب ..

وبلغاريا لا تستطيع أن تقف حجر عثرة أمام مخططات وتطلعات أمريكا وأوروبا في منطقة البلقان التي تربط الشرق بالغرب ، بل هي الآن تعاني أشد المعاناة من موقف الغرب منها لميلها فقط للطرف الروسي والقطب الأرثوذكسي ، فكيف إذا لبست ثوب النمر واستأسدت؟ .

من هنا : نخلص إلى أن عموم الوضع الداخلي والخارجي لا يساعد نهج الحكومة الحالية ولا مخططاتها على النجاح ، بل ولا على الاستمرار في الوجود ، فكيف إذا قدمت رأسها للمقصلة بإخفاقاتها العديدة؟..

وبمقارنة سريعة بين حال وتفكير وبرامج الاشتراكيين في بلغاريا، والاشتراكيين في كل من بولندا ، وإيطاليا ، وإسبانيا .. يتبين للمطلع أن الاشتراكيين البلغار يسبحون عكس التيار ويعيشون أحلاماً مضت وولت،... ولهذا وذاك حالفهم الفشل، في حين تفيد التقارير الحالية أن إخوانهم من الاشتراكيين قد حققوا نجاحاً ؛ لأنهم عرفوا طبيعة الظروف المحيطة بهم، وقوانين حلبة المصارعة السياسية الجديدة .. كما يقولون.

هل ستبقى الحكومة الحالية ؟! :

الحكومة في تقديرنا (ولله الأمر من قبل ومن بعد) معرضة للسقوط





والعالم

وإن طال عمرها ، بالطبع: هناك احتمال أن يعيد الحزب الاشتراكي تشكيل حكومة جديدة أخرى، وهذا إن حصل: فلن تكون كسابقتها ، وستتخذ نهجًا مغايرًا تمامًا؛ لتحسين صورتها داخليًا وخارجيًا ، ومع أننا نميل للرأي الأول ـ وهو السقوط تمامًا ـ إلا أننا أيضًا نوافق من قال أن مرد ذلك كله يعود (بعد مشيئة الله طبعًا) إلى نتائج الانتخابات الرئاسية ، وتوجه الفائز فيها :

ـ إن كان ديمقراطيًا: فإن سقوط الحكومة، وحل البرلمان، وإجراء انتخابات جديدة.. حاصل لا محالة.

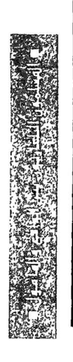
ـ إن كان يساريًا فاحتمال تغيير الحكومة، وتشكيل حكومة جديدة وارد.

وقبل أن أختم المقال: ألفت الأنظار إلى أن التوجه العالمي أيضًا قد اتفق على محاربة الأصولية والإرهاب، وهذا مفهوم واسع ومطاط؛ لأن تحديد هذه المفاهيم تعود لشرطي النظام العالمي الجديد، وهذه السمة لن يبرأ منها أحد من المسلمين (شخصًا ، أو هيئة ، أو دولة) ... إن حل عليه الغضب من ذلك الشرطي.. المهم: أن هذا المفهوم سيلاحق العمل الإسلامي والعربي المهاجر لتقديم العون والمساعدة لإخوانه تحديدًا، وسيضيّق عليه منافذ التنسم والتنفس ، وبالطبع سيجد هذا الأمر قبولاً من قبل الدولة البلغارية (مدار حديثنا)، لكن في حالة كون العمل الإسلامي قائمًا تحت غطاء دار الإفتاء العام هناك فهو أفضل الحلول، وإن عُدم، وقام تحت غطاء بلغاري بحت: فهو أفضل في كل الأحوال من الغطاء الخيري الجديد.

واقع دار الإفتاء الآن:

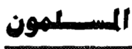
دار الإفتاء العام الآن ـ وحسب ما يجري ـ تعاني ـ والله أعلم، كم





يبدو لنا ـ من آلام المخاض، ونتمنى أن يكون المولود خيراً، حتى لو كانت الولادة قيصرية ، فلعله ـ بإذن الله (تعالى) ـ ينفتح بابٌ من الأمل عظيم على المسلمين والعمل الإسلامي لصالحهم، وإلا فإن البديل يبقى في ظل هذه الأجواء والأحوال الغطاء البلغاري الرسمي البحت .. حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً .

وبلغاريا لا تعاني من مشاكل مع العرب أو المسلمين بين بعضهم البعض، بل لا يوجد ذلك التناحر بين التوجهات والمناهج المختلفة كباقي بعض الدول الأخرى ، فأكثر العاملين في مجال الدعوة وفي الجمعيات الخيرية القليلة العدد مثلاً هم من الطلاب ، وأكثرهم لا ينوي البقاء في بلغاريا ، ولهذا: لا يوجد بينهم ما يوجد بين الجمعيات والمؤسسات من اختلاف في التوجهات والمتطلبات التي تنعكس سلباً على مستوى وأداء ذلك العمل الخيري .. وهذا بلا شك عامل مساعد وإيجابي في سير الدعوة والعمل الإسلامي دون منغصات داخلية أو مشاكل جانبية .





والعالم

ونأمل أن يكون العاملون في هذه المجالات الدعوية والخيرية أكثر تفهماً لهذه الأوضاع الشائكة، وأكثر معرفة بضرورة تكاتف الجهود وتعاون الجميع لأداء رسالة الدعوة والتعليم لإخواننا هناك، بعيداً عن حساسيات أو اختلافات، ستؤدي بلا شك إلى أعمال سلبية، ما أحوجنا لتلافيها ؛ لأن القصد هو التوعية والتوجيه وإنشاء كوادر من إخواننا المسلمين هناك يقومون بواجب الدعوة والتعليم.

ويا حبذا لو اختير أفراد من شباب المسلمين ليكملوا دراساتهم في الجامعات الإسلامية، وبخاصة في (المملكة العربية السعودية)، فإنهم ـ بإذن الله ـ سيكونون ذخراً وأملاً يرتجى لغد مشرق، وما ذلك على الله بعزيز.

في دائرة الضوء

حتى لا نصل إلى :
الانهيار الداخلي

بقلم: **محمد محمد بدري**

حين نتجاهل مستقبلنا حتى يصبح حاضراً ، ونغفل عن حاضرنا حتى يصير تاريخًا، ونهمل بناءنا الداخلي حتى يفرز في أنفسنا «الوهن الحضاري» .. و «القابلية للهزيمة» و «القابلية للسقوط» .. حينئذ تتداعى علينا برابرة الأمم ليأخذ كل منهم نصيبه من أشلائنا، كما تتداعى الكلاب وصغار الوحوش لنهش لحم الأسد الميت، بعد أن كانت في حياته تمتلىء رعبًا من منظره .. بل من مجرد سماع زئيره !!.

إن المنهاج الإسلامي يبين في تشخيصه لنكبات الأمم: أن هذه النكبات إنما هي النتيجة الحتمية لما كسبت أيدي أفرادها ..

• ففي القرآن: التأكيد على هذه السنة العامة التي لا تتخلف ولا تتبدل ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]، ولذلك: فإنه حين تساءل المسلمون بعد هزيمة (أحد): ﴿ أَنَّىٰ هَٰذَا ﴾ .. جاءهم الجواب من الله: ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وتحت العنوان نفسه: ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ كان تعقيب القرآن على غزوة حنين: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم

مُدْبِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥].

• وفي السنة: يخبر النبي ﷺ في الحديث الذي رواه ثوبان أن مصائب أمتنا إنما تكون بما في أنفسنا، فيقول ﷺ: «... وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة (قحط شامل أو مجاعة مهلكة) وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم [﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾] فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد، وإني أعطيتكِ لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ـ أو قال مَنْ بين أقطارها (يعني: أهل المعمورة) ـ حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً» (١).

فالحديث ـ كما نرى ـ ظاهر في أن تسلط العدو علينا إنما هو بسبب ما في أنفسنا وبنائنا الداخلي من إصابات حضارية.. وأن هذه «الإصابات الحضارية» الداخلية هي الأخطر؛ لأنها هي التي تعطي الإصابات الخارجية إشارة العمل والفاعلية..

ويؤكد النبي ﷺ هذا المعنى في حديثه الآخر: «يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها.. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقائل قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت» (٢).

فتداعي الأمم إنما يكون بسبب من «الوهن الحضاري» في الأمة، ذلك «الوهن» الذي يجعل الأمة بمثابة غثاء من النفايات البشرية التي تخاف من تكاليف مجابهة الظلم في الداخل،

---

١) أخرجه أبو داود، وأحمد بن حنبل ، والترمذي، واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

٢) أخرجه أحمد بن حنبل، وأبو داود، واللفظ له، وصححه الألباني.

وتجبن عن صد الغزاة في الخارج ..

وكما تؤكد آيات القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ أن سبب الهزائم ينشأ من داخل الأمة بـ «الوهن» الحضاري الذي لا يُنْتج إلا الاستسلام للأعداء، والكف عن منازلتهم.. كذلك تشهد لهذه القاعدة آيات الآفاق والأنفس[1].. ونظرة واحدة في تاريخ المسلمين تؤكد أن ما لحق بالأمة ـ ولا يزال يلحق بها ـ إنما هو في الحقيقة عقوبات مستحقَّة .. وأن كل أمة تستسلم للنوم، فإن الله يبعث عليها سوطًا يوقظها .. سواء أكان هذا «السوط» عدوًا من الخارج، أو اضطرابًا في الداخل:

برابرة التتار:

كانت غارة التتار كاسحة.. خرّبت بغداد وقتلت أكثر من مليون مسلم ـ حسب رواية ابن كثير والسيوطي ـ ولم يسلم من القتل إلا من اختفى في بئر أو قناة!، وقتل الخليفة رفسًا وركلاً بأقدام التتار.. وجرى النهر أربعين ليلة أحمر اللون من كثرة ما أريق فيه من دماء المسلمين ..

فهل كانت قوة التتار ـ وحدها ـ هي السبب وراء هذه المذبحة؟ أم أن الخيانة والتآمر من العلقمي وبطانة السوء من جانب، وضعف الأمة من جانب آخر هو السبب المباشر والأقوى؟..

إن ابن كثير يحدثنا أمرًا عجبًا .. يحدثنا أن جنديًا تتريًا أراد قتل مسلم ولم يكن معه (أي: التتري) سلاح.. فقال للمسلم: ابق هنا لا تتحرك، فبقي المسلم ـ بسبب من الهزيمة الداخلية ـ حتى غاب الجندي التتري، ثم عاد وبيده السلاح، فذبحه!!.. هكذا.. لم يبد المسلم أدنى مقاومة.. حتى لو كانت هذه المقاومة هي مجرّد الفرار !! .

بل إن ابن كثير (رحمه الله) يحكي لنا قصة أخرى أقسى وأكثر دلالة على أن من يهزمه عدوه من داخله لا يبقى أمامه إلا أن يصفي

---

1) انظر: ابن تيمية، رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ٣١ .

في دائرة الضوء

ساحة المواجهة معه من فلوله العاجزة المذعورة دون جهد أو تعب..

يحكي لنا ابن كثير أن مُلَثَّماً من جنود التتار دخل خاناً فيه الكثير من المسلمين، فبدأ في قتلهم .. وهو واحد وهم كثرة .. وهم لا يفعلون شيئاً إلا أن يسلموا رقابهم للذبح.. حتى رأى أحدهم أن من يقوم بقتل الجميع هي فتاة ضعيفة !! هنا .. وهنا فقط !! اجتمعوا عليها فقتلوها !![1].

ويتساءل المرء : ما الفرق بين أن تكون فتاة ضعيفة أو رجلاً قويًّا في مواجهة هذه الكثرة من المسلمين؟..

ولكنه الوهن.. والهزيمة الداخلية، التي تُوجِدُ في النفوس الرهبة والخوف، فتشلها عن المواجهة، وتقعدها عن المجاهدة فتلقي بسلاحها قبل أن تبدأ المعركة..

المحاق الأندلسي :

ظهرت «القابلية للسقوط» في الأندلس على مستوى الفرد والأمة، بداية من التناحر والصراع على السلطة، وإقامة الكيانات الطائفية الصغيرة، والاستعانة بأعداء الله لحماية تلك الكيانات الهزيلة..

وكانت هذه الأسباب ـ وغيرها من الأسباب التي نشأت في «داخل» الأمة ـ هي التي أعطت «إشارة» العمل والقوة لأعداء الأمة، فقاموا بتفريغ كل حقدهم الكاثوليكي على الإسلام والمسلمين.. ومن ثم: سقطت الأندلس، وشهد المسلمون هناك العمل المتواصل لإزالة كل ما هو إسلامي ..

أمّا نحن: فقد علمتنا الأندلس «المعادلة الصحيحة في تفسير التاريخ: خروج على سنن الله .. إمهال نسبي من الله قد يغرى الخارجين على تلك السنن بالتمادي، ثم تتجمع عوامل الفناء لتشكل عامل إغلاق لباب العودة.. إبادة وموت في شكل مجموعة من الكوارث»[2] تلك الكوارث التي تمثل النتيجة الحتمية

---

١) ابن كثير : البداية والنهاية، جـ١٣، ص ٢٠٠ وما بعدها .

٢) د. عبد الحليم عويس: أوراق ذابلة من حضارتنا ، ص ٣٩ .

لمقدمات موت الأمة، ووصولها إلى الطريق المسدود في حركتها داخل التاريخ .

سقوط آخر خلافة :

الدارس لسقوط الخلافة العثمانية على يد الطاغية: كمال أتاتورك، يوقن أن هذا «الرجل» لم يكن يملك قوة خارقة أو يستند إلى قوة لا تقهر تمكنه من إسقاط ذلك الكيان .. وإنما كان السقوط بسبب داخلي هو «الشيخوخة» السياسية لدولة الخلافة بسبب الاستبداد، و «الشلل» العلمي بسبب إقفال باب الاجتهاد ، واللذين أديا إلى تسكير الأبصار وتوقف الاعتبار ، مما جعل الأمة عالة على غيرها .. فعاش كل فرد فيها همّه الفردي في الطعام واللباس والمسكن .. ومن ثم: تحولت الأمة إلى أمة «ميتة»، لم يدلنا على موتها إلا «كمال أتاتورك» الذي قام بدور دابة الأرض كما حصل ذلك في قصة موت سليمان (عليه السلام) ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبأ: ١٤].

وهكذا حال كل أمة «ميتة»: قد تبقى زمنًا دون أن تسقط؛ لأنها «تتكئ على منسأتها من أجهزة الأمن، فيخيل للرازحين تحت ظلمها أنها حية قائمة ، فإذا بعث الله عليها عناصر مقاومة من الداخل ، أو قوة غازية من الخارج، فتأكل منسأتها فتخر ساقطة، وحينئذ يتبين الرازحون تحت ظلمها أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين !! »[1] .

إن من يرى الحياة من خلال واقعه ، وليس من خلال أمانيه .. يدرك أنّ واقع أمتنا لا يخرج عن أن يكون النتيجة البدهية للمقدمات التي صغناها نحن بأيدينا .. وأنه لو زالت أمامنا كل عقبة خارجية تحول بيننا وبين التغيير ، لما أمكنا أن نصنع شيئًا

١) د. ماجد الكيلاني: إخراج الأمة المسلمة ، ص ١٣٠ بتصرف.

في دائرة الضوء

قبل أن نغير ما بأنفسنا وداخل أمتنا، وندرك ـ دون لبس أو غموض أو إيهام ـ الإجابة الشافية على السؤال التالي:

متى تبدأ هزائم أمتنا ؟

إن سنة الله التي تحكم قيام الأمم أو سقوطها هي أن «السقوط» والهزيمة «نتيجة» تتكرر كلما جاء «سببها» وهو «الوهن الداخلي».

لقد فطن لتلك «السنة» أعداء أمتنا، بل وتحركوا من خلالها قديمًا وحديثًا :

حكمة ملك الصين :

أرسل «يزدجرد» كسرى الفرس إلى ملك الصين يطلب منه العون والنجدة بعد هزيمته في معركة (نهاوند) .. فقال ملك الصين لرسول كسرى: قد عرفتُ أن حقًّا على الملوك إنجاد الملوك على من غلبهم، فصف لي صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم، فقال رسول يزدجرد : سلني عما أحببت:

ـ ملك الصين : أيوفون بالعهد؟.

ـ رسول يزدجرد : نعم.

ـ ملك الصين : وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم؟ .

ـ رسول يزدجرد : يدعوننا إلى واحدة من ثلاث: إمّا دينهم ، فإن أجبناهم أجرونا مجراهم، أو الجزية والمنعة ، أو المنابذة.

ـ ملك الصين : فكيف طاعتهم أمراءهم؟.

ـ رسول يزدجرد: أطوع قوم لمرشدهم .

ـ ملك الصين : فما يحلون وما يحرمون ؟ .. ويخبره رسول يزدجرد .

ـ ملك الصين: أيحرمون ما حلل لهم ، أو يحلون ما حرم عليهم؟ .

ـ رسول يزدجرد : لا .

ـ ملك الصين : فإن هؤلاء القوم لايهلكون أبداً حتى يحلّوا حرامهم ، ويحرّموا حلالهم ....

ثم كتب ملك الصين كتابًا إلى يزدجرد جاء فيه : إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق عليّ ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك

صفتهم لو يطاولون الجبال لهدوها، ولو خُليّ سربهم أزالوني ماداموا على ما وصف، فسالمهم، وارض منهم بالمساكنة، ولا تهيجهم ما لم يهيجوك[1].

هذه هي حكمة ملك الصين: إن هؤلاء القوم لا يهلكون أبداً حتى يُحلّوا حرامهم، ويُحَرّموا حلالهم..

إن الهزائم تبدأ من هنا .. من داخل الأمة، وليس من خارجها .. وهذه الحكمة جديرة بأن نضعها نصب أعيننا ونحن نقرأ الماضي، ونبصر الحاضر، حتى نقدر على القراءة الصحيحة لمستقبلنا ..

درس من توينبي :

لم يتمكن علماء وفلاسفة الاجتماع والحضارة من الوصول إلى كثير من السنن التي تحكم البناء أو السقوط الحضاري.. هذه حقيقة .. ولكن هذه الحقيقة لا تعني جهلهم التام بها .. فقد أصاب المؤرخ البريطاني توينبي في كتابه (دراسة تاريخ العالم) حين أشار إلى أن علة انهيار الأمم وهزيمتها هي (الانتحار الداخلي)، قبل أي عامل خارجي لا يعدو دوره الكشف عن هذا الانتحار[2].

ونحن هنا لا نستدل بآراء توينبي، فهذه الآراء ما زالت تستدعي الكثير من الحوار والنقاش.. ولكن حسبنا أن هذه القاعدة التي ذكرها تدفعنا في رحلة للتفتيش عن مواطن الخلل الداخلي لاستدراكها، ومراجعة أسباب القصور الذاتي لعلاجها، ولتكن نتيجة هذه الرحلة هي: خطوة في الطريق الصحيح .

الهزيمة والتحدي :

إن أعداءنا يدفعوننا دائماً إلى الزهد في أخطائنا الداخلية تحت دعوى أولويات مزعومة ننخدع لها نحن - أحياناً - بسذاجة غريبة .. بينما هذه الأخطاء الداخلية هي في رأس قائمة

---

١) تاريخ الطبري جـ ٤ ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

٢) أرنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، جـ ١ ، ص ٤١٢ .

في دائرة الضوء

الأولويات .. ذلك أن التأثير القوي في الخارج إنما هو النتيجة البدهية لنظام دقيق وصحيح في الداخل ..

إن من البدهي أن نتوقع من أعدائنا كل خبث وكيد وتخطيط مضاد ، وليس لنا أن نطالبهم بعدم الكيد لنا والعمل على تحقيق ذلك الهدف .. فهذا لون من سفه العقل .. وإنما سيطرتنا على أعدائنا لها طريق واحد، هو : تطهير أنفسنا من الداخل، من أخلاقيات الضعف والخوف وممارسات الانعزال في دائرة الهموم الفردية ، والتي تمهد لقبولنا الاستعباد والخضوع ..

إن واقعنا اليوم قد يكون « أزمة كبرى » .. ولكن الأزمات الكبرى هي التي توقظ الأمم من سباتها، وتحفّزها للانطلاق من جديد .

فهل نقدر اليوم على أن نحوّل « الهزيمة النفسية » بعد شعورنا بوجودها إلى دافع يفجر روح « التحدي » والرفض للواقع المزري، فنبدأ خطوة في الطريق الصحيح تقضي على الخلايا الشائخة في الأمة ، وتدفعها نحو بعث جديد من « مرقدها الحضاري » .. هل نخطو هذه الخطوة في الطريق الصحيح ، أم نُبْقي عجلة التحكم في مصير أمتنا بيد أعدائنا بدعوى أن قوتهم هي التي تقتل بعثنا الحضاري .. بينما الحقيقة المرّة : أننا نحن الذين نقتل هذا البعث الحضاري عبر ما بأنفسنا من « الانحراف الفكري » .. و« القابلية للهزيمة » .. و« الانتحار الداخلي » ؟!.

هذا نذير .. فهل من مجيب ؟!.

بريد البيان

■ **الأخ / وائل محمد :**
القصيدة عذبة المعاني ، صادقة العاطفة، ولكنا نعتذر عن نشرها ؛ لأن البيان لا تنشر شعر المناسبات، وإلى لقاء مع مشاركات أخرى.

■ **الأخ / محمد الروبي:**
مقالتك عن مؤتمر إسطنبول ، لم تعالج المؤتمر بإحاطة ، وتطرقت في معظمها إلى موضوع الماسونية وهو مطروق كثيراً ، نأمل مشاركتك في مواضيع تالية أكثر مناسبة.

■ **الأخ / وائل خير:**
نشكر لك الثناء والاهتمام، والكتاب الذين سألت عنهم هم محل الاهتمام والمتابعة من أسرة التحرير، ولعلهم يشاركون في مناسبات قادمة ــ إن شاء الله (تعالى) ـ.

■ **الأخ / ياسر عبد القادر:**
نبادلك التحية بمثلها ، وعن مجمل أسئلتك نحيلك إلى الأعداد: ٩٧، ٩٨ ، ١٠٤ من البيان، حيث تحدثت بإسهاب عن موضوع الديمقراطية وإشكاليتها ومفهومها ومدارسها بتحليل ودراسة موضوعية، ونسأل الله أن يجمعنا وإياك على الحق، إنه سميع مجيب.

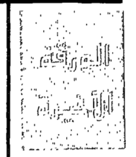
■ **الأخ / محسن عايض غلام:**
موضوعك مليء بالعاطفة، جزاك الله خيراً على ما قمت به ، لكن الموضوع يحتاج إلى عرض وتحليل أعمق، ولعلنا نتلقى مشاركات تالية صالحة للنشر.

تنوية واعتذار:
نلفت نظر القراء الكرام أنه وقعت بعض الأخطاء المطبعية في موضوع (إشكالية مفهوم الديمقراطية) من العدد (١٠٤)، نتيجة خطأ فني بجهاز الصف ، لذا لزم التنويه والاعتذار.

■ **أخوانا / فادي خلف، عبد القوي جلال:**
لديكما موهبة أدبية واستعداد جيد، ونطمع في إنتاج أكثر ملاءمة، ونوصيكما بكثرة قراءة جيد الشعر قديمه وحديثه.

■ **الأخ / محمد الرويلي:**
إحدى مشاركتيك ستنشر في منتدى القراء في أحد الأعداد القادمة ــ إن شاء الله (تعالى) ـ.

■ **الأخ / مصطفى المطيلي:**
نصك « ويستمر الزحف» غلبت عليه النثرية مع القصور الفني، واقتراحك قد لا يتيسر حاليًا.



من يحمل هَمَّ التوحيد؟!

بقلم: أحمد بن عبد الرحمن الصويان

يتقطع قلب المسلم أسًى وحسرة على هذا الواقع المحزن لبعض المسلمين ..!.

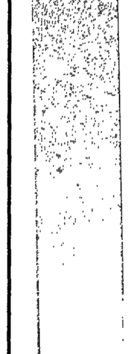
يذوب قلب المسلم حزنًا حينما يرى هؤلاء الجهلة والسذج وقد عبثت فيهم البدع والشركيات ..!.

تتلى الأوراد البدعية ، وتنشد المدائح الشركية، وتدور الرؤوس طربًا وهيامًا بدفوف ليالي الموالد المزعومة.

جماعات في إثر جماعات ، وأفواج في إثر أفواج ، يتقاطرون كالسيل المنهمر، يستنجدون بذلك المقبور ، ويستغيثون به، يعفرون وجوههم بالتراب ، ويتمرغون على أعتابه ، ويتعلقون بأستاره، وتسمع الصراخ والعويل الذي لا ينقطع من الرجال والنساء : يا فلان أغثني .. يا فلان ارزقني .. !!.

يرحل أحدهم الليالي ذوات العدد ، ويتكبد من المشاق الشيء الكثير ، حاملاً نذره ليذبحه بين يدي ذلك القبر ، يلتمس القربى والبركة ، ويطلب العون والمدد ..!.

سبحان الله .. هكذا يكون الإسلام عند هؤلاء الضلال؟ ، لقد سيطرت الدروشة بصورها العبثية المختلفة وألوانها الشركية المتعددة ، على عقول كثير من المنتسبين إلى الإسلام .. كم هو محزن ومؤلم



للنفس أن تطل علينا من جديد الجاهلية بصورتها الأولى !.

كيف يلذ لنا طعام ، أو نهنأ بشراب ، ونحن نرى هذه الخرافة التي تعبث بعقول السذج وقلوبهم ؟!.

هل يطيب لنا عيش ونحن نرى هذا الضلال ينخر في قلوب العباد، ويجعلها ألعوبة بأيدي الدراويش والمخرفين ودهاقنة الفساد ؟!.

إن هذه الجموع أمانة في أعناقنا ، فأين العلماء .. وأين الدعاة والمصلحون في مشارق الأرض ومغاربها .. ؟!.

ماذا قدمنا لتوضيح حقيقة هذا الدين، وشرح أصول التوحيد ، وقواعد الشهادة..؟!.

لقد كان همُّ التوحيد هو الهم الأكبر الذي يحمله الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، قال الله (تعالى) : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]؛ ولهذا كانت وصية النبي ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: البدء بالأهم فالمهم : «إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أنْ لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ... » الحديث [١] .

• كان رسول الله ﷺ يحمل هذا الهم حتى وهو في النزع الأخير، ويحذر أمته من الشرك، ويقول : «لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا[٢].

فما أحوجنا إلى هذه الوصية والعض عليها بالنواجذ، فالتوحيد بشموله وكماله هو المنطلق الأساس للدعوة ، وهو أولى الواجبات الدعوية التي يلزم الاعتناء بها .

وكم يحزن المرء حينما يرى بعض الدعاة يجعلون همهم الأكبر هو الاشتغال بالفروع دون الأصول، أو حينما يتخبطون في متاهات جدلية وكلامية تشغلهم عن هم التوحيد .

---

١) البخاري : رقم (٤٣٤٧) ، ومسلم (١ /٥٠). ٢) البخاري : رقم (٤٤٤٣) ، ومسلم (١ /٣٧٧) .

AL-BAYAN

Islamic Magazine

Subscription Form

(BLOCK CAPITALS PLEASE)

Name ---------------------------- Surname --------------------

Address ---

City -- Post Code --------

Country ---

New ☐ 1 Year ☐ 2 Years ☐ 3 Years ☐

Renew ☐ Amount Enclosed --------------------------
(Sterling Only) (Cheques payable to AL-BAYAN)

Please quote subscription number in all correspondance:--------------

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST

7 Bridges Place , Parsons Green

LONDON SW6 4HR

U.K.

https://t.me/megallat https://www.facebook.com/books4all.net oldbookz@gmail.com



كلمة صغيرة

حتى لا تُخدع الجماهير

سبق بأن قلنا: إن حزبي (العمل) و (الليكود) الصهيونيين وجهان لعملة واحدة، وإنهما ينطلقان من أسس ومبادئ واحدة، وإن كان لهما أسلوبان متغايران ظاهراً، لكن (الليكود) يقول في العلن ما يقول (العمل) وراء الكواليس.. وجاءت أحداث المسجد الأقصى الأخيرة لتثبت وتجلي كثيراً من الحقائق:

● فالنفق الذي أثار المشاعر كان العمل قد بدئ فيه قبل حكومة «نتن ياهو» الأقل دهاء من سلفه، وسبق لكثيرين التحذير من حفريات العدو على أساسات المسجد الأقصى؛ لبناء هيكلهم المزعوم مكانه.

● و«السلطة» الفلسطينية كانت على علم به قبل ذلك، وعلى علم بمخططات العدو وخطته التوسعية في المستوطنات، ولم تحرك ساكناً، ولكنها تركب الآن مشاعر الجماهير بانتهازية ظاهرة، وتستغل الحدث للمساومة به، والظهور بمظهر المقاوم للاحتلال، ومن ثم: كسب شعبية مفقودة، وتفويت الفرصة على (حماس)، وهذه السلطة هي التي كانت ـ وما تزال ـ تقمع الشعب وتطارد الإسلاميين لحساب العدو.

● وانتفاضة الشعب الفلسطيني تثبت أن في الأمة طاقات وإمكانات كبيرة، تستطيع فعل الكثير ـ إن شاء الله (تعالى) ـ إن أحسن استغلالها وتوجيهها. وأن مدعي العجز أمام التفوق الصهيوني مخدوعون وخادعون، وأن العدو لا يرضخ إلا لمنطق القوة، وأن طاولة المفاوضات هي عنوان الاستسلام وتخدير الشعوب.

● ولكن الأحداث تثبت أيضاً أن للجماهير عاطفة جياشة، ولكن بلا وعي غالباً؛ فثورتها عند تهديد جدران المسجد الأقصى ـ رغم حتميتها ـ كان أولى بها أن تكون لوقوعه تحت سلطان اليهود، وعدم تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيهم، وإراقة الدماء المسلمة على أيدي إخوان القردة والخنازير وأعوانهم، فحرمة المسلم أكبر عند الله من حرمة بيته الحرام.

والله غالب على أمره،،،

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس:

AL BAYAN MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel: 0171 - 731 8145
Fax: 0171 - 736 4255

في هذا العدد :

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصر : القاهرة – ش الجلاء – الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن احمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٥٤/٢٤٥٧٤٥

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩ ، الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠ ، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦ ، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة : ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ – ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.

أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313-677-006 Fax 313-677 0065

الرقم المجاني : (Subscription No.: 1-800-99-Fajer)

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
امريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الأردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وامريكا ١٫٥ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالا ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيه ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

لكم دينكم ولي دين

دعوة إلى الثبات على المبادئ الصحيحة

من الظواهر الاجتماعية الجديرة بالدراسة التي ذكرها العلامة ابن خلدون في مقدمته: «ميل المغلوب إلى تقليد الغالب والنظر إليه بضعف وانكسار» ، هذه الظاهرة أخذت بعدها الواضح في حالة الاستلاب الفكري والاجتماعي والسياسي، والانبهار بحضارة الغرب الذي تمرُّ به الأمَّة الإسلامية منذ أواخر الدولة العثمانية.

وليس غريباً أن يقع في هذا العجز والدونية عامة الناس من الجهلة والسذج، خاصة مع سياسة التغريب والعلمنة التي تشهدها المنطقة الإسلامية بعامة، ولكن الغريب جداً أن تقع مثل هذه الدونية عند بعض الإسلاميين والدعاة، سواء أكان ذلك على مستوى الأفراد، أو حتى على مستوى التجمعات الدعوية (!!).

لقد ظهرت في العقد التاسع من هذا القرن الهجري شعارات فكرية عديدة، مثل: (اشتراكية الإسلام.. اليسار الإسلامي.. ديمقراطية الإسلام.. ونحوها)، ثم أخذت هذه الظاهرة تزداد في السنوات الأخيرة، وتأخذ أبعاداً جديدة جعلت بعض الإسلاميين يستصغر نفسه، ويفكر بروح منهزمة وضيعة، ويكون همه الأكبر هو إرضاء الدوائر الإعلامية والأجنبية، وتراه يتكيف ويتشكل بناءً على المعطيات الفكرية والسياسية التي تضغط عليه، فيدخل في دوّامة من الانحرافات المنهجية التي تؤدي به إلى سلسلة من التنازلات عن بعض الأصول والأحكام الشرعية، حتى لا يوصم بالتشدد والتطرف والأصولية! ويعلل ذلك بفنون من التأويلات الباردة الهزيلة، ويبدو ذلك في أقرب مظاهره على مستوى تبعية الأفراد





خاصة في الهدي الظاهر للرجل أو المرأة، كما يبدو ذلك على المستوى العام في التجمعات الدعوية في علامات كثيرة تضعف حينًا وتقوى أحيانًا أخرى، ومن ذلك مثلاً: تهرب بعضهم من مبدأ الجهاد في سبيل الله (وليس تحفظهم على بعض صور ممارساته)، وتمييع عقيدة الولاء والبراء، والتهرب من إظهار تكفير اليهود والنصارى، وإنكار الحدود الشرعية، والدعوة إلى التقارب بين الأديان، وعقد التحالفات المهينة مع الأحزاب العلمانية واليسارية.. ونحو ذلك، وتزداد هذه الظاهرة بخاصة مع سياسة الضغط والديكتاتورية التي تمارسها بعض الأنظمة العلمانية أو الاستعمارية، وكلما ضعف إيمان المرء بالعقيدة التي يحملها، هان عليه أن يتنازل عن بعض أصولها، ويخضعها للجدل والمساومة..!.

لقد كانت دعوة النبي ﷺ واضحة جلية منذ أيامها الأولى، فحينما رأى المشركون قوة دعوة النبي ﷺ والتفاف الناس حوله: أرادوا أن يجروه إلى التفاوض على المبدأ وسياسة الترقيع والقبول بالحلول الوسط والمنافع المشتركة، أنزل الله (تعالى) قوله: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ [الكافرون: ١ - ٦]؛ ولهذا فمن مبادئ الدخول في دين الإسلام: الكفر بالطاغوت، قال الله (تعالى): ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا**﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ويتربى الصحابة (رضي الله عنهم) على هذه الحقيقة أعزة شامخين بإيمانهم، فها هم هؤلاء يخرجون من غزوة أحد وقد أثقلتهم الجراح، وفقدوا جمعًا كريمًا من أجلَّة الصحابة، ومع ذلك يتنزل عليهم قول الله (تعالى): ﴿**وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٩].





صحيح أنَّ ذلك قد يجرُّ مزيدًا من التسلط والتضييق والملاحقة لأولياء الله الصالحين، ولكن هذه هي طبيعة هذا الدين، فما من نبي من الأنبياء

(عليهم أفضل الصلاة والسلام) إلا وقد تسلط عليه قومه بالسخرية والإيذاء، بل بالضرب والقتل أحياناً، قال الله (تعالى) : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الفرقان : ٣١]، ولما سمع ورقة بن نوفل (رضي الله عنه) ما حصل للنبي ﷺ في غار حراء، قال له : هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، ياليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ : «أومخرجيَّ هم؟» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي[1] ، وقال قيصر الروم في حواره مع أبي سفيان بن حرب: «سألتك كيف قتالكم إياه، فزعمت أنَّ الحرب سجال ودول، فكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة»[2] .

نذكر بهذا الأصل العظيم بعد التحالفات السياسية في تركيا، التي أدت إلى تسلم حزب الرفاه الإسلامي سدة الحكم بالتحالف مع حزب الطريق القويم! ونحن نقدر الجهود الكبيرة التي بذلها (الرفاه)، وأسعدتنا جداً الانتصارات المتتالية له، ورأينا كم جنَّ جنون الغرب حينما استطاع الإسلاميون التقدم على جميع الأحزاب العلمانية، بعد أن كانوا يتوهمون أنهم دفنوا الراية الإسلامية في تركيا تحت أنقاض الدولة العثمانية، على يد حليفهم الوفيّ كمال أتاتورك، ورأينا كذلك اللعبة القذرة التي مارستها الأحزاب السياسية بمختلف اتجاهاتها في تركيا، لتحول دون تفرد حزب الرفاه بقيادة البلاد!!.



ومع تفهمنا للظروف والضغوط التي أدت بحزب الرفاه إلى هذا التحالف إلا أننا كنا نتمنى أن يصل إلى قيادة الحكومة التركية، لكن دون الدخول في تحالفات غير واضحة المعالم مع أحزاب مشبوهة منقطعة الصلة بجذور الأمة وفكرها، وذات تاريخ مخز ، جرّت البلاد جرًّا للارتماء في أحضان الغرب.. ولا زلنا نتألم من هذه الخطوة، ونسأل الله (عز وجل) أن



١) أخرجه : البخاري رقم (٣) .
٢) أخرجه : البخاري رقم (٥) .

يجعل العواقب سليمة .

إننا نثق بنباهة وحنكة قيادة حزب الرفاه وتمرسها السياسي وخبرتها العريقة، وهم من أقدر الناس على معرفة الواقع السياسي للأحزاب المتصارعة في الميدان.. ولكننا نؤكد على ضرورة التميز الإسلامي، وعدم الرضوخ للمساومات الفكرية والسياسية، فاصالة هذا الدين تظهر بأصالة حَمَلته ودعاته.

نعم، قد يؤدي ذلك إلى تأخر وصول الحزب الإسلامي إلى قيادة البلاد، وقد يؤدي إلى تدخل الجيش، أو إلى حصار غربي يضرب على البلاد كلها.. ولكن هذه سنة طبعية للتغيير الإسلامي المنشود.

إنَّ ثمة انحرافًا منهجيًّا ـ عند بعض الإسلاميين ـ في سياسة التعامل مع المتغيرات الفكرية والسياسية التي تشهدها الأمة الإسلامية، وبمراجعة شاملة لمناهج التغيير في أوساط الصحوة الإسلامية يتبين حجم الضعف والهزال الذي نعاني منه، فلماذا نخجل من إسلامنا ؟! .

لماذا لا نتحدث بشجاعة وثقة، وليفعل غيرنا ما يفعل، وليصفنا بما شاء، فما لنا ولهم ؟! ـ ما دامت مواقفنا مضبوطة بالضوابط الشرعية، وروعيت فيها مصالح الأمة ـ ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال: ٤٢] .

إنَّه عبء ثقيل وحمل كبير ـ بلا شك ـ ولا يقوى على حمله إلا الأقوياء في دين الله، وحقًّا فإن الهزيمة النفسية هي أخطر ألوان الهزائم!! .

اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

وصل اللهم على محمد وآله وسلم







الوسائل وأحكامها في الشريعة الإسلامية

(٢ من ٢)

بقلم : د. عبد الله التهامي

افتتح الكاتب مقاله السابق بالإشارة إلى أهمية موضوع الوسائل، ثم أخذ في عرضه على هيئة مسائل، فتناول : معنى الوسائل، والفرق بينها وبين الذرائع، وأقسامها من أكثر من زاوية، ثم تعرض لخصائصها.. ويواصل الكاتب عرضه لمسائل أخرى. - البيان -

المسألة الخامسة : الأدلة على مشروعية العمل بالوسائل:

المسلك الأول : النصوص من الكتاب والسنة :

١ ـ قوله (تعالى): ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾ [التوبة: ١٢٠]، قال العز بن عبد السلام: «وإنما أثيبوا على الظمأ والنصب وليس من فعلهم؛ لأنهم تسببوا إليهما بسفرهم وسعيهم، وعلى الحقيقة: فالتأهب للجهاد بالسفر إليه وإعداد الكراع والسلاح والخيل وسيلة إلى الجهاد، الذي هو وسيلة إلى إعزاز الدين.. وغير ذلك من مقاصد الجهاد، فالمقصود ما شُرع الجهاد لأجله والجهاد وسيلة إليه.

وأسباب الجهاد كلها وسائل إلى الجهاد، الذي هو وسيلة إلى مقاصده، فالاستعداد له من باب وسائل الوسائل» (١) .

وقال ابن سعدي: «فالذهاب والمشي إلى الصلاة، واتباع الجنائز.. وغير ذلك من العبادات: داخل في العبادة، وكذلك الخروج إلى الحج والعمرة، والجهاد في سبيل الله من حين يخرج ويذهب من محله إلى أن يرجع إلى مقره وهو في عبادة؛ لأنها وسائل للعبادة

١) قواعد الأحكام،ص ١٠٥، ١٠٦ ، وانظر: شرح تنقيح الفصول،ص ٤٤٩ ، والفروق، ٢/ ٣٣.



ومتممات لها، قال (تعالى): ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ ... ﴾»[1].

٢ ـ قوله (تعالى): ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢]، قال العز بن عبد السلام: «وهذا نهي عن التسبب إلى المفاسد، وأمر بالتسبب إلى تحصيل المصالح»[2].

٣ ـ قوله (تعالى): ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ [النحل: ٩٠]، قال العز بن عبد السلام: «وهذا أمر بالمصالح وأسبابها ... ونهي عن المفاسد وأسبابها»[3].

٤ ـ قوله: (تعالى): ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ [يس: ١٢]، قال ابن سعدي: «وفُسِّر قوله (تعالى): ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ أي: نَقْل خطاهم وأعمالهم للعبادات أو لضدها، وكما أن نقل الأقدام للعبادات تابع لها؛ فنقل الأقدام إلى المعاصي تابع لها ومعصية أخرى»[4].

٥ ـ قوله ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سلك الله له طريقًا إلى الجنة»[5].

٦ ـ قوله ﷺ: «من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فروض الله: كانت خطوتاه إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة»[6].

المسلك الثاني: القواعد الشرعية:

مما يدل على مشروعية العمل بالوسائل؛ ثلاث قواعد: قاعدة مقدمة الواجب، وقاعدة اعتبار المآل، ومكملات المقاصد. وإليك البيان:

أولاً: مقدمة الواجب، أو: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[7].

معنى القاعدة: أن كل ما يتوقف عليه إيقاع الواجب ـ وهو في مقدور المكلف[8] ـ

١) القواعد والأصول الجامعة، ص١١ .

٢، ٣) قواعد الأحكام، ص١٣١ .

٤) القواعد والأصول الجامعة، ص ١٢.

٥) البخاري: كتاب العلم.

٦) انظر: قواعد الأحكام، ص ١٠٦، والقواعد والأصول الجامعة، ص ١٢، والحديث أخرجه مسلم: كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة....

٧) انظر: مجموع الفتاوى، ٢٠/١٥٩ ـ ١٦١، والمسودة، ص٦١، وشرح الكوكب المنير، ١/٣٥٧ ـ ٣٦٠.

٨) المراد بهذا القيد أن ما لا يتم الوجوب إلا به ليس بواجب؛ كملك النصاب، فإنه شرط في وجوب الزكاة، لكن لا يجب على العبد تحصيله، بخلاف ما لا يتم الواجب إلا به فإنه واجب؛ كنقل أموال الزكاة لإيصالها إلى مستحقيها، انظر: مجموع الفتاوى، ٢٠/١٦٠، وقواعد المقري، ٣/٣٩٣، ونزهة الخاطر، ١/١٠٧، والوجيز لبورنو، ص ٣٤٣ .

فهو واجب، وما يتوقف عليه الواجب ينقسم بعدة اعتبارات إلى ما يأتي:

أولاً : إلى ما كان واجبًا بدليل شرعي، كالسعي إلى الجمعة في قوله (تعالى) ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، فالسعي دل على وجوبه دليلان: الآية الكريمة، والقاعدة.

ـ وإلى ما كان مباحًا لم يدل على وجوبه دليل شرعي، لكنه وجب تحقيقًا للواجب؛ كالسفر إلى الحج بالنسبة للبعيد عن مكة، فهذا دل على وجوبه دليل واحد فقط، وهو قاعدة: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وكلا هذين القسمين من باب الوسائل، إلا أن القسم الأول وسيلته ثبتت بالنص، والقسم الثاني لم تثبت بالنص، وإنما ثبتت بطريق الوسائل.

ثانيًا : إلى ما يكون: ـ قبل الواجب؛ كالسعي إلى الجمعة .

ـ أو بعده؛ كإمساك جزء من الليل في الصوم.

ـ أو مقارنًا له؛ كاستقبال القبلة للصلاة.

وهكذا الوسائل: فإنها قد تسبق المقصد، وقد تقارنه، وقد تتأخر عنه، وهي على كل الأحوال خادمة للمقصد، مؤدية إليه، مكملة له .

ثالثًا : إلى ما يكون: ـ جزءاً من ماهية الواجب؛ كالسجود في الصلاة، فهذا ركن لا وسيلة؛ إذ الوسيلة لا تكون ركنًا .

ـ وما يكون خارجًا من الماهية؛ كالطهارة للصلاة، فهذا شرط ووسيلة .

رابعًا :إلى ما يكون: ـ سببًا شرعيًا؛ كصيغة العتق في العتق الواجب للكفارة.

ـ أو سببًا عقليًا؛ كالصعود إلى موضع عال فيما إذا وجب إلقاء الشيء منه.

ـ وإلى ما يكون: شرطًا شرعيًا؛ كالطهارة للصلاة.

ـ أو شرطًا عقليًا؛ كترك أضداد المأمور به.

فهذه الأربعة وسائل مطلوبة.

خامسًا : إلى ما يكون: ـ فعلاً؛ كالطهارة للصلاة، فإنها وسيلة إليها.

ـ وما يكون كفًا وتركًا؛ كترك أكل المذكاة إذا اشتبهت بميتة [1]، وهذه هي قاعدة الاحتياط [2]، وهي داخلة تحت أصل سد الذرائع.

---

١) انظر: روضة الناظر، ١/ ١١٠، ومجموع الفتاوى، ١٠/ ٥٣٣.

٢) انظر في قاعدة الاحتياط: بدائع الفوائد، ٣/ ٢٥٧ ـ ٢٧٥.

سادساً: إلى ما يكون: ـ واجباً وجوباً معيناً؛ كالإمساك الواجب امتثالاً لصيام رمضان.
ـ وما يكون واجباً وجوباً مخيراً فيه بين أشياء محصورة؛ كخصال الكفارة في اليمين.
ـ وما يكون واجباً وجوباً مطلقاً غير معين؛ كالعتق المطلق، فإنه يتم بعتق مطلق رقبة.
وهكذا الوسائل: تارة تتعين، وتارة تكون كالواجب المخير، وتارة تكون مطلقة.

ثانياً: اعتبار المآل [1]:

المراد باعتبار المآل: النظر فيما تؤول إليه الأفعال من مصالح ومفاسد؛ إذ العمل قد يكون في الأصل مشروعاً، لكن يُنهى عنه لما يؤول إليه من المفسدة، أو يكون في الأصل ممنوعاً، لكن يترك النهي عنه لما في ذلك من المصلحة [2].

قال الشاطبي: «النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة؛ وذلك: أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة من المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل»[3].

ومما يدخل تحت هذه القاعدة، وهو يدل على صحتها:

ـ قاعدة سد الذرائع. ـ إبطال الحيل.

ـ النهي عن الغلو في العبادات والزيادة على الحد المشروع فيها؛ لكونه قد يؤدي إلى السآمة والملل وترك العمل جملة [4].

ـ قاعدة: «**ما حرم استعماله حرم اتخاذه**»، كالخنزير، وآلات اللهو، وآنية الذهب والفضة [5].

ـ قاعدة: «**ما حرم أخذه حرم إعطاؤه**»، كالربا، ومهر البغي، والرشوة [6].

يقرب منها: «ما حرم فعله حرم طلبه» [7].

ـ قاعدة: «**الحريم له حكم ما هو حريم له**»، كالفخذين حريم للعورة الكبرى[8].

---

1) انظر: الموافقات، ٤/١٩٤ ـ ٢١١.
2) انظر: الموافقات، ٤/١٩٨.
3) الموافقات، ٤/١٩٤.
4) انظر فيما يتعلق بالنهي عن الغلو: مجموع الفتاوى، ٢٥/٢٨١، ٢٨٢، و المحجة في سير الدلجة، ص ٤٦، ٤٧.
5) انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي، ص ١٥٠.
6) انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي، ص ١٥٠، والأشباه والنظائر لابن نجيم، ص ١٥٨.
7) انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي، ص ١٥١.
8) السابق، ص ١٢٥.

ـ قاعدة: «للوسائل حكم المقاصد»[1]، وبذلك يتبين أن قاعدة الوسائل فرع عن قاعدة اعتبار المآل.

ثالثًا: مكملات المقاصد[2]:

المكمل هو ما من شأنه تحسين صورة أصله وتقوية جانبه؛ كالنافلة للفريضة.

ولما كانت مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة على الأمور الخمسة: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال: كانت هي الأصل، وكانت الحاجيات والتحسينيات مكملات لهذا الأصل؛ فهي ـ بهذا النظر ـ خادمة للأصل، ومحسنة لصورته؛ إما مقدمة له، أو مقارنة، أو لاحقة.

وعلى كل تقدير: فالمكملات تدور حول الأصل بالخدمة؛ حتى يتأدى الأصل على أحسن حالاته.

وذلك: أن الصلاة ـ مثلاً ـ إذا تقدمتها الطهارة أشعرت بتأهب لأمر عظيم، فإذا استقبل المصلي القبلة أشعر بحضور التوجه، ثم يدخل في الصلاة بزيادة سورة خدمة لفرض أمِّ القرآن، ولو قدم قبل الصلاة نافلة كان ذلك تدريجًا للمصلي واستدعاء للحضور، ولو أتبعها نافلة أيضًا لكان خليقًا باستصحاب الحضور في الفريضة.

فالمكملات دائرة حول حمى الضروري؛ خادمة له، ومقوية لجانبه، ولو خلت الضروريات منها أو من أكثرها لوقع فيها خلل بوجه ما[3]، والوسائل من قبيل التكملة؛ إذ بها يتحقق المقصود ويكتمل.

المسألة السادسة: شروط اعتبار الوسائل:

هل يجوز التوسل بكل وسيلة؟، أو: ما هي الشروط الواجب توفرها في وسيلة ما حتى يمكن اعتبارها وسيلة شرعية؟.

والجواب: أن الوسائل لكي تعتبر وسائل شرعية لا بد لها من ضوابط، ولمعرفة هذه الضوابط لا بد من النظر في أمور أربعة على الترتيب:

١ ـ الوسيلة في ذاتها. ٢ ـ المقصد الذي تفضي إليه.

---

١) انظر: قواعد الأحكام، ١/٤٦، وشرح تنقيح الفصول، ص٤٤٩، والفروق، ٢/٣٣، والقواعد والأصول الجامعة، ص١٠.

٢) انظر: الموافقات، ٢/١٢ ـ ٢٥، وشرح الكوكب المنير، ٤/١٦٣ .

٣) انظر: مقاصد الشريعة لابن عاشور، ص١٤٨.

٣ ـ درجة الإفضاء. ٤ ـ المآل .

١ ـ النظر في الوسية ذاتها :

يشترط في الوسيلة أن تكون في ذاتها مشروعة: مطلوبة، أو مباحة، أو مكروهة، بمعنى ألا تكون محرمة .

فإذا وجد في الوسيلة هذا الضابط نُظر في الأمر التالي، وهو :

٢ ـ النظر في المقصد الذي تفضي إليه هذه الوسيلة :

يشترط في المقصد المتوسل إليه أن يكون حلالاً : واجبًا، أو مندوبًا، أو مباحًا، أو مكروهًا.

أما الضابط الثاني فهو: أن يبقى هذا المقصد ولايسقط؛ إذ الغرض من التوسل تحصيل المقصد، فإن سقط المقصد وزال: بطل بزواله التوسل، وبطلت معه الوسيلة. وقد سبق التنبيه على هذا الضابط عند الكلام على خصائص الوسائل.

فإذا توفر في المقصد هذان الضابطان: نُظِر في الأمر التالي، وهو :

٣ ـ النظر في درجة الإفضاء :

يشترط في إعطاء الوسيلة حكم مقصدها أن تكون مفضية إليه، فإن تبين عدم إفضاء الوسيلة إلى المقصد فإن الوسيلة يسقط اعتبارها [1].

ويشترط أن يكون إفضاء الوسيلة إلى مقصدها مقطوعًا به، أو غالبًا .

أما إن كان الإفضاء نادراً فلا عبرة به ؛ إذ الأحكام الشرعية إنما تناط بالكثير الغالب، لا بالبعيد النادر [2] ؛ ولذلك قيل: «لا عبرة بالظن البيّن خطؤه»[3].

فإذا كانت درجة الإفضاء كافية، فلا بد من النظر في الأمر التالي، وهو:

٤ ـ النظر في المآل :

وذلك ألا يترتب على التوسل بهذه الوسيلة إلى مقصدها مفسدة تزيد على مصلحة هذا المقصد أو تماثلها؛ إذ الغرض من هذا التوسل تحصيل مصلحة المقصد المتوسل إليه ، وهذه المصلحة متى ترتب على تحصيلها مفسدة أعظم منها أو مثلها

---

١) انظر: القواعد للمقري، ١/٢٤٢.

٢) انظر: إعلام الموقعين، ٣/٢٧٩، والموافقات، ٢/٣٥٨ .

٣) انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي،ص ١٥٧، والأشباه والنظائر لابن نجيم،ص ١٦١ .

كانت تحصيلاً للمفسدة أو من قبيل تحصيل الحاصل، وكلا الأمرين باطل[1].

ومعلوم أن سد الذرائع أصل معتبر ، وأن أعظم الضررين يدفع بأقلهما[2] .

المسألة السابعة : أحكام الوسائل :

أولاً : أحكام الوسائل من جهة فضلها ومراتبها :

يختلف فضل الوسائل ودرجاتها بحسب أمور ثلاثة:

الأول : فضل المقصد ودرجته ، فبحسبه توزن الوسيلة :

قال العز بن عبد السلام: « يختلف أجر وسائل الطاعات باختلاف فضائل المقاصد ومصالحها، فالوسيلة إلى [أفضل] المقاصد أفضل من سائر الوسائل »[3].

ومن الأمثلة على ذلك [4] :

أن التوسل إلى معرفة الله وذاته أفضل من التوسل إلى معرفة أحكامه .

وأن التوسل إلى معرفة أحكامه أفضل من التوسل إلى معرفة آياته .

وأن التوسل بالسعي إلى الجمعات أفضل من التوسل بالسعي إلى الجماعات في الصلوات المكتوبات .

وأن التوسل بالسعي إلى الصلوات المكتوبات أفضل من التوسل بالسعي إلى المندوبات التي شرعت فيها الجماعات؛ كالعيدين والكسوفين .

الثاني : درجة إفضاء الوسيلة إلى المقاصد :

فكلما كان إفضاء الوسيلة أكمل في تحقيق المقصد كانت الوسيلة أفضل .

قال العز بن عبد السلام: « وكلما قويت الوسيلة في الأداء إلى المصلحة كان أجرها أعظم من أجر ما نقص عنها » [5].

وقال ابن القيم : « فوسائل المحرمات والمعاصي ـ في كراهتها، والمنع منها ـ بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها .

ووسائل الطاعات والقربات ـ في محبتها، والإذن فيها ـ بحسب إفضائها إلى غايتها »[6].

---

١) انظر: قواعد الأحكام، ص ٥٣ ، ٧٩، ومجموع الفتاوى، ٢٠/ ٤٨ ، ٥١ ، ٥٤، والأشباه والنظائر للسيوطي، ص ٨٦ ـ ٨٨، والأشباه والنظائر لابن نجيم، ص ٩٠ ، ٩١ .

٢) انظر: الأشباه والنظائر لابن نجيم، ص ٨٨ ، ٨٩ .

٣) قواعد الأحكام، ص ١٠٤ .

٤) انظر: المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

٥) المصدر السابق.

٦) إعلام الموقعين، ٣/ ١٣٥ .

وقضية إفضاء الوسيلة إلى مقصدها قد تكون من الأمور النسبية؛ فقد تختلف قوة الوسيلة من وقت لآخر، ومن مقام لآخر؛ فما يكون من الوسائل قويًا في مقام قد لا يكون كذلك في مقام آخر.

والمقصود ـ على كلٍّ ـ : الحرص على أكمل الوسائل وأعلاها في تحقيق المصلحة؛ بحيث تحصل كاملة، راسخة، عاجلة، ميسورة [1].

ولذلك قيل: «الفضيلة المتعلقة بنفس العبادة أولى من المتعلقة بمكانها» كصلاة الجماعة ـ ولو كانت خارج المسجد ـ ، فإنها أفضل من الصلاة فيه بلا جماعة[2].

الثالث: نية المتوسل ومقصده:

ذلك أن الوسيلة غير مقصودة لذاتها، وهي تفتقر إلى النية لاعتبارها أو إبطالها من جهة الشرع.

قال ابن القيم: «فالنية روح العمل ولبّه وقوامه، وهو تابع لها: يصح بصحتها، ويفسد بفسادها.

والنبي ﷺ قد قال كلمتين كفتا وشفتا، وتحتهما كنوز العلم، وهما قوله: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[3]»[4].

وقد بُني على هذا الحديث العظيم قاعدة كبرى من قواعد الفقه، وهي: «الأمور بمقاصدها» [5].

ويندرج تحت هذه القاعدة جميع العبادات والمعاملات والأيمان والنذور وسائر العقود والأفعال[6]، بل يسري حكم هذه القاعدة «إلى سائر المباحات؛ إذا قُصد بها التقوِّي على العبادة أو التوصل إليها؛ كالأكل والنوم واكتساب المال وغير ذلك.

وكذلك النكاح والوطء؛ إذا قُصد به إقامة السنة والإعفاف أو تحصيل الولد الصالح وتكثير الأمة» [7].

وعلى المكلف ـ إذا أراد صحة قصده شرعًا ـ أن يتحرى قصد الشارع في كل أعماله، وإن حصل له مع ذلك بعض أغراضه وشهواته؛ لأن هذه الشريعة موضوعة

---

١) انظر: مقاصد الشريعة لابن عاشور، ص ١٤٨. ٢) انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي، ص ١٤٧.
٣) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، ومسلم: كتاب الإمارة. ٤) إعلام الموقعين، ٣/١١١.
٥) انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي، ص ٨، والأشباه والنظائر لابن نجيم، ص ٢٧.
٦) انظر: إعلام الموقعين، ٣/١١١. ٧) الأشباه والنظائر للسيوطي، ص ١٠.

لمصالح العباد [١] .

ثانيًا : أحكام الوسائل من حيث التعيُّن والتخيُّر :

لا يخلو المقصد المتوسل إليه من حالتين :

الحالة الأولى : أن يتوقف تحصيله على وسيلة واحدة، لا يتحقق إلا بها [٢].
فالوسيلة في هذه الحالة متعينة الوجوب أو الاستحباب بحسب حكم المقصد .

الحالة الثانية : أن تتعدد الوسائل؛ فيمكن تحصيل المقصد بأكثر من وسيلة[٣].
ففي هذه الحالة لا تخلو تلك الوسائل المتعددة من أمرين:

١ ـ أن تكون متساوية في الإفضاء إلى المقصد؛ فعلى المكلف التخيُّر منها.

٢ ـ أن يكون بعضها أقوى من بعض في الإفضاء إلى المقصد؛ فعلى المكلف التماس أقوى الوسائل وأكملها في تحقيق المقصد .

قال ابن عاشور: «وقد تتعدد الوسائل إلى المقصد الواحد، فتعتبر الشريعة ـ في التكليف بتحصيلها ـ أقوى تلك الوسائل تحصيلاً للمقصد المتوسل إليه بحيث يحصل كاملاً، راسخًا، عاجلاً، ميسوراً، فتقدمها على وسيلة هي دونها في هذا التحصيل.
وهذا مجال متسع، ظهر فيه مصداق نظر الشريعة إلى المصالح، وعصمتها من الخطأ والتفريط... فإذا قدَّرنا وسائل متساوية في الإفضاء إلى المقصد باعتبار أحواله كلها: سوَّتْ الشريعة في اعتبارها،وتخير المكلف في تحصيل بعضها دون الآخر؛ إذ الوسائل ليست مقصودة لذاتها» [٤] .

ثالثًا : أحكام العمل بالوسائل من جهة الحكم التكليفي:

الأصل في أحكام الوسائل أنها تابعة لأحكام مقاصدها التي تفضي إليها، ولهذا قيل : «للوسائل أحكام المقاصد» [٥] .



---

١) انظر: الموافقات، ٢/١٦٨ ـ ١٧٦ .

٢) ويدخل تحت ذلك: إذا كان للمقصد أكثر من وسيلة، إلا أنه لايتحقق كاملاً إلا بواحدة، وربما يتحقق هذا المقصد بوسائل أخرى إلا أنه غير كامل، فوجود هذه الوسيلة وعدمه سواء .

٣) بشرط أن تشترك هذه الوسائل في تحصيل أصل المقصد، وأن يكون التفاوت فيما بينها في قضية الكمال.

٤) مقاصد الشريعة لابن عاشور،ص١٤٩ .

٥) انظر: قواعد الأحكام، وشرح تنقيح الفصول،ص٤٤٩، والفروق، وإعلام الموقعين، والقواعد والأصول الجامعة،ص١٠.



قال القرافي: «وحكمها [أي: الوسائل] كحكم ما أفضت إليه من تحريم أو تحليل، غير أنها أخفض رتبة من المقاصد في حكمها»[1] .

وقال ابن سعدي: «الوسائل لها أحكام المقاصد: فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما لايتم المسنون إلا به فهو مسنون، وطرق الحرام والمكروهات تابعة لها، ووسيلة المباح مباح»[2] .

ومما مضى يتبين أن الوسيلة:

● قد تكون واجبة وجوبًا متعينًا ، وذلك بشرطين:

أ ـ أن يكون مقصدها واجبًا .

ب ـ أن يتوقف تحصيل هذا المقصد على هذه الوسيلة بعينها .

● وقد تكون الوسيلة واجبة وجوبًا مخيرًا فيه بالتساوي؛ كخصال الكفارة، وذلك بشرطين:

أ ـ أن يكون مقصدها واجبًا .

ب ـ أن تتعدد وسائل هذا المقصد مع كونها متساوية في إفضائها إليه .

● وقد تكون الوسيلة مندوبة، وذلك بشرطين:

أن يكون مقصدها مندوبًا، وأن تكون درجة إفضاء الوسيلة إلى المقصد كافية .

وربما تكون الوسيلة مندوبة أيضًا بشرطين: أن يكون مقصدها واجبًا، وأن تكون درجة إفضاء الوسيلة إلى المقصد محتملة .

● وقد تكون الوسيلة مباحة، وذلك بشرطين:

أن يكون مقصدها مباحًا، وأن تكون درجة إفضاء الوسيلة إلى المقصد كافية .

● وأما إن كان المقصد محرمًا: فالوسيلة ـ والحالة كذلك ـ تعد ذريعة محرمة، يجب سدها .

وكذلك إذا كان المقصد مكروهًا: فالوسيلة في هذه الحالة تعد ذريعة، وحكمها الكراهة .

المسألة الثامنة: الفرق بين الوسائل والبدع[3]:

الاشتباه بين البدع والوسائل حاصل من وجهين:

١) القواعد والأصول الجامعة، ص ١٠ .   ٢) شرح تنقيح الفصول، ص ٤٤٩ .

٣) انظر: الاعتصام، ٢/ ١١١ ـ ١٣٥، والإبداع، ص ٨٣ ـ ٩٢، وأصول في البدع والسنن، ص ٣٩ ـ ٤٧، والبدعة والمصالح المرسلة، ص ٣٥٩ ـ ٣٦٢، وحقيقة البدعة، ٢/ ١٨٥ ـ ١٨٩ .

ـ أنهما لا يستندان إلى دليل شرعي خاص، لذا: فقد اعتبر بعض أهل العلم الوسائل المرسلة ـ كجمع المصحف، وكتابة العلم ـ من البدع المستحسنة [1].

ـ كما أن كلاً منهما من الأمور الحادثة التي لا عهد للسلف بها .

ويتضح الفرق بين الوسائل والبدع من وجهين:

ـ أن الوسائل غير مقصودة لذاتها، بل هي راجعة إلى حفظ مقصد من مقاصد الشريعة، بخلاف البدع فإنها في الغالب مقصودة لذاتها؛ إذ هي عبادة شرعية بزعم أصحابها.

ـ إذا علم ما سبق؛ فإن الوسائل تكون ممنوعة إذا ناقضت شيئاً من مقاصد الشريعة، أو خالفت أصلاً من أصولها، فهذا شرط مهم وأساس في اعتبارها والأخذ بها؛ ذلك أن مستندها تحقيق مقصد الشارع، أما البدعة ـ مع كونها مناقضة لمقاصد الشريعة ـ فإنها عند أهلها معتبرة على الإطلاق والدوام ولا تسقط بحال من الأحوال، وذلك لما تقدم من كونها عند أهلها مقصودة بذاتها .

المسألة التاسعة: وسائل الدعوة. هل هي توقيفية أم اجتهادية ؟:

لقد كثر الجدال وطال الكلام حول هذا السؤال، والناس في الجواب عنه فريقان: كل فريق يقطع بصحة رأيه وخطأ مخالفه، وربما جُعل من هذه القضية ـ عند بعضهم ـ معقد اجتماع وافتراق، وموطن ولاء وبراء.

ولعل السبب في ذلك أن كل فريق بنى موقفه من قضية وسائل الدعوة على نظرته الخاصة إلى تطبيقات وأمثلة معينة؛ كالنشاط المسرحي المشتمل على بعض القصائد المنشودة والمشاهد التمثيلية، وكالبرامج الإعلامية المعتمدة على تصوير ذوات الأرواح، وكالمشاركة في المجالس الشعبية والانتخابات الجمهورية، فمن ارتضى هذه الوسائل ورأى شرعيتها: جزم بأن وسائل الدعوة اجتهادية، ومن أنكر

---

١) ممن ذهب إلى ذلك: العز بن عبد السلام في كتابه قواعد الأحكام، ٢/١٧٢، وتلميذه القرافي في كتابه الفروق : ٤/٢٠٢ . وهذا التقسيم مبني على أن البدع ليست كلها مذمومة بل منها ما هو حسن. والحق : أن كل بدعة ضلالة كما ورد ذلك في الحديث الصحيح، وما ذكره هؤلاء العلماء ـ من أن هناك بدعة حسنة ـ لا يخلو من حالين: إما ألا تكون بدعة لكن يظن هؤلاء أنها بدعة ، وإما أن تكون بدعة سيئة لكن لا يعلم هؤلاء سوءها. انظر: الاعتصام للشاطبي، ١/١٨٨ وما بعدها، والإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع، لابن عثيمين، ص ١١ وما بعدها .

هذه الوسائل ورأى عدم شرعيتها: جزم بأن وسائل الدعوة توقيفية.

فانظر: كيف قُلبت الموازين عند هذين الفريقين، حينما أخضعوا القاعدة الكلية ـ أعني: كون وسائل الدعوة توقيفية أوكونها اجتهادية ـ لبعض أمثلتها وتطبيقاتها؟، وكان المفترض: إخضاع هذه الأمثلة وإرجاعها إلى قاعدتها الكلية.

وإليك بيان ذلك بمثال واحد:

من وسائل الدعوة ونشر الخير وتعليمه للناس: شريط الفيديو المشتمل على الندوات والمحاضرات المصحوبة بالصورة الحية، فإذا أردنا معرفة حكم هذه الوسيلة فلا بد أن نطبق على هذه الوسيلة شروط اعتبار الوسيلة الماضي بيانها؛ فننظر: هل هذه الوسيلة في ذاتها ممنوعة؟ إن قلنا بتحريم التصوير ومنعه فالنتيجة: أن هذه الوسيلة محرمة لا يجوز التوسل بها، فلا حاجة لنا عند ذلك إلى النظر في الشروط المتبقية، وإن قلنا بجواز التصوير وإباحته، فننظر في الشروط المتبقية: هل المقصد المتوسل إليه مقصد شرعي صحيح؟ وهل هو باقٍ لم يسقط؟ وهل درجة الإفضاء كافية؟ وهل يترتب على هذا التوسل مفسدة مساوية لمصلحته أو أعظم منها؟.

وبعد ذلك وقبله: لا بد من النظر في مسألة حكم تصوير ذوات الأرواح: أهو من المسائل التي يسوغ فيها الاجتهاد؛ فيبقى الخلاف حينئذ دائرًا في نطاق المسائل الاجتهادية، ولا ينكر على المخالف في هذه الحالة إلا بالحجة والدليل، دون تشنيع ولا تفسيق، أو هي مسألة لا يسوغ فيها الاجتهاد ولا الخلاف؛ فيكون الخلاف ـ والحالة كذلك ـ مرفوضًا، بل قد يرمى المخالف بالبدعة أو أزيد؟.

والمقصود: أن وسائل الدعوة لا يحكم عليها إلا بعد عرضها على الشروط الشرعية؛ فمتى وجدت هذه الشروط جميعها في وسيلة ما: حُكِم بصحة هذه الوسيلة،ومتى تخلفت هذه الشروط أو بعضها: حُكم ببطلانها.

ومن جهة أخرى فإن في هذا السؤال ـ أعني: وسائل الدعوة، هل هي توقيفية أم اجتهادية؟ ـ إجمالاً في ثلاث لفظات، والألفاظ المجملة ينبغي التحفظ في إطلاقها دون بيان أو تقييد، وهذه اللفظات هي:

ـ لفظة «وسائل الدعوة» من الألفاظ المجملة، التي تحتمل أكثر من معنى: فإن أُريد بوسائل الدعوة: منهج الأنبياء الثابت في الدعوة إلى الله (تعالى) كضرورة البدء بالعقيدة ونبذ الشرك بمختلف صوره.. فلا شك أن وسائل الدعوة

ـ بهذا المعنى ـ لا مجال فيها للاجتهاد ؛ بل هي توقيفية .

وإن أريد بوسائل الدعوة : أساليب الدعوة إلى الله، وطرائق تبليغ الدين من كتابة أومشافهة مباشرة أو غير مباشرة : فلا شك أن وسائل الدعوة بهذا المعنى ليست توقيفية، بل هي خاضعة للاجتهاد والنظر حسبما يحقق المصلحة .

ـ وكذلك : فإن لفظة « الاجتهاد » الواردة في قول القائل : « وسائل الدعوة اجتهادية » من الألفاظ المجملة؛ فإن الاجتهاد يحتمل معنيين : فإن أريد به الاجتهاد غير المنضبط ، وهو القول بالرأي المجرد واتباع الهوى : فلا شك أن وسائل الدعوة ليست اجتهادية بهذا المعنى ، وإن أريد بالاجتهاد إعمال الفكر، وإطالة النظر في إطار الضوابط الشرعية : فيصح القول بأن وسائل الدعوة اجتهادية على هذا المعنى .

ـ وكذلك لفظة « التوقيف » الواردة في قول القائل : « وسائل الدعوة توقيفية »، فإنها من الألفاظ المجملة؛ لأنها تحتمل معنيين : فقد يراد بالتوقيف أولاً : مطلق الدليل الشرعي ـ عامًا كان أو خاصًا ـ ، وعلى هذا المعنى يصح أن يقال : إن وسائل الدعوة ـ من أساليب وطرائق ـ توقيفية، بمعنى : أن هذه الوسائل لا بد أن تضبط بالضوابط الشرعية؛ لئلا تكون ميدانًا لزيادات المبتدعين وتحريف الضالين المضلين .

وقد يراد بالتوقيف ثانيًا : الدليل الشرعي المعين ، بمعنى : أن الأدلة الشرعية الكلية ـ التي قد تدل على اعتبار مثل هذه الوسيلة ـ لا تكفي وحدها دليلاً على صحة هذه الوسيلة واعتبارها شرعًا ، بل لا بد من دليل شرعي يدل دلالة خاصة على اعتبار عين هذه الوسيلة وصحتها من جهة الشرع، ولكن الأخذ بهذا المعنى لا يستقيم ـ كما يشهد لذلك واقع الحال ـ إلا بتحريم جميع وسائل الدعوة العصرية التي لم توجد في عصر النبوة والصحابة، كإنشاء المدارس والمكتبات وما إلى ذلك من الآلات والمخترعات الحديثة المنتشرة في عصرنا هذا؛ ذلك أن هذه الوسائل لم يدل على اعتبارها دليل شرعي خاص .

وزيادة في الإيضاح نقول : إن أصحاب التوقيف الخاص، الذين يذهبون إلى أن وسائل الدعوة توقيفية لا يحل لأحد أن يشرّع فيها ما لم يأذن به الله ـ وهو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ـ اضطروا إلى التزام أمور ثلاثة على الترتيب الآتي :

ـ القول بمنع وتحريم كل ما يسمى وسيلة مما لم يشهد له دليل شرعي خاص .

ـ اعتبار الأخذ بهذه الوسائل من قبيل الابتداع في الدين .

ـ تسمية بعض الوسائل الدعوية الحديثة ـ كالأشرطة ومكبرات الصوت ـ التي دلت على صحتها الأدلة الشرعية العامة دون الأدلة الخاصة باسم آخر، مثل: قالب أو وعاء أو طريقة أداء وبلاغ أو آلات نقل .

وقد غاب عن هؤلاء أن هذه القوالب أو الأوعية التي تقوم بنقل الوسيلة الشرعية ـ كالشريط ومكبر الصوت ـ يمكن أن تسمى بوسائل الوسائل، وقد عُلم أن وسائل الوسائل وسائل، وهذه التسمية مشهورة مذكورة عند العلماء الذين لهم عناية بقضية الوسائل .

المسألة العاشرة: هل الغاية تبرر الوسيلة ؟:

الجواب على هذا السؤال إنما يتضح بعد معرفة أصل ونشأة القول بأن « الغاية تبرر الوسيلة » وهو مذهب الميكيافيليين، وهو مبني على نظرتهم المادية للحياة.

وبالجملة: فلا بد من النظر أولاً في الغاية؛ فإن كانت غاية فاسدة ومقصداً باطلاً: فلا يجوز التوسل إليها ألبتة؛ بل الواجب منع هذه الغاية، ومنع كل وسيلة تؤدي إليها، وهذا ما يعرف بأصل سد الذرائع ، أي منع ذرائع الفساد ووسائله .

ثم: إن كانت هذه الغاية مقصداً شرعيًّا صحيحًا فلا بد من النظر ثانيًا في الوسيلة؛ لأن الوسيلة: إما أن تكون مطلوبة شرعًا، أو ممنوعة شرعًا، أو وسيلة مرسلة؟.

ـ فإن كانت الوسيلة مطلوبة: فالواجب في هذه الوسيلة تحصيلها والالتزام بحكمهما الشرعي، ما لم يترتب على الأخذ بهذه الوسيلة مفسدة أعظم؛ كإنكار المنكر إذا ترتب عليه مفسدة تربو على ذات المنكر ، فالغاية ها هنا لا تبرر الوسيلة، على الرغم من كون هذه الغاية غاية شرعية نبيلة ، وكون الوسيلة أيضاً وسيلة مطلوبة.

ـ أما إن كانت الوسيلة ممنوعة شرعاً: فالواجب في هذه الوسيلة منعها وإبطالها، إلا إن ترتب على الأخذ بهذه الوسيلة الممنوعة دفع مفسدة أعظم ؛ كالكذب للإصلاح بين المتخاصمين، فالغاية ها هنا ـ وهي غاية شرعية نبيلة ـ تبرر الوسيلة، على الرغم من كون هذه الوسيلة في ذاتها ممنوعة، وإنما كان ذلك دفعاً لأعظم المفسدتين بأدناهما .

ـ أما إن كانت الوسيلة مرسلة: فالواجب النظر في ضوابطها على النحو الذي سبق بيانه في شروط اعتبار الوسائل .

نسأل الله (عز وجل) أن يوفق الجميع للعلم النافع والعمل الصالح .

مقاصد التوبة

دعوة إلى السير في مدارج الكمال

(٢من ٢)

بقلم : د.محمد عز الدين توفيق

استهلّ الكاتب الحلقة الماضية ببيان نوعي التوبة وماهية كلٍّ منهما، مع توضيح أهمية التوبة التي تجدد الإسلام (توبة الإحسان)، ثم أخذ يتحدث عن حوافز (دوافع) التوبة، فكان منها: عموم الأمر بها، والتفكر في حقيقة الزمن، والنظر إلى الماضي، والنظر إلى المستقبل، ويواصل الكاتب عرضه لجوانب أخرى. - البيان -

الحافز الخامس: الشعور بالاصطفاء:

لقد مضت سنة الله (تعالى) في الناس أن يكون أهل الهداية قلة وأهل الضلالة كثرة ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود: ١١٩]، ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١ - ٣].

والتفكر في هذه الحقيقة الإلهية، وتتبع شواهدها في التاريخ والواقع: من أعظم الحوافز التي تدعو إلى التمسك بالهداية، والتشبث بأسبابها، والحذر من عوامل سلبها، فالذي يعلم أنه بالتوبة الأولى قد التحق بالموكب الكريم من المؤمنين الصالحين، وانتمى إلى الصفوة المختارة من عباد الله يتقدمهم الأنبياء والمرسلون: يعمل أقصى جهده ليتبوأ أفضل مقعد في هذا الموكب، ويأخذ أحسن موقع في هذا الصف،

ولا يزال يجاهد نفسه ويحملها على الأحسن والأصوب، وحتى يدرك من المراتب ما لا يشاركه فيه إلا القليل من الناس.

وأي شيء يهدده في هذه النعمة، ويحرمه من هذه المعية الطيبة وهذا الجوار المقدس: يبعد عنه ويحذر منه.

هذا الشعور بالاصطفاء الذي يبدأ في القلب عقب التوبة الأولى، ويزداد ويعظم بالتوبة الثانية: هو الذي يهون على النفس سائر المعاصي مهما تكن جاذبيتها؛ لأنه عندما يضع تلك اللذات في كفة، ويضع هذا الاصطفاء في كفة، ويكون ذا عقل ورأي: لا يرجح إلا الثاني، ولا يأنس إلا به، وكيف لا يأنس وقد وجد الطريق ووجد الرفيق؟!.

الحافز السادس: التأسي برسول الله ﷺ:

إن التأسي برسول الله ﷺ فوق أنه فرض واجب، فهو من أعظم الحوافز التي تدعو المسلم إلى تجديد إسلامه باستمرار.

والتأسي برسول الله ﷺ ليس عمل يوم أو ليلة، ولكنه عمل كل يوم وكل ليلة حتى الوفاة، فقد جمع الله (عز وجل) الكمالات البشرية في نبيه ﷺ، وزكى سيرته من فوق سبع سماوات لتكون قدوة للناس، فكل مسلم مأمور أن يدرس هذه السيرة بنيَّة التأسي والاتباع، قال الله (تعالى): ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومن اكتشف هذا المعين: لزمه، واستقى منه، ومنع أي مصدر آخر أن يشوش عليه، وكيف يترك المقطوع به للمظنون، والمعصوم لغير المعصوم؟!.

وما دام المسلم يرى في سلوكه بدعاً ومحدثات وذنوباً وآثاماً، فإنه يشعر بالنقص الحاصل في امتثاله للآية السابقة، فيزداد اقتراباً من سيرة نبيه، جاعلاً الغاية التي يشمر إليها والشعار الذي يسعى نحوه: الأخذ بكل ما كان يفعله نبيه، والإقلاع عن كل ما كان يتركه.

إن الاقتداء برسول الله ﷺ في صلاته، وصيامه، وحجه، وذكره، وطهوره، ودعوته، وفي شأنه كله: حافز من حوافز التوبة الثانية التي تمتد سائر العمر.

وإذا علم المسلم أن النبي ﷺ نفسه ـ وهو المعصوم الذي غفر الله له ما تقدم

من ذنبه وما تأخر ـ قد أُمر بالتوبة والاستغفار في عدة آيات، آخرها عند فتح مكة لما قال الله (تعالى) له: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ ـ ٣].

ماذا يكون حال غيره ممن لا يدري بَعْدُ مصيره، وفي الحديث الذي رواه مسلم يقول رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس: توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب في اليوم مئة مرة».

الحافز السابع: الاقتداء بالسلف الصالح:

الاقتداء بالسلف الصالح فرع عن الاقتداء برسول الله ﷺ، والسلف الصالح هم القرون الثلاثة الأولى التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخيرية، ثم جميع الذين يشبهونهم في الفهم والتطبيق، كيفما كان عصرهم، وكيفما كان بلدهم.

السلفية اتجاه في فهم الإسلام والعمل به، والسلف هم الذين تحققوا بمقومات هذا الاتجاه في كل عصر، الأمثل فالأمثل، وفي حديث العرباض بن سارية (رضي الله عنه)، قال النبي ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله .... فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[1].

فذكر ﷺ سنته، ثم ذكر سنة الخلفاء الراشدين بعده؛ لأنها امتداد لسنته، فقد كانوا (رضي الله عنهم) أشبه الناس به في صلاته وقضائه وجهاده وفي هديه كله، ثم يأتي بعدهم التابعون لهم بإحسان في كل جيل.

ويحتاج المسلم الذي يريد أن يجدد إسلامه ويتوب توبة الإحسان أن ينظر في سيرة من سبقوه، وحازوا قصب السبق في كل فضيلة؛ فعندما يطالع سيرهم: يقف على نماذج رائعة في استغلال الوقت، واستثمار العمر، ومبادرة الأجل بالأعمال الصالحة، وترتيب الأعمال حسب الأولوية، والموازنة بين العبوديات، والشمول في فهم الدين، واليقين العظيم في الجزاء،

---

١) سنن أبي داود، كتاب السنة، ح/٤٦٠٧، وصححه الألباني.

والبعد عن موجبات النقمة والعذاب، ثم ينظر إلى نفسه، فيجدها بعيدة عن كل ذلك، فتتحرك في نفسه غبطة محمودة تحمله على منافستهم في مقاماتهم، والاقتداء بهم في أخلاقهم وأعمالهم ، وقد كتب علماؤنا كتب التاريخ والتراجم لهذا الغرض؛ حتى تبقى التجارب الناجحة في تطبيق الإسلام محفوظة، يستشهد بها الواعظ والخطيب والمربي والداعية والمدرس والشاعر والكاتب، كلٌ في مجاله وموضوعه، وهذه مقتطفات من كتاب صيد الخاطر للشيخ عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ نوردها مثالا لهذه السيرة النموذجية(*) يقول [١]: «تأملت نفسي بالإضافة إلى عشيرتي الذين انفقوا أعمارهم في اكتساب الدنيا ، وأنفقت زمن الصفوة والشباب في طلب العلم، فرأيتني لم يفتني مما نالوه إلا ما لو حصل لي لندمت عليه، ثم تأملت حالي: فإذا عيشي في الدنيا أجود من عيشهم، وجاهي بين الناس أعلى من جاههم، وما نلته من معرفة العلم لا يقاوم ، وما طالت طريق أدت إلي صديق ـ كما يقال ـ، وقد كنت في حلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل؛ لأجل ما أرجو وأطلب» .

«كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج إلى طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى في ضواحي بغداد، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا تحصيل العلم، وأثمر عندي ذلك من المعاملة ما لا يدرك بالعلم، حتى إنني أذكر في زمان الصبوة ووقت الغلمة والعزبة: قدرتي على أشياء كانت النفس تتوق إليها توقان العطشان إلى الماء الزلال، ولم يمنعني عنها إلا ما أثمر عندي من خوف الله (عز وجل)، ولولا خطايا لا يخلو منها بشر ... لقد أخاف على نفسي العجب، غير أنه (عز وجل) صانني وعلمني وأطلعني من أسرار العلم على معرفته وإيثار الخلوة به، حتى لو حضر معي معروف الكرخي وبشر الحافي لرأيتهما زحمة».

١) صيد الخاطر ، ص ٥٩٧.

«وقد رباني (سبحانه) منذ كنت طفلاً، فإن أبي مات وأنا لا أعقل به، والأم لم تلتفت إليّ، فركّز في طبعي حب العلم، ومازال يوقعني على المهم فالمهم، ويحملني إلى من يحملني على الأصوب حتى قوّم أمري...

ولقد تاب على يدي في مجالس الذكر أكثر من مئتي ألف، وأسلم على يدي أكثر من مئتين، وكم سالت عين متجبر بوعظي لم تكن تسيل ...».

هذه نشأة عالم مسلم وكلها تصون وعفاف، وعلم نافع وعمل صالح، ومع ذلك: كثيراً ما يؤنب نفسه، ويرى أنه لم يسلم بعد إسلاماً جيداً، يقول رحمه الله (تعالى) [1]:

«تفكرت في نفسي يوماً محققاً، فحاسبتها قبل أن تحاسب، ووزنتها قبل أن توزن ... ولقد تفكرتُ في خطايا لو عوقبت ببعضها لهلكت سريعاً، ولو كشف للناس بعضها لاستحييت، ولا يعتقد معتقد أنها من كبائر الذنوب حتى يظن بي ما يظن في الفساق، بل هي ذنوب قبيحة في حق مثلي، وقعت بتأويلات فاسدة ... أف لنفسي! وقد سطرت عدة مجلدات في فنون العلم وما عبق بها من فضيلة، إن نُوظِرَتْ شَمَخَتْ، وإن نوصحت تعجرفت، وإن لاحت الدنيا طارت إليها طيران الرخم وسقوط الغراب على الجيف ... أف والله مني اليوم على وجه الأرض وغداً تحتها!، والله إن نتن جسدي بعد ثلاث تحت التراب أقل من نتن إخلاقي وأنا بين الأحباب ... وغداً يقال: مات الحبر العالم الصالح، ولو عرفوني بحق معرفتي ما دفنوني... والله لأنادين على نفسي نداء المكشفين معايب الأعداء، ولأنوحن نوح الثاكلين للأبناء...

واحسرتاه على عُمْر انقضى فيما لا يطابق الرضى، واحرماني من مقامات الرجال الفطناء، يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وشماتة العدو بي، واخيبة من أحسن الظن بي إذا شهدت الجوارح عَليّ، واخذلاني عند إقامة الحجة، سخر ـ والله ـ مني الشيطان وأنا الفطن».

ثم يختم هذه المعاتبة بقوله: «اللهم توبة خالصة من هذه الأقذار، ونهضة صادقة لتصفية ما بقي من الأكدار».

---

(١) ص ٣٧٢.

فإذا كانت نهاية حوار هذا العالم مع نفسه أن يسأل توبة خالصة ونهضة صادقة ، فما أحرى من هو دونه علمًا وعملاً أن يسأل ذلك .

ونؤكد أن المسلم إذا طالت صحبته لسِيَر السلف استوحش من أهل زمانه وأنكر أسلوب حياتهم ، وتعلق بالآفاق العالية التي حلق فيها أولئك الرجال العظماء النبغاء الموهوبون، فهو في كل ساعة مشغول بمنافستهم ومزاحمتهم، وكلما حل بمنزلة من منازل السير: تراءت له أخرى أعلى ، وكلما دهمه كسل أو فتور: تذكر أنه في حلبة سباق، وأي تهاون أو تباطؤ سيلقي به في مؤخرة المتنافسين ، ويزيده تشجيعًا: أن الاجتماع بهؤلاء السلف الصالح هو السير على نهجهم والتخلق بأخلاقهم.

إن الاقتباس من السِّيَر الناجحة والتجارب الموفقة في تطبيق الإسلام يحدث توبة متجددة في حياة المسلم، ويصحح من أوضاعه باستمرار .

الحافز الثامن: حقارة الإنسان بلا إيمان:

إن مما يزكي خطوات المسلم في طريق التوبة: علمه أن الإنسان بلا إيمان كائن تافه حقير ، بل هو لا شيء ، يولد ويحيا ويموت كما ولد ومات الملايين من أمثاله .

ها هو الليل والنهار قد صحبا قوم نوح وعاد وثمود وقرونًا بين ذلك كثيراً، فقرب بهما البعيد، وبلي بهما الجديد، وتحقق بهما الموعود، ولا زالا يسيران في الباقين سيرتهما في السابقين ، أفيكون من التبصر والتعقل تعرض الإنسان الضعيف الفقير لهلاك الأبد ـ إذا أصر على الكفر أو المعصية، وأنفق أيام عمره فيما يغضب الله ويسخطه عليه ـ؟.

أيكون من التعقل أن يعرف الإنسان طريق الأمان ويظل شارداً عنه، والله (سبحانه) يفرح بتوبته ـ إذا تاب ـ كما يفرح المسافر الذي أضل راحلته حتى أوشك الهلاك جوعًا وعطشًا، فوجدها وعليها طعامه وشرابه؟.

كثير من الناس تتضخم عندهم ذواتهم، وتتحول إلى معبود يعبدونه من دون الله، فيظن أنه ذو شان كبير بما عنده من أموال، أو ما يحمله من ألقاب، أو ما عنده من خدم وحشم وولد، وتخدعه الأعراض الزائلة، فيغفل

عن البداية والنهاية، أو الميلاد والممات، وينسى أن ما أدركه من مال وجاه عَرَض حاضر، وعن قريب يزول، قال (تعالى): ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝ كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ [الهمزة: ١ – ٤]، فماله لا يُخلده، بل مثله مثل سائر الناس يموت بأجَله؛ فيترك المال وراء ظهره، ويقدم على ربه وحده.

تضخم الذات وتحولها إلى محور لاهتمامات الشخص، واغتراره بالمكانة والجاه في بلده وقومه: موانع تحول دون الإنسان والتوبة، ولكنه متى علم أنه بلا إيمان كائن حقير، وأنه يموت فيرجع إلى ربه: طلب المكانة اللائقة به، بصفته مخلوقًا كريمًا على الله الذي خلق كل شيء من أجله وخلقه لعبادته.

الحافز التاسع: العلاقة بين الإنسان والكون:

إن الإسلام ليس دين الإنسان فحسب، بل هو دين الكون كله، فالسماوات والأرض وما فيهما خاضع لكلمة الله الواحدة، وكل ما فيهما من كائنات علوية وسفلية مسلم لله عابد له بالكيفية التي تناسبه.

وأي مخالفة ـ مهما كانت هينة ـ تمثل شذوذًا عن كونٍ مسلم خاضع لربه مطيع لخالقه.

هذا الكون إبداع الخلاق العليم، والإنسان جزء منه، فالقوانين التي تحكم فطرته ليست بمعزل عن الناموس الذي يحكم الوجود كله، والله الذي خلق هذا الكون وخلق الإنسان، هو الذي سن للإنسان شريعة تنظم حياته تنظيمًا متناسقًا مع طبيعته، فأي خروج عنها يعني التصادم مع الفطرة والكون.

وإذا كان الحفاظ على هذا الانسجام بين الفطرة والكون مطلبًا عزيزًا؛ لكثرة أخطاء الإنسان وذنوبه: فإن الله (عز وجل) فتح باب التوبة، يدخله العبد كل وقت، فيجدد عهود الخلافة ويصحح ما كان قد انتقض منها، وفي بعض الآثار: أن الإنسان إذا أذنب الذنب تستأذن المخلوقات في إهلاكه، فيقال لها: لعله يتوب، لعله يتوب.

إن الإحساس بالرابطة التي تربطنا بالكون ـ وهي رابطة العبودية لله ـ هو الذي يدفع إلى الالتزام الصارم بأوامر الشريعة؛ لأنها توفق بين نظام الكون ونظام الفطرة، وتكون التوبة التي

تعقب الذنوب أو تجدد الطاعات بمثابة المصالحة التي تعقب الخصام، أو القرب الذي يقرب التباعد والهجران .

الإنسان المسرف على نفسه مثل النغمة النشاز التي تشذ عن أنشودة الكَوْن، أو هي المتسابق الذي يسير في عكس اتجاه الكوكبة، أو هو المصلي الذي يصلي في اتجاه مقابل للقبلة مخالفاً لباقي المصلين.

فلو تذكر الإنسان أنه ليس وحده في هذا الكون، ولو التفت يميناً وشمالاً، ورفع بصره وخفضه، ورأى آيات الله في الآفاق والأنفس، لرأى مخلوقات مقبلة على شأنها، قائمة بحق ربها، فيقبل مثلها على شأنه وينظر في أمر ربه فيلزمه، عند ذلك يشعر بالأُنس، وتزول عنه الغربة التي يشعر بها غيره ، فكيف إذا ترقى من الشعور بالأُنْس مع المخلوقات إلى الأنس بالخالق، فيأنس إلى ربه عندما يشعر أن الله (تعالى) معه، يشهده وينظر إليه، وأن الله (تعالى) معه، يحفظه ويرعاه، وهذه هي جنة الدنيا التي من دخلها دخل جنة الآخرة ـ بإذن الله ـ.

والآن: وبعد أن استعرضنا هذه الحوافز : لا بد أن نؤكد في الأخير أن تجديد الإسلام في حياة المسلم مشروع كبير، وحتى ينجح أي مشروع لا بد أن يمر بثلاث مراحل : الأولى : التفكير والتنظير ، والثانية :التخطيط والبرمجة، والثالثة: التنفيذ والمحاسبة .

فالتوبة التي تصحح سير المسلم إلى ربه مشروع ما بعد الهداية، فليضع له المسلم ما يحتاج إليه من أهداف وبرامج، وهذا الشق العملي لا يُقَال، بل يمارس ويطبق .

نسأل الله (تعالى) أن يرزقنا الإخلاص في القصد، ويلهمنا الصواب في العمل.

---

*) ابن الجوزي عالم وواعظ مشهور، غير أن له بعض السقطات في كتابه صيد الخاطر، انظر: (تهذيب صيد الخاطر) للأستاذ محمود الحداد، وأما عقيدته: فهو يميل إلى الأشعرية، وقد ضمنها تفسيره، وللوقوف على أخطائه العقدية: انظر: رسالة د/ محمد المغراوي عن (التفويض عند المفسرين لآيات الصفات)، أما بحث عقيدته وتسليط الأضواء عليها: فانظر: كتاب (اتحاف أهل الفضل والإنصاف بنقض كتاب ابن الجوزي دفع شبه أهل التشبيه) للشيخ سليمان العلوان، وكذلك كتاب (الصواعق والشهب المرمية على ضلالات السقاف البدعية) للشيخ عبد الرحمن بن يوسف الرحمة.

ـ البيان ـ

الإخلاص وهم الدعوة في حياة الداعية

بقلم :

عبد الحكيم بن محمد بلال

الإخلاص تجريد قصد التقرب إلى الله (تعالى) عن جميع الشوائب.

وهو أمر عزيز، صعب على النفس ؛ لأن كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس، ويميل إليه القلب، ويخفُّ العمل بسببه ، قَلَّ أم كَثُر، إذا تطرق إلى العمل : تكدَّر به صَفْوُه ، وزال به الإخلاص؛ فلذلك قيل : من سلم له لحظة من عمره خالصة لوجه الله نجا !!.

قال أيوب: « تخليص النيات على العمال: أشد عليهم من جميع الأعمال »! [1].

الداعية والإخلاص:

من أحوج الناس إلى الإخلاص: الدعاة؛ لأن أعمالهم أخروية تفتقر إلى النية والإخلاص في كل جزئياتها وإلا ضاعت سدى، ولأنهم أفقر الناس إلى ربهم وأحوجهم إلى عونه وتوفيقه؛ لأن أعداءهم كثر ، ولا ناصر لهم إلا الله، ولا ينجو إلا المخلصون.

وفي ميادين الدعوة إلى الله لا يثبت إلا المخلصون، فلماذا ؟:

ـ يثبتهم الله ويعصمهم من الشيطان ﴿ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر: ٤٠]، وفي القراءة الأخرى ﴿ المخلِصين ﴾ [2].

---

١) انظر: تزكية النفوس، أحمد فريد حسن ، ص ١٠، ١١.

٢) وهي قراءة سبعية ، انظر : البدور الزاهرة، ص ١٧٢.

ـ يورثهم إخلاصهم صبراً ؛ فيعينهم صبرهم على الثبات .

ـ إذا ادلهمت الخطوب لجؤوا إلى الله، وإذا أقفرت السبل تذكروا جزاء الآخرة.

ـ كلما فتروا شحذ إخلاصهم هممهم .

ـ قد ارتاحوا من هموم الدنيا ونَصَبها، إذ تَوحّد همُّهم .

ـ يبارك الله في جهودهم المتواضعة فتثمر الكثير ، فيزداد حماسهم.

ـ يحافظون على نتائج دعوتهم، ويمضون قدمًا .

وإذا تأملنا سير الدعاة على مر القرون وجدنا أن أعظم الناس اهتمامًا بالدعوة: المخلصون، وهم الذين يثبتهم الله ، ويرفع ذكرهم ، ويحيي دعوتهم، ويبارك في جهودهم ، ويجعل العقبى لهم .

وسيَر الأنبياء ومَنْ بعدهم شاهدة على ذلك ، فالأنبياء أكمل الناس إخلاصاً، وأكثر الناس اهتمامًا بالدعوة ، وأعظم الناس انتصاراً ! .

الداعية وهمّ الدعوة:

وكم نحن بحاجة إلى تأمل وتدبر ما قصه الله علينا من قصص الدعاة المخلصين: كمؤمن آل ياسين ، الذي جاء من أقصى المدينة ، وانتهى به المقام في الجنة ، ومؤمن آل فرعون الذي مَحَضَ قومه النصح، وأَبْدَأ وأعاد ناصحًا مذكراً، وناصِح موسى (عليه السلام) الذي انتدب نفسه محذراً لموسى من كيد فرعون وقومه ، بل والعجب من الجن الذين سمعوا القرآن فولوا إلى قومهم منذرين ! .

والأعجب من ذلك: الهدهد الذي بادر ساعيًا في تصحيح العقائد وإزالة الشرك حين رأى من يسجدون للشمس من دون الله .

أفيكون الجن والطير أكثر حرصاً منا على دعوة الناس لدين الله (تعالى)، ونحن الذين كلفنا الله بالدعوة ، وحمَّلنا المسؤولية والأمانة التي أبت السموات والأرض والجبال أن تحملها؟.

إن الدعوة إلى الخير والإصلاح واجب الأمة، وأشرف مهمة ينتدب لها أهل العلم والتعليم، ويتحملونها كما يتحملون سائر التكاليف الشرعية؛ فإن الله



قد جعل التواصي بالحق والتواصي بالصبر أعظم أسباب النجاة ـ بعد الإيمان والعمل الصالح ـ وأمر بالتعاون على البر والتقوى، وجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبباً للرحمة ، وقدمه في الذكر على الصلاة والزكاة، فقال (عز وجل): ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

وجعل (تبارك وتعالى) خيرية هذه الأمة مرتبطة بتحقيق ذلك الواجب.

وقد كانت القضية واضحة غاية الوضوح عند سلف هذه الأمة، فقد كان المسلمون الأوائل إذا أسلم الواحد منهم ، وبايع النبي ﷺ، استأذن النبي ﷺ أو أرسله هو إلى أهله وقومه داعياً لهم إلى دين الله (تعالى)، فيسلم بإسلامه ناس؛ كما فعل أبو ذر ، وربما أسلم قومه كلهم؛ كما حصل للطفيل بن عمرو الدوسي.. والأمثلة أكثر من أن تحصر، وما خبر إسلام خمسة من العشرة المبشَّرين على يد الصديق عنا ببعيد[1].

زاد الداعية:

وأعظم زاد يحتاجه من سلك سبيل الدعوة إلى الله (تعالى): الإخلاص، والعلم الذي يحقق به المتابعة .

وفي هذا الباب تمس الحاجة إلى معرفة فضائل الإخلاص وأسراره، ومخاطر الرياء وآثاره، وأسباب ضعف الإخلاص والوقوع في الرياء، وعلاج ذلك .

وهذه إشارات موجزة لا تكفي عن تفصيل ذلك وتأمُّله كثيراً وتدبره طويلاً.

فضائل الإخلاص:

أما فضائل الإخلاص، فمنها: أنه تحقيق لما أمر الله به، وبه يصح العمل ويتأهل للقبول .

وهو قوة يُعتصم بها من شياطين الجن والإنس، وبه حصول التوفيق والسداد،

---

١) انظر مثلاً: الإصابة، جـ ٤ ، ص ٦٤، جـ٢ ، ص ٣٣٤.



والنجاة والثبات والنصر ، وخلود الذكر الحسن ، وبقاء الثمرة. وبالإخلاص تحصل الهمة العالية ، التي تولد العزيمة الماضية ، التي ينطلق صاحبها في العمل الجاد والإنتاج المثمر، لا يلوي على شيء ؛ لأن الإخلاص جمع قلبه على الله، فلا همّ له إلا مرضاة ربه، فيستوي عنده مدح الناس وذمهم وحضورهم وغيابهم.

والإخلاص سلامة للقلب من الغل والحقد والحسد، والإخلاص يورث القوة في الحق ، والشجاعة والإقدام والصبر ؛ لأنه يربط القلب بالله (تعالى)، فلا يخاف سواه، ولا يرجو إلا إياه ، فيتمثل له كل الخلق كالأموات، لا يملكون من أمر أنفسهم شيئًا .

ومن بركات الإخلاص: أنه يتضاعف به فضل العمل ويعظم أجره، كما أنه يجعل فعل المباحات طاعات يثاب عليها؛ فتكون حياة العبد كلها لله، ومن فضائل الإخلاص: أن أصحاب الأنبياء وجلساءهم الذين أمر الله الأنبياء أن يصبروا أنفسهم معهم: هم المخلصون.

مخاطر الرياء وآثاره:

أما الرياء: فيكمن خطره في كونه أمرًا خفيًّا سريعًا إلى القلب، قد يقع فيه الإنسان من حيث لايشعر ، وقد حذر منه النبي ﷺ ، وخافه على أمته.

ومن مخاطره العظيمة: أنه سبب لحبوط العمل ، وضياع الجهد، ويؤدي بصاحبه إلى النار، فهو فضيحة في الدنيا والآخرة؛ قال ﷺ : «من سمّع سمّع الله به، ومن راءى راءى الله به» [1].

ومن آثاره :الحرمان من الهداية والتوفيق ، وحصول الضيق والاضطراب النفسي، ونزع الهيبة من قلوب الناس، والإعراض من الناس وعدم تأثرهم، وعدم إتقان العمل، والوقوع في غوائل الإعجاب بالنفس، والغرور، والتكبر، وحب الثناء ، والتشبع بما لم يعط .

ومن آثاره على الدعاة : محق بركة الأعمال، وضعف الثمرة أو انعدامها ،

(1) أخرجه مسلم ، ح/٢٩٨٦.

وطول الطريق ، وكثرة التكاليف ؛ فإن الله لا يمكِّن للمرائين، حتى يُمحِّص الصفوف ، ويميز الخبيث من الطيب .

أسباب ضعف الإخلاص :

من الأسباب التي توقع في الرياء وضعف الإخلاص : عدم المعرفة الحقيقية بالله وعظمته واستحقاقه للعبادة والطاعة مع تجريد القصد وإخلاص النية، ومن الأسباب : الرغبة في الصدارة والمنصب، ومنها : الطمع فيما في أيدي الناس، والحرص على الدنيا ، وحب المحمدة والثناء، والخوف من ذم الناس، والغفلة عن عواقب الرياء .

علاج الرياء وضعف الإخلاص :

إن معرفة الأسباب لهي أكبر معين على التخلص من الرياء؛ وذلك بالتزام وسائل المعالجة، التي منها : معرفة الله (عز وجل) حق المعرفة ، واستشعار منته وفضله وتوفيقه، والعلم بما يستحق من العبودية ، وآدابها الظاهرة والباطنة ، وشروطها ، وتعميق حب الله (تعالى) والتعلق بالآخرة في القلب، وتعميق مراقبة الله (تعالى) ومحاسبة النفس، والتوقف عند نوايا الأعمال ، ودفع ما يخطر من موارد الشيطان ووساوسه في الحال ، وترك المبالاة بالخلق ، ومعرفة حقيقتهم، ووضعهم في منزلتهم ومرتبتهم البشرية .

وتذكر عواقب الرياء الدنيوية والأخروية ، وتصور حال المرائين ومصيرهم ، والإكثار من قراءة وسماع النصوص المرغبة في الإخلاص الداعية إليه ، ومطالعة أخبار المخلصين وحكاياتهم : كل ذلك معين على الإخلاص .

ولا بد من اللجوء التام إلى الله والاستعانة به ، فقد قال النبي ﷺ : « يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك؛ فإنه أخفى من دبيب النمل »، فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: « قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلم » (١) .

---

١) المسند ، جـ ٤ ، ص ٤٠٣ .



علامات الإخلاص :

وبعد : فإن للإخلاص علامات تظهر على صاحبها ، يعرفها كلٌّ في نفسه ـ وجوداً وعدماً ـ ، ومنها :

ـ الحماس للعمل لدين الله (تعالى) ، والحرص على الدعوة إليه بدافع ذاتي، وليس بمقتضى العمل الوظيفي فحسب .

ـ المبادرة الذاتية المنضبطة ، والفاعلية، والإيجابية ، وعدم انتظار التكليف من أحد ، بعد التكليف من خالق الأرض والسماء (تبارك وتعالى) .

ـ الصبر، والتحمل، واحتساب الأجر ، وعدم التذمر والتشكي .

ـ الحرص على إخفاء الأعمال الصالحة مثل إخفاء السيئات ، بل أشد .

ـ إحسان العمل وإتقانه في السر، أعظم من إتقانه في العلن .

ـ الإكثار من أعمال السر، فهي أبعد شيء عن الرياء.

علامات الرياء :

أضداد ما تقدم من العلامات هي مظاهر **لضعف الإخلاص**، وشَوْبِه بالرياء ـ عياذاً بالله ـ ، ومن ذلك : التخاذل والتكاسل عن أداء الواجبات ، والحماس للتكليف الوظيفي أكثر من التكليف الشرعي، وكثرة التشكي والتذمر من العقبات والصعوبات ، وتحسين العمل ظاهراً لا باطناً ، والتشوُّق لإظهار الأعمال.. رحماك يارب ، نسألك السلامة والعافية .

وأخيراً : فلا ينبغي أن يوقعنا الحديث عن الإخلاص في ترك العمل خوف الرياء ، فذلك مزلق شيطاني خطير ، يسعى الشيطان ليوقع فيه الصالحين والمصلحين ؛ ليتركوا تبليغ الدعوة وعمل الخير ، بل الواجب : العمل ، مع استمرار محاسبة النفس.. وعلى الله قصد السبيل .

---

*) مراجع أخرى:

١ ـ مدارج السالكين ، لابن القيم .
٢ ـ آفات على الطريق، السيد محمد نوح.
٣ ـ عقبات في طريق الدعاة، عبد الله علوان.
٤ ـ تهذيب موعظة المؤمنين.



النصيحة أم الفضيحة (*)

بقلم:
سعيد بن جمهور الزهراني

كان يقال: ما ارتضي الغضبان، ولا استعطف السلطان ، ولا سُلت السخائم، ولا دفعت المغارم ، ولا توقي المحذور، ولا استميل المهجور: بمثل الهدية والبر ، وقال ابن عبد البر: وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال : «تجاوزوا وتزاوروا وتهادوا؛ فإن الهدية تثبت المودة، وتسل السخيمة»، وقال الشاعر:

هدايا الناس بعضهم لبعض ... تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هوى وودًا ... وتلبسهم إذا حضروا جمالا

ولكن ماذا لو أهديت إلى أخٍ لك بعضاً من عيوبه وتقصيره في أمور دينه، التي قد لا تظهر له ولا يراها ببصره أو بصيرته!، فماذا تتوقع؟! أيقبل هذا منك، أم يرد ما أهديت إن كان ما أهديت حقًّا ؟، قال عمر (رضي الله عنه):«رحم الله من أهدى إليّ عيوبي» .. ومما للمسلم على أخيه المسلم: أن يستر عورته، ويغفر زلته، ويرحم عبرته ، ويقيل عثرته ، ويقبل معذرته، ويرد غيبتَه، ويديم نصيحته، ويقبل هديته، ويجيب دعوته، ويكافئ صلته، ويحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه .. قال ﷺ:«إن الدين النصيحة» ، قلنا : لمن يا رسول الله؟ قال : «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»، ومعنى الحديث: أن قوام الدين وعماده النصيحة، كقوله: «الحج عرفة»، وقال جرير (رضي الله عنه): « بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم »، وقد أخبر القرآن الكريم أن بني إسرائيل استحقوا اللعنة والحرمان والتشريد؛ لأنهم كانوا لا يتناصحون : **﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا**

﴿يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ...﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩] .

وليس أدل على رقي الأمة واستقامة ضمائرها من تمسكها بخلق التناصح فيما بينها ؛ ينصح الأخ لأخيه ، والجار لجاره، والأب لابنه، والأستاذ لتلميذه، والموظف لرئيسه ، والمسؤول لأمته . . . فلا ترى حينئذ إلا حقًّا محترمًا ، وفضيلة يعمل بها ، وثقةً تربط بين الناس بعضهم مع بعض، فلا خيانة ولا غش ولا اتهام ولا تجريح ، فمن يهدي إليك بعضًا مما لاحظه عليك من قصور في أمر الدين فاقبل منه، واعلم أنه يحبك، كما قيل: من أحبك نهاك .. نهاك عن التمادي في الباطل، نهاك عن الوقوع في الرذيلة، نهاك عن كل ما قد يجرح دينك أو خلقك.. ومن أبغضك أغراك، وقد قال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » [1]، وقيل: « النصيحة أمن الفضيحة » !!.

ومن لا يقبل نصح الناصح فهو كالمريض الذي يترك ما يصف له الطبيب، ويعمد لما يشتهيه فيهلك ، قال الله (تعالى) حكاية عن نبيِّه صالح (عليه السلام): ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩] .

قال بعض الحكماء: « اثنان ظالمان: رجل أهديت له النصيحة فاتخذها ذنبًا، ورجل وسع له في مكان ضيق فجلس متربعًا »، وقال أبو حاتم البستي: « النصيحة محاطة بالتهمة، وليست النصيحة إلا لمن قبلها، كما أن الدنيا ليست إلا لمن تركها، ولا الآخرة إلا لمن طلبها » .

وإنك لتقرأ في سيرة سلفنا الصالح من صحابة الرسول و التابعين والعلماء والخلفاء ، فتعجب مما تراه بينهم من صدق اللهجة، ووفاء الأخوة، والقيام بواجب النصح ، والترحيب بالنقد البريء والمواعظ الحسنة، مما تشعر معه أنك إزاء أمة لم تخلد في التاريخ بسيف ولا ظلم ولا تدمير ، وإنما خلدت بخلق قوي، ونفوس كريمة ، وعقول راجحة ، وآداب متماسكة.

هذا عمر (رضي الله عنه) يقول: « أيها الناس: اسمعوا وأطيعوا »، فيقوم إليه

---

١) أخرجه الستة ، عدا أبي داود.

رجل ليقول له: لا والله، لا نسمع ولا نطيع! .. فيسأله عمر عن ذلك ، فيجيب بأنهم: يشكُّون فيما يلبس عمر من ثياب، ويطلبون لذلك حسابًا عليه ، ويسألونه من أين لك هذا يا أمير المؤمنين، فلا يضيق عمر بطلب الرعية، ولكنه يقدم له حسابه، حتى إذا اقتنع الناس بطهارة يد عمر، قال قائلهم: الآن سمعًا وطاعة .

ليس منا من لا يخطئ ولا ينحرف عن سنن الحق ، بل فينا من الغرائز والطباع ما يميل بنا إلى الرشد والغي ، والخير والشر .. وما أجمل قول الشاعر:

من ذا الذي ترضى سجاياه كلها ؟ كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

بل ما أروع قول الله (تبارك وتعالى) في وصف النفس الإنسانية على حقيقتها ، حين يقول حاكيًا عن امرأة العزيز : ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي** ﴾ [يوسف: ٥٣]، وليس كل إنسان يعرف خطأه أو يهتدي إليه ، وبذلك كان من حق الأخ على أخيه ، أن يبصره بعيبه وينصح له في أمره..

قال أبو حاتم البستي: «النصيحة تجب على الناس كافة ، ولكنَّ إبداءها لا يجب إلا سرًّا؛ لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه، ومن وعظه سرًّا فقد زانه، فإبلاغ المجهود للمسلم فيما يزين أخاه أحرى من القصد فيما يشينه». وعلامة الناصح الذي أراد زينة المنصوح له: أن ينصحه سرًّا، وعلامة من أراد شينه: أن ينصحه علانية ، فليحذر العاقل نصحه الأعداء في السر والعلانية ..

حقيقة النصيحة:

قال (عليه الصلاة والسلام): «إن الدين النصيحة» ثلاثًا ... وهذا يشمل الدين كله ، والخير كله، والبر كله ، ولهذا: عندما قال الصحابة (رضوان الله عليهم): لمن يا رسول الله؟، قال :«لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» [١].

فدينك ـ أيها المسلم ـ النصيحة، كأن الدين كله تجمعه كلمة واحدة، هي:

---

١) أخرجه مسلم والترمذي وأحمد ابن حنبل والنسائي، واللفظ له.

النصيحة، فلا بد أن يكون المسلم ناصحاً مخلصاً في نصحه.

والنصيحة تجمع أمرين: الإخلاص والصدق، فكأنك بهذه الكلمة تقول: كن مخلصاً وكن صادقاً، فإن الرجل إذا نصحك وكان نصحه حقاً، ولكنه لم يكن عن إخلاص، لا يسمى ناصحاً، وكذلك: لو كان مخلصاً في قوله ولكنه لم يكن صادقاً: فإنه أيضاً لا يسمى ناصحاً، فحقيقة النصيحة ما يجمع معنيي الإخلاص والصدق، ولهذا قال رسول كريم: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢]، وقال آخر: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨]، فلا بد أن يكون كل واحد منا ناصحاً أميناً، ينصح لهذه الأمة كما بين النبي ﷺ، ولا بد أن يسأل الإنسان نفسه عن ذلك: هل أنا ناصح فعلاً؟، وهل نصحت بحق؟، وهل قمت فعلاً بهذا الواجب؟، هذه أسئلة لا بد أن يتأملها المسلم مع نفسه، ومع إخوانه؛ لينظر ما موقعه من ذلك الحديث الشريف الذي هو من جوامع كلمه ﷺ، ومثله أو قريبٌ منه قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1]، ومقتضى هذا الحديث المحبة، والمحبة لا تتعارض مع النصح، بل تقتضيه ويقتضيها، أن أحب لأخي ما أحب لنفسي.. من هو أخي؟! أيّ أخٍ هذا المقصود؟.. لا شك أنه هو المسلم، كما قال ﷺ: «المسلم أخو المسلم»[2]، وكما قال ﷺ: «وكونوا عباد الله إخواناً»[3]، فيجب عليك أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، تحب لنفسك أن تفوز بالجنة، فيجب أن تحب لأخيك الفوز بالجنة، وتحب لنفسك أن تنجو من النار، فيجب أن تحب لأخيك أن ينجو من النار، وتحب أن تعطى من الخير، كذلك يجب أن تحب لأخيك المسلم...

مراتب النصيحة:

وحتى تؤدي النصيحة ثمرتها في نفس المنصوح يلزم أن يُلحظ في أهدافها المراتب التالية:

---

١) سبق تخريجه.

٢) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

٣) أخرجه الشيخان وابن ماجة.

مقال

أولاً : التثبت، فلا تبادر إلى تصديق كل ما يقال عن أخيك المسلم من جار أو صديق، لا تصدق كل ما يُقال ولو سمعته من ألف فم ، وإنه يجب عليك عدم إساءة الظن بالآخرين، قال (تعالى) : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾ [الحجرات : ١٢]، وقال : ﴿ **وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** ﴾ [النجم : ٢٨] .... وإذا رأيت أمرًا أو بلغك عن صديقك كلامٌ يحتمل وجهين، فاحمله محملاً حسنًا، وأنزله منزلة الخير ، فذلك ألصق بالأخوة، وأجدر بمكارم الأخلاق .

قالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها طلحة بن عبد الرحمن بن عوف ـ وكان أجود قريش في زمانه ـ : ما رأيت قومًا ألأم من إخوانك ! قال لها: مه ! ولم ذلك؟ قالت : أراهم إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك، فقال لها : هذا والله من كرم أخلاقهم، يأتوننا في حال قدرتنا على إكرامهم، ويتركوننا في حال عجزنا عن القيام بحقهم .. فانظر كيف تأول صنيع إخوانه .

ثانيًا: أن تقدر طبائع الناس وغرائزهم، وأنهم ليسوا ملائكة ولا أنبياء، فلا تطمعْ ألا تعثر على زلة أو هفوة أحد من إخوانك، ولكن احمل ذلك على الضعف الإنساني الذي لا يكاد يخلو منه أحد، وعلى الغرائز التي لا ينجو من سلطانها إلا الأقلون ، وانظر أنت في نفسك ، ألا تقع في مثل تلك الزلات؟، ولهذا قال الشافعي (رحمه الله تعالى) : ما من أحد من المسلمين يطيع الله ولا يعصيه، ولا أحد يعصي الله ولا يطيعه، فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل .

ثالثًا : ألا تحكم على الأمر الذي تريد إنكاره بالخطأ أو الانحراف من وجهة نظرك فحسب، بل انظر إليه من وجهة نظر صاحبه أيضًا ، فقد يكون مجتهدًا فيما اعتقد من رأي ، متحريًا الخير فيما سلك من سبيل ، فلا تسارع إلى الإنكار عليه ، ما دام من الممكن أن يكون له وجهة من الحق .

رابعًا: أن يكون النصح سرًّا لا أمام الناس ، ولا على ملأ من الأشهاد؛ فإن النفس الإنسانية لا تقبل أن يطلع أحدٌ على عيبها ، وإنك إذا نصحت أخاك سرًّا

كان أرجى للقبول، وأدل على الإخلاص ، وأبعد من الشبهة ، ولقد كان من أدبه ﷺ في إنكار المنكر ، أنه إذا بلغه عن جماعة ما ينكر فعله لم يذكر أسماءهم علنًا، وإنما كان يقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا..»، فيفهم من يعنيه الأمر أنه المراد بهذه النصيحة.

قال رجل لعليّ (رضي الله عنه) أمام جمهور من الناس: يا أمير المؤمنين، إنك أخطأت في كذا وكذا ، وأنصحك بكذا وكذا، فقال له علي: «إذا نصحتني فانصحني بيني وبينك ، فإني لا آمن عليك ولا على نفسي ، حين تنصحني علنًا بين الناس ».

فإذا استوت لك هذه الخطوات ، ورأيت النصيحة واجبة ، كان عليك أن تؤديها برفقٍ وحكمة وأسلوب لا يُنَفِّر مَن تنصحه ، ولا تبدو أنك متعال عليه، معلم له ، وإلى هذه الآداب أرشدنا الله (تعالى) بقوله: ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** ﴾ [النحل: ١٢٥]، ولقد قالوا في وصف الرسول (عليه أفضل الصلاة والسلام): « إنه ما كان يواجه أحدًا بشيء يكرهه»؛ ذلك أن النصيحة إذا خرجت عن الرفق واللين، كانت غلظة وقسوة تنفر القلوب ولا تفتحها، وتبعد الناس عن الخير ولا تقربهم إليه.

فيعلم مما تقدم ـ كما ذكر ﷺ ـ : أن النصيحة تشمل الدين كله: أصوله وفروعه ، حقوق الله وحقوق رسوله ، وحقوق الخلق كلهم ، أهل الحقوق العامة والخاصة، فمن قام بالنصيحة على هذا الوجه فقد قام بالدين، ومن أخل بشيء مما تقدم فقد ضيع من دينه بقدر ما ترك ، فأين النصيحة ممن تهاون بحقوق ربه فضيعها ، وعلى محارمه فتجرأ عليها ؟، وأين النصيحة ممن قدم قول غير الرسول على قوله ، وآثر طاعة المخلوق على طاعة الله ورسوله ؟ وأين النصيحة من أهل الخيانات والغش في المعاملات؟، وأين النصيحة ممن يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وممن يتبعون عورات المسلمين وعثراتهم؟، وأين النصيحة من أهل المكر والخداع؟، وأين النصيحة فيمن يسعى في تفريق المسلمين وإلقاء العدواة والبغضاء بينهم؟، وأين النصيحة ممن يتملقون عند اللقاء بالمدح والثناء،

ويقولون خلاف ذلك في الغيبة عند الأعداء وعند الأصدقاء ؟، وأين النصيحة ممن لا يحترم أعراض المسلمين ولا يرقب فيهم إلاًّ ولا ذِمة؟، وأين النصيحة من المتكبرين على الحق والمستكبرين على الخلق، المعجبين بأنفسهم، المحتقرين لغيرهم؟، فهؤلاء كلهم عن النصيحة بمعزل، ومنزلهم فيها أبعد منزل، وكل هؤلاء قد اختل إيمانهم، واستحقوا العقوبات المتنوعة، وحرموا من الخير الذي رُتِّب على النصح، وحرموا من الأخلاق الفاضلة، وابتلوا بالأخلاق السافلة، أولئك هم الخاسرون .

فطوبى للناصحين حقيقة، ما أعظم توفيقهم ، وما أهدى طريقهم ، لا تجد الناصح إلا مشتغلاً بفرض يؤديه ، وفي جهاد نفسه عن محارم ربه ونواهيه ، وفي دعوة غيره إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وفي التخلق بالأخلاق الجميلة والآداب المستحسنة، إن رأى من أخيه خيراً أذاعه ونشره، وإن اطلع على عيبٍ كتمه وستره، إن عاملته وجدته ناصحًا صدوقًا ، وإن صاحبته رأيته قائماً بحقوق الصحبة على التمام ، مأمونًا في السر والعلانية .

وأخيراً : فهذا حديث النصيحة في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى فقه آدابها وشروطها ، بعد أن استشرت العداوات ، وكثرت الخصومات، وساءت التهم ، وأفرطت الأقلام والألسنة في النقد بحق وبغير حق ، فهل لنا أن نطمع من النقاد أن يقفوا عند حدود الحق فيما ينقدون ؟، وهل لنا أن نرجو الناصحين أن يبتعدوا عن مجال الشبهة فيما ينصحون بمنهج حكيم ومنطلق سليم؟.

---

*) رجع الكاتب إلى مراجع عدة، من أهمها:

١ ـ دليل الفالحين شرح رياض الصالحين، ابن علان .

٢ ـ أخلاقنا الاجتماعية، تأليف د. مصطفى السباعي.

٣ ـ المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي .

٤ ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ، الراغب الأصفهاني

٥ ـ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، لأبي حاتم البستي .

٦ ـ العقد الفريد، لابن عبد ربه .

هل فينا ضيغم؟

شعر: حفيظ بن عجب آل حفيظ

نار بصدري والفؤاد تضرَّمُ ... ودموع عيني يستفيض بها الدمُ

فالمسلمون دماؤهم مَسفوحة ... وعدوهم في أرضهم يتحكمُ

والظالمون مع العدو تآمروا ... وتعاهدوا عهداً علينا يبرمُ

فالليل داجٍ والكروبُ طويلة ... وبناؤنا في كل أرضٍ يهدمُ

وبكاء أمتنا يشق سماءنا ... فإلى متى يا أمتي نتألمُ

وإلى متى يبقى العدو يدوسنا ... ونموت لا نسعى ولا نتكلمُ

وسليبة الإسلام تندب أهلها ... وتصيح لكن ليس فيهم ضيغمُ

فتقول ويحكمو أما فيكم فتًى ... كابن الوليد إلى العدا يتقدمُ

يا أمة الإسلام قدسك ضيعت ... وحماة دار المسلمين استسلموا

فتلفتي نحو العدو فربَّما ... خرج المخلِّصُ من ديارٍ تحرمُ

فَلَكَمْ رأينا مسلمًا في أرضهم ... يدعوا إلى التوحيد بل ويعلِّمُ

ولكم رأينا زهرة في وحلةٍ ... خرجت تبث عبيرها وتنمنمُ



صلاحنا بما صلح به أوائلنا



بقلم : محمد عبد الأعلى

في ظل حالة من الوهن وعدم التمكين، وعلى إثر محاولات عدة للبعث الإسلامي؛ بدافع الحب للإسلام، ورغبة في استنهاض المسلمين ، وفي أجواء شاعت فيها ثنائيات ومفردات : تقدم .. تأخر ، تنمية ... وتخلف، أصالة ، معاصرة، رجوع إلى الهوية ... فرضت تلك المصطلحات على ساحة الفكر ، وبدا الناس أسارى أطرهن ، لا ملجأ لهم إلا إليهن ، وبدا إسلاميون وكأنهم يدورون في الفلك ذاته، وليست المشاحة أن تتحدث بلسان القوم لتُبيِّنَ لهم ، ولا أن تتعرف لسانهم لتَتَبيَّنَهم ، وإنما الخطورة أن يكون الخطاب الإسلامي رجع صدى للخطاب القومي، الذي هو ـ في معظمه ـ صدى ومحاكاة للخطاب الغربي، الذي وصل إلى كل أذن عبر عجائب الاتصالات المعاصرة.

بات الغيورون من المسلمين عاكفين على تلمس طوق النجاة للأمة ، والتعرف على أسباب عودتها العود الحميد إلى أيام عزتها ، فيمم بعضهم وجهه شطر الحضارة الغربية، ممسكًا بمصباحها، يتجول في جنبات نصوص الإسلام وتاريخه، يتلمس من خلالها الحلول (الحضارية)، ويبحث في معطياتها عن طوق النجاة (الحضاري) ، وكأن الحضارة هي الغاية، فلنبحث عن «الإسلام ومشكلات الحضارة» ، وكأن النهضة هي الهدف، فلنبحث عن «شروط النهضة»، حتى ذهب بعضهم إلى القول: «إن الرسول ﷺ قد اتبع كل قواعد العمران البشري والمادي في سبيل إنشاء المجتمع الذي أرسل من أجله» (١).

---

١) انظر : المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، د. محسن عبد الحميد ، ص ٦٣، ٦٤.

وبين يدي الشروع في مناقشة ذلك الطرح أحسبني في حاجة إلى إيضاح :

أن المسلمين وإن كانوا صنعوا حضارة وكانت قيم الإسلام وهديه عاملاً رئيسًا في حركتهم لصنعها ، إلا أنهم لم تقم قائمتهم بقواعد العمران البشري والمادي ، ولم يُخرَجوا للناس أمةً من أجل هذا .

المثال الأول :

لقد كان العالم يسير سيره الطبيعي قبل بعثة النبي ﷺ ، ولم يكن ينكر من أمر معاشه شيئًا : كانت الزراعة ، وكانت التجارة ، وكانت الصناعة ، كانت المدن عامرة بالسكان، والعواصم الكبرى زاخرة بالعمران ، كان واديا النيل والفرات بساتين وحقولاً ، فاضت لبنًا وعسلاً ، بل إن أرض يثرب كانت خضراء منتجة، وحدائق الطائف كانت عامرة مثمرة ، كان أنباط الشام، وأقباط مصر، وأهل الصين ـ بل يهود يثرب ـ قد أحكموا أمر التجارة، وانتشروا في أرجاء العالم المعمور بقوافلهم غادية رائحة ، وكانت الأسواق مشحونة بالمتاجر والبضائع ، وكانت الحكومات والإمارات غنية بأموالها ورجالها ....

لم يكن في الحياة الإنسانية عوز أو فراغ ، ولم تكن رئاسة المدنية وقيادة الحضارة وظيفة شاغرة تحتاج إلى من يملؤها، لم يكن العالم في حاجة إلى أمة تبعث في واد غير ذي زرع!!...كانت كأس الحياة مترعة لا تطلب المزيد، ولم يكن العرب وجهاء ذلك الركب أو كانوا أعضاء بارزين فيه، لقد كانوا ـ حقًا ـ في ذيل الركب وعلى هامش فعالياته .

جاء في البداية والنهاية: « ... فتكلم يزدجرد فقال : إني لا أعلم أمة في الأرض كانت أشقى ولا أقل عددًا ولا أسوأ ذات بَيْنٍ منكم ، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي ليكفوناكم ، لا تغزوكم فارس ولاتطمعون أن تقوموا لهم، فإن كان عددكم كثر فلا يغرنكم منا ، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتًا، وأكرمنا وجوهكم ، وكسوناكم ، وملّكنا عليكم ملكًا يرفق بكم .. فقال المغيرة بن شعبة: أيها الملك ، إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالمًا ؛ فأما ما ذكرت من سوء الحال، فما كان أسوأ حالاً منا، وأما جوعنا فلم يشبه الجوع :



كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات، ونرى ذلك طعامًا لنا ، وأما المنازل فهي ظهر الأرض ، ولا نلبس إلا من غزل أوبار الإبل وأشعار الغنم ، وحالنا قبل اليوم على ما ذكرت ، فبعث الله إلينا رجلاً ... »[١] ، وروي أن كسرى لما علم ببعثة النبي ﷺ ، أرسل إليه بضعة جنود يأتون به في الأصفاد !.

وذكر الوليد بن مسلم : « أن ماهان طلب خالداً، يعني : ابن الوليد (رضي الله عنه) يبرز إليه ، فيجتمعا في مصلحة لهما ، فقال ماهان : إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم إلا الجهد والجوع، فهلموا إليّ أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاماً، وترجعون إلى بلادكم ، فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها »[٢].

لقد كان واقع هذه الأمة ببداوتها ، والأمم التي عاصرتها بحضارتها واقعًا واحداً بميزان الله : « إن الله نظر إلى أهل الأرض جميعًا ، فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب »[٣] ، لقد أجمل هذا النص الكريم القضية تشخيصًا وعلاجًا ، لم يكن الهدف منازلة حضارية ، لقد كان بعث أمة لغرض سام ، لمهمة طال عهد الإنسانية بالبعد عنها، ذلك هو ما خاطب به الله (عز وجل) هذه الأمة بقوله : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

لقد كان صراعًا طويلاً ، لم يكن نزاعًا في أغراض المادة ، لم يكن صراعًا على الاستئثار بالأسواق ، ولا التسابق في الصناعة والتجارة، وإنما كان صراع الإسلام والجاهلية بمعنى هاتين الكلمتين : نزاعًا بين حياة العبودية والانقياد لله (تعالى) والحياة المطلقة التي لا تعرف قيداً، ولا تخشى معاداً ولا حساباً .

لقد كان من حلقات ذلك الصراع : غزوة بدر ، التي قاد فيها النبي ﷺ عدداً من المقاتلين لا يزيد عن ثلاثمئة وثلاثة عشر قبالة جيش فيه ألف محارب ، فزع

---

١) البداية والنهاية ، جـ٧ ، ص ٤١ ، ٤٢ .

٢) المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص ٤١٠ .

٣) أخرجه مسلم ، وأحمد في المسند .



النبي ﷺ إلى الله (تعالى) في إنابة نبي وإلحاح عبد، ودعاء مضطر ... في كلمات صريحة واضحة هي خير تعريف بهذه الأمة ومهمتها التي أخرجت من أجلها ، وغاية التغيير الذي ستتحمل أمانته ، لم يقل الرسول ﷺ : لو هلكت هذه العصابة ، وكانت فريسة للعدو ؛ أقفرت المدينة، وأوحشت الأسواق ، وكسدت التجارة ، ولم يظهر المجتمع الحضاري المنشود ، وفات العالمين فرصة ظهور حضارة وثابة ، بل قال ﷺ : « اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد في الأرض» [1] « فكأنما كان بقاء المسلمين مشروطًا بقيام حياة العبودية بهم وقيامهم بها »[2] .

لقد انتصرت الدعوة ، وقام المجتمع المسلم في المدينة ، وفتحت مكة، وأتم الله النعمة بإتمام الدين عقيدة وشريعة ، والمرء لا يلحظ تفوقًا عمرانيًا ماديًا داخل حدود الدولة التي تركها رسول الله ﷺ ، لقد ترك الرسول ﷺ مجتمعًا قيميًا صنعه وحكمه منهج ، كان إنجاز الرسول ﷺ رجالاً وعوا الرسالة واستوعبوا القضية ، فخرجوا إلى الناس يقولون: « ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام» ، وكان إنجازهم أن أدوا المهمة على التمام ، فقد خلصوا الأمة الرومية من عبادة المسيح والصليب والأحبار والرهبان (أعني: من أسلم منهم) ، وخلصوا الأمة الفارسية من عبادة النار ، وخلصوا الهنود من عبادة البقر .. أخرجوهم حقًا من جور الأديان إلى عدل الإسلام .

لقد تحير أصحاب الموازين المادية في تعليل صعود هذا المجتمع وانتصاره: هذه القوة القاهرة بعد ذلك الضعف الشديد ، وهذا النشاط العجيب بعد ذلك الخمود والسبات العميق ...! يقول المؤرخ جبون : « بقوة واحدة ونجاح واحد زحف العرب على خلفاء أغسطس في الروم واصطخر في فارس، وأصبحت الدولتان المتنافستان في لحظة ساعة واحدة فريسة لعدو لم يزل موضع الازدراء

---

١) أخرجه أبو داود.

٢) إلى الإسلام من جديد ، أبو الحسن الندوي ، ص ١٥ .

مقال

والاحتقار منهما ، في عشر سنوات من أيام حكم عمر أخضع العرب لسلطانه ستة وثلاثين ألفًا من المدن والقلاع، خربوا أربعة آلاف كنيسة ومعبد للكفار، وأنشؤوا أربعة عشر ألفًا من المساجد لعبادة المسلمين، وعلى بعد قرن من هجرة محمدﷺ من مكة، امتد سلطان خلفائه من الهند إلى المحيط الأطلاطيكي، رفرف علم الإسلام على أقطار نائية كفارس وسورية ومصر وإفريقية وأسبانيا»[١].

ويقول هـ .أ.ل. فيشر : « لم يكن هناك للعرب قبل الإسلام أثر لحكومة عربية أو جيش منظم ، أو طموح سياسي عام ، كان العرب شعراء خياليين ، إنهم كانوا على نظام منحط من الشرك ... بعد مئة سنة حمل هؤلاء المتوحشون الخاملون لأنفسهم قوة عالمية عظيمة ، إنهم فتحوا سورية ومصر وجزءاً من البنجاب ، إنهم انتزعوا إفريقية من البيزنطنيين والبربر، وإسبانيا من القوط، وهددوا فرنسا في الغرب، والقسطنطينية في الشرق » [٢] .

لم ينتصر المسلمون في عصر النبوة ولا في عصر الخلافة الراشدة لعدد أو عدة، فإن قلة عددهم وضعف عدتهم من المسلمات التاريخية التي لا يُجَادَلُ فيها ، ولم يكن العرب متفوقين أيضًا في النظام الحربي ، ولم يكن هناك منهج حضاري اتبع فيه الرسول قواعد العمران البشري والمادي، إن « منبع هذه القوة ، وسبب هذا الانقلاب العظيم الذي لا يوجد له مثيل في التاريخ : أن العرب أصبحوا بفضل تعليم محمد ﷺ أصحاب دين ورسالة ، فبعثوا بعثًا جديداً ، انقلبوا في داخل أنفسهم ، فانقلبت لهم الدنيا غير ما كانت ، نظروا إلى العالم حولهم ـ وطالما رأوه في جاهليتهم بدهشة واستغراب ـ فإذا الفساد ضارب أطنابه، وإذا الظلام مخيم على العالم كله، وكل شيء في غير محله . . »[٣] .

لقد تعلقوا بمثل قول الرسول ﷺ : « زويت لي الأرض حتى رأيت مشارقها

---

١) عن : إلى الإسلام من جديد ، لأبي الحسن الندوي .
٢) عن : إلى الإسلام من جديد ، لأبي الحسن الندوي .
٣) عن : إلى الإسلام من جديد ، لأبي الحسن الندوي .



ومغاربها، وأعطيت الكنزين الأصفر (الأحمر) والأبيض (يعني الذهب والفضة) وقيل لي: إن ملكك إلى حيث زوي لك...»[1]، وقوله: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»[2]. لقد كان وعداً لصحابته ﷺ توفرت فيهم شروطه، وانتفت عنهم موانعه؛ فتحقق لهم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥].

ولقد طال على المسلمين الأمد، ونسوا ما ذكروا به، وقد كثر عددهم وعدتهم، ولكنهم صاروا يحكمون الناس حكم الناس على الناس، وأشبهوا الأمم التي خرجوا يقاتلونها بالأمس، عادوا فقلدوها في مدنيتها واجتماعها وسياستها وأخلاقها ومناهج حياتها مما مقتها الله من أجله، فابتلاهم الله (عز وجل) بالمغول (أشقى أمم الأرض وأخملها وأجهلها) فوضعوا فيهم السيف وأجروا دماءهم سيولاً وأنهاراً.

إلا أن المسلمين في هذه الظلماء التي غشيتهم والفتنة التي عمتهم، كلما أفاقوا من سكرتهم وأصلحوا شأنهم واستنزلوا النصر: أتاهم نصر الله، كما حدث ذلك في عين جالوت على يد القائد صلاح الدين (رحمه الله).

من هنا نعلم:

بعد ذلك الاستعراض الطويل، فإن المتأمل يلحظ أن المد والجزر في حياة المسلمين أفراداً وجماعات وأمةً له مؤشر واحد، هو: الإيمان الحي الصحيح... إن أكبر مهمة في هذا العصر وكل عصر، وأعظم خدمة وأجلها للأمة هي: دعوة السواد الأعظم منها إلى الانتقال من صورة الإسلام إلى حقيقته، ودعوة سائر البشرية إلى حقيقة الإسلام، ليس من خلال قناة فكرية ضيقة ولا مذهبية محدودة، إنما من خلال رحابة تعاليم هذا الدين، وكما فهمه سلفنا الصالح حتى



١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الفتن، ح/٣٩٥٢.

٢) أخرجه أحمد في المسند.

لا نضيع في دوامة المفاهيم والمنطلقات... رحابة لا تتملق العواطف، وإنما تأتلف القلوب، ولا تترك الحق، وإنما تقوِّم العقول، وتحاورها، وتعود بها إلى النهج القويم ... نعم إنه صراع متعدد الجوانب، متشعب المجالات، يحتاج إلى صبر ومثابرة ، أولاً ـ وقبل كل شيء ـ على العلم واستبصار تلك الحقيقة .

علينا ونحن نستشرف عودة إلى الإسلام وبعث الأمة من جديد أن نستعرض ذلك المثال الذي كان شاخصاً في خير القرون ، علينا أن نستجلي حقائقه ونتبين معالمه، ولسنا مضطرين في الوقت ذاته أن نجترئ على مقام النبوة فنجعل الرسول قد اتبع قواعد ...! لنا أن نجتهد فيما هو جائز، ونتحمل نتائج الاجتهاد سلباً أو إيجاباً، ولكن ليس لنا أن نقحمه في منهج الله بالقطع .

ولا يحسبن القارئ الكريم: أن كاتب السطور يحشد الأدلة، ويعد العدة لهجمة على الحضارة بعقل جامد، تاهَ في سراديب الماضي؛ ولا يدري ما نزل بساحته من صدى صراع رهيب يفيض في كل أرجاء المعمورة، أو تعامى عن إيجابيات الحضارة الغربية في كثير من مناحي الحياة، وليس همه ـ كذلك ـ إنكار سنن الله الكونية في معاش عباده أو إنكار عمل الأسباب .

إنني أدندن حول ترسيخ وتأصيل : أن الإسلام لا ينصر بأدوات غيره، وأن المسلمين يبعثون من جديد بنفخة من أصل الإيمان، حتى إذا شب المجتمع المسلم، فلا عليه أن يأخذ بأسباب القوة التي يشترك فيها البشر بوصفهم بشراً ، ولا بوسائل الدعوة التي لا حرج فيها شرعاً .

كما إنني أؤكد على عدم الانزلاق إلى ما يمكن وصفه (بالتفسير الحضاري للإسلام) بحيث تحجب معالم الهدى في سيرة الرسول ﷺ وهديه ، ولا تعرض للناس إلا من خلال لون واحد، وقد وُضِعَ على الأعين منظار التنظير الحضاري المعاش .

لقد كان المنهج :كان الكتاب ، كانت السنة، كان كل ذلك هو القوة التي سخرت الأسباب؛ فضعضع المسلمون الأكاسرة والقياصرة ، ودان لهم الملوك والجبابرة.

لقد تحقق ذلك للمسلمين مرتين :

يوم أن خرجوا مواكبَ من نور ، تفتح البلدان التي فاقتهم حضارة وتميزوا عنها بالإيمان ، ويوم أن عادوا إلى الإيمان فهزموا التتار بعد أن كانوا قد دحروهم والمسلمون فوقهم في ميزان الحضارة .

ولايزال صلاح آخر الأمة ممكنًا ـ بإذن الله ـ بما صلح به أولها .

فلدينا رصيد الفطرة ، ولدينا رصيد التجربة ، ولدينا الطموح الكبير لإعادة العزة والتفوق لمجتمع المسلمين، انطلاقًا من القول النبوي الحكيم : «لا تزال طائفة من أمتي على الحق . . »، وقبل ذلك قول الله (تعالى) : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨] .

والله المستعان

إن مع العسر يسراً

بقلم: محمد بن عبد الله الدويش

وعد من الله (تبارك وتعالى) وهو لا يخلف الميعاد ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦].

وإذا جاز تخلف وعود البشر و تبدل قوانينهم، فوعد الله لا يتخلف، وسنة الله لا تتبدل، إنه وعد من الله (سبحانه) يتجاوز حدود الزمان والمكان، ولا يقف عند حدٍّ من وما نزلت فيه الآيات.

وقد فهم منها السلف هذا المعنى الواسع، فقالوا: لن يغلب عسر يسرين، وقالوا: لو كان العسر في جحر ضب لدخل عليه اليسر فأخرجه.

إذا اشتملت على اليأس القلوب	وضاق لما به الصدر الرحيبُ
وأوطأت المكاره واطمأنت	وأرست في أماكنها الخطوبُ
ولم تر لانكشاف الضر وجهًا	ولا أغنى بحيلته الأريبُ
أتاك على قنوط منك غوثٌ	يمن به اللطيف المستجيبُ
وكل الحادثات إذا تناهت	فموصول بها الفرج القريبُ



بل يربط الله ذلك بالتقوى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

وسنة الله (تبارك وتعالى): أنه حين تشتد الأزمات وتتفاقم: يأتي اليسر والفرج، أرأيت كيف فرج الله للأمة بعد الهجرة وقد عاشت قبلها أحلك الظروف وأصعبها؟ وفي الأحزاب حيث بلغت القلوب الحناجر وظن الناس بعدها الظنون، بعد ذلك كانت مقولة النبي ﷺ، وهي مقولة صدق: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا»(١)، وحين مات النبي ﷺ، وضاقت البلاد بأصحاب النبي ﷺ، وارتد العرب، وأحدق الخطر: ما هي إلا أيام وزال

١) رواه البخاري (٤١١٠).

الأمر، وتحول المسلمون إلى فاتحين لبلاد فارس والروم، وصار المرتدون ـ بإذن الله ـ بعد ذلك جنوداً في صفوف المؤمنين .. والعبر في التاريخ لا تنتهي .

فهل يعي المسلمون اليوم هذه الحقيقة وهم يعيشون أزمة البعد عن دين الله، والإعراض عن شرعه، وانتشار ألوان الفساد ، وفي المقابل: التآمر في كثير من الدول على الإصلاح والمصلحين وانسداد الأبواب في وجوههم؟ مما أدى إلى سيطرة اليأس على كثير من المسلمين ، وأصبحت لغة التشاؤم هي السائدة في مجالس بعض الصالحين.

أضف إلى ذلك: أن المسلم يشعر أن الأمور بقدر الله ، وأنه (تبارك وتعالى) قد كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض، وأن قدره وقدرته فوق كل ما يريد ويكيد البشر.

وثالثة: أن الأمر قد يكون في ظاهره شرًّا، ثم تكون العاقبة خيراً بإذن الله، أرأيت حادثة الإفك وفيها من الشناعة والبشاعة ما فيها، ومع ذلك هي بنص القرآن: ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١]، وها هو سراقة بن مالك (رضي الله عنه) يلحق النبي ﷺ «فكان أول النهار جاهداً على نبي الله ﷺ، وكان آخر النهار مسلحة له» [١] .

ورابعة: أن الفساد وإن كان الواجب رفضه شرعًا والسعي لدرئه، إلا أنه أحد روافد الإصلاح، وواقع الأمة اليوم قد بلغ من الترهل والخمول ما يجعل يقظة الأمة أجمع لا تتحقق إلا حين تبلغ الغاية في الذل والانهيار والمهانة، فالمسلم يرفض ذلك شرعًا ودينًا ويسعى لدفعه ، لكنه قَدَرًا يعلم أن عاقبته إلى خير ـ بإذن الله ـ ، وفي التاريخ عبرة: ألم يكن اجتياح التتار والمغول لبلاد الإسلام، والغزو الصليبي.. رافداً مهمًّا من روافد يقظة الأمة ونهوضها، بعد أن وصلت إلى مرحلة شبيهة بما نحن فيه اليوم ؟.

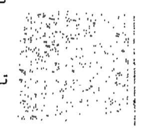
فما أجدر بالصالحين اليوم أن ينظروا بعين التفاؤل، وأن ينصرفوا للعمل والجد، ويَدَعُوا عنهم اليأس والتخذيل؛ فكيد أهل الفساد في بوار، ودين الله ظاهر ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] .

---

١) رواه البخاري ،ح/٣٩١١.

إياكِ أعني

تخرُجينَ من الرِّقَة الأُنثويَّة
ظِلِّ الحياءِ الوَريفِ،
ونَهرِ الجمال العفيفِ،
إلى.. صَحَرَاءَ الجَسَدْ
تخرُجينَ مِنَ السِّتْرِ في النَّفْسِ،
في الثَّوْبِ،
في البَيتِ،..
في بَسْمةِ الزوجِ أو في عيونِ الوَلَدْ
تخرُجينَ كشَمْسٍ مُزَيَّفَةٍ في المَسَاءِ
وبينَ الْتماعِ السَّلاسِلِ
ضوءِ الخَوَاتِمِ.. والقُرْطِ
تَنْسَيْنَ أنَّ الظلامَ هنا يَتَوَسَّدُ
رُوحَكِ خَصْمًا ألَدّ
تخرُجينَ كَأنَّكِ في رِحلةِ الصَّيدِ
ـ والقَومُ غابَهْ ـ
فَتستَنفِرينَ عَلى الآدَمّي ذِئَابَهْ
وتستمتعينَ، وأنتِ تَرَيْنَ كِلابَ
الغَريزَةِ تَنْهَشُ صَدرَ الفَريسَةِ ، أو
عَينَهَا..
أو تَرَينَ عَلى شَفَتَيْها اللُّهاثَ الحَقيرَ
ولونَ الزَّبَدْ
تخرُجينَ ويسبقُ ظِلَّكِ كُلٌّ
صُنُوفِ الغِوَايةِ:
لونُ الشِفاهِ،
ولونُ الخُدودِ،
ولونُ الأظَافِرِ..
لونُ الصَّفَاءِ المُلَطَّخِ في شَهوَةٍ تَستَبِدّ
تخرُجينَ كَأنَّكِ كَاسِيةٌ ـ تَزعُمينْ ـ
وثَوبُكِ.. (هذا الذي يَتآكَلُ شَيئًا
فشَيئًا فيسقُطُ مِنهُ العَرَاءُ الرَخيصُ)



شعر: محمد الصالح حسن

يجودُ بما يَتيسرُ للعابرينْ

فنُبصرُ رَأسًا دنيئًا إليكِ تَدُورُ،

فتَستَبْشِرين !!

ونَسمعُ قولاً بَذيئًا يمُورُ،

فَلا تعبَئِينْ!!

ولا يَبقَ من طَيفكِ المُتَلألِئِ في كُلِّ

عَينٍ سوى . . .

خُطُواتِ السُّقوطِ الأكيدة:

« جيمٍ » و« نونٍ » و « سينْ »

تَدُوسُ البراءةَ في صَدرِ كُلِّ

طَهُورٍ ليُصبحَ وَغدْ

تُرى . .أيُّ زَادٍ أعَدَّتْهُ أيامُكِ الخَاليات

لما سوفَ يأتي؟!

المَرايَا التي تعشَقينَ!

(. . وتكذبُ في كُلِّ يومٍ عَليكِ

المساحيقُ!

(تلكَ التي تَرسُمينَ بِها لَوْحَةَ

الشَّقْوَةَ الأبديةَ في وَجْنَتَيْكِ)

تُرى أيُّ جيلٍ شَريدٍ سَيدعُوكِ

أُمًّا ويَرْنُو إلَيْكِ؟!

وأيُّ زَمانٍ تَصيرينَ فيه لإبليسَ نِدَ

رُبَّما كُنتِ أبيضَ مِنْ عَفَنِ الخُبزِ

فَوْقَ بَقَايا الطَّعامْ

وأنعَمَ مِن حَيَّةٍ تَتَسَلَّلُ بالسُّمِّ حتَّى

نُخاعِ العِظَامْ

. . . ولكِنَّ لونَكِ لَنْ يَملأَ القَبرَ نُورا

وجلدَكِ ـ رَغمَ نُعومَتِه ـ . . لَنْ يُحيلَ

ثَرَاهُ الغَليظَ حَريرا

وَوَجهَكِ ـ رَغمَ مَلاحَتِه ـ . . لَنْ يُلينَ

مَلاكَ الحِسَابْ

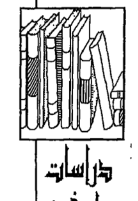
وهيهاتَ أن يَدفعَ الحُسنُ عَنكِ

مُرَّ العذابْ

أتاتورك..
حقيقته، والدور الذي أداه

(١ من ٢)

بقلم: ياسر قارئ



يمتد عمر الدولة العثمانية عبر ستة قرون ونصف من الزمان (٦٩٩ - ١٣٤٠هـ)، وبالتالي: فهي تشغل جزءاً كبيراً من تاريخ الإسلام منذ أن بزغ فجر الدعوة المحمدية وعمّ نورها أركان الأرض، ولقد كان للأتراك الحظ الأوفر من رعاية المسلمين والحفاظ على مجتمعهم، ومن الطبيعي جداً أن تتعرض دولة كهذه للمؤامرات الخارجية والحروب الضارية، خاصة إذا علمنا حجم الرقعة التي شملتها، والمقدار الذي اقتطعته للإسلام من أوروبا النصرانية، فقد تسابق الملوك والرؤساء في أوروبا على حربها، وتولى الفاتيكان كبر هذه العمليات، واتحدت أوروبا الممزقة على هدف واحد، هو: تصفية الوجود العثماني في أوروبا على أقل تقدير، واستعادة بيزنطة منها، إذا لم تنجح محاولاتها في إنهاء حياتها بالكلية، إلا أن حكمة الله أبت أن يكتب لتلك المحاولات النجاح، فعمدت أوروبا إلى أسلوب آخر هو أمضى وأنجع على الرغم من كونه خفيًّا وغير ملموس، إذ سرّبت إلى الجسد المسلم خلايا فاسدة تظاهرت بالإسلام وأبطنت الكفر، مستغلة بذلك سذاجة بعض المسلمين وغفلتهم، وتأويلات بعض المرجفين، أو انهزامية بعض المؤمنين، فسعت في الأرض وعاثت فيها فساداً، حتى نجح الثالوث اليهودي النصراني الوثني في تحقيق الحلم الأوروبي الكبير، وانمحت من الوجود دولة الخلافة وسلطان المسلمين، وغدت ديار الإسلام نهباً للأمم والشعوب الأوروبية (المتحضرة)، التي ارتقت بها إلى الخراب الاقتصادي والفساد الأخلاقي.

هل كانت هذه المؤامرة امتداداً لفتنة عبد الله بن سبأ؟.. الأسلوب والنتائج يشيران إلى تشابه كبير، فهل تواصوا به؟!.

كما يقول المنصرون في أدبياتهم: «إنه لايهدم البيت إلا أحد أركانه»، لذا: فقد



فطن أعداء الإسلام إلى غرس فئة من اليهود في جسد الدولة العثمانية يتظاهرون بالإسلام، فيما يقومون ـ وبالتنسيق مع أعدائها ـ بدك عرشها وإزالة سلطانها، تلك الطائفة التي عرفت بيهود (الدونمة)، وهذه اللفظة التركية تعني الردة عن الإسلام[1]، وقد تركزت في منطقة (سلانيك) في الأراضي اليونانية ـ حاليًا ـ، حيث نسجت خيوط اللعبة التي أدت بالدولة العثمانية إلى مصيرها المحتوم، وهنا: لا بد من الإشارة إلى أن الدولة هي التي تسببت في ذلك ابتداءً؛ إذ إنها لم تسع جاهدة إلى نشر الإسلام بين صفوف رعاياها، واكتفت بترك الطوائف وشأنها، بل تهاونت معهم كثيراً، الأمر الذي انعكس سلباً عليها وفتح ثغرة فيها نفذ منها الأعداء، فكانت الكارثة، ولقد شكل اليهود الخطر الأكبر على الدولة؛ بسبب مديونيتها لهم من جهة، وطبيعة هذا الشعب الماكر وحقده على السلطان عبد الحميد الثاني الذي رفض السماح لهم بالهجرة إلى فلسطين من جهة أخرى، فما برحوا يحيكون الدسائس ويستغلون الأحداث لإنهاء هيمنة دولة المسلمين على (الأرض المقدسة)، وقد برز من يهود الدونمة رجل ساهم بشكل كبير في تغيير مجرى التاريخ المعاصر، حيث ألغى كيان الخلافة التي استمرت لمدة أربعة عشر قرنًا في لمح البصر!!.

سؤال خطير وجوابه:

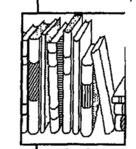
والسؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف تمكن فرد من تحقيق ما عجزت عنه أوروبا بقضها وقضيضها، ولمدة سبعة قرون تقريبًا؟ .. هذه الدراسة تحاول تسليط الأضواء على هذه الشخصية ودورها وميراثها، وقد قسمتها إلى مقدمة عن الأوضاع قبيل ظهور هذا الرجل، ثم مولده ونشأته، والتساؤلات حول أصله ونسبه، ثم تطرقت إلى تدرجه في السلك العسكري، وبروزه على الساحة، ثم صناعة الإنجليز له وعلاقته بهم، بعد ذلك تعرضت إلى أعماله إبان فترة حكمه،وختمت البحث بالحديث عن الإرث الذي تركه،ومدى استمرار الدولة في السير على نهجه.

تمهيد عن الأوضاع في فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني:

اعتلى عرش السلطنة في وقت حرج جداً شاب طموح وعبقري، قد بزّ أهل زمانه، وفاق أقرانه من الحكام، ذلكم هو السلطان عبد الحميد خان الثاني،

١) أحمد النعمي: تركيا وحلف شمال الأطلسي، ص ٣١ .

الذي حكم البلاد منذ سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) إلى سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م)، أي: قرابة ثلاثة وثلاثين عاماً، وقد كانت الحياة الاقتصادية في عهده رخيصة، وأوشك مؤشر التضخم الاقتصادي على الهبوط إلى الصفر، على الرغم من الحروب الروسية المتتالية، ومضايقة الإنجليز المستمرة في مجال التجارة الدولية، لكن فئة الضباط الذين عاشوا في أوروبا ـ وجلهم من غير المسلمين ـ لم تعجبهم تلك السياسة الحميدة في الوقت الذي مات فيه ألوف البشر بسبب المجاعة في أيرلندا والهند الخاضعتين للحكم الإنجليزي، ثم إن بريطانيا كانت تكره السلطان بسبب وقفه لطموحاتها وتغلغلها في أراضي الدولة العثمانية من جهة، وسلطانه الروحي على رعاياها في المستعمرات وكذلك النصارى الواقعين تحت حكمه من جهة أخرى[١].



في تلك الحقبة: فُتحت المجالس النيابية في روسيا وإيران، وقد سرت هذه الظاهرة إلى الدولة العثمانية، فتطلع الشعب ـ الذي شعر بالملل من طول فترة حكم السلطان ـ إلى النظام البرلماني الشائع في أوروبا، وقد استجاب السلطان لتلك المطالب، فشكل لجنة للنظر في الدساتير الغربية والاستفادة منها، لكن أوروبا المتربصة والمعارضين المفتونين بها أصروا على وضع دستور عام يضمن استقلال المناطق والشعوب، مما يعني عمليًّا إلغاء سلطة الدولة على رعاياها، الأمر الذي فطن إليه السلطان، وقد نصحه بذلك أيضاً المستشار النمساوي «بسمارك»، لذلك: شكلت المعارضة جمعية في فرنسا تدعى (الاتحاد والترقي)، القصد المزعوم منها: تطوير نظام الحكم[٢]، وقد طالب أعضاؤها بمنح جميع الأقطار استقلالاً ذاتيًّا وتقسيم البلاد على أسس قومية[٣].

رضخ السلطان لمطالب المعارضة باستئناف أعمال مجلس المبعوثان (النواب)، لكن الاتحاديين ـ وكما يبدو من قرارات مؤتمر باريس ـ قد أصروا على تنفيذ خطتهم بتقسيم البلاد، بل وخلع السلطان بقوة السلاح، فأغاروا على العاصمة في سنة ١٩٠٩م، ولم يشأ السلطان مواجهتهم، بل استسلم

١) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، جـ٢، ص ١٤٨ ـ ١٥٢، بتصرف.
٢) انظر: محمد صلاح الدين، جمعية الاتحاد والترقي ودورها في إسقاط الخلافة الإسلامية.
٣) أوزتونا، مصدر سابق، ص ١٧١.

لقضاء الله وقدره على الرغم من سيطرته على الجيش! إلا أنه لم يشأ إراقة الدماء بسببه هو!، فآثر مواجهة الموقف وحيداً بعد أن أخلى القصر من الحرس، وتلك من حسناته التي يتعالى عنها الحاقدون والمرجفون[1] .

لقد استغل اليهود (جمعية الاتحاد والترقي) للعمل ضد السلطان عبد الحميد المتربص بمخططاتهم.. والمتتبع لطبيعة القادة البارزين فيها: يتأكد أنها ليست تركية أو إسلامية، فأنور باشا: بولندي، وجاويد باشا: من الدونمة اليهود، وقارصوه يهودي إسباني، وأما طلعت باشا وأحمد رضا فهما من أصل غجري تظاهرا بالإسلام [2]، وكما يذكر أحد المؤرخين: فإن السلطان قد أمر بجمع المعلومات عن الصهاينة من سفاراته وإرسال مخبرين متنكرين إلى اجتماعاتهم ليوافوه بالتقارير عنها، وكذلك إرسال قصاصات الصحف والمجلات الأوروبية المتعلقة بنشاطهم [3]، لذلك: لا نفاجأ عندما يصرح طلعت باشا في مذاكرته بأن الوفد الذي أخبر السلطان بعزله لم يكن فيه مسلم أو تركي واحد!، وإنما كانوا: يهودي، وأرمني، ويوناني، ويوغسلافي[4]، وهذا ما دعى أحد المؤرخين الأتراك إلى القول بأن الثورة سنة ١٩٠٨م تقريباً من عمل مؤامرة يهودية ماسونية، وشاركه الرأي رفيق بك أحد شخصيات الجمعية البارزة[5]، ومما يؤكد هذه الحقيقة: أن جيش الجمعية الذي احتل (إستانبول) كان مكوناً من أرباب السوابق وعصابات الروم والبلغار والأرناؤوط (الألبان) ويهود الدونمة من (سلانيك) وغيرها [6]، فيما يحاول مستشرق فرنسي موتور تلميع صورة أولئك الأوباش، فيزعم أنهم ينحدرون من صفوف البورجوازية الصغيرة كالمحامين والصحفيين وصغار الضباط [7]، وللمزيد من الأدلة على دور اليهود في توجيههم الجمعية والثورة لتحقيق أهدافهم: هذه شهادة من طلعت باشا (العضو في الجمعية): يعترف فيها بأن (الاتحاد والترقي) كان أمل اليهود المنشود، بينما يتنبأ

١) راجع: مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة د. محمد حرب.
٢) أحمد الشوابكة: حركة الجامعة الإسلامية، ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩.
٣) د. محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص ٣٨.
٤) نجيب قيصه كورك: السلطان عبد الحميد خان الثاني واليهود، ص ٦٧.
٥) حركة الجامعة الإسلامية، ص ٣١٠.
٦) جمعية الاتحاد والترقي ودورها في إسقاط الخلافة، ص ٤٠.
٧) روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، جـ٢، ص ٢٤٥.

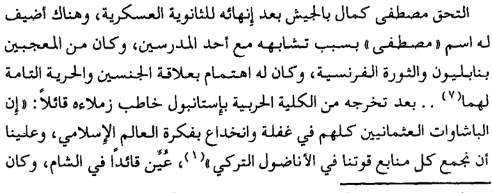


شخصيًّا بإقامة دولة يهودية في فلسطين[1]، ويزيد الصورة إيضاحًا كلام الدكتور رضا نور، إذ يعترف بأن الآمر الناهي في الاتحاد والترقي هم: جاويد، وقارصوه، وهما من يهود الدونمة، وطلعت باشا، وهو ماسوني[2].

مصطفى كمال .. مولده ونشأته:

كما يقال بأن الشائعة إذا راجت في زمانها كان لها أثر كبير من الصحة، ومصطفى كمال، المولود في مدينة (سلانيك) باليونان ـ حاليًا ـ سنة ١٢٩٦هـ (١٨٨٠م)، تحوم حول نسبه شكوك أثيرت في أيام طفولته حول هوية والده من ناحية، وحول أصله العرقي من ناحية أخرى، فوالده مجهول الهوية؛ إذ عندما قدمت له صورة والده الرسمي أنكرها [3]، بينما يُقال: إن والده هو علي رضا، الموظف الحكومي المتواضع، وقد توفي ومصطفى ابن سبع سنين، فتولت أمه «زبيدة» رعايته، فكان يدرس اللغة الفرنسية سرًّا في العطلات المدرسية على يد رئيس دير فرنسي، وكان يعتني به شخصيًّا بصفة خاصة[4]، فيما يدّعي بعض المطلعين بأن أباه قد مات بسبب عدم سيطرته على فسق زوجته وفجورها، وأن الأب الحقيقي لمصطفى هو إما صربي أو بلغاري أو روماني، وقد تبرأ علي رضا أفندي من مصطفى رسميًّا، إلا أنّ السجلات أزيلت من المحكمة[5]، من جهة أخرى: فإن الأدلة الأنثروبولوجية لمصطفى كمال بشُقْرَته وعينيه الزرقاوين، وجمجمته: تؤكد أنه أكثر ما يكون بعداً عن الملامح التركية[6].





التحق مصطفى كمال بالجيش بعد إنهائه للثانوية العسكرية، وهناك أضيف له اسم «مصطفى» بسبب تشابهه مع أحد المدرسين، وكان من المعجبين بنابليون والثورة الفرنسية، وكان له اهتمام بعلاقة الجنسين والحرية التامة لهما[7] .. بعد تخرجه من الكلية الحربية بإستانبول خاطب زملاءه قائلاً: «إن الباشاوات العثمانيين كلهم في غفلة وانخداع بفكرة العالم الإسلامي، وعلينا أن نجمع كل منابع قوتنا في الأناضول التركي»[1]، عُيِّن قائداً في الشام، وكان

١) مذكرات السلطان عبد الحميد، ص ١٤٣.
٢) المصدر السابق، ص ١٨٦.
٣) الرجل الصنم، لمؤلف مجهول / ضابط تركي سابق، جـ١، ص ٣٧.
٤) علي حسّون، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٣٠٧.
٥) الرجل الصنم، ص ٤٤ ـ ٤٦، بتصرف.
٦) المصدر نفسه، ص ٥٠.
٧) حسّون، مصدر سابق، ص ٣٠٨.



يتردد على مقهى للعمال الإيطاليين ليشاركهم في الرقص وشرب الخمر، وهناك كوّن (جمعية الوطن والحرية) في سنة ١٩٠٦م، كما أسس مع رفاقه فروعًا لها في يافا والقدس وبيروت، وكان قد التحق بالمحفل الماسوني (فداتا)[٢]، ثم رجع إلى سلانيك سنة ١٩٠٧م، حيث قضى أوقاته في الملاهي، لكنه تمكن ـ عن طريق المحافل الماسونية هناك ـ من الترويج لحركته التي سميت (تركيا الفتاة)، والتي اندمجت لاحقًا مع الاتحاد والترقي [٣]، ولكن الاتحاديين لم يرتاحوا له، فنفوه إلى طرابلس الغرب في مهمة عسكرية، ثم رجع إلى سلانيك، وعين قائدًا للواء الثامن والثلاثين، وكان هو أول من يتخلى عن التحية الإسلامية في الجيش [٤]، وقد أكد السلطان عبد الحميد توجس الاتحاديين من مصطفى كمال، إذا تجاوزوه وعينوا أنور باشا وزيرًا للدفاع؛ لأن به سكونًا خطيرًا جعل طلعت باشا يتجاهله ويؤيد أنور باشا الذي كان يتفاداه [٥]، وفي حقه يقول أنور باشا: إنه «إذا ترقى إلى رتبة باشا فإنه يرغب أن يكون سلطانًا، وإذا أصبح سلطانًا فإنه يرغب أن يكون إلهًا!» [٦]، هذا الطموح الشخصي والغرور الذي لا حد له سينعكس على كل قراراته وسياساته المستقبلية، كما سيمر معنا.

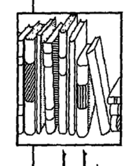
بروزه على مسرح الأحداث وعلاقته بالإنجليز:

ملكت الثقافة الألمانية على زعماء الاتحاد والترقي ـ الذين شكلوا الحكومة التي أعقبت خلع السلطان عبد الحميد ـ عقولهم وقلوبهم، فاندفعوا خلف ألمانيا في الحرب العالمية الأولى ظنًا منهم أن ذلك سوف يحميهم من التوسع البريطاني في أراضي الدولة العثمانية، تلك الحرب التي كان ينتظرها السلطان المخلوع (عبد الحميد)؛ لكي تدمر أوروبا نفسها، ويخرج هو سالمًا بعدم مشاركته فيها [٧]، وبعد أن ورطوا البلاد في حرب خاسرة: رحل كبراء الجمعية (طلعت، وأنور، وجمال) إلى ألمانيا، وبذلك خلت الساحة أمام مصطفى

١) الرجل الصنم، ص ٦٠.
٢) أحمد مصطفى: في أصول العثمانيين، ص ٣٠١.
٣) مانتران، مصدر سابق، ص ٢٣٧.
٤) الرجل الصنم، ص ٧٣.
٥) مذكرات السلطان عبد الحميد، ص ٢٦١.
٦) الرجل الصنم، ص ٩٠.
٧) مذكرات السلطان عبد الحميد، ص ١٣٦.

كمال، وبدأت أسهمه في الصعود، لكننا لا بد أن نذكّر بأنه كان سبباً في هزيمة الدولة في حرب البلقان سنة ١٩١٢م؛ لانسحابه من المعركة حتى لا يحصل أنور باشا على شرف الانتصار، ثم انتُدب لتخليص الحجاز من الإنجليز إبان اندلاع الحرب العالمية الأولى، وكانت خطته العسكرية توصي بالتضحية بالحجاز مقابل المحافظة على القدس(١)، ثم ما لبث أن انسحب أمام الجيش الإنجليزي في سورية، وبالاتفاق مع القائد (اللنبي)؛ فتسبب في هزيمة الأتراك، لكنه لايكتفي بذلك، بل ينعى على الاتحاديين سياستهم الموافقة لألمانيا والتي دمّرت الدولة (٢)، ولا نزيد على أن نقول: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

انتهت الحرب واحتل الحلفاء إستانبول، ودخل الجنرال الفرنسي «دسبري» المدينة، ممتطياً جواداً أبيض أهداه له سكان المدينة من اليونانيين؛ أسوة بما فعله السلطان محمد الفاتح قبل ٤٦٦عاماً (٣)، لكن السلطان محمد وحيد الدين السادس لم يصبر على الضيم، ونظراً لعجزه شخصياً عن إثارة القلاقل في وجه الحلفاء: فإنه عدل إلى مصطفى كمال باشا الذي أمده بالأموال اللازمة (٤)، كما أطلق يده، إذ عينه مفتشاً عاماً لجيش الأناضول، ليقوم بالثورة على قوات الاحتلال، فيتسنى بذلك للسلطان هامش للمناورة والمساومة السياسية مع المحتلين، وقد أمده بمئة وعشرين ألف ليرة ذهبية (٥)، ويبدو أن السلطان قد تجاهل خيانات مصطفى كمال السابقة للدولة وتواطؤه مع الإنجليز، بينما اعتقدت بريطانيا أن المشاكل المثارة في الأناضول تجري بناء على عرض سابق تقدمت به إليه (أي: إلى مصطفى) سنة ١٩١٧م عندما كان قائداً في فلسطين، تطلب فيه الثورة على السلطنة والخلافة مقابل مساعدته في ذلك(٦)، وربما كان هذا الرأي هو الأقرب إلى التصديق؛ إذ لم تمانع إنجلترا في خروج مصطفى كمال من إستانبول بحراً إلى مدينة سامسون، وهو الذي دحر



دراسات تاريخية

١) الرجل الصنم، ص ٨٦.
٢) عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، جـ١، ص ٢٥٣.
٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٥. ٤) الرجل الصنم، ص ١٢٩، ص ١٣٥.
٥) محمد فريد، تاريخ الدولة العليّة العثمانية، ص ٧٤٧.
٦) المصدر نفسه، ص ٧٥١.

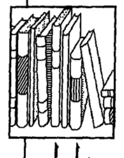
الحلفاء في جناق قلعة [١]، وقد استغرب « ثريا إيدمير » ـ مؤلف كتاب (الرجل الأوحد)، عن أتاتورك ـ تصرف الإنجليز هذا، وتزول الغرابة تماماً عندما نعلم بأن الجنرال اللنبي رشح مصطفى كمال لقيادة الجيش السادس المرابط بالقرب من الموصل، حيث النفط والنفوذ الإنجليزي في المنطقة الذي يتطلب شخصاً يستطيع الإنجليز التعامل معه [٢].

وبالفعل : أجج مصطفى كمال الشعب على الاحتلال العسكري للبلاد، لدرجة اضطر معها الإنجليز إلى الطلب إلى السلطان بتنحيته عن قيادة المنطقة، وفي هذا الصدد : يضيف شيخ الإسلام « مصطفى صبري » بأن السلطان قد ماطل في فصل مصطفى كمال لمدة شهرين على الرغم من تذمر قوات الاحتلال، واستمر في دعوته للعودة إلى إستانبول، لكنه أبى، وقد ظل السلطان يحسن الظن به حتى قال فيه : « ليخدم الوطن وليغتصب عرشي »![٣]، علماً بأن أنور باشا بعث ببرقية إلى السلطان يحذره فيها من « أن إرسال مصطفى كمال إلى الأناضول سيكون بداية لمصائبنا »[٤].. وبعد أن أُعفي من منصبه العسكري سارع إلى عقد المؤتمرات (أرضروم سنة ١٩١٨م، وسيواس سنة ١٩١٩م) لتعزيز سلطته في المنطقة، وقد خرج المجتمعون بتوصيات، منها : المحافظة على أراضي الدولة، واستقلال الشعب، ومقاومة الاحتلال.. وتم تغيير اسم الجمعية إلى جمعية (الدفاع عن حقوق شرق الأناضول والروم‌ملي)، أي : إسقاط باقي مناطق الدولة، والمحافظة على المناطق التركية فقط[٥]، كما تم انتخاب مصطفى كمال رئيساً للجمعية.

وتستمر فصول المسرحية الهزلية، فيهاجم مصطفى كمال وجيشه مستودعات الأسلحة والذخائر التابعة للحلفاء، وأرسلوا ما حصلوا عليه إلى الأناضول بوصفه غنائم حرب [٦]، فكان رد الفعل الإنجليزي هو : إرسال قواتها لاحتلال إستانبول، والزّج بنوّاب مصطفى كمال بالبرلمان في السجن، وحلّ البرلمان، ونفي بعض أعضائه، وفرض الرقابة على الصحف والبريد والبرق والوزارة، وتم تشكيل وزارة جديدة.. وكل ذلك بموافقة السلطان الذي لا يملك من أمره شيئاً، ثم أجليت القوات الإنجليزية

١) الرجل الصنم، ص ١٢٥.
٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٥.
٣) محمد فريد ، مصدر سابق،ص ٧٤٩.
٤) الرجل الصنم ، ص ١٨١.
٥) الشناوي ، مصدر سابق، ص ٢٥٩.
٦) المصدر السابق ، ص ٢٦١.

عن (إسكي شهر) و(قونية) دون الاشتباك مع قوات مصطفى كمال المحاصرة، فظهر للناس وجود معسكرين، أحدهما يضم السلطان والمحتلين الإنجليز، بينما يتكون الآخر من المناضل! مصطفى كمال ومؤيديه[1]، أما المناضل الوطني! فقد أوعز إلى مفتي مدينة أنقرة بإصدار فتوى تندد بفتوى مفتي إستانبول القاضية بمحاربة الكماليين؛ بحجة أنها والسلطان والحكومة محتلين من قبل الإنجليز[2]، وهذه هي حيلة المنافقين دائماً: الإذعان إلى الدين متى ما احتاجوا إليه في دعم باطلهم، كما أعلن عن تكوين برلمان في مدينة أنقرة ومقر للحكومة لمكافحة الأجنبي، وكان مما صرح به هو: «أن كل التدابير التي ستتخذ لا يقصد منها غير الاحتفاظ بالخلافة والسلطة، وتحرير السلطان والبلاد من الرق الأجنبي»[3] ثم إن الإنجليز قاموا في تلك الأثناء بنشر بنود معاهدة (سيفر)، التي تتنازل الدولة العثمانية بموجبها عن أراضٍ كثيرة؛ ليوغروا صدور العامة على السلطان ويرفعوا من أسهم مصطفى كمال، كما قاموا بغض الطرف عن تمويل وتسليح ذلك المناضل الوطني![4]، لكن هذا الرجل المتقلب عدل من رأيه حول السلطة والخلافة (وبصورة غير ديمقراطية تماماً!)؛ إذ صرخ في أعضاء المجلس الجديد في أنقرة منادياً بحتمية الفصل بينهما، ولكن من المحتمل أن بعض الرؤوس كانت ستقطع إذا لم توافق على ذلك الرأي[5]، ولقد اعترف فيما بعد في كتاب الخطابة بأن الفصل بين السلطتين كان نقطة أساسية ولازمة وكانت **بمثابة الخطوة الأولى**[6]، **ترى ما هي الخطوة الثانية إذن؟.**



دراسات تاريخية

عقب التطورات الخطيرة، دعت بريطانيا إلى عقد مؤتمر لندن لحل المشكلة (المسألة) الشرقية وقد وجهت إلى كل من إستانبول وأنقرة دعوتين منفصلتين، وقد كانت الهيمنة لوفد أنقرة لحكمة يعلمها الحلفاء جيداً، من ثمارها: تنازل مصطفى كمال عن سورية للفرنسيين، وعن باطوم للروس[7]، وتمخض عن هذه التنازلات: قيام الحلفاء بتحريض اليونان على غزو إستانبول، ثم التخلي عنها، بينما توقف الهجوم اليوناني وبدأ في الانسحاب، وكان مصطفى كمال قد أمر

---

١) حسّون، مصدر سابق، ص ٣١٩.
٢) الشناوي، مصدر سابق، ص ٢٦٣.
٣) حسّون، مصدر سابق، ص ٣٢٠.
٤) المصدر نفسه، ص ٣٢١.
٥) الرجل الصنم، جـ٢، ص ٢٥٩.
٦) المصدر السابق، ص ٢٥٧.
٧) حسّون، مصدر سابق، ص ٣٢٢.

بوقف القتال قبل تراجع اليونانيين، وقد ضخمت الدعاية الغربية الحادثة لتظهر الغازي مصطفى كمنقذ للبلاد من عدوها التقليدي، **والتساؤل الذي نطرحه هو: كيف يأمر قائد بوقف القتال أمام عدو لم يعلن عن استسلامه أو انسحابه بعد؟** فإذا لم يكن هناك تنسيق مسبق بين القوات فهذا يعني وضع الجيش تحت رحمة الأسلحة اليونانية، أم إنها إحدى لعبات الإنجليز في صنع الأبطال القوميين؟!. وبعد تلك اللعبة تظاهر الحلفاء بمقاومة الغازي في هجومه على (تراقيا)، لكن الإنجليز توسطوا لإنهاء القتال وانسحاب اليونان [(١)]، والأعجب من ذلك هو: قيام السفن الإنجليزية الراسية في البحر بنقل الفارين اليونانيين من سكان الأناضول وشارك معها سفن الحلفاء [(٢)]، ثم إن إنجلترا ـ وهي المنتصرة في الحرب العالمية الأولى ـ تنازلت بمحض إراداتها عن مدينة أزمير لتظهر مصطفى كمال أمام العالم الإسلامي بأنه الغازي والمنتصر، ثم تفرض شروطها عليه ـ كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام مصطفى صبري ـ [(٣)].

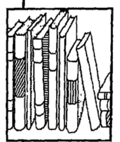
ثم إن الغازي! مصطفى كمال هدد أعضاء المجلس الوطني الكبير بالقتل، إذا لم ينزلوا على رأيه بإلغاء السلطة العثمانية [(٤)]، هذا هو أسلوب معاملة الرجل الذي راهنت عليه إنجلترا، وتلكم هي طريقة تعامله مع البرلمان الموقر ونوابه المحترمين، الذين يتمتعون بحصانة يكفلها الدستور الذي خلعوا السلطان عبد الحميد الثاني من أجله !، فكيف ستكون سياسته عندما يصبح الآمر الناهي في البلاد والعباد؟.

بعد هذه السلسلة من الحروب الكرتونية المفتعلة: قرر الحلفاء عقد مؤتمر لإنهاء وضع الدولة العثمانية، وذلك لكسب الرأي العام التركي لصف الغازي مصطفى كمال الذي صُنع على أعين الإنجليز، فكان مؤتمر (لوزان) بسويسرا سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢٤م)، ويقال: أن اللورد «كرزون» رئيس وفد إنجلترا قد طرح أربعة شروط للاعتراف باستقلال تركيا، وهي: إلغاء الخلافة، وطرد الخليفة، ومصادرة أمواله، وإعلان فصل الدين الإسلامي عن الدولة والحياة (العلمانية)[(٥)]، بينما يؤكد شيخ الإسلام مصطفى صبري ـ وبناءً على تصريح مستشار وزير خارجية

١) المصدر السابق، ص ٣٢٤.
٢) الشناوي، مصدر سابق، ص ٢٧٥.
٣) مصطفى حلمي، الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة الإسلامية، ص ٣٣.
٤) حسون، مصدر سابق، ص ٣٢٥.
٥) المصدر السابق، ص ٣٢٦.

بريطانيا ـ بأن مصطفى كمال قد اقترح على المؤتمر: إلغاء الخلافة، وقطع علاقة الدولة بالإسلام، وتجميد وشل حركة جميع العناصر الإسلامية الباقية، واستبدال الدستور القائم بآخر مدني.. وقد وكل إلى عصمت إينونو القيام بتلك المهمة[1]، وكان قد همس في أذن إينونو قبيل سفره بألا يعارض الإنجليز، حتى ولو طلبوا التنازل عن مدينة إستانبول وتراقيا![2]، لكن الإنجليز اكتفوا فيما يبدو بما قدمه الغازي من تنازلات، اللهم إلا اشتراط بقاء بطركية الروم في إستانبول بناءً على ضغوط مجلس الكنائس البريطانية [3].. وإذا كان هذا لا يكفي المسلمين جراحاً، فإن الآلام تزداد عندما يخرج علينا مؤرخ مسلم حاول الدفاع عن الدولة العثمانية في موسوعته، فيزعم بأن قرار مصطفى كمال بإلغاء السلطنة كان الهدف منه هو: حسم ازدواجية الحكومة، وإلغاء معاهدة سيفر الظالمة، وسد الباب على الإنجليز؛ لكيلا يضربوا بعضها ببعض[4].

ولكي يحقق الغازي! آماله: اضطر إلى حل المجلس الوطني الكبير، وتشكيل مجلس مؤيد له يوافق على ما جاء في معاهدة لوزان، والمضحك في الأمر: أن ٤٠٪ فقط من النواب هم الذين حضروا الاجتماع الذي أعلن فيه عن قيام الجمهورية التركية وإلغاء مؤسسة الخلافة بعد أربعة عشر قرناً من الزمان[5]، وقد أصدر المجلس القوانين: ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١ التي تنص على إلغاء الخلافة، وطرد الخليفة وأسرته، وإلغاء وزارة الأوقاف والشرعية والمدارس الدينية[6]، ويقول عن تلك النكبة الكبرى ذلك المؤرخ: إنها كانت انتصاراً للقومية التركية، واستطاع بذلك الغازي! تحدي بريطانيا وحلفائها، أما عن نقله للعاصمة إلى مدينة أنقرة: فيبرر ذلك بحجة تجريد المدينة (إستانبول) من السلاح والتخلص من الماضي [7]، فعلاً لقد نجح مصطفى كمال في خداع قطاع كبير من الناس بنفاقه البغيض، لدرجة أن السلطان عبد الحميد الثاني ـ على الرغم من ثاقب نظره ـ صدّق انتصار مصطفى كمال على الحلفاء في



دراسات تاريخية

---

١) الأسرار الخفية . . ، ص٢٦٥ .
٢) الرجل الصنم، جـ٢، ص ٢٧٠ .
٣) المصدر السابق ، ص ٢٧٦ .
٤) الشناوي، مصدر سابق ،ص ٢٧٨ .
٥) حسّون ، مصدر سابق، ص ٣٢٧ .
٦) الرجل الصنم ، ص ٢٩٨ .
٧) الشناوى، مصدر سابق،ص ٣٠٤ ـ ٣٠٧، بتصرف .

معركة جناق قلعة ، أو ربما رغبته في حماية البلد هي التي دفعته لتصديق تلك المهزلة، حتى دعا الله أن يتقبل منه عمله ذاك! [١] ، ولم يقف الحد عند ذلك ، إذ تسابق الشعراء في الثناء على انتصارات الغازي وتمجيدها ، كما حصل مع أمير الشعراء أحمد شوقي، إذا أنشد [٢] :

الله أكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

حذوت حذو صلاح الدين في زمن فيه القتال بلا شرع ولا أدب

ثم انصدم بعد ذلك كغيره من المسلمين بأعمال الغازي! المناهضة لدين الله، وتأسف على ما فات. ويعلق المؤرخ إحسان حقّي على تلك الأحداث قائلاً: «لقد عاصرت الثورة الكمالية وتأثرت بها؛ لغربة المسلمين ووقوعهم تحت الاحتلال، وانخدعت بها كغيري، بينما استغل هو مشاعر المسلمين وأموالهم، وكان يتظاهر بالإسلام، إذ كان يأمر بقراءة صحيح البخاري قبل المعارك بفترة»![٣] .. بينما يأسف مستشرق ألماني حاقد على قصر همة مصطفى كمال الذي آثر التخلي عن المنافع التي كانت دولته جديرة بجنيها لو رغب في إبقائها مركزاً روحياً للإسلام [٤] ، لكن مصطفى كمال كان صريحاً في موقفه من الإسلام، إذ خاطب المجلس الوطني أثناء مناقشة شروط معاهدة لوزان قائلاً: «إن الآوان قد آن لتنظر تركيا إلى مصالحها، وتتجاهل الهنود والعرب، وتنقذ نفسها من تَزَعُّم الدول الإسلامية» [٥] ، وهنا تجدر الإشارة إلى أن أحد النواب الإنجليز كان قد اعترض على استقلال تركيا، فأجابه اللورد كرزون قائلاً: «إن القضية هي أنّ تركيا قد قضي عليها، ولن تقوم لها قائمة؛ لأننا قد قضينا على القوة المعنوية فيها، وهي الخلافة الإسلامية» [٦] .

بعد أن حقق مصطفى كمال آمال أوروبا التي سعتْ إليها طوال سبعة قرون تقريباً : هل توقف عند ذلك ؟ أم تمادى في محاربته لله ولرسوله ﷺ ؟.

هذا ما سنراه في الحلقة التالية.

---

١) مذكرات السلطان عبد الحميد، ص٢٦٠.
٢) حسّون ، مصدر سابق، ص ٣٢٣.
٣) محمد فريد، مصدر سابق، ص ٧٥٤.
٤) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٦٩٦.
٥) تركيا وحلف شمال الأطلسي، ص ٣٧.
٦) حسّون ، مصدر سابق، ص ٣٢٧.

مصر في القرن الواحد والعشرين

(قراءة أصولي) (٢ من ٣)

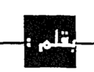
بعد تمهيد ببيان أهمية طَرْق مثل هذه الموضوعات من قِبَل الإسلاميين؛ لإبداء وجهة نظرهم فيما يطرحه العلمانيون، وتنويه بأن ذلك ينبغي ألا يكون من موقع الهزيمة النفسية: عرض الكاتب في الحلقة السابقة تلخيصاً للدراسة المستقبلية التي طرحها الدكتور/ أسامة الباز، ثم أبدى بعض الملحوظات العامة على الدراسة، وبدأ في توضيح بعض الملحوظات التفصيلية، التي كان منها: مكانة الإنسان، وتحريره أم الوصاية عليه، وحقيقة الطفرات السياسية.. ويواصل الكاتب ما بدأه من هذه الملحوظات. - البيان -

الملحوظة الرابعة: الموقف من الصحوة الإسلامية:

يفسر الأستاذ/ السيد ياسين أسباب ظهور الصحوة الإسلامية بفشل الفلسفات والأيديولوجيات الوضعية (المنافسة للدين) - مثل الليبرالية والاشتراكية - في الإجابة عن الأسئلة الكبرى لمعنى الحياة وجوهرها، ثم تنافس هذه الفلسفات والأيديولوجيات فيما بينها، وليس بينها وبين الدين، «مما جعل الشباب يعود للدين في صورة موجات من التدين الشعبي، ثم في صورة حركات إسلامية منظمة، انقلب بعضها ليصبح حركات إرهابية صريحة لا تخفي مخططاتها»، بينما يرصد الدكتور حسن حنفي أسباب بروز (الإحياء الديني)، فيرى أن «هزيمة ١٩٦٧م كانت أول وأهم هذه الأسباب، ثم تأتي سياسات الانفتاح وما أعقبها من غلاء وبطالة، وزيادة التفاوت بين من يملكون ومن لا يملكون، فضلاً عن ازدياد الفساد الأخلاقي والاجتماعي، وأخيراً يتحدث الباحث عن التوجه إلى الصلح مع إسرائيل والتعاون مع الغرب والولايات المتحدة».

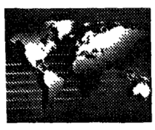



والعالم



عبد الرحمن الكناني

المسلمون والعالم



ونلاحظ أن التفسيرات في مجملها تلمح إلى عدم أجدرية الدين برجوع الشباب إليه، ولكننا نلفت نظر المتأمل إلى أن تنافس الأيديولوجيات والفلسفات الوضعية والصراع بينها وحده.. ليس كفيلاً وحتميًا برجوع الشباب إلى الدين، كما أن هذا الصراع لم يتجاوز دائرة (النخبة الثقافية)، ولم يكن للجماهير التي (أصابتها موجات التدين الشعبي) احتكاك بهذا الصراع، أما هزيمة ١٩٦٧م: فليست سببًا منطقيًا لبروز هذه الصحوة؛ فقد كانت الصحوة ممتدة من قبل هذا التاريخ، وإن أخذت بعداً آخر في عمقها واتساعها بعد ١٩٦٧م، ليس بسبب الهزيمة نفسها ـ في رأيي ـ ولكن بسبب ظهور فرصة التحرك الدعوي التي أُتيحت نتيجة ضعف النظام وانكساره بعد الهزيمة.. وأما التفسير (الاشتراكي) بالعوامل الاقتصادية والتقارب مع الغرب، فرغم تناقضه مع ما يدعيه آخرون من إنجازات اقتصادية واجتماعية وسياسية حققت بعد (ثورة ١٩٥٢م)، إلا أنه أيضًا لا يفسر لنا امتداد الصحوة شرقًا وغربًا، في أقطار لا تعاني من ضائقة اقتصادية، بل تعيش في رغد ورخاء، وفي أقطار ما زالت تعلن العداء (للإمبريالية الغربية)، وتصر على أن فلسطين (من البحر إلى النهر، ومن الجنوب إلى الجنوب).

وحسب الرؤية الأصولية ـ التي نظنها إسلامية صحيحة ـ فإن انتشار الصحوة راجع إلى أن الإسلام هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، والتي هي ملاذ الأفراد الطبيعي عندما يعودون إلى أنفسهم وتتاح لهم فرصة

التذكير والتعريف بهذا الدين، وأن الإسلام هو قَدَر هذه الأمة وهويتها التي لا تستطيع بدونه أن يكون لها تميز أممي بين البشر ، وُجدت الصحوة رغم محاولات الصد والمنع والكيد التي تبذل للحيلولة دونها، وهذا ما يحيِّر العلمانيين.

وعن الصراع بين التيارات الإسلامية والعلمانيين:

يرى الأستاذ/ السيد ياسين أن «الصراع الثقافي : بين العلمانيين ـ وهم أنصار فصل الدين عن الدولة ـ وبين من يزعمون أهليتهم للحديث باسم الإسلام ، ويرفعون شعار (الإسلام هو الحل) .

وهؤلاء لن يتاح لهم أن يحصلوا على أغلبية مقاعد مجلس الشعب في أي انتخابات حرة ونزيهة؛ لأنهم ـ وهذه حقيقة أساسية ـ لا يمتلكون أي مشروع محدد سوى شعارهم العام الذي يفتقر إلى التحديد ، ويعاني فقراً شديداً في المضمون الفكري».

ونلاحظ أن المعاني التي تحتويها هذه الفقرة هي محتوى أنشودة علمانية لا يمل المناوئون للتيار الإسلامي في أكثر من قطر من ترديدها، وتدور حول (فقد البرنامج) ، ولكننا نلفت الانتباه إلى :

أولاً : التنافس على مقاعد مجلس الشعب ليس صراعًا ثقافيًّا ، والفوز بهذه المقاعد لا يمثل انتصاراً لثقافة على أخرى ، بل يمثل مهارة في الإدارة باستخدام الأساليب المشروعة وغير المشروعة، التي أشرنا إلى جانب منها سابقًا : كاستغلال النفوذ، والابتزاز السياسي، والتمويل السخي، إضافة إلى الاعتبارات المناطقية والعائلية، هذا إذا ضربنا صفحًا عن اتهامات التزوير على نطاق كبير.

ثانياً : إذا كان هؤلاء الذين يزعمون أهليتهم للحديث باسم الإسلام غير مؤثرين ، ولا يملكون برنامجًا ، ولن تتاح لهم فرصة نجاح .. فلماذا الخوف منهم، ومطاردتهم، وملاحقتهم، ومنعهم من ممارسة أي نشاط ثقافي أو اجتماعي أو سياسي؟ ، ثم : أليس العلمانيون يزعمون أيضًا

المسلمون



والعالم

أهليتهم للحديث باسم الإسلام، فما الفرق المؤثر بينهم وبين الإسلاميين عند (المفكرين) وعند الجماهير، إلا الإحساس بصدق التوجه؟.

ثالثًا: الدندنة حول (البرنامج) على طريقة (الرؤية الإسلامية لحل أزمة المواصلات) و(الطرح الإسلامي لمعالجة مشكلة الصرف الصحي!!)... ليست طريقة صحية في الحوار الفكري والمناوشة السياسية:

● فالصحوة الإسلامية تملك بديلاً حضاريًا متكاملاً ومتميزًا عن غيره لا ينكره من خصومها إلا مكابر.

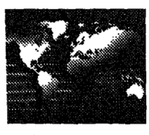
● وهذا البديل الحضاري ليس تصورًا نظريًا فقط، بل دامت تحت ظله مجتمعات متنوعة الأعراق واللغات ودول عتيدة لقرون عدة، وإن اختلفت درجة قربها أو بعدها منه.

● والتيار الإسلامي لم تتح له فرصة العمل الحر حتى يقدم ما عنده، وعندما أتيحت هذه الفرصة تقدم على منافسيه رغم الحضور العلماني المكثف ـ كما حدث في الجزائر، وتركيا أخيرًا ـ.

● وراية (البرنامج) لا يلوح بها إلا في وجه الإسلاميين، فرغم عدم تمكين الحركة الإسلامية من العمل السياسي المنظم والمعلن، والحجر عليها بدعوى عدم وضوح منهجها وفراغ شعاراتها من محتوى فكري محدد، نجد غض الطرف عن الأحزاب العلمانية وإفساح المجال لها، وذلك رغم «غياب التمايز الواضح بين برامج الأحزاب السياسية، مما يجعلها لا تمثل بدائل حقيقية في نظر الناخبين، وغياب الديمقراطية الداخلية في أغلب الأحزاب القائمة.. وعجز الكثير من أحزاب المعارضة عن القيام بوظيفة التعبير عن المصالح وبلورتها في شكل سياسات وبرامج حزبية»، وهذه شهادة الدكتور علي الدين هلال في بحث آخر من الدراسة التي نحن بصددها، فلماذا الكيل بمكيالين لشيئين متماثلين؟!.

● وأخيرًا: فينبغي تجاوز الصور والأشكال إلى الحقائق والنتائج، فما هو نصيب (البرامج) العلمانية التي طقطقت بها الأحزاب أو الدولة من

المسلمون والعالم



التطبيق الفعلي؟، وماذا جلبت هذه البرامج على الفرد والمجتمع طوال الفترة الماضية، حتى نعي حجم الخطر الداهم والفوائد الضائعة على التيار الإسلامي والشعب إذا تخلف عنه (البرنامج) ؟.

وأما الموقف من التعامل مع التيارات الإسلامية:

فنرى الدكتور علي الدين هلال الذي ينعى على ضعف أداء الأحزاب السياسية جميعها يفاجئنا بتحديد مشكلة التمثيل السياسي في مصر «في الجماعات التي لجأت لاستخدام العنف والإرهاب كأداة للعمل السياسي؛ فاستخدام العنف يمثل أداة لقهر الآراء المخالفة وتوجيه المواطنين في مسارات معينة دون غيرها برغم أنفهم».. ولكننا نرى في هذا الكلام خلطاً لبعض الأوراق ؛ فالجماعات التي تلجأ «لاستخدام العنف» ترفض المشاركة في العملية السياسية برمتها ، وبالتالي : فهي ليست بحاجة «لقهر الآراء المخالفة وتوجيه المواطنين في مسارات معينة» ، إضافة إلى أن أعمالها ـ في الغالب ـ كانت موجهة إلى ما اعتبروه رموزاً للنظام السياسي العلماني، وليست موجهة إلى المواطنين لتوجيههم في مسارات معينة رغم أنفهم ـ كما ذكر الدكتور هلال ـ.

كما أن قهر الآراء المخالفة وتوجيه المواطنين في مسارات معينة هو بالضبط ما يتم من قِبَل الدولة؛ كما رأيناها في قرارات منع الحجاب في المدارس، وفي الممارسات الانتخابية المشار إليها ، وفي السيطرة والتوجيه الإعلامي المكثف، وفي سن قوانين (بالمقاس) لمواجهة الآراء المخالفة (كقانون الصحافة وتعديله ، وقانون النقابات، وقانون المنظمات الأهلية).

وواضح أن الرأي مستقر في المشروع المستقبلي على استبعاد التيارات الإسلامية من المشاركة في الحياة العامة:

ـ فبينما يعيب د. علي الدين هلال على الأحزاب السياسية (ضعف بنيتها، فإنه يشكو من (وجود) التيارات الإسلامية التي يسميها التيارات الأيديولوجية الشمولية ـ هكذا قال ـ : «وتواجه عملية التحول



الديمقراطي عقبات عدة، منها : ... ضعف بنية الأحزاب السياسية، ووجود التيارات الأيديولوجية الشمولية» .

و« يحدد الدكتور هلال دائرة عريضة من الاتفاق بين الأحزاب ، تسمح بالعمل المشترك ، وتضمن استمرار عملية التحول الديمقراطي في مواجهة التيارات المعادية للديمقراطية» .

والدكتور الباز نفسه يلمح إلى حق الحكومة في عدم التعامل الديمقراطي مع بعض الأفراد الذين لا يؤمنون إيمانًا كاملاً بالديمقراطية، والمفهوم: أن الكلام موجه بصورة أساسية إلى الحركة الإسلامية التي تُتهم بعض فصائلها باستغلال الإطارات الديمقراطية مع عدم الإيمان بها، يقول الدكتور الباز: «ويتصل بعملية الإصلاح السياسي: تعميق الممارسة الديمقراطية وترسيخ قواعدها في الحياة اليومية ، بحيث لا تقتصر على خلق التوازن بين الفرد والجماعة وعلى حماية المواطنين وتجمعاتهم من عسف السلطة ، وإنما تكون منهجًا ومسلكًا يتبعه المحكومون بقدر ما يلزم به الحكام ، ويتطرق إلى مختلف جوانب الحياة والمعاملات التي لا يعيش المجتمع بدونها، فإذا لم يبدأ الفرد بنفسه ويلتزم بالقيم الديمقراطية في كل تعاملاته مع الغير ومع السلطة وإذا لم يستوعب حقيقة أن الديمقراطية هي قيم وأصول قبل أن تكون نظامًا وأشكالاً وقوالب دستورية وقانونية صماء : فإنه يكون قد أهدر حقه في مطالبة الآخرين والمجتمع ككل بالالتزام بالمفهوم الديمقراطي» .

وهذا الكلام فيه انتقائية في التطبيق الديمقراطي غير مبررة وغير منتهية؛ فقد كنا نفهم أن الديمقراطية ـ حسب اعتقاد أصحابها ـ توجه فكري قبل أن يكون سياسي ، قائم على الاقتناع به قبل أن يكون محققًا لمصلحة ومنتظرًا لمبادلة ومقابلة ، وكاشفًا عما في نفوس الناس، وهي طريقة أقرب ما تكون إلى (التكفير الديمقراطي!)، إضافة إلى أن هذا المنطق يعطي مبررًا للأفراد لعدم (الالتزام الديمقراطي) ما لم تظهر الحكومة



المسلمون والعالم



أولاً هذا الالتزام وتتخلص من هذه الانتقائية . هذا أولاً . .

وثانياً : أن في هذا الكلام دعوة للاستمرار في مبدأ إعطاء (الديمقراطية على جرعات) ـ وهو ما يؤكده الدكتور الباز بقوله :« فتح المجال للدخول في إصلاح سياسي، **بعد توافر** القدر اللازم من الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية » ـ والحجر على الاتجاهات الحضارية المخالفة للوجهة الرسمية، ووصاية على الشعب . . فمن الذي أعطى لهم حق الحجر على اتجاه دون آخر إلى درجة أن يتساءل الأستاذ / السيد ياسين قائلاً : « ما هو دور الإسلام السياسي في المجتمع المصري، هل **يستبعد** هذا التيار أم أننا **لا نستطيع** استبعاده؟ »[1]، فما هي الصلاحية التي تخول لمن يتحدث بهذا الأسلوب أن يحدد من يسمح له بالبقاء ممن يُحكَم عليه بالفناء؟ .

إنها قوة السلطة وليست دافعية الحق . . ليس إلا .

والعجيب : أن هذا الأسلوب في التعامل هو ما يحذرون لأجله من التيارات الإسلامية ، وهو : أنه لو وصلت فصائل من الحركة الإسلامية إلى السلطة : فإنها ستنقلب على (العملية الديمقراطية) وتحجر على أي اتجاه غيرها ، وتمنع تداول السلطة ، أي إن العلمانيين يمارسون بالفعل ما يُحذِّرون منه بالقول ، مع اتهامهم للآخرين بما لم يفعلوه .

والأعجب من ذلك في أمر الانتقائية تلك : أن الدولة تعترف وتتعامل بدرجات متفاوتة ـ ببراجماتية وميكيافيلية سياسية ـ مع مسؤولين خارجين من عباءة الحركة الإسلامية ـ ابتعدوا عنها في الحقيقة أو قربوا ـ ، كما في حالة التعامل مع مسؤولين من أفغانستان والسودان وتركيا ، وهذا يدلنا على أن الصحوة أصبحت واقعاً لا يُنكر في الداخل أو الخارج ، مهما حاول بعض العلمانيين تجاهلها أو التعامي عن وجودها .

ولكن : هب أن بعض فصائل الحركة الإسلامية استقر رأيها على العمل من خلال الإطارات الديمقراطية مع عدم إيمانها بها . . أليس ذلك هو ما

١) ندوة مصر والقرن الواحد والعشرين، مجلة عالم الكتب ـ ع/٤٧ .

المسلمون والعالم

يفعله العلمانيون أنفسهم عندما يُضَمِّنون ـ مضطرين ـ برامجهم الحزبية بند تطبيق الشريعة الإسلامية ـ مع عدم إيمانهم بها ـ لأن في الدستور المصري مادة تنص على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام والشريعة الإسلامية هي المصدر (الرئيسي) للتشريع؟!.. وما الذي يضير العلمانيين في هذا المسلك من هذه الفصائل الإسلامية؟، أليس الأجدر بهم أن يعاملوهم كما نعامل نحن (الأصوليين!) من ظهرت عليه علامات النفاق (من غير أن تصل إلى البينة الشرعية)، حيث لا نخرجه من دائرة الانتساب إلى الإسلام ـ إذا لم يتلبس بشرك أو كفر ظاهر ـ ؟!.

إن هذا الأمر يجرنا إلى مسألة مهمة أغفل العلمانيون طرحها رغم منطقيتها، وهي: إذا وصل إنسان ما ـ بناءً على حريته في التفكير والاعتقاد ـ إلى قناعة بعدم الإيمان بالعلمانية التي تروج لها الدولة، وأراد أن يكون مواطنًا صالحًا يخدم بلده بما يعتقد أنه صالح بلده وأهله، فما السبيل له لكي يفعل ذلك إذا سدت أمامه الدولة طرق التعبير والدعوة، وحجرت عليه أن يمارس حياته بناءً على اعتقاده؟.. إنه ليس أمامه ـ إذا لم يكن لديه طاقة على الدعوة إلى الحق والصبر على الأذى ـ إلا: الانزواء والانسحاب من المجتمع الذي صادر عليه حقه في أن يعيش كما يعتقد ويدعو إليه، أو ممارسة العنف لفرض آرائه بالقوة على المجتمع الذي قهر إرادته، أو الدخول في النفاق السياسي والاجتماعي ليوهم نفسه بالاحتفاظ بقناعته ويساير المجتمع مضطرًا ليقيم حياته، أو تغيير قناعته والذوبان والانصهار في ذلك المجتمع الذي مارس عليه ضغوطه و (إرهابه) لكي يتخلى عن قناعته ؛ ويسير في ركابه، ويعمل ضمن آليته.

ويبدو أن الفرض الأخير هو ما استقر عليه المشروع المستقبلي، وهذا ما يشير إليه الأستاذ / السيد ياسين بقوله: «... سوف نجد أن أكبر تحدٍّ سيواجه الدولة والمجتمع معًا هو: كيفية استيعاب حركات الشباب المصري بكافة توجهاته.. وفي ضوء عجز مؤسسات المجتمع بكافة أنواعها ـ بما فيها



المسلمون والعالم

الأحزاب السياسية ـ عن أن تقدم للشباب ما يجعلهم يحققون مكانتهم الاجتماعية، وبالتالي: فإنه يجب علينا أن نبحث عن وسائل استيعاب الحركة النشيطة والخلاقة للشباب بإدخالهم في وقت مبكر في دوائر صنع القرار...»

فإذا تذكرنا موقف الأستاذ ياسين من (الصراع) بين العلمانيين ومن (يزعمون) أهليتهم للحديث باسم الإسلام لأدركنا أن (الاستيعاب) المقصود ـ إذا خوطب شباب الصحوة بهذا الكلام أصلاً ـ ليس المقصود به (الاحتواء) العملي، بل هو (انصهار) الشباب في الرؤية الفكرية العلمانية ومؤسساتها القائمة، وهو ما يعبر عنه أيضاً الدكتور الباز بعبارة قد لا يُختلف عليها إلا بتحديد التوجه: «... في وقت نحن أشد ما نكون فيه حاجة إلى لم الشمل وتعبئة قوى المجتمع وقدراته لخدمة الأهداف القومية الكبرى» .

وهذا الانصهار والذوبان ليس فقط على مستوى الانخراط العملي للشباب، بل أيضاً على مستوى القيم التي يحملونها؛ حيث يرى الدكتور حسن حنفي في بحثه عن (الإحياء الديني) أن «**الإسلام المستنير** (!) ينبغي أن يلتقي مع الواقع والتيارات الأخرى، حيث تعيد التيارات السياسية والفكرية **صياغة أسسها ومصادرها** ، وتبدأ من تراث الناس أنفسهم ، وبحيث تبدأ **الليبرالية من التراث الإسلامي**، ويقوم التيار القومي بتجديد نفسه عن طريق ربط القومية بالإسلام؛ لأنه أكبر **دعامة** لهذا التيار ، وتقوم **الاشتراكية** بالارتباط بمفهوم العدالة الاجتماعية في الإسلام والملكية العامة، وتتخلص من خطابها الماركسي المادي الإلحادي، كما **يتخلص** الإسلام المستنير من **الإسلام الشكلي الشعائري** الذي لا يقدم القضايا السياسية والاجتماعية وقضايا التحرر في خطابه ، ويهتم فقط بالشكل(!)» .

ويرى الدكتور حنفي أن مفهوم (الإسلام السياسي الحقيقي) «عليه أن يواجه تحديين:

أولهما: يتمثل في ضرورة **انفتاح** الإسلام على التعددية وحق

المسلمون



والعالم

الاختلاف ، وعدم جواز تكفير الآخر .

ثانيهما: التخلي عن الشعائرية والشكلية، وخوض ساحة المعارك الوطنية، مثل قضايا التخلف والتنمية .. إلخ، أما التحدي الخارجي فيتمثل في كيفية تعامل الإسلام مع نظام عالمي ذي قطب واحد »!.

ويتساءل الأصولي الساذج مثلي: وماذا بقي من الإسلام إذن ؟! أليست هذه صورة صارخة لاستخدام الدين خادمًا ! للتنمية والأيديولوجيات العلمانية؟!.

وهل بعد ذلك ذوبان وانصهار؟ نعم .. هناك ذوبان هذا المشروع برمته في الكونية والعالمية؛ حيث يرى الدكتور الباز أن استراتيجية مصر في التعامل مع تطورات مفاهيم المجتمع السياسي -التي « تبشر بتغير كبير في ثقافتنا » - تقوم على مبدأين أساسين:« ... ثانيهما: هو التفاعل المنفتح على التجارب، والثقافات المرتكزة على فكرة تعايش الحضارات والثقافات والأديان »، كما يرى الأستاذ ياسين « أن المجتمع المصري يحتاج لتجديد شامل للثقافة السياسية؛ لأن السلفية السياسية السائدة - سواء كانت إسلامية أو ناصرية أو ماركسية أو حكومية (!!) - ليس لها بالقطع أي مستقبل في القرن القادم »، وأخيرًا يرى الأستاذ ياسين:« أننا نحتاج لرؤية استراتيجية للمجتمع المصري، تحقق الانتقال، بطريقة سلمية وديمقراطية ومتحضرة، إلى **عصر الكونية** السياسية والاقتصادية والثقافية ».

فالمطلوب ليس انصهارًا داخليًا (للمتدينين) فقط، بل انصهار وذوبان في الكونية والعالمية، على حساب القومية والوطنية التي طالما جعلوها بديلاً للهوية الإسلامية.

فمن الذي يسيطر على هذه الكونية والعالمية ويوجهها؟ وأين هوية الأمة و(مشروعها) الذي يقوم على رؤية حضارية خاصة ؟!.

هل هناك علاقة بين تعايش الحضارات والثقافات والأديان ، والانتقال إلى عصر الكونية، ومواجهة الصحوة الإسلامية ؟!.. دعوة للتفكّر !!.

المسلمون



والعالم

البحر الأحمر..
والمطامع الصهيونية

لكي يقترب العدو الصهيوني من أهدافه في البحر الأحمر: فهو بحاجة إلى أن يكون له قواعد متقدمة تتحكم في إغلاقه لا تبعد كثيراً عن مضيق باب المندب، الذي ليس بالإمكان دخوله سوى عن طريق موضعين يمكنه السيطرة منهما على المضيق، هما: الجزر اليمنية، والأراضي الواقعة على الساحل الجيبوتي.. غير أن الأخيرة ممتنعة عليه بسبب الوجود العسكري الفرنسي في جيبوتي، ولهذا: لم يجد الصهاينة ـ أخيراً ـ وسيلة إلا عن طريق الجزر اليمنية، ونظام أسياسي أفورقي (حاكم إريتريا الصليبي)؛ فهو وحده الأداة الطيعة الكفيلة بتحقيق هذا الهدف، وبذلك: يكون العدو الصهيوني قد بدأ بتحقيق مطامعه القديمة التي بدأ قبل ما يقرب من عشرين عاماً يوليها عناية خاصة بعد حرب ١٩٦٧م، حيث أدرك أن أمنه في البحر الأحمر لا يبدأ عند خليج العقبة، وإنما يبدأ من باب المندب، الذي ـ إن أُحكم إغلاقه ـ يشكل تهديداً لأمنه «فإن حصار باب المندب لا يختلف عن حصار مضايق تيران إلا من حيث المسافة؛ لأن الأثر التقييدي المفروض على (إسرائيل) واحد لا يتغير» (١)، ومع وجود عشرات الجزر المهملة في تلك المنطقة: فقد بدأ العدو في ترتيب علاقات قوية مع إثيوبيا منذ ذلك الوقت تخوله استخدام بعض الجزر التي يستطيع من خلالها تأمين الملاحة الصهيونية ومراقبة أي وجود عسكري في المنطقة، حيث «أجَّر» «هيلاسي» [الإمبراطور الإثيوبي سابقاً] قاعدة كاغنيو العسكرية في أسمرة بإريتريا إلى الولايات المتحدة، وسمح

١) البحر الأحمر والصراع العربي / الإسرائيلي، للدكتور عبد الله عبد المحسن السلطان، ص ١٨٧.

المسلمون



والعالم

بقلم:
محمد مبارك مسعود

لإسرائيل بأن تؤسس وجوداً لها في إريتريا »[1].

وقد نشرت بعض الصحف الأمريكية في مارس ١٩٧٣م أخباراً مفادها: أن (إسرائيل) قد وضعت يدها على بعض الجزر التي تقع في مدخل البحر الأحمر، ومن بينها جزيرة (زقر) التي تعتبر أحدَ أهم الجزر الاستراتيجية التي تتحكم في مضيق باب المندب، ونوقش الأمر بالفعل في الجامعة العربية، وشكلت لجان، وأجرت مسحاً للجزر، وظهر بأن تلك الجزر مهملة بالفعل من قبل اليمن، حيث لا توجد فيها قوات لحمايتها!، ونترك الحديث للعميد محمد علي الأكوع، الذي كان يومها وزيراً للداخلية اليمنية في حكومة القاضي الحجري عام ١٩٧٢م، حيث يقول[2]:

« .... وبعد شهر فوجئت بتليفون من رئيس المجلس الجمهوري ـ آنذاك ـ القاضي الإرياني يعاتبني لبطء الرد على مذكرة الجامعة العربية التي تقول: بأنه بلغ الجامعة أن إهمالنا لجزرنا بالبحر الأحمر قد شجع إسرائيل على احتلالها، وأن الجامعة تنتظر تصحيح خبر ذلك أو نفيه، ولنلاحظ أن الجامعة العربية قد وجهت لنا وحدنا المذكرة عن هذه الجزر .... إلى أن قال: وقد أرسلنا لجنتين: أحدهما من الجيش برئاسة رئيس الأركان آنذاك العقيد حسن المسوري، وأخرى أمنية برئاسة المقدم محمد خميس ـ وكان في ذلك الوقت مديراً للأمن الوطني ـ ، وكانت النتائج: أن تلك الجزر خالية تماماً من البشر ولا أثر لهم ... ووجدنا

١) المصدر السابق، ص ٢٠٣.

٢) العدد ٦٨٢ ـ صحيفة (٢٦ سبتمبر) اليمنية، ٢١/١٢/١٩٩٥م.

المسلمون والعالم





جزرنا بالبحر الأحمر (حنيش الكبرى، وحنيش الصغرى، وزقر، وسيول، والمالح، وأبو علي) كلها خالية من أي علامات تدل على أن أحداً قد وطأت أقدامه أراضيها، وحيث إن مذكرة الجامعة العربية تحملنا مسؤولية حماية جزرنا هذه: فإنا نشرك الجامعة العربية معنا في تحمل تلك المسؤولية، لاعترافنا أننا مقصرون بعدم تأهيلها بالحاميات العسكرية الكافية ».

وفي ذلك الوقت: دفع هذا الأمر مصر إلى التحرك لدى الدول المطلة على مداخل البحر الأحمر لمناقشة الأمر، لا سيما وأن مصر كانت تعد في ذلك الوقت لحربها مع العدو، التي قامت بالفعل في أكتوبر ١٩٧٣م، وتم إغلاق باب المندب وقتها في وجه الملاحة الإسرائيلية؛ مما دفع العدو إلى السعي بقوة لترسيخ نفوذه في هذه المنطقة.

الاستراتيجية الصهيونية في البحر الأحمر (١) :

على الرغم من الاضطرابات والأعاصير السياسية والعسكرية التي عاشتها شواطئ البحر الأحمر، وعلى الرغم من كل النتائج الخطيرة التي ترتبت عليها ونتجت عنها، ظل منفذان يطلان على البحر تحت سيطرة أشكال استعمارية مختلفة، تمثل خطراً من حيث وجودها العسكري في البحر الأحمر:

١ ـ ميناء إيلات الصهيوني، الذي يمثل إطلالة العدو على مياه البحر الأحمر.

٢ ـ ساحل إريتريا (ألف كليومتر) ـ أي: أكثر من نصف طول ساحل البحر الأحمر الغربي بأكمله ـ يخضع للسيطرة الإثيوبية / الإسرائيلية /

---

١) يراجع كتاب (البحر الأحمر ومضايقه بين الحق العربي والصراع العالمي) للدكتورة آجية يونان جرجس، الأستاذة في كلية الآداب ـ جامعة المنوفية ـ مصر، وقد فصلت فيه المخطط الصهيوني في هذه المنطقة، ووصفت فيه الجزر اليمنية بـ(المغتصبة)، علماً بأن تاريخ إصدار الكتاب يعود إلى عام ١٩٧٩م.. كما يراجع كتاب الدكتور عبد الله عبد المحسن المشار إليه سابقاً، ص ١٨١ وما بعدها.

الأمريكية سابقًا، وحاليًا: تحت سيطرة الجبهة الشعبية الصليبية الحاكمة في إريتريا، هذا الوجود البحري المعادي المطل مباشرة على البحر الأحمر يشكل استعمارًا استراتيجيًا ستكون له عواقبه المستقبلية بلا شك، ولكي يتحقق الوضوح الكامل للصورة: ينبغي أن نتعرف على الاستراتيجيات العامة في البحر الأحمر، التي ـ بالفعل ـ تضع ثقلها في سبيل السيطرة على تطور الأحداث في البحر الأحمر.

ويجب أن نحدد بوضوح القوى العاملة بنشاط في البحر الأحمر: ماذا تريد؟، ما حجم وجودها ؟، ما أهمية وجودها العسكري؟، ما أثره على ميزان القوى في البحر الأحمر؟، وبالتالي: انعكاس ذلك على ميزان القوى في المنطقة العربية، وبالذات: الدول المطلة على البحر الأحمر.

ويمكننا القول: إن الاستراتيجية الصهيونية في البحر الأحمر تعمل على فرض الوجود البحري في مياه البحر الأحمر، وهي في الوقت نفسه: تمثل عنصر الاضطراب والقلق، ليس فقط على أمن المنطقة، ولكن أيضًا: على استقرار واقتصادية كل شبكة النقل العالمي المرتكزة على منافذ البحر الأحمر ، وتعمل هذه الاستراتيجية بكل قواها على أن تكون هي المستفيد الأول من كل ضرر أصاب المنطقة أو يصيبها، وإدراكها لأهمية العمق الاستراتيجي لكيانها، وارتباطه العضوي بأمنها، وقدرتها على التوسع العسكري المستقبلي، لذا: بذل العدو خلال العقد السابع من القرن الميلادي جهودًا مضنية في سبيل تعزيز علاقاته، وبخاصة في الشرق الإفريقي المطل على البحر الأحمر باعتباره ممرًا مصيريًا بالنسبة له.

من أهدافهم في البحر الأحمر:

«بدأت الاستراتيجية الإسرائيلية حيال البحر الأحمر عام ١٩٤٩م بعد تأسيس الوجود الإسرائيلي في خليج العقبة؛ وبهدف الاتصال مع العالم الخارجي عن طريق البحر الأحمر، لتحقيق ذلك الهدف: بدأت إسرائيل بتأسيس وجود لها على البحر الأحمر؛ بغية استخدامه لتحقيق مصالحها

المسلمون



والعالم

العسكرية والاقتصادية والسياسية »[1] ، وحيث « يتسم البحر الأحمر ، بما في ذلك القرن الإفريقي، بأهمية حيوية واستراتيجية لـ (إسرائيل)، وعليه: فقد اتبعت (إسرائيل) باستمرار ثلاثة أنماط متداخلة من العمل على تحقيق سيطرتها على البحر الأحمر: تدعيم قواتها المسلحة، وإنشاء علاقات ودية سياسية ودبلوماسية مع إثيوبيا [ثم: إريتريا أيضاً بعد انفصالها]، واستغلال جزر البحر الأحمر »[2].

ويمكننا رصد بعض الأهداف الصهيونية في البحر الأحمر، وذلك من خلال:

١ ـ فرض الوجود البحري العسكري الصهيوني في مياه البحر الأحمر وترسيخه، وتأمين مصالح إسرائيل، بما يضمن الاتصال والأمن للخطوط البحرية العسكرية والمدنية الإسرائيلية بين المحيط الهندي والبحر المتوسط، عن طريق البحر الأحمر والطريق البرية من إيلات إلى حيفا وعسقلان؛ ولذلك جنّدت طرادات حراسة سريعة ترافق السفن التجارية التي تحمل بضائع للعدو، مروراً بباب المندب حتى المحيط الهندي، وأمّنت محطات تزويدها بالوقود في الجزر الإريترية: حالب، وفاطمة، وميناء عصب، وجزر دهلك، وبعض الجزر المغتصبة من اليمن مثل: ذكور، وحانش (حنيش).

٢ ـ إيجاد عمق استراتيجي ووجود عسكري مباشر يتيح رصد أي نشاط عسكري عربي في المنطقة، بما يتيح لها إمكانات الهجوم المباشر على العرب في باب المندب، ويشتت الجهد العربي العسكري على طول البحر الأحمر.

٣ ـ استخدام التفوق الإسرائيلي لكسر أي حصار عربي في المستقبل ضد قوات إسرائيل وسفنها في البحر الأحمر، وبخاصة في حالة



---

١) البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، ص ١٨١.

٢) المصدر السابق ، ص ١٨٢.

أي مواجهة عربية ـ إسرائيلية !.

٤ ـ حماية حركة تجارة العدو الخارجية المتجهة إلى جنوب إفريقيا، وشرقها، وآسيا.

٥ ـ تأمين ملاحة ناقلات النفط، وإنعاش كل موانئ ونقاط استقبال وتكرير النفط وإعادة تصديره .

تدويل البحر الأحمر [١] :

إن للدول العظمى استراتيجيات ليس من اليسير الكشف عن مراميها على الفور، ولكن يمكن رصد ذلك على مراحل متباعدة، وأهم هذه الاستراتيجيات في الوقت الحالي: تدويل البحر الأحمر ، فمن رأس الخليج شمالاً، وحتى باب المندب أمام جيبوتي والصومال على مشارف المحيط الهندي، حيث تتسكع الأساطيل البحرية لبعض الدول التي تسمى بالعظمى، في استعراض مكشوف، ينم عن مأرب لا يخفى على الجميع.

لقد أعلن أباطرة أوروبا منذ ما يقرب من مئتي عام: أن « من يسيطر على البحر الأحمر يسيطر على العالم »، ومن بعد ذلك بمئة وخمسين عاماً، في أعقاب الحرب العالمية الأولى سادت نظرية تقول: « لا يمكن السيطرة على أوروبا إلا من جنوبها »، وجنوب أوروبا هو البحر المتوسط الذي يربط بينها وبين إفريقيا، ثم البحر الأحمر الذي يرى فيه أصحاب هذه النظرية مدخلاً للسيطرة على العالم، والذي تمر به أربعة أخماس المواد الأولية من آسيا وإفريقيا إلى العالم الغربي، وهنا تبرز أهمية باب المندب.

نبذة عن باب المندب:

وباب المندب يتكون من مضيقين: الأول: صغير، ويقع برمته في الأراضي اليمنية، حيث يقع بين الساحل اليمني وجزيرة ميون اليمنية التي تشق المضيق إلى مضيقين، ويبلغ عرض هذا المضيق الصغير حوالي (ميلاً بحريًا ونصف الميل) وطوله حوالي (ثلاثة أميال) ، وهذا المضيق الصغير

١) انظر: البحر الأحمر ومضايقه . . ، ص٨٠، والبحر الأحمر والصراع العربي / الإسرائيلي . .

المســلمون



والعـــالم

ـ الذي يقع برمته في الأراضي اليمنية كما أسلفنا ـ هو المفضل للملاحة الدولية؛ لخلوه من الشُعَب المرجانية والمخاطر التي تحف بالملاحة في المضيق الكبير الذي يقع بين جزيرة ميون والساحل الإفريقي.

والمضيق لم يخضع تاريخيًا للملاحة الحرة الدولية؛ فقد كانت الملاحة في مضيق باب المندب تحت إشراف الدولة التي تسيطر على المنطقة اليمنية، وباب المندب ـ بعد استقلال اليمن ـ يقع تحت سيطرة اليمن، ويعتبر مياهًا إقليمية بحتة منذ أن انسحبت بريطانيا .

واليمن لم ترفض الملاحة فيه لأي دولة، ولكن من حقها أن تغلقه إذا شاءت؛ لأن المضيق الصغير المفضل للملاحة الدولية يقع برمته في أراضي دولة واحدة، لذلك: فإنه يعتبر جزءًا من إقليم الدولة، ولها عليه السيادة المطلقة كسيادتها على إقليمها البري، كما يحق لها فرض الحصار البحري في حالة الحرب، وقد طبقت قواعد الحصار البحري من قِبَل القوات المصرية عند محاصرة باب المندب خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣م في وجه ملاحة العدو وغيرها من السفن القادمة والمتجهة من الأراضي المحتلة وإليها.

هذا عن الساحل العربي، أما الساحل الإفريقي:

فهناك دولتان (إريتريا، وجيبوتي) تطلان على المضيق، وعلى الرغم من أن الموقف يكاد يكون شبه مستقرٍّ على الساحل العربي، فإنه يزداد تدهورًا في القرن الإفريقي، خاصة أن إريتريا أصبحت رهينة المصالح الغربية، وبالذات: الصهيونية والأمريكية، ومن هنا فإن محصلة الصراع الدائر الآن للهيمنة على هذا المجرى المائي ستؤثر تأثيرًا مباشرًا على أمن مياه البحر الأحمر، وبالتالي: على استقرار الساحل العربي، وهذا ما يحمل في ثناياه تهديدات، قد تصل إلى الخليج والمناطق المطلة عليه كافة.

إريتريا وحصان طروادة:

كان للدعم العربي المادي والمعنوي للقضية الإريترية أبعاده ومدلولاته السياسية، ليس باعتبار أن إريتريا هي امتداد عربي إسلامي، أو أنها ثغر من ثغور

المسلمون

والعالم

المسلمين لا بد من استرداده لأهميته الجغرافية والاستراتيجية في القارة الإفريقية، ولكن حقيقة هذا الدعم تنطلق من مرتكزات أخرى غير هذه الحيثيات.

لذلك: لم ينقطع المدد العربي طوال سنوات حرب التحرير الإريترية عن الفصائل الإريترية، بل إن اليمن كانت تشكل خطًا خلفيًا للثورة الإريترية، ترفدها بالسلاح، وكانت عدن معقلاً للمقاومة الإريترية، ومخزنًا للأسلحة، وقاعدة للانطلاق، واستمر هذا الدعم إلى أن سيطر الشيوعيون بقيادة « مانجستو هيلاماريام » على الحبشة، حيث انتقلت المقاومة إلى شمال اليمن، وهناك تحصلت على الدعم الكثير بسبب العداوة من قبل دول الخليج للنظام الموالي لموسكو في عدن ـ آنذاك ـ، وقدّمت اليمن تسهيلات كبيرة للمقاومة الإريترية، من أهمها: إعطاؤهم جزيرة حنيش الكبرى كنقطة انطلاق، منها يتم شحن الأسلحة، وإدخال المقاتلين الذين يتم تدريبهم في اليمن وبعض الدول العربية الأخرى، واستمر الدعم العسكري من الدول العربية منذ عام ١٩٨٦م . وهنا أمر يكرر نفسه: وهو أن هذا الدعم العربي اتخذ في بعض الأحيان أشكالاً سلبية، من خلال محاولة ربط فصائل إريترية معينة بمحاور عربية أو خلافها ، وكانت بعض الدول العربية (مثل: اليمن الجنوبي، وسورية) في مراحل معينة قد نفضت يدها من القضية الإريترية إرضاءً للنظام الماركسي آنذاك في أديس أبابا، ثم إرضاءً لموسكو.

فهذا هو الواقع الأليم لهذه القضية المهمة التي لم يبذل الإسلاميون جهداً كبيراً من أجلها ـ مثلما عملت بعض الأنظمة العربية من متاجرة ومساومة لأخذ مكاسب سياسية لإرضاء الشرق أو الغرب ـ وياليت الإسلاميين تبنوا قضية الجهاد الإريتري التي تمثله حركة الجهاد الإسلامي الإريتري مثل تبني غيرها من المنظمات الإسلامية في كشمير والفلبين والبوسنة وغيرها، أسوةً بما يعمله مجلس الكنائس العالمي وأمريكا والعدو الصهيوني الذين قطعوا شوطًا كبيراً في دعم الأقلية المسيحية الأرثوذكسية



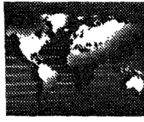
صاحبة النفوذ في الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا رغم أن ٧٥٪ من سكان إريتريا (البالغ عددهم حوالي أربعة ملايين نسمة) هم من المسلمين، فيما لا يزيد عدد المسيحيين عن ٢٠٪، و ٥٪ يتبعون ديانات أخرى، لذلك: فإن الولايات المتحدة قد ركزت جهدها حينما بدأت تتدخل في القرن الإفريقي بقوة في النصف الثاني من العقد التاسع من هذا القرن، وذلك بدعم الجبهة الشعبية التي يتزعمها «أفورقي» التي لا تمثل سوى نسبة ضئيلة من السكان المسيحيين الذين لا يزيدون بمجموعهم عن ٢٠٪ من عدد السكان، فيما أهملت كافة الجبهات الأخرى، وأهمها: الجبهات التي تمثل المسلمين ـ وإن كان فكرهم قوميًّا أو علمانيًّا ـ والذين تبلغ نسبتهم ٧٥٪ من سكان البلاد.

وفي (أتلانتا) دعت الولايات المتحدة في عام ١٩٧٩م لندوة، عقدت تحت رعاية الرئيس الأمريكي الأسبق «كارتر» للبحث عن حلول سلمية للنزاعات الإقليمية في إفريقيا، حيث تم اختيار «أسياسي أفورقي» وحده لتمثيل إريتريا، وفي هذا الوقت: تم تكليف مساعد وزير الخارجية الأمريكية اليهودي «هيرمان كوهين» برسم السياسة الأمريكية في إفريقيا عمومًا، والقرن الإفريقي خصوصًا، حيث قام المذكور بترسيخ دعائم «أفورقي» بدعوته في مطلع يونيو ١٩٩١م لحضور مؤتمر لندن، الذي تم فيه الترتيب بين «أفورقي» و«ملس زيناوي» زعيم المعارضة الإثيوبية في ذلك الوقت (الرئيس الإثيوبي حاليًا) علمًا أن هؤلاء تربطهم صلة قرابة، فهم أبناء خالة، على أن يتم منح إريتريا حق تقرير المصير بعد سقوط العاصمة (أسمرة) في أيدي الإريتريين ـ وهذا ما تم بالفعل في ٢٤ مايو ١٩٩١م ـ وسقوط النظام الاشتراكي لمنجستو هيلامريام.

وفي الفترة من مايو ١٩٩١م وحتى إجراء الاستفتاء في ٢٥ إبريل ١٩٩٣م كانت الدولة الصهيونية قد رتبت أوضاعها مع كل النظامين الجديدين في المنطقة (نظام «ملس زيناوي» في إثيوبيا، ونظام «أسياسي أفورقي» في إريتريا)، وقد بدأت الصورة تتضح حينما ذهب «أفورقي» مرتين متتالتين



المسلمون والعالم



إلى (إسرائيل) بدعوى العلاج من الحمى الدماغية، الأولى كانت في يناير ١٩٩٣م، والثانية في مارس من العام نفسه، واتضح أن هاتين الزيارتين لم تكونا سوى تتميم للعلاقات الحميمة التي بدأت مع العدو الصهيوني فور إعلان استقلال إريتريا، وأنها شملت اتفاقات عسكرية، وزراعية، وتدريبات مشتركة، ووجود صهيوني في جزيرة (دهلك) الاستراتيجية، ومراكز تجسس ـ كما في القاعدة التي توجد في منطقة (دقمجرى) التي تبعد عن أسمرة (٤٠) كيلو متراً ـ، وكذا: المسح البحري في البحر الأحمر من قِبَل خبراء عسكريين صهاينة، وعندما بدأ الاستنكار من قبل بعض الأنظمة لما فعله «أفورقي»، خرج المذكور على العالم في عدة تصريحات صحفية مؤكداً أن إريتريا ليست عربية، وقال في حوار إلى مجلة (ميدل إيست)، نشرته في يوليو ١٩٩٣م: «لقد أعلنا عن علاقتنا مع (إسرائيل) منذ وقت طويل، ولم نكن في يوم من الأيام نتعامل في هذا الشأن بأي سرية، وإننا نهدف من هذه العلاقات أن تساهم (إسرائيل) بالنفع على بلادنا»، وقد أكد المفوض العام الإريتري في فرنسا «دانيال يوهاس» في مقابلة أجراها مع مجلة (الوسط) في فبراير ١٩٩٣م «على أن الإريتريين ليسوا عرباً».

أما الدعم الأمريكي الغربي الصهيوني: فقد وضحته الصحفية الفرنسية «ماري سوبيتل» في تقرير نشرته في صحيفة (اللوموند) الفرنسية في أبريل ١٩٩٣م، حينما قالت: «لقد نظر الغرب دائماً إلى إريتريا كحصن منيع أمام الزحف الإسلامي في القرن الإفريقي، ولذلك فهو يدعم «أفورقي» في إريتريا و«ملس زيناوي» في أديس أبابا معاً».

وبعد: فهذا هو واقع الجهود الصهيونية في السيطرة على البحر الأحمر، وجزره، ومضايقه.. وتعاون الدول المطلة على البحر نفسه (إثيوبيا والجبهة الحاكمة في إريتريا) التي جعلت نفسها نائبة عن (إسرائيل) ـ عندما عجزت عن الزعم بأن لها حقوقاً في تلك الجزر والمضايق!! ـ: يفضح العلاقات المشبوهة بينها.

الإسلام والمسلمون في
تنزانيا

(١ من ٢)

تنزانيا دولة اتحادية تتكون من جزئين : «تنجانيقا ، و زنجبار» ، استقلت تنجانيقا عام ١٩٦١م عن الاستعمار البريطاني ، أما زنجبار فكانت سلطنة (محمية بريطانية) ، وسلطانها «عبد الله خليفة» ، وكان بجانبه معتمد بريطاني بمثابة الحاكم الرسمي ، وكانت أصول الأسرة الحاكمة من عُمان ، ولما توفي السلطان عبد الله خلفه ابنه «جلمشيد» ، واستقلت السلطنة في ٣ / ٨ / ١٣٨٣هـ الموافق ١٩ / ١ / ١٩٦٣م ، ثم وقع انقلاب في زنجبار في ٢٧ / ٨ / ١٣٨٣هـ ، أزيح بموجبه السلطان ، وأعلنت الجمهورية بزعامة المدعو «عبيد كرومي» ، وقتل في الانقلاب (٧٠٠٠٠) مسلم ، ووقَّع الانقلابيون الوحدة مع تنجانيقا ، فقامت دولة تنزانيا عام ١٩٦٤م لأول مرة [١] .



القبائل في تنزانيا:

يوجد في تنزانيا أكثر من (١٣٠) قبيلة ، لكن مع كثرة هذه القبائل: فإن تنزانيا تتميز بعدم وجود العصبيات القبلية ، كما أنه ـ أيضاً ـ لا توجد قبيلة تشكل الأكثرية في السكان ، وتجدر الإشارة إلى أن بعض القبائل في عهد الاستعمار حظيت بفرص التعليم أكثر من غيرها ، وهذه القبائل هي :

١ ـ واتشاغا (في محافظة كليمانجارو) .

٢ ـ واهايا (في محافظة بوكابا) .

٣ ـ وانياكيوسا (في محافظة مبيبا) .

اللغات : إن اللغة السائدة في تنزانيا هي اللغة السواحيلية التي انتشرت

١) التاريخ الإسلامي ، محمود شاكر ، جـ١٦ ص ١٦٥ ، وما بعدها ، بتصرف .

المسلمون والعالم

بقلم:
سعيد عبيد الله



المسلمون



والعالم

في جميع أطراف تنزانيا، وهي اللغة الأولى الرسمية للدولة، تليها اللغة الإنجليزية، وهناك لهجات ولغات أخرى محلية من فصيلة البانتو.

الحكم: تنزانيا دولة علمانية، وعاشت لفترة طويلة تحت نظام الحزب الواحد، وهو الحزب الثوري الحاكم (س.س.أم C.C.M.)، وهي تعيش الآن ـ منذ آخر عام ١٩٩١م ـ تحت نظام تعدد الأحزاب السياسية، ودستور الدولة مع تصريحه بتعدد الأحزاب إلا أنه ما زال ينص على علمانية الدولة، وعليه: فإنه يحظر أي حزب ينتمي إلى الدين.

وتنزانيا مقسمة إلى (٢٥) محافظة، خمس منها في زنجبار (تنزانيا البحر)، وعشرين في تنجانيقا (تنزانيا البر)، وكل محافظة من هذه المحافظات لها والٍ يتم اختياره من قبل رئيس الدولة، كما أن كل محافظة أيضاً مقسمة إلى ولايات، وكل ولاية لها والٍ يتم اختياره أيضاً من قِبل رئيس الدولة.

دخول الإسلام إلى تنزانيا:

دخل الإسلام تنزانيا عن طريق التجار العرب ، وكان دخوله قبل النصرانية بمدة طويلة، وهو الدين الذي يشكل نسبة كبيرة من السكان، إذا قيس المسلمون بالطوائف الدينية الأخرى، فأقدم الإحصاءات التي أجريت في عام ١٩٥٨م تشير إلى أن الدين الإسلامي يشكل نسبة ٥٥٪ قياساً بالديانات الأخرى، أما الإحصاءات التي أجريت في أعوام ١٩٦٨م ، ١٩٨٧م، ١٩٨٨م: فلم تتعرض للانتماءات الدينية.

هذا ونشير إلى أن نسبة (٥٥٪ للمسلمين) التي أشارت إليها إحصاءات عام ١٩٥٧م، يعتقد أنها غير سليمة؛ حيث إن كثيراً من المتابعين يرى أن النسبة الحقيقية للمسلمين في تنزانيا هي ما بين ٦٥٪ إلى ٧٥٪ .

أوضاع المسلمين هناك:

١ ـ تعليميًّا: إن الحالة التعليمية للمسلمين في تنزانيا مع تشكيلهم النسبة العليا من السكان سيئة جدًّا؛ حيث إنهم محارَبون في هذا المجال بجماعات التنصير ـ التي بدأت بناء وتعميم المدارس العصرية في تنزانيا ـ، وكانت سياستها بالتعاون مع الاستعمار قائمة على إتاحة فرص التعليم لأبناء النصارى فقط، اللهم إلا من كان لديه الاستعداد لتنصير أبنائه؛ ليحصل على فرص أكثر للتعليم، وهذه السياسة هي التي جعلت المسلمين يمتنعون من إرسال أولادهم إلى المدارس التنصيرية، كما جعلتهم أيضاً يكرهون الاستعمار، ومن ثم: القيام بتأسيس الأحزاب السياسية للمطالبة بالاستقلال، ولهذا: نجد الكثير من مؤسسي الأحزاب السياسية في عهد الاستعمار من المسلمين (في حين أن معظم مؤسسي الأحزاب السياسية الآن ــ بعد وجود نظام تعدد الأحزاب السياسية عام ١٩٩٢م ــ من النصارى)، ومن نتائج المدارس التنصيرية: أن نجد اليوم بعض من كانوا مسلمين ــ وهم الآن شخصيات بارزة ــ يحملون أسماء مثل: جون رمضان، جورج مبارك، جوسف محمد (وهم من زعماء الأساقفة)، موسيس نناثوي نائب الأمين العام للحزب الثوري الحاكم (وكان اسمه: موسى علي نناثوي) .

واستمرت الحرب في حرمان المسلمين من فرص التعليم حتى بعد الاستقلال الذي كان المسلمون أول من طالب به من أجل التعليم والحفاظ على عقيدتهم.

المســلمون

والعــالم



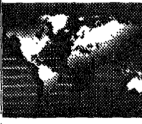
فبعد أن تولى «يوليوس نيريري» منصب رئيس الجمهورية وضع خطة مدروسة لإضعاف قوة المسلمين وحرمانهم من التعليم، ذلك الجانب الحيوي المهم في حياة الأمة، ففي فترة رئاسته ـ التي دامت نحو ثلاثين عامًا ـ لم يضع أي مسؤول مسلم في وزارة التربية والتعليم، وهي وزارة لها وزنها في أي دولة، بل لم يكن المسؤولون فيها نصارى فقط، وإنما كانوا أيضًا من رجال الكنيسة، كما أن المسؤولين في المجلس الوطني للامتحانات كانوا أيضًا من رجال الكنيسة.

وكان من نتيجة هذه الخطة الخبيثة: أن نجد النسبة العليا من الطلاب في المدارس الابتدائية من المسلمين، حيث تصل نسبتهم إلى ٨٠٪ لكن هذه النسبة للأسف نجدها تقل كلما اتجهت إلى التعليم الثانوي، لتصل إلى ١٠٪ في التعليم العالي (المعاهد العليا والجامعات).

ولم يتوقف «نيريري» عند ذلك، بل ألغى أيضا (جمعية مسلمي شرق إفريقيا) التي كانت لها حركة إسلامية قوية في البلاد، خاصة في مجال التعليم، حيث كانت تبني وتدير المدارس الابتدائية والثانوية العصرية الإسلامية، فقد ألغى هذه الجمعية وأسس باكواتا (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في تنزانيا)، وسلّم جميع ممتلكات هذه الجمعية بما في ذلك المدارس إلى باكواتا، وهذه المدارس التي بناها المسلمون بأموالهم من أجل أولادهم المحرومين من فرص التعليم يدرس فيها الآن أولاد المسلمين وغير المسلمين للأسف الشديد، في حين أنه لم يكن يدرس فيها تحت ملكية (جمعية مسلمي شرق إفريقيا) إلا أولاد المسلمين فقط.

ولقد حاول المسلمون في عهد «نيريري» افتتاح المدارس العصرية الإسلامية، إلا أنهم كانوا كلما وصلوا وزارة التعليم وجدوا العراقيل، في حين أن الكنيسة كانت يومًا بعد يوم تفتتح المدارس التي لا يدرس فيها





والعالم

إلا أولاد النصارى.

ولم يتمكن المسلمون من افتتاح المدارس العصرية الإسلامية المسجلة رسميًا إلا بعد استقالة «يوليس نيريري»، وتولي منصب رئيس الجمهورية «علي حسن مويني»، وكان أول تغيير أجراه هو إسناد منصب وزير التعليم لأول مرة إلى مسلم، هو الأستاذ الدكتور «كيغوما علي مالِيما»، فلقد اكتشف هذا الوزير المسلم خطة الكنيسة في حرمان المسلمين من فرص التعليم، وقام بعمل تعديلات في الوزارة، كان من نتائجها:

١ ـ حصول انتعاش في ارتفاع نسبة الطلبة المسلمين في المراحل التعليمية المختلفة.

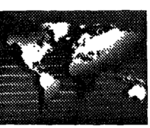
٢ ـ افتتاح المسلمين قليلاً من المدارس الابتدائية والثانوية العصرية الإسلامية.

ولكن لم تسكت الكنيسة عن هذه التحولات، بل كتبت عدة مذكرات سرية إلى الرئيس «علي حسن مويني» وضغطت عليه كثيراً؛ مما اضطر الرئيس ـ أخيراً ـ إلى نقل ذلك الوزير المسلم من وزارة التعليم إلى وزارة المالية، لكن ـ مع ذلك ـ جعل الرئيسُ الأمينَ العام لوزارة التعليم مسلمًا، وهو السيد «كينيا حسن»، كما جعل أيضا الأمين العام في وزارة التعليم العالي والعلوم والتكنولوجيا ـ وهي وزارة جديدة ـ الدكتور «محمد بلال».

ومع هذا كله: فإن الأمر ما زال صعبًا على المسلمين في هذا المجال؛ فلقد أعلنت الحكومة إلغاء التعليم المجاني الذي أعلنته منذ أكثر من عشرين عامًا، وقررت من جديد أن يساهم أولياء الأمور بتكاليف التعليم، وعليه: أعادت الرسوم الدراسية التي هي عالية جدًا في التعليم الثانوي والتعليم العالي، الأمر الذي يعجز عنه الكثير من أولياء الأمور المسلمين؛ نتيجة ضعف المستوى الاقتصادي للمسلمين.

المسلمون والعالم

المسلمون والعالم



وأما من ناحية التعليم الديني في تنزانيا: فهو أيضًا دون المستوى المطلوب، فمع وجود النسبة العليا من المسلمين فإن هناك ثلاث مدارس فقط على مستوى الإعدادية، فلا يوجد معهد ثانوي ولا جامعة، ولكن توجد في تنزانيا بعض المدارس القرآنية، إلا أن هذه المدارس ليس لها منهج دراسي معتمد، كما أن مستوياتها غير محددة، ومنهج التدريس والتربية فيها ما زال تقليديًا قديمًا وصوفيًا.

أما المدارس القرآنية المعروفة بـ (الكتاتيب، أو الخلوات) فهي كثيرة جدًا، غير أن معظمها عبارة عن غرف ملصقة ببيوت أشخاص، وليست مدارس مستقلة، فبيئتها غير تعليمية، كما أن أكثر المعلمين، فيها تقليديين، والتدريس فيها متأخر جدًا.

٢ ـ اقتصاديًا: إن المستوى الاقتصادي للمسلمين في تنزانيا ضعيف، وهذا الضعف يأتي بسبب اعتماد اقتصاد تنزانيا ـ أساسًا ـ على الزراعة، التي يزاولها أكثر المسلمين في المناطق الساحلية، ويمكن أن يتحسن الوضع الاقتصادي من خلال تطوير الزراعة من حيث نوعية المحاصيل والأساليب الزراعية، ولكن الحكومة لا ترغب في ذلك.

والمجال الوحيد الذي يمكن القول بأن للمسلمين قوة نسبية فيه هو التجارة، لكن مع هذا: فإن معظم البارزين في هذا المجال هم الإخوة من العرب والهنود، وكما يلاحظ: فإن نسبتهم قليلة في عدد السكان، أما الأصليون (الأفارقة) فليس لهم ذكر في مجال التجارة.

ومن الملاحظ: أن كبار التجار هم من الهنود الرافضة الاثني عشرية.

٣ ـ سياسيًا: بعد أن تولّى «جوليوس نيريري» رئاسة الجمهورية ألغى نظام تعدد الأحزاب السياسية، ثم بدأ بإبعاد الشخصيات الإسلامية الملتزمة عن حزبه الحاكم، كما قام أيضًا بحرمان المسلمين من المناصب السياسية، فلم يكن في فترة رئاسته إلا القليل من المسلمين، ومعظمهم

كانوا من الذين خلعوا شخصياتهم وانتماءاتهم الإسلامية ، وكان معظم أركان الدولة من النصارى.

وبعد أن رشح لرئاسة الجمهورية السيد «علي حسن مويني» فإن الكنيسة لم تسكت على ترشيحه ليرأس الجمهورية، غير أن «نيريري» أصر على موقفه .

ومنذ بداية فترة رئاسة السيد «علي حسن مويني» فإنه - إلى يوم هذا - يحاول أن يوجد التوازن في المناصب السياسية بين المسلمين والنصارى، لكن الكنيسة تبذل قصارى جهدها في الضغط على الرئيس للتراجع عن هذه السياسة ، فعندما بدأ الرئيس «علي حسن» بضم الوجوه الإسلامية - والتي لم تكن تبلغ نصف المجلس - إلى مجلس الوزراء أقامت الكنيسة الدنيا وأقعدتها، ونشرت عبر الصحف والمجلات المحلية والأجنبية أن الرئيس «علي حسن» يريد أن يجعل تنزانيا دولة إسلامية، كما أن الكنيسة أثارت ضجة أيضاً عندما ولى الرئيس «علي حسن مويني» وزارة التربية والتعليم لمسلم - هو الدكتور «كيجوما على ماليما» - وضغطت عليه حتى نُقل - كما مر سابقاً - إلى وزارة المالية .

٤ - الخدمات الصحية: إن الخدمات الصحية في تنزانيا هي من أسوأ الخدمات الاجتماعية، فالشعب التنزاني عموماً والمسلمون خصوصاً يعانون الكثير من الأمراض، وأحد أسباب هذا الأمر هو ضعف الخدمات الصحية ، والحكومة التنزانية عجزت عن توفير الخدمات الصحية الجيدة لشعبها .

إن نسبة كبيرة من السكان في تنزانيا يعيشون في القرى، حيث لا توجد فيها المستشفيات أو المراكز الصّحية أو المستوصفات ، والجهة الوحيدة التي يمكن القول بأنها حاولت - إلى حدٍّ ما - الاقتراب من توصيل الخدمات الصحية إلى المناطق القروية هي الكنيسة، التي تملك الكثير من

المسلمون



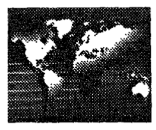
والعالم

المستشفيات والمراكز الصحية والمستوصفات في القرى، لكن يلاحظ أن هذه الخدمات موجودة في المحافظات والمناطق التي فيها أغلبية السكان من صارى، وتقل فيها نسبة المسلمين.

أما الخدمات الصحية في المدن: فمع وجود المستشفى العام في كل حافظة من محافظات تنزانيا، ومع وجود مستشفى في كل ولاية من ولايات المحافظات، إلا أن المشكلة في هذه المستشفيات الحكومية هي عدم توفر الأدوية والأجهزة الطبية، ويمكن القول: إن عمل الأطباء في هذه ستشفيات الحكومية هو مجرد فحص المريض وكتابة وصفة، أما الأدوية: لمريض يقوم بنفسه بالبحث عنها في الصيدليات الخاصة، والأدوية في صيدليات الخاصة غالية جداً.

هذا: وهناك مستشفيات خاصة على مستوى المستشفيات الحكومية، كها الشركات والمؤسسات الدينية التي معظمها كنسية وهندوسية، ر أن الخدمات فيها، وإن كانت جيدة إلى حد كبير، إلا أنها تعتبر من اكز تنصير المسلمين.

وللحديث بقية،،،



القنبلة الإيمانية

إلى المجاهدين الأبطال في فلسطين الذين يُفجِّرون أنفسَهم في تجمعاتِ اليهود فيَقتلون ويُقتلون...! (*)

فَجِّر عيونَكَ إن رآك طغاة   لا تُغمضَنَّ لهم كأنك شاةُ

وانْحَرْ بنحرِكَ كلَّ سيفٍ.. إنما   تلقى السيوفَ على لهاك[1] وفاةُ

واثقب بجبهتك الرصاصَ .. كأنه   خَرزٌ يُصاغ لزينةٍ وبُرَاةُ

أطْلِقْ دماءَك كالرصاص على العدا   إيّاك أن تتوقَّفَ الطلقاتُ

مُتْ .. مُتْ .. ولا تقنعْ بألفي ميتة   فالموت من أجل الحياة حياةُ

ليست حياةً أن تعيشَ منعَّمًا   في ظلِّ طاغيةٍ له السَّجَداتُ

ليست صلاةً أن تقومَ لخالقٍ   وتعيشَ في القلب المريض (اللاتُ)

قدماك ما خُلِقَتْ لمشيٍ .. إنما   خُلِقَتْ لتُسْحَقَ تحتها الشهواتُ

دُسْها .. تَقَدَّم .. وانطحِ الخطرَ الذي   يخشى ثباتَكَ ... فالحياة ثباتُ

في (ذرة) الإيمان معجزةٌ لها   تعنو (النَّواةُ) وتخنسُ (الذراتُ)

بُشراك .. ليست جنةً تسعى لها   بشهادةٍ .. بل إنها جنّاتُ

يا أيها العملاقُ في الزمن الذي   فيه طغى الأقزام والقَزَمَاتُ

يا موكبَ العزِّ الذي لولاه ما   برقَتْ بليل قنوطنا البسَمَاتُ

نَتْنُ الخيانة قد أحال ديارَنا   مستنقعًا تنمو به الآفاتُ

بالنتن أزكمَتِ الأنوفُ.. فجُدْ لنا   يا عطرُ... ولْتَعْصِفْ بنا النَّفَحَاتُ

لمَّا جنودُ الشيخ ياسين انبروا   عُقِدَتْ بشرم الشيخ مؤتمراتُ

ما بالهم..! كي لا يبينَ هلالُنا   تتدفَّقُ الصلبانُ والنجماتُ

---

١) اللها: جمع اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم، وهي هنا كناية عن الحلق نفسه.

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيسي:
AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel: 0171 - 731 8145
Fax: 0171 - 736 4255

كلمة صغيرة

تعتز مجلة البيان بثقة قرائها الكرام فيها، وكريم تواصلهم معها: مشاركة، وثناءً، ومتابعة، وتوجيهاً، ولقد استطعنا ـ بتوفيق الله أولاً، ثم بحرص بعض الكتاب الذين شاركوا ويشاركون بالكتابة لنا ـ أن نكسب أقلاماً جديدة وأفكاراً متنوعة، مما يلمسه القارئ في ثنايا أعداد هذه المجلة، ومما سرنا: أن بعض القراء يقترح علينا أن تتطرق المجلة للكتابة عن موضوع بعينه وتتفاعل المجلة تجاهه؛ فأحدهم طلب معالجة (ظاهرة النسيان) معالجة علمية، وهو ما كلفنا به أحد الأخوة المحررين، فكتب دراسة عن هذا الموضوع نشرت في عدد ماضٍ، وقارئ كريم آخر من لبنان تابع الندوة التي عقدت مؤخراً تحت عنوان (مسلمون ومسيحيون معاً من أجل القدس)، وطالب المجلة أن تكتب عن هذا الموضوع، وسيلمح القارئ طرفاً من المعالجة عن فلسطين والقدس في هذا العدد، على أن نُفَصِّل موقف النصارى من هذه القضية في عدد قادم.

وترحب **البيان** بكل تعاون مخلص معها في الكتابة، ولا سيما من أصحاب الفضيلة العلماء والدعاة وطلاب العلم، بما يرونه مناسباً لتوجه المجلة التي تتبنى عقيدة أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة ومنهجهم المعروف في التلقي، وستُدرس أي مشاركة تردنا، وسترى النور ـ بإذن الله ـ متى كانت صالحة.

والله نسأل أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه، وأن يرزقنا جميعاً الإخلاص في القول والعمل

في هذا العدد :

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦١٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصر : القاهرة - ش الجلاء - الاهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن احمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٥٤/٢٤٥٧٤٥

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩ ،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠ ، فاكس ٤٧٨٤٢٣٣ .

اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥.

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف - المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ - ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.

أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313-677-006 Fax 313-677 0065
الرقم المجاني : (Subscription No.: 1-800-99-Fajer)

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الاردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ١,٥ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالا ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيه ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

الجهاد الأفغاني إلى أين؟!

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد.

فلا شك أن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وما ذل المسلمون في عصورهم الأخيرة إلا حين تساهلوا في أداء واجب هذه الفريضة.. التي عمل أعداء الإسلام كل ما يستطيعونه لإطفاء جذوتها ومحاولة إضعاف تأثيرها في النفوس.. فتداعت الأمم على جل ديار الإسلام، وكان من آخرها: الاحتلال الشيوعي البائد لدولة أفغانستان بمؤامرة دنيئة، كان وراءها الفئات الماركسية الأفغانية، فعز ذلك على أبناء أفغانستان المسلمة وتداعى رجالها وعلماؤها وطلاب العلم فيها من كل حدب وصوب للوقوف في وجه الحكم الشيوعي، وبدأ الجهاد عام ١٩٧٥م، وتواصل المد الجهادي وتدافع المسلمون من شتى أقطار الدنيا لنجدة إخوانهم بالنفس والنفيس، انطلاقًا من قول الله (تعالى): ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]، واحتفاء المسلمين بذلك الجهاد ـ الذي هدى الله بسببه أنفسًا ضالة، ورفع به رؤوسًا خانعة ـ جعله مدرسة كبرى للتربية أقضت مضاجع أعداء الإسلام باستمراره حتى قال جنرال غربي: «إن استمرار الجهاد خطر على مصالح الغرب في العالم الإسلامي» وعلى ضوء ذلك قيل: إن الإسلام هو العدو البديل للشيوعية، فبدؤوا بالتخطيط لإسقاط هذا الجهاد، والعمل المتواصل للإساءة إليه، ووصمه بكل نقيصه، فوُسِمَ بالإرهاب، وصار اسم المجاهدين يعني في هذه الحرب الخسيسة تهمة يُرمى بها كل من شارك في ذلك الشرف.. صحيح أن هناك من وقع في أخطاء صريحة وممارسات منحرفة، غير أن ذلك لا يعني تعميم تلك الأخطاء على





لجميع، والإساءة إلى تلك الفريضة والمشاركين فيها بدون وجه حق.

كانت آمال المسلمين كبيرة في استمرار الجهاد ليؤدي دوره في التربية والبناء، لكن الذي حصل أن النزعة الحزبية سيطرت على الأوضاع هناك، والتوجهات الشخصية تحكمت في أزمة الأمور، فضلاً عما كان من القادة أنفسهم من ذوي المنطلقات الصوفية والقومية الجاهلية، بل وذوي الولاءات والنعرات الطائفية المقيتة، ومن هنالك انقسموا على أنفسهم، وتحاربوا فيما بينهم. وعلى الرغم من إسقاطهم للحكم الشيوعي ودخولهم كابل العاصمة، إلا أنهم فشلوا في إقامة الدولة الإسلامية التي سعوا إلى إقامتها وكانت هدفهم ومبتغى آمالهم، ولا شك أن لذلك أسبابًا، من أهمها:

- أن المجاهدين لم يوحدوا منهجهم في التلقي المفترض قيامه على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة والبعد عن المنطلقات المشبوهة أيًّا كان نوعها.
- النزعة الحزبية القائمة على بناء الأمجاد الشخصية وتلبية الحاجات الذاتية التي لم يصهرها الجهاد في قالب واحد، بعيداً عن كل الشبهات.
- ظهور التوجهات القومية والنزعات العنصرية.. حتى كنا نسمع بأن فلانا من القومية (الفلانية) ومن الجنس (العلاني)، وكأن الإسلام لم يوحد الجميع في بوتقة إيمانية وعقيدة ربانية.
- العجز في تمثل كثير من قادة الجهاد حقيقة أخلاق الإسلام القائمة على التعاون والتواد والرحمة ونكران الذات والإيثار، ورفضهم للاتحاد الفعلي الذي يجمعهم كالجسد الواحد.



- التحالف مع الفئات المنحرفة عقيدة ومنهجًا، بل وصل الأمر أن يُتَحَالَفَ مع شيوعي [illegible]ريق مثل «دوستم» يدخل [illegible] كابل، وأن يرشح طُرُقِيٌّ ليكون في قمة السلطة، وهذا ما جعل الجهاد يدخل في دوامة ما زال يعاني منها حتى الآن.



- عجزهم عن فهم الدروس التي مرت على الحركات الإسلامية المعاصرة وسر فشل كثير منها.

ولذلك: حرص المسلمون جميعًا أفرادًا وجماعات على مطالبة المجاهدين بأهمية التعاون فيما بينهم، وضرورة أن يكونوا يدًا واحدة على من سواهم، بل جُمع قادة الجهاد أكثر من مرة في أكثر من مناسبة ودُعوا لتناسي الإشكالات فيما بينهم للمصلحة العليا ومصلحة بلادهم، غير أنهم ما أن يتفقوا حتى يختلفوا، حتى إن الشعب الأفغاني وجد أن جهاد هذه الجماعات لم يوصله إلا إلى مزيد من الشقاق والعيش الكفاف والإعاقات لكثير من أفراده، بعدما قدم هذا الشعب المجاهد الصابر من الشهداء ـ فيما نحسبهم وا لله حسيبهم ولا نزكي على الله أحدًا ـ أكثر من مليون ونصف المليون.

وأضحى الشعب كالغريق الذي يتمسك حتى بقشة رغبة في الوصول إلى بر الأمان.

وجاءت «حركة طالبان» الجديدة التي برزت بشكل مفاجئ للكثيرين، وأخذت تكتسح المدن والقرى، وتدعو جميع الفصائل الأخرى للتسليم لها.

ولعل معاناة هذا الشعب المسكين وخلو الساحة من بديل راشد قد دفعه إلى انتظار أي بديل، حتى ولو كان مجهول التوجه والمستقبل، أملاً في رفع المعاناة التي عاشها طوال عقود سني الحرب العجاف.

وبغض النظر عن التقويم الشرعي والواقعي لهذه الحركة، وما هي حقيقتها؟، وهل هي مدعومة من جهات مشبوهة؟، وما مستقبل أفغانستان تحت سلطتها؟، وهل تستمر تلك الحركة أم تتلاشى؟.. فهذا كله ليس مجاله هنا ولعله يكون في مقال قادم ـ إن شاء الله (تعالى) ـ.



لكننا من واقع الأخوة الإسلامية وما تقتضيه من محض النصيحة لإخواننا في الله، ومن دافع الشفقة على هذا الشعب المسلم المغلوب على أمره، ورغبة أن يضطلع المسؤولون في الجهاد الأفغاني ـ ومنهم (حركة طالبان) ـ نذكرهم وكل من يهمه الأمر ـ والذكرى تنفع المؤمنين ـ بما يلي:



* ضرورة أن يكون منطلقهم: فهم الإسلام (عقيدة ومنهج حياة)،

بعيداً عن النزاعات الطائفية والقومية والحزبية، والتي يسعى أعداء الإسلام يزرعها بينهم، وأن يكون رائدهم الحق ولا شيء غيره.

* الحذر كل الحذر من التحالفات مع الفئات المنحرفة عقديًا وفكريًا، الحرص على جمع الكلمة مع أخوة الدرب والمصير، لا سيما من لهم سابقة في الجهاد والدعوة، وأهمية الاستفادة من العلماء في جمع الكلمة توحيد الصفوف.

* أخذ الدروس والعبر من عدم الوقوع في المنزلقات التي وقع فيها مَن قبلهم من الأخطاء الجسيمة التي أودت ببلادهم للدمار والخراب.

* الحذر مما يخطط له الأعداء من تصفية الحركة الإسلامية جميعها بضرب بعضها ببعض، ومن ثم: الإجهاز عليهم جميعًا، تمهيداً لإعادة الحكم السابق من جديد، والذي سيرضى بكل الحلول المطروحة، ومنها علمنة البلاد، وسيكون الجهاد والمجاهدون وقوداً لهذا الاتجاه المطلوب دوليًّا.

* ليس من الحكمة مناصبة الآخرين العداء، والتسرع في الحكم، والسرعة في إصدار القرارات بدون روية، مما سيثير الفتن التي ستقيم الدنيا ولا تقعدها.

* تأمين الناس وإظهار ديننا الحنيف على حقيقته: دين نهضة وبناء؛ مما يحبب المجاهدين إلى الناس، فيتداعون لنصرتهم.

* الحرص على وحدة أفغانستان وعدم تحول الصراع فيها إلى صراع عرقي تتفتت معه البلاد إلى دويلات بدعم من الدول المجاورة.



هذا تحليلنا لواقع الجهاد الأفغاني، والمنزلقات التي سقط فيها، والأسباب المساعدة للخروج منها.

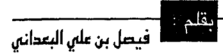
أيها الإخوة في الجهاد ندعوكم لتصحيح المنطلقات وجمع الكلمة وتوحيد الصف والحذر من الشباك التي تنصب للإيقاع بكم وبالمسلمين، وعليكم بالبناء لا الهدم، والتعاون فيما بينكم لا الشقاق والخلاف.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].



دراسات شرعية

فضائل شهر رجب في الميزان



بقلم : فيصل بن علي البعداني

فضّل الله (تعالى) بعض الأيام والليالي والشهور على بعض، حسبما اقتضته حكمته البالغة؛ ليجدَّ العباد في وجوه البر، ويكثروا فيها من الأعمال الصالحة، ولكن شياطين الإنس والجن عملوا على صد الناس عن سواء السبيل، وقعدوا لهم كل مرصد؛ ليحولوا بينهم وبين الخير، فزينوا لطائفة من الناس أن مواسم الفضل والرحمة مجال للهو والراحة، وميدان لتعاطي اللذات والشهوات .

وحرّضوا طوائف أخرى سواء أكانوا ممن قد يملكون نوايا طيبة ـ ولكن غلب عليهم الجهل بأحكام الدين ـ أو من ذوي المصالح والرياسات الدينية أو الدنيوية الخائفين على مصالحهم وزوال مواقعهم من مزاحمة مواسم الخير والسُّنَّة مواسم مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان، قال حسان بن عطية : « ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ولايعيدها إليهم إلى يوم القيامة » [١]، بل قال أيوب السختياني :« ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا زاد من الله بعداً »[٢].

ولعل من أبرز تلك المواسم البدعية : ما يقوم به بعض العباد في كثير من البلدان في شهر رجب، ولذا : فسأحرص في هذه المقالة على تناول بعض أعمال الناس فيه، وعرضها على نصوص الشريعة وكلام أهل العلم، نصحاً للأمة وتذكيراً لهم؛ لعل في ذلك هداية لقلوب، وتفتيحاً لعيونٍ وآذانٍ عاشت في ظلمات البدع وتخبطات الجهل.

---

١) الحلية ، ٦/٧٣ .

٢) الحلية ، ٣/٩.

هل لـ(رجب) فضل على غيره من الشهور؟:

قال ابن حجر: «لم يرد في فضل شهر رجب، ولا في صيامه، ولا في صيام شيء منه معين، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه.. حديث صحيح يصلح للحجة، وقد سبقني إلى الجزم بذلك الإمام أبو إسماعيل الهروي الحافظ، رويناه عنه بإسناد صحيح، وكذلك رويناه عن غيره» (١).

وقال أيضاً: «وأما الأحاديث الواردة في فضل رجب، أو في فضل صيامه، أو صيام شيء منه صريحة: فهي على قسمين: ضعيفة، وموضوعة، ونحن نسوق الضعيفة، ونشير إلى الموضوعة إشارة مفهمة» (٢)، ثم شرع في سوقها.

صلاة الرغائب:

أولاً: صفتها: وردت صفتها في حديث موضوع عن أنس عن النبي ﷺ، أنه قال: «ما من أحد يصوم يوم الخميس (أول خميس من رجب) ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة ـ يعني ليلة الجمعة ـ اثنتي عشرة ركعة، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة و ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ثلاث مرات، و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ اثنتي عشرة مرة، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، فإذا فرغ من صلاته صلى عليَّ سبعين، فيقول في سجوده سبعين مرة: (سبوح قدوس رب الملائكة والروح)، ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة: رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم، إنك أنت العزيز الأعظم، ثم يسجد الثانية فيقول مثل ما قال في السجدة الأولى، ثم يسأل الله (تعالى) حاجته، فإنها تقضى».. قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما من عبد ولا أمَة صلى هذه الصلاة إلا غفر الله له جميع ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر، وعدد الرمل، ووزن الجبال، وورق الأشجار، ويشفع يوم القيامة في سبعمئة من أهل بيته ممن قد استوجب النار» (٣).

---

١) تبيين العجب فيما ورد في فضل رجب، لابن حجر، ص٦، وانظر: السنن والمبتدعات للشقيري، ص١٢٥.

٢) المصدر السابق، ص ٨.

٣) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي،١/٢٠٢، وتبيين العجب فيما ورد في فضل رجب،ص ٢٢ ـ٢٤

ثانياً: كلام أهل العلم حولها:

قال النووي: «هي بدعة قبيحة منكرة أشد إنكار، مشتملة على منكرات، فيتعين تركها والإعراض عنها، وإنكارها على فاعلها»[1].

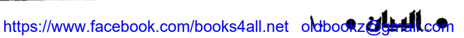
وقال ابن النحاس: «وهي بدعة، الحديث الوارد فيها موضوع باتفاق المحدثين»[2].

وقال ابن تيمية: «وأما صلاة الرغائب: فلا أصل لها، بل هي محدثة، فلا تستحب، لا جماعة ولا فرادى؛ فقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ نهى أن تخص ليلة الجمعة بقيام أو يوم الجمعة بصيام، والأثر الذي ذكر فيها كذب موضوع باتفاق العلماء، ولم يذكره أحد من السلف والأئمة أصلاً»[3].

وقد أبان الطرطوشي بداية وضعها، فقال: «وأخبرني أبو محمد المقدسي، قال: لم يكن عندنا ببيت المقدس قط صلاة الرغائب هذه التي تصلى في رجب وشعبان، وأول ما حدثت عندنا في سنة ثمان وأربعين وأربعمئة، قدم علينا في بيت المقدس رجل من نابلس، يعرف بابن أبي الحمراء، وكان حسن التلاوة، فقام فصلى في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان ... إلى أن قال: وأما صلاة رجب فلم تحدث عندنا في بيت المقدس إلا بعد سنة ثمانين وأربعمئة، وما كنا رأيناها ولا سمعنا بها قبل ذلك»[4].

وقد جزم بوضع حديثها: ابن الجوزي في الموضوعات، والحافظ أبو الخطاب، وأبو شامة[5]، كما جزم ببدعيتها: ابن الحاج[6]، وابن رجب، وذكر ذلك عن أبي إسماعيل الأنصاري، وأبي بكر السمعاني، وأبي الفضل بن ناصر[7] .. وآخرون[8].

١) فتاوى الإمام النووي، ص ٥٧ .
٢) تنبيه الغافلين، ص ٤٩٦ .
٣) الفتاوى لابن تيمية، ٢٣/١٣٢، وانظر: الفتاوى، ٢٣/١٣٤ ـ ١٣٥ .
٤) الحوادث والبدع، ص١٠٣ .
٥) انظر: الباعث على إنكار البدع والحوادث، ص ٦١ ـ ٦٧ .
٦) المدخل، ١/٢١١ .
٧) انظر: لطائف المعارف، تحقيق الأستاذ / ياسين السواس، ص ٢٢٨ .
٨) مقدمة مساجلة العز بن عبد السلام وابن الصلاح، ص ٧ ـ ٨ .



ثالثاً: حكم صلاتها جلبا لقلوب العوام:

قال أبو شامة: «وكم من إمام قال لي: إنه لا يصليها إلا حفظًا لقلوب العوام عليه، وتمسكًا بمسجده خوفًا من انتزاعه منه (!)، وفي هذا دخول منهم في الصلاة بغير نية صحيحة، وامتهان الوقوف بين يدي الله (تعالى)، ولو لم يكن في هذه البدعة سوى هذا لكفى، وكل من آمن بهذه الصلاة أو حسنها فهو متسبب في ذلك، مغرٍ للعوام بما اعتقدوه منها، كاذبين على الشرع بسببها، ولو بُصِّروا وعُرِّفوا هذا سَنَةً بعد سَنَة لأقلعوا عن ذلك وألغوه، لكن تزول رئاسة محبي البدع ومحييها، والله الموفق.

وقد كان الرؤساء من أهل الكتاب يمنعهم الإسلام خوف زوال رئاستهم، وفيهم نزل: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ** ﴾ [البقرة: ٧٩]»[١].

الإسراء والمعراج:

من أعظم معجزات النبي ﷺ: الإسراء به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم العروج به السماوات السبع فما فوقها، وقد انتشر في بعض البلدان الاحتفال بذكراها في ليلة السابع والعشرين من رجب، ولا يصح كون ليلة الإسراء في تلك الليلة، قال ابن حجر عن ابن دحية: «وذكر بعض القصاص أن الإسراء كان في رجب، قال: وذلك كذب»[٢]، وقال ابن رجب: «وروي بإسناد لا يصح، عن القاسم بن محمد، أن الإسراء بالنبي ﷺ كان في سابع وعشرين من رجب، وأنكر ذلك إبراهيم الحربي وغيره»[٣].

وقال ابن تيمية: «لم يقم دليل معلوم لا على شهرها، ولا على عشرها، ولا على عينها، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة، ليس فيها ما يقطع به»[٤].

على أنه لو ثبت تعيين ليلة الإسراء والمعراج لما شرع لأحد تخصيصها بشيء؛

---

١) الباعث على إنكار البدع والحوادث، ص ١٠٥.   ٢) تبيين العجب، ص ٦.

٣) زاد المعاد لابن القيم، ١/٢٧٥، وقد ذكر ابن حجر في فتح الباري (٧/٢٤٢ ـ ٢٤٣) الخلاف في وقت المعراج، وأبان أنه قد قيل: إنه كان في رجب، وقيل: في ربيع الآخر، وقيل: في رمضان أو شوال، والأمر كما قال ابن تيمية.

٤) لطائف المعارف، لابن رجب، ص ٢٣٣.

لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أحد من صحابته أو التابعين لهم بإحسان أنهم جعلوا لليلة الإسراء مزية عن غيرها، فضلاً عن أن يقيموا احتفالاً بذكراها، بالإضافة إلى ما يتضمنه الاحتفال بها من البدع والمنكرات[1] .

الذبح في رجب وما يشبهه:

مطلق الذبح لله في رجب ليس بممنوع كالذبح في غيره من الشهور، لكن كان أهل الجاهلية يذبحون فيه ذبيحة يسمونها: العتيرة، وقد اختلف أهل العلم في حكمها: فذهب الأكثرون إلى أن الإسلام أبطلها، مستدلين بقوله ﷺ ـ كما عند الشيخين ـ عن أبي هريرة (رضي الله عنه): «لا فرع ولا عتيرة»[2].

وذهب بعضهم ـ كابن سيرين ـ إلى استحبابها، مستدلين بأحاديث عدة تدل على الجواز، وأجيب عنها بأن حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أصح منها وأثبت، فيكون العمل عليه دونها، بل قال بعضهم ـ كابن المنذر ـ بالنسخ؛ لتأخر إسلام أبي هريرة، وأن الجواز كان في صدر الإسلام ثم نسخ، وهذا هو الراجح[3].

قال الحسن: «ليس في الإسلام عتيرة، إنما كانت العتيرة في الجاهلية، كان أحدهم يصوم ويعتر»[4].

قال ابن رجب: «ويشبه الذبح في رجب: اتخاذه موسماً وعيداً، كأكل الحلوى ونحوها، وقد روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه كان يكره أن يتخذ رجب عيداً»[5] .

تخصيص رجب بصيام أو اعتكاف:

قال ابن رجب: «وأما الصيام: فلم يصح في فضل صوم رجب بخصوصه شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه»[6].

وقال ابن تيمية: «وأما صوم رجب بخصوصه: فأحاديثه كلها ضعيفة، بل

---

١) ذكر بعض تلك المنكرات: ابن النحاس في تنبيه الغافلين، ص ٤٩٧، وابن الحاج في المدخل، ١/ ٢١١ ـ ٢١٢، وعلي محفوظ في الإبداع، ص ٢٧٢.

٢) البخاري، ح/ ٥٤٧٣، ومسلم، ح/ ١٩٧٦.

٣) انظر: لطائف المعارف، ص ٢٢٧، والاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار للحازمي، ص ٣٨٨ ـ ٣٩٠.

٤، ٥) لطائف المعارف، ص ٢٢٧.   ٦) لطائف المعارف، ص ٢٢٨.

موضوعة، لا يعتمد أهل العلم على شيء منها، وليست من الضعيف الذي يروى في الفضائل، بل عامتها من الموضوعات المكذوبات... وقد روى ابن ماجة في سننه، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: أنه نهى عن صوم رجب، وفي إسناده نظر، لكن صح أن عمر بن الخطاب كان يضرب أيدي الناس؛ ليضعوا أيديهم في الطعام في رجب، ويقول: لا تشبهوه برمضان... وأما تخصيصها بالاعتكاف ـ الثلاثة الأشهر: رجب، وشعبان، ورمضان ـ فلا أعلم فيه أمراً، بل كل من صام صوماً مشروعاً وأراد أن يعتكف من صيامه، كان ذلك جائزاً بلا ريب، وإن اعتكف بدون الصيام ففيه قولان مشهوران لأهل العلم» (1).

وكونه لم يرد في فضل صيام رجب بخصوصه شيء لا يعني أنه لا صيام تطوع فيه مما وردت النصوص عامة فيه وفي غيره، كالإثنين، والخميس، وثلاثة أيام من كل شهر، وصيام يوم وإفطار آخر، وإنما الذي يكره ـ كما ذكر الطرطوشي ـ(2) صومه على أحد ثلاثة أوجه:

١ ـ إذا خصه المسلمون في كل عام حسب العوام ومن لا معرفة له بالشريعة، مع ظهور صيامه أنه فرض كرمضان.

٢ ـ اعتقاد أن صومه سنّة ثابتة خصه الرسول ﷺ بالصوم كالسنن الراتبة.

٣ ـ اعتقاد أن الصوم فيه مخصوص بفضل ثواب على صيام سائر الشهور، وأنه جارٍ مجرى عاشوراء، وفضل آخر الليل على أوله في الصلاة، فيكون من باب الفضائل لا من باب السنن والفرائض، ولو كان كذلك لبينه النبي ﷺ أو فعله ـ ولو مرة في العمر ـ، ولما لم يفعل: بطل كونه مخصوصاً بالفضيلة.

العمرة في رجب:

يحرص بعض الناس على الاعتمار في رجب، اعتقاداً منهم أن للعمرة فيه مزيد مزية، وهذا لا أصل له، فقد روى البخاري عن ابن عمر (رضي الله عنهما)، قال: «إن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمرات إحداهن في رجب، قالت (أي عائشة): يرحم الله

---

(1) الفتاوى: ٢٥/٢٩٠ـ٢٩٢.

(2) البدع والحوادث، ص١١٠ـ١١١، وانظر (تبيين العجب..) لابن حجر، ص٣٧ـ٣٨.

أبا عبد الرحمن، ما اعتمر عمرة إلا وهو شاهده، وما اعتمر في رجب قط»[1].

قال ابن العطار: «ومما بلغني عن أهل مكة (زادها الله تشريفًا) اعتيادهم كثرة الاعتمار في رجب، وهذا مما لا أعلم له أصلاً»[2].

وقد نص العلامة «ابن باز»[3] على أن أفضل زمان تؤدى فيه العمرة: شهر رمضان؛ لقول النبي ﷺ: «عمرة في رمضان تعدل حجة»، ثم بعد ذلك: العمرة في ذي القعدة؛ لأن عُمَرَه كلها ﷺ وقعت في ذي القعدة، وقد قال الله (سبحانه وتعالى): ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١].

الزكاة في رجب:

اعتاد بعض أهل البلدان تخصيص رجب بإخراج الزكاة، قال ابن رجب عن ذلك: «ولا أصل لذلك في السُّنَّة، ولا عُرِف عن أحد من السلف ... وبكل حال: فإنما تجب الزكاة إذا تم الحول على النصاب، فكل أحد له حول يخصه بحسب وقت ملكه للنصاب، فإذا تم حوله وجب عليه إخراج زكاته في أي شهر كان»، ثم ذكر جواز تعجيل إخراج الزكاة لاغتنام زمان فاضل كرمضان، أو لاغتنام الصدقة على من لا يوجد مثله في الحاجة عند تمام الحول.. ونحو ذلك[4].

وقال ابن العطار: «وما يفعله الناس في هذه الأزمان من إخراج زكاة أموالهم في رجب دون غيره من الأزمان لا أصل له، بل حكم الشرع أنه يجب إخراج زكاة الأموال عند حولان حولها بشرطه سواء كان رجبًا أو غيره»[5].

لا حوادث عظيمة في رجب:

قال ابن رجب: «وقد روي أنه كان في شهر رجب حوادث عظيمة، ولم يصح شيء من ذلك، فروي أن النبي ﷺ ولد في أول ليلة منه، وأنه بعث في السابع والعشرين منه، وقيل في الخامس والعشرين، ولا يصح شيء من ذلك ...»[6].

١) صحيح البخاري، ح/ ١٧٧٦.

٢) المساجلة بين العز بن عبد السلام وابن الصلاح، ص ٥٦، وانظر: فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم، ٦/ ١٣١.

٣) انظر: فتاوى إسلامية، جمع الأستاذ/ محمد المسند، ٢/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

٤) لطائف المعارف، ٢٣١ ـ ٢٣٢.

٥) المساجلة بين العز وابن الصلاح، ص ٥٥.

٦) لطائف المعارف، ص٢٣٣.

وقفة مع بعض الدعاة:

يمارس بعض الدعاة اليوم أنواعًا من البدع الموسمية ـ كبدع رجب ـ مع اقتناعهم بعدم مشروعيتها؛ بحجة الخوف من عدم اشتغال الناس بغير عبادةٍ، إن هم تركوا ما هم عليه من بدعة.

ومع أن البدعة أخطر الذنوب بعد الشرك، إلا أن هذا توجهٌ في الدعوة وطريقة التغيير خطير مخالف لهدي النبي ﷺ، والواجب: أن يدعى الناس إلى السنة المحضة التي لا تكون استقامة بدونها، قال الثوري: «كان الفقهاء يقولون: لا يستقيم قول إلا بعمل، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة»[1].

وكان الواجب على هؤلاء أن يتعلموا السنة، ويعلموها، ويدعون أنفسهم ومن حولهم إلى تطبيقها؛ لأن النبي ﷺ يقول: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، ولله در أبي العالية حين قال لبعض أصحابه: «تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، فإن الصراط المستقيم: الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط المستقيم يمينًا وشمالاً، وعليكم بسنة نبيكم، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين أهلها العداوة والبغضاء»[2].

ومن قبله قال حذيفة (رضي الله عنه): «يا معشر القراء: استقيموا، فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن أخذتم يمينًا وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيدًا»[3].

وأخيرًا:

فإن الدعاة اليوم والأمة معهم مطالَبون بتجريد المتابعة للنبي ﷺ في كل شأن، تمامًا مثل ما هم مطالبون بتجريد الإخلاص لله (عز وجل)، إن هم أرادوا لأنفسهم نجاةً، ولدينهم نصرًا وإعزازًا، قال الله (عز وجل): ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] وقال (سبحانه): ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وفق الله الجميع للخير، وهو الهادي إلى سبيل الرشاد.

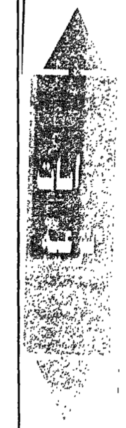
---

١) الإبانة الكبرى، لابن بطة، ١/٣٣٣. ٢) الإبانة الكبرى، لابن بطة، ١/٣٣٨.

٣) البدع والنهي عنها، لابن وضاح، ص ١٠ ـ ١١.

من أحكام اللباس

بقلم : عبد الله الإسماعيل



من قواعد الشريعة المقررة: أن الأصل في الألبسة الحل، ما لم يرد دليل المنع [1]، والأدلة على هذا الأصل كثيرة، منها قوله (تعالى): ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وقوله (تعالى): ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فيكون البحث إذن فيما نهى عنه الشرع فيجتنب، وما عداه فيبقى على أصل الإباحة.

ما نهى عنه الشرع من الألبسة:

أولاً: ما فيه تصاوير ذوات الأرواح وتصاليب: ويكثر في ألبسة النساء والأطفال، وهذه يحرم بيعها وشراؤها ولبسها، إلا بشرط الطمس أو الإزالة.

والأدلة على هذا كثيرة، ومنها:

١ ـ عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة المصورون»[2].

٢ـ عن عائشة (رضي الله عنها) أنها اشترت نمرقة [3] فيها تصاوير، فقام النبي ﷺ فلم يدخل، فقلت: أتوب إلى الله، ماذا أذنبت؟! قال: ما هذه النُّمْرقة؟ قلت: لتجلس عليها وتوسدها، قال: إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يُقال

---

١) انظر: القواعد والأصول الجامعة، لابن سعدي، ص ٣٣.

٢) أخرجه البخاري، ح/ ٥٩٥٠، ومسلم، ح/٢١٠٩.

٣) والجمع نمارق، وهي الوسائد التي يصف بعضها إلى بعض، وقيل الوسادة التي يجلس عليها، انظر الفتح، ١٠/٤٠٣.

لهم: أحيوا ما خلقتم، وإن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه الصورة»[1].

٣ ـ عن عائشة (رضي الله عنها) أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه»[2].

ثانيًا: الإسبال:

طول الثوب للرجل له أربع حالات:

الحالة الأولى: أن يكون سنَّة، وهو نصف الساق.

الحالة الثانية: أن يكون مباحًا، وهو ما دون نصف الساق إلى الكعبين (الكعب: العظم النَّاتئ عند ملتقى الساق والقدم).

الحالة الثالثة: أن يكون حرامًا، وهو ما أسفل من الكعبين.

الحالة الرابعة: أن يكون أشد حرمة، وهو أن يجرّه خيلاء.

ودليل هذا التفصيل: حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «إزْرَة المؤمن إلى نصف الساق، ولا حرج فيما بينه وبين الكعبين، ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار، من جرَّ إزاره بطرًا لم ينظر الله إليه»[3].

وفي هذا الحديث تفصيل للحالات الأربع السابقة، وفيه أيضًا: أن الإسبال محرم وإن كان بدون خيلاء، بل عدّه النبي ﷺ من الخيلاء، فقال لجابر بن سليم (رضي الله عنه): «إياك والإسبال؛ فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة»[4].

وبقيت حالة لم تذكر في الحالات الأربع؛ وهي وضع الإزار على الكعبين، وهي صورة محرّمة؛ لقوله ﷺ: «موضع الإزار إلى أنصاف الساقين والعَضَلَة، فإن أبيت فمن وراء الساق، ولا حقَّ للكعبين في الإزار»[5].

وهذا الحكم خاص بالرجال كما تقدم، أما النساء: فالإسبال في حقهن مشروع؛ لحديث ابن عمر (رضي الله عنهما)، قال: قال رسول الله ﷺ: «من جرَّ ثوبه من الخيلاء لم ينظر الله إليه»، قالت أم سلمة: يا رسول الله، فكيف تصنع

١) أخرجه البخاري، ح/٥٩٥٧.
٢) أخرجه البخاري، ح/٥٩٥٢.
٣) صحيح سنن أبي داود، ح/٣٤٤٩، وقال النووي: «إسناده صحيح» (المجموع، ٣/١٨٣).
٤) صحيح سنن أبي داود، ح/٣٤٤٢، وصححه النووي (رياض الصالحين، ص ٣١٢).
٥) صحيح سنن النسائي، ح/٤٩٢٢.

النساء بذيولهن؟، قال: «ترخينه شبرًا»، قالت: إذن تنكشف أقدامهن، قال: «ترخينه ذراعًا ولا تزدن عليه»[(١)].

ثالثًا: ثياب الحرير على الرجال:

والأدلة عليه كثيرة، ومنها: حديث أنس (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «من لبس الحرير في الدينا فلَنْ يلْبسه في الآخرة»[(٢)].

ويجوز عند الحاجة، كالأمراض الجلدية، فعن أنس (رضي الله عنه) قال: «رخَّص النبي ﷺ للزبير وعبد الرحمن في لبس الحرير لحكة بهما»[(٣)].

ويجوز أيضًا إذا كان قليلاً: كرقعة في الثوب، أو تطريز، أو في أطراف الثوب.. ونحو ذلك، بشرط ألا يزيد عرضه عن أربع أصابع، فعن سويد بن غَفَلة أن عمر بن الخطاب خطب بالجابية، فقال: نهى نبي الله ﷺ عن لبس الحرير، إلا موضع أصبعين، أو ثلاث، أو أربع»[(٤)].

وعن أبي عثمان النهدي، قال: «أتانا كتاب عمر ونحن مع عتبة بن فرقد بأذربيجان، أن رسول الله ﷺ نهى عن الحرير إلا هكذا، وأشار بأصبعيه اللتين تليان الإبهام، قال فيما علمنا أنه يعني الأعلام»[(٥)]

رابعًا: كل ما فيه إسراف ومخيلة:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا، واشربوا، وتصدقوا، والبسوا من غير إسراف ولا مخيلة»[(٦)].

ولعلّ من أبرز مظاهر الإسراف في اللباس: ما يحصل من كثير من النساء في حفلات الأعراس، ونحوها.

خامسًا: ما فيه تشبه بالكفار، أو تشبه بالفساق:

لقوله (عليه الصلاة والسلام): «من تشبّه بقوم فهو منهم»[(٧)].

١) صحيح سنن النسائي، ح/٤٩٢٩.
٢) أخرجه البخاري، ح/٥٨٣٢.
٣) أخرجه البخاري، ح/٥٨٣٩.
٤) أخرجه مسلم، ح/٢٠٦٩.
٥) أخرجه البخاري، ح/٥٨٢٨، وهو يكون في الثياب من تطريف وتطريز.. ونحوهما، الفتح ١٠/٢٩٨.
٦) صحيح سنن النسائي، ح/٢٣٩٩.
٧) صحيح سنن أبي داود، ح/٣٤٠١، وجوّد إسناده ابن تيميّة، وحسنه ابن حجر.

والأمثلة على التشبه كثيرة في واقعنا، ومنها:

المثال الأول: ما يسمى بالموضات ، وهي تشبُّه بالكفار - إن كانت قادمة من الغرب ونحوه - أو تشبه بالفساق ، سواء أكان في الثياب أو غيره ، وكذا قصات الشعر ... إلخ.

ومن الموضات التي انتشرت قريبًا: لبس البنطال للنساء، ولو سلمنا بأن ليس فيه تشبه ، فإن المحاذير التي توجب منعه إذا لبسته المرأة أمام النساء أو محارمها من الرجال - غير الزوج - كثيرة ...

مع التذكير بأن شكل البنطال كان واسعًا فضفاضًا في بداية تقديمه إلى المسلمين؛ حتى يتقبلوه ويكسروا حاجز التردد والحياء في لبسه ، ثم لم نلبث إلا وقد امتلأت الأسواق بأنواع كثيرة من البناطيل الضيقة، التي استساغ لبسها بعض النساء - مع الأسف الشديد -، فحذارِ حذار أيتها المؤمنة وأيها الغيور أن نتورط في شراك الشيطان ، وحبائل أهل الشرّ.

المثال الثاني: لبس الدبلة عند الخطبة أو عقد الزواج، فهو تشبه ظاهر بالنصارى.

المثال الثالث: ثوب العروس الأبيض، ذو الطرحة البيضاء، وقد التزمه عدد كبير من الناس ، وهي من عوائد الغرب المستوردة.

سادسًا: ما فيه تشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال:

لحديث ابن عباس (رضي الله عنهما) مرفوعًا: «لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال» [1].

سابعًا: ثوب الشهرة:

وهو ما قصد به الترفع الخارج عن العادة، أو التواضع والتخفض الخارج عن العادة [2] ، لقوله ﷺ: «من لبس ثوب شهرة في الدنيا، ألبسه الله ثوب مذلّة يوم القيامة، ثم ألهب فيه نارًا» [3].

---

١) أخرجه البخاري ، ح/ ٥٨٨٥.
٢) انظر مجموع الفتاوى، ٢٢/ ١٣٨.
٣) صحيح سنن ابن ماجة، ح/ ٢٩٠٦.

ثامناً: المشي بنعل واحدة:

لحديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «لا يمشِ أحدكم في نعل واحدة، ليُحفهما أو ليُنعلهما جميعًا»[1].

ومن المناسب هنا ذكر بعض السنن المتعلقة بلبس النعل:

الأولى: ما جاء في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين، وإذا انتزع فليبدأ بالشمال، لتكن اليمنى أولهما تنعل، وآخرهما تنزع»[2].

الثانية: الصلاة في النعال: سُئل أنس بن مالك: «أكان النبي ﷺ يصلي في نعليه؟ قال: نعم»[3]، وثبت من حديث شداد بن أوس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «خالفوا اليهود؛ فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم»[4]، ولم يكن من هديه (عليه الصلاة والسلام) المداومة على لبس النعلين في الصلاة، لحديث عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما)، قال: «رأيت رسول الله ﷺ يصلي حافيًا ومنتعلاً»[5]، ومن المناسب: تقييد هذه السنّة بعدم الإيذاء، كما في المساجد المفروشة اليوم.

الثالثة: أن يحتفي أحيانًا؛ فعن عبد الله بن بريدة (رضي الله عنه) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «كان النبي ﷺ يأمرنا أن نحتفي أحيانًا»[6].

تاسعاً: التختم بالذهب[7] والحديد للرجال:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ: «أنه نهى عن خاتم الذهب»[8]، وعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ نهى عن خاتم الذهب، وعن خاتم الحديد»[9].

---

١) أخرجه البخاري، ح/٥٨٥٦، ومسلم، ح/٢٠٩٧. ٢) أخرجه البخاري، ح/٥٨٥٥.

٣) أخرجه البخاري، ح/٣٨٦. ٤) صحيح سنن أبي داود، ح/٦٠٧.

٥) صحيح سنن ابن ماجة، ح/٨٥٠. ٦) صحيح سنن أبي داود، ح/٣٥٠٦.

٧) وصح عن النبي ﷺ تحريم الذهب على الرجال، سواء أكان في خاتم أو سلسال، أو في ساعة أو نظارة أو قلم أو مفتاح.. أو غير ذلك.

٨) أخرجه البخاري، ح/٥٨٦٤. ٩) السلسلة الصحيحة، ح/١٢٤٢.

أما قول النبي ﷺ : «اذهب فالتمس ولو خاتمًا من حديد»[1] : فلا دليل فيه على جواز لبس الخاتم للرجال ، لأنه لا يلزم من جواز الاتخاذ جواز اللبس[2] ، وإنما فيه جوازه للنساء .

أما خاتم الفضة: فجائز للرجال، ويسن عند الحاجة إليه كالقاضي الذي يحتاج إلى خاتم، والدليل: حديث أنس (رضي الله عنه): «أن النبي ﷺ أراد أن يكتب إلى رهط ـ أو ناس ـ من الأعاجم فقيل له : إنهم لايقبلون كتابًا إلا عليه خاتم، فاتخذ النبي ﷺ خاتمًا من فضة، نقشه: محمد رسول الله»[3] .

والسنّة: أن يوضع في الخنصر من اليد اليمنى أو اليسرى، وقد نهى النبي ﷺ عن وضعه في الموحِّدة (السبابة) والوسطى، أما البنصر فمسكوت عنه، فيبقى على أصل الإباحة، والأدلة على ذلك:

١ ـ عن أنس (رضي الله عنه) قال: صنع النبي ﷺ خاتمًا، قال: إنا اتخذنا خاتمًا ونقشنا فيه نقشًا، فلا ينقشن عليه أحد، قال: فإني لأرى بريقه في خنصره»[4] .

٢ ـ ثبت عن النبي ﷺ في عدد من الأحاديث أن النبي ﷺ وضع الخاتم في اليمنى، وفي أحاديث أخرى أنه وضعه في اليسرى، وقد اختلف أهل العلم في طريق الجمع بينها، ولعل أقرب المسالك جواز الأمرين[5] . ومن تلك النصوص:

أ ـ حديث أنس (رضي الله عنه)، قال: «كان خاتم النبي ﷺ في هذه، وأشار إلى الخنصر من يده اليُسرى»[6] .

ب ـ عن علي (رضي الله عنه): «أن النبي ﷺ كان يتختم في يمينه»[7] .

٣ ـ عن علي (رضي الله عنه) قال: «نهاني رسول الله ﷺ أن أتختم في إصبعي هذه أو هذه، قال: فأومأ إلى الوسطى والتي تليها»[8]، وعن أبي داود التصريح بذكر الوسطى والسبابة[9] .

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وآله وسلم

---

١) أخرجه البخاري ، ح / ٥٨٧١ .
٢) انظر : الفتح ، ١٠ / ٣٣٦ .
٣) أخرجه البخاري، ح/ ٥٨٧٢ .
٤) أخرجه البخاري ، ح/ ٥٨٧٤ .
٥) انظر: الفتح ، ١٠/ ٣٣٩ .
٦) أخرجه مسلم، ح/٢٠٩٥ .
٧) صحيح سنن أبي داود ، ح/ ٣٥٥٨ .
٨) أخرجه مسلم ، ح/٢٠٧٨ .
٩) صحيح سنن أبي داود ، ح/ ٣٥٥٦ .

تزكية النفس والحذر من الفتور

بقلم:

عبد الحكيم بن محمد بلال

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، والصلاة والسلام على نبي الهدى، ومن بهديه اهتدى، وبعد:

فإن الفلاح مطلب العاملين، وقد رتبه الله (تعالى) على تزكية النفس وتربيتها وتطهيرها، فقال (عز وجل): ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤]، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

وقد بعث الله رسوله ﷺ معلمًا ومربيًا، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، فكان ﷺ يتعاهد نفوس أصحابه بالتربية والتزكية.

وإن إصلاح النفوس وتزكيتها دأبُ السائرين إلى الله (تعالى): الأنبياء وأتباعهم، فقد كان ﷺ يكابد من دعوة قومه الشدائد، فإذا أظلم الليل انتصب لربه راكعًا وساجدًا، يسأله ويرجوه، ويخضع بين يديه ويتذلل له، وقد كان قيام الليل واجبًا على المسلمين عامًا كاملاً، وذلك لما له من أثر في إصلاح القلب، وانطلاقة المسلم وثباته ـ في آن معًا ـ، مما يجعله ضرورة ملحة لا غنى عنها.

ومن ثَم: كان واجب كل مسلم، ـ وخاصة المشتغلين بالعلم والدعوة ـ أن

يجعل من أكبر همه إصلاح نفسه وتهذيبها، وتعاهدها في صلته مع الله، وأخلاقه وسلوكه مع الخلق، ويجعل من ذلك منطلقاً لدعوة الناس وإصلاحهم.

التخلية والتحلية والمجاهدة:

من أعظم قواعد تربية النفس: تخليتها من اتباع الهوى؛ فإن اتباع الهوى موجب لأمراض لا حصر لها، وعلّة المرض لا تعالج إلا بضدها، فالطريق لمعالجة القلوب: سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل إليه، وقد جمع الله ذلك كله في كلمة واحدة، فقال (عز وجل): ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ...﴾ [العنكبوت: ٦٩].

والأصل المهم في المجاهدة: الوفاء بالعزم، فإذا عزم على ترك شهوة، وابتلاه الله وامتحنه بتيسير أسبابها، فالواجب الصبر والاستمرار، فإن النفس إذا عُوِّدت ترك العزم ألفت ذلك، فَفَسَدَت.

ثم يتعين بعد ذلك: تحلية النفس وتعويدها على الخير، حتى تألفه ويكون سجية لها، قال ﷺ: «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحرَّ الخير يُعطه، ومن يتق الشر يوقه»[1]، فإن الأعمال لها أثر يمتد حتى يصل إلى القلب، فكما أن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح: فإن كل فعل يجري على الجوارح قد يرتفع منه أثر إلى القلب، والأمر فيه دَوْر، وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح[2].

الحذر من الفتور[3]:

فإذا ما تمت تخلية النفس من اتباع الهوى وتحليتها بفعل الخيرات والفضائل: وجب بعد ذلك أن يَنْصبَّ الاهتمام على متابعة النفس في فعل الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات والنية في المباحات، فإن

---

١) انظر: صحيح الجامع، ح/٢٦١٤.

٢) انظر: تهذيب موعظة المؤمنين، ص ٢٢١ - ٢٢٥.

٣) انظر: الفتور، د. ناصر العمر.

النفس من طبعها الكسل والتراخي والفتور.

قال ﷺ: «لكل عمل شرَّة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد أفلح، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك» (١).

قال ابن القيم (رحمه الله): «تخلل الفترات للسالكين أمر لا بد منه، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد، ولم تخرجه من فرض، ولم تدخله في محرم، رُجي له أن يعود خيراً مما كان» (٢).

درجات الفتور:

إذن: فالفتور أمر لا بد منه، ولكن الفتور درجات وأقسام:

١ ـ أخطرها كسل وفتور عام في جميع الطاعات، مع كره لها، وهذه حال المنافقين.

٢ ـ ثم كسل وفتور في بعض الطاعات، مع عدم رغبة، دون كره لها، وهذه حال كثير من فساق المسلمين.

٣ ـ كسل وفتور سببه بدني، فهناك الرغبة في العبادة، ولكن الكسل والفتور مستمر، وهذه حال كثير من المسلمين.

والخطير في هذه الحالة أن العمر يمضي، والأيام تنصرم دون إنتاج ولا عمل يذكر، والأخطر من ذلك: الانتقال إلى حالة أشد منها، فتعظم المصيبة، أو يقع الشبه بالمنافقين في التكاسل عن الطاعات، والتثاقل عن الخيرات؛ لذا: كان النبي ﷺ يستعيذ من العجز، ومن الكسل في الصباح والمساء، ويعلم أصحابه أن يستعيذوا منه.

وقد عاتب الله المؤمنين في تثاقلهم عن الجهاد، ودعاهم إلى المسارعة والمبادرة إلى الخيرات، ورغبهم في جزاء السابقين المسارعين إلى الخيرات، وبيّنه لهم.

الداعية والفتور:

والفتور والكسل داء يدب في الناس على مختلف درجاتهم، وأخطر ما

---

١) المسند: ٢ / ٢١، وصحح أحمد شاكر إسناده، وانظر: صحيح الجامع، ح/ ٢١٥٢.

٢) انظر أيضاً بمعنى هذا الكلام: مدارج السالكين، جـ٣، ص ١٢١.

يكون على الدعاة وطلبة العلم، مما يجعل تفاديه قبل حلوله، أو تلافيه بعد نزوله أمراً ضرورياً ، والدفع أسهل من الرفع.

ومن هنا: وجب تعاهد النفس؛ لئلا تقع في فتور ينقلها من مرحلة إلى مرحلة، فيتعسر الداء، وتصعب المعالجة؛ لأن أمراض النفس كالنبتة، أسهل ما يكون قلعها وإزالتها أول نباتها، فإذا ما تركت أخذت في النمو والكبر والثبات في الأرض، حتى يحتاج قلعها إلى الرجال والفؤوس، وكذلك أمراض القلوب: تبدأ في ظواهر يسيرة، فإذا أهمل صاحبها علاجها تمكنت منه حتى تكون هيئات راسخة، وطباع ثابتة.

لذلك: كان الواجب علينا ـ معشر الدعاة ـ أن نتفحص أنفسنا، ونتأمل أحوالنا: هل نجد شيئاً من مظاهر الفتور؟، فنبادر إلى معرفة الأسباب والسعي في العلاج.

مظاهر الفتور:

مظاهر الفتور كثيرة، منها:

ـ التكاسل عن الطاعات، والشعور بالضعف والثقل أثناء أدائها، والغفلة عن الذكر، وقراءة القرآن.

ـ الشعور بقسوة القلب، وضعف تأثره بالقرآن والمواعظ.

ـ التساهل في ارتكاب المعاصي وإلفها.

ـ عدم استشعار المسؤولية والأمانة، وضعف هم الدعوة في القلب.

ـ انفصام عرى الأُخُوَّة بين المتحابين.

ـ الاهتمام بالدنيا، والانشغال بها عن فعل الخير.

ـ كثرة الكلام الذي لا طائل تحته، وكثرة الجدال والمراء، والحديث عن الأمجاد، والمشكلات، والانشغال بذلك عن العمل الجاد والمثمر المفيد للأمة.

ـ ضعف جذوة الإيمان، وانطفاء الغيرة على محارم الله.

ـ ضياع الوقت، وعدم الإفادة منه.

ـ عدم الاستعداد للالتزام بشيء، والتهرب من كل عمل جدي.

ـ الفوضوية في العمل.
ـ خداع النفس؛ بأن يتوهّم بأنه يعمل، لكنه في الحقيقة فارغ، أو عمله بلا هدف.
ـ النقد لكل عمل إيجابي.
ـ التسويف، والتأجيل، وكثرة الأماني.

أسباب الفتور:

وإذا تساءلنا: ما أسباب هذا الفتور الذي نعاني منه، وما دواعيه؟، فالجواب: إنها كثيرة، متفاوتة في الأهمية، ومنها:

ـ عدم الإخلاص في الأعمال، أو عدم مصاحبته؛ بأن يطرأ الرياء على الأعمال.
ـ ضعف العلم الشرعي؛ فيضعف علم فضائل الأعمال وثوابها، وفضل الصبر وأثره، ونحو ذلك.
ـ تعلق القلب بالدنيا ونسيان الآخرة.
ـ فتنة الزوجة والأولاد، فإنها ملهاة عن كثير من الطاعات، إذا لم ينتبه لها.
ـ عدم فهم الدين نفسه، وهذا غريب!، والأغرب: أن يفهم طبيعة الدين: ويتذوق حلاوة الإيمان، ثم ينصرف عن العمل في ميدانه.
ـ الوقوع في شيء من المعاصي والمنكرات، وأكل الحرام أو المشتبه بالحرام.
ـ عدم وضوح الهدف الذي يدعو من أجله، وهو: طلب مرضاة الله، وتعبيد الناس لرب العالمين، وإقامة دين الله في الأرض.
ـ ضعف الإيمان بالهدف، أو الوسيلة الدعوية التي يسلكها.
ـ الغلو والتشدد، بحيث ينقلب ذلك سببًا للملل وترك العمل.
ـ العقبات والمعوقات الكثيرة في طريق الدعوة والداعية، وتلك سنة الله في الدعاة والدعوات.
ـ الفردية وإيثار العزلة، فيدركه الملل والسأم.
ـ الجمود في أساليب الدعوة وعدم التفكير في وسائل وأساليب توصل



المقصود إلى المدعوين، وتحافظ على أصول الدعوة وروحها، ومن ذلك مثلاً :
التنويع في أساليب مخاطبة الناس، كلٌ حسب مستواه: بالكلمة المسموعة، والمقروءة، بشتى صورها وأشكالها، ومنه: التنويع في كيفية إلقاء دروس العلم والقرآن، من حيث المكان والوسائل.

ـ عدم استحضار عداوة الشيطان المستمرة، وأيضًا: عدم استشعار تحدي الكفار للمسلمين، وأنهم يبذلون كل وسيلة لصد المسلمين عن دينهم والكيد لهم.

ـ الأوهام ووساوس الشيطان التي تزرع الخوف في القلوب ، وتشكك الداعية في سلامة الطريق.

ـ أمراض القلوب: كالحسد، وسوء الظن، والغل، وحب الصدارة، والكبر...

ـ التقصير في العبادة وعمل اليوم والليلة من الرواتب والسنن والأذكار والورد اليومي ...

ـ استبطاء النصر، واستعجال النتائج.

ـ عدم الاستقرار على برنامج أو عمل معين، وترك العمل قبل إتمامه، ثم الانتقال إلى غيره.. وهكذا.

ـ النظر إلى مَنْ دونه في العلم والعبادة، وذلك مثبط للهمم.

ـ الدخول على أهل الدنيا ومخالطتهم، وفيه مفاسد عظيمة، لا ينجو منها إلا من سلّمه الله .

ـ الفتور في معالجة الفتور.

علاج الفتور:

ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء، والفتور من أشد الأمراض المعنوية، وتتأكد خطورته حينما لا يحس به الإنسان حتى ينقله إلى الانحراف، فيقضي عليه ـ والعياذ بالله ـ ، ومن هنا تتأكد أهمية العلاج باتخاذ سبل الوقاية منه ابتداء، أو عمل الأسباب التي تذهب به بعد وقوعه، وأهم سبل العلاج: تلافي أسبابه، وذلك أعظم وسيلة للنجاة، وإن القناعة بخطورة هذا المرض ووجوب

التخلص منه ـ وقاية وعلاجًا ـ أمر ضروري للإفادة من سبل العلاج، ومنها:

ـ الدعاء والاستعانة؛ فإن الله يجيب المضطر إذا دعاه، والمصاب بدينه الذي يخاف على نفسه: أعظم المضطرين، والله هو المستعان على كل خير، ولذا: أوصى النبي ﷺ معاذًا أن يقول دبر كل صلاة: «اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك».

ـ تعاهد الإيمان وتجديده، والحرص على زيادته بكثرة العبادة؛ مما يكون زادًا للمؤمن، ومخففًا عنه عناء الطريق.

ـ مراقبة الله، والإكثار من ذكره، ومراقبته تستلزم خوفه وخشيته، وتعظيمه، ومحبته، ورجاءه، والإيمان بعلمه وإحاطته وقدرته، أما الذكر: فهو قوت القلوب، وبه تطمئن، وأعظم ذلك: الصلة بكتاب الله (تعالى): تلاوة، وفهمًا، وتدبرًا، وعملاً، وحكمًا، وتحاكمًا، فإن من لم ينضبط بالقرآن أضله الهوى.

ـ الإخلاص والتقوى؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

ـ تصفية القلوب من الأحقاد، والغل، والحسد، وسوء الظن؛ مما يشرح الصدر، ويسلم القلب.

ـ طلب العلم، والمواظبة على الدروس وحلق الذكر والمحاضرات؛ فإن العلم طريق الخشية، وهو قوت القلوب.

ـ الوسطية والاعتدال في العبادة، وفي عمل الخير.

ـ تنظيم الوقت، ومحاسبة النفس.

ـ لزوم الجماعة، وتقوية روابط الأخوة.

ـ تعاهد الفاترين ومتابعتهم؛ لئلا يؤدي بهم الفتور إلى الانحراف.

ـ التربية الشاملة المتكاملة على منهاج النبوة التي تقي من الفتور ـ بإذن الله (تعالى) ـ.

ـ تنويع العبادة والعمل، من: الذكر، وقراءة القرآن، والصلاة، وقراءة الكتب المفيدة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقضاء حوائج الناس، وإغاثة الملهوفين ...

ـ الاقتداء بالأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، والدعاة المخلصين.. في نشاطهم، وحرصهم على أوقاتهم وأعمالهم.

ـ علو الهمة ونبل المقصد والأخذ بالعزيمة، بأن يكون الهمُّ: الجنة، والمقصود: مرضاة الله ؛ بالسعي في العبادة حتى الموت.

ـ الإكثار من ذكر الموت، وخوف سوء الخاتمة، بزيارة المقابر، ورؤية المحتضرين، فإن ذلك يورث: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة.. ونسيان الموت: يورث أضدادها.

ـ جعل ذكر الجنة والنار من الإنسان على بال، وقراءة صفة كلٍّ منهما في كتاب الله (تعالى) وسنة رسوله ﷺ ، فإن ذلك يشحذ الهمم ويذكي العزائم.

ـ الحرص على زيادة العمل، والاستمرار فيه، والحذر من التكاسل، خاصة فيما حافظ عليه من عمل، فإن من ترك سنة يوشك أن يترك واجبًا .. وهكذا.

ـ الصبر والمصابرة؛ فإن طريق العلم والعبادة والدعوة إلى الله طريق شاق وطويل، وكثير المتاعب والمصاعب.

نسأل الله (عز وجل) أن يثبتنا على دينه ويختم لنا بخاتمة الخير..

مراجع أخرى مهمة:

١ ـ روحانية الداعية، عبد الله ناصح علوان.

٢ ـ الفتور، جاسم الياسين.



تأملات في فقه الجهاد

(١ من ٢)

بقلم :
د. محمد بن عبد الله الشباني

ترتبط قوة المجتمع الإسلامي بمدى تمسكه والتزامه بأسس وقواعد الإيمان الذي يرتكز عليها البناء العقائدي للإسلام، وممارسته للتشريعات والأحكام التي تمثل المنهج السلوكي لأفراد الأمة، في مجتمع يقوم تنظيمه السياسي والاجتماعي والاقتصادي على هذه التشريعات والأحكام.

إن ضعف المجتمع الإسلامي وانهزامه يرتبط مباشرة بابتعاده وخروجه عن أحكام الإسلام، سواء أكان منها ما يرتبط بسلوكيات الفرد، أو بالتنظيمات الاجتماعية التي يجب على المجتمع المسلم الالتزام بها، لحماية المجتمع المسلم وإبقائه مرتبطًا بمرتكزاته العقائدية والتشريعية المنظمة لأموره؛ فقد وضع الإسلام منهجاً أوجب على كل فرد من أفراد مجتمع المسلمين ممارسته، كل بحسب طاقته وقدرته وعلمه، يتمثل هذا المنهج في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال جهاد اليد واللسان والقلب، فموضوع الجهاد أكبر من أن يقصر على قتال الكفار من النصارى واليهود وغيرهم.

لقد ورد لفظ الجهاد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة من القرآن، تدور كلها حول المفهوم الشامل للمجاهدة والمدافعة، يقول الإمام الماوردي في تفسيره لقول الله (تعالى) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢١٨] : «(وجاهدوا) يعني : قاتلوا، وأصل المجاهدة : المفاعلة من قولهم : جهد كذا، إذا أكدَّه وشق عليه، فإن كان الفعل من اثنين، كل واحد منهما يكابد من صاحبه شدة ومشقة، قيل : فلان يجاهد فلانًا» [١] ، ويشير صاحب تفسير

١) النكت والعيون في تفسير القرآن، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، جـ١، ص٢٧٥.

(غرائب القرآن) إلى مفهوم الجهاد، فيقول: «والمجاهدة من (الجَهد) بالفتح، الذي هو المشقة، أو من (الجُهد) بالضم: الطاقة لأنه يبذل الجهد في قتال العدو عند فعل العدو مثل ذلك، ويجوز أن يكون معناها ضم جهده إلى جهد أخيه في نصرة دين الله، كالمساعدة: ضم ساعده إلى ساعد أخيه لتحصل القوة»[1]،

ويوضح الحافظ ابن حجر (رحمه الله) في (فتح الباري) مفهوم الجهاد بقوله: «الجهاد (بكسر الجيم)، أصله لغةً: المشقة، يقال: جهدت جهاداً إذا بلغت المشقة، وشرعًا: بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضًا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق، فأما مجاهدة النفس: فعلى تعلم أمور الدين، ثم على العمل بها، ثم على تعليمها، وأما مجاهدة الشيطان: فعلى ذم ما يأتي به من الشبهات، وما يزينه من الشهوات، أما مجاهدة الكفار: فتقع باليد والمال واللسان والقلب، وأما مجاهدة الفساد: فباليد، ثم اللسان، ثم القلب»[2].

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم التي ذكر فيها لفظ (الجهاد) ـ ضمن المفهوم العام الذي أشار إليه الحافظ ابن حجر ـ يمكنه حصر متعلقاتها بالآتي:

١ ـ مغالبة الكفار ومقاتلتهم، أي: المواجهة الحربية وقتالهم؛ لإلزامهم بالدخول في الإسلام، مثل مشركي العرب، أو بدفع الجزية وفتح المجال أمام من يرغب في الدخول في الإسلام؛ بإزالة الخوف وتحقيق مبدأ «لا إكراه في الدين»، ومن الآيات المؤكدة لهذا المعنى: قوله (تعالى): **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾** [آل عمران: ١٤٢]، وقوله (تعالى): **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾** [الأنفال: ٧٤]، وقوله (تعالى): **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [الصف: ١٠ه ١١].

٢ ـ بذل المال للجهاد: إطلاق لفظ الجهاد على بذل المال، وقد قدَّم المال على النفس في معظم الآيات التي تحدثت عن الجهاد؛ لما له من دور في تحقيق غاية الجهاد، ومن ذلك قوله (تعالى): **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**

١) غرائب القرآن، للحسن بن محمد النيسابوري، جـ٢، ص ٢٢٨.

٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، جـ٣.

ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقوله (تعالى): ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٢٠].

٣ ـ **جهاد الكلمة**: من خلال الدعوة إلى الله، ورد شبهات المنافقين والكافرين بالحجة والبرهان، والعمل على نشر الحق والخير، ومنع المنكرات الفعلية والقولية من خلال الكلمة الصادقة والحجة القاطعة، يقول الله (تعالى): ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾[التحريم: ٩]، ومعروف أن المنافقين يمارسون حياتهم ضمن المجتمع المسلم، ولكنهم يمارسون الكفر من خلال الكيد للإسلام بقول الكلمة السيئة؛ لصرف الناس عن الحق وتشويه الأفكار والأحكام الإسلامية؛ بقصد بذر بذور الشك، ولقد صور القرآن الكريم تلك الأساليب من الكيد للإسلام خلال العهد النبوي ـ وذلك: بالتحالف مع اليهود ومشركي العرب بزعامة قريش ـ في عدد من آيات الكتاب الحكيم، وحيث إن مجابهة المنافقين لا تتم من خلال المواجهة العسكرية، وإنما من خلال الكلمة، فقد كان لجهاد الكلمة مكانة رفيعة وبارزة في الدفاع عن الأساس العقدي والتشريعي للمجتمع المسلم، ولهذا: وجه الله رسوله إلى الاستعانة بالقرآن الكريم للرد عليهم، يقول (تعالى) مخاطباً رسوله ومن معه ومن بعده من المؤمنين: ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾[الفرقان: ٥٢]، ويفسر ابن كثير هذه الآية بقوله: «(وجاهدهم)، أي: بالقرآن، قاله ابن عباس، جهاداً كبيراً، كما قال (تعالى): ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾الآية[1]، وقوله (تعالى): ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦]، قال الحسن البصري: إن الرجل ليجاهد وما ضرب يوماً من الدهر بسيف»[2].

٤ ـ **مغالبة النفس وجهادها**: بمنعها من الوقوع في الشرك والكفر والفسوق وارتكاب المعاصي واقتراف الذنوب، ويطلق القرآن على هذه المدافعة النفسية لفظ الجهاد، يقول (تعالى): ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [لقمان ١٥] فقد نزلت هذه الآية في سعد بن مالك (رضي الله عنه) وموقفه من أمه

١) تفسير ابن كثير، جـ٣، ص ٣٢١.
٢) تفسير ابن كثير، جـ٣، ص ٤٠٤.

مقال

وكان باراً بها، ومع ذلك: لم يتابعها على دينها مع ما يبذله من بر وطاعة وحسن خلق معها، كما أن من المجاهدة: الصبر على تحمل الأذى في سبيل العقيدة، والالتزام بما أمر الله به من فعل، وترك ما نهى الله عنه من فعل، يقول (تعالى): ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقد ذكر ابن كثير عن ابن أبي حاتم عن أبي أحمد ـ من أهل عكا ـ تفسيراً لمفهوم هذه الآية أنه قال: «الذين يعملون بما يعلمون: يهديهم الله لما لا يعلمون»، وهذا لا يحصل إلا بمجاهدة النفس.

ـ **يرتبط الجهاد ـ حسب المفاهيم السابقة ـ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من حيث إن الجهاد هو وسيلة القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، فبدون ممارسة المجتمع المسلم بمختلف فئاته ـ وفقاً للضوابط الشرعية ـ وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فإن الجهاد ـ الذي هو ذروة سنام الإسلام ـ يفقد دوره الحافظ لقيم ومبادئ وتشريعات الإسلام، ولهذا: فهناك التلازم فيما رواه مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ، قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[1].

ـ **فهذا الحديث يؤكد التلازم بين الجهاد بالمعنى العام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكل واضح؛ حيث يحدد أن الإيمان ـ الذي يمثل الركيزة التي يقوم عليها البناء الاجتماعي للمجتمع المسلم ـ إنما يقوم على مجاهدة** أولئك الذين يريدون أن ينحرف المجتمع المسلم عن مساره قولاً وفعلاً، فمقاومتهم جهاد، وعليه: يأتي التوجيه النبوي لجموع أفراد الأمة بوجوب تغيير المنكر، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «.. من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[2].

١) أخرجه مسلم، ك الإيمان، ح/ ٨٠.
٢) أخرجه مسلم، ك الإيمان، ح/ ٧٨، وكذا: الترمذي والنسائي وأحمد بن حنبل.

مقال

لقد جاءت لفظة (المنكر) في هذا الحديث بصيغة التنكير التي تفيد العموم، وقد ذكر الحسن بن محمد النيسابوري في كتابه غرائب القرآن ـ عند تفسيره لقوله (تعالى): ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران: ١٠٤] ـ مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله: «إن لفظ (الخير) جنس، تحته نوعان: الترغيب في فعل ما ينبغي من واجبات الشرع ومندوباته، والكف عما لا ينبغي من محرماته ومكروهاته، فلا جرم أتبعه النوعين زيادة في البيان، فقال: ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر [أي: أتبع كلمة (الخير) المشتملة على النوعين، الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر]، واختلفوا في أن كلمة (مِنْ) في قوله (منكم) للتبيين أو للتبعيض، فذهبت طائفة إلى أنها للتبيين؛ لأنه ما من مكلف إلا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إما بيده أو بلسانه أو بقلبه.. وقال آخرون: إنها للتبعيض، إما لأن في القوم من لا يقدر على الدعوة وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ كالنساء والمرضى والعاجزين ـ، وإما لأن هذا التكليف مختص بالعلماء الذين يعرفون الخير ما هو والمعروف والمنكر ما هما، ويعلمون كيف يرتب الأمر في إقامتهما، وكيف يباشر»[1].

أنواع وأشكال الجهاد:

إن مراتب الجهاد المرتبطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتحدد في ثلاثة أشكال ـ حسبما حددها حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) ـ على النحو التالي:

أولاً: الجهاد العسكري، وهو جهاد يقصد منه إزالة المنكر الذي يحتاج إلى استخدام القوة لتغييره.. والمنكر الذي يحتاج إلى استخدام القوة من خلال الجهاد العسكري ينقسم بدوره إلى: جهاد لنشر الإسلام، باعتبار أن أكبر المنكرات هو الصد عن الإسلام من خلال محاربة الإسلام والمسلمين ومنع الناس من أن يعبدوا الله وفق ما شرعه.. وإلى جهاد لصد الكفار من اليهود والنصارى ممن استباح ديار المسلمين واحتلهم واستذلهم وحاربهم وحارب كل من سعى لتطبيق منهج الله وشرعه في ديار الإسلام من خلال التهديد بمختلف صوره قولاً وفعلاً.

هذا الجانب من الجهاد قد ضعف، بل أصبح من الأمور التي يُتكلم فيها عل

١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للحسن بن محمد النيسابوري، جـ٤، ص ٢٨.

استحياء ، فنجد المقولة التي يُراد لها أن تتعمق في العقل المسلم: إن الإسلام دين يدعو إلى السلام، ولو كان السلام يقوم على التمكين لغير شرع الله!، وبالتالي: فلا يجوز محاربة الكفر وإعلان الجهاد لتبليغ رسالة الإسلام وإزالة الطواغيت التي تصد الناس عن سماع واتباع الحق، من أجل ذلك: فقد قامت الدعوة إلى عقد الندوات والمؤتمرات الداعية إلى التقارب بين الأديان ونبذ الصراع مع الباطل ومسالمته، مع أن سنة الله قائمة على استمرار الصراع بين الحق والباطل.

إن الجهاد العسكري ضد الدول الكافرة التي تحارب الإسلام؛ فتصد عن سبيل الله، أو تساعد وتناصر القوى الظالمة والجبابرة من أجل إبقاء المجتمع المسلم تحت عبوديتها، والعمل على تجذير الفرقة، والتمكين لأعداء الإسلام من المنافقين والملحدين من استعباد المسلمين.. هذا الجهاد أمر أوجبه الله على المسلمين ، لقد جاءت نصوص القرآن واضحة جلية بهذا الخصوص، فمن ذلك قوله (تعالى): **﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾** [النساء: ٧٤]، وقوله (تعالى): **﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا (٧٥) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾** [النساء: ٧٥، ٧٦]، وقوله (تعالى): **﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾** [التوبة: ٢٩]، إن دلالة هذه الآيات صريحة بأمر قتال جميع قوى الكفر ممن يحاربون الإسلام ويمنعون عباد الله من الانضواء تحت شريعة الله، بل يظاهر بعضهم بعضاً لمحاربة الإسلام ودعاته والمطالبين بتحكيم شرعه، من هنا: فإن واجب الأمة السعي توجيه الجهد والطاقة لإحياء مفهوم الجهاد ومناصرة المستضعفين من المسلمين، الذين تنتهك حرماتهم، وتستباح ديارهم، ويُخرجون من ديارهم لا ذنب لهم إلا أنهم مسلمون، وقد أوجب الله جهاد هذه الفئة ممن يظاهر ويناصر أعداء

مقال

المسلمين في قوله (تعالى): ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩]، ومن مفهوم هذه الآية: فإن أي موالاة ومناصرة وخضوع لتلك القوى الكافرة ـ اقتصاديًا وإعلاميًا ـ سيجلب مقت الله وعذابه، فقد حذرنا رسول الله من الوقوع في ذلك بالحديث الذي جاء فيه: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد: سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»[1]، وهذا الحديث يصور واقع الأمة الإسلامية وما وصلت إليه من ذل ومهانة، بحيث أصبح بعضها يلجأ لحل مشاكلها ونزاعاتها فيما بينها إلى دول الكفر من النصارى واليهود لحلها ونيل النصرة منها، مع أن الله (تعالى) قال في كتابه: ﴿... لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨]، وقال (تعالى): ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ [الممتحنة: ٢].

إن التجربة التاريخية المعاصرة توضح هذه الحقيقة التي أشار إليها القرآن عن مدى الحقد والغل الذي يكنّه النصارى واليهود ـ حتى مع استسلام المسلمين وخضوعهم لهم ـ، وصدق الله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠].

من الفتن المظلمة في هذا العصر ـ فيما يتعلق بمفهوم الجهاد ـ: أن أعداء الله من المنافقين الذين ابتليت بهم الأمة عمدوا إلى تحريف العبارات عن مدلولاتها ومعانيها لتوافق أهواءهم وأهواء من باعوا أنفسهم له، فمن ذلك: استخدام لفظ الجهاد وأدلته لدفع كثير من البسطاء ممن يدفعه الحماس الديني والرغبة في الاستشهاد والانخراط في القتال باسم الجهاد وباسم الاستشهاد؛ لتحقيق أغراض ، الله عليم بها، وكذلك: إطلاق لفظ الشهيد على أولئك الذين يقتلون تحت راية وطنية أو قومية أو مذهبية أو طائفية؛ بقصد تحقيق مكاسب سياسية تخدم قوى الكفر من النصارى واليهود .

١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٢ / ٨٤، وأبو داود ـ واللفظ له ـ، ك البيوع، وصححه الألباني ح/ ١١ من السلسلة الصحيحة.

المفهوم الصحيح للجهاد:

المعنى الصحيح للجهاد هو ما فسره الرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام) في الحديث الذي رواه البخاري، عن أبي موسى (رضي الله عنه) قال: «قال أعرابي للنبي ﷺ: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليُذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، من في سبيل الله؟، فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1]، ويعلق الإمام ابن حجر على هذا الحديث فيقول: «وفي إجابة النبي ﷺ بما ذكر غاية البلاغة والإيجاز، وهو من جوامع كلمه ﷺ؛ لأنه لو أجابه بأن جميع ما ذكره ليس في سبيل الله لاحتمل أن يكون ما عدا ذلك كله في سبيل الله، وليس كذلك، فعدل إلى لفظ جامع عدل به عن الجواب عن ماهية القتال إلى حال المقاتل، فتضمن الجواب وزيادة»[2].

إن على المسلمين أفراداً أو جماعات أن يكونوا على حذر من الدعوات التي تطلق باسم الجهاد، فلا ينخدع المسلم بكل من رفع راية الجهاد، وزعم أن رايته راية إسلامية، وعليه أن يتحقق من صحة دعوى الجهاد التي يطلقها الزعماء والقادة وأتباعهم ممن يزعم العلم والصلاح، وذلك بعدة أمور، من أهمها ما يلي:

١ ـ النظر إلى المنهج الفكري للداعي للجهاد، وهل هو منهج إسلامي أم غير إسلامي، وهل من يدعو للجهاد يمارس الإسلام قولاً وسلوكاً وتنظيماً ونظاماً، أم إن الدعوة جاءت لجذب الأنصار وللتضليل مع أن منهج الداعي في منظمته أو دولته يتعارض مع الإسلام ومبادئه؟، لهذا: ينبغي النظر بدقة إلى واقع الداعي، ومدى التزامه بالإسلام فعليًا من عدمه.

٢ ـ دراسة وتمحيص التاريخ الشخصي للقادة الذين ينادون بالجهاد ومُنظِّري ذلك من أتباع القادة من المفكرين الذين يؤطرون لهؤلاء القادة من خلال دراسة مدى سلامة عقيدتهم وسلوكهم قبل وصولهم إلى مراكز القيادة، وهل كانوا ذوي ارتباطات سابقة مع أعداء الله من ولاء وعمالة وخيانة ونفاق؟، وعلى ضوء هذا يتم تحديد صدق دعوة ذلك الزعيم من عدمها؛ فإذا كان القائد الداعي إلى الجهاد معروفاً بعدائه السابق للإسلام وتشريعاته، بل كان حرباً على

١) أخرجه البخاري، ك الخمس، واللفظ له، ومسلم، ك الإمارة، ح/١٤٩، وأحمد ابن حنبل،١/٤١٦.
٢) فتح الباري، جـ ٦، ص ٢٨، ٢٩.

التوجهات الإسلامية، عليه: فلا يمكن الركون إليه ولا إعانته، حتى ولو أظهر للناس ـ عند الحاجة ـ مظاهر الإسلام لخداعهم.

٣ ـ معرفة أهداف القتال ومراميه، الذي من أجله طلب من الناس القيام بواجب الجهاد، فهل هذا القتال من أجل محاربة الكفار وصد عدوانهم على مجتمع يعيش فيه المسلمون، أو محاربة وجودهم في أرض الإسلام؟، ففي هذه الحالة ينبغي تلبية الداعي ولو كان فاسقًا في نفسه ومنحرفًا في سلوكه، وإن كان الغرض من القتال هو العمل على إقامة حكم يلتزم بشرع الله ـ وذلك بتحكيم الإسلام في كل أمور الحياة ـ فينبغي عندئذ: وضوح هذا الهدف وأن يكون ذلك سياسة معلنة لا غموض ولا لبس فيها، وليس من أجل الاستهلاك وخداع الناس وتضليلهم، ولهذا: لا بد من التأكد من صحة هذه الدعوى من خلال قيام الداعي بالممارسة العملية لتطبيق الشريعة قبل وبعد إعلان الجهاد، وعدم التسويف حتى تنتهي الأزمة ويتم الانتصار، ثم يقلب الزعيم ظهر المجن لأولئك البسطاء من الناس ممن خدعهم.

٤ ـ التأكد من نوعية القيادة لمختلف مستويات المجموعة أو الدولة التي تعلن الجهاد، فهل هي نوعية ملتزمة في سلوكها وعقيدتها بالإسلام، وهل سياساتها وعلاقاتها تجري على ضوء تعاليم الإسلام، أم إن المسألة دعايات ومظاهر فقط، وربما تكون وليدة ردود أفعال لمآزق وقعت فيها الأنظمة، فيكون الهدف حشد الرأي العام في مناصرتها، فهذا ما يجب معرفته بحق.

فإذا تأكد المسلم من توافر هذه الشروط والأحوال فيمن يدعو لجهاد أعداء الله من الكفار، وأصبح للداعي تميز مكاني؛ فأصبح للجماعة المنادية للجهاد أرض تمارس فيها حكم الله، ومن موضعها يتم الانطلاق للجهاد، فعندئذ يصبح الجهاد فرضًا على كل قادر، بل إن الهجرة لهذا المكان واجبة على القادرين لمناصرة المسلمين، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ حينما هاجر إلى المدينة، وأصبح للمسلمين دار إسلام ودار منعة؛ حيث وُجدت القيادة، وأصبح للأمة قائد يتولى أمرها، أما قبل ذلك، وخلال مرحلة الضعف في مكة: فإن رسول الله ﷺ منع المسلمين من مقاتلة كفار مكة، وأوجب عليهم تحمل الأذى.

ملف العدد

حتى لا ننسى فلسطين

فاتحة الملف

فلسطين الأرض المباركة إسلامية من قديم الأزل، وليس فقط منذ فتحها المسلمون على يد الخليفة الراشد «عمر بن الخطاب» (رضي الله عنه) فالفتح الإسلامي كان وصلاً لمعالم التوحيد وتجديداً للعهد على ملة إبراهيم.

وقضية فلسطين محورية في حياة المسلمين من حيثيات ثلاث: قدْر الأرض المقدسة وعزيز مكانتها، ومن حيث: طرف الصراع فيها (اليهود) الذين يتولون كبر الحرب على المسلمين وينسجون مكائد الإجرام ضدهم، والثالثة: من حيث قدرية الصراع معهم الذي ما تركنا الرسول ﷺ إلا نصحنا بأبعاده، ودلنا على فاعل أدوات إدارته وأمضى أسلحة التعامل فيه، حيث يصدع صدى مبشراته: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعالَ فاقتله، إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود» الحديث رواه مسلم وأحمد.

إن هذه الأرض إسلامية مهما تكالبت عليها الخطوب، وحتى بعدما تحول الشمم العربيّ من لاءاته الثلاث الشهيرة إلى الاستسلام، عفواً: السلام، بل الهرولة إلى السلام وكأنه مغنم وفتح!.

وحتى لا ننسى (فلسطين) يجيء هذا الملف محتوياً على عدد من المشاركات التي تعالج هذه القضية من أبعاد مختلفة، راجين أن نكون قد وفقنا للتذكير بهذا الهدف الكبير والأمانة العظمى.

ومع ما وصلنا إليه من ضعف فإن أمل العودة يجب إلا يغيب عن أذهاننا، ولنذكر به أجيالنا ونرضعهم حبه وأنه لا شك قريب؛ لأن اليأس جاء في القرآن الكريم قرين الكفر ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

والله من وراء القصد،،،

المسجد الأقصى ...

والزلزال القادم



لا يغيب عن علم المطلع على تاريخ النبوات، أن لكل أمة قبلة تتجه إليها في صلواتها وعباداتها، فكما أن لنا ـ نحن أهل الإسلام ـ قبلة هي الكعبة المشرفة، فقد كان لكل من أصحاب الديانات السماوية السابقة قبلة يتجهون إليها ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وكان هذا التوجه عند أصحاب كل ملة جزءاً من شريعتهم، ولكن الأمر الذي جدَّ ـ بعد بعثة الرسول الخاتم ﷺ ـ أن تلك الشرائع نُسخت وأُلغي العمل بها، وبالتالي: فقد نسخت شرعية كل قبلة يُتجه إليها إلا الكعبة المشرفة، فهي وحدها التي تقبل العبادة بالتوجه إليها، وهي أيضاً لا تقبل إلا من موحد مسلم.

والمشكلة: أن هؤلاء المتبعين للشرائع المنسوخة لم يعترفوا ـ وخاصة اليهود منهم ـ بذلك النسخ، ولم يؤمنوا بالشريعة التي جاء بها النبي الخاتم ﷺ، وهم بالتالي قد ظلوا متشبثين بالقبلة التي كانوا عليها ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ... ﴾ [البقرة: ١٤٥].

إن قبلة اليهود ـ منذ كانوا، وإلى اليوم ـ هي المعبد الذي شيده سليمان (عليه السلام)، والذي يطلقون عليه: (هيكل سليمان)، وهو الاسم التاريخي القديم للمسجد الأقصى قبل أن يتحول إلى إرث الأمة الإسلامية، والمعروف تاريخيًا أن ذلك المعبد قد دُمِّر مرتين، المرة الأولى على يد الملك البابلي «بختنصر» عام (٥٨٧ قبل الميلاد)، والمرة الثانية عام (٧٠ ميلادي) على يد الإمبراطور الروماني «طيطس»، حيث دمره

بقلم:
عبد العزيز كامل

ملف
حتى لا ننسى فلسطين
العدد

تدميراً كاملاً، ولم يبقَ منه إلا جزءاً من السور في الجهة الجنوبية الغربية لساحة المعبد، وهو الجزء الذي ظل باقياً حتى بعثة الرسول ﷺ، وهو الذي رُبط فيه (البراق) في ليلة الإسراء والمعراج، وهو نفسه السور الذي تسميه اليهود اليوم بـ(حائط المبكى)، وقد جاء ذكر التدميرَين (الأول والثاني) في القرآن الكريم في أول سورة الإسراء.

والمقصود هنا: أن اليهود ظلوا يتجهون إلى ناحية ذلك الهيكل في صلواتهم منذ ذلك التاريخ، وظلوا يتشوقون ويتشوفون إلى يوم يستطيعون فيه إعادة بناء ذلك الهيكل الذي يدْعُونه اليوم بـ(الهيكل الثالث).

ولم تسنح الفرصة لليهود طوال ما يقرب من ألفي عام لتحقيق حلمهم التاريخي، إلا في هذا القرن، بعد أن عادوا للاستيطان في أرض فلسطين، وظل حلمهم يقترب من التحقيق شيئًا فشيئًا، حتى اقترب جداً باحتلالهم لمدينة القدس بعد حرب عام ١٩٦٧م، حيث وقع المسجد الأقصى أسيراً تحت أيديهم، ولكن الأمور لم تكن بالسهولة التي يستطيعون معها في الحال أن يُقدموا على إنفاذ رغباتهم المحمومة في هدم المسجد الإسلامي وبناء المعبد اليهودي مكانه، فلجؤوا إلى الحيل والمكائد والمؤامرات للوصول إلى ذلك الهدف.

عندما بدأ الاحتلال الإسرائيلي للقدس، لم يكن ظاهراً من حائط المبنى القديم إلا (٢٨) متراً فقط، وكان الباقي محجوباً بالأبنية والمنازل

المكونة لما يعرف بـ(حي المغاربة) ، ذلك الحي الذي أقدمت السلطات اليهودية في عام ١٩٦٧م على هدمه؛ لكي تكشف بقية حائط المبكى، ووسعت الطريق المقابل له، بحيث أصبح ساحة كبيرة جعلها اليهود مركزًا دينيًا مؤقتًا لعبادتهم، وكان هذا الإجراء هو أول مرحلة من ضمن عشر مراحل من تلك المؤامرة (مؤامرة الحفريات)، التي تمت تحت زعم البحث عن أي آثار تاريخية للهيكل المهدوم منذ ما يقرب من ألفي عام، هذا هو الهدف الظاهر، أما الهدف الباطن فيظهر لنا من خلال استعراض مختصر لتلك المراحل العشر:

المرحلة الأولى: وهي تلك التي هدم اليهود فيها حي المغاربة نهائيًا لتكون الأرض جاهزة لأي أعمال حفر وتنقيب، وقد استمرت الحفريات في هذه المرحلة سنة كاملة، ووصل عمقها إلى (١٤) مترًا .

المرحلة الثانية: واستمرت فيها عمليات الهدم في الأحياء الإسلامية مع إجلاء سكانها العرب، وفي هذه المرحلة حدث حريق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م.

المرحلة الثالثة: استمرت خلال الأعوام (١٩٧٠م ـ ١٩٧٢م) وبدأ فيها شق الأنفاق تحت أسوار المسجد الأقصى من جانبيها الجنوبي والغربي، حتى نفذت إلى الأرضية الداخلية تحت ساحة المسجد، وشملت هذه المرحلة الاستيلاء على أبنية إسلامية كثيرة، منها: مبنى المحكمة الشرعية.

المرحلة الرابعة: (عام ١٩٧٣م)، حيث اقتربت الحفريات من الجدار الغربي للمسجد الأقصى، وتغلغلت مسافة طويلة تحته، ووصلت أعماق الحفريات وقتها إلى أكثر من ثلاثة عشر مترًا.

المرحلة الخامسة: (عام ١٩٧٤م)، وفيها توسعت الحفريات أفقيًا تحت الجدار الغربي.

المرحلة السادسة: (١٩٧٥م ـ ١٩٧٦م)، وفيها أزال اليهود ـ أثناء





التوسع في الحفريات ـ مقبرة للمسلمين تضم رفات الصحابيين الجليلين عبادة بن الصامت، وشداد بن أوس (رضي الله عنهما) .

المرحلة السابعة: (١٩٧٧م)، وصلت الحفريات إلى تحت مسجد النساء داخل المسجد الأقصى، وتمت فيها موافقة لجنة وزارية إسرائيلية على مشروع بضم أقسام أخرى من الأراضي المجاورة للساحة، وهدم ما عليها بعمق تسعة أمتار.

المرحلة الثامنة: (١٩٧٩م)، وبدأت فيها حفريات جديدة قرب حائط البراق، وتم شق نفق طويل، وتقرر الاستمرار فيه حتى يخترق المسجد الشريف من غربه إلى شرقه، وقد تم تحصين هذا النفق بالأسمنت المسلح، وأقيم كنيس يهودي صغير، افتتحه رسميًا رئيس الدولة اليهودية ورئيس وزرائه.

المرحلة التاسعة: (١٩٨٦م)، وفيها استشرت الحفريات من كل جانب، وتم إجلاء أعداد كبيرة من السكان من القدس القديمة، وأغلقت السلطات الإسرائيلية مستشفى فلسطينيًا، واغتصبت بيوتًا عربية كثيرة، وسكن «شارون» وزير الدفاع السابق ووزير الإسكان الحالي في واحدة منها!، تأكيداً على تهويد القدس.

المرحلة العاشرة: (عام ١٩٨٨م)، وقد بدأت بشراسة، فازداد التوغل تحت أرضية الساحة وحولها، وبينما يقوم الحراس المسلمون بحماية المسجد من الداخل ضد أي اعتداء، إذا بالحفارين اليهود يتوغلون في الحفريات من المحيط الخارج عن الأسوار، ومن الأحياء التي تسيطر عليها القوات العسكرية اليهودية سيطرة تامة، وتركزت الحفريات على الطبقات التحتية لتفريغها من التربة.

وكانت هذه المرحلة من أخطر المراحل؛ لأنها كانت تهدف إلى تفريغ الأتربة والصخور من تحت المسجد الأقصى ومسجد الصخرة لترك

المسجدين قائمين على فراغ، ليكونا ـ لا قدر الله ـ عرضة للانهيار أو السقوط بفعل أي تقلبات مناخية أو هزات أرضية، أو حتى صوت عالٍ تسببه طائرة تخترق حاجز الصوت..!!.

النفق ليس جديداً:

إذن: فأمر النفق (أو الأنفاق) ليس جديداً، فهذا النفق قد بُدئ العمل فيه منذ ثمانية عشر عامًا، إلا أنه تم إكمال حفره في ليلة عيد الغفران اليهودي لهذا العام، وتم افتتاحه رسميًّا يوم الثلاثاء ٢٤ سبتمبر الماضي في احتفال شارك فيه «إيهودا ألمرت» رئيس بلدية القدس، ومندوبون عن وزارة الشؤون الدينية، ويبلغ طول النفق ٤٥٧ متراً، وقد وضع الإسرائيليون بوابة حديدية عند نهايته، وفرضوا عليه حراسة عسكرية مشددة بموافقة مباشرة من «بنيامين نتنياهو».

وإذا كان حفر النفق جزءاً من مؤامرة الحفريات التي تهدف إلى تفريغ الأرض تحت المسجد الأقصى تمهيداً لهدمه، فإن هناك هدفًا آخر من افتتاحه رسميًّا وسط هذا الضجيج الإعلامي الدولي، وهو الترويج لدعاية أن القدس ليست هي ما يراه العالم اليوم، وإنما هي (أورشليم) الموجودة تحت سطح المدينة، والتي سيعملون على إخراجها من باطن الأرض أو باطن التاريخ من جديد، ويُذكر هنا أيضًا: أن هناك الآن ما يطلق عليه اليهود (إسطبلات سليمان) التي يقول اليهود: إنها كانت مكانًا يجمع فيه سليمان (عليه السلام) الدواب التي يستعملها في حروبه وفتوحاته، ومكان هذه الإسطبلات أيضاً: أسفل الجهة الجنوبية للمسجد الأقصى.

فاليهود ـ إذن ـ نقلوا جزءاً من الصراع إلى تحت الأرض، وهم يدعون يومًا بعد يوم أن هذا الجزء أو ذلك الجزء تحت الأرض هو ملك خاص لهم، وليهنأ العرب والمسلمون بملكية الدور الثاني أو الثالث أو الرابع من تلك الأدوار التي بنيت فوق الأراضي المملوكة للغير!.



أما إذا هدمت تلك الأدوار أو سقطت لأي عارض.. فالملك سيعود لأصحاب الأرض... ولكن أي أرض؟.

إنها (أرض إسرائيل) كلها، أو (أرض التوراة)، أو (أرض الميعاد).. من النيل إلى الفرات، تلك الأرض التي لا قيمة لها عندهم إلا بالقدس، ولا قيمة للقدس عندهم إلا بإكمال بناء الهيكل الثالث فيها، لتكتمل ملامح الدولة الدينية لذلك الكيان العبري اليهودي، إن هذا ما درج على قوله أساطينهم منذ «بن جوريون»، و«بيجن»، و«نتنياهو»: «لا قيمة لإسرائيل بدون القدس، ولا قيمة للقدس بدون الهيكل».

ومنذ فترة - في منتصف عام ١٩٩٥م تقريباً - عرض الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات على الصحفيين مجموعة من الصور والقطع المعدنية الإسرائيلية الحديثة التي تظهر فيها القدس بدون المسجد الأقصى وقبة الصخرة.. وعرض التلفزيون الإسرائيلي نفسه في منتصف عام ١٩٩٥م صوراً مأخوذة من إدارة مدرسة دينية في القدس، وقد اختفت فيها معالم المسجد الأقصى ومسجد الصخرة، وظهر مكانها منظراً لهيكل سليمان قائماً مكانها، وذلك في البرنامج التلفزيوني (مباط شني).

وقد نشرت صحيفة (يديعوت أحرنوت) الإسرائيلية قصة هذه الصور بقلم أحد الصحفيين اليهود «نرهار سميلانسكي»، حيث قال: «إن اليهود المتدينين يعكفون بين آن وآخر على دراسة الخطط المعدة لشن هجوم على المسجد في الوقت المناسب لتدميره عن آخره، حتى يفرضوا أمراً واقعاً جديداً، وقال: «إنهم يعرفون جيداً كيف سيتم إخلاء بقايا المسجدين وجثث المصلين قبل الاحتفال بـ(عيد أنوار الهيكل) !!».

إن شيئاً واحداً - في تقديري - هو الذي يوقف ويؤخر القرار الأخير بالهدم على المستوى الإسرائيلي الرسمي، وهو عدم معرفة أبعاد ردود الفعل الإسلامية إذا نفذت المؤامرة، وعلى أي حال فهم يجرون كل مدة

(بروفة) لقياس مقادير ردود الأفعال، وهي (مطمئنة) لهم على كل حال على المستوى العربي والإسلامي، فهى لا تعدو أن تكون فورة تتبعها غورة، وكان آخر البروفات: حدث افتتاح النفق.

يقول القادمون من الأرض المحتلة: إن السلطات الإسرائيلية تستخدم في أعمال الحفر تحت الأقصى والأبنية المجاورة آلات خاصة، تطلق اهتزازات ذات قوة صوتية عالية، بقصد خلخلة أسس المسجد وتفكيك أركانه المتماسكة، حتى يسهل تداعي أسسه بعد ذلك، إذن: فقدسية المكان لدى اليهود غير قابلة للنقاش، وتأجيل قضية القدس إلى آخر مراحل المفاوضات السلمية، ما هو إلا تضييع للوقت وإعطاؤهم فرصة لتحقيق مخططاتهم.

ولكن هناك أمراً ينبغي التنبيه عليه، وهو أن اليهود الذين يدينون بتقديس تلك البقاع المكانية، لهم أيضاً مقدسات زمانية لا تقل عندهم قدسية، وهم قوم مغرمون بالرموز والطقوس ذات الايحاءات، وكثيراً ما يحبون الجمع بين مناسبتي الزمان والمكان (كما حدث مؤخراً في افتتاح النفق ليلة عيد الغفران اليهودي).



فاليهود الذين يقدسون (القدس ـ المكان) يعدون الآن للاحتفال زمنياً بما يسمى (القدس ٣٠٠٠) وهو احتفال لإحياء ذكرى مرور ثلاثة آلاف عام على بناء القدس على يد النبي الملك سليمان (عليه السلام)، وهم أيضاً يقدسون (الهيكل ـ المكان)، ويعدون الآن للاحتفال ببناء سليمان لذلك المعبد ضمن بنائه للمدينة المقدسة قبل ثلاثة آلاف عام.

واليهود يعدون أيضاً للاحتفال في العام القادم بمرور مئة عام على مولد فكرة الدولة اليهودية على يد زعيم الصهيونية الحديثة «تيودور هرتزل» عندما أصدر كتابه المسمى (الدولة اليهودية) التي اجتمع لأجل إقامتها أساطين اليهود في مؤتمر (بازل) بسويسرا عام ١٨٩٧م.

واليهود سوف يحتفلون في العام القادم (١٩٩٧م) بمرور ٥٠ عامًا على إعلان إنشاء تلك الدولة اليهودية (إسرائيل) التي أعلن عن تأسيسها في ١٤ مايو ١٩٤٧م، إذن: فالعام ـ أو الأعوام القليلة القادمة ـ هي أعوام حبلى بالأحداث ـ والعلم عند الله ـ ، ولكن إذا سارت الأمور على حسب ما يخطط له اليهود (نسأل الله أن يخزيهم ويدحرهم): فإن مرحلة تدشين الهيكل الثالث قد اقتربت... والمسلمون في غفلة وسبات عميق وطويل، لا أظن أنهم سيفيقون منه إلا على وقع أحداث كبرى.

واليهود يروجون من اليوم لدعاية أن المسجد المقام فوق جبل المعبد سوف يُهدم بفعل إلهي (كرامة لليهود) !!! هذا إذا لم يستعجل بعض (المتطرفين) منهم أو أصحاب (الهوس الديني) بتقريب موعد هذا الحدث! .

إنهم، بمعنى آخر ـ وبعد أن أكملوا أكبر الأشواط في مؤامرة الحفريات ـ ينتظرون زلزالاً ـ طبيعيًّا، أو صناعيًّا (كذلك الذي تحدثه التجارب النووية) ـ لكي يخلصهم من ذلك المسجد الإسلامي العريق (المسجد الأقصى)، ويوصلهم إلى إعادة بناء معبدهم اليهودي العتيق (الهيكل الثالث)...

ونحن المسلمين في انتظار زلزال معنوي آخر يوقظ أحاسيسنا وينقذ مسجدنا...

إننا وهم ... على موعد مع الزلزال !!..

ونسأل الله السلامة!





الفلسطينيون
بين فكي الكماشة



من القصص الرمزية المعروفة أن امرأة كانت لا تملك شيئًا يسد رمق أولادها من الجوع فوضعت على النار قدرًا فيه ماء وحصى وهم جلوس حول أمهم يبتكون ويتضاغوْن، وهي تسكتهم وتلهيهم وكان هناك في القدر طعامًا سينضج.. هذا هو شعور المراقب للمفاوضات العربية الإسرائيلية منذ سنوات، فحالنا مع تمثيليات السلام المصطنع مع اليهود تشابه هذا الوضع التمثيلي، حيث إنها تمثل حوار الطرشان الذي لا يمكن أن يصل إلى نتيجة.

على الجانب الفلسطيني الآن ـ وبعد مرور ثلاث سنوات على اتفاق أوسلو (تم في ١٣/٩/١٩٩٣م) ـ يتساءل كثير من الناس بمرارة خصوصًا الفلسطينيون في فلسطين ـ وعلى الأخص سكان الضفة والقطاع ـ عما جنوه من وراء اتفاقات السلام مع إسرائيل؟.

إن السياسة التي عودتنا عليها منظمة التحرير تؤكد أنها لا تخرج من حفرة إلا لتقع في هاوية، وقد دفع الفلسطينيون ثمنًا باهظًا مقابل مواقف المنظمة وتخبطاتها السياسية والفكرية الخرقاء، وها هي المنظمة، وبعد رحلة طويلة فاشلة وبعد سلسلة تنازلات ما لها من قرار، تعود إلى نقطة الصفر لتشكل مع بداية هذا الشهر (أكتوبر) خمس لجان للمفاوضات مع إسرائيل، وكأن عشرات اللجان السابقة لا تكفي.

حنظل السلام:

لقد كانت السلطة الفلسطينية ـ ولا زالت ـ تروّج لأحلام وهمية ووعو

بقلم:
عبد الملك محمود

ملف
حتى لا ننسى فلسطين
العدد

كاذبة عن الخيرات والبركات التي ستنتج من السلام، كما أن جزءاً من الفلسطينيين هلل لاتفاقات السلام وأبدى سعادته للمستقبل المشرق، ربما كان الدافع لهم حالة الإحباط التي عانوها، باعتبار أنه لن يكون هناك ما هو أسوأ مما هم فيه، من جهة أخرى: ساهم أصحاب المسارات التفاوضية الأخرى ـ والإعلام العربي الرسمي خصوصاً ـ بشكل كبير في إشاعة أجواء كاذبة من التفاؤل المبالغ فيه: بأن السلام القادم للمنطقة يحمل في طياته الخير والرخاء، وما علينا سوى الخلود إلى الراحة والانتظار، لقد كان تيار الواقعية السياسية العربي ينفخ في هذا، ويحاول صبغ حاضرنا ومستقبلنا بموجة من الحزن واليأس والتقزم أمام اليهود.

لكن الواقع المرير الآن يكذب كل أحلام السلام، وبإجراء (جردة حساب) بسيطة يمكن مقارنة الوضع الحالي مع السابق ليرى المرء مدى مرارة هذا الوضع:

ـ بالنسبة إلى انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة: فما تم هو انسحابات صورية لا قيمة لها، وبعضها واضح الجدوى لإسرائيل كالانسحاب من غزة وأريحا.

ـ أما على الصعيد الاقتصادي: فالمناطق تجوع غاية في الشدة، خصوصاً بعد الحصار الاقتصادي الذي فرضته إسرائيل منذ سبعة أشهر، كما أن البطالة تبلغ أعلى النسب عالميًّا، وتتحدث وسائل الإعلام عن صور مؤلمة من البؤس والفقر والغلاء، ولكن الحديث عن معاناة الناس

هناك ـ خصوصًا في قطاع غزة ـ وواقعهم المرير يتجاوز بكثير حدود التغطية الإعلامية في وسائل الإعلام.

ـ وإذا ما انتقلنا إلى الحديث عن الظروف الأمنية: فإن الصورة مأساوية، وسنشير لاحقًا إلى شيء منها.

ـ ثلثا الشعب الفلسطيني يرزحون تحت الاحتلال الإسرائيلي، والثلث الباقي يعيشون تحت سلطة تمارس ألوانًا بشعة من القهر والظلم والتعذيب.

ـ موضوع اللاجئين: يبدو أن الكلام فيه أصبح ضربًا من الخيال، ولا أمل في حله، حتى ولو اجتمعت لجان مختلفة لهذه القضية.

ـ مسألة المعتقلين: لا زال الآلاف يرزحون في سجون العدو الصهيوني، والغالبية العظمى منهم من الإسلاميين، وقد قامت السلطة الفلسطينية باستضافة من تبقى منهم في سجونها.

ـ على صعيد المفاوضات: فإن ما يتم إنجازه هو الشق الأمني الذي يصب في صالح العدو، أما الأمور الأخرى فلا مجال لتحقيقها.

ـ أما القدس: فسنشير لاحقًا إلى بعض المخططات الإسرائيلية حولها.

ـ المستوطنات والهجرة اليهودية: إن عملية السلام المزعومة لم تَحُل دون زيادة المستوطنات وزيادة المهاجرين اليهود خلال عهد رابين ـ بيريز، فما هي الحكمة من استمرار المفاوضات؟.

ـ وأخيرًا وليس آخرًا: حكومة جديدة للعدو لا تقيم وزنًا لكل الاتفاقات السابقة، التي أمضى عرفات وأتباعه ـ بل وأنظمة أخرى ـ سنوات للحصول عليها، هذه المكتسبات (!!) ذهبت أدراج الرياح تحت جرافات « شارون » لبناء المستوطنات وتوسيعها، وتلاشت مع وطأة الجوع الذي يعاني منه قطاع غزة.

ومع هذا.. فالسلطة الفلسطينية مستمرة في دوامة التنازلات التي لا تنتهي والاتفاقات التي لا تنجز، وتقزمت الأهداف الكبيرة إلى جزئيات، فلا زالت



المنظمة تسيطر علي قطعة محدودة من الأرض، كانت إسرائيل تحلم بالتخلص منها زمنًا طويلاً، أكثر من ثلاث سنوات من وعود.. مجرد وعود في مسيرة أوسلو البائسة، مارست السلطة خلال هذه الفترة ألوانًا من التضليل.

من ناحية أخرى: ينبغي الإشارة إلى عنصر آخر في هذه المعادلة البائسة، وهو طبيعة الحكومة الإسرائيلية الحالية، حيث إنها تسعى إلى تعثر اتفاقات أوسلو وانسحابات إسرائيل الشكلية من الخليل والمواعيد الأخرى، ومع هذا: فالمنظمة لم تهتم بإعادة النظر في المعاهدات والاتفاقات مع إسرائيل، وقد أثبت اليهود أن المراوغة والكذب أحد أهم الأسهم في كنانتهم طوال التاريخ، فهم قوم خيانة وخديعة ولؤم.



بين فكي الكماشة:

لبيان صورة المعاناة التي يعيشها الفلسطينيون في الداخل، سنكتفي هنا بالإشارة إلى صورتين: الأولى: شكل الحكومة الإسرائيلية الحالية، والثانية: السلطة العرفاتية.. فالفلسطينيون لا يعانون فقط من الاحتلال اليهودي، بل ربما يعانون أشد من ذلك من سلطة عرفات.



ـ الحكم الإسرائيلي: إحدى أهم الأوراق الإسرائيلية المعروفة هي لعبة الانتخابات وسياسة تبادل الأدوار بين الحمائم والصقور، ووفقًا للعبة الانتخابات: فاز «بنيامين نتنياهو» بمنصب رئيس الوزراء، وتبددت كل أحلام اللاهثين وراء السلام بمجيء حكومة الليكود، يقودها «نتنياهو»، ولا ندري، لعل في توليه للحكم خيراً في كشف اليهود للذين يفرقون بين الحمائم والصقور.

لم يجن عرفات وسلطته إلا الفشل والخسارة تلو الخسارة، ومن أوجه الخيبة: أن وضع عرفات كل إمكاناته في سبيل فوز بيريز في الانتخابات، بما في ذلك تشجيع فلسطيني ٤٨ لانتخاب بيريز، وشن حملة أمنية شرسة ضد المعارضة، وزج المئات منهم في السجون؛ للحيلولة دون قيام

عمليات عسكرية ضد أهداف إسرائيلية.

للتعرف على شخصية «نتنياهو» والحكومة التي يقودها إليكم هذا المثال: أثناء تظاهرات الطلاب الصينيين والأحداث الدامية في ساحة (تيانمين) في بكين، اقترح «نتنياهو» على الحكومة الإسرائيلية أن تقوم باستغلال انشغال العالم في الحدث وتهجير الفلسطينيين بسرعة، وذكر أنه إذا سنحت له الفرصة فإنه سيقوم بذلك.. هذا نموذج من أطاريح «نتنياهو»، أما الأطاريح الأخرى فلا تقل عنه، ولاءاته الانتخابية مشهورة: (لا لتقسيم القدس ـ لا للدولة الفلسطينية ـ لا للانسحاب من الجولان)، وشعاراته الداعية إلى زيادة الاستيطان، والحق الشرعي لليهودي في الاستيطان في أي مكان في أرض إسرائيل.. كل ذلك معروف للجميع.

لقد بدأ «نتنياهو» حياته عسكريًّا إرهابيًّا في مجموعة نظمها «إريل شارون» لنسف بيوت الفلسطينيين في غارات ليلية ، كما أنه جمع في حكومته بعض أشهر المجرمين مثل «شارون»، حتى إن ستة وزراء في حكومته شاركوا في الهجوم على مطار بيروت المدني سنة ١٩٦٨م، أو خططوا لتنفيذ نسف طائرات مدنية [الحياة ٤/١٠/١٩٩٦]، ولكم أن تتصوروا دولة فيها وزير مثل «شارون» ، ووزير البيئة «رفائيل إيتان» رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي سابقًا خلال غزو لبنان، الذي كان له دور رئيس خلال مذابح «صبرا وشاتيلا»، التي راح ضحيتها مئات الفلسطينيين، والذي يصف الفلسطينيين بأنهم صراصير [ذي ديلي تلجراف ـ الأنباء ١٨/٣/١٤١٧هـ].



حال المفاوضات:

حول سياسة «نتنياهو»: من المتوقع أن يعمد إلى إطالة أمد المفاوضات قدر الإمكان ـ أسوة بسلفه في قيادة الليكود «شامير» ـ ؛ لإضاعة الوقت وإطالته للضغط على الأطراف العربية، وخلالها يكون العدو الصهيوني قد أوجد كثيراً من الحقائق الجديدة على الأرض، وبخاصة ما يتعلق بالاستيطان





ومصادرة الأراضي، وإقامة الطرق الالتفافية، هذه المحاور تنبئ عن المستقبل الغامض للمفاوضات، وربما أبدى «نتنياهو» بعض المرونة المحدودة مستقبلاً في خطاباته وتكتيكاته، ولكنها ستكون للمراوغة وكسب الوقت.

«نتنياهو» الذي يحتقر العرب والمسلمين [1] يريد إذلال عرفات، وهو لا يقيم وزنًا لما اتفق عليه طبقًا لسياسة اليهود الذين أخبرنا الله (سبحانه) العليم بأنه: لا عهد لهم ولا ميثاق (أليس من العجيب أن يصرح شنودة بأن «اليهود لا عهد لهم ولا ذمة، ولا يحترمون عهودهم» [الحياة ٤/١٠/١٩٩٦م] بينما يصر بعض الزعماء على وصف «نتنياهو» بأنه رجل يحترم كلمته ومواقفه؟)، وقد أصاب الإحباط أركان السلطة الفلسطينية، لأن الاتفاقات مع اليهود قد توقفت عمليًا.

الأحداث الأخيرة:

لم تكد تمر مناسبة مرور ثلاثة أعوام على الاتفاق دون درس بليغ ومؤلم، فـ«نتنياهو» يوغل في تحدي المسلمين (والعالم أيضًا)، فيفتتح نفقًا طوله ٤٥٧ مترًا يهدد أساسات المسجد الأقصى، وتقوم الجموع الغاضبة بالاحتجاج والتظاهرات العارمة ـ التي تذكرنا بالانتفاضة ـ ويواجهها العدو بالحديد والنار، ويسقط عشرات القتلى ومئات الجرحى، ولم يترك اليهود في هذه المواجهات حتى رجال السلطة الفلسطينية، فقد أصيب اثنان من وزراء عرفات، وشوهدت صور الجنود اليهود وهم يضربون بعض رجال السلطة، بالإضافة إلى إصابة بعض الشخصيات المعروفة، وتلك كانت صورة أخرى تبين مدى هوان عرفات ورجاله وأنه لا قيمة لهم ولا حصانة، كما تكررت هذه الصورة سابقًا عند كل معبر يمر فيه رجال عرفات وأعضاء المجلس التشريعي.

مفاوضات عرفات ـ نتنياهو: المفاوضات في أمريكا باءت بالفشل وبلغت قمة الخيبة لعرفات، ولو كان لديه كرامة أو عزة لذهب إلى تونس

---

١) كما كشف في لقاءاته، وفي كتابه مكان تحت الشمس.

مباشرة ولم يعد إلى غزة.

ونظرًا لأن السلطة الفلسطينية لا تملك شيئًا من عناصر القوة: فإنها كلما شعرت بأزمة خانقة تلوح بورقة الشعب الفلسطيني وقدرته على العودة إلى الانتفاضة وإلحاق أضرار كبيرة بالكيان الإسرائيلي وبعملية السلام برمتها، وربما تعمد السلطة إلى إطلاق سراح بعض ناشطي حماس، أو يطلق عرفات بعض التصريحات بأن الانتفاضة ستعود، مع أنه لم يكن له دور في بدايتها أصلاً.

القدس:

يعتقد اليهود أنه لا كيان حقيقي لهم دون «أورشليم»، وبالتالي: فإن مخططاتهم لتهويد مدينة القدس تجري على قدم وساق، وقد وضع عام ٢٠٠٠ موعدًا نهائيًا لانتهاء حلقات هذا المسلسل الطويل، ولو تتبعنا الإجراءات التي مرت بها هذه المخططات لطال الأمر، لقد تم هدم نحو ٥٠٠ مسجد خلال الفترات الماضية في منطقة القدس، وتم تحويل بعض المقابر إلى مواقف للسيارات، ونشط بعض رؤساء البلديات اليهود خصوصًا «إيهودا أولمرت» في ذلك، كان المسلمون يملكون ما نسبته ٨٢٪ من مساحة القدس عام ١٩٤٨م، أما الآن: فإن النسبة أصبحت معاكسة، حيث يقع ما نسبته ٩٦٪ من المساحة تحت أيدي اليهود، وقد تعاقبت الحكومات الإسرائيلية على هذه السياسة.

وفي الآونة الأخيرة: ازدادت (حمى) تهويد القدس وتتالت الأحداث والمؤشرات التي تؤكد مضي رئيس الوزراء الإسرائيلي في تطبيق وعوده الانتخابية، لتحقيق أحلام ناخبيه في جعل القدس عاصمة موحدة لإسرائيل، ثم قام بإغلاق المؤسسات الفلسطينية في القدس المحتلة، واعتبر ذلك شرطًا لاستمرار المفاوضات، وأخذ يلوح بهذه الورقة، وإلا فلا..

وقد أعد نائب رئيس بلدية القدس «شمويل مائير» ـ بالتنسيق مع منظمة







داتريت كوهانيم) المتطرفة ـ خطة للاستيلاء على القدس الشرقية، تتضمن إغلاق خمسين مؤسسة فلسطينية، ومن هذه المؤسسات: بيت الشرق، وبعض المؤسسات الخيرية الفلسطينية [العالم اليوم ١٣/٤/١٤١٧هـ] ، وقد رضخت سلطة عرفات للمطالب الإسرائيلية، ووافقت على إغلاق هذه المؤسسات.

وقامت الحكومة الإسرائيلية، بوسائل كثيرة لمصادرة أراضي الفلسطينيين بوسائل مختلفة، والتضييق على الموجودين في القدس الشرقية ـ على سبيل المثال: عندما قام أحد المواطنين بتجديد الدور العلوي لبيته قامت السلطات اليهودية بهدمه بحجة عدم وجود ترخيص بالبناء ـ، وتتالت هذه الأمور، ثم جاء أخيراً ـ وليس آخراً ـ افتتاح النفق الذي اكتشفه عالم الحفريات الإنجليزي «رون» في منتصف القرن الماضي، وقد افتتحه اليهود في تحد سافر للمسلمين والعالم كله، حتى تم تصويت مجلس الأمن بأعضائه الأربعة عشر ولم يعارضه سوى الولايات المتحدة، يريد اليهود تهويد القدس في أسرع وقت؛ فنسبة اليهود المتعصبين لدينهم المنحرف أعلى نسبة، وهناك جمعيات مختلفة تخطط لبناء «هيكل سليمان»، وبالمناسبة: فإن هذا النفق المحفور تحت المسجد الأقصى قد أعلن عنه منذ ١٥ عاماً (عام ١٩٨١م)، فماذا ستكون ردة الفعل يا ترى؟ قد يذكر بعضنا بمرارة ما هي ردة الفعل على حادث إحراق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م، حين اجتمع زعماء البلاد الإسلامية، وكان موقفهم التعبير في بيانهم الختامي عن (أعمق القلق) في قلوب ٦٠٠ مليون مسلم، هم تعداد المسلمين آنذاك، كان ذلك وقت أن كانت هناك بقية من روح العداوة لليهود، والبيانات النارية كانت تخدم الحكام، أما الآن: فلا مكان لتلك الشعارات، والسلطات الإسرائيلية ماضية في خططها ولا تنوي التراجع، كيف و«نتنياهو» يؤكد في المقابلات المتتالية معه أن العرب ينفعلون بسرعة ويبردون بسرعة؟!!.

الحاصل: أن اليهود يخططون الآن لإنشاء معبد الهيكل، ويعتقدون أن جبل الهيكل هو باحة المسجد الأقصى.

المستوطنات:

تخطط الحكومة الإسرائيلية لزيادة عدد المستوطنين اليهود في الضفة البالغ عددهم (١٤٠) ألفًا بصورة كبيرة، وذلك برفع القيود على بناء المستوطنات التي كانت مفروضة سابقًا، رغم مخالفة ذلك لاتفاقات أوسلو بشكل واضح، وقد قرر مجلس المستوطنين زيادة المستوطنين إلى نصف مليون خلال السنوات القريبة القادمة، وتتضمن هذه الخطط التي تدعمها الحكومة بناء ثماني مستوطنات. [القبس ١٤/٣/١٤١٧هـ].

لقد كان تعيين «شارون» وزيرًا للبنى التحتية يهدف إلى تحقيق الأحلام التوسعية اليهودية، ودعم الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وزيادة عدد المستوطنات، تمده في ذلك وزارة ثرية تتمتع بميزانية تقدر بسبعة بلايين دولار، وقد بدأ «شارون» بتكثيف أنشطته لشراء أراض في الضفة الغربية تحت غطاء مسميات أشخاص وشركات مسجلة في أوروبا وقبرص وغيرها مدعومًا في ذلك بمئات الملايين من الدولارات التي خصصتها حكومة ليكود السابقة لهذا الغرض، وقد كشف النقاب عن بعض الصفقات المشبوهة التي كادت تتم عن طريق سماسرة من العملاء العرب [الحياة ٢٧/٣/١٤١٧هـ].. «شارون» أعلن في أول مؤتمر له بعد توليه الوزارة عن عزمه بناء مدينة جديدة قرب الخط الأخضر بين (الخليل) و(بئر سبع)، كما أعلن من جهة أخرى: تكثيف الاستيطان في الخليل وتوسيع (بئر سبع) لتصبح قادرة على استيعاب نصف مليون شخص. وتحدث عن مشاريع أخرى، وقال: «لقد انتخبت الحكومة لكي تنفذ هذه السياسة» [الحياة ١٦/٣/١٤١٧هـ]، وأكد «نتنياهو» على أنه سيعمل على زيادة الاستيطان في الأراضي المحتلة بنسبة ٥٠٪ خلال السنوات الأربع القادمة.



إذا ما استمر الاستيطان على هذا النمط المحموم، فعلى ماذا ستفاوض نظمة مستقبلاً، وقد ابتعلت إسرائيل الأرض كلها؟!.

أما الإنجازات التي حققها الفلسطينيون فهاكم بعضها:

ـ **حكم وسلطة وهمية**: لقد أدرك الجميع أن سلطة عرفات غير سموح لها بممارسة أي سلطة أوسيادة، اللهم إلا سلطة القمع والإرهاب واطنيها، ومن العجيب أنه رغم صغر المساحة التي تسيطر عليه سلطة رفات فإنها اتسعت لاعتقال آلاف الشباب الذي ينشد الكرامة والعزة، قد حققت سلطة عرفات بعد عامين من السلطة الوهمية هدفًا ذهبيًا لإسرائيل كانت تسعى إليه، حيث خلصتها من كابوس غزة، وأراحتها من لمتاعب اليومية مع الفلسطينيين في ظل الانتفاضة [الحياة ٧/٤/١٤١٧هـ].





ولعل أبرز وأول **إنجازات هذه السلطة** هو ضرب النشاط الإسلامي الفاعل في فلسطين ، وقد أثبتت السلطة الفسلطينية طوال الفترة الماضية أنها مجرد سلطة تتلقى الأوامر من حكومة إسرائيل للقضاء على عدوها التقليدي والمتمثل في حركتَي المقاومة الإسلامية (حماس) والجهاد الإسلامي، وقد تجلى هذا الأمر في سجن قيادات وعناصر العمل الإسلامي، وبرز في ضرب الجمعيات الإسلامية الاجتماعية، بل وظهر في محاولة عرفات السيطرة على المساجد في خطوة عجز عنها كثير من الأنظمة الطاغوتية الأخرى، ويشير المراقبون إلى دور رئيس للسلطة الفلسطينية في التعاون مع السلطات الإسرائيلية في قتل بعض قيادات حماس العسكرية والجهاد الإسلامي، وفي هذا الإطار لا يستبعد ما ذكره «بيريز» في مقابلة مع صحيفة «نوفيل أوبسرفاتور» من أنه اتفق مع عرفات على تأجيل الانسحاب من الخليل في الموعد المحدد؛ لخشية عرفات من سيطرة حماس على المدينة، وذلك في أعقاب هجمات حماس الانتحارية [رويتر والوكالات في

٤/١٠/١٩٩٦م]، ومع هذا وذاك: لم يستح عرفات من الحديث عن تدبير الأصوليين في الخارج (!!) محاولات انقلاب ضد السلطة الفلسطينية [صحيفة الوطن ٢٠/٨/١٩٩٦م].. لقد سعت المنظمة مدعومة بكل الخبرات والإمكانات العسكرية والأمنية والسياسية والمالية الإسرائيلية والغربية، ومقتبسة كل تجارب الأنظمة الديكتاتورية القمعية في محاربة الشعوب، سعت إلى سحق الحركة الإسلامية في فلسطين وتصفيتها أو تفريغها من مضمونها، وبث الفتن والفرقة بينها، ونحن نحذر إخواننا.

هذه الحرب للإسلاميين يقابلها عند اليهود دعم ـ لا بل تنفيذ ـ لأوامر حاخامات اليهود ورجال دينهم، خصوصاً بعد أن قويت شوكة الأحزاب الدينية في إسرائيل، وأصبح لهم (٢٩) نائباً في الكنيست.



ـ **سجل السلطة في التعذيب والقهر**: لا أحد خارج بطانة عرفات يعرف كم هي عدد الأجهزة الأمنية الواقعة تحت سيطرته، فالتخمينات المعلنة تشير إلى أنها بين (٦) و (١٠) أجهزة، وتقول الاستخبارات الإسرائيلية إنها ثمانية تضم (٣٠٠٠٠) شخص، ولعل القارئ الكريم يذكر أن كثيراً من قيادات وعناصر هذه الأجهزة تلقى تدريبات خاصة في بعض البلدان المجاورة ـ حيث توجد أشرس آلات القمع العربية ـ، وطبقاً لاتفاقات أوسلو العلنية والسرية: فإن المطلوب من رجال أمن عرفات مكافحة الإرهاب مستخدماً (جميع الإجراءات الضرورية)، وبناءً على ذلك: قامت سلطة عرفات باعتقال ما يزيد عن ألفي شخص في هذا الإطار، ويتحدث الذين أطلق سراحهم عن عمليات تعذيب منتظمة بشعة [الأنباء، ع(٧٢٧٩) نقلاً عن نيوزويك]، ويذكر مقال الـ«نيوزويك» أيضاً أن الدبلوماسيين في المنطقة يوافقون على أن سجل عرفات في مجال حقوق الإنسان (فظيع جداً)، وعندما كان رجال عرفات يدخلون بيتاً من البيوت كانوا يعيثون فيه فساداً، يكسرون ويحطمون، فما هي الحكمة من

بهذه الأفعال الشائنة رغم أنهم يعتقلون صاحب البيت؟!.

تشير صحيفة «الأوبزيرفور» إلى أن الشهادات التي جمعها ناشطون في مجال حقوق الإنسان تشير إلى أن قادة شرطة عرفات (التي يبلغ عدد أفرادها ٤٥ ألف شخص) ملطخون بالفضائح التي تتراوح ما بين الخطف والاغتصاب والابتزاز وسرقة الأراضي [الأنباء ٩/٨/١٩٩٦م].

وفي الحقيقة: فإن هذا القمع والاعتداء لم يقتصر على حماس (العدو التقليدي للسلطة)، بل أصاب بعض المنتمين إلى فتح (صقور فتح) ومَن يناهضون العملية السلمية والمدافعين عن حقوق الإنسان.

ـ وهذه شهادة من داخل البيت: يقول «حسام خضر» عضو المجلس التشريعي الفلسطيني: «أستطيع أن أقول: إن هناك عمليات تعذيب منظمة في سجون عرفات، لقد كنت أنا نفسي نزيلاً مخضرماً في سجون إسرائيل، حيث اعتقلني الإسرائيليون (٢٣) مرة، ولكن ما يجري في سجوننا الآن هو أسوأ بكثير مما عرفناه في السجون الإسرائيلية خلال (٢٧) عامًا من الاحتلال» [الأنباء ٩/٨/١٩٩٦م، ترجمة مقال في الأوبزيرفور].

في مقابل هذا القمع والتعذيب: هناك صورة مناقضة تبين مخططات عرفات ومنظمته للشعب الفلسطيني: لقد دأب عرفات ورجاله على ترديد معزوفات سخيفة حول (الانتعاش السياحي) و(هونغ كونغ الشرق الأوسط)، وكان من أبرز ما بدؤوا به وشجعوه: إنشاء نواد مختلفة للفسق والمجون، ومن هذه المنتجعات: نادي النورس الذي كلف ملايين الدولارات، [انظر: القبس، رويتر ١٣/٤/١٤١٧هـ] كما يتناقل الناس الحديث عن صور أخرى من الفساد لم تكن موجودة سابقًا، خصوصًا خلال سني الانتفاضة، فهل نشر الفساد مقصود؟.

تلك صورة لبعض ما يعانيه الفلسطينيون

والله المستعان،،



(إسرائيل..)

دولة خارجة عن القانون الدولي بالأدلة



بانتهاء الحرب العالمية الثانية، اتخذت الدول «المتحضرة!» من هيئة الأمم المتحدة منبراً للحوار ومرجعاً لفض النزاعات بين الدول، وقد وقعت المعاهدات والمواثيق التي «تضمن» السلام والاستقرار في العالم، والتقليل من الجرائم البشعة في حق الإنسانية، والأخذ على يد المعتدي، ونصرة المظلوم، وضمان الرفاهية والرعاية الصحية للشعوب.. لكن العالم المتحضر ما فتئ يقدم عجائبه ـ بل وتناقضاته ـ للمجتمع الدولي، ومن ذلك: اعتراف الهيئة الأممية بما كان يعرف عندنا بالكيان الصهيوني أو دولة العدو (إسرائيل) على رفات الفلسطينيين ودمائهم ومقدّراتهم، فذاك الشعب المشرد لا بد له من ملاذ آمن يفيء إليه، بينما تكون أوروبا قد نجحت في التخلص من آفة هذا الشعب المتوحش البربري، ولكن (دولة إسرائيل) وساستها العسكريين أبوْا إلا أن يفضحوا شعور الأوروبيين المتحضرين نحو المسلمين، فالإشكناز ـ وهم اليهود الأوروبيون الذين يمسكون بأزمّة الأمور هناك ـ انتهكوا القانون الدولي مراراً وتكراراً، فيما اكتفت الدول الأمم لأولئك السفاحين بالتنديد والاستنكار، في الوقت الذي ظلت الهبات المالية والتبرعات والمعونات العسكرية تتدفق فيه إلى مملكة الرب!.

لقد أقدم الكيان الصهيوني ـ ولا يزال ـ على الاعتداء على دول (الجوار) العربي وعلى جبهات مختلفة، ضارباً عرض الحائط بالقوانين الدولية والمواثيق الإنسانية، وفي ظل صراع المعسكرين (الشرقي والغربي)، معرِّضاً المنطقة لخطر وويلات حرب شاملة مدمرة، وعلى الرغم من ذلك: فقد أحجم العالم المتحضر عن ردع المعتدي والأخذ على يديه ـ حسبما تمليه قرارات الأمم المتحدة، وظل يقدم له الدعم والمساندة، وكأنه رأس حربة لأوروبا في قلب العالم الإسلامي، بينما مارس

بقلم: ياسر قارئ

الضغوط المختلفة على المظلومين والضحايا بدعوى ضرورة ضبط النفس واللجوء إلى الحوار والمفاوضات، وقد اكتشف العالم الآن سياسة الصهاينة التفاوضية على حقيقتها؛ لذلك: فلا بد من التذكير بممارسات تلك العصابة الهمجية خلال سني الحرب الباردة وما بعدها وانتهاكاتها لمعاهدات الأمم المتحدة؛ حتى لا ننخدع بالحوار المزعوم أو الاتفاقيات المبرمة، فدولة تخرق قانون العالم الدولي منذ نصف قرن من الزمان على الرغم من تبعات ذلك التصرف ـ حسبما ينص عليه من عقوبات ـ وفي ظل استقطاب عقائدي مرير: لا يتوقع منها أن تحترم اتفاقيات أو معاهدات تبرمها مع كيانات هامشية على مسرح السياسة العالمي ممن ليس لها وزن اقتصادي أو اعتبار أدبي يحميها من امتهان حقوقها وكرامتها، فقد دأبت دولة العدو على شن الاعتداءات العسكرية، والقيام بالقرصنة الجوية، وإساءة استخدام وسائل الاتصالات، وتسخيرها للجاسوسية، وازدراء واحتقار حقوق الإنسان، بَلْهَ الاعتداء على أعضاء الهيئة الدولية، كل ذلك في زمن الحرب، فكيف إذا غُلّت الأيدي بالسلام؟!.

وفيما يلي سنعرض نماذج من خرق الصهاينة للقوانين والأعراف الدولية على مدى نصف قرن تقريباً (هو عمر هذا العضو الدخيل الذي زرع في قلب دار الإسلام)، تشتمل تلك المخالفات على نواحٍ متعددة، منها: ما يتعلق بالزراعة والاقتصاد، وحقوق الإنسان، والقرصنة الجوية، والاعتداء على الأمم المتحدة نفسها، ثم التجسس، فالاعتداءات العسكرية المستمرة على الدول المجاورة.

أولاً: الزراعة والاقتصاد:

دمرت الآلة العسكرية الصهيونية في شهر سبتمبر سنة ١٩٦٩م قسماً من

قناة الغور الشرقي في الأردن، وهو جزء من مشروع ساهمت فيه الولايات المتحدة لتنمية البلد زراعيًا واقتصاديًا، لكن ذلك العمل الإجرامي قضى على المحاصيل الزراعية، والأخطر من ذلك: أنه أثر على منسوب المياه في المنطقة، ثم أكمل المجرمون مهمتهم ودمروا ما تبقى من المشروع في مطلع السنة التالية[1]، وبعد ثماني سنوات من تلك الحادثة: قام الصهاينة بالهجوم على لبنان، وتم تدمير المؤسسات الصناعية والحرفية والممتلكات الشخصية والمرافق الحيوية، وكذلك القطاع الزراعي ومنشآته وموارده المائية[2]، ومن المعلوم أن (إسرائيل) تخشى من دور لبنان الاقتصادي القوي في المنطقة؛ لذلك فهي تسعى وحلفاؤها لفرض مشروع السوق الشرق أوسطية، لسحب البساط من تحتها، ولتسخير إمكانات وموارد المنطقة لانتشال الاقتصاد الإسرائيلي من الغرق في ظل الكساد العالمي وتخفيض الموازنات الدولية، ولم يكتف الأعداء بذلك، بل قاموا بتوريد البضائع الإسرائيلية والقبرصية إلى لبنان، ثم أعادوا تصديرها على أنها منتجات لبنانية!، كل ذلك في مخالفة صريحة وواضحة للاتفاقيات التجارية الدولية التي نصت عليها بنود مفاوضات التجارة والتعرفة الدولية التي كانت قائمة في ذلك الوقت!، أما فيما يتعلق بشريان الحياة الاقتصادية في المنطقة والعالم، فقد استعمل اليهود أسلوب التهديد بالسلاح مع بعثة تابعة لشركة النفط الأمريكية «إمكو» التي كانت تقوم بأعمال التنقيب في مياه منطقة الطور، فيما كان الصهاينة يقومون بأعمال التنقيب عن البترول في صحراء سيناء المصرية التي كانت واقعة تحت احتلالهم، الأمر الذي اعتبرته أمريكا أنه غير قانوني، إلا أنَّ ذلك لم يكن كافيًا لثني اليهود عن عزمهم[3].

مما سبق يتضح لنا رغبة العدو في إبقاء المنطقة وشعوبها تحت رحمة البضائع المستوردة باهظة الثمن، وتجريدها من كل المقومات الأساس لتدشين صناعة ثقيلة وحرّة؛ مما يضمن استقلاليتها السياسية قبل الاقتصادية، وأيضًا من الدور

---

١) ستيفن جرين، بالسيف: أمريكا والشرق الأوسط، ص ٣٣.

٢) زهير هواري، الاجتياح الاقتصادي الإسرائيلي للبنان، ص ٢٥.

٣) بالسيف، مصدر سابق، ص ١٤٤.



الهدام الذي تقوم به دولة يهود: إحجام الشركات والمؤسسات العالمية عن المشاركة في أسواق المنطقة، لكونها بؤرة للصراعات ولا تتمتع بالاستقرار المطلوب للصناعة الحديثة، فتكتفي باستنزاف الأموال الطائلة إلى الخارج عبر التصدير لسلع في جملتها استهلاكية لا تسمن ولا تغني من جوع.

ثانياً: حقوق الإنسان:

على الرغم مما تمارسه دولة يهود من العنصرية ضد طائفة السفارديم (اليهود الشرقيين) لكونهم من أصول عربية، إذ لا يتمتعون بالوظائف والمزايا التي يحصل عليها أقرانهم من الإشكناز الغربيين، إلا أنّ هذا لا يشفع لها في ظل القانون الدولي بانتهاك حقوق المواطنين الفلسطينيين أصحاب الدار الأصليين، ولا رعايا الدول المجاورة ـ وبالذات العزّل من السلاح ـ حسبما نصت عليه معاهدة لاهاي (١٩٠٧م) وجنيف ـ الرابع (١٩٤٩م)، اللتين نصتا على حماية المدنيين خلال الحرب، إلا أن الحقد والاستعلاء اليهودي يأبى إلا أن يُطل بوجهه الكالح، ومن ذلك: ما حصل في مدينة السويس من ضرب للسكان وأماكن كثافتهم، فيما يتأسف وزير دفاعهم الهالك «موشي دايان» على تماثيل منصوبين على رصيف الميناء هناك[١]، أما في لبنان فقد استخدمت يهود قنابل تنفجر بعد مرور خمس وأربعين دقيقة من سقوطها، أي: عندما تبدأ عملية إسعاف المرضى والجرحى من الهجمات السابقة، وبالتالي: تحصد أكبر عدد ممكن من الأبرياء[٢]، بل وتنكّر الصهاينة لوعود قطعوها لأمريكا بعدم استخدام القنابل العنقودية المحرّمة دوليًّا إلا في حالة الدفاع فقط[٣]، ولم يشبع حقد العدو عدد الأبرياء الذين سقطوا في لبنان وفلسطين، فاتجهت الحكومة الصهيونية إلى الحرب العراقية الإيرانية داعمة إيران لإذكاء نار الحرب، علماً بان الأمم المتحدة كانت قد فرضت حظراً دوليًّا يقضي بعدم مساندة أي من الدولتين[٤]، ولم يعد سرًّا حجم الدور الصهيوني في ذلك بعد فضيحة إيران (كونترا) التي شهدتها أروقة مجلس الشيوخ الأمريكي في العقد الماضي.

---

١) المصدر السابق، ص ٥٦. ٢) جوزيف أبو خليل، قصة الموازنة في الحرب، ص ٢٠٠.
٣) المصدر السابق، ص٢٣٣. ٤) المصدر السابق، ص ٢٣٢.

وعلى جبهة لبنان: ترفض (إسرائيل) الانصياع لقرار مجلس الأمن في سنة ١٩٨١م بوقف القتال وإرسال مراقبين إلى بيروت المحتلة، بل واقتحمت بيروت الغربية[١]، أما على الجانب الفلسطيني: فإن دولة يهود على الرغم من هدمها لمنازل الفلسطينيين وإجلائهم عن أراضيهم ونفيهم وسجنهم، إلا أنها تمانع في منحهم الجنسية الإسرائيلية حتى لمن تقدم بذلك منهم!![٢]، علمًا بأن ذلك مخالف لميثاق حقوق الإنسان الذي صدّقت عليه دولة يهود، والسبب في ذلك: هو ما صرح به «بن جوريون» بقوله: «هم معتادون على العادات والتقاليد العربية، وأنا لا أرغب في هذا النوع من الحضارة، فنحن لا نريد أن يصبح الإسرائيليون عربًا»[٣]، أما «موشي دايان» فيعبر عن ذلك قائلاً: «نحن نسعى إلى دولة يهودية، لا دولة مزدوجة القومية»[٤].. تلكم هي الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط التي يتعاطف معها العالم المتحضر، فأصحاب الأرض مرفوضون ومنبوذون كما لو كانوا في الهند الطبقية، وقد أقر بشرعية وجودهم «دايان» نفسه، إذ قال: «لقد جئنا إلى فلسطين والعرب يقيمون فيها، وبنينا القرى اليهودية مكان العربية، فليس هناك أي مكان في هذا البلد لم يكن يقيم فيه سكان عرب في الماضي»[٥] ولكن المسلمين لا بواكي لهم!!.

في سنة ١٩٨١م نشرت الجمعية الإسرائيلية لحقوق الإنسان تقريرًا حول معاملة العرب حسب قول أحد المحاضرين للجنود المتوجهين إلى مدينة الخليل: «إن العرب ليسوا بشرًا، ويجب معاملتهم كالحيوانات»[٦]، وهذا يذكرنا بالتصريحات التي صدرت من بعض أركان المؤسسة العسكرية الصهيونية في أعقاب مذبحة (قانا) في جنوب لبنان مؤخرًا، فعلى الرغم من السلام الشجاع الذي انتُزع من بعض الأطراف العربية!! إلا أن العقيدة اليهودية التلمودية لا تزال راسخة كالجبال، فيما ألقى بعض المنسوبين للإسلام بالولاء والبراء خلف القضبان وأحكموا عليها القيود.

---

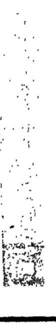
١) المصدر السابق، ص ٢٥٣.
٢) ضياء الهاجري، إسرائيل من الداخل، ص ١٨.
٣) المصدر السابق، ص ٧٧.
٤) المصدر السابق، ص ٢١.
٥) المصدر السابق، ص ٨١.
٦) المصدر السابق ، ص ٨٧.

ملف
حتى لا ننسى فلسطين
العدد

ثالثا: القرصنة الجوية:

لم تتورع تلك الشرذمة من شذاذ الآفاق عن اعتراض الطائرات المدنية المحمية بموجب اتفاقية (وارسو) للطيران المدني، وإخضاع ركابها للتفتيش الدقيق على مرأى ومسمع من العالم المتمدن، ففي أغسطس سنة ١٩٧٣م اعترضت طائرتان مقاتلتان من الجيش الإسرائيلي طائرة ركاب مدنية في رحلتها من بيروت إلى بغداد، وأجبرتها على الهبوط، واقتيد واحد وثمانون راكبًا تحت السلاح للتحقيق لبضع ساعات، على الرغم من إعلان أمريكا انتقادها لذلك العمل البربري ووصفه بالتعدي على القانون الدولي[١]، ولأن الهيئة الأممية لا تمارس من السلطات والصلاحيات إلا بقدر ما تسمح به الدول النافذة في مجلس الأمن: فقد مرت الحادثة بلا عقاب أو حساب، وكأن أرواح العرب وحرياتهم لا تشملها المواثيق الدولية التي يتشدق الغرب بأنها قمة ما توصل إليه العقل البشري والحضارة الغربية، وينذر الجميع من الدول الهامشية بالانصياع لها، لهذا: فقد كررت العصابة الصهيونية عملية القرصنة في ربيع عام ١٩٨٦م، إذ أجبرت طائرة خاصة أقلعت من ليبيا على الهبوط في قاعدة (رامات دافيد) الجوية قرب مدينة حيفا ظنًّا بأن على متنها بعض أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية الأشاوس[٢].

وفي مجال الطيران المدني وتجاوزات اليهود للاتفاقيات الدولية يقول «فيكتور إستروفسكي» وهو ضابط سابق في المخابرات الإسرائيلية: إن الطائرة المحملة بالوقود في مهمة ضرب المفاعل النووي العراقي سنة ١٩٨١م كانت مصبوغة بشعار شركة الخطوط الأيرلندية؛ للتمويه بأنها طائرة ركاب مدنية تقوم برحلة في المنطقة[٣]، بالإضافة إلى ذلك: فإن جميع الطائرات التابعة لشركة الطيران الإسرائيلية (العال) مزودة بكاميرات متطورة للغاية لغرض التجسس، وقد قامت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بتزويدها





١) بالسيف، مصدر سابق، ص ١١١.

٢) فيكتور إستروفسكي، عن طريق الخداع نكسب الحرب، ص ١٤٨.

٣) المصدر السابق، ص ٢٩.

بالكاميرات، وهذا العمل مخالف لميثاق الطيران المدني الموقع في (شيكاغو) الذي يحرّم استعمال الطائرات التجارية لغير الغرض المخصصة له [١].

رابعاً: التطاول على هيئة الأمم المتحدة ذاتها:

كما قيل في الأثر: من أمن العقوبة أساء الأدب، فقد برهن اليهود على ذلك من خلال موقفهم من القانون الدولي - كما مر معنا -، بل وأدى بهم العنت والغطرسة إلى إهانة ممثلي المنظمة الدولية والاعتداء على أفرادها ومنشآتها، ومن ذلك: ما حصل من الجيش الإسرائيلي في الرابع عشر من شهر يوليو سنة ١٩٦٧م، حين قصف الفندق الذي يقيم فيه مراقبو الهدنة التابعون للأمم المتحدة، فيما قام الجنود بنهب مقر قيادة قوات الطوارئ الدولية بمدينة غزة [٢].

وحيث إن اليهود لم يقع عليهم من جرّاء ذلك العمل عقاب يردعهم: فقد كرروا فعلتهم مرة أخرى في صيف سنة ١٩٨٢م حيال قوات حفظ السلام الدولية في لبنان، إذ قامت زوارق من البحرية الإسرائيلية بمطاردة سفن الأسطول الأمريكي المشارك في القوة، بينما قام «إرييل شارون» وزير دفاع يهود آنذاك باستفزاز القوات الأوروبية والأمريكية أثناء ترحيل الفلسطينيين بإعادة بعض السفن المغادرة والقيام بتصوير الميناء [٣]، ربما لأعمال وخطط مستقبلية، وقد عملت الشيء نفسه للموانئ الليبية من خلال السفن التي تجوب تلك المناطق [٤].

ونظراً لأن الأمريكيين يؤمنون بأنّ «من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر» فيما يتعلق باليهود - واليهود وحدهم -، لذلك لم يعاقبوا شباب البحرية اليهودية - أو زبدة العالم كما وصفهم «إميل حبيبي» -، وهذا شجع تلك الطغمة البشرية - على الأصح - بإطلاق النار على رائد الجيش الأمريكي عضو هيئة مراقبة الهدنة في مطلع سنة ١٩٨٣م [٥].



---

١) بالسيف، مصدر سابق، ص ١٠٢.
٢) المصدر السابق، ص ٥٣.
٣) بالسيف، مصدر سابق، ص ٢١٩، ص ٢٢٣.
٤) عن طريق الخداع نكسب الحرب، ص ٢٥٧.
٥) بالسيف، مصدر سابق، ص ٢٣٧

ملف

حتى لا ننسى فلسطين

العدد

خامساً: استخدام الوسائل الدولية المصرح بها للتجسس:

خير ما يجسد هذا الخرق الشنيع لقوانين الأمم المتحدة هو حادثة الطائرة الليبية التي أسقطتها القوات الجوية الإسرائيلية في ٢١ /٢/ ١٩٧٣م، بحجة أنها حلّقت فوق منطقة عسكرية حسّاسة والتقطت صوراً لها، وأنها لم تستجب للإجراءات الدولية المتبعة [(١)]، والسؤال الطبيعي هو: لماذا افترض الطيارون الإسرائيليون أن الطائرة التقطت صوراً للمنطقة؟، والجواب: هو ما أشرت إليه سابقًا من اعتماد إسرائيل على الطائرات المدنية في جمع الصور والمعلومات خلال رحلاتها، وقد حاول الصهاينة رشوة مضيف فرنسي لكي يزور شهادته، خاصة بعد تبين وحشية اليهود، إذ قاموا بإطلاق النار على صالة/مقصورة الركاب والطائرة تشتعل وتهوي إلى الأرض!!، بينما تكفلت أمريكا بإلغاء كل إشارة في تحقيق منظمة الطيران الدولي تدين إسرائيل أو تُعرّض بها، ومن المفارقات الأمريكية التي يطول منها العجب: هو تنديد الرئيس الأمريكي «ريجان» بعد عقد من الزمان بإسقاط الاتحاد السوفييتي لطائرة الركاب الكورية، فصرح قائلاً: «إن القتل للمدنيين الأبرياء هو قضية خطيرة بين الاتحاد السوفييتي والمتحضرين..»[(٢)]، بقي أن نذكّر أولئك المهتمين بحقوق الإنسان بأن الجنود اليهود قاموا بنهب أمتعة ركاب الطائرة المحطمة، لكن الضمير الصهيوني تحرك هذه المرة وقدّم أربعة جنود للمحكمة العسكرية[(٣)]، ومكافأة لها على هذا الشعور المرهف فقد تبرعت أمريكا بالمزيد من طائرات (فانتوم F-4) التي أسقطت الطائرة الليبية، وكذلك طائرات (سكاي هوك A-4) بقيمة (٢٢٠) مليون دولار[(٤)].

كذلك: لم تسلم خطوط الاتصالات الدولية من العبث الصهيوني والخرق الفاضح لكل المواثيق الدولية التي ساقتها للبشرية الحضارة الغربية، فهذا شاهد يهودي أنّبه بقية ضمير حي أو مغنم شخصي، يقر باستخدام حكومته متمثلة بجهاز مخابراتها خط البحر الأبيض المتوسط المرتبط

١) المصدر نفسه، ص ٩٩.
٢) بالسيف، مصدر سابق، ص ١٠٩.
٣) المصدر نفسه، ص ١٠٢.
٤) المصدر نفسه، ص ١٠٨.

بالأقمار الصناعية الذي تبث عليه أغلب الاتصالات العربية الهاتفية، للحصول على المعلومات عبر التصنت المحرّم دوليًا على هذه الوسائل[1].

كما يجد اليهود أرضًا خصبة في مصانع السلاح الغربية، حيث يتم تجنيد بعض المتعاونين من ضعاف النفوس أو أصحاب الولاء المزدوج؛ للتجسس على الأقطار العربية والصفقات التي تبرمها، وبالتالي: تبني حكومة صهيون عليها ردود أفعالها ومساوماتها للحكومة الغربية، وقد تقرر أحيانًا استخدام الحل الأخير ـ كما حصل مع المفاعل النووي العراقي ـ إذ أوفدت الموساد خمسة مخربين وعالمًا نوويًا إلى داخل مصنع (دوسوبريكيه) في بلدة (لاسين) بفرنسا وقاموا بتفجير أجزائه، والتساؤل هو: كيف تمكن أولئك النفر من التسلل إلى المصنع، علمًا بأنه تتم فيه أيضًا صناعة محركات طائرات الميراج المقاتلة؟[2]، هذا يعني: أن حجم التواطؤ كبير جدًا، ويشمل مسؤولين كبارًا؛ لكون الميراج تمثل فخر الصناعة والتقنية الفرنسية، مما يتطلب وجود حماية كبيرة جدًا لها، في عالم انتقلت فيه الجاسوسية من المخزون العسكري إلى التقنية الحديثة في حد ذاتها !، كما تبرز إلى حيز الوجود قضية المواطنين اليهود من رعايا الدول الغربية ومدى إخلاصهم لبلادهم، أو تغلب عواطفهم الدينية على القومية / الوطنية.

سادسًا: الاعتداءات العسكرية:

في هذه الفقرة ليس التركيز على الحروب أو الغارات العسكرية التي شنتها الآلة الصهيونية، بقدر ما هو منصب على التجاوزات الصريحة لمجمل القرارات الدولية المتعلقة بالحرب وقوانينها، ففي حرب الأيام الستة (النكبة الكبرى) عام ١٩٦٧م، استخدمت إسرائيل مع مصر دبابات ومدرّعات وأزياء عسكرية مصرية كانوا قد استولوا عليها (أو ربما طلوها بالعلم المصري)، وبالتالي: انخدع الجيش المصري بتلك الحيلة، علمًا بأن مواثيق (لاهاي) المتعلقة بالحرب وضوابطها تنص في المادة الثالثة والعشرين على عدم «إساءة استعمال علم الهدنة أو العلم الوطني أو الشارات أو الأزياء العسكرية الخاصة بالعدو»[3].

١) عن طريق الخداع نكسب الحرب، ص ١٣١. ٢) المصدر نفسه، ص ٢٣.
٣) بالسيف، ص ٦٤.

ملف حتى لا ننسى فلسطين العدد

أما على الجبهة اللبنانية التي حمى وطيسها عقب اتفاقية «كامب ديفيد»، التي حيّدت الجانب المصري في صراع المنطقة: فقد قامت إسرائيل بخروق للقوانين الدولية في مجالات شتى، منها ـ على سبيل المثال ـ: قيام السلطات الإسرائيلية المحتلة للبنان بتنظيم رحلات سياحية في لبنان، واستخدام مطارها الدولي المحتل متبعة سياسية فرض الأمر الواقع(١)، ومع ذلك: لم يفرض عليها المجتمع الدولي أي حظر، ومما يؤكد حقيقة سياسة استعراض العضلات: انطلاق الطائرات الحربية الإسرائيلية من شبه جزيرة سيناء عام ١٩٨١م، واختراق الأجواء الدولية دونما استئذان من الدول المعنية، وضرب المفاعل النووي العراقي(٢).. الجدير بالذكر: أن سيناء كانت ترزح تحت الاحتلال، ويحرّم القانون الدولي استعمال الأراضي المحتلة للأعمال العدوانية وغيرها.

بالإضافة إلى ذلك: قامت (إسرائيل) ومنذ عام ١٩٧٥م بدعم حزب الكتائب النصراني بالسلاح والصواريخ والدبابات، فضلاً عن إرسالها قرابة خمسة وعشرين ألف جندي إلى لبنان في سنة ١٩٧٨م(٣)، مما يخالف القانون الدولي القاضي بعدم تدخل الدول في الشؤون الداخلية للغير، إلا أنّ المخالفات الصهيونية لا تعترف بحدود؛ ولذلك فقد أقدم «إرييل شارون» بنفسه على وضع خطة إدخال ميليشيات حزب الكتائب إلى المخيمات الفلسطينية سنة ١٩٨٢م، وما ترتب على ذلك من مذابح وحشية في (صبرا وشاتيلا)(٤)، كل هذه المخالفات الصريحة لمواثيق حقوق الإنسان وحدود الدول وأمنها تتم تحت سمع وبصر العالم، فلا يحرّك (المتحضرون) ساكنًا، وكأن أولئك البشر لا يشملهم القانون الدولي الموقرا ولا عجب من أن يحدث أكثر من هذا كله إذا كانت (إسرائيل) تتمتع بدعم من القوى العظمى، فقد أقر أحد الموارنة المشهورون بأن وزير الخارجية الأمريكية «ألكسندر هيج» كان يعلم بالغزو



١) الاجتياح الاقتصادي الإسرائيلي للبنان، ص ٣١.　٢) بالسيف، ص ١٨٠.
٣) المصدر نفسه، ص ١٤٥.　٤) إسرائيل من الداخل، ص ٩٥.

الإسرائيلي للبنان في مايو ١٩٨١م وأعطى الضوء الأخضر للعملية[١].

لم تحل الاختلافات العقائدية ـ فضلاً عن الحالة الاجتماعية والموقع الجغرافي ـ بين الصلف الصهيوني وانتهاك حقوق المسلمين ـ حتى في أقصى الكرة الأرضية ـ؛ فها هي المخابرات الإسرائيلية تقوم بتدريب قوات مختارة من «نمور التاميل» الذين يشنون حربًا على الحكومة السيرلانكية وتبيع لهم السلاح، ومعلوم للجميع معاملة هذه الفئة للمسلمين هناك، والأعجب من ذلك: مساعدة (إسرائيل) للجيش الحكومي السيرلانكي، ومساعدة الحكومة على الاحتيال على البنك الدولي وبعض المستثمرين لدفع ثمن الأسلحة[٢]، مرة أخرى تتدخل (إسرائيل) في الشؤون الداخلية لدولة مستقلة وعضو في المجتمع الدولي، وتشعل نار الحرب الأهلية فيها، وتمد طرفي النزاع بالسلاح، ملقية بالقانون العالمي خلف ظهرها، علماً بأنها قد وقعت على ميثاق الأمم المتحدة الذي يحض الدول كلها على نشر السلام في العالم والمساعدة على استتبابه بين الشعوب.



ولقد قامت دولة يهود سنة ١٩٧٩م بإجراء تجربة نووية في جنوب المحيط الأطلسي بالتعاون مع نظام جنوب إفريقيا العنصري الذي وفّر لها المكان الملائم مقابل تبادل التقنية الإسرائيلية في ذلك المجال، وعلى الرغم من أن (إسرائيل) ترفض الاعتراف بوجود برنامجها النووي الذي أسسه «شمعون بيريز» بتمويل ودعم من فرنسا في العقد السابع من هذا القرن الميلادي، وبالتالي: رفض الانضمام والانصياع للمعاهدة الدولية التي تحد من انتشار الأسلحة النووية.. إلا أنّ الحكومة الأمريكية هي الأخرى قد تعامت عن قصد عن تلك التجربة، بل وقامت إدارة الرئيس «كارتر» بحجب معلومات سياسية وعسكرية عن لجنة فنية كانت تحقق في الموضوع حتى توصي بخطأ القمر الصناعي الذي رصد التجربة؛ لئلا تضطر إلى معاقبة (إسرائيل) حسب قانون المعاهدة المذكورة وكذلك التشريعات الأمريكية في هذا المجال[٣].

١) قصة الموازنة في الحرب، ص ١٩٨.   ٢) عن طريق الخداع نكسب الحرب، ص ٦٣.
٣) بالسيف، مصدر سابق، ص ١٧٦.

واخيرًا:

فيما سبق عرضت نماذج من خرق دولة صهيون للقانون الدولي، وليست الاختراقات محصورة في ذلك، بل هذا هو ما سمح به الحيز ومصادر المعلومات، ويكفينا أن نأخذ العبرة مما مر معنا، فالدولة اليهودية التي ترفض توضيح حدودها السياسية[1]، لأن لديها أهدافًا وأطماعًا لم تحققها بعد، والكيان الذي لا يزال يفتقر إلى دستور مكتوب[2]، علمًا بأنه يزعم اعتناق الديمقراطية التي تثبت الحقوق والواجبات... يقوم بتنفيذ سياسة المندوب السامي في زمن الاحتلال العسكري، ولكن تحت مظلة العالم الغربي المفتون بالتنظيم والحقوق، ومن أخصها تلك المتعلقة بالإنسان، فإسرائيل تدمر البنية الاقتصادية لدول المنطقة بطرق مختلفة، وتسعى جاهدة ومن ورائها الحلفاء الغربيون إلى تكوين (سوق شرق أوسطية) تكفل الرفاهية للشعب المختار على حساب شعوب المنطقة برمتها، وقد وصفها الصحفي الإسرائيلي «يعقوب تيمرمان» بأنها: «جنوب إفريقيا في المنطقة، تحيل العمال العرب إلى مواطنين من الدرجة الثانية لخدمتها، فيما تحولت إلى بروسيا (*) الشرق في توسعها وسيطرتها»[3].

ترى بعد كل هذا: من يستطيع أن يضمن الحقوق العربية التي تدور حولها المفاوضات؟، ومن لديه القوة الكافية لمعاقبة (إسرائيل) إذا تخلت عن عهودها؟، وكيف - والحالة هذه - يثق المفاوضون العرب والمؤيدون لعملية السلام بالديمقراطية الصهيونية؟ لقد رأينا كيف فعلت إسرائيل باتفاقيات أوسلو على أرض الواقع، فلماذا الإصرار والمراهنة على عملية مصيرها الفشل الذريع؟.

أهو فقدان الثقة بالله؟ أم فقدان الثقة بالنفس؟ أم الخوف من المستقبل؟ أين أمتي عن مبشرات النهاية المحتومة لليهود؟.. ألم يقرؤوا القرآن؟ ألم يراجعوا السنة؟.. أم على قلوب أقفالها..؟!.



١) المصدر نفسه، ص ٧٠.
٢) إسرائيل من الداخل، ص ٧.
*) المقصود ببروسيا هو ألمانيا حاليًا.
٣) المصدر السابق، ص ١٤٢.

ماذا يبقى من فلسطين؟

«قراءة في ملف التنازلات» (١ من ٣)



ما زالت الآثار السلبية لفوز «نتنياهو» زعيم تكتل الليكود برئاسة الحكومة الصهيونية مستمرة، وما زالت عنجهيته تلقي بظلالها على مسار السلام المزعوم، وما زال العرب اللاهثون وراء أوهام السلام يتلقون ضرباته الموجعة ومواقفه التشنجية، لا سيما لاءاته: لا لعودة القدس.. لا للدولة الفلسطينية.. لا للانسحاب من الجولان.

جاءت هذه اللاءات وكأنها مصممة على مقاس اللاءات العربية الشهيرة التي ولدت ولادة قيصرية في قمة الخرطوم عقب هزيمة ١٩٦٧م: لا صلح، لا اعتراف، لا تفاوض.

أدركنا من شعاراتهم تلك حجم الاستخفاف والاستغفال للشعوب المسكينة التي طالما دغدغت وسائل إعلامهم مشاعرها باللاءات، والتي تمنت تحقيق شيء منها، فالناس تلهث وراء من يحقق أحلامها.. ولو بالشعارات.

وحين كان الوطيس حاميًا لم يعلم كثير من الناس ما يدار من وراء الظهور، فقد كان - إن أُحسن الظن جداً - هناك بقية من حياء، أو قل - في حقيقة الأمر -: لم يكن من السهل على الشعوب تقبل هذا الكيان الدخيل كجار - له حق الجوار - بعدما فعل ما فعل، لم تكن هناك وسيلة يومها للحفاظ على مكاسب الحكم إلا بهذه اللاءات.

لم يكن من السهل يومها أن تتنازل منظمات وجبهات عن خطاباته «الاستراتيجية» أو عن «الأيديولوجيا» التي تربت عليها نخبها الفكرية والمسلحة لم يكن هذا ولا غيره ممكنًا وقوميتهم العربية! تدرّس للفتيان والفتيات في المراحل المتوسطة على أنها دين جديد.

لكن ما كان مثبتًا صار منفيًا، وكان لهم كثير مما أرادوا، انجلت الحقية

بقلم :

حسن أحمد قطامش

وأعلنوها بكل عنترية ومن «موقف القوة»: إننا ننادي بالسلام!!.

ونرى القوم اليوم وقد تعالت لهم لاءات أخرى رنانة، يثبتون وينفون، ولكن ما عادت الشعوب هي الشعوب، فصاروا هم في واد، والناس في وادٍ آخر.

سقطت كل الأقنعة، وفتحت «كل الأبواب» الموصدة بمبادئ «الكفاح حتى التحرير» و«الخنادق لا الفنادق».. فتحت على مصاريعها للسلام والمفاوضات، وتبارى القوم في إثبات الأحقية بلقب المفاوض السري الأول مع بني صهيون .

ويذكرنا ذلك بقصة ذكرها حسنين هيكل في كتابه «أكتوبر .. السلاح والسياسة»: أن «هنري كيسنجر» (اليهودي الألماني الأصل) وزير خارجية أمريكا الأسبق، عندما تردد على مصر أكثر من مرة، كان الساسة الحضور يتبارون في احتضانه وتقبيله؛ ليثبت كل منهم للآخر أنه على معرفة به، مما حدا بـ«كيسنجر»أن يُخْبِرَ الرئيس «نيكسون» بشكه في نفسه من كثرة المقبِّلين له من الرجال..!! [ص ٧٢٦].

والعجيب أن اللاءات القديمة كانت تعيش دهراً حتى يأتي زمان انقلابها.. أما اليوم: فـ(لا) الصباح هي (نعم) المساء .

ونأتي الآن على هذه القواميس الجديدة، وهي نصوص حرفية لتصريحات صحفية لم نُحرف فيها حرفًا ..

ولنبدأ بـ«أصحاب القضية»، ثم «مملكة السلام الدافيء جداً»، ثم «أرض السلام البارد»، ثم نأتي على أصحاب «التطبيع الاقتصادي» المتواري!!.

ثم نأتي على العموميات للخطاب الظاهر والباطن في دفتر التنازلات لبني صهيون، ولننظر: ما الذي يبقى من فلسطين بعد كل ذلك ؟!.



أولاً: أصحاب القضية:

أ ـ العرفاتيون ينقضون الميثاق :

ـ لا أريد أن أستبق الحديث عن خطر نقض الميثاق الوطني الفلسطيني، وعن محو ذاكرة شعب بأكمله، وتحويل الجهاد بمحاربة يهود إلى تطرف وإرهاب ، ولكن سنترك للميثاق نفسه الحديث، وسنذكر نص المواد التي تضمنها الميثاق الذي أُلغي، ثم نذكر بعدها النصوص التي نُقض بها بُنْيان الأول، ثم ... التهديد مرة أخرى للعودة للميثاق القديم!! فلا عجب، ولنجري بعدها المقارنة بين «استراتيجيات الأمس» و«تكتيك اليوم» !!.

ـ من نصوص الميثاق القديم:

ـ المادة (١) : «إن فلسطين بحدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني وحدة لا تتجزأ».

ـ المادة (٩) : «إن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، وهو بذلك «استراتيجية» وليس «تكتيكاً»».

ـ المادة (١٩) : «إن تقسيم فلسطين الذي جرى عام ١٩٤٧م وقيام دولة إسرائيل باطل من أساسه، مهما طال عليه الزمن؛ لمغايرته لإرادة الشعب الفلسطيني وحقه الطبيعي في وطنه، ومناقضته للمبادئ التي نص عليها ميثاق الأمم المتحدة ، وفي مقدمها: حق تقرير المصير».

ـ المادة (٢٠) : « باطل كل من تصريح بلفور، وصك الانتداب، وما ترتب عليهما، وإن دعوى الترابط التاريخي والروحي بين اليهود وفلسطين لا تتفق مع حقائق التاريخ ولا مع مقومات الدولة في مفهومها الصحيح ، وإن اليهودية بوصفها ديناً سماوياً ليست قومية ذات وجود مستقل، وكذلك: فإن اليهود ليسوا شعباً واحداً له شخصيته المستقلة، وإنما هم مواطنون في الدول التي ينتمون إليها».

ـ المادة (٢١) : «إن الشعب العربي الفلسطيني معبراً عن ذاته بالثورة الفلسطينية المسلحة يرفض كل الحلول البديلة عن تحرير فسلطين تحريراً كاملاً، ويرفض كل المشاريع الرامية إلى تصفية القضية أو تدويلها».

كانت هذه بعض بنود الميثاق الذي أُقر في العام ١٩٦٤م، وتم تعديله في



العام ١٩٦٨م.. لم يمر عليه إلا ثلاثة عقود فقط حتى انعقد المجلس الوطني الفلسطيني في غزة مرة أخرى يوم ٢٢ إبريل ١٩٩٦م، وقرر ما يلي:

« يؤكد المجلس التزامات منظمة التحرير الفسلطينية في اتفاق إعلان المبادئ « أوسلو / ١ » والاتفاق المؤقت في القاهرة، ورسائل الاعتراف المتبادل الموقعة في ٩ سبتمبر (أيلول)١٩٩٣م، والاتفاقية الإسرائيلية المرحلية حول الضفة وقطاع غزة « أوسلو / ٢ » الموقعة في ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٥م، وقرار المجلس المركزي الموقع في ٢٨ / ١٠ / ١٩٩٣م، الذي وافق على المشاركة في مؤتمر مدريد، وإذ يستند إلى المبادئ التي انعقد على أساسها مؤتمر مدريد للسلام ، ومفاوضات واشنطن .. يقول:

أولاً : يُعدِّل الميثاق الوطني الفلسطيني بإلغاء البنود التي تتعارض مع رسائل الاعترافِ بين منظمة التحرير وحكومة إسرائيل يومي ٩، ١٠ /٩ /١٩٩٣م.

ثانياً : يكلف المجلس الوطني الفلسطيني اللجنة القانونية بإعادة صياغة الميثاق الوطني، وعرضه على المجلس المركزي في أول اجتماع له ».

فبين الميثاق، وتعديل الميثاق ... لا تعليق .

ـ إن الأساس الإلزامي لإلغاء أو حذف بنود الميثاق الوطني وردت أساسًا في رسالتي التعهدات اللتين قدمهما ياسر عرفات باسم المنظمة في ٩ سبتمبر ١٩٩٣م إلى كل من رئيس وزراء إسرائيل « رابين »، ووزير خارجية نرويج، واللتين يسميهما المجلس الوطني: « الرسائل المتبادلة »!!.

ولقد تضمنت الرسالتان تعهدات رئيسة، هي :

١ ـ الاعتراف بحق « إسرائيل » في الوجود .

٢ ـ قبول قراري مجلس الأمن الدولي : ٢٤٢، ٣٣٨.

٣ ـ الالتزام بعملية السلام في الشرق الأوسط، وبتسوية سلمية للنزاع مع إسرائيل.

٤ ـ التخلي عن اللجوء إلى « الإرهاب » وغيره من أعمال « العنف »، وتحمل مسؤولية ضبط جميع عناصر المنظمة وأفرادها، والتأكد من امتثالهم، ومنع أي مخالفات، و« معاقبة المخالفين ».

٥ ـ التعهد بأن يقوم المجلس الوطني الفلسطيني بتعديلات في ميثاق



المنظمة؛ لإلغاء البنود التي تنكر على «إسرائيل» حقها في الوجود.

وفي تلك الآونة: صدرت تصريحات لكبار القادة (من أصحاب القضية والكفاح المسلح) ـ نقف على بعضها الآن ـ فيها النفي، وفيها الإثبات، ولكن في القاموس الجديد للنفاق السياسي:

ـ **ياسر عرفات**: إن هذا الميثاق ليس ميثاقي، ولا ميثاق الثورة الفلسطينية، ولم يكن ميثاق حركة فتح، لأن ميثاق فتح وميثاقي هو الدولة الديمقراطية العلمانية!!، وهو الذي انتخبت على أساسه رئيسًا لمنظمة التحرير، وليس بناءً على الميثاق السابق. [الشرق الأوسط. ع/٦٣٦٢ـ ٢٩/ ٤/ ١٩٩٦م، مقال بلال الحسن عضو المجلس الوطني].

ـ **عرفات**: فقرة تدمير إسرائيل لاغية، وباطلة، وعفا عليها الزمن [الخليج ع/ ٦١٠٤ ـ ١/ ٢/ ١٩٩٦م].

ـ وفي باريس، في عام ١٩٨٨م، استقبل الرئيس الفرنسي «ميتران» ياسر عرفات، مما اعتُبِر اعترافًا بمنظمة التحرير، واجتمع وزير خارجية فرنسا وقتها «آلان دوما» وعرفات، وتكلم معه «كصديق»، وقال: إنك لا تتصور كم سوف تكلف هذه المقابلة الرئيس «ميتران» سياسيًا أمام الرأي العام، وإذا سمحت، فإنني أقترح عليك أن تقدم له شيئًا في المقابل، إنك أعطيت كثيرًا لـ «جورج شولتز» ـ وزير خارجية أمريكا وقتها ـ ومن حق «ميتران» أن تساعده.. ثم اقترح عليه «دوما» أن يعلن تخليه عن مواد الميثاق الوطني التي تختص بإسرائيل (عدم الاعتراف بها وتدميرها.. إلخ)، فرد عرفات بأنه مستعد لذلك، والآن، وللصحفيين الواقفين في انتظار أمام مكتب وزير الخارجية.. ثم سأله عرفات عن كلمة بالفرنسية تؤدي المعنى الذي يريده وزير خارجية فرنسا، فاقترح عليه أن يقول للصحفيين: إنه يعتبر ميثاق منظمة التحرير: «CADUV»، أي: ملغٍ، وليس له مفعول!!!

[القنوات السرية ـ العالم اليوم ع/ ١٧٠٦ ـ ٢٣/ ٩/ ١٩٩٦م].

ـ **نايف حواتمة**: «الميثاق ليس مقدسًا وبعض بنوده شاخت، وعفا عليها الزمن» [الخليج ع/ ٦١٠٩ ـ ٦/ ٢/ ٩٦م].

ـ **محمود عباس «أبو مازن»**: «عدلنا الميثاق سنة ١٩٨٨م(!)، والمطلوب: إشهار التعديل» [حوار للاتحاد. ع/ ٧٦٧٣ ـ ٢٩/ ١/ ٢٩٦م].



وتقول السيدة «ماري كلير» - أرملة رئيس وزراء فرنسا الأسبق «بيير فرانس» - التي عقد في بيتها أول لقاء سري - على حد قولها - بين اليهود والفلسطينيين (مَثَّلهم فيه عصام السرطاوي، الذي قتل في البرتغال عام ١٩٨٤م) وكان ذلك في باريس عام ١٩٧٦م، تقول: «إنه بعد وفاة زوجها التقت عرفات في تونس عام ١٩٨٩م، وأبلغته - بعد زيارتها لتل أبيب - أن العثرة القائمة أمام قيام حوار فلسطيني / إسرائيلي هي: ميثاق المنظمة الذي يدعو لرمي إسرائيل في البحر، وأبلغته: أن عليه أن يشطبها من الميثاق؛ لأنهم - أي: الفلسطينيون - غير قادرين على ذلك، فأخبرها عرفات بأن تلك المقولة أصبحت لاغية وباطلة المفعول» [حوار لعكاظ ع/١٠٩٤٦ - ١/٨/١٩٩٦م]، هذه السيدة اسمها الأصلي «ليلى شكوريل»، يهودية من أسرة شكوريل المصرية الشهيرة، وهي لا تزال مهتمة بقضايا إسرائيل/فلسطين، من تأثير اهتمام زوجها بها، وقد كان يهوديًا أيضًا.

وعليه: فقد صَدَق أبو مازن فيما قاله، لقد كان الثمن - الذي يدَّعيه الفلسطينيون - لقاء الاعتراف ونقض الميثاق هو: وعد من يهود بقيام دولة فلسطينية، ومع رحيل الواعد والوعد، وتشدد الخلف «نتنياهو»: حاول القوم النكوص مرة أخرى ومحاولة رمي إسرائيل في «...»(!)، فهذا رئيس المجلس الوطني الفلسطيني «سليم الزعنون» في حوار أجرته معه صحيفة «العالم اليوم» يجيب على السؤال التالي:

س: هل هناك خيارات أخرى بعد إلغاء نص القضاء على إسرائيل؟.

ج: عندما قررنا إلغاء الميثاق الوطني كان مقابل اعتراف «شيمون بيريز» وحكومته بقيام دولة فلسطينية، وإذا لم تلتزم إسرائيل بتنفيذ الاتفاقيات الموقعة معها، فسوف نعيد نص الميثاق الخاص بالقضاء على إسرائيل!.

س: ما هي البدائل المتوافرة لدى السلطة الوطنية لاستخدامها في حال استمرار «نتنياهو» في تشدده ورفضه تنفيذ الاتفاقيات؟.

ج: نحن نراهن على استنهاض القوى المحبة للسلام والمؤيدة له داخل إسرائيل، وهي - بالمناسبة - قوى مهمة ومؤثرة في الوقت نفسه، وسنظل



نخاطب المجتمع الدولي لهدف مساعدتنا في استرداد حقوقنا المشروعة، وسنحافظ على ما حققناه على الأرض بكل الوسائل، حتى إذا استدعى الأمر أن نتحلى بالصبر طوال السنوات الأربع القادمة مدة حكم نتنياهو [يا لها من وسائل] مع الاستمرار في النضال على كل الجبهات.. [العالم اليوم ع/١٦٦٢ - ٢٣/ ٧/ ١٩٩٦م].

كان هذا رئيس المجلس الوطني الفلسطيني، أما رئيس المجلس التشريعي «أحمد قريع»، الذي يمثل مع الزعنون - على حد قول عرفات - هيكل الدولة، فقد سُئل من قِبل محطة «بي. بي. سي» عن: ماذا ستفعلون إذا استمر «نتنياهو» في مواقفه المتشددة؟، فأجاب: سنفعل كل شيء.. ما الذي لا نستطيع أن نفعله؟!، إنها ستكون مواجهة بمعنى الكلمة، مواجهة سياسية، مواجهة دبلوماسية.. الانتفاضة!!.. [مقابلة مع هيئة الإذاعة البريطانية - ٢٦/٢/١٤١٧هـ، ١٢/٧/١٩٩٦م].

فيا معشر العقلاء.. من نصدق من أولئك الساسة العظام.. حَمَلة «القضية»؟!.

- ب: الدولة الفلسطينية وعاصمتها.. «القدس»[1]:

- قبل البدء في عرض تصريحات القوم حول الدولة والعاصمة: نلقي نظرة سريعة حول هذه الدولة والقدس العاصمة الأبدية لها، ولننظر: هل تصلح هذه التصريحات مع هذا الواقع.. أم هي جعجعة كلامية؟!.

● مساحة الأرض:

بعد عقود من الحروب والتشتت والمعاناة نجري مقارنة بين حقوق الفلسطينيين المشروعة، وبين ما قدمته لهم إسرائيل من «تنازلات» من خلال اتفاقيات السلام!!.

- تبلغ مساحة الأرض الفلسطينية - وهي جوهر الصراع - (٢٦,٣٢٠,٠٠٠) دونم، وذلك في عام ١٩١٧م، وعندما أنشئت الدولة اليهودية عام ١٩٤٨م كانت مساحة الأرض اليهودية (١,٤٩١,٦٩٩)



---

١) بتصرف عن دراسة «سليمان أبو ستة» عضو المجلس الوطني الفلسطيني، جريدة الحياة اللندنية، ع/١١٩١٩ - ١٠/١٠/١٩٩٥م.





دونمًا، أي ٥,٧٪ من مساحة فلسطين ، ومنها انطلق الجيش الصهيوني ليحتل باقي فلسطين وأجزاء من مصر والأردن وسوريا ولبنان.

والآن أعطت اتفاقية السلام السلطة الوطنية الفلسطينية ما مساحته (١,٨٦٠,٠٠٠) دونم، والعجيب: أن هذه المساحة ـ وهي غزة والضفة ـ تساوي تقريبًا مساحة الأرض اليهودية عام ١٩٤٨م، فكأنما تبادل الفلسطينيون واليهود أراضيهم ، فأخذ الفلسطينيون ٦٪ وأعطوا اليهود ٩٤٪ من فلسطين !.

● المياه :

تبلغ مصادر المياه في الضفة الغربية وغزة ٧٠٠ مليون م٣/سنة، تأخذ منها يهود ٤٢٠ مليون م٣/سنة ، والفلسطينيون (١,٥٠٠,٠٠٠) نسمة يحصلون على ١١٥ مليون م٣/سنة، والمستوطنون (١٣٠,٠٠٠ نسمة) يحصلون على ٥٠ مليون م٣/سنة، أي: إن نصيب المستوطن من المياه خمسة أضعاف نصيب الفلسطيني .

● عدد السكان:

يبلغ عدد الفلسطينيين الآن (٧,٧٠٠,٠٠٠ نسمة)، منهم حوالي مليون (١٢٪) في إسرائيل ، و٢,٢٥٥,٠٠٠ نسمة (٢٩٪) في الضفة وغزة، ويبقى٤,٥٠٠,٠٠٠ فلسطيني في الشتات يمثلون أكثر من ثلثي الشعب، بينما يبلغ عدد السكان اليهود في إسرائيل الآن ٤,٥٠٠,٠٠٠ نسمة، كان عددهم عند احتلالهم فلسطين٦٠٥,٩٠٠، منهم ٢٥٠,٠٠٠ يحملون الجنسية الفلسطينية ، والباقون أغراب، وبالزيادة الطبيعية أصبح عدد يهود ١٩٤٨م في العام الماضي (١٩٩٥م) ١,٦٨٢,٠٠٠، وهذا يعني أن ٢,٨٠٠,٠٠٠ يهودي استجلبوا من الخارج، لإحلالهم محل ٤,٥٠٠,٠٠٠ فلسطيني طردوا من ديارهم، بمعنى أن اتفاقية السلام أسبغت الشرعية على حقوق ٢,٨٠٠,٠٠٠ مستورد، وحرمت حقوق ٤,٥٠٠,٠٠٠ فلسطيني من العودة لوطنه.

مصر في القرن الواحد والعشرين

(قراءة أصولي) (٣ من ٣)

عرض الكاتب في الحلقتين الماضيتين لأهم نقاط الدراسة المستقبلية عن مصر التي قدمها الدكتور/ أسامة الباز، ثم بدأ في نقد هذه الدراسة بذكر ست ملحوظات عامة عليها، وأخذ في عرض بعض الملحوظات التفصيلية، كان آخرها: الموقف من الصحوة الإسلامية، حيث تعرّض لأسباب ظهور الصحوة، والصراع بينها وبين العلمانيين، ورؤية أصحاب الدراسة لطريقة التعامل معها.. ويواصل الكاتب قراءته للدراسة. - البيان -

الملحوظة الخامسة: عن المرأة والسكان:

رغم أن الدكتورة مديحة السفطي (أستاذة علم الاجتماع في الجامعة الأمريكية، ومستشارة الأمم المتحدة ووكالة التنمية الأمريكية، وعضو المجالس المتخصصة) تحاول أن تجمع بين التوجهات الدولية نحو المرأة: من زيادة فرص ومجالات التساوي في الحقوق بين الرجل والمرأة، والاهتمام بالمرأة من زاوية (حقوق الإنسان)، تحاول أن تجمع بين ذلك ووجوب «تعاملنا مع المؤتمرات العالمية بشكل انتقائي، فناخذ من المؤتمرات الدولية وقراراتها ما يتفق مع تقاليدنا، ونترك كل ما يخالف إسلامنا» ـ وهو تحفظ مشكور من الدكتورة السفطي ـ، ولكن يبدو أن التصور المنقوص لعلاقة الإسلام بالحياة الاجتماعية حال دون وضع تصور صحيح، والغالب أن الدكتورة تقصد بهذا التحفظ رفض اللغط الدولي الدائر حول حقوق الشاذين جنسيًا و(الأشكال الجديدة) للأسرة، ولكنها تفتح المجال أمام قضايا أخرى قد ترى فيها التقاءً مع تحرك الأمم المتحدة، وإلا فلن يكون هناك مجال للحديث عن هذا التحرك، وهذا ما عبرت عنه الدكتورة بأن «هناك اتجاهًا دوليًا نحو

المسلمون



والعالم

بقلم:
عبد الرحمن الكناني

زيادة فرص ومجالات التساوي في الحقوق بين الرجل والمرأة»، فإن المرأة المصرية «برغم أنها استطاعت أن تحقق مكاسب في المجتمع ، إلا أنها لم تنجح في الحصول على المساواة مع الرجل».. فإذا كانت المرأة المصرية قد حصلت على إلزام للدولة ـ بموجب دستور ١٩٧١م ـ «بحماية الأمومة والطفولة، ومن ثم: سن التشريعات التي تعطي للمرأة بعضاً من الحقوق، ومنها الحقوق السياسية»، كما توفر للمرأة زيادة نسبة مشاركة المرأة في العمل، وفي انخراطها بالمراحل التعليمية المختلفة، وزيادة مجالات التوظيف، وإذا علمنا أنه ليس هناك أي تفريق بين الرجل والمرأة في الأجور ومجالات التعليم أو التوظيف، فما هي المساواة المقصودة التي لم تحصل عليها المرأة، إننا نرى أنه لم يبق إلا المساواة في الميراث وحق التطليق، وهو ما يدندن عليه كثيراً بعض متطرفي (العلمانية النسائية).

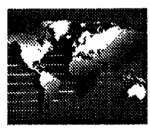
والدكتورة السفطي تركز على عمل المرأة، فإضافة إلى ما تقره من (مكاسب) في هذا المجال تشير إلى زيادة نسبة تمثيل المرأة في سوق العمل نتيجة هجرة العمالة المصرية للخارج ، كما ترى «أن تحرير المرأة يؤدي إلى رفع الأعباء عن كاهل الأسرة، عن طريق مساهمتها في زيادة الدخل».. فما المقصود بـ(التحرير)؟! .

نعرض فيما يلي إلمامة بالنتائج (الاجتماعية) و (الاقتصادية) لمساهمة المرأة في زيادة الدخل[1]:

يقول الدكتور أحمد إبراهيم عبد الهادي ، أستاذ إدارة الأعمال

١) انظر: إمبراطورية النساء العاملات، إيمان محمد مصطفى ـ الزهراء للإعلام العربي .

المسلمون



والعالم

بكلية التجارة ـ جامعة بنها : «في الوقت الذي تتزايد فيه أعداد النساء بالقوى العاملة بالمنظمات المصرية، وبالإضافة إلى التوقعات الخاصة بتزايدهن بمعدلات سريعة في الإدارة بشكل عام وفي الإدارة الحكومية بشكل خاص: فإن الاختلافات في التكوين البيولوجي والنفسي والقدرات العقلية بين النساء والرجال ـ في المتوسط ـ ، وأيضاً: اختلاف تأثير العوامل الاجتماعية والتنظيمية ينتج عنها تأثيرات سلبية في مدى فعالية النساء في العمل أو الإدارة ... ولقد قام الباحث بدراسة علمية تناولت العوامل المؤثرة في سلوك المرأة المديرة مع التطبيق على بعض المنظمات في مصر» أوضح فيها صراع الأدوار الذي تعيشه المرأة العاملة: من سيطرة مشكلات رعاية الأطفال، ودور المرأة نحو زوجها، والتأثيرات الصحية والنفسية والاجتماعية، ومظاهر التوتر النفسي والقلق...

وميخائيل جورباتشوف (الرفيق) يقول في (البيروسترويكا): «إن المرأة تعمل في مجال البحث العلمي، وفي الإنتاج والخدمات، وتشارك في النشاط الإبداعي، ولم يعد لديها وقت للقيام بواجباتها اليومية في المنزل (العمل المنزلي)، وتربية الأطفال ، وإقامة جو أسري طيب».

«في ٢٣/١٢/١٩٨٥م تقدم مجموعة من أطباء الأطفال بمذكرة للدكتور عاطف عبيد وزير شؤون مجلس الوزراء تدعو إلى مساعدة الأم المصرية للقيام بأهم وظائفها المتمثلة في رعاية الأطفال وتنشئتهم التنشئة الصحية السليمة... وأيضاً حماية الاقتصاد المصري من استنزاف ميزانيته في استيراد الألبان الصناعية..».

وفي «٢١/٣/١٩٨٧م : أصدر رئيس هيئة القطاع العام للغزل والنسيج قراراً بمنع تعيين السيدات في ثلاثين شركة غزل ونسيج، وقال: إنه استند في قراره هذا إلى أن العائد من عمل المرأة لا يتجاوز ٢٠٪ مما يحققه الرجل»..

وذلك بخلاف التصريحات والقرارات التي صدرت منذ ١٩٧١م حول إنتاجية المرأة المنخفضة، والرغبة في تشغيل المرأة نصف أيام العمل الرسمية، ومشروعات قوانين لمنح المرأة العاملة إجازة (١٠) سنوات بنصف الأجر...

فإذا أضفنا إلى تلك الآثار: نسبة البطالة المرتفعة بين الشباب ـ التي تسهم المرأة العاملة في ارتفاعها بينهم ، والتي يتعاظم أثرها على الرجل بخلاف المرأة في مجتمعاتنا ـ وما ينتج عن الفراغ المصاحب لذلك من مشكلات نفسية واجتماعية وأمنية... **لوقفنا حائرين أمام الإصرار على خروج المرأة إلى العمل** .

ولكن جانبًا من هذه الحيرة يزول إذا طالعنا الآتي[1]: «في ٦/١/١٩٧٢م: نشرت الصحف أن الدكتور أحمد السيد درويش وزير الصحة ـ حينئذ ـ بحث مع أعضاء **البنك الدولي للإنشاء والتعمير** الاتجاه إلى إيجاد فرص عمل ملائمة لكل امرأة عاطلة في مصر ؛ لإمكان رفع مستواها الاقتصادي، وشغل وقت فراغها الطويل كوسيلة فعالة **من وسائل تنظيم الأسرة** في مصر .. على أساس أن المرأة ذات الدخل المناسب أقل إنجابًا وأحرص على تنظيم أسرتها»، وفي «٢٠/١/١٩٨٦م: ناقش المجلس القومي للسكان برئاسة د. ماهر مهران مقرر المجلس إعداد خطة قومية للتوسع في تشغيل المرأة المصرية على مدى خمس سنوات، باعتبار أن ذلك هو الحل **الأمثل والوحيد** لأزمة السكان في مصر.. بعد أن أثبتت الأبحاث العلمية أن المرأة العاملة أقل خصوبة وإنجابا !!» .

وهذا ما يقرره أيضًا الدكتور محمد السيد غلاب في المشروع المستقبلي الذي نحن بصدده ؛ حيث يقول: إن «انتشار التعليم واهتمام المرأة بالعمل، لهما أثرهما في الحد من الزيادة السكانية» .

ويبدو أن الأمر مستقر في المشروع المستقبلي على الحد من الزيادة السكانية، فإضافة إلى ما نصح به الدكتور غلاب يضع الدكتور الباز من أهم ركائز رؤيته المستقبلية: وضع خطة شاملة لتنمية المورد البشري في مصر، تقوم أولاً على **ضبط النمو** السكاني، بحيث ينخفض إلى أقل من ٢٪ ، وذلك باستخدام وسائل أكثر فعالية في الترويج لمفاهيم **تنظيم**

١) انظر المصدر السابق.

المسلمون والعالم



الأسرة وإقناع الجماهير في المناطق الريفية وفي الأحياء الشعبية في المدن بأفضلية الأسرة الصغيرة القادرة»، ولا يخفى على القارئ أن (تنظيم الأسرة) هو الاسم الجديد لـ(تحديد النسل)، وهذا ما وضحه الدكتور الباز بـ«أفضلية الأسرة الصغيرة».

ولا يظهر في المشروع: هل الإصرار على الحد من الزيادة السكانية ـ والوقوف عند حد الـ ٧٠ مليون ـ بسبب خطر الزيادة السكانية نفسها أم لعجز الدولة عن تأهيل واستثمار وتوظيف هذه الزيادة؟!، ولكن هناك إشارات في الدراسة تلمح إلى إدراك أهمية القوة البشرية، منها ما ذكره الدكتور غلاب نفسه من «أن الزيادة السكانية لم تكن أبداً عبئًا، ولا يصح أن تعتبر كذلك في القرن القادم؛ فهي التي مكنت مصر من التقدم في كل العصور»، وفي دراسة أخرى: يشير الدكتور مصطفى الفقي إلى أن من أهم العوامل المؤثرة في دور مصر ـ عربيًّا ـ: «اعتبار مصر مستودع الثروة البشرية».

وفي هذه الإشارات توافق مع منطق العقل والتاريخ؛ يقول الأستاذ خورشيد أحمد: «القوة الغالبة لا تكون في المستقبل إلا للبلاد التي تتمتع بزيادة السكان، وتتحلى في الوقت ذاته بالعلوم الفنية، فليس ثمة شيء يستطيع أن يحتفظ لأمم الغرب بسيادتها وقيادتها العالمية سوى أن تعمل على نشر حركة تحديد النسل ومنع الحمل في بلاد آسيا وإفريقيا؛ لأجل هذا: فإن البلاد الغربية تعمل اليوم وسعها لزيادة سكانها، ولكنها في الوقت نفسه تستعين بأحسن ما عندها من أساليب الدعاية لتعميم حركة تحديد النسل في البلاد الآسيوية والإفريقية»[1].

ويقول أيضًا: «وما أصدق الأستاذ «أورجانسكي» في قوله: وفي المستقبل، إنما تكون القوة أكثر عند المعسكر الذي يكون عنده الأفراد أكثر»[2].



١) حركة تحديد النسل، أبو الأعلى المودودي، ص ١٨٤ .
٢) المصدر السابق، ص١٨٦.



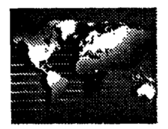
ويقول في الكتاب نفسه: «مما لا يخفى على طالب لعلم التاريخ: أن تعدد السكان له أهمية سياسية جذرية، ولذا: فإن كل حضارة أو قوة عالمية قد أولت جل اهتمامها إلى زيادة أفرادها في عصرها الإنشائي والتعميري، ولذا: فإن المؤرخ المعروف الأستاذ «ويل ديورانت» يعد كثرة السكان من أهم أسباب التقدم المدني، وأيضًا يعدها الأستاذ «آرنولد توينبي» من تلك التحديات الأساسية التي ردًا عليها يخرج إلى عالم الوجود تقدم أي حضارة إنسانية»[1].

فهل عرف العلمانيون بعضًا من حكمة حث الرسول ﷺ على التكاثر والتناسل والتوالد ؟!.

الملحوظة السادسة: الاقتصاد والإنجازات ! الثورية:

التطور السريع الذي شهده الاقتصاد المصري منذ قيام حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م (لاحظ أنه لا تُذكر هنا الصحوة الإسلامية والأسباب الاقتصادية لظهورها) هذا التطور الذي يحدثنا عنه الدكتور/إبراهيم حلمي عبد الرحمن، وما أدى إليه من «نمو كبير في قطاع الصناعة والخدمات، وإلى تحويل مصر تدريجيًا من دولة زراعية أساسًا إلى دولة أصبحت مساهمة القطاع الزراعي فيها لا تتجاوز ٢٠٪ من الناتج المحلي، لكن الضغوط الخارجية والحروب المتتالية في ثلاثة عقود أرهقت الاقتصاد القومي، ثم عاد الاقتصاد المصري أخيرًا إلى مرحلة التنمية **السريعة** في الثمانينات».

هذا التطور حقيقته: تراجع الإنتاج الزراعي نتيجة التصحر، وعدم مواكبة الزراعة لأساليب متطورة ومتقدمة، وهجر الفلاح المصري للعمل في مجال الزراعة.. الحال الذي أدى لما هو معروف من تحويل مصر إلى بلد مستورد لقُوته بعد أن كان سلة غذاء، حيث أصبحت مصر الآن تستورد ٦٠٪ من حاجاتها الغذائية، وكمثال على ذلك[2]: فالقمح ـ الغذاء



١) المصدر نفسه، ص ١٧٨.

٢) انظر تقرير د. تسنيم إبراهيم (أستاذ العلاقات الدولية في جامعة كاليفورنيا ـ الولايات المتحدة)، عن مجلة (المجتمع) الكويتية، ع/١٢١٦.

الأساس في مصر ـ تعتبر مصر أكبر مشترٍ له من أمريكا (أكثر من مليون طن)، كما تعتبر مصر ثالث أكبر مستورد في العالم للقمح والدقيق، وذلك نتيجة سياسة مقصودة، فقد وصل الأمر إلى قطع المياه لأكثر من شهر عن إحدى القرى، فتم تدمير آلاف الأفدنة المزروعة بالقمح، وفي أخرى: أُغرقت الأراضي بالمياه، مما أحدث خسائر مماثلة، وفي ثالثة: زرعت بذور البطيخ فأصابت التربة بما جعلها غير صالحة لزراعة القمح.. كما أن فيروسات وأمراضًا تستعصي على السيطرة أُدخلت عن طريق البذور المستوردة.. وكان تدمير (٣٥٠٠٠٠) فدان بسبب مقاومة الفيروسات بمبيدات مستوردة، ونفقت ٦٠٪ من الثروة الحيوانية نتيجة أمراض حيوانات مستوردة.. وقد بلغت كارثة القطن حد استيراد مصر من أمريكا حاليًا (١٩٦٠٠) طن قطن قصير التيلة، بخسارة بلغت ٥٠ مليون دولار...

وجدير بالذكر أن الصهاينة سربوا ـ عبر الحدود المصرية ـ (٨٥) نوعًا من البذور والمخصبات المحقونة بهرمونات ضارة، فضلاً عن ثمانين نوعًا آخر من المبيدات السامة الممنوعة دوليًا..

وحقيقة هذا التطور أيضًا: تخلف صناعي كبير مقارنة بتجارب مواكبة زمنيًا للتجربة المصرية (التجربة اليابانية، ثم التجربة الكورية)، كما أن هناك تغافلاً عن أن (شماعة إرهاق الاقتصاد المصري بالحروب) قد تحطمت منذ ما يقرب من ربع قرن، وظهرت خلال هذه الفترة الأخيرة قفزات اقتصادية كبيرة في دول أقل في الإمكانات كثيرًا من مصر (النمور الآسيوية السبعة وتوابعها).



وهذا التطور (السريع) والعودة إلى مرحلة التنمية (السريعة) في الثمانينات صاحبه تطور سريع أيضًا في حجم الديون المثقلة بها الدولة والحكومة، فبالإضافة للدين الخارجي الذي تتضارب التقديرات حوله، والذي بلغ (٥٥) بليون دولار عام ١٩٩١م قبل تخفيضه إلى (٤٠) بليون دولار بعد إسقاط الشريحة الأخيرة، لمشاركة مصر في حرب الخليج وموقفها من قضية (سلام الشرق الأوسط)[1]، بخلاف فوائد خدمة الدين

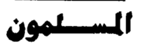
١) انظر: جريدة الحياة اللندنية، ع/١٢٢٨٩، ١٨/١٠/١٩٩٦م.



المتراكمة، بالإضافة إلى ذلك الدين: هناك الدين العام المحلي «المقدر بنحو ١٢٢,٧ بليون جنيه (نحو ٣٧ بليون دولار) تمثل ٨٠ في المئة من إجمالي الناتج المحلي المتوقع في الخطة ١٩٩٦ - ١٩٩٧م، إضافة إلى نحو ١٦,٣ بليون جنيه تمثل أعباء خدمة الدين المحلي والفوائد المستحقة، ليبلغ إجمالي الدين العام وفوائده: نحو ١٣٩ بليون جنيه (٤١بليون دولار) تمثل ٨٦ في المئة من الناتج الإجمالي الحقيقي... وتشير الأرقام إلى ارتفاع أرقام الدين المحلي المتوجب على الحكومة من الأفراد والمصارف والشركات والهيئات العامة من ١١ بليون جنيه عام ١٩٨١م إلى نحو ١٣٤ بليونًا و٧٠٠ مليون جنيه بنهاية عام ١٩٩٥م، بنسبة زيادة مقدارها ١٢٢٥ في المئة، أي ١٢ ضعفًا خلال ١٤ عامًا.. ويعزو خبراء اقتصاديون تضخم هذه المديونية إلى تزايد حجم النفقات الحكومية في ظل ثبات حجم الإيرادات... واعتماد الحكومة على الاستدانة من الداخل.. لسد العجز في الموازنة..»[1].

الملحوظة السابعة: هدف تنمية القوة:

تحفظ الدكتور الباز على خفض الإنفاق العسكري، مشيرًا إلى «أن ما يتهامس به البعض أحيانًا، ويروجه في أحيان أخرى، عن وجوب خفض الإنفاق العسكري لصالح الإنفاق المدني ... هو نظر خاطئ وغير سليم في تقديري المتواضع؛ لأننا لا بد أن ندرك أن المجتمع لا يمكن أن يكون قويًا متماسكًا ومنيعًا، مستعصيًا على التهديدات وأخطار الانهيار والتمزق، إلا إذا كانت الدولة قوية...» و«لا يفكر في المساس بقدرة مصر العسكرية في السنوات المقبلة إلا ساذج أو واهم، ينخدع بالقشور، ولا يحيط بالظواهر المركبة المعقدة من زواياها المختلفة».





وإذا كنا نقدر للدكتور الباز هذا الموقف، ونفهم (التهديدات) على أنها الأخطار الخارجية، حيث «إن الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط التي نعيش فيها لم تستقر بعد بالدرجة الكافية»، وحيث لا بد «أن نحث دولها على تبني مفهوم جديد للأمن، يقوم على تحقيق الأمن المتوازن

١) جريدة الحياة، ع/١٢٢١٨، ٨/٨/١٩٩٦م.

المتكافئ الذي لا يتمتع فيه طرف بميزة نسبية تخل بالتوازن المطلوب»، إلا أن المقصود بـ(أخطار الانهيار والتمزق) لم يكن واضحاً، فهل المقصود هو المخطط الصهيوني لتقسيم مصر إلى أربعة محاور جغرافية، وهو ما حذر منه ـ تفصيلاً ـ الدكتور حامد ربيع أستاذ العلوم السياسية ذو المكانة العالمية، وكتب ذلك في مجلة (الأهرام الاقتصادي) العدد ٧٣٣ في ٣١/١/١٩٨٣م وما بعده، وأورده الدكتور جمال عبد الهادي في الجزء الثالث من كتاب (الطريق إلى بيت المقدس)، كما أورد نص وثائقه الصهيونية الكاتب الفرنسي «روجيه جارودي» في كتابه (فلسطين أرض الرسالات الإلهية)، أم إن المقصود أخطار أخرى، قد تنشأ على (الحكومة) نتيجة تنامي اتجاهات غير مرغوب فيها؟!.

وإذا كان موقف الدكتور الباز واضحاً في هذا الجانب (الحفاظ على قدرة مصر العسكرية) إلا أن طرح اللواء أحمد فخر في الدراسة الخاصة لتحديد دور المؤسسة العسكرية المصرية كان غير محدد، غير أنه أجاب لنا عن تساؤلنا السابق الأخير، حيث افترض أن منطقتنا يمكن أن تشهد أحد سيناريوهين سيؤثران على دور المؤسسة العسكرية: «.. السيناريو الثاني: فيتمثل في عدم نجاح السلام، ومحاولة **القوى الجديدة ـ التي تظهر خارج الإطار المؤسسي** ـ صياغة الأحداث بما يتلاءم مع أهدافها، وفي حالة حدوث هذا السيناريو: فإن دور المؤسسة العسكرية في الدولة التي ستنجو من مخاطر تفكك السلطة المركزية سيصبح دوراً أساسيًا مسيطراً لمواجهة التهديدات الداخلية أو الخارجية»، ومن غريب هذا الطرح: أنه لم يهتم بمعالجة كيفية مواجهة التهديد الخارجي المحوري والطبيعي، وهو الدولة الصهيونية!!.

أما السيناريو الأول فكان: «سيناريو نجاح السلام، وفيه سيتم الاختيار بين عدة مفاهيم للأمن، منها مفهوم الأمن الجماعي، والأمن الشامل، والأمن المشترك، والأمن بالتعاون»، وهو ما تحفظ عليه الدكتور الباز بتبنيه «تحقيق الأمن المتوازن المتكافئ».



وإذا تحقق هذا السيناريو كما في طرح اللواء فخر، فإن هناك دوراً جديداً: «طبيعة هذا الدور ستفرض على المؤسسة العسكرية إحداث تغييرات في هيكلها، وإن اختيار مصر للمشاركة في توجهات النظام الدولي الجديد - مثل المشاركة مع قوات الأمم المتحدة في قوات حفظ السلام - سوف يؤدي إلى تغير في شكل ومهام بعض عناصر المؤسسة العسكرية»..

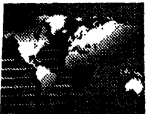
تصريحات مسؤول كبير في وزارة الدفاع الأمريكية - في حديث إلى الصحفيين حول زيارة الوزير «بيري» لمصر - أوضحت وأكدت لنا طرح اللواء فخر، حيث يقول المسؤول: «وثمة موضوع آخر، وهو أن لنا بعض برامج المساعدات الأمنية الرئيسية التي نناقشها دائماً بالطبع، وسنتحدث عن الاستمرار في تحديث القوات المسلحة المصرية، وأيضاً - كما تعلمون - عما هو ضروري للاستقرار الإقليمي ومصالح الولايات المتحدة بالتأكيد. وما تسفر عنه مجموعة القضايا عندما توضع في مجملها أمام أبصاركم هو: أن تتمكن مصر من اللعب في ساحات شتى في المنطقة وبالتضافر مع الولايات المتحدة، وكما ذكرت سابقاً: كان اشتراك المصريين في الخليج أمراً مهماً، واشتركوا في حفظ السلام في الصومال، واشتركوا في قوة الحماية التابعة للأمم المتحدة التي عملت على حفظ السلام في البوسنة، كما أنهم سيشتركون أيضاً في القوة الدولية في البوسنة، ولذلك وإن لم تتوافر قوات مقاتلة عصرية وقوات حسنة التدريب قادرة على النهوض بمهام دقيقة لحفظ السلام، فسوف لا يكون بوسعها الاشتراك في هذه الأمور»[1].

فهل ستكون القوات المسلحة المصرية ترساً في الآلة العسكرية الأمريكية؟!.. مجرد سؤال!.

الملحوظة الثامنة: تحديات غير مطروقة:

هناك بعض التحديات لم تتطرق الدراسة إلى الإجابة عليها، ومن ذلك:

(١) أضواء على الأنباء - استعراض أسبوعي للصحف الأمريكية - وكالة إعلام الولايات المتحدة، ٢/٤/١٩٩٦.



● كيفية القفز عبر الهوة التكنولوجية الواسعة للحاق بالدول الرائدة فيها ، فقد تحدثت الدراسة عن أهمية معالجة التخلف التكنولوجي الذي تعيشه البلاد، وأي منصف ـ وليس الإسلاميون فقط ـ يعتبر أن هذا التخلف أحد أسباب التبعية والتغريب، كما أن أمة تعد نفسها للريادة الحضارية لا ينبغي لها أن تتخلف عن الأخذ بأسباب الرقي التقني والمدنية.

ولكن الدراسة مع إدراكها لأهمية هذا الموضوع إلا أنها لم تعطنا رؤية واضحة للنهوض من هذا التخلف، في ضوء:

أ ـ عظم الهوة بين الواقع الذي تعيشه البلاد والنموذج الذي تريد اللحاق به.

ب ـ عدم سماح الدول المالكة لهذه التقنيات بانتقالها إلى غيرها، وبخاصة بعد اتفاقية الجات.

جـ ـ هجرة العقول والكفاءات المتميزة التي تزخر بها البلاد إلى الخارج، نتيجة: عدم تقديرها، والافتقار إلى المناخ الملائم لاستثمار إمكاناتها، كأثر من تخلف العقلية الإدارية التي تتحكم في توجيه واستثمار هذه العقول.

● مواجهة التهديد النووي الإسرائيلي في ظل الإمكانات المصرية المحدودة والمكبلة بالقوى الدولية ، والإصرار الإسرائيلي على التفوق النوعي والكمي للأسلحة الاستراتيجية وأسلحة الدمار الشامل.

● مواجهة مخططات تقسيم مصر ـ المشار إليها في الملحوظة السابعة ـ في حال خروجها إلى حيز التنفيذ، وبخاصة أن هناك مؤشرات على التمهيد لهذا المخطط ـ الذي وُقِّت عام ١٩٩٧م لتنفيذه ـ بمشاريع وإجراءات رصدها الدكتور حامد ربيع وتابعها الدكتور جمال عبد الهادي، ولا يُستبعد منها العمل على إبراز (التراث النوبي) ومحاولة إدراج مشكلة (الأقلية النوبية) إضافة إلى الأقباط على جدول أعمال مؤتمر الأقليات الذي كان مزمعاً عقده في القاهرة برعاية د / سعد الدين إبراهيم



الأستاذ بالجامعة الأمريكية.

● عوّل كثير من المشاركين في الدراسة على مكانة مصر والثقل الكبير الذي تتمتع به بناءً على موقعها على الخارطة السياسية الإقليمية والدولية، والتي تعمل على تشكيلها القوى الدولية ، فماذا لو حاولت هذه القوى تهميش وعزل مصر، مثلما ظهر التلويح بذلك (تحريض مسؤولين إسرائيليين لأمريكا على فرض عقوبات على مصر) في أزمة صواريخ سكود الكورية الشمالية؟!.

● كيفية النهوض في ظل الدين الخارجي الكبير ، وكيفية الاعتماد على العالم الغربي اقتصاديًا مع الاستقلال عنه رياديًا وسياسيًا، حتى تكون مصر «قوة كبرى إقليميًا وإحدى القوى الفعالة دوليًا، دولة لا تنصاع لأي قوة مهما كبرت وبلغت من أسباب الرفعة والتقدم ، ولا تقبل أن تكون تابعة أو ممالئة لقوة، كانت ما كانت» ـ على حد تعبير الدكتور الباز ـ .

وأخيراً:

فنعيد ما ذُكر في أول الحلقة الأولى من هذا المقال، من أن الإسلاميين يجب أن يرقبوا واقعهم ويتابعوه ـ كلٌ بحسب قدراته وإمكاناته ـ ، وينقدوا ما يُطرح نقداً متوازنًا منصفًا، ويظهروا ـ بدون تردد ـ عوار المناهج الوضعية، كما نذكّر بأن هذا النقد لمثل هذا المشروع لا يهدف إلى (تصحيحه وإصلاحه)؛ لأن ما قام على باطل فهو باطل، والعلمانية أساس منبتّ الصلة عن ديننا وأمتنا، لا يصلح أن يجمّل ببعض الوصفات أو الصبغات الإسلامية!..

فإذا لم يكن الإسلام هو البديل ، فما هو البديل؟!.





والعالم

الإسلام والمسلمون في
تنزانيا
(٢ من ٢)

بعد استعراض لتاريخ هذه الدولة وكيف دخلها الإسلام، وبعد إطلالة على أوضاع المسلمين هناك، يواصل الكاتب معالجة بقية الموضوع، مذكراً ببعض الأمور التي يرى أنها في حاجة للعناية بها من أجل النهوض بالعمل الإسلامي في تلك البلاد:

- البيان -

١- الاهتمام بالتعليم:

أهم الخدمات التعليمية التي تدعو الضرورة إلى توفيرها للمسلمين هناك، وهي:

- المدارس الابتدائية الإسلامية العصرية:

إن التعليم الابتدائي هو الأساس في تكوين شخصية المسلم المتميز.

وحكومة تنزانيا - تحت رئاسة الرئيس السابق «جوليوس نيريري»، الحاقد على الإسلام - لم تسمح بافتتاح مدارس ابتدائية غير حكومية، والهدف من ذلك هو: منع المسلمين من تربية النشء على المنهج الإسلامي؛ وبالتالي: تكوين شخصية علمانية ليسهل السيطرة على المسلمين، وقد حقق بعض النجاح في هذه الخطة الخبيثة، إلا أن المسلمين لما رأوا هذا الخطر بدؤوا يطالبون بحقوقهم، وكان نتيجة ذلك: أن سُمح لهم بافتتاح مدارس بالمرحلة الابتدائية، فما على المسلمين إلا انتهاز هذه الفرصة الذهبية.

- المدارس الثانوية والمعاهد الفنية الإسلامية:

التعليم الثانوي الذي يؤهل للتعليم العالي، والمدارس الفنية سيساعدان المسلمين على مواصلة التعليم وتعلم الحرف التي تساعدهم على الاعتماد على النفس - بعد الله - والاشتغال بأعمال طيبة، بدلا من البطالة التي

المسلمون



والعالم

بقلم: سعيد عبيد الله

تجرهم إلى ما لا يحمد عقباه.

- المعاهد الدينية:

هناك حاجة أيضاً إلى وجود المعاهد الدينية، فالمعاهد الموجودة الآن في تنزانيا غير كافية من حيث العدد ومن حيث المستوى التعليمي، حيث إنها على مستوى (المرحلة المتوسطة) فقط، فالحاجة ماسة إلى وجود معاهد أخرى ذات مستويات أعلى.

- دور تأهيل المسلمات:

كما يحتاج المسلمون إلى مراكز لتأهيل النساء اللاتي تحتاجهن المدارس والمستوصفات ودور الأيتام التي ترعى أبناء المسلمين.

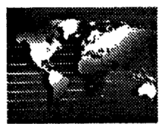
- معاهد إعداد المعلمين:

هناك حاجة أيضاً إلى معاهد إعداد المعلمين، حيث سيساعد ذلك في إعداد المعلمين المسلمين للتدريس في المدارس الابتدائية والثانوية الإسلامية، حيث إن المعلمين في هذه المدارس تم أعدادهم في المعاهد الحكومية أو الكنسية التي لا تلتزم في إعداد المعلمين بأي التزامات سلوكية؛ مما يسبب تخريج معلمين غير ملتزمين إسلامياً.

٢- الدعوة في حصص الدين الإسلامي في المدارس الحكومية:

وعلى المسلمين أن يستغلوا فرصة إتاحة الحكومة التنزانية تدريس الديانات في مدارسها، بالعمل على الاهتمام بتدريس حصص الدين الإسلامي، واستغلالها مساحة دعوية مهمة، وحماية لأبناء المسلمين من التنصير الذي قد يقعون تحت طائلته إذا حضروا حصص الدين النصراني

المســلمون



والعـــالم

في حالة عدم وجود من يدرّس الإسلام.

٣ـ إقامة دروس تقوية:

هناك أيضاً الحاجة إلى إقامة دروس تقوية للطلبة المسلمين الدارسين في المدارس الحكومية والخاصة؛ لكي يتفوقوا في دروسهم ويتفوقوا في الامتحانات، ونقترح أن تقام هذه الدروس في المدارس القرآنية، وفي المساجد، وذلك لربط هؤلاء الطلاب بالبيئة الإسلامية، كما نرى الحاجة إلى دروس في الثقافة الإسلامية مع دروس التقوية، وذلك من أجل ربط الطلبة بثقافتهم الإسلامية.

٤ـ إقامة محطات الإذاعة والتلفزة الإسلامية:

لا شك أن محطة الإذاعة والتلفزيون لها دور كبير في التثقيف والتوعية والتعليم، حيث تستطيع بما تبثه ـ عبر برامجها ـ المسموعة والمرئية اختراق حواجز الزمان والمكان لتصل إلى المستمعين والمشاهدين بسهولة، والمحطات الإسلامية لا توجد في تنزانيا، بل لا توجد في شرق إفريقيا كلها، تلك المنطقة التي تتكلم باللغة السواحيلية، في حين تملك الكنيسة أربع إذاعات، وهي موجودة في مدينة (موشي)، ومدينة (عروشا)، ومدينة (سونغيا)، كما أن لها محطة تلفزيونية في مدينة (دار السلام)، كما أن للرافضة محطة تلفزيونية في مدينة (دار السلام).

ولأهمية الحاجة إلى وجود محطات إذاعية وتلفزيونية إسلامية في تنزانيا التي ستنقذ المسلمين في جميع دول شرق إفريقيا طلب رئيس الجمهورية التنزانية السيد «علي حسن موريني» من الأمين العام للجنة مسلمي إفريقيا الدكتور «عبد الرحمن السميط» ـ في لقائه مع الرئيس في منزله في دار السلام عام ١٩٩١م ـ أن تفتتح المؤسسة المذكورة الإذاعة الإسلامية (إذاعة القرآن الكريم) في تنزانيا، ولعل ذلك يكون في خطة المؤسسة المذكورة وحسب أولوياتها الدعوية في إفريقيا.

والجدير بالذكر: أن الحكومة التنزانية قد وافقت على وجود الإذاعات والتلفزيونات الخاصة في تنزانيا، والنصارى قد انتهزوا هذه الفرصة.



٥- إقامة الدورات التدريبية:

ونرى أن تكون إقامة هذه الدورات لتحقيق أهداف عدة، منها:

١ - رفع الكفاءة العلمية والدعوية للدعاة.

٢ - تدريب الدعاة والمعلمين على طرق تدريس المنهج الشرعي في عقيدة والعبادة والسلوك.

٣ - التنبيه على بعض البدع السائدة، التي اعتادها العوام؛ لما ألفوه من طرق الصوفية على وجه الخصوص.

٦- إقامة الندوات العلمية والثقافية:

هناك حاجة أيضاً إلى إقامة الندوات العلمية والثقافية الإسلامية توضيح الحقائق الإسلامية ومعالجة القضايا الإسلامية المختلفة، خاصة لك الشبهات المثارة من قبل أعداء الإسلام.

٧- إقامة المكتبات الصوتية والمرئية الإسلامية:

نظراً لانتشار وسائل الإعلام الحديثة من المسجلات والفيديو التي تقتنيها الآن كثير من الناس: فإن هناك حاجة إلى اقتحام هذا المجال دعوياً، ذلك بافتتاح المكتبات الصوتية والمرئية الإسلامية لبيع ونشر أشرطة كاسيت والفيديو الإسلامية التي تحوي القرآن الكريم ومحاضرات دروساً ومواعظ، وهناك حاجة إلى أن تكون هذه المحاضرات والدروس لمواعظ باللغة السواحيلية والإنجليزية والعربية.

٨- مكتبات بيع الكتب:

وهناك حاجة إلى إنشاء مكتبات للمراجع والكتب الإسلامية، وخاصة راجع المهمة في العلوم الشرعية؛ فمعظم المسلمين والدارسين على خصوص يحتاجون إلى هذه الكتب، لكنها غير متوفرة، وبما أن هذه الكتب س من السهل توزيعها مجاناً: فالأحسن بيعها بسعر التكلفة مساهمة في عم طلبة العلم وتشجيعهم على اقتناء الكتب الإسلامية المفيدة.

كما أن هناك حاجة إلى وجود المكتبات العامة، وهذه المكتبات تساعد من ليس لديه القدرة على شراء الكتب على الاستفادة من هذه

المســلمون



والعــالم

الكتب في المكتبات في المحافظات.

٩ـ نشر الكتاب الإسلامي:

هناك حاجة إلى نشر الكتاب الإسلامي في تنزانيا باللغة السواحيلية وأهم الكتب التي نرى الحاجة إلى نشرها هي التي تتكلم عن:

١ ـ العقيدة الإسلامية الصحيحة، حيث إن كثيراً من القضايا العقدية مشوهة ومغلوطة لدى كثير من المسلمين.

٢ ـ ما يتطرق للتصور الصحيح للإسلام.

٣ ـ الردود على الشبهات المثارة ضد الإسلام.

٤ ـ القضايا الشرعية، من فقه (خاصة أركان الإسلام) وغيره.

٥ ـ السيرة النبوية، وتاريخ الخلفاء الراشدين، والأذكار.

١٠ـ إصدار النشرات الإسلامية:

هناك حاجة أيضاً إلى إصدار النشرات الإسلامية باللغة السواحيلية لتتحدث تلك النشرات عن المعاني الإسلامية والمقاصد التربوية لهذه الموضوعات، على أن تكون طباعة الكتب والنشرات طباعة جيدة أنيقة تجذب القارئ لقراءتها واقتنائها.

١١ـ القوافل الدعوية:

إن القوافل لها أهمية من ناحية الاستطلاع والتعرف على واقع المسلمين واحتياجاتهم وظروفهم، ومن ثم: القيام بواجب الدعوة فيما بينهم.

وقد أخبرنا أحد الأطباء المسلمين ـ وهو الدكتور «هارون عمر» ـ الذي يشارك في القوافل الدعوية التي يقيمها مركز شباب الأنصار في محافظة (تانغا) بالتعاون مع الندوة العالمية للشباب الإسلامي، أن هذه القوافل ـ خاصة إذا ركزت على القرى ـ تستطيع أن تقضي على كثير من الانحرافات العقدية، وقال: إن كثيراً من المسلمين في القرى ـ نتيجة الجهل بالإسلام الصحيح، والفقر، وقلة الخدمات الصحية ـ إذا مرضوا سرعان ما يلجؤون إلى المنجمين والمشعوذين؛ ولهذا: تجد كثيراً من حالات تعليق التمائم في القرى بين عامة الناس نتيجة جهلهم بالدين الصحيح.



فالقافلة تستطيع القضاء على هذا، حيث يقوم الطبيب المرافق للقافلة بالكشف على المريض ويعطيه الدواء المناسب، والمشائخ من جانبهم يوضحون للمسلمين العقيدة السليمة والإسلام الصحيح، وبذلك: استطاعت تلك القوافل القضاء على كثير من الانحرافات، وبالتالي: إيصال الدعوة وتصحيح العقائد.

٢ ١ـ مساعدة بعض المنظمات الإسلامية المحلية:

هناك حاجة في نظرنا إلى مساعدة بعض المنظمات الإسلامية المحلية النشيطة؛ من أجل أن تواصل أنشطتها، وأهم هذه المنظمات التي نرى أنها تحتاج إلى المساعدات هي :

١ ـ جمعية مركز الأنصار للشباب المسلم، (تانغا).

٢ ـ جماعة أنصار السنة، (دار السلام).

٣ ـ جماعة أنصار السنة، (عروشا).

٤ ـ اتحاد المدرسين المسلمين في تنزانيا، (دار السلام).

٥ ـ اتحاد الطلبة المسلمين في جامعة دار السلام.

٦ ـ معهد مروة الإسلامي، (امتوارا).

٣ ١ـ الاهتمام بالدعاة:

بما أن تنزانيا ذات مساحة كبيرة: فإن هناك حاجة إلى دعاة كثيرين، بل وهناك حاجة أيضاً إلى الاهتمام والعناية بهم، فمما لا يماري فيه أحد: أن جل الأعمال الدعوية ونجاح الدعوة نفسها يعتمد ـ بعد الله (سبحانه وتعالى) ـ على هؤلاء الدعاة، ولذلك: كان من الأهمية بمكان العناية بالدعاة بتوفير ما يسد الحاجات الضرورية لعيشهم اليومي من سكن، وقوت، وعلاج، وكسوة.. وأيضاً: توفير ما يعين على عملهم من وسائل؛ لكي يبذلوا المزيد من الجهد ويتفرغوا للدعوة.

المسلمون



والعالم

معالم على طريق الأدب الإسلامي

(٢ من ٣)

المرجعية التعبيرية والتصويرية والدلالية

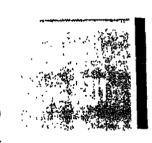


طاهر العتباني

قدم الكاتب في الحلقة الأولى ـ تفصيلاً ـ المعايير والأسس التي بنى عليها متبنو مصطلح (الأدب الإسلامي) مقومات قبوله ووجوده، ثم بدأ بإلقاء الضوء على بعض قضايا الأدب من منظور إسلامي، معالجًا قضايا : التنظير والنموذج، والشكل والمضمون، ويواصل في هذه الحلقة معالجة قضايا أخرى. ـ البيان ـ

لا شك أن كل عملٍ أدبي ينتمي إلى فكر معين أو تصور محدد يحمل في مضامينه ونسيجه الداخلي سمات هذا الفكر وذلك التصور الذي ينتمي إليه، لا مجرد الفكرة التي يعبر عنها والدلالات التي يشير إليها .

ولقد رأينا كيف أن النموذج الغربي في القصيدة والقصة والمسرحية والرواية حمل إلى جانب الفكرة التي يحملها والدلالة التي يعبر عنها ويريد إيصالها للقارئ، حمل معها إلى جانب ذلك في نسيجه الداخلي من أدوات التعبير المختلفة من الاستعارات والمجازات والصور التعبيرية.. قسطًا وفيراً من الصور والمجازات والإشارات التي تضرب في عمق التاريخ الغربي منذ العهد اليوناني وحتى العهد الروماني النصراني، وتمتح من قيمه التاريخية والفلسفية والمثيولوجية .



لقد رأينا كيف أن (الفردوس المفقود) «لميلتون»، و(كوميديا) دانتي، ومسرحيات شكسبير، والشعر الرومانسي... وغير ذلك، رأينا كيف حملت هذه الأعمال الأدبية الكبرى روحًا نصرانية، واتخذت من الكتاب

المقدس (الأسفار والأناجيل المحرفة)، وكذلك التاريخ الأوروبي منذ العهد اليوناني بأساطيره وآلهته المتعددة، التي مثلت العقائد الوثنية في ذلك العهد.. إطاراً مرجعيًّا انطلقت منه، لا في موضوعات هذه الأعمال فحسب، بل كذلك في بنائها الداخلي وصورها التعبيرية مما يمكن أن نسمّيه: المرجعية التعبيزية، والتصويرية، والدلالية.

ثم انتقل هذا التأثير إلى الأدب العربي المعاصر، فوجدنا الشعراء والمسرحيين والروائيين يعتمدون ـ كما اعتمد أولئك الغربيون ـ على التاريخ اليوناني بأساطيره ووثنياته، وكذلك التاريخ الروماني والأوروبي بماديته، بشكل عام، كمرجعية تعبيرية وتصويرية ودلالية، فشاع في الشعر العربي المعاصر استخدام الأسطورة للتعبير عن الفكرة وتصوير القضية التي يراد طرحها على المتلقي.

وكمثال مبكر على ما نقول: يمكن مراجعة بعض قصائد الشابي، وعلي محمود طه، وعبد الرحمن شكري.. على سبيل المثال، لنرى كيف استخدم هؤلاء هذه الأساطير في أشعارهم منذ وقت مبكر.

فعند علي محمود طه ـ مثلاً ـ نرى كيف سيطر عليه جو الأسطورة اليونانية مما ذكر طرفًا منه في مقدمة ديوانه «أرواح وأشباح».

وفي الأعمال المسرحية المبكرة رأينا كيف اتخذ توفيق الحكيم من أسطورة «جالاتيا» و «بجماليون» مرجعية تعبيرية ودلالية لعرض فكرة قلق الفنان أو الأديب إزاء فنه، وكذلك غيرها من مسرحياته.

ثم ما انتصف القرن الحالي حتى شاع هذا الأمر في أدب الشعراء والكتاب والمسرحيين والروائيين العرب، وأصبح شعر ما بعد العقد السادس من هذا القرن إلى يومنا هذا تهيمن على صوره ومرجعيته التعبيرية أساطير اليونان والرومان وتاريخهم، وكذلك أساطير الفترات السابقة للعصر الإسلامي، كأساطير بلاد الرافدين والآشوريين والفراعنة.. وغيرها من الفترات التي انقطعت حضاريًّا بعد ظهور الإسلام، مثل أسطورة «عشتار» في العراق، وأمثالها في العصر الفرعوني، كقصة «إيزيس وأوزوريس» الفرعونية.. وغيرها.

كل هذا سيطر على الأدب العربي المعاصر، وأصبح يشكل مرجعيته

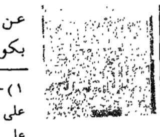
التعبيرية والتصويرية والدلالية .

ونذكر على سبيل المثال عدداً من أولئك الذين شاع في شعرهم الاتكاء على مثل ذلك من أساطير ووثنيات وميثولوجيات كإطار مرجعي وتعبيري للصورة، والدلالة، بل والفكر .

من هؤلاء: السياب، ونازك، والبياتي من العراق، وما تلاهم من أجيال الحداثة، وفي مصر: صلاح عبد الصبور، وأحمد عبد المعطي حجازي، وبعض أشعار أمل دنقل، وفي سوريا وبلاد الشام: أدونيس، ومحمود درويش، وسعيد عقل، ونزار قباني.. وغيرهم، وفي السودان: محمد الفيتوري وغيره.

ولم يعد الأمر يقتصر على الاستعانة في التعبير بعناصر مستمدة من هذه الأساطير وما تدور حوله من الحديث حول الآلهة! وصراعها مع بعضها ومع بني البشر، بل إن الأمر تعدى ذلك كله لتصبح الأفكار النصرانية كفكرة الخطيئة والصلب وفكرة الخلاص، والاستهزاء بلفظ الإله ـ فَيَرِدُ في أي سياق وفي أي نمط تعبيري يقضي على قداسة هذه الكلمة ومفهومها في فكر المسلم وعقيدته ـ أصبح كل ذلك أدوات تعبيرية وتصويرية، حتى لقد وصل الأمر بأحد نقاد الحداثة أن يقول: «الحداثة انقطاع معرفي؛ ذلك أن مصادرها المعرفية لا تكمن في المصادر المعرفية للتراث في كتب ابن خلدون الأربعة أو اللغة المؤسساتية أو الفكر الديني، وكون الله مركز الوجود، الحداثة انقطاع لأن مصادرها المعرفية هي اللغة البكر والفكر العلماني، وكون الإنسان مركز الوجود.

الحداثة ليست انقطاعاً نسبيًّا فقط، بل هي أعنف شرخٍ يضرب الثقافة العربية في تاريخها الطويل، ليس في الثقافة العربية ما يعادل هذا الانشراخ المعرفي والروحي والشعوري الذي يكاد يكون انبتاتاً لا انقطاعاً وانفصالاً عن الجذور، لا يَبقى فيه من رابط سوى اللغة بأكثر دلالتها أوليةً، أي بكونها قاموساً مشتركاً للتواصل»[1] .



١) جريدة (المسلمون): مقال للدكتور «جابر قميحة» عن نظرية النقد الحداثية التي تقوم على فكرة «موت المؤلف»، المنقولة عن «رولان بارت» الناقد الفرنسي، في معرض استشهاده على فكر الحداثة، والكلام المنقول لكمال أبو ديب.

هذه هي الصورة التي وصل إليها فكر الحداثيين وتصورهم الفني والأدبي والمعرفي لتراثنا وتاريخنا وفكرنا الإسلامي واللغة العربية التي هي الوعاء الذي يحمل ذلك كله، ولقد جاء شعر الحداثيين مؤازراً لهذه التصورات مُطَبِّقًا لها، وأصبح الاستهزاء بكل ما يرمز إلى الإسلام والدين في نفوس أبناء الأمة هدفًا رئيسًا لكتابات الحداثيين:

يقول عبد المنعم رمضان ـ وهو من أجيال الحداثة المصرية في العقد الثامن ـ في ديوان له بعنوان (الغبار)، يقول تحت عنوان (جسد):

جسد يدخل في جسدٍ
يتوالد هذا الرحم الواضح مثل الأرض
يصير مساحة أغراب أخرى تتحاذى
والناس هنا يمشون على الأعشاب
الناس هنا يقصون الله (!)
عن الجمرات الدافئة المسكونة
الناس هنا أوردةٌ
تطفو ساعة يطلق فيها
اليشمك والجنيُّ وبارحة النسيان [١]

وأستطيع أن أقول: إن هذا الديوان ـ وأمثاله كثير ـ يكاد يغص بمثل هذه الترهات والأباطيل، التي أعجب كيف تسمى شعراً؟!، وكيف تنشرها مؤسسات فكرية وثقافية رسمية في بلادنا؟ [٢] .

ويمكن مراجعة دواوين وإصدارات وقصائد كلٌ من رفعت سلام، وحلمي سالم، وحسن طلب، ومحمد أبو دومة.. لنقف على كثير من الغثاء، والشذوذ، والانحراف الفكري والفني.

كما يمكن مراجعة ما تنشره حاليًا مجلة (إبداع) المصرية وغيرها من المجلات الأدبية المتخصصة في أقطار العالم العربي.

ما الدور المطلوب:

ماذا على الشاعر المسلم والروائي المسلم والمسرحي إزاء ذلك كله؟.

---

١) ديوان (الغبار) لعبد المنعم رمضان، ص ١١٣، من إصدارات الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٩٣م.

٢) يلاحظ أن المؤسسات الثقافية ودور النشر لا تقف ضد منشورات الحداثيين التي فيها تهجم على الإسلام والعقيدة؛ بل وتسعى جاهدة لنشرها، وذلك ملاحظ على مستوى أكثر أقطار العالم العربي.

إن على الأديب المسلم مهمةً مضاعفةً في عمله الفني، إن عليه أن يمتد ببصره وبصيرته الفنية إلى مصادره المعرفية والثقافية الإسلامية، وأولها: القرآن، وثانيها: السنة، وثالثها: تاريخ الإسلام وسير عظمائه وأبطاله ووقائعه وأحداثه؛ ليتخذ من هذا كله وسيلةً تعبيرية ومرجعية دلالية، بحيث يستوحي ذلك كله ويستلهمه في أعماله الأدبية، فبلاغة القرآن، وصوره، وتعابيره، وقصصه، وما يدخل في تضاعيف ذلك كله: يجب أن يستثمره الشاعر والأديب لكي يبني نسيج عمله الأدبي الداخلي، ويرسم صوره واستعاراته ومجازاته ووسائله التعبيرية داخل عمله الأدبي من خلال ذلك كله، فيصبح العمل الأدبي من أي النواحي أتيتَه عملاً إسلاميًا، إذا درسته فكريًا: طالعتك مفاهيم الإسلام وعقائده وتصوراته للكون والحياة والإنسان، وإذا درسته فنيًا وتعبيريًا: طالعتك روح القرآن والسنة وتعبيراتهما ومجازاتهما وأساليبهما التعبيرية والدلالية [١].

ففي ديوان «نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني»[٢] يستعمل الشاعر الفلسطيني محمود مفلح صور القرآن ودلالاته وصور السنة النبوية والسيرة والتاريخ الإسلامي كخطوط أساسية للصورة الشعرية، ولقد استطاع باقتدار أن يجعل نسيج القصيدة وبناءها الداخلي ينطق ـ كما ينطق مضمونها وموضوعها ـ بسَمْتِها الإسلامي الأصيل.

وفي قصيدة (قال الهدهد) للشاعر نصار عبد الله استلهام جميل لقصة «هدهد سليمان» في التعبير عن واقع العالم العربي اليوم، يقول الشاعر

---

١) حول «المجاز» في القرآن والسنة هناك رأيان، الاول: يرى أن القرآن والسنة تعبيراتهما على الحقيقة ولا يوجد فيهما ما يمكن أن نسميه (المجاز)، والرأي الآخر: يرى أن أساليب القرآن تجري على الأساليب العربية التي تنقسم إلى أساليب حقيقية ومجازية كالاستعارة والكناية والتشبيه.. وغيرها من أساليب البلاغة العربية، وقد انتصر شيخ الإسلام ابن تيمية للرأي الأول، ولكن باحثًا وعالمًا معاصرًا هو الدكتور القرضاوي يرجح الرأي الثاني ويستدل على ذلك بأدلة كثيرة وردت في القرآن والسنة، وهو ما يذهب إليه صاحب هذه الدراسة، خصوصًا وأن رأي الإمام ابن تيمية لا ينكر وجود التشبيه والاستعارة والكنا في أساليب القرآن، وإن لم يسمها مجازات، لورود أمثالها في لغة العرب.

٢) ديوان «نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني»، من إصدارات دار الوفاء المصرية.



نصار عبدالله في (قال الهدهد):

قال الهدهد:

في كل زمانٍ عاش سليمان
وسليمان الآن
يسائلني في بعض الأحيان
عن نبأٍ من سبأ
أوْ ما يشبهُ سبأً
فأقول له :
إني من كل مكانٍ أحمل نبأ

إني شاهدت بلاداً يحكمها أفاقون وكذابون
ولصوصٌ محتالون وسفاحون
وذبّاحون هَداهدَهمْ
ومُولُّون محاريب معابدهمْ
نحو موائدهم
ومصلون لم يسمع أحد منهم عن ملك
سليمان [1] .

والقصيدة بطولها في ديوان الشاعر (قصائد للصغار والكبار).

وفي قصيدة (القدس حين تغيب عن موكب الهجرة) للشاعر أسامة عبد الرحمن استلهام رائع للتاريخ الإسلامي في الصور والتعبيرات والدلالات، يقول الشاعر في قصيدته تلك :

على صعيدك من وهج البراق سنا ... يكاد يخترق المكسيكَ والصينا
أكاد ألمح فيك وقع حافرهُ.. ... أكاد أسمع همسات النبيّينا
أكاد في الحرم الأقصى وساحته ... أرى النبيَّ وقد أمَّ المصلينا [2]

وفي قصيدة (لو تقرئين صحائفي) يقول أسامة عبد الرحمن أيضاً:

ما بال خيل بني «أمية» أجفلت ... ما بالها نكصت على الأعقاب
ما بال صقر قريش داهمه الأسى ... كالليل حتى صار مثل غراب
ما بال «حلق» أقفرت جناتها ... وخلت من الأطيار والأطياب
ما بال قاهرة المعزِّ تسربلتْ ... بالذل فوق شواطئ وروابي
ما بال تاريخي الطويل تمكنت ... منه سموم الرجف المرتاب [3]

إن بإمكان الشاعر المسلم، والروائي المسلم، والقصاص والمسرحي المسلم...

---

١) ديوان (قصائد للصغار والكبار) للشاعر نصار عبد الله، من إصدارات الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ١٠٣ ـ ١٠٥.

٢) ديوان (استوت على الجوذي) لأسامة عبد الرحمن، المطابع الأهلية بالرياض، ص٦٢ -٦٣.

٣) السابق، ص ٨٢، ٨٣ .

أن يستعينوا بهذا التراث والتاريخ كله ليفجر من خلال استلهامه له أعمق الصور تأثيراً، وأعظم القيم التعبيرية جمالاً، في إطار الرؤية الإسلامية للأدب.

ومن يطالع «قاتل حمزة» و«عمر يظهر في القدس» من الأعمال الروائية لنجيب الكيلاني، وكذلك من يطالع مسرحيات علي أحمد باكثير: يجد كيف استفاد هؤلاء من الصور القرآنية والتاريخ الإسلامي في نسيج وبناء العمل الأدبي شعراً، ومسرحية، وقصة، ورواية.

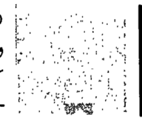
وإذا كان الشاعر الحداثي المعاصر قد استعمل أيضًا التراث العربي والتاريخ الإسلامي، بل والتناص مع نصوص القرآن والسنة، فإن الملاحظ كذلك على ما استعمل من ذلك كله أنه اقتصر ـ في مجال التاريخ الإسلامي والتراث العربي ـ على الشواذ من هذا التاريخ والتراث، ممن عرفوا بأفكار شاذة أو آراء متناقضة مع العقيدة الإسلامية:

فالحلاج، وابن عربي، وإخوان الصفا، وغلاة الباطنيين.. وغيرهم ـ ممن عُرفوا بالشذوذ الفكري أو الأخلاقي عبر تاريخنا المشرق المضيء ـ يصبحون في أعمال المعاصرين من الشعراء والمسرحيين والروائيين، أبطالاً ونماذج.

كذلك أسيء فهم مواقف كثير من عظماء هذا التاريخ في أعمال المعاصرين الأدبية، وتم تفسيرها تفسيراً مناقضًا للفكر الإسلامي الصحيح والتصور الإسلامي القويم، أو تم الاعتماد على الروايات الضعيفة والمكذوبة فيما يتعلق بأخبارهم ومواقفهم.

ففي مسرحيته (الرجل المجهول) لعز الدين إسماعيل: يصور الخلاف الذي وقع بين عثمان بن عفان وأبي ذر الغفاري (رضي الله عنهما) صراعًا على المال والسلطان، وهذا افتراء وتزوير.

وفي مسرحية (مأساة الحلاج) لصلاح عبد الصبور: يجعل الشاعر «الحلاج» أحد أبطال التاريخ الإسلامي رغم ما ثبت من قوله بفكرة «الحلول والاتحاد» التي تناقض عقيدة الإسلام الصحيحة، ويعتمد المؤلف فيها على كتاب عن الحلاج كتبه المستشرق الغربي الفرنسي «لوي ماسينيون»[1].



1) راجع التذييل الذي كتبه صلاح عبد الصبور عن مصادره في أخبار الحلاج.

وكذلك من الحداثيين المعاصرين «مهدي بندق» في مسرحيته (غيلان الدمشقي)، التي استهزأ فيها بمواقف رجل من التابعين هو «رجاء بن حيوة» الذي قيل فيه: «برجاء بن حيوة وأمثاله نُنْصَر»[1]، كما سخر من الحجاب الإسلامي في جرأةٍ عجيبة وتطاولٍ غريب.. ولا تزال هذه النماذج تملأ مكتباتنا ومؤسساتنا الثقافية يوماً بعد يوم.

إن على الأديب المسلم أن يقف موقف المدافع والمصحح لذلك كله؛ إذ عليه وهو ينسج عمله الأدبي شعراً كان أو قصةً أو رواية أو مسرحيّة أن يكون القرآن الكريم والسنة المطهرة ومواقف التاريخ الإسلامي والتراث العربي حاضرة في وجدانه، يختار منها ما يناسب موضوعه وقضيته التي يطرحها في عمله الأدبي، كما أن عليه أن يعي دلالات الصور القرآنية، ودلالات القصص القرآني، فيستخدمها الاستخدام الذي يترك الأثر الإسلامي المطلوب، أو على الأقل: الأثر الذي لا يتناقض مع التصور الإسلامي في نهاية الأمر.

ولقد استعمل الحداثيون الصورة القرآنية، والتعبير القرآني، ولكنهم حين عكسوا دلالاتها وصورها، وقلبوا معانيها في كتاباتهم إلى معاني مناقضة للتصور الإسلامي: تركوا بها في نفس القارئ أثراً غير حميد، ومعنى يناقض ما سيقت له في سياقها القرآني، ومن ذلك: ما يقوله عبد المنعم رمضان تحت عنوان (الرسوله/٢)[2]:

«إنني أشتاق إلى شجر الزقوم، وأحسب نفسي امرأةً حين أمرر رجلي فوق شواظٍ من نارٍ ونحاس، أنفذ من أقطار الأرض بسلطاني، وأمر إلى آنيتي، أشرب شرب الهيم، وأفرد جسمي فوق فراشٍ من عهن منفوش، لا يألفه غيْري، فتباركت تباركت، التف على جسمي بذراعيك، وآكلني من شجر الحنطة؛ حتى نعلم أنا عريانان، تفوح لنا رائحةٌ، وبأوراق التين تغطيني وتغطي نفسك».

وهكذا أصبح هذا الهوس غير الواعي، والهرطقة غير المحكومة بأي قانون

---

١) القول لمسلمة بن عبد الملك، انظر سير اعلام النبلاء، ٤/٥٦١، نقلاً عن «صور من حياة التابعين، جـ٢ ، د. عبد الرحمن رأفت الباشا.

٢) ديوان «الغبار» لعبد المنعم رمضان، ص١٠٠.

لغوي أو فني .. هي الشائعة فيما يُكتب اليوم.

إن على الأديب المسلم أن يصوغَ عقل قارئه من خلال تأكيد المعاني القرآنية والصور والدلالات الإسلامية، وإبراز الجوانب المشرقة في التاريخ الإسلامي، والتأكيد على أن ما حدث من خروج على قيم الحضارة الإسلامية من أحداث تاريخية يؤكد القاعدة، ولا يعطي لهذه المواقف الشاذة إلا كونها شواذ في التاريخ الإسلامي، حينما خرجت بعض حقبه أو رجاله عن المفهوم الصحيح للإسلام وتصوره للكون والحياة والإنسان، أو عن مقتضى ذلك التصور.

كما أن الشعر العربي بتاريخه الطويل يمكن أن يكون إطاراً مرجعيًّا من خلال صوره وقضاياه وتعبيراته، يمكن أن يدخل ضمن الإطار المرجعي للصور والتعبيرات والدلالات لدى الشاعر والأديب المسلم المعاصر، ويستطيع ـ لو أحسن استيعابه ـ أن يخرج من كل ذلك بمذاقات فنية مختلف ألوانها ولها رونق المعاصرة في آن واحد، وليعالج من خلال ذلك كله قضايا عصره وأمته من المنظور الإسلامي الصحيح.

فعلى الأديب المسلم مهمةٌ مضاعفةٌ: إن عليه أن يتمثل كل ذلك في أدبه ويوجهه الوجهة الإسلامية التي تترك في نفس القارئ الأثر الإسلامي المطلوب في العمل الأدبي الإسلامي، فقد يستخدم الشاعر أو الأديب في موضوعه رمزاً إسلاميًّا أو موضوعاً من الموضوعات الإسلامية، ثم ينظر إليها نظرة علمانية غربيَّة، ويضفي عليها روحاً مغايرةً للتصور الإسلامي للأدب، فيخرج بها عن دلالتها الحقيقية ورؤياها الإسلامية الأصيلة .

كما أن استلهام صور القرآن والسنة ومجازاتهما وتعبيراتهما ودلالاتهما وقصصهما وأحداث السير والتاريخ الإسلامي .. لا يعني عدم استلهام التراث الإنساني بصفة عامة والاستفادة منه، ولكن على شرط أن يدخل ذلك في إطار التأثير الإسلامي المطلوب، وألا يسرف الشاعر أو الأديب في استخدامه، مُعْرضاً عن تراثه الحقيقي، وإطاره المرجعي الأصيل؛ فعليه ـ إذن ـ أن يراعي النسب، ويدرك إلى أي جانب ينتسب، وهل الأَوْلى أن يمتح من مائه المعين، أم يدلي دلوه في ركام الثقافات والأفكار والتصورات المناقضة

لتصوره الإسلامي الصحيح وفكره المتميز؟!.

ويمكن مراجعة قصيدة (الخيزران والبلوط) لنصار عبد الله، حيث استعمل الشاعر حكاية الخيزران والبلوط التي كتبها الشاعر الفرنسي «فولتير»، واستطاع استثمارها فنيًا ليرسم لنا صورة الصراع الاجتماعي الذي ينتهب أجيال الكبار، وينتهي بالهلاك لكل من يدخل هذا الصراع، ويبقى جيل الصغار في النهاية هو الذي يصنع المستقبل، ويبقى فيه الأمل بإعطاء الحياة معنًى جديدًا، بعد أن أكل الحقد والضغينة والكبرياء أجيال الكبار.

ونقتطف هنا مقطعًا من هذه القصيدة للشاعر نصار عبد الله :

وفجأةً أرعدت السماء

واهتزت الضفاف بالزلزالْ

ومادت الجبالْ

تدحرج البلوط داهسًا بجذعه العيدان والسيقان

الخيزران صار قطعةً من العجين في يد العجان

* * *

وانفجر النجيل ضاحكًا

إني أنا المنتصر الوحيد في النهايهْ

أنا الذي أهمله الكبار في الحوارْ

ولم تُشر إليه أسطر الحكايهْ (١)

وهكذا تتكامل النظرة في الأدب الإسلامي لكل جوانب المعرفة الإنسانية، فتقبل من المعارف الإنسانية والثقافات والأفكار ما يتفق مع التصور الإسلامي، أو ما لا يختلف عنه، في إطار الحكمة التي هي ضالة المؤمن، أنّى وجدها فهو أحق الناس بها .

---

١) ديوان (قصائد للصغار والكبار) لنصار عبد الله، ص ٤٤، ٤٥.

أين البرّاء؟

كان الصحابي الجليل البراء بن مالك إذا اشتدت الحرب بين المسلمين والكفار يقولون: «يا براء أقسم على ربك؛ فيقسم على الله؛ فينهزم الكفار»، فتساءلتُ: أين بيننا من هو مثل البراء؟، وتداعت هذه القصيدة:

أَيْنَ «الْبَرَاءُ» فَقَدْ هَجَمْ … لَيْلٌ، وَأَقْبَلَتِ الظُّلَمْ

وَاسْوَدَّتِ الآفَاقُ حَتْـ … ـى حَارَ فِيهَا مَنْ حَلُمْ

وَتَوَالَتِ الأَوْهَامُ فِيـ … ـنَا حَامِلاتٍ كُلَّ هَمّ

لَمْ يَبْقَ فِينَا مِفْصَلٌ … إِلاَّ تَخَلَّعَ أَوْ رَزَمْ

لَمْ يَبْقَ فِينَا مِئْزَرٌ … إِلاَّ تَمَزَّقَ وَانْخَرَمْ

هَذِي يَدِي مَشْلُولَةٌ … وَلِسَانُ حَالِيَ قَدْ بَكِمْ

وَالنَّاسُ يَا رَبَّاهُ أَضْـ … ـحَوْا فِي الْحَظِيرَةِ كَالْغَنَمْ

يَلْهُو بِهَا الرَّاعِي الْغَشُو … مُ وَيَسْتَبِدُّ بِهَا صَنَمْ

وَيَذُودُهَا عَنْ دَارِهَا … لِصٌّ وَتَحْسَبُهُ حَكَمْ

تُلْقِي لَهُ بِنَشِيدِهَا … وَتَقُولُ: يَا رَبَّ النِّعَمْ

أَمْرِعْ لَنَا بِطَحَائِنَا … فَالنَّبْتُ أَعْطَبَهُ الصَّرَمْ

*   *   *

أَيْنَ «الْبَرَاءُ» فَقَدْ طَمَا … خَطْبٌ وَضَجَّ الْمُزْدَحَمْ

وَتَنَاوَبَتْ فِتَنٌ عَلَى … أَهْلِ الْقُرَى وَالظُّلْمُ عَمّ

وَالْمُسْلِمُونَ تَمَزَّقُوا … شِيَعًا وَأَضْحَوْا كَالنَّعَمْ

يَلْهُو بِهِمْ دَاعٍ غَشُو … مٌ جَاهِلٌ لا يَنْتَهِضْ

حَتَّى غَدَوْا لا شَوْكَةٌ … لَهُمُ تُهَابُ وَتُحْتَرَمْ

لَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِي سِوَى … شَبَحٍ يَعِيشُ بِغَيْرِ دَمْ

مَاتَ الْحَيَاءُ وَسُكِّرَتْ … أَبْصَارُهُمْ عَنْ كُلِّ ذَمّ

وَتَعَطَّلَتْ أَسْمَاعُهُمْ … وَتَلاوَمُوا فِيمَا انْهَدَمْ

شعر : مروان كجك

وَتَوَسَّمُوا النَّصْرَ الْمُؤَزَّرَ ... بِالْمَدَائِحِ وَالْقَلَمْ
وَنَسَوْا بِأَنَّ اللهَ ثُمَّ ... السَّيْفَ لِلنَّصْرِ الأَتَمْ

*   *   *

أَيْنَ «الْبَرَاءُ» أَيَا جُنُو ... دَ اللهِ يُدْرِكُ مَا الأَلَمْ
أَيْنَ الأُخُوَّةُ وَالْمَحَبَّةُ ... وَالْكَفَالَةُ وَالرَّحِمْ
أَيْنَ الْقَنَاعَةُ وَالشَّهَامَةُ ... وَالرُّجُولَةُ وَالْكَرَمْ
بَاتَتْ بِلا مَعْنًى ... وَضَاعَتْ فِي سَوَالِيفِ الْقِدَمْ
أَضْحَتْ حِكَايَاتٍ يَرُوقُ ... سَمَاعُهَا لِمَنِ انْهَزَمْ

*   *   *

أَيْنَ «الْبَرَاءُ» أَحِبَّتِي ... يَمْضِي وَيَمْتَشِقُ الْقَسَمْ؟
فَالنَّصْرُ لَيْسَ بِهَوْجَةٍ ... بَلْهَاءَ أَوْ خَفْرِ الذِّمَمْ
وَالنَّصْرُ لَيْسَ تَعِلَّةً ... لِلنَّفْسِ كَافِرَةِ النِّعَمْ
هُوَ لِلْجُنُودِ الْمُؤْمِنِيـ ... ـنَ بِرَبِّهِمْ وَذَوِي الْهِمَمْ
لِلْمُسْلِمِينَ الطَّائِعِيـ ... ـنَ الصَّاعِدِينَ إِلَى الْقِمَمْ
الذَّاكِرِينَ اللهَ فِي ... خَلَوَاتِهِمْ، أَهْلِ الْقِيَمْ
الْمُخْبِتِينَ لِرَبِّهِمْ ... صِدْقِ الرُّجُولَةِ وَالشِّيَمْ
لِلْمَاجِدِينَ الْبَاذِلِيـ ... ـنَ حُظُوظَهُمْ لأَخٍ وَعَمْ
أَكْرِمْ بِهِمْ جُنْدًا إِذَا ... حُمَّ الْفِدَا، كَيْفًا وَكَمْ
هُمْ قِلَّةٌ فِي الْخَلْقِ لَكِنْ ... لا يُجَارِيهِمْ عَلَمْ(١)
هُمْ فِتْيَةٌ قَدْ آمَنُوا ... بِاللهِ وَاجْتَنَبُوا الْحُرُمْ
لَوْ أَقْسَمُوا يَوْمًا عَلَى ... رَبِّ السَّمَا لأَبَرَّهُمْ

---

١) العَلَمْ: الجبل.

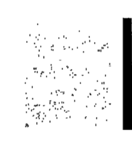
ولم ترفع الجلسة

بقلم:
خالد أبو الفتوح

امتطيت خيالي، عسى أن يقودني إلى واقعي، شحذت قلمي، وتوجهت لحضور وقائع الجلسة، ولأن الموقع كان (شديد الحراسة)؛ فقد استعملت سلاحًا فعّالاً في التعامل مع هذه الحالة، وهو سلاح (الوضوء)، كما إنني تحصنت بـ(آية الكرسي، والمعوذات).. وبعد ضروب من المناورات والمغامرات: تمكنت من اتخاذ ساتر في إحدى الزوايا مرصداً لي؛ لمتابعة ما يجري..

حبست أنفاسي، أرهفت سمعي، وأطرقت رأسي، محاولاً لمح ما استطيعه بطرف بصري..

قاعة كبيرة، يغلب عليها مظاهر البذخ والترف، يتصاعد من جنباتها دخان أسود، ولأمرٍ ما فإن الإضاءة كانت تقتصر على مشاعل من نار علقت على الأعمدة التي بدت كأعمدة المعابد الرومانية.. كان الحضور (الأباليس الصغار) يجلسون على مقاعد وثيرة، حتى كأن الجالس عليها يبدو متكئًا، كما أن الضوء والظل كان دقيقًا، بحيث يجلس كل عضو نصفه في الضوء والنصف الآخر في الظل.. الكرسي الإبليسي يبدو أنه مصنوع من حوض زجاجي ممتلئ بالماء، يعلوه شعار دولته، استطعت لمح الحية والشمس من مكوناته، يضيء الشعار شعلة نار كبيرة، ذكرتني بشعلة تمثال الحرية الشهير دائمة الاشتعال، أو شعلة الألعاب الأوليمبية.. فجأة.. انقطعت همهمات الحضور، وأخذوا في الوقوف.. دوّت في القاعة أصوات موسيقية.. سددت آذاني بأصابعي، وظللت أرقب الموقف.. فإذا بإبليس يدخل القاعة في مَخْيَلة



وعنجهية وكبر، يلاحقه جمع كبير من المصورين، بينما يفسح له حراسه الشخصيون الطريق.. شق طريقه وسط تصفيق الأباليس الصغار وصفيرهم.. أخذ مكانه على كرسيه المائي، ثم أخذ الحضور في الجلوس.. رفعت أصابعي عن آذاني.. صمت مطبق يخيم على (المجلس الإبليسي)، خشيت معه أن تُسمع دقات قلبي، ولكني استعنت بالله..

بدد إبليس مخاوفي من افتضاح أمري، حيث بدأ جلبةً مفتتحًا الجلسة:

ـ باسم الذات نبدأ الجلسة.. أيها الأباليس.. يا شياطين الجن والأنس.. لقد مر العمل الإبليسي بمراحل..

أحد الأباليس الصغار من وسط القاعة يقف مقاطعًا وهاتفًا:

ـ عاش مؤسس الإمبراطورية الشيطانية.. باسم جميع الأبالسة والشياطين نجدد الولاء والفداء.

ـ **إبليس**: لقد مر عملنا بمراحل عديدة، وبذلنا جهوداً مضنية، حتى وصلنا إلى نتائج مرضية، ولكنها لا تكفي لإشباع رغباتنا، وتحقيق أهدافنا..

إن النكسة التي لحقتنا عندما بُعث خاتم النبيين، بعد كبير نجاحنا في نشر الشرك والفساد، تكاد تتكرر مرة أخرى الآن بخروج أتباع صادقين لهذا النبي من جديد، يحاولون تطبيق ما دعا إليه.. لقد سبق أن قلت لكم: إنني لا أخشى الاشتراكية والصعاليك المرتزقين منها، ولا الرأسمالية والأباطرة المنتفعين بها، وقد تمكنا من يهود وعبدة المسيح، وأصبح عبدتي وأتباعي ينتشرون في أطناب الأرض... لم تبق إلا هذه الأمة، التي كلما أوشكت أن أتمكن منها استعصت عليّ وأفلتت من يدي..

سنضرب بيد من حديد على هؤلاء الشرذمة الذين يعملون على إفاقة البشرية ويحذرونها منا.. لم تبق إلا قفزة واحدة.. قفزة واحدة وأحقق أهدافي، لن أدعهم يفسدون سلطاني..

ولكني الآن أرغب في الاطمئنان عليكم.. سأسمع منكم، ولتستفيدوا من بعضكم، ليبدأ «جونليس»..

يقف أقرب الأبالسة الصغار إليه من جهة اليسار، يرتب هندامه في ثقة، ويبدأ الكلام:

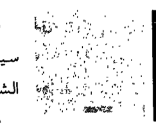
ـ سيدي الرئيس، لقد كنا ـ وما زلنا ـ نركز على هدم البنية التحتية للإنسانية، وذلك بالعمل على القضاء على الأسرة، وكان ذلك يتم عادة بالتحريش بين الزوجين حتى يقع الطلاق، ولكني اتبعت منذ فترة تكتيكًا جديدًا، وهو التركيز على (العمليات الكبيرة)، فبدل أن أهدم المجتمع أسرةً أسرة عملت على نسف هذا الشكل الاجتماعي من أساسه، وذلك بعقد المؤتمرات والندوات للتنفير من هذا الشكل، والدعوة إلى ذلك، بل إلزام جميع الأنظمة التابعة لنا بالعمل لذلك، وقد أثمرت هذه العمليات في معظم البشر، عدا الأمة التي حذر فخامتكم منها.. فأرى تعميم هذا الأسلوب والتركيز عليه.

ـ **إبليجور**: أوافق «جونليس» على رأيه؛ فبدل الاقتصار على غانية تغوي فردًا أو مجموعة: يمكننا نشر الرذيلة في هذه الأمة على نطاق واسع عن طريق العمليات الكبيرة: بَثٌّ إباحي يصل إلى كل بيت، صور فاضحة لمن يملك ثمن جريدة أو مجلة، أدوات زينة رخيصة، ثم بالعمليات الكبيرة أيضًا نصعِّب الفضيلة: أزمة إسكان، غلاء مهور...

ويمكننا على هذا النسق إغراق الشعوب في الديون؛ لتذل لنا رقاب الأمة بأكملها، ونستطيع قيادها.. كما يمكننا بهذه العمليات إثارة القلاقل والفتن؛ لتفتيت القوى الكبيرة فيها واستنزافها..

ولكن تبقى الشرذمة التي حذرتم منها ـ سيادة الرئيس ـ هي العائق أمامنا.

ـ **إبليس**: وماذا ترون في أمرها؟.



ـ **إبلينوف**: أرى ـ فخامة الرئيس ـ اتباع أسلوب (النَّفَس الطويل) مع سياسة تجفيف المنابع التي بدأتها منذ وقت بعيد، حيث ستنتهي هذه الشرذمة مع الزمن، ولا يخرج غيرهم بعد تجفيف المنابع.

ـ **إبليس**: مع أهمية ما ذكرت يا إبلينوف، ولكن الاكتفاء بذلك يُعد سذاجة..

ـ زيزاليس: سيدي ومعلمي.. لقد فكرت في الأمر جيداً، فاستقر رأيي على خطة، أقطع بأنها أفضل السبل، وقد اقتفيت فيها ـ معلمي ـ أثر تجربتك مع أبي البشر.. والخطة مزيج من سياسة الغرور وسياسة الخطوة خطوة، وتقضي بأن نُبقي بعض المظاهر الخادعة لهم؛ ليغتروا بها، ونعمل على الإفساد من الداخل خطوة خطوة، فيسكنون لهذا المظهر ولا يقاوموننا، وخطوة خطوة أيضاً يألفون ما ألقيناه إليهم..

فمثلاً: ندعهم يُصلُّون في الظاهر، وباطنهم يعبد الشهوات، ونحرص على اكتفائهم بمظاهر احتشام نسائهم، وفي المقابل: نعمل على أن يكنَّ مثل نسائنا في الباطن، كما يمكن أن نلهيهم عن محاربة اتِّبَاعِ فخامتكم بإقامة احتفالات ومظاهر دينية.. وحتى.. وحتى محاربة صور محدودة من الشرك الصغير..

ـ إبليس (مقاطعاً وغاضباً): لا.. لا.. كفى يا زيزا.. لا أريد أن أسمع هذا الكلام.. اجلسي يا زيزاليس.. لا أريد أن يُحارب الشرك في أي صورة مهما صغرت.. لا بد أن تعلموا جميعاً أننا الآن في مركز قوة، وعدونا في أضعف حالاته، ولا بد أن ننتهز الفرصة..

إن ما ذكرتيه أسلوب صحيح، ولكنه ليس الأسلوب الوحيد..

أريد حلاً للإجهاز على الفريسة...

هالني ما يضمرونه، بل يظهرونه، أخذت أهدئ من روعي بقراءة آية الكرسي والمعوذات مرة أخرى..

ما زال إبليس يواصل كلامه.. ثم سكت.. وتابع..

ـ إبليس (ضاغطاً على النبرات): هناك شيءٌ ما غيْرُ مريح يحدث في هذه القاعة.. ما الذي يجري بيننا؟!..

أدركت أنه آن أوان عودتي من (برلمان إبليس)، خصوصاً وقد أشرف الفجر على الدخول، لممت شتاتي، وشرعت أبحث عن مسلك للعودة؛ مكتفياً بما وقفت عليه من دخائلهم..

ولكن.. لم ترفع الجلسة..

محبوبتي

شعر : مشبب أحمد القحطاني

هزّني الشوقُ يا أنيسَ حياتي ... واستثار الفؤادَ بالذكريات

ورماني بألفِ سهمٍ مصيبٍ ... رُبّ سهمٍ أصاب عينَ حياتي

أكتبُ الشعرَ والأماني عذابٌ ... ليتَ عُمْري كهذه اللحظات

يَذْبلُ الروضُ في الخريفِ وقلبي ... دائمُ الزهوِ طيِّبُ الثَّمرات

قلتُ لليلِ هل لطولِكَ حدٌّ؟ ... شُدَّ رحلاً فقد أردت وفاتي

أستقي النورَ من شروق خليلي ... أبتني المجدَ في كياني وذاتي

يا هوى النفسِ كم تعاظمْتَ حُسنًا ... كن كما كنتَ يا عظيم الهبات

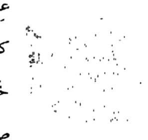
ألْبسِ الصبَّ من معانيك ثوبًا ... وارم للنفسِ أجملَ الحسنات

لا تلوموا تلهُّفي واشتياقي ... إن في الوصل بُغْيَتي ونجاتي

قل لمجنون ليلى: أقيسٌ ... هل ترى الحبَّ في عيونِ البنات؟

عِشْتَ يا قيسُ ثم مُتَّ وحيدًا ... أينَ ليلى وأين عَهْد الصِّلات؟!

كم رمى العشقُ في فؤادكَ سهمًا ... كم قضى الهجرُ فيك روحَ الكماة



خُذْ من القول جملةً باختصارٍ ... «إن حُبّي لدعوتي والدُّعاة»

صادقُ الود من معاني قصيدي ... أسأل الله أن يديم ثباتي



طلب العلم بين السلف والخلف

بقلم: طارق محمد العمودي

من المسلَّمات المعروفة: أنَّ علماءنا الجهابذة (رحمة الله عليهم) لم يطلبوا العلم براحة النفس والجسد، ولم تكن مجالسهم شكلية تضيع في القيل والقال، بل ذاقوا أنواع المعاناة والمشقة والصبر، الأمر الذي تعجز الأسطر عن وصفه، وضربوا في ذلك أروع الأمثلة مما لا تجده في علماء أمة من الأمم السابقة؛ حيث كانت مجالسهم ذات هيبة لما يتلى ويذكر فيها من الآيات والأحاديث، تتنزل عليها الرحمات وتحفها الملائكة.

ولذلك: هجروا في سبيل طلب العلم النوم، والراحة، والدعة، وسائر اللذات، قال أبو أحمد نصر بن أحمد العياضي الفقيه السمرقندي: «لا ينال هذا العلم إلا من عطّل دُكانه، وخرّب بستانه، وهجر إخوانه، ومات أقرب أهله إليه فلم يشهد جنازته»[1].

وقال الإمام بدر الدين بن جماعة معلقاً: «وهذا كله، وإن كانت فيه مبالغة، فالمقصود به أنه لا بد فيه من جمع القلب، واجتماع الفكر...»[2] وذلك في طلب العلم والحرص عليه.

وقال صالح بن أحمد بن حنبل: رأى رجل مع أبي محبرة، فقال له: يا أبا عبد الله، أنت قد بلغت هذا المبلغ، وأنت إمام المسلمين؟ - يعني: ومعك المحبرة تحملها؟! - فقال: «مع المحبرة إلى المقبرة»[3].

وقال محمد بن إسماعيل الصائغ: «كنت في إحدى سفراتي ببغداد، فمر بنا أحمد بن حنبل وهو يعدو، ونعلاه في يده، فأخذ أبي هكذا بمجامع ثوبه، فقال: يا أبا عبد الله، ألا تستحيي؟ إلى متى تعدو مع هؤلاء الصبيان؟ قال: إلى الموت»[4].

وقال الحافظ ابن كثير عن أمير المؤمنين في الحديث (الإمام البخاري): «وقد كان البخاري يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه، فيوقد السراج ويكتب الفائدة تمر بخاطره، ثم يطفئ

---

١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ٢/ ١٧٤.

٢) تذكرة السامع والمتكلم بآداب العالم والمتعلم، لابن جماعة، ص ٧١.

٣) مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي، ص ٣١. ٤) مناقب الإمام أحمد، ص ٣٢.

سراجه، ثم يقوم مرة أخرى وأخرى، حتى كان يتعدد منه ذلك قريبًا من عشرين مرة»[1].

وهذا الحافظ محمد بن فتوح الحميدي الأندلسي: كان ينسخ بالليل في الحر، فكان يجلس في إجّانة ماء ـ وهي إناء يغسل فيه الثياب ـ يتبرد به[2].

وكانت هممهم العالية في طلب العلم تعينهم على الصبر على الفقر وشظف العيش ومرارته، قال الإمام الشافعي (رحمه الله): «لا يطلب أحد العلم بالملك وعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه ببذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح»[3].

وهذا ابن القاسم يقول عن شيخه إمام دار الهجرة مالك بن أنس: «أفضَى بمالك طلب العلم إلى أن نقض سقف بيته فباع خشبه»[4].

وذكر عمرُ بن حفص الإمامَ البخاري، فقال: إنهم فقدوا البخاري أيامًا من كتابة الحديث بالبصرة، قال: فطلبناه، فوجدناه في بيته وهو عريان، وقد نفد ما عنده، ولم يبق معه شيء، فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوبًا وكسوناه، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث[5].

وهذا إمام الشافعية في زمانه أبو إسحاق الشيرازي صاحب «المهذب» في الفقه الشافعي، الذي أشبعه العلماء شرحًا وتحقيقًا وتخريجًا، كان لا يملك شيئًا من الدنيا، فبلغ به الفقر مبلغه، حتى كان لا يجد قوتًا ولا ملبسًا، ولقد كان يأتيه طلبة العلم في سكنه، فيقوم لهم نصف قومة، ليس يعتدل قائمًا من العري، كي لا يظهر منه شيء!![6].

وهذا الإمام الواعظ ابن الجوزي يقول عن نفسه: «ولم أقنع بفن واحد، بل كنت أسمع الفقه والحديث، وأَتْبَعُ الزهاد، ثم قرأت اللغة، ولم أترك أحدًا ممن يروي ويعظ، ولا غريبًا يَقْدُم إلا وأحضره، وأتخير الفضائل، ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث، فينقطع نَفَسي من العدو لئلا أُسبق، وكنت أصبح وليس لي مأكل، وأمسي وليس لي مأكل، ما أذلني الله لمخلوق قط، ولو شرحت أحوالي لطال الشرح»[7].

---

١) البداية والنهاية، ١١/ ٢٥. ٢) تذكرة الحفاظ، ٤/ ١٢١٩.

٣) مقدمة المجموع للنووي، ١/ ٦٤، طبعة المطيعي.

٤) ترتيب المدارك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض، ١/ ١٣٠. ٥) تاريخ بغداد، للخطيب، ٢/ ١٣.

٦) طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، ٣/ ٩٠. ٧) من مقدمة (صيد الخاطر)، ص ٢٧.

والصور المشرقة من هذا النوع في حياة علمائنا كثيرة.

إنَّ المرء ذا التدين العادي، الذي قد لا يكون دارسًا للشريعة، ليعجب من هذه الصور والأمثلة الصادقة، والتي دلت على علو همة أصحابها، فيتأثر بها.

وأحرى أن يؤثر ذلك في طلبة العلم والدعاة والمربين اليوم.

ولكننا نجد فئة ـ اليوم ـ تنسبت نفسها إلى العلم والوعظ، استبدلوا (الهاتف الجوال) و(البيجر) بالمحابر، والمصاحف ذات الحجم الصغير، والمسواك الذي ما كان يدعه رسول الله ﷺ في كل وقت مما أكّد سنيته، أقول: استبدلوا هذا بذاك، فاصبحت جيوب ثيابهم منتفخة بها من غير حاجة أحيانًا، ولكن من باب التفاخر والترف والإسراف في صرف المال في غير محله.

ولست ممن يصدون عن الانتفاع بوسائل التقنية الحديثة، ولكن ليس الأمر باندفاع من غير حاجة، فيكون من باب الترف والمباهاة والزهو.

وبدلاً من أن يجمعهم موعظة أو تدارس لطلب علم، أصبح يجمعهم ما هو أدنى من ذلك بكثير من اللعب واللهو مثلاً، وقد يكون على حساب أوقات فاضلة نص عليها الشرع.

وأصبح المجلس يمر بالساعات من غير إلقاء فائدة، ومن غير ذكر لله، ولا ذكر لرسول الله ﷺ، وأبدلوه بالكلام السطحي، وبآخر موديلات السيارات وأسعارها، أو بنقد الآخرين ونسيان نقد أنفسهم أولاً، وأخشى أن يكون ذلك حسرة يوم القيامة.

ومنهم من يتصدى لإمامة مسجد أو الأذان فيه، مع أخذ الأجرة عليه ـ والمسألة فيها خلاف بين أهل العلم ـ، ومع ذلك: فحضوره قليل لانشغاله بوظيفته الأساسية أو بتجارة.. أو غير ذلك مما لا يشفع له، فبأي حق يأخذ هذا الأجر.

ولا تسأل بعد ذلك عن الصورة السلبية التي تكونت عند المصلين بسبب هذا الفعل.

هذه بعض الصور السلبية التي داخلت بعض طلبة العلم والدعاة والمربين في يومنا هذا، وهم قلة ولله الحمد، وكلمتي خاصة بهم.

والله نسأل لنا ولهم العلم النافع والعمل الصالح

هموم ثقافية

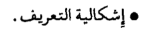
إشكالية التعبير العملي عن الديمقراطية

(١)

بقلم: سامي محمد صالح الدلال

ما إن نتجاوز المعاني النظرية لمفهوم الديمقراطية ـ وفق المدارس التي ذكرتها ـ إلى التطبيقات العملية لتلك المدارس: حتى نجد أنفسنا وجهًا لوجه أمام الإشكاليات التالية:

- إشكالية التعريف.
- إشكالية البلورة الاجتماعية للديمقراطية.
- إشكالية البلورة الثقافية للديمقراطية.
- إشكالية البلورة الاقتصادية للديمقراطية.



إشكالية التعريف:

قد اصطُلح على تعريف الديمقراطية بأنها «حكم الشعب بالشعب»، أي: «السيادة للشعب»، ولدى التطبيق العملي انقسم الناس في طريقة التعبير الواقعي عن هذا التعريف؛ ومن هنا: نشأت المدارس المختلفة التي عبر كل منها عن فهمه للديمقراطية بأسلوب يختلف عن الآخر، فمن أين نشأ هذا الاختلاف؟!.

لقد نشأ الاختلاف من تنوع زاوية النظر لكل كلمة من كلمات التعريف المذكور، مما دفع إلى سطح الواقع تفسيرات شتى لذلك التعريف.

فكلمة «الحكم»،

وكلمة «الشعب»،

وكلمة «السيادة» أو «بالشعب»،

لم يتم الاتفاق على تفسيرها.

إن كلمة «الحكم» لها معانٍ تعبيرية شتى:

- فمعناها لدى **المدرسة الليبرالية**: أن المجلس النيابي - المعبِّر عن الشعب - يضع الدستور الذي تقوم الحكومة على تنفيذ بنوده.

- ومعناها لدى **المدرسة الاشتراكية**: أن مجلس الشعب - المعبِّر عن اتحاد القوى العاملة - يسن التشريعات التي تقوم الحكومة بتنفيذها بعد إقرارها مما يسمى باللجنة المركزية.

- ومعناها لدى **المدرسة الديكتاتورية**: أن المجلس النيابي هو أداة تشريع القوانين التي تكرِّس هيمنة الملأ الطاغوتي، ورغم أنه منتخب من قبل الشعب - بطريقة خاصة - إلا أنه يعامل طوعًا لإرادة الطغمة الديكتاتورية الحاكمة، فهو معبِّر عنها وليس معبِّرًا عن الشعب.

ويلاحظ في هذه المدارس الثلاث أن مزاولة «الحكم» من المنظور الأمني تتم من خلال مؤسسات تمارس أفعالاً بشعة، بما لها من صلاحيات تستمدها من التعابير الفضفاضة للقوانين؛ فمؤسسات المباحث والمخابرات العسكرية وتوابعهما تعتبر مؤسسات مغلقة لا يكاد يعلم أعضاء المجلس النيابي عنها شيئًا.

- ومعناها لدى **المدرسة الجبرية**: أنها وسيلة لحل إشكال تناقضات التعايش القسري في دولة واحدة لطوائف وأديان شتى؛ لذلك: فإن كلمة «الحكم» لدى هذه المدرسة هي معنى اصطلاحي لواقع متناقض التوجهات، أفرز في واجهته أشخاصًا اختص كل منهم برئاسة مرفق دستوري (رئاسة الدولة، رئاسة الحكومة، رئاسة المجلس النيابي، قيادة الجيش، قيادة الأمن العام..).

- ومعناها لدى **المدرسة المصلحية**: أنها وسيلة دستورية لتحقيق مصالح أعضاء المجلس النيابي بغطاء شعبي مصطنع.

- ومعناها لدى **المدرسة الإسلامية النيابية**: أنها مجرد وسيلة متاحة يمكن استغلالها من خلال المشاركة الجزئية وإن كانت محدودة جدًّا، على أمل أن تتسع هذه المحدودية لتشكل أغلبية ساحقة في المستقبل البعيد،

فيتمكن الإسلاميون من تنفيذ أحكام الشريعة بتقنينات نيابية.

فالنتيجة التي وصلنا إليها هي:

لا يوجد اتفاق على تفسير عملي لكلمة «الحكم» بين المدارس الديمقراطية المختلفة.

وأما كلمة «الشعب»: فهي أيضًا محل خلاف عند التطبيق.

فمن هم أفراد الشعب؟!.

هناك نظرتان رئيستان في هذا الصدد.

الأولى: أنهم الأفراد الذين يقعون ضمن حدود جغرافية معترف بها دوليًا، ويعبِّر عنهم نظام سياسي حاكم.

إن جميع المدارس الديمقراطية تعترف نظريًا بهذا التعريف.

الثانية: أن الشعب هو مجموع الأفراد الذين يطبَّق عليهم القانون، وهم العامة أو الغوغاء، أي: الذين لم يسجلوا عضويتهم في الحزب الحاكم. وأما المنضوون في الحزب الحاكم فهم إما فوق القانون، أو يطبَّق عليهم القانون بطريقة خاصة، فهم بهذا المعنى فوق الشعب!! وتشمل هذه النظرة المدرستين الاشتراكية والديكتاتورية.

وهذا يعني: أنه لا يوجد اتفاق على تفسير عملي لكلمة «الشعب» بين المدارس الديمقراطية المختلفة.

وأما كلمة «السيادة»، أو «بالشعب»: فهي أيضًا لها مفاهيم منوعة لدى المدارس الديمقراطية.

- **ففي المدرسة الليبرالية**: الشعب لا يحكم نفسه، بل هناك أفراد مقتدرون ماليًّا، ولهم وجاهات اجتماعية، يبحرون على متن سفنها التي تلقي مراسيها تحت قبة المجلس النيابي، فيمارسون التشريع وفق ما يرونه هم، وليس وفق ما يراه الشعب، فهم أقلية يحكمون أغلبية، لكنهم لا يعبرون عنها تعبيرًا حقيقيًّا وشاملاً. فالديمقراطية في المدرسة الليبرالية هي حكم الأغلبية بالأقلية مع ملاحظة تناقض المصالح بين الأغلبية والأقلية، التي تعني أن الأقلية تستثمر طاقات الأغلبية، أي طاقات الشعب، لتحقيق مصالحها أولاً، ولا يضر أن تلك المصالح قد يشاركهم فيها الشعب بشكل جزئي.

- **وأما في المدرسة الاشتراكية**: فالسيادة هي لمجموع القوى العاملة من

هموم ثقافية

خلال ممثليها في مجلس الشعب، ولا بد أن يكونوا حزبيين حُكمًا، أي: إن مفهوم الديمقراطية في هذه المدرسة هو: حكم الشعب بالحزب الحاكم.

ـ وأما في **المدرسة الديكتاتورية**: فالمجلس النيابي ليس سوى صورة مجردة من الأبعاد والألوان، مهمتها تشريع القوانين التي تخدم الطغمة الديكتاتورية الحاكمة، فمفهوم الديمقراطية في هذه المدرسة هو حكم الشعب **بالطاغوت الديكتاتوري**.

ـ وأما في **المدرسة الجبرية**: فمعناها حكم الشعب ـ أي حكم الطوائف المكونة للشعب ـ بقوانين يصطلح على سنِّها مجموع ممثلي الطوائف في المجلس النيابي، أي إن الأحكام التي تنفذ على طائفة معينة منها ليست أحكامها الخاصة، بل ولا حتى المعبرة عنها، ذلك أنه لا توجد أحكام تنفذ على كل طائفة بشكل مستقل في هذه المدرسة، وهذا يعني أن مفهوم الديمقراطية في هذه المدرسة هو حكم الطائفة، من أي دين كانت أو من أي عرق، بواسطة مجموع آراء جميع الطوائف المشكلة للشعب من خلال قوانين يتفق على سنّها.

ـ وأما في **المدرسة المصلحية**: فمعناها حكم الشعب بواسطة القوانين التي يشرعها أصحاب المصالح الذين وجدوا في حياض المجالس النيابية مرتعاً خصبًا ومقبولاً، للوصول من خلاله إلى مآربهم، فمفهوم الديمقراطية في هذه المدرسة هو حكم الشعب بأصحاب المصالح.

ـ وأما في المدرسة الإسلامية النيابية فهي بحسب ما يكونون فيه من مدارس، فهم ليس لهم وضع مستقل. لكنهم يقولون: إن مفهوم الديمقراطية عندهم هو حكم الشعب من خلال مجلس نيابي تتمثل فيه جميع الطوائف والأديان والأحزاب، فهو حكم الشعب بممثلي الطوائف والأديان والأحزاب.

ومن ذلك يتبين لنا: أنه لا يوجد اتفاق على تفسير عملي لكلمة «السيادة» أو «بالشعب» بين المدارس الديمقراطية المختلفة.

إذن: إن إشكالية التعريف تتناول كل كلمة من كلمات مفهوم الديمقراطية، وليس هناك اتفاق بين

المدارس المختلفة على أي كلمة من كلمات تعريف الديمقراطية، مما نتج عنه اختلاف التعبيرات العملية للديمقراطية في الإطار السياسي وغيره من الأطر.

إشكالية البلورة الاجتماعية للديمقراطية[1]:

إن التحدي الذي تواجهه أي مدرسة من مدارس مفهوم الديمقراطية التي ذكرتها هو مدى النجاح الذي تحققه في بلورة الصياغة الاجتماعية لمجموع الشعب؛ بحيث تتوافق مع أفكار وأهداف تلك المدرسة.

ولكي تتضح أمامنا صورة هذا التحدي فلا بد من تكثيف الضوء على الأجزاء الرئيسة والمعالم البارزة التي تجتذب بصر الناظر إلى تلك الصورة، وهي كالتالي:

ـ التفاوت الطبقي:

إن التفاوت الطبقي يعتبر ظاهرة تكاد تعم جميع مجتمعات الأرض دون استثناء، وإن العلاقة الجدلية للصراع بين تكريس هيمنة الأغنياء واستخلاص حقوق الفقراء تتوسع دائرتها يومًا بعد يوم، أما متوسطو الدخل فهم وإن كانوا يؤيدون مطالب الفقراء، ويكرهون تسلط الأغنياء ، إلا إنهم ينؤون بأنفسهم عن الوقوع بين فكي كماشة ذلك الصراع الذي يمكن أن يتطور إلى ثورة غير مسيطر على توجهاتها ولا على اضطرام أوارها.

وعندما اصطلح الجميع على الاستظلال بمظلة الديمقراطية: فشل ذلك الحل في برمجة مشروع عملي لتفكيك تلك العلاقة الجدلية للصراع، لإعادة ترتيب مفاصل الربط فيها وتغيير مجرى قنواتها، بل يمكن القول باطمئنان: إن الديمقراطية كرّست إبقاء ذلك الصراع بغطاء دستوري، فُصّلت بنوده بحيث تحمي مصالح الأغنياء، والمفارقة العجيبة في ذلك: أنه يتم بدعم من أصوات الفقراء!!.

وعند التحقيق نرى بوضوح: أن الديمقراطية لم تنجح في بلورة لحمة اجتماعية من زاوية نظر التفاوت الطبقي، وهذا لا يختص بمدرسة

١) وتشمل: ١ ـ التفاوت الطبقي. ٢ ـ التنوع الديني. ٣ ـ التعدد التكويني. ٤ ـ التباين الثقافي. ٥ ـ الاستقطاب الحزبي النوعي . ٦ ـ نوعية الحكم السلطوي.

واحدة، بل بجميع المدارس.

- التنوع الديني:

إن الجميع متفقون على أن كل دين يضفي على أتباعه ثوبًا معينًا من العلاقات الاجتماعية، سواء على مستوى الأفراد أو مستوى الأسر أو مستوى الوحدات الاجتماعية (عائلات، قبائل...).

وبالتالي: فإن لكل دين أحكامه وتشريعاته، سواء أكان ذلك للمسلمين أو للنصارى أو لليهود [1].

إن الديمقراطية جاءت لتقول لكل هؤلاء: ألقوا ما عندكم من أحكام وتشريعات، وتعالوا نصطلح على أحكام وتشريعات جديدة يوافق عليها الجميع.

وبمعنى آخر تقول: ألغوا الصيغ الاجتماعية التي انفرزت من تلك الأحكام والتشريعات عبر القرون، وتعالوا لنوجد صيغة اجتماعية موحدة بجرة قلم نيابي!! وأنَّى لأي نوع من الديمقراطية أن تنجح في فعل ذلك ؟!.

إلا أن معنى الديمقراطية يفرض عليها أن تلج نفق تلك المفارقة الصعبة، وهذا يعني أنه لا بد لممثلي الأديان في مجلس النواب من الاتفاق على تشريعات توفيقية، ولا بد للشعب أن ينصاع لها.

وهذا يعني غرس بذور المواجهة بين:

١ ـ المجلس النيابي من جهة، والمنتسبين لكل دين من جهة أخرى، والغلبة في هذه المواجهة هي للمجلس النيابي، إذا نظرنا إليها من زاوية قدرته على إمرار ما يريد بقوة القانون.

إن الانكسار النفسي الذي يتولد في صدور المنتسبين لتلك الأديان يغذي حالة الاستعداد للتمرد في يوم من الأيام بسبب التشتت الاجتماعي الذي أصبح مقننًا بواسطة المجلس النيابي.

٢ ـ المنتسبين لكل دين بعضهم ضد بعض، فالمسلمون سيؤيدون التشريعات التي تتوافق مع دينهم وسيعتبرون ذلك انتصارًا له، في حين يعارض ذلك اليهود والنصارى، وهذان الأخيران سيؤيدان التشريعات التي تتوافق مع ما هم عليه، وسيعارضهم

١) نحن لا نقر ما عليه النصارى واليهود من أحكام وتشريعات، ولكننا نقرر ما هو واقع حاليًا بالفعل.

المسلمون، وسيترتب على هذا مزيد من تعميق وتكريس التباعد والتناقض الاجتماعيين، وهذا بدوره سيوجد لونًا إضافيًا من الصراع، ذا قاعدة اجتماعية وإطار تخاصمي تشريعي.

٣ ـ المنتسبين للدين الواحد بعضهم ضد بعض، ذلك أن القوانين التشريعية الجديدة التي يشرعها المجلس النيابي قد تلاقي توافقًا مع أهواء بعض المنتسبين لذلك الدين، رغم أنها تتناقض مع تشريعات وأحكام دينهم. فيتقمّصونها، ويدافعون عنها، مع استعدادهم للمواجهة الفعلية مع التيار المتمسك بدينه، وهذا بدوره سيفتت اللحمة الاجتماعية للمنتسبين للدين الواحد.

ولنتصور كيفية حدوث ذلك، أضرب مثالاً واحدًا:

مثال:

● أقر المجلس النيابي فعل الشذوذ.

ـ المسلمون والنصارى واليهود رفضوا ذلك، لكن المجلس النيابي انتصر بقوة القانون (الحالة الأولى).

● أقر المجلس النيابي شرب الخمر.

ـ المسلمون رفضوا، النصارى واليهود وافقوا، لقد كرّس هذا القانون المواجهة بين الطرفين (الحالة الثانية).

● أقر المجلس النيابي الإجهاض.

ـ المتمسكون بدينهم من الأديان الثلاثة رفضوا ذلك، غير المتمسكين وافقوا عليه؛ لأنه يوافق أهواءهم (الحالة الثالثة).

إن الصدام الاجتماعي سيقع بين الموافقين والرافضين في الحالات الثلاث، انتهى المثال.

وما يهمني هنا هو: الإشارة إلى أن مبدأ التنوع الديني في موقع إصدار التشريعات وسن القوانين مرفوض إسلاميًّا، إلا أن موافقة الإسلاميين المجلسيين على الديمقراطية والمشاركة في المجالس النيابية جعل هذا المرفوض مقبولاً عندهم حكمًا، لكنهم اختلفوا في تفسير هذا القبول، فمنهم من قال بقبوله ضرورة، ومنهم من قال بقبوله منهجًا، إن هذا الاختلاف في التفسير له أثره البيِّن في تفتيت اللحمة الاجتماعية على مستوى القابلين بالديمقراطية.

إن سبب هذا التفتيت هو التفاوت الحاصل عند تعبيرهم العملي عن ذلك.

ومثاله: إن الذين يقولون بقبوله بضرورة يصرّون على التطبيق الفوري للشريعة الإسلامية، وهذا يعني الارتقاء الاجتماعي الشمولي من حضيض الواقع إلى قمة الإسلام، لكن الذين يقولون بقبوله منهجًا قد لا يطالبون بالتطبيق الكلي للشريعة الإسلامية مراعاة لليهود والنصارى، وإذا طالبوا بها فإنهم قد[1] لا يطالبون بتطبيقها فورًا للسبب نفسه، إن الإفرازات الاجتماعية لهذين الطرحين تأخذ مساري المجابهة والمواجهة في تسارع حثيث على مدرج الصدام !!.

إن تلك المواجهة لن تنحصر في إطار الممثلين الإسلاميين في المجلس النيابي، بل ستتسع دائرتها لتشمل أنصار الطرفين في عموم الشعب.

المواجهة الاجتماعية الأخرى ستقع بين المؤيدين من المسلمين للمشروع الديمقراطي والمعارضين له، ذلك أن المؤيدين للمشروع الديمقراطي ستصطبغ حياتهم الاجتماعية بالألوان المفرزة من قبل المجلس، في حين أن المؤيدين للمشروع الإسلامي(إن صح التعبير) [2] سيجاهدون من أجل الحفاظ على حياتهم الاجتماعية المتميزة بالانتماء الإسلامي ـ أي: اللون أو الصبغة الإسلامية، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨] ـ.

إن التفاوت في التعبير الاجتماعي بين المؤيدين للديمقراطية والمعارضين لها سيؤدي إلى خلل في اللحمة الاجتماعية، تحمل في طياتها بذور الصدام أيضًا!!.

١) أرجو من القارئ أن يعير انتباهًا خاصًا لكلمة «قد».

٢) أنا لا أميل لهذا التعبير، لكني تكلمت بلغة القوم !!.

بريد البيان

الكويت تودع عالمها «الجراح»
(١٣٢٢هـ ـ ١٤١٧هـ)

لا تخلو الأرض من بقايا للسلف في كل مكان، ومن هؤلاء: آخر العلماء المعروفين في الكويت، وهو الشيخ «محمد بن سليمان الجراح» الذي توفي عن ٩٥ عاماً قضاها (رحمه الله) في فعل الخير، والتدريس، والخطابة، والإمامة، والفتوى، أخذ العلم عن علماء بلده مثل المشائخ: عبد الله الخلف الدحيان، وهاشم الحنيان، وأحمد الفارسي، وغيرهم من العلماء أمثال: الشيخ عبد العزيز العلجي الإحسائي، ومحمد الشنقيطي، وأحمد عطية الأثري، كان (رحمه الله) حافظاً للقرآن، فقيهاً، بارعاً في النحو والصرف، معظماً للآثار النبوية، حاضر البديهة.. درس على يديه طلاب العلم، وبعض الوجهاء في الكويت، وله ذكر حسن عندهم، وقد رثوه وأثنوا عليه خيراً، وما أصدق قول ابن مسعود (رضي الله عنه): «موت العالم ثلمة في الإسلام، لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار».. رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته.

■ **الأخت / منى عباس محمود:**

نشكر لك ثناءك على المجلة، وملاحظاتك التي ذكرتيها طبيعية جداً، ونحن نتقبلها بكل رحابة صدر، وندعو الكتاب من العلماء والمفكرين لمد المجلة بكل نافع مفيد؛ لتواصل رسالتها وخطها المعهود.

• • •

■ **الأخ / تركي الغامدي:**

مقالتك ستنشر في منتدى القراء في عدد قادم ـ إن شاء الله ـ.

• • •

■ **الأخ / زيد الشبانات:**

شكر الله دعواتك الصادقة، وحسن ظنك بالبيان، أما بخصوص ما طلبته: فلعلك ترى طلبك مجاباً في هذا العدد والعدد اللاحق ـ إن شاء الله ـ.

• • •

■ **الأخ / علي بن جبريل:**

قصيدتك (السفينة الماخرة) ستنشر ـ بمشيئة الله ـ في منتدى القراء في عدد قادم.

• • •

■ **الأخ / أيمن نور الدين:**

مقالتك عن (الهدهد وسليمان) لم تجز من اللجنة المختصة... مرحباً بك في مشاركات قادمة.

• • •

■ **د / محمد عبد الصبور فراس:**

المقالات التي أشرت إليها لم يصل منها إلا الأخير فقط، كما أنك لم تذكر عنوانك لنتمكن من الرد عليك، وبالنسبة لمقالك الأخير: فهو معروض على لجنة الإجازة، ونحيلك على الملاحظات الواردة في بريد العدد ١٠٣، ومرحباً بك في تواصل جديد.

• • •

■ **عماد الدين العسقلاني:**

مقالتك ستنشر في منتدى القراء في عدد قادم ـ إن شاء الله ـ.

• • •

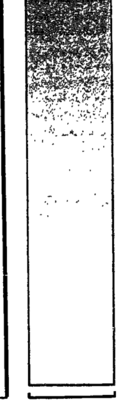


الاستسلام بلفظ آخر

بقلم: علي العيسى

هذا بعضٌ مما يمكن قوله عن استعمال اللفظ في غير موضعه ، الصلح مقاسمة، والاستسلام عطاء بلا أخذ، ولا يكفي أن توضع كلمة مكان أخرى ليتحول الواقع إلى مراد المصطلح، فالمصطلح لا يطلق على الأشياء لتتغير حقائق الأشياء، وإنما الأشياء هي التي توجد المصطلح المطابق لواقعها.

واليهود الإسرائيليون يخفون ما يصيبهم؛ من أجل الحرب النفسية لعدوهم، ورفع الروح المعنوية لذويهم، ولذا: كرسوا كل جهودهم للسلام بمعنى الاستسلام لهم؛ لأنهم في الواقع كما قال (تعالى) لنا : ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٤] ، ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، إلا إنهم على باطل، والمسلمون على حق، ويجتهدون أن يفعلوا ما يؤمرون: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢].



واليهود اليوم، وإن كانوا أكثر نفيراً، إلا أنهم أكثر تضرراً لقلتهم، ولأنهم يريدون الاستسلام من عدوهم، لكي يسيطروا على العالم الإسلامي ـ كما يظنون ـ كما سيطروا على العالم الغربي والشرقي المتقدمين عسكريًا، ولأنهم يودون إتمام ذلك قبل نضج الصحوة الإسلامية وتمكنها.

والغريب فقدان كثير من الحجج والمنطق في وسائل الإعلام ؛ فمثلاً: اليهود الإسرائيليون يهدمون بيت من يقوم بعملية فدائية، فمن احتج ـ قانونًا وقضاءً ـ بأن أهل البيت لا دخل لهم فيما حصل، وليسوا مسؤولين عنه، والبيت ليس بيت من استشهد، وإنما تحولت ملكيته ـ إن كان يملك أساسًا ـ إلى غيره: لم يسمعوا له.. هذا هو الإرهاب، وهذا هو التطرف والعنف والغلو والتشدد والوحشية وضياع حقوق الإنسان والقيم والحضارة ومبادئ النظام الدولي الجديد الواعد بالعدل، ثم: لماذا لم يهدم بيت الإرهابي «جولد شتاين» مجرم مذبحة الخليل؟، ولماذا لم يهدم بيت «إيجال عامير» قاتل رابين؟، هل وُجِّه مثل هذا السؤال في المحافل الدولية، والصحافة، وكل وسائل الإعلام، ومؤسسات الدعوة إلى حقوق الإنسان، والمحاكم في فلسطين المحتلة وغيرها، والمحاكم الدولية بالذات والأمم المتحدة..؟! هذا الكلام يساق لمن يؤمنون بفعالية الإعلام والملاحقة القانونية والحديث عن التعصب والتمييز العنصري.

ونتهم اليهود بنقض العهود والمواثيق، فهل نوقع على عهود بدعوى إمكانية نقضها متى ما أحسسنا بقوتنا وقدرتنا، (لا تنهَ عن خُلُق وتأتي مثله)، لذا: لا ترتبط بعهد لن ترعاه، إن من يتمسك بالإسلام لن يخذله من أسلمنا وأسلم أمره إليه، وما دعوى ضعف الإسلام في المسلمين بمبرر للاستسلام، وإنما هي مبرر للحث على تقوية الإسلام في نفوسنا وسلوكنا وواقعنا.



كلمة صغيرة

الدور التغريبي الذي تقوم به الحكومات العلمانية في العالم العربي لم يعد مجهولاً، إذ تعد له الميزانيات والخطط التنموية، وتونس بالذات إحدى هذه الدول التي لا يعرف الزائر لها أنه في بلد عربي مسلم؛ لما يوجد فيها من تكشف وتعري النساء، وويل ثم ويل لمن يقف في وجه موليته مانعاً إياها من التفرج، فإن مصيره السدود والقيود.

ومواصلة لذلك الدور المشبوه استدعي «مايكل جاكسون» لتونس مؤخراً، وحشد له الإعلام المؤم أكثر من ٩٠ الف نفس في الملعب الرياضي بالعاصمة؛ ليروا رقصه وتمايله الجنوني في الوقت الذي تعيش تونس فيه ضموراً اقتصادياً معروفاً، جعل التونسيين من أكثر الجاليات العربية في الخارج طلباً للعيش.

ومع ذلك: تصادر الدولة (الاتجاه الإسلامي) وتسجن رموزه وآلافاً من مؤيديه، وتشردهم، وتفتح المجال لكل اتجاه آخر مهما كان منحرفاً.

ومما يؤسف له إقامة حفل لهذا الماجن مؤخراً في ماليزيا، لكن الجميل في هذا المقام: أن «مايكل جاكسون» خطط له أن يزور (مصر) فوقف الاتجاه الشعبي و(النقابي) لذلك المخطط بالمرصاد، وافسده؛ لما عرف عن «جاكسون» من فساد أخلاقي، ومواقف مسيئة للعرب والمسلمين، والانضمام لجماعة صهيونية معروفة هي «شهود يهوه».

إننا نتساءل بكل مرارة: إلى متى تغيب شعوبنا؟، وإلى متى يراد إفساد أخلاق شبابها؟، وإلى متى يعمل العابثون لإماتة روح العزة فيها؟، وإلى متى يخوف زوراً وبهتاناً من الاتجاهات الإسلامية الصالحة؟ .

إن تلك الحملات المشبوهة لم تعد مجهولة الأهداف والنوايا في تلك الدول.
﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس:

AL BAYAN MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

في هذا العدد :

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصر : القاهرة – ش الجلاء – الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن احمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٥٤/٢٤٥٧٤٥

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي امام الملحمة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥.

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ – ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.

أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313-677-006 Fax 313-677 0065
الرقم المجاني : (Subscription No.: 1-800-99-Fajer)

المسلمون والعالم

هموم ثقافية

في دائرة الضوء

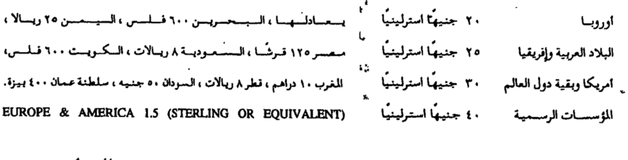
منتدى القراء

من ثمرات المنتدى

بريد البيـان

الورقة الأخيرة

■ الاشتراكات ■ ——— ■ سعر العدد ■ ———



بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

الاردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وامريكا ٥ر١ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالا ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيه ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.
EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

ردة.. ولا أبا بكر لها(*)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فلقد قال ﷺ ـ بأبي هو وأمي ـ: «... وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن أعتصمتم به: كتاب الله» [أخرجه مسلم، كتاب الحج]، وهذا ما وعاه صحابته الكرام (رضي الله عنهم)، فكانوا أمناء على العهد، أوفياء لرسالة الإسلام، حيث تحملوا في سبيلها المحن والشدائد حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً؛ فاستقامت دولة الإسلام وعز جانبها طوال القرون المفضلة، إلى أن أصاب الأمة داء الأمم: الفرقة، والانحرافات العقدية، وما تبع ذلك من الاحتلال الأجنبي والتبعية والتقليد، ثم ظهور الملل والنحل كالقاديانية والبهائية والبابية.. وغيرها من الفرق الباطنية التي حكم العلماء المحققون بردتهم، وكان ظهور تلك الفرق بعدما عطلت الشريعة الإسلامية في كثير من البلدان وعطل معها حد الردة؛ مما جرأ زعماء تلك الطوائف المنحرفة على إظهار عقائدهم الضالة، فتبعهم كل ناعق، وسار على دربهم أدعياء التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر من المدرسة العقلانية ـ أو ما يسمى باليسار الإسلامي ـ الذين تبنوا الدعوة إلى محاكمة النصوص الشرعية مثلها مثل النصوص البشرية، وإلغاء حكم الردة، وإباحة زواج المسلمة بغير المسلم!.



ومن هنا: جاءت الآراء المشبوهة التي طرحها أمثال «فرج فودة»، و«سعيد العشماوي»، و«محمد أحمد خلف الله»، ثم ما أثاره مؤخراً المدعو «نصر حامد أبو زيد» في كتاباته، ومنها: (مفهوم النص)، و(إشكاليات القراءة وآليات التأويل) و(نقد الخطاب الديني)، التي دعا فيها إلى محاكمة «النص القرآني» وتأويل تعاليمه، بما يخرجها عن معناها الشرعي، ولقد فشل في نيل درجة «الأستاذية» لما احتوته كتبه من أخطاء وتأويلات باطلة، حيث فضحه

العلماء والمفكرون على رؤوس الأشهاد، ثم كونت لجنة أخرى من مناصريه ـ بقدرة قادر ـ أجازت أبحاثه، وأعطته الدرجة التي يسعى إليها، لكنه فوجئ بفتوى علماء الأزهر بردته على ضوء ما كتبه من آراء وأفكار منحرفة في حق الإسلام والحكم بالتفريق بينه وبين زوجته، ولما طُعن في الحكم أكده القضاء الوضعي مرة أخرى ورفض نقضه.. ولا يستبعد أن يحاول «اللوبي العلماني» إصدار قرار بتبرئته وتنصيبه عالمًا يشار له بالبنان.

ويبدو أن ما تعرض له «أبو زيد» زمانه من دفاع مستميت لإلغاء الحكم بردته، ومناصرة التيار العلماني له بكافة فئاته حتى صار حديث المنتديات ومتابعة وسائل الإعلام.. قد أغرى بعض المنهزمين بتبني هذا النهج لينال بدوره شهرة أخرى، حتى ولو على حساب ما يدين به من عقيدة وما ينتسب إليه من دين، فقرأنا عن أستاذ مغمور بجامعة الكويت أنه بدأ بطرح آراء شاذة، والدفاع عن المنحرفين فكريًا بمقالات صحفية متوالية، ومن آخر ما كتبه: تهجمه على رسالة الرسول ﷺ، وما زعمه عنه ﷺ من الفشل في إقامة دولة الإسلام!.

ويكفينا أن جهة الفتوى هناك أدانت رأي المذكور واعتبرته مسيئًا للرسول ﷺ.

العجيب: أن هذا الرجل كان في بداياته يتظاهر بالدين والدعوة للإسلام، وفتحت له بعض المجلات الإسلامية صفحاتها في لقاءات ومشاركات عديدة، وكانت آراؤه تناصر الاتجاه الإسلامي ضد فلول العلمانية، لكنه انتكس وبات يردد بصفاقة مزاعم العلمانيين ضد التيار الإسلامي الذي يطلقون عليه «الإسلام السياسي»، مع أن المذكور ترجم رسالة عن الفكر السياسي لدى شيخ الإسلام «ابن تيمية»، وهذه ظاهرة مَرَضِيَّة بالفعل تستحق الدراسة، (نسأل الله السلامة).



لقد كان لأمة الإسلام وحكامها على مر التاريخ مواقف حاسمة من الحركات الشاذة والدعوات المشبوهة، التي كانت لا تجرؤ على طرح أفكارها في العلن؛ لخوفها من تطبيق حد الردة على كل منكرٍ لما علم من الدين بالضرورة.



وكذلك من سار على دربهم من المعاصرين، هم عادة ما يكونون ذوي منطلقات مشبوهة وذوي أهداف معدة سلفًا، لهدم الإسلام من الداخل.

فما أحوجنا إلى التعامل مع أصحاب هذه الأطاريح المنحرفة بحزم، وبيان انحرافهم عن الصراط المستقيم؛ حتى لا يضللوا غيرهم، وما أشد حاجة

الأمة إلى التطبيق صراحة لما تذكره في دساتيرها وأنظمتها من أن دين الدولة هو الإسلام، فإنها مدعوة إلى تطبيق حد الردة باعتباره حكمًا شرعيًا محكمًا ورد في الكتاب والسنة، يقول (تعالى): ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥]، ويقول ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» [متفق عليه]، وألا تجعل الذوات الحاكمة فقط هي المحمية والمصانة، إذ إن الله ورسوله أولى من غيرهما بالاحترام والتبجيل.

ومعلوم للقراء الكرام أن هجوم العلمانيين على الإسلام والسخرية منه ومن المنتسبين له بدعاوى تافهة: سبق أن فضحناها وبينّا أن تلك التهجمات ذات أهداف مكشوفة، وأن المراد هو: الهجوم على الإسلام ذاته، والإسهام فيما أسموه بـ «تجفيف المنابع».. نسأل الله أن يعاملهم بما يستحقونه.

ومن تحصيل الحاصل: أن تلك الاتجاهات المعادية للإسلام قد شجعت على الارتداد عن دين الإسلام في بعض الدول، وعلى سبيل المثال لا الحصر: ما حصل من تنصُّر أحد مواطني الكويت الذي التجأ إلى إحدى كنائسها بعد الحكم عليه بالردة من طائفته، ثم الموقف المتميع حيال هذه الحالة إلى حد أن أتيح له محاميًا يدافع عنه، وفي الأخير: سُرِّب المرتد وسافر خارج البلد.

وقد ذكر أن هناك أعدادًا أخرى أعلنت الردة عن الإسلام، ولا ندري عن مدى صحة ذلك، وكذلك كان الرسام المصري «بيكار» قد تبنى النحلة البهائية في قضية سابقة، وتسوهل معه فيها، وتم إطلاق سراحه.

إننا نرى أن الموقف يحتاج إلى وقفة ومزيد تأمل لعلاج هذه المسألة والبحث عن حلول مناسبة لها؛ إذ لا يمكن بحال من الأحوال أن يرتد مسلم بحق عن دينه سوى:



١ - ضعيف إيمان ممن وُسوس له بالشبهات وأغري بالشهوات.

٢ - من سقط في شباك المنصرين، فتعرض لغسيل فكري متواصل.

٣ - من جهل دينه وأعرض عن تعلمه والعمل به، حري به أن يضل ضلالاً بعيدًا.



٤ - من ألقي من أبناء المسلمين إلى المدارس التنصيرية للدراسة بها، وتشربوا مبادئها.

والحلول الناجعة للوقوف في وجه هذا الطوفان الذي يعمل ليل نهار

في جل ديار الإسلام هي: قلب تلك المظاهر، والقضاء المبرم على أسبابها، العمل المتواصل لإيقاف تلك الهجمة التنصيرية القائمة في وسائل الإعلام، وضرورة فسح المجال لدعاة الإسلام كي يقوموا بدورهم ويقولوا كلمتهم في تلك التيارات المنحرفة، وفضح رموز التيار العلماني المنافق الذي يدافع عن المرتدين بدعوى الحرية الشخصية!، ويعمل على إبراز وتلميع مثل هذه الحالات؛ لإشاعة الفاحشة والانحراف العقدي في الأمة.

بقيت مسألتان، هما:

أولاً: أن الردة ليست فقط اعتراف فلان من الناس بارتداده عن الإسلام أو إقراره بذلك، وإنما تكون الردة أيضًا بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام الكثيرة، ومنها:

- بغض شيء جاء به النبي ﷺ، ولو عمل به ظاهراً.
- الاستهزاء بشيء من دين الله.
- الاعتقاد بأنه يمكن الخروج على شريعة الإسلام (**).

ثانيًا: تظاهر العلمانيين بالإسلام، وفي الوقت نفسه: محاربته بتبني أفكار مضادة له، والدفاع عن الزنادقة والمرتدين.. فعليهم أن يوضحوا للناس حقيقة إسلامهم والتبرؤ من كل ما يناقض الإسلام، أو أن يعلنوا صراحة موقفهم الرافض لهذا الدين، فيعرفهم الناس على حقيقتهم.

كم نحن بحاجة ماسة إلى حزم الخليفة الراشد «أبي بكر الصديق»، وموقفه العظيم من المرتدين، الذي أصر فيه على حربهم.. حتى عادوا إلى الإسلام.



والله نسأل أن يقر أعيننا بنصر الإسلام وعز المسلمين، وأن يرينا في أعداء دينه ـ إن لم يهتدوا ـ يومًا أسود، وما ذلك على الله بعزيز.



*) هذا العنوان مأخوذ من محاضرة للشيخ أبي الحسن الندوي (حفظه الله)، طبعت في رسالة صغيرة وضمت لكتابه «إلى الإسلام من جديد»، وهذا الموضوع لا علاقة له بذاك، وهو ليس دراسة شرعية عن موضوع الردة، إذ إن ذلك سيكون ـ بإذن الله ـ في دراسة شرعية تأصيلية في عدد قادم ـ بإذن الله (تعالى) ـ.

**) لمزيد بيان لهذه النواقض: تراجع إحدى رسالتين علميتين في هذا الموضوع، هما:
- نواقض الإيمان القولية والعملية، د/ عبد العزيز آل عبد اللطيف.
- نواقض الإيمان الاعتقادية، د/ محمد الوهيبي.

السبيل إلى انحسار البدع

بقلم: **سلمان عمر السنيدي**

البدع مظهر نشاز في مجتمع المسلمين، وجرح غائر يستشري في أقطار كثيرة، ويظهر في صور متعددة؛ وما يزال غلاً كئيبًا على عقول المسلمين بالتقليد والتعصب والجهل، وتشكل البدع ظلامًا على الأبصار، يحجب نور السنة وفرقان الاتباع، وكل بدعة في دين الله ـ قديمة كانت أو حديثة ـ لها ما يضادها في شرع الله، مما سطر العلماء فيه جهودًا مكتوبة ومواقف مشهودة.

فتكونت لأهل السنة والجماعة سبيل واضحة لمواجهة البدع وأهلها، مما سيظل طريقًا واضحًا له أساليبه، ومنهجه، وأهدافه، وغايته.

ولقد كانت جهود العلماء ومواقفهم العظيمة زادًا كشف للأمة عمق هذا السبيل ومتانته، ويمكن تقسيم جهود العلماء في سبيل مقاومة البدع إلى الجهود التالية:

أولاً: نشر العلم النافع وإحياء العمل بالسنة:

نشر العلم والعمل به غاية ومقصد لذاته؛ وهو كذلك وسيلة لإزالة البدع ودحضها والقضاء عليها.

ولقد كان همًّا تحمله الأمة المسلمة، وفي مقدمتها العلماء وطلاب العلم، كلٌّ يحمله بحسب منزلته وجهده وعلمه؛ وذلك لحفظ الدين وحمايته من النقص والزيادة، ومن التحريف والتعطيل، لقول الرسول ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأولين الجاهلين»(١).

وفي الشرع المطهر دلائل كثيرة على الحض على حفظ العلم ونشر السنة، ومن

---

١) صححه الإمام أحمد، وابن عبد البر، والعراقي، والحافظ العلائي، ورواه الخطيب في (شرف أصحاب الحديث)، ٣٥/٢، وانظر: مشكاة المصابيح، ص ٢٤٨ .

ذلك: قوله ﷺ: «نضَّر الله امرأ سمع منا شيئًا فبلَّغه كما سمعه، فرب مُبَلَّغ أوعى له من سامع»[1].

وفي حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا»[2].

ومن ثمرات هذا السبيل المبارك: القضاء على البدع، وكسر شوكتها، وتبديد ظلامها أمام سلطان العلم ونور الدليل.

وما نبتت للبدع نابتة إلا بقصور هذا الجانب، وما كسفت شمس السنة في بلاد إلا عمتها البدع، وتمكنت فيه المحدثات، وظهرت فيها المنكرات، فعن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالـمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا»[3].

ثانيا: الوقاية من البدع:

إن الوقاية من ظهور البدع من مقاصد الشريعة؛ ولقد جاء التحذير في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من البدع وأسبابها، ويمكن تقسيم النصوص والآثار الواردة في هذا المجال إلى ما يلي:

١ ـ التحذير من اتباع الأهواء، كما في قوله (تعالى): ﴿**وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [ص: ٢٦]، وقوله: ﴿**وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**﴾ [المائدة: ٤٨]، وقوله: ﴿**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[البقرة: ١٤٥]، وقوله: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ**﴾[الجاثية: ٢٣].

٢ ـ التحذير من التقليد بغير علم، كما عاب الله (تعالى) على من قال: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الزخرف: ٢٢].

وقال (سبحانه): ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٠].

---

١) رواه الترمذي، ح/٢٦٦٨، وصححه، وأبو داود، ح/٣٦٦٠، وابن ماجة، ح/٢٣٠ و٣٥٠٦، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، ص ٢٣٠.

٢) رواه مسلم، ح/٢٦٧٤.   ٣) رواه البخاري: كتاب العلم، ح/١٠٠، ٧٣٠٧، ومسلم، ح/٢٦٧٣.

وقد حذر الرسول ﷺ من تقليد الأمم السابقة: «لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم»[1].

٣ ـ التحذير من إحداث البدع في الدين، لحديث عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[2]، وفي رواية لها أنه قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[3]، وعن جرير بن عبد الله أنه سمع الرسول ﷺ يقول: «ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعُمل بها بعده كتبت عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء»[4]، وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»[5].

قال مالك: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا»[6].

٤ ـ التحذير من البدع وأهلها، لحديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يقول في خطبته: «وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[7]، وفي رواية: «وكل محدثة بدعة»[8]، وفي حديث العرباض بن سارية: «كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[9].

وفي قوله (تعالى): ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، قال ابن عطية: «هذه الآية تعم أهل الأهواء والبدع والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدال والخوض في الكلام، هذه كلها عرضة للزلل، ومظنة لسوء المعتقد»[10].

---

١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، ح/٢١٨١، والإمام أحمد، ٥/٢١٨.
٢) رواه مسلم، ١٢/١٦.
٣) رواه البخاري، ٥/٣٠١، ومسلم، ١٢/١٦.
٤) رواه مسلم، ح/١٠١٧.
٥) رواه مسلم، ح/٢٦٧٤.
٦) الاعتصام، ١/٦٤.
٧) رواه مسلم، ٦/١٣٥.
٨) مسلم، ٦/١٥٦.
٩) رواه أبو داود، ح/٤٦٠٧، والترمذي، ح/٢٦٧٦، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة، ص٤٤، وأحمد، ٤/١٢٦، وقال البزار: حديث ثابت، وقال البغوي: حديث حسن، وقال أبو نعيم: حديث جيد، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح/٢٥٤٩، وفي الصحيحة، ح/٩٣٧.
١٠) الاعتصام، ١/٧٩.

وفي قوله (تعالى): ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، قال الشاطبي: «والسبل هي أهل البدع، ليس المراد سبل المعاصي؛ لأن المعاصي من حيث هي معاصٍ لم يضعها أحدٌ طريقاً تسلك دائماً على مضاهاة التشريع، وإنما هذا الوصف خاص بالبدع المحدثات»[1].

وقال مجاهد في قوله: (ولا تتبعوا السبل): «السبل: البدع والشبهات»[2].

وكتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز: «أوصيك بترك ما أحدث المحدثون، وعليك بلزوم السنة؛ فإن السنة إنما سنّها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق»[3]، ويقول ابن القيم: «واشتد نكير السلف والأئمة للبدع، وحذروا منها أشد التحذير؛ إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد من عامة الفواحش والظلم والعدوان»[4]، وقال القاضي أبو يعلى: «أجمع الصحابة والتابعون على مقاطعة المبتدعة»، وقال البغوي: «وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا، مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم»[5]، وقال الغزالي في الإحياء: «السلف اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى معصية متعدية إلى غيره».

ثالثاً: دوافع مواجهة البدع:

وتبرز أهمية التصدي للبدع وأهلها فيما يلي:

١ ـ حراسة الدين وحفظه:

يقول ابن تيمية: «فالمرصدون للعلم عليهم للأمة حفظ الدين وتبليغه؛ فإذا لم يبلغوا الدين أو ضيعوا حفظه كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين، ولهذا قال الله (تعالى): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ (١٥٩) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]، فإن ضرر كتمانهم تعدى إلى البهائم وغيرها؛ فلعنهم اللاعنون حتى البهائم» [الفتاوى].

١) الاعتصام، ١/٧٦، ورحمة الله على الشاطبي؛ فقد توفي سنة ٧٩٠هـ لقد كان الأمر في شأن المعاصي على ما ذكر، فكيف سيقول لو عاش في زماننا هذا؟!.

٢) الاعتصام، ١/٧٧.

٣) الاعتصام، ١/٦٥.

٤) مدارج السالكين، ١/٣٧٢.

٥) شرح السنة، ١/٢٢٦.

٢ ـ باب من أبواب الجهاد :

عن أنس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم »[١]، قال شيخ الإسلام : « فالراد على أهل البدع مجاهد؛ حتى كان يحيى بن يحيى يقول : الذب عن السنة أفضل من الجهاد..، والنصح واجب في المصالح الدينية الخاصة والعامة؛ ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل : الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟، فقال : إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل، فبيّن : أن نفع هذا عام للمسلمين من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفعه بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك : واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً »[٢] .

٣ ـ إقامة العدل :

وذلك بإقامة ميزان الاعتدال في الولاء والبراء بحق وعلم، وذلك حين تصرف المحبة ويعقد الولاء جهلاً لمن لا يستحقها، وحين يحصل التعدي والجفاء ظلماً لمن لا يستحق ذلك، فالواجب هو التصدي لأهل المخالفات والبدع بالعلم والعدل، ومحو ما ينشره أهل الظلم والجهل من الولاء والبراء بغير علم ولا كتاب منير، قال شيخ الإسلام : « وصار كثير من أهل البدع يعتقدون اعتقاداً هو ضلال، يرونه هو الحق، ويرون كفر من خالفهم في ذلك، وإزاء هؤلاء المكفرين بالباطل أقوام لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما يجب، أو يعرفون بعضه ويجهلون

---

١) رواه أحمد، ٣/١٢٤، وأبو داود، ح/٢٥٠٤، والنسائي، ح/٣٠٩٨، والحاكم، ٢/٨١، وقال : على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه ابن حبان، ح/١٦١٨، والألباني في صحيح الجامع، ح/٣٠٩٠.

٢) الفتاوى، ٢٨/٢٣١.

بعضه، ولا ينهون عن البدع، ولايذمون أهل البدع، ولايعاقبونهم، ويقرون الجميع على مذاهبهم المختلفة كما يقر العلماء في موضع الاجتهاد التي يسوغ فيها النزاع، وكلا هاتين الطريقتين منحرفة خارجة عن الكتاب والسنة »[1] .

مراتب مهمة في كشف البدع:

ومن هنا كانت ضرورة انتصاب طائفة للرد على أهل البدع، وكشف حقيقتها، وسبر رؤوسها الداعين إليها، وتحذير الأمة من شرورهم، وذلك برصد الأحداث، وتقديرها ، وتقويمها ، وتصورها على وجه الواقع ، ثم القيام ـ حسب الوسع والطاقة ـ بالمراتب التالية:

المرتبة الأولى: الرد على أهل البدع:

وذلك بمراعاة المنهج القويم في الرد عليهم، المتضمن ما يلي:

١ ـ كشف تاريخ البدعة وأصل نشأتها وارتباطها بأصحابها الذين أحدثوها، وأنه لا أصل لها في دين الله.

٢ ـ توثيق الرد بالاعتماد على كلام الخصوم في كتبهم ومقالاتهم، وعدم الاكتفاء بالكتب التي تروي أجزاءً من مقالاتهم؛ لأن هذا أبلغ في الحجة وأسلم في النقل.

٣ ـ بيان تناقض المنهج الداعي إلى البدعة مع نفسه، وأن أهله ملزمون بالتناقض أو ترك البدعة.

وفي موقف ابن عباس وجداله للخوارج خير مثال على ذلك، حيث قال لهم: «أرأيتكم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله ما ينقض قولكم، أترجعون؟، قالوا: وما لنا لا نرجع، قال: أما أن علي (رضي الله عنه) حكَّم الرجال في دين الله: فإن الله قال ـ عن صيد المحرم ـ: ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾، وقال في المرأة وزوجها: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾، فصير الله ذلك إلى حكم الرجال، فنشدتكم الله: أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين وإصلاح ذات بينهم أفضل أو في حكم أرنب ثمنه ربع درهم وفي بضع امرأة؟، قالوا: بلى هذا أفضل، قال: أخرجتم من هذه؟، قالوا: نعم. قال: فأما قولكم: قاتل، ولم يَسْب، ولم يغنم؛ أفَتَسْبُون أمكم عائشة؟!، فإن قلتم: نسبيها، فنستحل منها ما نستحل من غيرها:

---

١) الفتاوى، ١٢/٤٦٦.

فقد كفرتم، وإن قلتم: ليست بأمنا: فقد كفرتم، فأنتم تترددون بين ضلالتين، أخرجتم من هذه؟، قالوا: بلى. قال: وأما قولكم: محا نفسه من إمرة المؤمنين، فإن نبي الله ﷺ يوم الحديبية قال: اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فقال أبو سفيان وسهيل ابن عمرو: ما نعلم أنك رسول الله، قال رسول الله ﷺ: اللهم تعلم أني رسولك، امح يا علي، واكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، قال ابن عباس: فرجع من الخوارج ألفان، وبقي بقيتهم.

ولقد كان لعمر بن عبد العزيز مع الخوارج موقفًا آخر حينما جادلهم، فقالت طائفة منهم: لسنا نجيبك حتى تكفِّر أهل بيتك وتلعنهم، وتتبرأ منهم، فقال عمر: إنه لا يسعكم فيما خرجتم له إلا الصدق، أعلموني: هل تبرأتم من فرعون، أو لعنتموه، أو ذكرتموه في شيء من أموركم؟، قالوا: لا، قال: كيف وسعكم تركه ولم يصف الله عبداً بأخبث من صفته إياه؟، ولا يسعني ترك أهل بيتي ومنهم المحسن والمسيء والمخطئ والمصيب.

٤ ـ تحديد المخالفة ونقض الوصف القائم بالبدعة وذمه، وتحرير موطن الانحراف والضلال.

٥ ـ الإنصاف والعدل مع أصحاب البدعة في ثلاثة مواطن:

أ ـ بالتفريق بينهم وبين من هم أسوأ منهم في الانحراف الابتداعي، وفي هذا يقول ابن تيمية: «ومما ينبغي أن يعرف: أن الطوائف المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدين والكلام على درجات: منهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة، ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة، ومنهم من يكون قد رد على غيره من الطوائف الذين هم أبعد من السنة منه، فيكون محموداً فيما رده من الباطل وما قاله من الحق، لكن قد جاوز العدل في رده بحيث جحد بعض الحق وقال بعض الباطل، فيكون قد رد بدعة كبيرة ببدعة أخف منها، ورد باطلاً بباطل أخف منه، وهذا أكثر أهل الكلام المنتسبين إلى السنة والجماعة، ومثل هؤلاء إذا لم يجعلوا ما ابتدعوه قولاً يفارقون به جماعة المسلمين، يوالون عليه ويعادون: كان من نوع الخطأ، والله (سبحانه وتعالى) يغفر للمؤمنين خطأهم في مثل ذلك»[1].

---

١) الفتاوى، جـ٣، ص ٣٤٨.

ب ـ التفريق بين أصحاب البدعة الواحدة، فالداعين إليها يختلفون عن غير الداعين من المقلدين والأتباع، وكذلك من يوالون عليها ويعادون: فإنهم يختلفون عن الذين يجعلونها بمنزلة الخلاف السائغ، يقول ابن تيمية: «السلف يفرقون بين الداعية وغير الداعية، لأن الداعية أظهر المنكر فاستحق العقوبة، بخلاف الكاتم: فإنه ليس شرًا من المنافقين الذين كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله، مع علمه بحال كثير منهم»[1].

جـ ـ عدم معاملتهم بمثل ما يعاملون به أهل السنة والجماعة؛ فلا يرد ضلالهم بتكفير أهل القبلة بتكفيرهم.. وهكذا، وإنما يعاملون بما يستحقون.

٦ ـ تنزيل الأحكام على الأقوال والأفعال لا على الأشخاص، إلا بعد يقين، قال شيخ الإسلام: «إني من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى كفر وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقًا أخرى، وعاصيًا أخرى، إن ما نقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو حق، ولكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين»[2]، «وأصل ذلك: أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع يقال هي كفر قولاً يطلق، كما دل على ذلك الدلائل الشرعية، ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعه»[3]، «وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين ـ وإن أخطأ وغلط ـ حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة»[4].

٧ ـ فتح باب العودة للخصم واحتواؤه، ومن ذلك: الدعاء له بالهداية والرحمة.

المرتبة الثانية: مناظرة رؤوس البدعة ومحاجتهم:

قال ابن عبد البر: «قال بعض العلماء: كل مجادل عالم، وليس كل عالم مجادل. يعني: أنه ليس كل عالم يتأتى له الحجة، ويحضره الجواب، ويسرع إليه

---

١) الفتاوى، ٢٨ /٢٠٣.
٢) الفتاوى، ٣/٢٢٩.
٣) الفتاوى، ٣٥/١٦٥.
٤) الفتاوى، ١٢/٤٤٦.

الفهم بمقطع الحجة، ومن كانت هذه خصاله فهو أرفع العلماء وأنفعهم مجالسة ومذاكرة»[1].

قال المزني: «وحق المناظرة أن يراد بها الله (عز وجل)، وأن يقبل منها ما يتبين»[2]، ويلزم المناظر ما يلي:

١ ـ المطالبة بالدليل؛ لقوله (تعالى): ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، وقوله (تعالى): ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]، وقوله (تعالى): ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا﴾ [يونس: ٦٨].

٢ ـ إحكام النقض: كما قال إبراهيم (عليه السلام) للنمرود حين قال: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ولما رأى ابن مسعود (رضي الله عنه) جماعة يعدون تسبيحهم بالحصى، قال لهم: «والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة»[3].

٣ ـ الإقناع بالدليل، وذلك يتطلب الأمور التالية:

أ ـ صحة الحجة.
ب ـ صحة الدلالة.
جـ ـ ترتيب الأدلة.
د ـ ترك التشهي.

٤ ـ حسن الصياغة: وذلك بسلامة اللغة، وسهولتها، والاقتصاد في العبارة[4].

المرتبة الثالثة: تعزيرهم وكسر شوكتهم:

وذلك بمعاقبتهم بما يستحقون من العقوبات الشرعية، من: هجرهم، وترك توقيرهم، ونزع ولايتهم، وحرمانهم من العطاء، وطردهم، وسجنهم، وقتلهم، قال شيخ الإسلام: «من كفّر المسلمين أو استحل دماءهم وأموالهم، ببدعة ابتدعها، ليست في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ: فإنه يجب نهيه عن ذلك وعقوبته بما يزجره ـ ولو بالقتل أو القتال ـ؛ فإنه إذا عوقب المعتدون من جميع الطوائف، وأُكرم المتقون من جميع الطوائف: كان ذلك من أعظم الأسباب التي ترضي الله ورسوله

١) جامع بيان العلم وفضله، ص ١٠٧.
٢) جامع بيان العلم وفضله، ص ١٠٧.
٣) رواه أحمد في الزهد، ص ٢٥٨، والدارمي في سننه، ١/ ٦٨، وأبو نعيم في الحلية، ٤/ ٣٨٠.
٤) انظر: الرد على المخالف من أصول الإسلام، للشيخ بكر أبو زيد، ص ٥٤.

ﷺ وتصلح أمر المسلمين»[1] ، وذلك حين تكون لأهل السنة ولاية قائمة.

المرتبة الرابعة: إزالة رسومهم:

مثل تسوية الأضرحة، ومنع كتبهم، ومنع اجتماعهم على البدع.. ونحو ذلك، أسوة برسول الله ﷺ، حيث قال علي (رضي الله عنه) لأبي الهياج: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله؟: أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً إلا سويته»[2].

وكما فعل عمر بن الخطاب بقطع شجرة (بيعة الرضوان) لما رأى بوادر الغلو فيها قامت أو تكاد.

المرتبة الخامسة: الثبات والصبر حال تسلط أهل البدع:

ويذكر ابن تيمية (رحمه الله) صوراً من هذا التسلط في فتنة الجهمية ودعوتهم إلى القول بخلق القرآن، فيقول: «امتحنوا الإمام أحمد وسائر علماء وقته، وفتنوا المؤمنين والمؤمنات الذين لم يوافقوهم على التجهُّم بالضرب والحبس والقتل والعزل عن الولايات وقطع الأرزاق ورد الشهادات وترك تخليصهم من العدو»[3].

فالواجب ـ والحالة هذه ـ الصبر، والثبات، والتمسك بالدين، والحذر أن تزل قدم بعد ثبوتها، والنظر إلى تسلط الأعداء على أنبياء الله، وكيف كانت العاقبة للمؤمنين، وكيف أن التاريخ يحفظ للصابرين جميل فعلهم بحفظ الدين وتثبيت العامة على الدين.

وأما متى يسوغ السكوت عن البدع، فذلك في مقامين:

الأول: أن يكون في الرد مفسدة أعظم، فليس كل راد مؤهلاً لذلك، قال شيخ الإسلام: «وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة؛ فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل، كما ينهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجاً قويًّا من علوج الكفار»[4].

والثاني: أن يلحق الداعي بلاء فادح، فهو مخير بين الأخذ بالعزيمة أو الأخذ بالرخصة الموسعة للمستضعفين من الرجال والنساء.

---

١) الفتاوى، ٣/٤٢٣.

٢) رواه مسلم، ح/٩٦٩، وأبو داود، ح/٣٢١٨، والترمذي، ح/١٠٤٩، والنسائي، ٤/٨٨.

٣) الفتاوى، ١٢/٤٨٨.

٤) درء تعارض العقل والنقل، ٧/١٧٣.

المفهوم الصحيح للتوكل

ومظاهر الانحراف فيه

بقلم: عبد العزيز بن ناصر الجليل

يمكن القول بأن التوكل نصف الدين، ونصفه الثاني هو: (العبادة)؛ لأن الدين استعانة وعبادة، كما يشير إليه قوله (تعالى): ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقد ورد التوكل في كثير من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة، ومن ذلك: قوله (تعالى): ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وقوله (تعالى): ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]. وقال (تعالى) عن أوليائه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال (تعالى) لرسوله ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]، وكذلك: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وأما الأحاديث فكثيرة أيضاً، منها:

- في الصحيحين: حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب «هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون»[1].
- وفي صحيح البخاري عن ابن

١) البخاري، ح/٥٧٠٥، ك/ الطب، من حديث عمران بن حصين، ومسلم، ح/٢١٨، ك/ الإيمان.

عباس (رضي الله عنهما) قال: «(حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم ﷺ، حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾»[1].

• وفي الترمذي عن عمر (رضي الله عنه) مرفوعاً: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير: تغدو خماصاً، وتروح بطاناً»[2].

تعريف التوكل بمعناه الصحيح:

التوكل عمل قلبي من أعمال القلوب، وقد وردت له تعريفات كثيرة يكمل بعضها بعضاً لتنتهي مجتمعة إلى حقيقة التوكل ومعناه:

• فمن ذلك: ما ذكره الإمام ابن القيم (رحمه الله) عن التوكل: «هو حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله، وتفرده بالخلق والتدبير، والضر والنفع، والعطاء والمنع، وأنه ما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن، وإن شاءه الناس، فيوجب له هذا اعتماداً عليه، وتفويضاً إليه، وطمأنينة به، وثقة به، ويقيناً بكفايته لما توكل عليه فيه»[3].

• ومن ذلك: ما نقله الشيخ محمد العثيمين (حفظه الله) في شرحه لكتاب التوحيد، حيث قال: «التوكل: هو الاعتماد على الله (سبحانه وتعالى) في جلب المطلوب

---

١) البخاري ح/٤٥٦٣، ك/ التفسير - سورة آل عمران.

٢) الترمذي في الزهد، ح/٢٣٤٥، وابن ماجة، ح/٤١٦٤، وأحمد، ١/٥٢، وصححه الشيخ أحمد شاكر، ١/٢٠٦، وهو في صحيح سنن الترمذي، ح/١٩١١.

٣) مدارج السالكين، ١/٨٢ ...وهو دراسة موسعة شرح فيها معاني ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وهو (شرح منازل السائرين) للإمام الهروي، والكتاب - مع أهميته واستقصائه لأعمال القلوب - فيه استطرادات وبعض شطحات يسيرة، وقد حقق مؤخراً تحقيقاً جيداً من قبل الأستاذ «محمد المعتصم بالله البغدادي»، ولتلافي بعض الملحوظات فيه عمد بعض العلماء والدعاة إلى اختصاره ليكون سهل التناول، ومن أفضل المختصرات: (تهذيب مدارج السالكين) للشيخ عبد المنعم العزي، وكذلك: (بغية السالكين من مدارج السالكين) للشيخ عبد الله السبت.

وزوال المكروه، مع فعل الأسباب المأذون فيها »[1] .

تباين الخلق في توكلهم على الله (سبحانه) وأفضلهم في ذلك :

وضّح الإمام ابن القيم (رحمه الله تعالى) هذه المسألة أتم توضيح بقوله :

« فأهل السموات والأرض ـ المكلفون وغيرهم ـ في مقام التوكل، وإن تباين متعلق توكلهم :

ـ فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في الإيمان، ونصرة دينه وإعلاء كلمته، وجهاد أعدائه، وفي محابّه وتنفيذ أوامره.

ـ ودون هؤلاء : من يتوكل عليه في استقامته في نفسه، وحفظ حاله مع الله، فارغًا عن الناس.

ـ ودون هؤلاء : من يتوكل عليه في معلوم يناله منه : من رزق، أو عافية، أو نصر على عدو، أو زوجة، أو ولد .. ونحو ذلك .

ـ ودون هؤلاء : من يتوكل عليه في حصول الإثم والفواحش؛ فإن أصحاب هذه المطالب لا ينالونها غالبًا إلا باستعانتهم بالله وتوكلهم عليه.

فأفضل التوكل : التوكل في الواجب ـ أعني واجب الحق، وواجب الخلق، وواجب النفس ـ وأوسعه وأنفعه : التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية ، أو في دفع مفسدة دينية؛ وهو توكل الأنبياء في إقامة دين الله ، ودفع فساد المفسدين في الأرض، وهذا توكل ورثتهم ، ثم الناس بعدُ في التوكل على حسب هممهم ومقاصدهم، فمِنْ متوكل على الله في حصول الملك، ومن متوكل في حصول رغيف »[2] .

التوكل وأنواعه :

١ ـ توكل الموحدين الصادقين :

وحقيقته : الاعتماد على الله (عز وجل) وحده، والثقة بكفايته مع فعل الأسباب المأذون فيها من غير اعتماد عليها ولا ركون إليها ؛ فخالق الأسباب

---

١) شرح كتاب التوحيد للشيخ ابن عثيمين، ٢/ ١٨٥.

٢) مدارج السالكين، ٢/١١٣، ١١٤ .

ومسببها هو الله وحده.

٢ ـ التوكل الشركي، وهو نوعان:

أ ـ أكبر، وهو: «الاعتماد الكلي على الأسباب، واعتقاد أنها تؤثر استقلالاً في جلب المنفعة أو دفع المضرة، وهذا من الشرك الأكبر»[١].

ب ـ الشرك الأصغر، وهو: «الاعتماد على شخص في رزقه ومعاشه.. وغير ذلك، من غير اعتقاد استقلاليته في التأثير، لكن التعلق به فوق اعتقاد أنه مجرد سبب، مثل اعتماد كثير من الناس على المالية في الراتب، ولهذا تجد أحدهم يشعر من نفسه أنه معتمد على هذا الراتب أو من يقرر الراتب اعتماد افتقار، فتجد في نفسه من المحاباة لمن يكون هذا الرزق عنده ما هو ظاهر»[٢].

٣ ـ التوكل الجائز:

«وهو أن يُوكِّلَ الإنسان في فعل يقدر عليه، فيحصل للموكِّل بذلك بعض مطلوبه، فأما مطالبه كلها فلا يقدر عليها إلا الله وحده»[٣] «كمن وكَّل شخصاً في شراء شيء أو بيعه، فهذا لا شيء فيه، لأنه اعتمد عليه، وكأنه يشعر أن المنزلة العليا له فوقه، لأنه جعله نائباً عنه، وقد وكل النبي ﷺ علي بن أبي طالب أن يذبح ما بقي من هديه، ووكل أبا هريرة على الصدقة، ووكل عروة بن الجعد أن يشتري له أضحية»[٤]، ولكن توكيل المخلوق غايته أن يفعل بعض المأمور، وهو لا يفعل ذلك إلا بإعانة الله له، فرجع الأمر كله لله وحده.

ضوابط الأخذ بالأسباب:

الأخذ بالأسباب لا بد له من ضوابط تقي من الوقوع في الشرك الناشئ من التعلق بها والاعتماد عليها، ومن أهم هذه الضوابط ما يلي:

١ ـ «الاعتقاد بأنها لا تستقل

---

١) انظر: شرح كتاب التوحيد للشيخ ابن عثيمين (حفظه الله)، ٢/١٩٠، ١٩١.

٢) انظر: المصدر السابق، ٢/١٩٠، ١٩١.

٣) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية، ١/٨٩.

٤) انظر: شرح كتاب التوحيد، للشيخ ابن عثيمين (حفظه الله)، ٢/١٩٠، ١٩١.



بالمطلوب، بل تُتعاطى من غير ركون إليها، ومع هذا فلها موانع، فإن لم يكمل الله الأسباب، ويدفع الموانع: لم يحصل المقصود، وهو (سبحانه) ما شاء كان وإن لم يشا الخلق، وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الخلق»[1] .

٢ ـ «ألا يعتقد في الشيء أنه سبب إلا بعلم وتحقق، فمن أثبت سببًا بلا علم، أو بما يخالف الشريعة: كان مبطلاً في إثباته، آثمًا في اعتقاده»[2].

٣ ـ «أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يُتخذ شيء منها سببًا، إلا أن يكون مشروعًا، فإن العبادات مبناها على التوقيف، فلا يتقرب إلى الله (عز وجل) بالأعمال الشركية أو البدعية أو نحوها»[3] .

٤ ـ «إذا لم يوجد من الأسباب في تحصيل المطلوب إلا سببًا محرمًا: فلا يجوز مباشرته ولا الأخذ به، وتوحد السبب في حقه في التوكل على الله (عز وجل)، فلم يبق سبب سواه، فإنه من أقوى الأسباب في حصول المراد، ودفع المكروه، بل هو أقوى الأسباب على الإطلاق»[4] .

٥ ـ «إن كان السبب مباحًا، نُظر: هل يضعف القيام به التوكل أو لا يضعفه، فإن أضعفه، وفرق على العبد قلبه، وشتت همه: فتركه أولى، وإن لم يضعفه: فمباشرته أولى؛ لأن حكمة أحكم الحاكمين اقتضت ربط المسبب به، فلا تعطل حكمته مهما أمكن القيام بها، لا سيما إذا كان الأخذ بالسبب عبودية لله (عز وجل)، فيكون العبد قد أتى بعبودية القلب بالتوكل، وعبودية الجوارح بالسبب المنوي به القربة»[5] .

«إن القيام بالأسباب على نحو ما سبق هو الذي يحقق التوكل، فمن عطل الأسباب المأمور بها لم يصح

١، ٢) انظر: توحيد الخلاق، للشيخ سليمان بن عبد الله، ص ١٦٩ ـ ١٧٢ .

٣) المرجع السابق .

٤) انظر: الفوائد، لابن القيم، ص ٨٦، ٨٧ .

٥) المرجع السابق.

توكله، كما أن القيام بالأسباب المفضية إلى حصول الخير يحقق رجاءه، فمن لم يقم بها كان رجاؤه تمنيًا ، كما أن من عطلها يكون توكله عجزًا أو عجزه توكلاً »[1] .

« وسر التوكل وحقيقته هو : اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله « توكلت على الله » مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به، فتوكل اللسان شيء ، وتوكل القلب شيء »[2] .

مظاهر الانحراف في مفهوم التوكل وتطبيقه :

بعد أن اتضحت حقيقة التوكل والفهم الصحيح له ومراتب الناس فيه، فيجدر بنا الآن أن نتعرف على بعض مظاهر وصور الانحراف التي طرأت على هذا العمل العظيم من أعمال القلوب، وما كان لهذا الانحراف من أثر سيء على بعض أبناء الأمة في عجزهم ، أو تعلقهم بغيرهم، أو تركهم لما يجب الأخذ به.. وما إلى ذلك من الآثار السيئة والنتائج الوخيمة، هذا .. ولقد كان للفكر الصوفي المنحرف ، وظهور الفِرَق : أكبر الأثر في انتشار هذه المظاهر من الانحراف، يضاف إلى ذلك: ما ساهم به الغزو الفكري لهذه الأمة من نشر للمذاهب المادية ، التي لا تربط النتائج إلا بالمادة المحسوسة، وتلغي جانب الغيب والإيمان بالله (عز وجل) وقضائه وقدره وملكه وقهره وعظمته.. وما كان لهذه الأفكار كلها أن تؤثر لو كان العلم وفهم العقيدة الصحيحة منتشرًا بين الأمة، ولكن لما وافق هذا جهلاً عند بعض المسلمين بحقيقة هذا الدين وأصوله: نشأ من ذلك بعض المفاهيم المغلوطة للتوكل، كما نشأ الضعف في التطبيق لهذه العبادة العظيمة.

وفي الفقرات التالية: أستعرض بعض صور الانحراف والضعف في هذا الجانب المهم من جوانب العقيدة ،

(١ ، ٢) المرجع السابق.

لعلنا نتفقده في أنفسنا أو عند غيرنا؛ حتى نتجنبه، ونحذر منه.

ومن أهم مظاهر الانحراف في ذلك ما يلي:

١ ـ النظر إلى التوكل على أنه تواكل وترك للأسباب، والذين وقعوا في هذا الانحراف على صنفين:

أ ـ صنف يعلم أن التوكل لا ينافي فعل الأسباب والأمر واضح عنده بلا شبهة، ولكنه ينطلق من هذا الفهم المنحرف في تبرير عجزه وكسله وتفريطه، فهذا عجزه توكل، وتوكله عجز، وهذا الصنف من الناس لا ينقصه إلا أن يتقي الله (عز وجل)، ولايبرر شهوته بشبهة، وفي ذلك يقول ابن القيم (رحمه الله تعالى):

«وكثيراً ما يشتبه في هذا الباب: المحمودُ الكامل بالمذموم الناقص.

ومنه: اشتباه التوكل بالراحة وإلقاء حمل الكَلّ؛ فيظن صاحبه أنه متوكل، وإنما هو عامل على عدم الراحة..»[١].

ب ـ أما الصنف الثاني: فقد أُتي من جهله بحقيقة التوكل على الله (عز وجل)، وجهله بسنن الله (سبحانه) في ارتباط المسببات بالأسباب، وأن الأخذ بالأسباب بضوابطها الموضحة سابقًا لا ينافي التوكل، بل إن تركها قدح في حكمة الله (عز وجل)، ونقص في العقل، وما علم صاحب هذا الفهم أن التوكل عليه (سبحانه) هو أقوى الأسباب في حصول المطلوب ودفع المكروه، يقول الإمام ابن رجب (رحمه الله تعالى): «واعلم أن تحقيق التوكل لا يُنافي السعي في الأسباب التي قدَّر الله سبحانه المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله (تعالى) أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكُّل، فالسَّعيُ في الأسباب بالجوارح طاعةٌ له، والتوكل بالقلب عليه إيمانٌ به، كما قال الله (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]»[٢].

---

١) مدارج السالكين، ٢/١٢٣، ١٢٤.

٢) جامع العلوم والحكم، ص ٤٩٨.

ويتحدث ابن القيم (رحمه الله تعالى) عن توكل الرسول ﷺ وصحابته الكرام مع أخذهم بالأسباب، فيقول: «... وكان يدخر لأهله قوت سنة وهو سيد المتوكلين، وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة حمل الزاد والمزاد، وجميعُ أصحابه، وهم أولو التوكل حقًّا، ... فكانت هممهم (رضي الله عنهم) أعلى وأجل من أن يصرف أحدهم قوة توكله واعتماده على الله في شيء يحصل بأدنى حيلة وسعي؛ فيجعله نصب عينيه، ويحمل عليه قوى توكله»[1] .

٢ ـ ويقابل الانحرافَ السابق انحرافٌ في الجانب المقابل، ألا وهو **الإفراط في فعل الأسباب والتعلق بها** محبةً وخوفًا ورجاء، ومعلوم ما في هذا الانحراف من خطر شديد على التوحيد، فهو إما شرك أكبر: إذا اعتقد فاعل الأسباب أنها تؤثر استقلالاً، وإما شرك أصغر: إذا لم يعتقد ذلك، ولكنه تعلق بها وحابى من أجلها، وجعل أكثر اعتماده عليها في حصول المطلوب وزوال المكروه.

وما أكثر من يقع منا في هذا الضعف القادح في التوكل على الله (عز وجل)، ولكن ما بين مُقِلٍّ ومكثر، وإن وجد من يحقق التوكل على الله (عز وجل) في أمور الدنيا فإن المحققين له في العبادة وأمور الآخرة أقل وأقل، وفي ذلك يقول الشيخ محمد ابن عثيمين (حفظه الله):

«ولكن الغالب عندنا ضعف التوكل، وأننا لا نشعر حين نقوم بالعبادة أوالعادة بالتوكل على الله والاعتماد عليه في أن ننال هذا الفعل، بل نعتمد في الغالب على الأسباب الظاهرة، وننسى ما وراء ذلك، فيفوتنا ثواب عظيم وهو ثواب التوكل»[2] .

٣ ـ ما ينقل عن بعض غلاة المتصوفة من أن التوكل من مقامات العامّة، لا من مقامات الخاصة، ومنشأ هذا

---

١) مدارج السالكين، ٢/١٣٤، ١٣٥، بتصرف .

٢) شرح كتاب التوحيد، للشيخ ابن عثيمين، ٢/١٩٠ .



الانحراف أتى من ظنهم أن التوكل لا يطلب به إلا حظوظ الدنيا، كما هو شأن عامة الناس، وهذا غلط، فإن أعظم ما يُتوكل على الله فيه الأمور الدينية، وحفظ الإيمان، وجهاد أعداء الله (عز وجل)، ورجاء ثوابه (سبحانه).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

« .. وعلى هذا: فالذي ظن أن التوكل من المقامات العامة ظن أن التوكل لا يطلب به إلا حظوظ الدنيا، وهو غلط، بل التوكل في الأمور الدينية أعظم »[1] .

٤ ــ جبن القلب والخوف من المخلوق:

إن مما ينافي حقيقة التوكل: الخوف من المخلوق خوفًا يدفع إلى ترك ما يجب أو فعل ما يحرم، محاباة للمخلوق أو خوفًا من شره، ومثل ذلك يكون أيضًا في الطمع والرغبة، فالطمع في نفع المخلوق أو الخوف من شرّه إذا أدى إلى ضعف التعلق بالله (عز وجل) وضعف الثقة به (سبحانه)؛ فإن هذا يقدح في التوكل، ويضعفه ــ إن لم يذهبه ــ، ومن تعلق بشيء وُكِلَ إليه، ومن وكل إلى غير الله (عز وجل) ضاع وهلك، وخاب وخسر.. ومما يصلح التمثيل به في عصرنا اليوم على هذا الضعف: ما يعتري بعض الدعاة وهو في دعوته إلى الله (عز وجل) من خوف على نفسه أو رزقه أو منصبه، الأمر الذي يؤدي ببعضهم إلى ترك ما هم عليه من تعليم للعلم أو دعوة إلى الله (عز وجل)، والإحجام عن مجالات الخير ونفع الناس، بحجة الحذر والبعد عن الفتن.. والله (سبحانه) أعلم بما في قلوب العالمين.

ثم إنه لو كان يغلب على الظن حصول الأذى والابتلاء لكان لذلك بعض الوجه في الأخذ بالرخصة وترك العزيمة، أما وأن الأمر على العكس من ذلك ؛ حيث يغلب على الظن عدم التعرض للأذى، فإنه لا تفسير لهذه المواقف إلا ضعف التوكل على الله (عز وجل)، والوسوسة الشديدة، والمبالغة

---

١) مجموع الفتاوي، ١٠/١٨ ـ ٢٠، باختصار ..

في الخوف، والحذر الزائد من المخلوق الضعيف، وتهويل أمره، وهذا من كيد الشيطان ووسوسته، وكاننا لم نسمع ولم نعِ قوله (تعالى): ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

يقول صاحب الظلال (رحمه الله تعالى): «والشيطان صاحب مصلحة في أن ينتفش الباطل وأن يتضخم الشر، وأن يتبدى قويًا قادرًا قاهرًا بطّاشًا جبارًا، لا تقف في وجهه معارضة، ولا يصمد له مُدافع، ولا يغلبه غالب، الشيطان صاحب مصلحة في أن يبدو الأمر هكذا، فَتحْت ستار الخوف والرهبة، وفي ظل الإرهاب والبطش: يفعل أولياؤه في الأرض ما يقر عينه، يقلبون المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، وينشرون الفساد والباطل والضلال، ويُخفتون صوت الحق والرشد والعدل.. والشيطان ماكر خادع غادر يختفي وراء أوليائه، وينشر الخوف منهم في صدور الذين لا يحتاطون لوسوسته... ومن هنا: يكشفه الله ويوقفه عاريًا، لا يستره ثوب من كيده ومكره، ويُعرِّف المؤمنين الحقيقة: حقيقة مكره ووسوسته؛ ليكونوا على حذر، فلا يَرهبوا أولياء الشيطان، ولا يخافوهم، فهم وهو أضعف من أن يخافهم مؤمن يركن إلى ربه ويستند إلى قوته»[1].

---

١) طريق الدعوة في ظلال القرآن، ٢/ ١٥١.

بين المصالح الشخصية والمصالح الدعوية

بقلم : محمد بن عبد الله الدويش

لاشك أن مراعاة المصالح الشرعية أمر جاء به الدين، بل «إن الله بعث الرسل لتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها»[1]، وحيث إن الدعوة تتعامل مع قضايا المجتمع: فهي لا تنفك عن ارتباطها بالمصالح والمفاسد.

فأحياناً تصبح الدعوة إلى أمر من الأمور خلافاً للمصلحة، وقد يكون من المصلحة ألا تقال هذه الكلمة، وألا يقف الدعاة هذا الموقف، فقد ترك النبي ﷺ هدم الكعبة وإعادة بنائها على قواعد إبراهيم؛ مراعاة للمصلحة، فعن عائشة (رضي الله عنها) زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لها : «ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟» فقلت: يا رسول الله، ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ قال: لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت، فقال عبد الله (رضي الله عنه): لئن كانت عائشة (رضي الله عنها) سمعت هذا من رسول الله ﷺ، ما أرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم[2] .

إلا أنه قد تدخل عوامل شخصية ذاتية، ويخلط بعض الناس بين مصالح الدعوة ومصالحه الشخصية.

فقد يشعر الداعية أن قيامه بهذا الأمر لا يحقق المصلحة، أو أنه يفوت بعض المكاسب، لكنه ينسى في غمرة الأحداث، وسيطرة مطالب النفس ورغباتها أن هذه المصالح لا تعدو أن تكون شخصية، أو أن ما فات لا يعدو أن يكون مكاسب دنيوية.

إن من سنة الله (تبارك وتعالى) في الدعوات أن تحتاج لتضحيات، وأن تترتب عليها تبعات، وأن يضحي صاحبها وتفوته مكاسب كان يؤمل فيها، فهل هذا من المصالح التي يجب أن يراعيها الداعية؟ أم إنها من المصالح الشخصية؟.

---

١) مجموع الفتاوى، ١٣/ ٩٦ .   ٢) رواه البخاري ، ح/١٥٨٣، ومسلم، ح/١٣٣٣.

إن من يقرأ كتاب الله يرى ما واجه الأنبياء والمصلحين من أقوامهم، ويرى ما بذلوه من جهد وما قدموه من تضحيات، فيدرك أنها سنة قائمة لمن سار على هذا الطريق، وأننا حين نريد طريقًا نحافظ فيه على مكتسباتنا ومصالحنا الشخصية ونضن بها، فنحن نريد غير طريقهم.

وفرق بين أن يسوغ للإنسان ترك الأمر والنهي في موقف معين ـ مع أن ذلك لا يجب عليه، بل ربما كان الأفضل ـ وأن يكون هذا هو المصلحة الشخصية.

وقل مثل ذلك في المكاسب الشخصية، فقد يجيِّر الداعية مكاسبه الشخصية ومصالحه للدعوة، فيرى أن حصوله على شهادة، أو توليه لوظيفة مرموقة، أو تحسن أوضاعه الاقتصادية.. مصلحة دعوية لا يسوغ التفريط فيها، ويرى أن الدعاة يجب أن يتميزوا في مستوى تعليمهم، ومظاهرهم، ووظائفهم.

نعم: إن ذلك مطلوب، لكن حين ترى ذاك النموذج من الناس الذي يستميت وراء تحقيق هذه المكاسب الشخصية، ويسعى إليها، ويبذل الجهد والوقت من أجلها، وهو لا يبذل لدعوته معشار ما يبذله لتحقيق هذه المكاسب الشخصية.. تدرك أنه حين يحصل على هذه المكاسب فليس بالضرورة انتظار تقديمه المفيد لدعوته، وكم هم الناس الذين دخلوا في ميادين التجارة وطلب المال بحجة أن الداعية يجب أن يستقل في مصدر رزقه، وألا يعتمد على غيره، وأخيرًا، حين انفتحت له أبواب الدنيا، استقال من الدعوة، وولاها ظهره، وأقبل على دنياه.

ولله در الإمام «الشاطبي» حين قال: «المصالح المجتلبة شرعًا والمفاسد المستدفعة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية، أو درء مفاسدها العادية»[1].

وقال أيضًا: «ومع ذلك: فالمعتبر إنما هو الأمر الأعظم، وهو جهة المصلحة التي هي عماد الدين والدنيا، لا من حيث أهواء النفوس»[2].

إن استحضار التقوى والتجرد لله (تبارك وتعالى)، وسؤاله التوفيق والإخلاص، والتوقف ومراجعة النفس عند كل خطوة، إضافة إلى التجرد من حب الدنيا والتعلق بها.. كل ذلك مما يعين المرء على تجاوز تلك المهالك.

---

1) الموافقات، ٢/ ٢٩.   2) الموافقات، ٢/ ٣٠.

متابعات

مؤتمر القاهرة الاقتصادي

حلقة من حلقات السقوط

د. محمد بن عبدالله الشباني

عُقد مؤتمر القاهرة الاقتصادي في ظل ظروف الاستكانة للتبجح الإسرائيلي، والتنصل من مواجهة حقيقة الأهداف اليهودية في المنطقة، والجري خلف سراب الانتعاش الاقتصادي المأمول بعد حلول السلام وقبول اليهود بالتعايش مع الدول العربية ضمن منظومة دول إقليم (الشرق الأوسط)، التي يكون لدولة اليهود الهيمنة المطلقة في التحكم في شؤونها.

إن مؤتمر القاهرة الاقتصادي ما هو إلا حلقة من حلقات دمج الجسد اليهودي في قلب العالم العربي والإسلامي، بمنحه القدرة على الهيمنة على السوق من خلال استغلال خيرات العالم العربي، وتحويل الشعوب العربية إلى شعوب تخدم اليهود ولا حيلة لها إلا قبول ما يمليه اليهود من سياسات تخدم مصالحهم.

إن المتمعن والفاحص لنوعية الهيئات والمنظمات التي شاركت في أعمال المؤتمر والموضوعات التي طرحها يدرك الأهداف الحقيقية للمؤتمر، باستجابة المؤسسات والمنظمات الإقليمية لما تطلبه المؤسسات المالية الدولية، فمن المنظمات المالية الإقليمية: (صندوق النقد العربي)، و(صندوق الإنماء الاقتصادي والاجتماعي)، و(المنظمة

العربية للتنمية الصناعية والتعدين)، و(المصرف العربي للتنمية الاقتصادية)، و(الصندوق الكويتي للتنمية).. وهي منظمات إقليمية لم تمارس دورها الحقيقي في التنمية، فلو مارست الدور الفاعل ضمن إطار استقلالية القرار عن المنظمات المالية الدولية لما كان واقع الأمة التنموي كما هو مشاهد في الوقت الحاضر.

إن الوثيقة الرئيسة التي تم إعدادها من قِبَل (المنتدى الاقتصادي العالمي) ركزت على خمسين ندوة ضمن إطار ما أطلق عليه: بناء المستقبل وإيجاد مناخ استثماري موات، وتدور محاور هذه الندوات ـ كما أعلن عنها ـ حول كيفية جذب رؤوس الأموال، والإصلاح القانوني، وعلاقة هذا الإصلاح باقتصاديات المنطقة، والعمل على تحرير التجارة.

والهدف الذي ترمي إليه حلقات النقاش والمشروعات المطروحة تدور في فلك التمكين لرأس المال اليهودي، المتمثل في المؤسسات البنكية، من التحكم في التوجهات الاقتصادية لمختلف بلدان المنطقة على أساس المنطلقات التي تم بحثها في مؤتمري (عمان) و(الدار البيضاء)، اللذين قصد فيهما التمكين لدولة اليهود في فلسطين من خلال الاندماج في المنطقة وتحقيق التطبيع الاقتصادي، وإعطاء الفرصة للمال اليهودي لإحكام قبضته على الموارد الاقتصادية المتاحة في المنطقة لخدمة أهداف وأغراض اليهودية العالمية.

إن من أهداف هذا المؤتمر: جعل هذه المنطقة التي تزخر بالخيرات ـ حيث يتوفر فيها احتياطي للطاقة ـ تحت سيطرة الهيمنة الرأسمالية اليهودية، التي أحكمت قبضتها على اقتصاديات العالم من خلال تحقيق الهيمنة الاقتصادية.

وقد تحقق ذلك من خلال التحكم في الاقتصاد العالمي بناء على ثلاثة محاور، هي:

١ ـ النظام النقدي العالمي، من خلال هيمنة الدولار الأمريكي على وسائل الدفع العالمية، حيث يمثل وسيلة الدفع العالمية المقبولة التي حلت

محل الذهب لتغطية إصدارات معظم عملات الدول، وبخاصة دول (العالم الثالث)، وتتحكم في هذا النظام المؤسسات المالية العالمية المملوكة في معظمها لليهود، ويقوم هذا النظام على التمكين للربا من التحكم في حركة الأموال، من خلال ما يعرف بميكانيكية التغيرات الفعلية والمفتعلة لنسب الفائدة على حركة تداول الأموال، فالربا هو لحمة النظام النقدي، وتقوم المؤسسات المالية الدولية، مثل: (البنك الدولي) و(صندوق النقد الدولي)، بوضع السياسات النقدية والمالية التي تخدم هيمنة رؤوس الأموال على اقتصاديات دول العالم الثالث والكتلة الشرقية بعد انهيار المنظومة الاشتراكية في شرق أوروبا بزعامة (الاتحاد السوفييتي)، ولهذا: نجد العمل الدؤوب من المؤسسات المالية الدولية على تبني جميع دول العالم لمفهوم الخصخصة، وتوجيه سياسات جميع الدول للعمل على إزالة العوائق التي تحد من تحكم الرأسمالية العالمية في اقتصاديات الدول الفقيرة، بالعمل على إغراق تلك الدول في الديون العالمية.

٢ ـ التحكم في حركة رؤوس الأموال، من خلال أسواق المال العالمية التي تتركز في (أمريكا) بالدرجة الأولى، و(أوروبا) بالدرجة الثانية، و(اليابان) بالدرجة الثالثة، وهذه الحركة لرؤوس الأموال تتم السيطرة عليها من خلال السياسات النقدية التي تضعها المؤسسات المالية الأمريكية، التي تتحكم بدورها في المؤسسات المالية الأوروبية واليابانية، من خلال تملكها لمعظم أسهم تلك المؤسسات، ومن أجل ذلك: نجد الدعوة التي تتبناها المؤسسات المالية الدولية بالسماح لرؤوس الأموال بتملك أسهم الشركات والسندات التي تصدرها الحكومات المحلية، وذلك بهدف تحقيق الهيمنة الاقتصادية على اقتصاديات تلك الدول.

٣ ـ التحكم في التجارة العالمية، من خلال إزالة القيود على حركة التجارة، وتكوين الشركات التابعة؛ ولهذا: نجد أن مؤتمر الإيواء الذي عقد

في (إستانبول) قد ركز على تغيير السياسات التجارية وحق الاقتراض من رؤوس الأموال الأجنبية من قِبَل الحكومات المحلية للدول النامية، مع تعديل التشريعات لتمكين رؤوس الأموال من حرية الحركة والتملك . .

إن منطقة (الشرق الأوسط) التي تمثل الحلقة الأخيرة التي تسعى اليهودية العالمية في تحقيق هيمنة رأس المال اليهودي عليها ـ ويتم ذلك من خلال المؤسسات المالية الأمريكية والأوروبية ـ لما لهذه المنطقة من تأثير على اقتصاديات العالم، بسبب موقعها الجغرافي وما تملكه من مواد أولية هائلة يأتي على رأسها البترول، حيث تمتلك منطقة (الشرق الأوسط وشمال إفريقيا) أكثر من نصف احتياطي العالم من الطاقة. . إن هذه المنطقة على مفترق طرق.

ومقاومة الهجمة اليهودية والعمل على الحد من تأثيرها أمر يوجبه الدين، حيث إن هذه الهجمة الاقتصادية اليهودية تحمل في ثناياها تعطيل شرع الله، من خلال فرض الربا وجعله لحمة اقتصاديات المنطقة، ومنع أي محاولة للخروج على المنهج الربوي، ومن خلال إغراق المنطقة في اقتصاديات الاستهلاك التي تؤدي إلى إضعاف البنية الاجتماعية والعقائدية، بإشاعة فلسفة المتعة واللذة هدفًا وغاية للحياة .

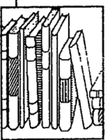
إن مقاومة هذه الهجمة لا يمكن أن تأتي إلا من خلال الأفراد، بتبنيهم ما يمكن أن يطلق عليه المقاومة السلبية، وتتمثل هذه المقاومة في عدم التعامل مع الشركات والبضائع الإسرائيلية والغربية المناصرة لليهود، والتوجه إلى استهلاك السلع البديلة من المنتجات المحلية أو من منتجات الدول الأقل مساندة لليهود، وتحقيق ذلك لا يتم إلا بقيام العلماء بتوجيه الناس إلى حرمة التعامل مع اليهود والنصارى وأن من يتعامل معهم أو يستثمر أموالهم في بلادهم أو يضعها في بنوكهم يتعتبر محاربًا لله ولرسوله.

أتاتورك..

حقيقته، والدور الذي أدّاه

(٢ من ٢)

بقلم:
ياســـر قـارئ



في الحلقة الماضية: مهّد الكاتب لموضوعه بذكر مكانة الدولة العثمانية والأوضاع في عهد السلطان عبد الحميد، ثم استعرض بداية حياة مصطفى كمال منذ نشأته وبروزه على مسرح الأحداث، وعلاقته بالقوى الغربية، وما أحدثه من تغييرات جذرية في تركيا .. ويواصل في هذه الحلقة ذكر جوانب أخرى عنه. - البيان -

أعماله وتركته:

يروي أحد المقربين من مصطفى كمال (ويدعى «مفيد كانصو»، وقد كان يدوّن تصريحات وخلجات الغازي!): أنه في إحدى المرات في سنة ١٩١٩م تحدث مصطفى عن أحلامه المستقبلية، فتطرق إلى إلغاء الخلافة وإعلان الجمهورية، ثم فَرْض السفور، وإلغاء الحروف واللغة العربية، ومنع لبس الطربوش، إلا أن «مفيد» لم يتحمّل ذلك، وتوقف عن الكتابة في دفتر مذكراته، وبعد الثورة سأله مصطفى كمال عن البند الذي وصل إليه وأنجزه حسبما انتهت إليه تسجيلاته [١]، وبناءً على شروط معاهدة لوزان السالفة الذكر، فلا غرابة أن تكون أول أعمال الغازي! هو إقصاء الشريعة ومؤسساتها، وتنحية القانون الإسلامي عن الساحة، وتبنى القانون المدني، ونظام التعليم العلماني، والتقويم الجريجوري النصراني، والحروف اللاتينية؛ ليقطع الصلة بين المسلمين الأتراك وتراثهم الثقافي، وجعل العطلة الأسبوعية يوم الأحد، كما منع ارتداء الزي الإسلامي خارج المسجد، وأغلق جامع (آيا صوفيا)، وجامع

١) الرجل الصنم، ص ٣٤٦ـ٣٤٩، بتصرف.

السلطان محمد الفاتح، ومنع الصلاة فيهما بعد أن حولهما إلى متحفين للآثار، وفرض تلاوة القرآن باللغة التركية!، وكذلك الأذان، كما ألغى قوامة الرجال على النساء، وشجع العصبية القومية[1]، ولم يكتف بذلك، بل سمح بزواج الإخوة من الرضاعة، علماً بأنه محرم في الدستور المدني السويسري الذي أخذ عنه!!، وقد علّق أحد زبانية أتاتورك على ذلك بقوله: «لقد فقنا حتى المسيحيين»[2]، أما الكاتب الفرنسي «موريس برنو» في كتابه (آسيا الإسلامية) فقد سخر من جهل الغازي وسذاجته، إذ قال: «إن القانون المدني السويسري الذي تبناه أتاتورك ناشئ عن مصدرين روماني ونصراني، وإذا لزم أهل كل زمان التجديد بسبب عدم ملائمة القوانين القديمة، فإن على الشعوب تغيير القوانين في كل عصر بصفة مستمرة»[3].

من جهة أخرى: فقد أعلن الغازي على الملأ أنه عازم على قهر أولئك الفئة المعممة الباحثين عن الديانة، وتكفل هو بتلك المهمة دون سائر رفاقه[4]، كما أصدر أمراً بإلغاء تعدد الزوجات، فيما فرض صلاة الذئب الأبيض (معبود الطورانيين القدماء) على الجيش[5]، ولقد كانت هذه التغيرات الجذرية في المجتمع التركي من التأثير والتغريب بمكان، لدرجة أن ملك بريطانيا «جورج السادس» أصابه الذهول مما شاهده في زيارته لتركيا بسبب فقدان المجتمع لمظهره وكتابته ولغته ودينه؛ مما لم يحصل في مستعمراته هو[6]، وهنا نتذكر شهادة شيخ الإسلام «مصطفى صبري» في أتاتورك، إذ يقول: «إن الرجل مَن لا تجد إنجلترا مثله ولو جدّت في طلبه، من حيث إنه يهدم ماديات الإسلام وأدبياته ـ ولا سيما أدبياته ـ في اليوم، ما لا تهدم إنجلترا نفسها في عام، فلما

---

١) علي حسّون، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٣٢٨.

٢) الرجل الصنم، ص ٣٢٩.

٣) حسّون، مصدر سابق، ص ٣٣٣.

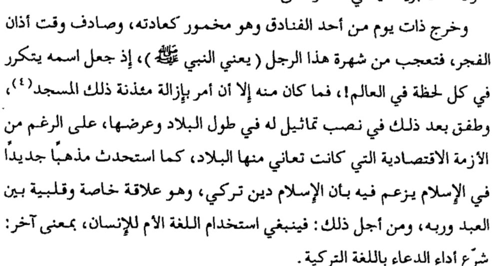
٤) الأسرار الخفية، د. مصطفى حلمي، ص ٢٣٨.

٥) المصدر نفسه، ص ٢٥١.

٦) الرجل الصنم، ص ٤٤٣.

ثبتت كفاءته وقدرته من هذه الجهات: استخلفته لنفسها وانسحبت من بلادنا »[1].

أما سلوكه الشخصي: فهو مما يندى له الجبين، لدرجة أنه فاق السلاطين الذين زعم هو وزمرته فسقهم ومجونهم، إذ تحول قصر (جانقايا) مقر إقامته في أنقرة إلى بؤرة للرذيلة والفساد: تزواج ما بين الشاذين جنسيًا، واغتصاب طالبات المدارس بعد اختطافهن، والاستمتاع بزوجات المسؤولين والتجار مقابل تلبية طلباتهم، وتكديس القصر بالراقصات العاريات، والتحرش بأقارب السفراء، فضلاً عن معاقرة الخمور يوميًا، بالإضافة إلى سرقة أموال المسلمين وتبرعاتهم، واغتصاب الأراضي الزراعية، وبيع ممتلكاته على الدولة بأضعاف ثمنها، وسلسلة من الاغتيالات السياسية لمعارضيه، بل وبيع أذربيجان المسلمة إلى الروس[2]، وقد حاول إشراك شاه إيران أثناء زيارته لأنقرة في هذا الوسط العفن، فقدم له إحدى البغايا لتلبية احتياجاته!، فاعتذر الشاه[3]، كما إنه أغرق ملك بريطانيا في الخمر حتى الثمالة.



وخرج ذات يوم من أحد الفنادق وهو مخمور كعادته، وصادف وقت أذان الفجر، فتعجب من شهرة هذا الرجل (يعني النبي ﷺ)، إذ جعل اسمه يتكرر في كل لحظة في العالم!، فما كان منه إلا أن أمر بإزالة مئذنة ذلك المسجد[4]، وطفق بعد ذلك في نصب تماثيل له في طول البلاد وعرضها، على الرغم من الأزمة الاقتصادية التي كانت تعاني منها البلاد، كما استحدث مذهبًا جديدًا في الإسلام يزعم فيه بأن الإسلام دين تركي، وهو علاقة خاصة وقلبية بين العبد وربه، ومن أجل ذلك: فينبغي استخدام اللغة الأم للإنسان، بمعنى آخر: شرّع أداء الدعاء باللغة التركية.



---

١) الأسرار الخفية، ص ٣٢٧.

٢) الرجل الصنم، ص ٣٦٣ ـ ٤٣٤، بتصرف.

٣) المصدر السابق ، ص ٤٤١.　　٤) المصدر نفسه، ص ٤٦٥.

هذا الرجل لم يعرف الاستقرار الأسري في طفولته، وقد لازمه هذا السلوك طيلة حياته على الرغم من أنه تزوج بامرأة ثرية ومن أسرة عريقة، إلا أنها انفصلت عنه بعد مدة قصيرة بسبب فسقه وفجوره، وبالذات مع خالدة أديب، وهي من أبرز الشخصيات النسائية في (الأدب) التركي، وكان أبوها من يهود الدونمة يعمل في قصر السلطان، وهي التي رعت تمثيل أوبرا (رعاة كنعان) في مدرسة كانت تشرف عليها في بيروت، وكالت في تلك الحفلة المديح لليهود، كما عبّرت عن أملها في قيام دولة لهم في فلسطين [١]، وقد شكلت في سنة ١٩٠٨م جمعية (ترقية النساء) لمنح المرأة حرية الانتخاب والقوامة [٢]، بل قلّدها الغازي! وزارة المعارف في فترة حكمه [٣]، وبالإضافة إلى هذه المحظية: فقد كان يتبنى الفتيات بعد أن يستمتع بهن، ويبتعثهن إلى أوروبا لإتمام دراستهن، وقد غص قصره بهن، إذ كانت الواحدة منهن لا تقضي معه أكثر من أسبوعين فقط[٤]، فكم يا ترى منهن تقلدن المناصب فيما بعد؟، وما هي ثمار أعمالهن في المجتمع التركي؟.

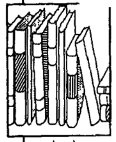
إن الخمر التي أدمنها منذ شبابه سببت له آلامًا ما برحت تعاوده، حتى كانت نهايته، وقد شاع عنه ذلك السلوك في سائر أنحاء البلاد، وقد كان يجاهر بذلك في الأماكن العامة [٥]، ولم تكن تمر عليه وأصحابه وأحبابه يوم وليلة بلا مسكر، على الرغم من أنه سنّ قانونًا يحرّم تعاطي المسكرات[٦]، وعلى الرغم من توفر أفضل سبل الرعاية الصحية له إلا أن أحدًا لم يتمكن من تشخيص علّته، وبالتالي: علاجه، فهلك حتف أنفه يوم العاشر من أكتوبر سنة

١) العثمانيون في التاريخ والحضارة، د. محمد حرب، ص ٨٧.
٢) مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، جـ٢، ص ٢٥٥.
٣) تركيا وحلف شمال الأطلسي، د. أحمد النعمي، ص ٣١.
٤) الرجل الصنم، انظر: الفصل السابع كاملاً.
٥) الرجل الصنم، ص ٣٨١.
٦) الأسرار الخفية، ص ١٦٣.



١٩٣٨م ، ومن السخف الذي رافق حقبة مرضه: أنه أمر بتكليف مختصين من القوة البحرية بمحاربة النمل الأبيض المهاجر من الصين الذي يسبب له الأعراض التي كان يشكو منها، بينما هي في الواقع من جرّاء إفراطه في تعاطي الخمور[١] ، فالرجل وحاشيته من حوله يرفضون الاعتراف بالأمر الواقع والناشئ عن محادّة الله ورسوله (عليه الصلاة والسلام) !.

ومما جاء في وصيته ـ بعد تخصيص المبالغ اللازمة لبناته بالتبني ـ: ألا يُصلى عليه صلاة الميت، لكن أخته توسلت إلى المسؤولين بفعل ذلك ـ على حد قول شيخ الإسلام مصطفى صبري ـ[٢] ، وقد تمت الصلاة في وسط حضور محدود في قصر (دولة باغجه) بإستانبول، حيث وافته المنية في قصور السلاطين الذين أنكر عليهم تلك الحياة المترفة! ولقد تم تحنيط جثته ووضعت في تابوت من الرصاص على عادة النصارى، ولا يُعلم إن كان قد غُسّل وكفن أم لا، ثم نقل الجثمان في ظل موكب مهيب من السفن الحربية للدول الأجنبية إلى مدينة أنقرة، ووضع التابوت أمام مجلس الأمة ليمر الناس عليه ليلاً ونهاراً، وقد أوفدت بريطانيا سَرِيَّة كاملة من جنود الحرس للمشاركة[٣] ، وقد صرّح خليفته وساعده الأيمن ـ وهو يسير خلف الجنازة ـ بأن «حُبُّه عبادة»[٤]، بينما علق مستشرق ألماني على غياب أتاتورك قائلاً: «لقد توفي وشعبه في أمسّ الحاجة إليه، تاركًا لهم دولة مصونة من الخارج ومزدهرة في الداخل»[٥] ، ويضيف فرنسي آخر: «استطاعت الثورة الكمالية، وبدفع من مؤسسها الملهم، الانطلاق دون مكابدة مؤسسات فات زمانها، وقدمت للعالم صورة



دراسات تاريخية

١) الرجل الصنم ، ص ٥١٢ .

٢) محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٧٥٢.

٣) الرجل الصنم ، ص ٥٢٩ ـ ٥٣٦، بتصرف.

٤) الرجل الصنم ، ص ٥٤٤ .

٥) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٧١٠ .

لبلد قادر على لعب دور نموذجي في مجمع الأمم المتحضرة»[1] .

رفض مصطفى كمال منصب القائد العام للجيش في أول حرب بعد قرار الاتحاديين؛ خشية إلحاق الهزيمة به شخصيًا، ثم ما لبث أن طالب المجلس بإضفاء لقب «غازي» عليه ومنحه مبلغ أربعة ملايين ليرة مكافأة على انتصاره[2]، ثم إن الجمعية الوطنية خلعت عليه لقب «أتاتورك» (أي: أبو الأتراك)، تكريمًا له سنة ١٩٣٤م بعد تصديق قانون ألقاب الأسر[3]، ووالله لا أدري ما هو موقف هؤلاء القوم بعد أن أصبح معروفًا للناس بأن أتاتورك استدعى سفير بريطانيا لدى بلاده ـ وهو على فراش الموت ـ راجيًا منه تولي مقاليد البلاد عقب وفاته، كما نشرت ذلك جريدة (الصنداي تايمز) اللندنية، ونقلتها الأهرام المصرية في عدد ١٥/٢/١٩٦٨م[4] ، ولا نعجب عندما يروي لنا القنصل المصري في إستانبول «مصطفى السعدني» سنة ١٩٥٢م أن أتاتورك كان يفكر جديًا في إعلان النصرانية دينًا للبلاد لولا تحذير أعوانه[5]، ربما لم يعرف قدر الرجل من وسط هؤلاء جميعًا ـ بل وحقيقته ـ سوى بابا الفاتيكان «جون بول الثاني» ، فعندما زار تركيا سنة ١٩٧٩م صرّح قائلاً: «إني أول بابا في التاريخ ينحني باحترام أمام مقبرة أتاتورك ، فتركيا بلد له أهميته القصوى دينيًا وتاريخيًا»[6]، أما اليهودي «موثير كوهين» ـ وهو تركي من الدونمة ـ فقال عن أتاتورك: «إنه ليس أسطورة، بل إنسان من لحم ودم، بل إنه فوق الإنسان!»[7]، والعبارة الأخيرة أما أن تكون معبرة عن عقيدة

---

١) مانتران ، مصدر سابق،ص ٣٤٧.

٢) الرجل الصنم ، ص ٢٤٢.

٣) بروكلمان ، مصدر سابق، ص ٧٠٣.

٤) الأسرار الخفية ، ص ١٧.

٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٤.

٦) العثمانيون في التاريخ والحضارة ، ص ٢٠.

٧) المصدر نفسه، ص ٩٥.



الشعب المختار التي ينتمي إليها أتاتورك، أو السلوك الشخصي الذي سار عليه والذي وصل به إلى حد التأليه، بينما يطلع علينا مؤرخ مسلم يزعم بأن العلمانية التي فرضها أتاتورك لم تكن تسعى إلى مقاومة الدين بالصورة التي يشيعها أعداؤه[1]، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

الورثة وإنفاذ الوصية:

يؤثر عن «ميكافيللي» في روايته الشهيرة «الأمير» قوله: «رجحان عقل الأمير (الحاكم) وكفايته يقاسان بصفات المحيطين به ، فالأمانة والكفاية والخلق تدل على رجحان عقله، وإلا عكس ذلك كان الرأي في الأمير»[2]، وباعتبار هذه المقياس، فإن أتاتورك قد أحاط نفسه بطائفة من الإمعات والنكرات الذين لم يجرؤوا على إخباره بحقيقة مرضه وسبل الشفاء منه، فـ«عصمت إينونو» مبعوثه الخاص إلى مؤتمر لوزان ونائبه لفترة طويلة ليس له دور قيادي في ظل وجود ولي نعمته، لكنه كان معجبًا بسيده حتى الموت، على طريقة «وزير فرعون»، على أي حال: فقد انتخبه المجلس الوطني الكبير لرئاسة الجمهورية، وحكم لمدة ستة عشر عامًا (١٣٥٦ ــ ١٣٧٠هـ) ثم انتقل إلى صفوف المعارضة، حتى هلك سنة ١٣٩٣هـ في أنقرة[3]، والحق يقال: إنه ظل مخلصًا لمبادئ سيده المناهضة للإسلام، فاستمرت سياسة التضييق على دعاة الإسلام حتى عام ١٣٦٩هـ، حيث حصل بعض الانفراج برئاسة رئيس الوزراء «عدنان مندريس» فاعيد القرآن والأذان بالعربية، وأعيد فتح المدارس الدينية، إلا أنّ الكماليين رفضوا إشراك الدين في السياسة[4] !!، وفي المقابل: نجد أن الولايات المتحدة توجه الصفعات المتتالية للعلمانيين الأتراك، إذ رفض الكونجرس إقراض تركيا خمسة ملايين دولار لـ«عصمت إينونو» وحكومته من



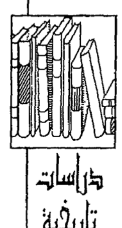
١) في أصول العثمانيين، أحمد مصطفى ، ص ٣١٥.
٢) الشناوي ، ص ٣١٢.
٣) حسّون، ص ٣٣٤.
٤) حسّون ، ص ٣٣٧.

أجل تطوير الصناعة (لإبقائه عالة على صدقات الغرب)، فيما عارض «دين أتشتسون» وزير خارجية أمريكا دعم تركيا عسكريًا في سنة ١٩٤٦م؛ لشعوره بالقلق من احتمال انتصار تركيا (العلمانية) على الاتحاد السوفييتي (إمبراطورية الشر)[١] ، وبالفعل: فقد أفصحت أمريكا عن هدفها الحقيقي، وهو الاحتفاظ بإدارة الشؤون الاقتصادية؛ بغية عرقلة وصول تركيا إلى التقدم الصناعي، والتأكيد على بقائها دولة زراعية [٢] ، وبسبب التوجه العلماني والاعتناق الشديد للمدنية الغربية، وفي مقابل الانفتاح الاقتصادي والسياسي: تمكنت تركيا من المشاركة في المجلس الأوروبي سنة ١٩٤٩م، وحلف الأطلسي سنة ١٩٥٢م، ثم الانتساب إلى السوق الأوروبية سنة ١٩٦٤م[٣].

ولا تزال القضية الأخيرة موضع أخذ و رد بين الأوروبيين ، ففي نظرهم: تركيا لا تزال دولة إسلامية على الرغم من علمانيتها المعروفة، وفي هذا الجانب كتب رئيس تحرير صحيفة (التايمز) اللندنية معلقًا على انضمام تركيا إلى المجلس الأوروبي: «إنه من المضحك قبول تركيا فيه، حيث لم تكن هناك خصائص الاتحاد والتي تتمثل في التقليد المشترك والدين واللغة»، فكان رد المندوب التركي للمجلس هو: «إن الدين يجب ألا يؤخذ بعين الاعتبار في العلاقات الدولية، ثم إن تركيا ليست دولة دينية؛ لأنها تبنت العلمانية منذ ربع قرن، وكذلك: فإن اللغة التركية هي من سلالة اللغات الهنغارية والفنلندية، وعليه: فإن الأتراك يعتبرون أنفسهم جزءاً من المدنية الغربية»[٤] ، وقد مضى على إعلان الجمهورية أربعة وسبعون عامًا، ولا تزال أوروبا ترفض انضمامها إلى كيانها الاقتصادي!.

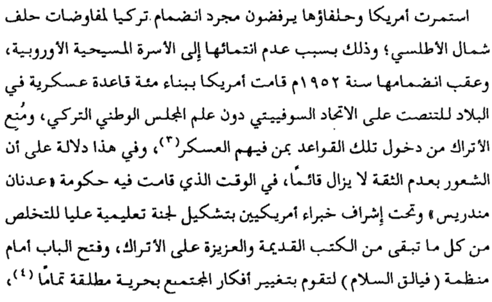
١) تركيا وحلف شمال الأطلسي، ص ٧١.
٢) المصدر نفسه ، ص ٨٩.
٣) المصدر نفسه ، ص ١١٣.
٤) المصدر نفسه ، ص ١١٥.





الشعب يصحو :

نتج عن التحول الضئيل عن السياسة الكمالية عودة لمطالبة الشعب بالقوانين الإسلامية، وبالفعل: تمكن أول نائب إسلامي ـ وهو « نجم الدين أربكان » ـ من الوصول إلى منصب الرجل الثاني في الحكومة بتحالفه مع حزب الشعب ذاته الذي أسسه أتاتورك ضمن حكومة ائتلافية، وكان ذلك سنة ١٩٧٧م ، إلا أن الكماليين ـ وبالذات العسكريين منهم ـ لم يتحملوا هذه التحولات، فقاموا بانقلاب سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م)، وتم حل البرلمان وإلغاء الأحزاب السياسية[١] ، وقد حاكم العسكريون « أربكان » وأعضاء حزب (السلامة) بتهمة العمل على قيام دولة إسلامية، وتطبيق الشريعة، وافتتاح مدارس للقرآن، وإعادة فتح جامع (آيا صوفيا)، وتحويل العطلة إلى يوم الجمعة، وتغيير الحروف إلى العربية[٢]، ويظهر أن العسكر قد أدركوا حجم الخطأ! الذي ارتكبه الساسة سابقًا عندما قدموا بعض التنازلات، فبادروا هم كالعادة إلى حل المسألة!.



استمرت أمريكا وحلفاؤها يرفضون مجرد انضمام تركيا لمفاوضات حلف شمال الأطلسي؛ وذلك بسبب عدم انتمائها إلى الأسرة المسيحية الأوروبية، وعقب انضمامها سنة ١٩٥٢م قامت أمريكا ببناء مئة قاعدة عسكرية في البلاد للتنصت على الاتحاد السوفييتي دون علم المجلس الوطني التركي، ومُنع الأتراك من دخول تلك القواعد بمن فيهم العسكر[٣]، وفي هذا دلالة على أن الشعور بعدم الثقة لا يزال قائمًا، في الوقت الذي قامت فيه حكومة « عدنان مندريس » وتحت إشراف خبراء أمريكيين بتشكيل لجنة تعليمية عليا للتخلص من كل ما تبقى من الكتب القديمة والعزيزة على الأتراك، وفتح الباب أمام منظمة (فيالق السلام) لتقوم بتغيير أفكار المجتمع بحرية مطلقة تمامًا [٤]،

---

١) حسّون ، ص ٣٤٥.
٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥٢
٣) تركيا وحلف شمال الأطلسي، ص ١٤٧.
٤) المصدر نفسه، ص ١٦٢.

فيما هدد الرئيس «جونسون» حليفه «مندريس» بأن يتركه فريسة للروس إذا غزا جزيرة قبرص، وقد فرضت حكومة الرئيس «نيكسون» حظرًا عسكريًّا على تركيا بعدما تجاهلت التهديد السابق، وغزت قبرص إبان تولي «أربكان» نيابة رئاسة مجلس الوزراء عام ١٩٧٧م، ولم يرفع الحظر إلا في زمن إدارة الرئيس «كارتر» الذي شعر بخطر تغلغل حزب (الإنقاذ الوطني) بقيادة «أربكان» في الريف التركي واستقطابه للشباب[1].

الخاتمة:

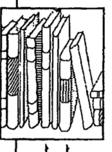
بعد هذه الرحلة الطويلة عبر الماضي مع هذه الشخصية المثيرة للجدل، نحاول استخلاص العبر والدروس مما مر معنا؛ لأن هذه هي ثمرة العلم بالتاريخ، فالرجل المجهول الأصل والنسب الذي أراد التضحية بالحجاز حيث قبلة المسلمين ومسجد النبي ﷺ، لكي يحافظ على القدس! (وربما يفسر لنا هذا صحة ما أشيع عن رغبته في إعلان النصرانية دينًا للبلاد)، ثم خياناته المتتالية للمسلمين في سورية وفلسطين والبلقان وأذربيجان، وانقلابه على السلطان «وحيد» الذي أوفده للأناضول، ثم تجاهل الإنجليز لتسلحه وتمويله، بل واصطناع الأحداث لجعله بطلاً قوميًّا تخضع له جماهير الشعب مثلما حصل مع اليونان في إستانبول وتراقيا، ومرورًا بتعهده بإلغاء الخلافة ونفي أسرة الخليفة، ونبذ الإسلام، وانتهاءً بإشاعة الفاحشة في أوساط المسلمين الأتراك.. كل هذه الأعمال قام بها رجل يدّعي الإسلام، فلم يواجه من المتاعب معشار ما لاقته بريطانيا في محاولاتها المستميتة في ثني رعاياها المسلمين عن الحماس لدينهم وإخوانهم في أرجاء المعمورة، فكيف تسنى له ذلك؟!، وهل الكفر بالله لفظًا، أو عملاً، أو كتابة.. ينبغي أن يصدر من أناس أسماؤهم أوروبية غربية أو شرقية حتى تتحرك العواطف؟، أم أن المسلمين ـ طالما أن القانون صدر عن شخص يحمل اسمًا إسلاميًّا ـ فهذا يكفيهم لقبوله وتنفيذه، أو على



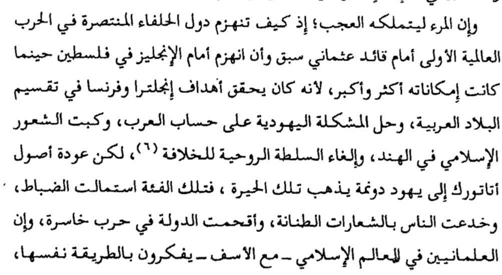
١) المصدر السابق، ص ٣٦٠.

الأقل: عدم مقاومته وفضح خطره وخطله؟.

عندما حكم الاتحاديون البلاد عينوا الكونت «أوستورلغ» الإيطالي مستشاراً لوزارة العدل، لأنه أفقه أهل المدينة [1]!، إذ لا يوجد في إستانبول كلها عالم بأصول الفقه مثله! ، بينما السلطان «محمد وحيد الدين» السادس يأمر قائد جيشه بالتراجع أمام جيش الكماليين عن فرط حسن ظنه بالغازي[2]، في الوقت الذي سرت مقولة عند الإنجليز بأن «السلطان وحيد الدين أراد أن يكيد الإنجليز بمصطفى كمال، فكاد الإنجليز السلطان به»[3]، ذلك الباشا الذي يقول عنه السلطان عبد الحميد الثاني في المرة الوحيدة التي لمحه فيها: «لم يكن يشبه العسكريين العاديين»[4]، فهل قصد أصله العرقي أم شخصيته الماكرة؟ ، وبعد أن أدى واجبه: عرض عليه منصب الخلافة، فجاء رده الطبيعي: «إن الإنجليز سوف لا يرضون عن هذا» [5].



دراسات تاريخية



وإن المرء ليتملكه العجب؛ إذ كيف تنهزم دول الحلفاء المنتصرة في الحرب العالمية الأولى أمام قائد عثماني سبق وأن انهزم أمام الإنجليز في فلسطين حينما كانت إمكاناته أكثر وأكبر، لأنه كان يحقق أهداف إنجلترا وفرنسا في تقسيم البلاد العربية، وحل المشكلة اليهودية على حساب العرب، وكبت الشعور الإسلامي في الهند، وإلغاء السلطة الروحية للخلافة [6]، لكن عودة أصول أتاتورك إلى يهود دونمة يذهب تلك الحيرة ، فتلك الفئة استمالت الضباط، وخدعت الناس بالشعارات الطنانة، وأقحمت الدولة في حرب خاسرة، وإن العلمانيين في العالم الإسلامي ـ مع الأسف ـ يفكرون بالطريقة نفسها،

١) الأسرار الخفية، ص ١٨٣.
٢) الرجل الصنم، ص ٢٦١.
٣) محمد فريد ، ص ٧٥٠.
٤) مذكرات السلطان عبد الحميد، ص ٢٦١.
٥) الرجل الصنم ، ص ٥٤١.
٦) محمد فريد، ص ٧٦٤.

ويرومون تخريب البلاد كما فعل أتاتورك [١]، فيما يعترف أحد أساطين السياسة في زمانه ـ وهو المستشار النمساوي «بسمارك» ـ: «بأن وجود السلطة العثمانية والمحافظة عليها، وإن كان فيهما كثير من المخالفة للمدنية المسيحية، فهما خير لأوروبا»[٢]، وعلى الرغم من النظرة الطبقية والعصبية الدينية في هذه المقولة، إلا أنها تحمل في طياتها معنًى كبيرًا لا يدركه علمانيو زماننا في انتشار التطرف والإرهاب والأصولية كما يزعمون، وهم يشتركون مع أحد المنصرين الألمان الذي أعماه الحقد عن رؤية الحق والخير، فدعى إلى محاربة الإسلام في عقر داره، وبالذات إستانبول حيث الخلافة [٣].

يبدو أن مشكلة العلمانيين ـ منذ عهد أتاتورك وإلى الآن ـ هي في مصادر تلقيهم للمعلومات، وكما قرّر ذلك أحد المتخصصين في التاريخ العثماني بقوله: «إن اهتمام أوروبا بالعثمانيين بدأ منذ القرن السادس عشر الميلادي، وقد تم تدريس تاريخهم بصورة عدائية، فلما توجه أبناء المسلمين للدراسة هناك في القرن الحالي ورثوا عن الأوروبيين عداء العثمانيين أيضًا»[٤]، وأضيف: أنهم تلقوا منهم حتى معلوماتهم عن الإسلام وشرائعه، فضلّوا وأضلّوا، فلا بد إذن من تصحيح مصدر التلقي عند هؤلاء، وكذلك المسلمين جميعًا؛ حتى لا نظل نوقد الشموع، ونضطر إلى التوقف عن الحركة لمدة دقيقتين، ونصدر الصحف باللون الأسود، حدادًا على ذكرى رجال الإنجليز من العلمانيين كما يفعل الأتراك[٥]، وهو ما تفعله تركيا في ذكرى وفاة أتاتورك من كل عام حتى الآن.

---

١) التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي، ص ٢٥٣.
٢) المصدر السابق، ص ١٥٩.
٣) حسّون، ص ٣٢٨.
٤) العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص٣.
٥) الرجل الصنم، ص ٥٤١.

بارك الله لكِ

بقلم:
نجوى الدمياطي

ابنتي الحبيبة.. هذه الكلمات هي هديتي لكِ في يوم من أجمل أيام العمر الذي تحلم به كل فتاة، إذ هو سنة الحياة وحكمة الله (تعالى) في بقاء النوع الإنساني وبناء الرابطة الزوجية على المحبة والمودة.. إنه يوم بنائك (بيت الدعوة).. وهي هدية أرجو الله (عز وجل) أن يكون قبولك لها قبول استجابة وعمل، يحقق لك به الحياة الطيبة والسعادة الدائمة، ويرزقك الله بها السكينة والمودة والرحمة التي أرادها الله لعباده من الزواج.. فليس هناك حياة أسعد وأقر من حياة تُبنى على الإسلام، وتضبط علاقاتها شريعة السماء..

ابنتي الحبيبة..

إن غايتك في لحياة هي رضا الله، ووسيلتك إلى هذه الغاية هي «توحيد المشرِّع ومتابعة رسوله المبلغ»، وهذا يعني: أن تقبلي شرع الله وترفضي كل شرع سواه، وتكون كل خطوات حياتك تبعًا لرسول الله..

ولقد رغّب الله في الزواج، وأخبر أنه من آياته (سبحانه): ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]

وقال (سبحانه) في وصف رسله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]، بل مدح الله أولياءه بسؤال ذلك في دعائهم: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].

كما أن رسول الله ﷺ رغّب في الزواج، وجعله من سننه، فقال: «النكاح سنتي، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني...»[1]، وقال: «من رغب عن سنتي فليس مني»[2].

---

١) أخرجه ابن ماجة، ح١٨٤٦، وانظر صحيح سنن ابن ماجة، ح/١٤٩٦.

٢) أخرجه البخاري، ومسلم، ح/١٤٠١.

ومن هنا ـ ابنتي الحبيبة ـ: فإن زواجك قبول لشرع الله، ومتابعة لرسول الله ﷺ، وممارسة لعبادة الله في الزواج، وعبادته في الإنسال، وعبادته في إقامة الحياة وفق شريعته ودينه.

ابنتي الحبيبة:

إذا كان واجب العبودية لله هو أول واجباتك، فإن أهم واجباتك بعده: أن تكوني سنداً لزوجك وسكنا له، كما أمر ربك: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

فكوني ـ ابنتي ـ سنداً لزوجك: بعونه على أداء رسالته التي حُمّلها في الحياة، واجعلي سكنه إليك دافعاً لانطلاقته القوية فيها، واعلمي ـ ابنتي الغالية ـ أن المرأة إذا تزوجت كان زوجها أَمْلَك لها من أبويها، وكانت طاعة زوجها أوجب.. وهذه عائشة (رضي الله عنها) حين يخبرها النبي ﷺ، ويقول لها: «إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك ألا تعجلي حتى تستأمري أبويك»، فتقول (رضي الله عنها): .. ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة»[(١)].

فاجعلي ـ يا ابنتي الحبيبة ـ عائشة (رضي الله عنها) قدوتك، واعلمي أن طاعتك لزوجك هي طاعة لله وقربة إليه، تعتزين بها وتحرصين عليها؛ لأن مما تحرص عليه المرأة الصالحة: ما أخبر به رسول الله ﷺ: «إذا صلت المرأة خَمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت»[(٢)].

ابنتي الحبيبة:

اعلمي أنه كما أن من صفات الزوجة الصالحة: أنها إن «أمرها زوجها أطاعته»، فإن من صفاتها أيضاً: أنها «إن نظر إليها سرّته».. فاحرصي أن تكوني لزوجك «تحقيق السرور»، واعملي على أن يراك «شريك الحياة» جميلة دائماً، وتزيني الزينة المباحة، فلك لبس الحرير والذهب، قال ﷺ: «حُرِّم لباس

١) أخرجه البخاري، جـ٦، ص ٢٣.   ٢) انظر صحيح الجامع، ح/ ٦٦٠، وعزاه لابن حبان.
٣) ح/ ١٧٢٠، وانظر صحيح الجامع، ح/ ٣١٣٧.



الحرير والذهب على ذكور أمتي، وأحل لإناثهم» رواه الترمذي [٣]، ولكِ لبس الفضة وأنواع الجواهر .. كما أن من الزينة المباحة: وضع الطيب والكحل واستعمال الحناء..

ومما يحرم من ذلك: ما يمنع نفوذ الماء إلى مواضع الوضوء، من الأصباغ وطلاء الأظافر .. فاحذريها يا ابنتي، واحذري كل زينة محرمة، مثل: وصل الشعر، وما يسمى «الباروكة»، أو الوشم، أو النمص، أو تفليج الأسنان .. فكل ذلك محرّم، توعد رسول الله ﷺ فاعلته بسوء العقاب، فقال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة»[١]، كما لعن رسول الله ﷺ: «المتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله»[٢].. فكل ذلك حرام، سواء أصُنع بإذن الزوج أو بغير إذنه، ذلك أن الزوج لا يحل حراماً.

ابنتي الغالية ..

إن بيتك هو المكان الذي تجدين فيه حقيقة نفسك، وتدركين فيه عظمة دورك.. فليس هناك سكن إلا أن توجده امرأة ـ بإذن الله ـ، ولا يكون له عطر إلا أن تطلقه زوجة، ولا يشع فيه حنان إلا أن تتولاه أم، ولذلك كان أمر الله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وهو أمر لا يعني ملازمة البيوت وعدم الخروج منها مطلقاً، وإنما يعني أن يكون البيت هو الأصل، والخروج هو الاستثناء الطارئ.

فاجعلي ـ ابنتي ـ بيتك هو أصل حياتك، ولا تغادريه إلا لحاجة، فإذا خرجت فلا يكون ذلك إلا بإذن زوجك، فإذا إذن لك الزوج بالخروج، فليكن لباسك (الحجاب الشرعي) الذي يستوعب جميع بدنك، ولا يصف جسمك، ولا يشف عنه، واحذري أن يكون به طيب أو يكون ثوب شهرة، أو أن يحتوي على صور لما فيه روح أو صور صلبان، واحرصي ألا يشبه لباس الكافرات أو لباس الرجال.. فإذا خرجت إلى الشارع فلا تستعطري؛ فإنه محرّم، وليكن مشيْك مهذباً يحفظ عليك وقارك ودينك..

١) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب وصل الشعر ٨٣، جـ٧ ، ص٦٢.
٢) أخرجه البخاري ، جـ٧ ، ص ٦٢.

ابنتي الحبيبة ..

إن الإنسان مدنيّ بالطبع، يحب أن يعيش مع الناس وفي قلب مجتمع، فاحذري ـ ابنتي ـ الوقوع في شبكة العلاقات الاجتماعية المزيفة التي لا تكترث بالمعاصي ولا تصغي إلا للشيطان ، واجعلي علاقاتك الاجتماعية على أساس من الإسلام وفي دائرة الاهتمامات الإسلامية..

واجعلي لك صحبة طاهرة من صواحب القلوب المؤمنة والنفوس المجاهدة، كما أوصانا ربنا (عز وجل): ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾ [الكهف: ٢٨].

وحاولي ـ ابنتي ـ أن يكون لك دور في توعية صاحباتك، واجعلي لهن جلسة تحاولين فيها معًا التواصي بالحق والتواصي بالصبر، والارتقاء فكريًا وأخلاقيًا عبر التعلم والتحاور.. واعلمي ـ ابنتي ـ أن جماع الخير في الحوار قد ذكره النبي ﷺ في أربعة أحاديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت»[1]، وقوله: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[2]، وقوله: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[3]، وقوله: «لا تغضب»[4].

واعلمي ـ ابنتي ـ أن المرأة والرجل أمام مسؤولية الدعوة إلى الله سواء، قال (عز وجل): ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [التوبة: ٧١] .. فأنت ـ ابنتي الحبيبة ـ الشق الآخر لزوجك، تقفين على ثغر من ثغور الإسلام يناسبك ويحقق هدف الدعوة.. بل إن قيامك بالدعوة إلى الله يجعلك لونًا منسجمًا مع صبغة حياتك، مع زوجك، ويفجر ينبوعًا للحب لا يجف بينك وبينه..

---

١) أخرجه مسلم، ح/٤٨ مكرر، ص ١٣٥٢.

٢) أخرجه ابن ماجة، ح/٣٩٧٦، وانظر صحيح سنن ابن ماجة، ح/٣٢١١.

٣) أخرجه مسلم ، ح/٤٥.

٤) أخرجه البخاري ، جـ٧ ، ص ٩٩ ـ ١٠٠

ابنتي الحبيبة ..

إن للمرأة دور الأم الذي يربطها بالبيت، ولها دور الزوجة الذي يعطي لبيتها الشأن الأكبر في حياتها .. ولكن لها دورًا أيضًا في مجتمعها الذي تعيش فيه صاحبة فكرة وحاملة رسالة، تعمل من أجل تغيير الواقع الفاسد، ليكون واقعًا إسلاميًا صالحًا ..

فكوني ـ ابنتي ـ زهرة المجتمع الذي تعيشين فيه، فلا يسمع منك إلا أطيب الكلام، ولا يرى منك إلا أحسن الفعال ..

فإذا شعرت بغربتك بين نساء عصرك : فاقتدي بالصحابيات الجليلات. خديجة، وعائشة، وأسماء ...

واذكري كيف كانت خديجة صورة للزوجة المجاهدة بالنفس والمال ..

وتأملي كيف كانت أسماء صورة أخرى للزوجة المؤمنة المجاهدة مع بطلها الزبير، وقولي كما قالت : «إن جنتي في إيماني، وإن إيماني في قلبي، وإن قلبي ليس لأحد عليه سلطان إلا الله».

ابنتي الحبيبة ..

لقد نشأ بيتك ببذرة الحب التي وضعها الله في قلبك وقلب زوجك، ونسمة المودة والرحمة التي جعلها (سبحانه) بينكما .. فحافظي على هذا البيت، واجعلي الحب والصفاء في القلب والنفس هما أساسه الذي يقوم عليه، وكوني لزوجك سكنًا وسندًا: تعيشين همه وتحفظين سره، تهتمين بما يحمل بين جنبيه من نفس، وليس بما يحمل بين يديه من نفيس .. تساهمين معه في الدعوة إلى الله، وتعملين معه على إزالة غربة الإسلام، وقد أوصى بذلك قدوتنا ﷺ، فقال: «إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء. قيل: من هم يا رسول الله ؟، قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس» (١).

أسأل الله لك التوفيق والبركة .. و .. بارك الله لك ،،،

---

١) أخرجه الترمذي، واللفظ له، ومسلم، بدون زيادة: قيل ...، وابن ماجة، وأحمد ابن حنبل، وصححه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة، ح/١٢٧٣.

نفق السلام

ما بال قلبكَ لايذوق مشاعري فلي العنا.. ولك ارتياح الخاطرِ؟

لو ذاقها لشكا.. ومن همٌ بكى كبكاء ثكلى في ظلام غابرِ

لِمَ لايذوق؟ ألا يُحركُهُ الذي يجري؟ ألا يُضنيه جَوْزُ الجائرِ؟

شتان بين ملازم الدرب القويـ ـم ومَن يسير على الطريق الدائري

ليدورَ ما دار الهوى.. ويعيشَ في بُعدٍ عن الإحساس.. بُعدَ مُهَاجرِ

أو لا ترى صهيون جاوز حدَّه ويُذلَ أهلي في عداءٍ سافرِ؟

أرأيت أقزام اليهود تعملقوا واستهزؤوا بعقيدتي وشعائري؟

سرتم بأنفاق السلام.. فما الجدا إلا المذلة مِن حقود ماكرِ؟

نَفَقُ السلام أبٌ.. ومن أبنائه نفقٌ رمى الأقصى بجرحٍ غائرِ

نفق تخفى بالنفاق.. وغاص في قلب السلام.. فأين عين الناظرِ؟

قد أثخنوا القدسَ الأسيرَ وأوغلوا فيها بأنفاقٍ لهم وحفائرِ

والمسجد الأقصى وَهَت أركانهُ وأخاف أن يلقى مصير (البابري)

وهل استفاد (البابري) من الألى جُنُّوا احتجاجًا.. في ادعاءٍ خائرِ؟

إلا نقيقَ (ضفيدعٍ) كتَبوا له أن يُتقِنَ التزويرَ فوق منابري؟

وتكاد تحسبه زئيرَ ضياغمٍ وَثَبَتْ لتفتكَ بالعدوِّ الغادرِ

• تراه ــ إن ظهر العدو ــ كأنه (فتخاء تنفر من صفير الصافرِ)

الشعر : فيصل بن محمد الحجي

(حَجَّاجُ) هذا العصر أقسى خطة | فينا.. والطفُ بالعدوِّ الكافرِ
سَقَطَاتُهُ طَمَسَتْ خطايا جدِّه | (الحجّاج).. بل لاحتْ لنا كمفاخرِ
أين الهداية في الدجا ودليلنا | يرجو الهداية من ضلال (السامري)؟

* * *

يا قدس ـ والأشواق تعصف في دمي ـ | كيف الوصول إلى جوار مُحاصَرِ؟
يا مَن إلهُ الكون بارك حولها | ليفوز زائرها بحظٍ وافرِ
وإليكِ أسري بالنبي محمد | ليلاً.. ليعرج للقاء النادرِ
وإليكِ حجَّ الأنبياءُ.. فكلهم | يتزاحمون على البساط الطاهرِ
يا مَن رضعتُ مع الحليب ودادها | وكتبتُ قصة حبها بدفاتري
زيَّنتُ أشعاري بها ولأجلها | رصَّعت بالحرف المضيء بشائري
أنا لا أخاف من اليهود.. ولا الذي | خلف اليهود.. فإن ربي ناصري
لكنني أخشى تمزُّقَ صفِّنا.. | وفساد أنفسنا.. وظُلْمَ الآمرِ
أخشى المعاصيَ أن تخلِّفنا بلا | نصرٍ.. من الله المعين الناصرِ
أخشى تزاحمَنا على الدنيا التي | كم أهلكتْ في غابرٍ أو حاضرِ؟
أخشى تبلُّدنا.. تقاعُسَنا.. تغا | فُلَنا.. فلم نعبأ بسيل مخاطرِ
والقلبُ يشوي في لظى آلامه | شيَّ الأسير على سياط الآسرِ
وتضجُّ في قلبي المنى.. وتُحيلني | سُحُبُ الرؤى ليثًا بهيئة طائرِ

لـو أن بـعـضًـا مـن رؤاي تحـقـقـتْ ... وغـدوتُ ممـتـلـئًـا بـعـزمٍ سـاحـرِ

لـقـطـعـتُ رأسَ خِـوانـنـا بـقـواطـعـي ... وحـفـرتُ قـبـرَ هـوانـنـا بـأظـافـري

* * *

يـا فـتـيـة الأمـل الـوضـيء تـوحَّـدوا ... وتـيـقـظـوا مـن خـائـن مـتـآمـرِ

وخـذوا الحـذارَ مـن الأعـادي مـرةً ... وخـذوه دومًـا مـن صـديـق غـادرِ

لا يـخـدعـنـكـم ادعـاء مـراوغٍ ... يـزهـو بـألـقـاب الـعـظـيـم الـثـائـرِ

فـالخزي قـد يـأتـي لـكـم من نـاصـر ... والعسر قد يأتي لكم من ياسرٍ...

شـتـان بـين فـؤاد من خـاض الـوغـى ... ينوي الفداءَ.. وبين قلب التاجرِ...

جَـزِعٌ إذا زأر الـعـدو مـهـددًا ... ولـذا يُـبَـالـغُ فـي احـتـرام الـزائـرِ

ويـجـود مـن خـيـرات أمـتـنـا الـتـي ... تحـيـا بـلا أمـنٍ.. بـقـدرة قـادرِ

الله أكـرمـكـم وبـارك حـمـلـكـم ... علمَ الجهاد.. على الطريق العاطرِ

يـا لـلـجـمـال.. وزحـف أمـتـنـا مـضـى ... والحـقُّ يـصـرُخُ: يـا كـتـائـب بـادري

وصـواعـق الـتـكـبـيـر فـيـهـا تمـتـطـي ... مـوج الـصـهـيـل إلـى الـلـقـاء الـظـافـرِ

ومناجل الأبطال تحصد في الوغى الأشـ ... ـواكَ.. أشـواكَ الـضـلال الـداعـرِ

وطـلائـع الـصـبـح المـنـيـر تـعـيـد لـي ... أمـجـادَ أبـائـي.. كـأمـسـي الـدابـرِ

آن الأوان لـكـي أعـيـشَ مـكـرَّمًـا ... وتـفـيـضَ بـالخـيـر الـعـمـيـم بـيـادري

هـذا الجـهـاد طـبـيـبُ أمّـتـنـا الـتـي ... مـرضـتْ بـفـعـل تـخـاذلٍ وتـنـاحـرِ

صـلّـت قـوافـي الـشـعـر فـي محـرابـه ... دومًـا.. وصـامـت عـن سـلام خـاسـرِ

أنـا شـاعـر مـا دمـتُ تحـت لـوائـه ... فـإذا نـأى عـنـي فـلـسـتُ بـشـاعـرِ

بعدما انفض السامر

هل ينصَّب (رئيس) للعالم ؟!

بعد سقوط الاتحاد السوفييتي السابق وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم، راق لبعض المراقبين أن يطلق على وزير خارجيتها آنذاك «بيكر» لقب: «وزير خارجية العالم»... في إشارة إلى أن رئيس أمريكا من الآن فصاعداً هو رئيس العالم!، وقد أصبحت الولايات المتحدة ـ بعد انتهاء الحرب الباردة ـ تشعر أنها القوة المسيطرة الرئيسة في أكثر الأماكن حيوية في العالم.

وهذا الشعور لا يتأتى من فراغ ، فالعلو الأمريكي في ارتفاع مطَّرد ، يزيده ارتفاعاً ذلك الاقتصاد العملاق الذي يقوم عليه هذا الكيان الضخم، وهو اقتصاد يعتمد في جزء،كبير منه على إخضاع اقتصاد العالم واستغلاله.

لقد أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية مؤسسة اقتصادية ضخمة، أو شركات اقتصادية متعددة لها مدير واحد، هو رئيس الولايات المتحدة.

فمن هو ذلك الرجل الذي يمكنه أن يتسنم ذلك المنصب الأول في العالم..؟، لقد بات معروفًا للجميع منذ الانتخابات الأمريكية لعام ١٩٧٦م وحتى الآن: أنه سيفوز لذلك المنصب كل مرشح يملك تحت تصرفه أكبر قدر من الأموال التي يسخرها لدعايته الانتخابية، فمفتاح النصر هو توفر أكبر قدر من المال لدى المرشح في وقت مبكر.

إن من المسلمات الآن: أن الرئيس الأمريكي المرشح للفوز، هو: ذلك الرجل القادر على تمثيلٍ أكبر لمصالح من انتخبوه ... أو بتعبير أدق: من موِّلوه...! فمن هؤلاء الممولون؟، ومن أولئك الذين لهم مصالح في التمويل؟!.

إن من البدهي أن تتجه الأنظار أولاً إلى عُبَّاد المال؛ أولئك الذين عبدو

المســلمون



والعـــالم

بقلم: عبد العزيز كامل

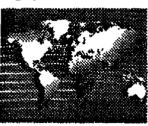
العجل الذهبي يومًا، ثم أصبحوا عبدة الدرهم والدينار، وهم اليوم عبدة الإسترليني والدولار ...

إنهم يهود الذين يسهمون بثلث تمويل الحملات الانتخابية الأمريكية ، إلى جانب نشاطهم الحزبي في الانتخابات ، وسط صراع محموم لدفع رجل معين للمقدمة، لقاء صفقة مقايضة مريبة.

لقد غدت الانتخابات الأمريكية بشكل عملي مزادًا هائلاً، تتنافس فيه الشركات الكبيرة وتنفق عليه الأموال بلا حساب؛ لتؤثر في سير الانتخابات، وإيصال الشخص المطلوب إلى كرسي الرئاسة، وتتم الصفقة عبر خيوط خفية تربط بين المرشح الذي ينفق مئات الملايين على الدعاية الانتخابية ، وبين الجهات التي تسعى لتأمين تلك الأموال له .

لقد تم التبرع لتنصيب « كلينتون » في ولايته الأولى بنفقات تفوق الإنفاق على أي حدث سابق مشابه، وقد بلغ الإنفاق على حملته الأولى مبلغ (٣٢) مليون دولار ، كان أصحابها من الماليين الكبار هم الناخبون الحقيقيون، وتلقى الحزب الديمقراطي في الانتخابات التالية (٧٠) مليون دولار تبرعات في عام واحد، أما الشعب الأمريكي: فهو ليس صاحب الكلمة الأولى - كما يُظن - في المجيء بالرئيس أو النواب، فالحقائق تقول: إن (٨٥) مليون أمريكي - ممن لهم حق التصويت - لم يدلوا بأصواتهم في انتخابات عام ١٩٩٢م التي جاءت بكلينتون للمرة الأولى، في حين أن (١١٤) مليون ناخب أمريكي لم يدلوا بأصواتهم في الانتخابات التشريعية التالية.

المسلمون



والعالم

أما الأمريكيون اليهود: فإنهم يقفون صفًا خلف مجموعات الضغط اليهودية (اللوبي) ممثلاً في منظمة (إيباك) وغيرها، وهذه المنظمة ، ليست سوى فريق عمل تحركه «المنظمة الصهيونية العالمية» و ... حكومة إسرائيل، فقد كان يطلق على هذه المجموعة حتى وقت قريب: مجموعة رابين!.

والأرقام تشير إلى أن «كلينتون» حصل في الدورة السابقة على ٨٠٪ من أصوات الجالية اليهودية المقدر عددها بـ(٥,٨) مليون نسمة، ولقد كررت هذه الجالية تأييدها له في هذه المرة بنسبة مماثلة، لقد تقاضى «بيل كلينتون» من اليهود: السلعة (الأصوات والتبرعات)، وسيدفع الثمن كما دفعه أول مرة، فقبل بدء الانتخابات قدّر المراقبون ان كل مرشح سيحتاج إلى نحو (٢٠) مليون دولار في عام ١٩٩٥م وحده ، ليتمكن من شن حملة قابلة للاستمرار، والمرشح سيضطر للظهور في (٢٠٠ - ٢٥٠) احتفال لجمع التبرعات خلال العام نفسه، وعلى هذا: سيحتاج إلى قضاء ٨٠٪ على الأقل من وقته في حفلات جمع التبرعات!.

فهل هناك فريق منظم ومتجانس وقوي يمكن الاعتماد عليه في هذا أكثر من اليهود؟.. بالطبع لا... ولهذا انطلق «كلينتون» وراءهم بلا تردد، فقد تعلم من الانتخابات السابقة أن اليهود هم الأمل والرجاء لكل من أراد سكنى البيت الأبيض.

جمع «كلينتون» بمساعدة اليهود في عام ١٩٩١م الذي سبق انتخابه للمرة الأولى مبلغ (٣,٣) مليون دولار، أما في عام ١٩٩٥م: فكان عليه أن يجمع أضعاف هذا المبلغ؛ لأن ثلاثة من المرشحين الجمهوريين المنافسين قد جمع كل واحد منهم أكثر من ضعف ذلك المبلغ في الربع الأول من عام ١٩٩٥م ، لقد بدأت حملة إعادة انتخاب كلينتون بقوة دفع على جميع المحاور وفي جميع الاتجاهات وسط أبواق الدعاية اليهودية، بدءاً من المساعدة بريع الأغنية، وانتهاء بثمن الدبابة والبندقية.

وقد دشنت الممثلة اليهودية «بربارة سترايسند» مع (٢٠) شخصية



فنية حملة التبرعات لحزب كلينتون ، وخصصت ربع الحفل الذي بلغ (٣,٥) مليون دولار لصندوق تمويل الحملة الانتخابية، وتقول الإحصاءات: إنه ما بين عامي ١٩٩٤م و ١٩٩٥م ، قدمت ثلاث عشرة شركة لصناعة الأسلحة ـ يملك اليهود أكثرها ـ حصيلة مبيعاتها من الأسلحة للحزب الديمقراطي على شكل تبرعات.

واليهود هم اليهود، إنهم لايساندون كلينتون ولا غيره حبًّا في زرقة عيونهم أو رغبة في الدعوة لدينهم ، بل إنهم لا يدفعون دولاراً من المال إلا وهم يؤملون من ورائه قنطاراً من المنافع.

لقد أدرك كلينتون في الفترة الرئاسية الأولى مسؤوليته تجاه من جاؤوا به إلى السلطة ، وأدرك أيضًا أنه بحاجة إليهم بعد فوزه أكثر من حاجته إليهم قبل الفوز؛ فإن تحقيق برنامجه الانتخابي الأول كان مرهونًا باستمرار بوقوف هؤلاء بجانبه ، ولهذا افلتت منه كلمات بعد الفوز الأول فقال متبرمًا ـ في إحدى المقابلات ـ: «هل يعني ذلك أن نجاح برنامجي الانتخابي، وبالتالي إعادة انتخابي لفترة ثانية، يعتمد على حفنة من التجار في سوق الأوراق المالية...؟!».

إن الرئيس الأمريكي «بيل كلينتون» مدين إذن لليهود، بل غارق في المديونية لهم ، وعليه أن يسدد الدين ويرد الجميل مرتين، وقد كان عند وعده لهم، وكانوا على عهدهم به ، فهو ـ كما يقول المراقبون ـ من أكثر الرؤساء الأمريكيين مسارعة إلى إرضاء يهود ، بدءاً من كثرة ترديده للتصريحات المؤيدة لهم والقرارات الداعمة لمطالبهم، ومروراً بكثرة ترداده لزيارة كيانهم، وانتهاء بتبنيه لوجهات نظرهم، بل تصديه لفرضها والدفاع عنها، وقد جاء في برنامجه الانتخابي لعام ١٩٩٢م ، أن زعامة الحزب الديمقراطي تعتبر القدس عاصمة لهم، وينبغي أن تظل هكذا مدينة موحدة كما هو موقفهم.

وبالغت إدارة كلينتون في تأييدها لدرجة أنها اقترحت إنشاء حلف

المسلمون والعالم



عسكري أمريكي إسرائيلي معلن ورسمي !.

أما في برنامجه الانتخابي لعام ١٩٩٦م، فقد اختفت جميع الوعود البراقة فيما يتعلق بعملية السلام على أساس مبادلة الأرض بالسلام، وحل محلها تبنى الرؤية الإسرائيلية الجديدة لسير العملية، وهي ربط السلام بالأمن.

وماذا للعرب:

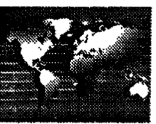
أما بالنسبة للعرب والمسلمين (وما أهونهم على صنائع اليهود): فإن البرنامج الانتخابي لكلينتون في فترة رئاسته الثانية قد أكد على ضرورة دعم العلاقات مع الدول العربية والإسلامية، شريطة أن تبدي استعداداً للتعايش السلمي وخوض عملية السلام إلى نهايتها.

وأما القضية الفلسطينية بوجه خاص: فلم تكن في يوم من الأيام موضوعاً رئيساً في الانتخابات الأمريكية، ومع هذا: لا يزال العرب يتوارثون الوهم بأن (تضغط) الإدارة الجديدة على دولة يهود لصالحهم.

والآن، وبعد أن أعيد انتخاب كلينتون، فإن العرب يجددون الوهم في هذا (الضغط)، والعجيب: أنهم في الوقت الذي يطالبون فيه أمريكا بالضغط، يقومون هم بإفساح المجال للدولة العدو لكي تدخل ضمن نسيج المنطقة، وذلك بإشراكها في المؤتمر الاقتصادي الثالث لدول الشرق الأوسط، أما أمريكا المطالبة بالضغط على دولة يهود: فقد صرح وزير خارجيتها في مناسبة انعقاد المؤتمر بأنه لا يمكن فصل الاقتصاد عن السياسة، وفي هذا إشارة إلى أنه يجب على العرب أن يثبّتوا إقبالهم على السلام اقتصاديًا، كما أجمعوا على قبوله سياسيًا.

إن عملية السلام في ظل الإدارة الأمريكية قد تستمر؛ لأن استمرارها هو لصالح يهود ـ ولو مرحليًا ـ، ولكن في أي اتجاه يمكن أن تستمر، إنها ومنذ أن بدأت لا تتقدم خطوة إلا على إيقاعات رتيبة من الضغوط الأمريكية والتنازلات العربية، ولكن الجديد المنتظر في سيرها اليوم هو: التوجه المتزايد لدى اليهود نحو الطموح للقيام بدور القيادة والتحكم في

المسلمون



والعالم

المنطقة عبر «حرب سلمية» قد لا تخلو من حروب تأديبية أو توسعية، وقد تطور هذا الطموح الجموح إلى حدٍّ حدا باليهودي المخضرم «هنري كيسنجر» أن يطالب الأنظمة العربية بحماية إسرائيل (مِنْ مَنْ ...؟!) من المعارضين للسلام من منطلقات إسلامية .

إن العرب اليوم لا يُحسدون على أحوالهم ، فهم مقبلون على مرحلة حرجة وغامضة، وهم يضربون أخماساً في أسداس لما يمكن أن تكون عليه الحال في المستقبل المجهول إذا أمعن (الراعي) لعملية السلام في تسليط الذئب على الغنم!.

إن سنة الله (تعالى) في إذلال من تخلى عن أمانة حمل الدين لتصدق اليوم وتتجسد في واقع أحوال العرب والمسلمين ، حيث ذلوا ـ وما زالوا يُستذلون ـ للأمة «الملعونة»، ببعدهم عن الدين، وصدق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : «إنا كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام ،فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله : أذلنا الله»[(١)].

أما أولئك السادرون في العتو والعلو من اليهود وأوليائهم النصارى، فلا نشك في أن علوهم الكبير سوف يعقبه انخفاض كسير ؛ لأن هذه ـ أيضًا ـ سنة من سنن الله (تعالى)، التي عبر عنها النبي ﷺ بقوله: «حقٌّ على الله : أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه»[(٢)].

إن هذه سنة ربانية قادمة لا شك فيها ، وقد بدأت أولى أماراتها بالنسبة للأمريكان بتفردهم بقيادة العالم، فليس بعد هذا علو، أما اليهود: فقد لاحت بوادر هذه السنة لهم، فهم يرون أنفسهم قد اقتربوا جداً من مرحلة القدرة على تنصيب ملك يهودي يحكم العالم (كما يحلمون)، ولكنهم الآن يكتفون باحتكارهم القدرة على تنصيب ... رئيس العالم!.

---

١) الأثر أخرجه الحاكم في المستدرك ، ك/ الإيمان،١ /٦٢، وقال صحيح عى شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

٢) أخرجه البخاري: ك/الجهاد والسير ، ب/٥٩، ح/٢٨٧٢، فتح الباري (٦/٨٦).

مؤتمر..
(مسلمون ومسيحيون من أجل القدس)
عرض وتقويم

كانت القدس إسلامية منذ فتحها المسلمون في عهد الخليفة الراشد «عمر بن الخطاب» (رضي الله عنه)، وحتى عصر السقوط العربي، حين استولى يهود عليها عامي ١٩٤٨م، ١٩٦٧م، عدا فترة الاحتلال الصليبي التي أنهاها القائد المسلم «صلاح الدين الأيوبي» بتحريرها.

ولا شك أن كل عمل ينطلق من الرغبة في استعادة الأرض المحتلة مطلوب، ولا سيما في عصورنا المتأخرة التي اشتبكت فيها المصالح، واستطاع (إخوان القردة والخنازير) أن يوطدوا أقدامهم فيما احتلوه من الأراضي العربية، واستطاعوا بكل الوسائل الشيطانية أن يغروا الدول والشعوب بتأييدهم، وبخاصة الدول الغربية ـ وبمكر منقطع النظير ـ مدعين أحقيتهم الكاذبة في أرض الميعاد بزعمهم، بعدما زيفوا التاريخ ليوافق مزاعمهم في الأرض المحتلة، ولا عجب، فقد زيفوا حتى كتبهم المقدسة.

لقد تم عقد مؤتمر (مسلمون ومسيحيون من أجل القدس) في بيروت بلبنان في الفترة من ١٤ إلى ١٦ يونية ١٩٩٦م بدعوة من مجلس كنائس الشرق الأوسط، والفريق العربي للحوار المسيحي/الإسلامي، وقيادات إسلامية ومسيحية.. بهدف تبليغ العالم بموقف الجميع حيال مدينة القدس واحتلالها من العدو الصهيوني.

المؤتمر: إيجابيات وسلبيات:

وحتى نكون موضوعيين في الموقف من هذا المؤتمر وأمثاله فلا بد من قول الحق، وإن كنا نختلف مع الداعين لهذا المؤتمر في المنهج والمنطلقات، فلقد علّمنا ديننا الإنصاف بقوله (تعالى): ﴿ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ

المسلمون



والعالم

بقلم: صفوت وصفي

عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة:٨]، فمما يحسب للمؤتمر ما يلي:

١ ـ ما ذكره المؤتمرون من أن القدس مأسورة باحتلالها من الصهاينة، ولا بد من عودتها إلى جسم فلسطين.

٢ ـ لا يوجد سلطة في العالم لها حق تهويد القدس أو تدويلها أو نزع صفتها الأساسية.

٣ ـ دعوة المنظمات والهيئات الإسلامية والمسيحية بأن يكون شغلها الشاغل تحرير القدس، وأن تصرف له كل جهد ودعم.

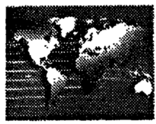
٤ ـ دعوة المسلمين والمسيحيين معًا للوقوف إلى جانب الحقوق الفلسطينية المشروعة.

٥ ـ دعوة الدول العربية والسلطة الفلسطينية لتوحيد موقفها من قضية القدس، باعتبارها أمانة في أعناق الجميع، لتعود لعروبتها و(التعددية الدينية)!.

٦ ـ على (إسرائيل) ـ باعتبارها (سلطة محتلة) ـ أن تكف عن أي إجراء من شأنه إغلاق القدس أمام أبنائها وكل أبناء الشعب الفلسطيني و(المؤمنين) كافة، والتوقف عن أي تدبير يؤدي إلى تبديل وجه القدس في سكانها وجغرافيتها.

٧ ـ عدم الاعتراف بشرعية أي ممثلية أو بعثة أجنبية لدى (إسرائيل) تتخذ من القدس مقرًا لها، وإن حصل هذا: فيعتبر عملاً عدائيًا عند الجميع.

المسلمون والعالم



ولا ندري ما هو الإجراء العملي الذي اتخذه المؤتمرون ـ ولاسيما النصارى منهم ـ بالتنسيق مع بني ملتهم من نصارى الغرب، وكيف السبيل إلى كشف خطر الاتجاهات الصهيونية لدى فئات من النصارى أصبحوا أنصاراً لـ (يهود)، بل وصهاينة أكثر منهم.

السلبيات في مثل هذا المؤتمر:

١ ـ إن تلك التجمعات التي دعت له، زيادة على منطلقاتها الكنسية والقومية، إلا إنها تتبنى أطاريح مشبوهة، مثل: (التعددية الدينية)، و(الحوار الإسلامي / المسيحي)، الذي عادة ما يكون لصالح النصرانية والتنصير على حساب الإسلام، ولا يهمهم حكم الإسلام في هذه المواضيع الذي سنراه مبسوطاً ـ إن شاء الله ـ.

٢ ـ إن ما يطرح في مثل هذا المؤتمر من أفكار وجيهة هي في نظري ليست سوى هالات إعلامية ليس إلا، فالعلاقة بين اليهود والنصارى وثيقة، توضحها الصلات الحميمة بين دول الغرب النصرانية عامة والكيان الصهيوني.

٣ ـ وموقف الإنجيل من اليهود صريح جداً، كما سيتبين لك أخي القارئ فيما بعد، ومع ذلك: وجدنا الفاتيكان يعيد العلاقات مع اليهود ويتنازل حتى عن عقيدتهم المشهورة ـ وإن كانت باطلة ـ بقتلهم وصلبهم للمسيح، بعد اعتراف الفاتيكان بدولة (إسرائيل) ودعوته إلى إزالة العداء التاريخي بين أتباع الديانتين، وصدرت بذلك وثيقة رسمية، أذاعها رئيس أساقفة بالتيمور، ونشرت في ١٢/١٢/١٩٦٩م [١]، ومع ذلك: لم نر موقفاً للمؤتمرين من هذه الوثيقة.

٤ ـ يجب أن يُفَرَّق بين الولاء من ناحية، والتسامح والمعاملة بالحسنى من ناحية أخرى، فقد قال (تعالى): **﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** [الممتحنة: ٨]، والمعنى الصحيح ـ كما رجحه



---

١) التبشير والاستعمار، لعمر فروخ ومساعد اليافي، ص٢٦٦.

ابن جرير ـ : ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتَصِلُوهم وتقسطوا إليهم؛ لأن الله (تعالى) عم في الآية جميع من كانت تلك صفته، فلم يخص به بعضًا دون بعض، ولا معنى لمن قال: إن ذلك منسوخًا ـ كما ذكره ابن جرير في تفسيره ـ (٢٨ / ٦٦)[1].

٥ ـ سماحة الإسلام مع أهل الكتاب شيء واتخاذهم أولياء شيء آخر، ولكنهما قد يختلطان عند بعض المسلمين ممن لم تتضح لديهم الرؤيا بحقيقة هذا الدين ووظيفته، فالسماحة التي جاء بها الإسلام مع أهل الكتاب لا تعني الولاء لهم، بل إن هذا ما حذر منه القرآن، ومن هنا: يحاولون تمييع المفاصلة بين المسلمين وأهل الكتاب باسم التسامح والتقريب؛ إذ إنهم يخطئون في فهم الدين، كما يخطئون في فهم التسامح[2].

٦ ـ إن الدعوة إلى ما يسمى (زمالة الأديان) أو الدعوة للتقارب معها: دعوة مشبوهة، تخالف أصول الإسلام المعروفة القائمة على المفاصلة العقدية مع الأديان التي نسخها الإسلام، وهذه الدعوة معروفة لدى المدرسة العقلية الحديثة، وكانت صحيفة العروة الوثقى ميدانًا لهذا الباب، بدعوى إزالة الاختلاف والشقاق بين الأديان الثلاثة[3].

بيان أن النصارى حلفاء اليهود:

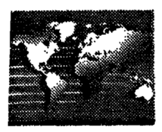
في البداية: أؤكد للقارئ الكريم أن مشكلة فلسطين بدأت بتواطؤ من النصارى ضد مسلمي فلسطين، فقد نكثوا بالعهد الذي قطعه رهبانهم للخليفة الراشد «عمر بن الخطاب» (رضي الله عنه) في العهدة العمرية

١) فاعلم أنه لا إله إلا الله، د. صلاح الصاوي، دار الإعلام العربي بالقاهرة، ص٩٩ ـ ١٠٠، بتصرف.

٢) انظر في (ظلال القرآن) لسيد قطب، جـ٢، ص ٩٠٩، وما بعدها، بتصرف، وكذلك: الولاء والبراء، د. محمد سعيد القحطاني.

٣) أهمية الجهاد، د. علي بن نفيع العلياني، والولاء والبراء، د. محمد سعيد القحطاني، ص ٣٤٤ وما بعدها.

المسلمون



والعالم

المعروفة [1]، واشترطوا ضمن ما اشترطوه: ألا يدخل القدس اليهود ولا اللصوص، وبقي النصارى هناك لهم أمان الذمة حتى عصر الإحياء النصراني في أوروبا (١٠٩٦م - ١٢٩١م) حيث كانت زعامة البابوية وسيطرتها على ملوك أوروبا آنذاك، فرأوا أن وحدة أوروبا وأمانها لا بد لاستمراره بتوحيد القوى فيما بينهم والعداوة لفئة واحدة، هم (المسلمون)، وتخليص (كنيسة القيامة) من الكفار (المسلمين).

وحينما دعا «سمعان الثاني» بطريك القدس إلى الحرب الصليبية والقضاء على الإسلام وإنقاذ كنائسهم، وكان حكام المسلمين آنذاك هم العبيديون، وكان واليهم على القدس هو «افتخار الدولة»، وبعد محاصرة الصليبيين للقدس (٤٠) يومًا: طلب التسليم، على أن ينسحب هو وجيشه إلى (برج داود) وأن يسلم لهم مبلغًا كبيرًا من المال مقابل إبقاء حرسه، ثم دخل الصليبيون بعدها القدس بنشوة النصر، فأخذوا يقتلون المسلمين رجالاً ونساءً وأطفالاً بلا تمييز، حتى وصل الدم إلى الركب - كما نقل «ريتسمان» النصراني -، ووصف ابن الجوزي سقوط القدس شهادة عيان، وذكر أنهم قتلوا ما يزيد على (٧٠) ألف مسلم، وسرقوا قناديل المسجد من الذهب والفضة، وبعد أن وحد المسلمون كلمتهم وجمعوا صفوفهم: استردوا القدس على يد القائد المسلم «صلاح الدين الأيوبي» في معركة حطين، التي أظهر فيها من البلاء والفروسية والتسامح ما جعله محل إعجاب وتقدير حتى مؤرخي الصليبية أنفسهم.

ثم سقطت القدس عام ١٩١٧م عندما احتلتها جيوش الإنجليز في نهاية الحرب العالمية الأولى، وبقيت تحت حكمهم (٣٠) عامًا، وضعوا البلاد أثناءها في ظروف سياسية واقتصادية سيئة، وسمحوا بهجرة كثير

---

١) العهدة العمرية فيها خلاف بين رواتها، وحصلت عليها إضافات، انظر مناقشتها علميًا في كتاب (تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها حتى الحروب الصليبية)، د/شفيق جاسر، ط. عمان، ١٤٠٤هـ.

من اليهود إلى فلسطين، وأعطى وزير خارجيتهم وعده المشؤوم (وعد بلفور) بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين[1].

والغريب أن لنصارى العرب في لبنان موقفًا مشينًا، حينما طالبوا بكيان لليهود في فلسطين منذ عام ١٩٣٥م، ثم عام ١٩٤٥م (قبل ولادة دولة يهود)[2].

اعتقادات النصارى تدعم اليهود:

تعتقد بعض طوائف النصارى أن بناء الهيكل الثالث سيؤدي إلى ظهور المسيح مرة أخرى، وبموجب هذه العقيدة يحصل التحالف والدعم من النصارى لليهود.

وعندما عقد المجمع العالمي الثاني للكنائس المسيحية في (افانستون) سنة ١٩٥٤م: أكد أن هذا المبدأ أو هذه العقيدة لدى النصارى تتطلب حدوث ثلاثة أمور حتى يجيء المسيح (بزعمهم)، وهي:

١ ـ قيام دولة إسرائيل. ٢ ـ اتخاذ القدس عاصمة لها.

٣ ـ إعادة بناء الهيكل (طبعًا على أنقاض المسجد الأقصى).

وقد ألّفت الكاتبة الأمريكية المنصّرة «جريس هالسيل» كتابها (النية القاتلة ـ المبشرون البروتستانت على درب الحروب النووية)[3]، وبه معلومات عن العلاقة الوثيقة بين اليهود والنصارى من أجل تنفيذ تلك الأهداف الشيطانية، وهذا مشهور لدى كثير من نصارى أمريكا، ويؤمن بها حتى بعض رؤسائها المعاصرين، حيث يؤمنون بمجيء يوم يحدث فيه صدام بين قوى الخير والشر (الهرمجدون)[4]، وفي استفتاء أجرته مؤسسة

١) تاريخ القدس والعلاقة مع المسيحيين، د/ شفيق جاسر.

٢) انظر كتاب الاستعمار والتبشير، لعمر فروخ ومساعد اليافي، نقلاً عن (لبنان الطائفي) لأنيس الصايغ.

٣) ترجم الأستاذ/ محمد السماك ذلك الكتاب بعنوان: (النبوة والسياسة)، وله كتاب (الأصولية الإنجيلية)، نشر مركز دراسات العالم الإسلامي.

٤) لمزيد البيان انظر: المصدر السابق، و (قبل أن يهدم الأقصى)، للأستاذ عبد العزيز مصطفى، وكتاب (الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي)، د/ إسماعيل الكيلاني.



(بانكلوفيتش الأمريكية) أظهر أن ٣٩٪ من الشعب الأمريكي يؤمنون بذلك، وهو ما يعادل (٨٥) مليون أمريكي تقريبًا، وهؤلاء النصارى هم المسيحيون الصهاينة، وهم أتباع الكنيسة (الإنجليكانية)، يقول «جورج دلاوب» في كتابه (الدين في أمريكا): إن أولئك: مَن تنصروا مرة أخرى، ويؤمنون بالمسيح مخلِّصًا، ويوسمون إعلاميًّا بالمسيحيين الأصوليين، ولهم جهود إعلامية كبرى، ويتحكمون في الانتخابات الأمريكية، وإليهم ولغيرهم يعزى الولاء الأمريكي لإسرائيل، ومن أبرز رموزهم: المنصر الشهير «سويجارت».

ماذا يقول اليهود عن النصارى:

الذي يظهر أن اليهود ـ من خلال مكرهم بالأديان بعامة والنصرانية بخاصة ـ يعتمون على آرائهم عن النصرانية والمسيح (عليه السلام)، ولو علم عامة النصارى ما قيل عنهم ـ وبخاصة في كتاب (التلمود) ـ لأبغضوهم ولعنوهم ليل نهار، فلننظر ماذا قال التلمود عن النصارى:

يقول الاب «آي. بي. براناتيس» في استعراضه لتعاليم الحاخامات اليهود السرية، في كتاب (فضح التلمود):

ـ يقول التلمود عن المسيح: إنه كان ابنًا غير شرعي، حملته أمه خلال فترة الحيض، وإنه مجنون ومشعوذ ومضلل، صلب (!)، ثم دفن في جهنم، فنصَّبه أتباعه وثنًا لهم يعبد.

ـ من الطبيعي أن المُضلِّل والوثني لا يستطيع تعليم شيء سوى الكذب والهرطقة اللتين يعوزهما التفكير السليم، ويستحيل على العقل إداركها.

ـ وإن المسيحيين وثنيون، وأسوأ أنواع الناس، وأنهم أكثر سوءًا من الأتراك (المسلمين)، وأنهم لا يستحقون أن يكونوا بشرًا، بل هم بهائم بأشكال آدمية، وأصلهم شيطان بهيمي.

ـ إن طقوس النصارى وعباداتهم وثنية، وكهنتهم كذلك، وصلواتهم هي صلوات أثيمة وعدوانية للرب، وفي الجزء الثاني من الكتاب تحت

المسلمون

والعالم

عنوان (وصايا التلمود فيما يتعلق بالمسيحيين) ما يلي: يفرض على اليهودي تجنب المسيحيين، وتجنب الاحتكاك والتعامل معهم، لأسباب: فهم لا يستحقون المشاركة والطريقة اليهودية للحياة، ولأنهم نجسون وثنيون وقتلة.

ـ العمل بكل ما يستطيعون لإفناء المسيحيين.. فالتلمود يلزم بالتهجم على المسيحيين على نحو غير مباشر على الأقل، أي: إلحاق الضرر بهم بكل طريقة، وعلى اليهودي انتظار الظرف السانح لقتل المسيحيين وبدون رحمة[1]، فهذه المعلومات يجهلها كثير من النصارى، ولجهل النصارى بتلك المواقف ضدهم من اليهود: فهم يتعاطفون معهم من تأثير وسائل إعلامهم، غير أن قليلاً جداً من النصارى من يعرف ما قاله اليهود عنهم، ولذلك: فهم يقفون من اليهود موقف المعادي، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: «الأنبا شنودة الثالث» بطريرك الكنيسة القبطية بمصر، حيث وضح في محاضرة له ما قاله كتابهم المقدس عن اليهود من أنهم شعب عنيد مكابر مؤذٍ للأنبياء، فقد أتعبوا نبيهم موسى (عليه السلام)، وأنهم شعب شرير عابد للأصنام، وأنه لا يوجد فيهم صالح واحد، وأنهم نقضوا عهد الرب وعبدوا آلهة غريبة، ومجدوا أصنامها.. كل هذا فضلاً عن كفرهم بالمسيح وسبهم له ولوالدته[2].

الحوار مع أهل الكتاب بشروط:

وإن كان هذا المؤتمر يندرج تحت إطار (الحوار) فلا يعني ذلك رفض الحوار جملة وتفصيلاً، ولكن يمكن الحكم على الحوار من خلال معرفة أهدافه[3]: هل هي مشروعة أم لا؟، فإن كانت مشروعة فحيهلا، ومنها:



المسلمون والعالم

1) انظر: كتاب (فضح التلمود)، إعداد زهدي الفاتح، نشر دار النفائس ببيروت، وكتاب (الكنز المرصود في فضائح التلمود)، د. محمد الشرقاوي.

2) طبعت المحاضرة في كتاب (رأي المسيحية في إسرائيل)، نشر لجنة الإعلام بالمركز الملي العام بالقاهرة، مع أننا لا نوافقه بالطبع فيما ذكره عن أنبياء الله من اتهامات غير لائقة.

3) انظر: (الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومنهجه)، للأستاذ/ خالد القاسم، دار المسلم بالرياض.

ـ الدعوة إلى الإسلام وإقامة الحجة عليهم ببيان محاسن الإسلام والدفاع عنه.

ـ بيان ما هم عليه من باطل سواء بتحريفهم لكتبهم، أو انحرافهم عن منهج الأنبياء، أو إشراكهم بالله .

ـ الحوار معهم للرد على شبهاتهم وطعنهم في الإسلام، كإثبات رسالة الرسول، وأن الإسلام خاتم الرسالات.

ـ الحوار معهم لتحقيق مصالح المسلمين المشروعة، وكشف شبهاتهم التي ينصرون بها جهال المسلمين.

أهداف غير مشروعة للحوار معهم:

وأكثر الحوارات التي تدور مع أهل الكتاب يقوم بها بعض الفئات التي ينقصها العلم الشرعي الصحيح، إذ يشوب تلك الحوارات الموالاة لهم، مستدلين بمثل قوله (تعالى): ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الممتحنة: ٨]، وهذا كما سبق الإشارة إليه خلط بين السماحة التي تدعو إلى البر بهم وحسن معاملتهم في المجتمع الإسلامي، .. والولاء الذي لا يكون إلا لله ورسوله وللمؤمنين، فضلاً على أن الله (تعالى) قال: ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ولخطر موالاة الكفار والمشركين جاءت النصوص الصحيحة بتحريم كل ذريعة إلى ذلك، ومنها: التشبه بهم، حتى في الأمور الظاهرة اليسيرة؛ لأنها قد تؤدي إلى مودتهم القلبية .

ـ الحوار معهم من أجل التقارب، وهذا مثل التنازل عن شيء من الدين، أو أخذ شيء من دينهم، أو مشاركتهم في عبادتهم .. فهذا مردود ومرفوض.

ـ مسلك التقارب في إقرارهم على دينهم، وتصحيحه لهم، أو مدحه

المسلمون



والعالم

باعتباره دينًا صحيحًا، أو مساواته بالإسلام بدعوى أنه دين سماوي.. فهذا لا يقر أيضًا.. أما ما ورد من مثل قوله (تعالى): ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٢]، فهذه الآية نزلت فيمن أسلم من النصارى ـ كما قاله كل المفسرون ـ.

واخيرا:

فإن التعاون الذي يبديه بعض النصارى لصالح القضية الفلسطينية ولصالح مدينة القدس هو جهد مشكور، لكن الأولى أن يبدأ حوارهم فيما بينهم أولاً لتحديد موقف إخوانهم النصارى ـ لا سيما في الغرب ـ من اليهود وكيف يوقف أولئك النصارى دعمهم للصهاينة المحتلين لفلسطين، وثانيًا: أهمية أن يعمل النصارى العرب جهودًا متواصلة بتوعية بني ملتهم، وبيان خطر اليهود عليهم، وإظهار موقف اليهود من دينهم ومن نبيهم ومن كتبهم المقدسة، ولعل في ذلك ما يحدث ردود أفعال جذرية لصالح القضية الفلسطينية وكشف ألاعيب اليهود لخدمة مخططاتهم واستخدام النصارى حلفاء لهم.

ولا مانع من الحوار مع أهل الكتاب بالشروط المشار إليها للوصول إلى الحق، أما الحوار بشكله الذي يتم وبمخالفاته الشرعية: فإن ضرره أكثر من نفعه.

والله من وراء القصد،،،

المسلمون



والعالم

ماذا يبقى من فلسطين؟

(٢ من ٣) «القدس والمستوطنات»

عرض الكاتب في الحلقة الأولى، كيف أثبت الواقع كذب الشعارات الطنانة التي كان يطلقها زعماء (التحرير) وأساطين المنظمات الفلسطينية، وأوضح مسلسل الاستلاب للأراضي المحتلة، حتى أصبح الفلسطينيون قلة مجردة من السيادة ومحرومة من الثروات، واستحوذ اليهود على الأرض والثروات، ويواصل الكاتب في هذه الحلقة عرض جوانب أخرى. ـ البيان ـ



المسلمون والعالم

قدسنا .. والمستوطنات:

«لم أدرك أبداً أن مدينة القدس قد تهودت إلى هذا الحد كما أدرك ذلك الآن!!».. هذا ما صرح به أحد المسؤولين الفلسطينيين ـ وهو «محمد حسين» ـ لرفاقه الذين يبحثون السبل والخطط لمواجهة السياسة (الإسرائيلية) في المدينة.

إن الأمر جد مفجع مع هذه الأرقام وهذه الخطط اليهودية لتغيير المدينة بأكملها.

يقول «خليل التفكجي» مدير دائرة الخرائط في «جمعية الدراسات العربية» في القدس: لقد سيطروا على ٣٤٪ من مساحة القدس، وحولوا ٤٠٪ من أراضيها مناطق خضراء يمنع البناء عليها، وصادروا ٥٪ من مساحة أراضيها لشق الطرق، وأخرجوا ٧٪ من مساحة أراضيها من التنظيم، فيما يقيم المقدسيون الآن على ١٠٪ فقط من مساحة القدس، لم يبق الآن سوى ٤٪ من المساحة كلها» [الحياة، ع/١٢١٦٣ـ ١٥/ ٦/ ١٩٩٦م].

ـ كان عدد سكان القدس العربية (١٧٠) ألفاً، إلا أن الاضطهاد الذي مارسته إسرائيل ضدهم أجبر نحو (٧٠) ألفاً منهم على ترك المدينة للإقامة



بقلم: حسن أحمد قطامش



المسلمون والعالم

في القرى الفلسطينية المجاورة، وتقول «توفا إلينسون» (الناطقة باسم وزارة الداخلية الإسرائيلية): إن ثلاثة آلاف فلسطيني من القدس الشرقية حصلوا على الجنسية الإسرائيلية عام ١٩٩٤م، أي أكثر من ضعف العدد في العام ١٩٩٣م [الحياة، ع/١١٦٥٦ـ١٧/٨/ ١٤١٥هـ].

ومنذ نحو سنتين لجأت مؤسسات الحكومة (الإسرائيلية) إلى سحب حق المواطنة «الهوية الشخصية» من الفلسطينيات المقيمات مع أزواجهن خارج القدس، وذلك بهدف تقليل عدد المسلمين في القدس، ودفعهم إلى الحصول على الجنسية (الإسرائيلية)، وخلف الكواليس: بدأت مؤسسة التامين الوطني (الإسرائيلية) (الضمان الاجتماعي) تشجيع السكان على الحصول على الجنسية (الإسرائيلية)؛ للحصول على امتيازات أفضل، فيما طالبت مؤسسات (إسرائيلية)؛ عديدة موظفيها العرب بالحصول على الجنسية (الإسرائيلية) مقابل الاستمرار في العمل لديها [انظر: الحياة، ع/١٢١٦٣ـ١٥/٦/١٩٩٦م].

ـ المشكلة أكبر من أي تصور؛ إذ إن عدد الذين يفقدون حقهم في أن يكونوا مواطنين في مدينة القدس يتراوح ما بين ٥٠ ـ ٦٠ الف فلسطيني، فعدد سكان مدينة القدس حالياً (٥٦٧) ألف نسمة ، الفلسطنيون منهم (١٧٠) ألفًا، منهم تسعة آلاف حصلوا على الجنسية (الإسرائيلية)، فالهدف واضح من تحويل الكثافة السكانية لصالح اليهود، حتى إذا جاء التفاوض حول القدس، فالأغلبية يومها (لا قدر الله) (إسرائيلية)، فلا مجال وقتها للحديث عن سلطة فلسطينية على أغلبية (إسرائيلية).

وفي التقرير الذي نشرته منظمة (بيت تسليم) المعنية بالدفاع عن حقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية، ذكرت أن في عام ١٩٦٧م كان أكثر من ٨٥٪ من الأراضي ملكًا للفلسطينيين، واليوم: لم يبق لهم سوى ١٣٪ من مساحة القدس [الشرق الأوسط، ع/٦٤١٣ـ ١٩/٦/١٩٩٦م].

ـ والآن، وبعد فوز حزب الليكود في الانتخابات بجانب بقية الأحزاب اليمينية: فلقد أصبحت المشكلة أكبر حجمًا؛ إذ إن رأس الحكومة ليكودي، ورئيس بلدية القدس «أيهودا أولمرت» ليكودي، وسيخلفه في رئاسة البلدية المتطرف «شموئي مائير» من حزب (مفدال)، حزب الوطنيين المتدينين، والذي يوصف بأنه (البلدوزر)؛ وذلك لتهديده الدائم بهدم (٢٠٠٠) منزل، قال إنها بنيت بدون ترخيص في القدس، هذا (البلدوزر) لديه خطة استيطانية (نسأل الله أن يعجل به قبل أن يبدأها) تتلخص في المشاريع التالية:

١ ـ بناء (١٧٠٠) وحدة سكنية قرب شارع القدس، (معاليه أدوميم) (مستوطنة يهودية كبيرة، على طريق القدس/أريحا) وذلك بهدف إيجاد تواصل إقليمي يهودي بين حي بسفات زئيف (شمال غرب القدس) والتلة الفرنسية (حي الشيخ جراح)، ولتنفيذ هذا المخطط (الذي يطلق عليه: بوابة الشرق) سيتم مصادرة (٨٢٧) دونمًا من أراضي القدس.

٢ ـ إقامة (١٣٢) وحدة سكنية استيطانية على أراضي حي رأس العامود، وهو المشروع الذي رفض تنفيذه وزير الداخلية السابق «حاييم رامون»، وقد صادقت على هذا المشروع اللجان (الإسرائيلية)، ويبقى إقراره من وزير الداخلية الجديد.

٣ ـ إقامة (٦٥٠٠) وحدة سكنية استيطانية على أراضي جبل أبو غنيم (بين بيت ساحور وقرية أم طوبا) لإسكان المتدينين اليهود، وسيطلق على هذه المستوطنة اسم (هارجوماه) وهي ستسد الثغرة الأخيرة في السلسلة الاستيطانية التي تحيط بمدينة القدس.

المسلمون



والعالم

٤ ـ إقامة مئات الوحدات السكنية على (٣٥٠) دونمًا من أراضي قرية (أبو دليس) قرب القدس، وهي أرض منعت (إسرائيل) مع بداية احتلالها للقدس البناء عليها بحجة أنها أرض زراعية.

٥ ـ بناء عشرات الوحدات السكنية الاستيطانية على أرض جبل الزيتون (المطل على المسجد الأقصى المبارك) سكنًا لطلاب مدرسة «بيت أرومط» التلمودية المتطرفة.

٦ ـ ولعل أبرز المخططات الاستيطانية وأكثرها إمكانية للتطبيق: استيطان بلدة القدس القديمة وقرية سلوان، إذ يدور الحديث عن وجود (٢٨) منزلاً سيتم إسكان المستوطنين بها قريبًا في قرية سلوان، وذلك في مسعى لتحويل القرية إلى ما يسمى (مدينة داود) أما بلدة القدس القديمة فيدور الحديث عن وجود عشرات المنازل التي سيتم التوطين فيها قريبًا [الحياة، ع/١٢١٦٤ـ١٥/٦/١٩٩٦م].

وأخيرًا: نكتفي بالخبر التالي دون سرد تفاصيله المحزنة: ذكرت تقارير نشرت في (إسرائيل) أن حكومة «نتنياهو» بدأت بإعداد خطة عملية أولية لتنفيذ قرارها المتعلق باستئناف أنشطة البناء والتوسع الاستيطاني في الأراضي الفلسطينية، وذلك بالتنسيق مع مجلس المستعمرات اليهودية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتهدف هذه الخطط إلى إقامة (١١) كتلة استيطانية وأربعة أحزمة أمنية، أحدها حول القدس [صحيفة الخليج، ع/٦٢٩٠ـ٧/٨/١٩٩٦م، والرأي العام، ع/١٠٦٤٦ـ١٤/٨/١٩٩٦م].

والآن نعود للسؤال المطروح: ماذا يبقى من فلسطين ؟!، وما هي التحركات التي اتخذتها السلطة الوطنية تجاه ما يجري تحت سمعها وبصرها؟.

وبموضوعية: فكما نقبنا عن مخططات يهود نقبنا كذلك عن «تصريحات» و«لاءات» السلطة، فما وجدناه سنذكره.

المسلمون



والعالم

١ ـ ياسر عرفات: عاصمة دولتنا المستقلة هي القدس، ومن لا يعجبه.. فليشرب من بحر غزة.. [حوار لمجلة الحوادث،ع/٢٠٤٦ـ١٩/١/١٩٩٦م].

٢ ـ ياسر عرفات: الدولة الفلسطينية قادمة، ولن تكون لها عاصمة غير القدس، ونحن مسؤولون عن ذلك [الخليج،ع/٦٢٢٨ ـ ٦/٦/١٩٩٦م].

٣ ـ ياسر عرفات في قمة العقبة الثلاثية: إن الدولة الفلسطينية ستعلن قريباً، وعاصمتها القدس الشريف، وهذا خيار الشعب الفلسطيني، ولا يمكن لأحد الوقوف أمامه [الأنباء، ع/٧٢٠٤ ـ ٥/٦/١٩٩٦م].

٤ ـ ياسر عرفات: س: هل كان هناك اتفاق مع حزب العمل وشمعون بيريز على قيام الدولة الفلسطينية؟.

ج: لقد قلت مثل هذا الكلام بوضوح كوضوح الشمس مع رئيس الوزراء الراحل رابين ومع شمعون بيريز رئيس الوزراء الحالي، وها أنا أقوله في بداية عهد نتنياهو: إن موقف فلسطين لا يتغير، ويجب أن تُفهم الانتخابات التشريعية والرئاسية على أنها تكريس للسيادة الفلسطينية فوق الأرض الفلسطينية [حوار للشرق الأوسط،ع/٦٤٠٩ـ١٥/٦/١٩٩٦م].

ونذكّر عرفات بحديثين، الأول: لبيريز الذي قالها واضحة كوضوح الشمس، قال فيه: «بإمكان عرفات أن يستمر في أحلامه بدولة فلسطينية عاصمتها القدس، ومع ذلك فإن إسرائيل لن تعطي موافقتها» [الشرق الأوسط، ع/٦٣٦٦ـ٣/٥/١٩٩٦م].

الثاني: نتنياهو: «لا توجد الآن إمكانية لأن نتفق مع السلطة الفلسطينية على الوضع النهائي، لأن الوضع النهائي للقدس، ويبدو أنها إحدى القضايا غير القابلة للحل» [الرأي العام،ع/ ١٠٦٤٤ـ ١٢/٨/١٩٩٦م].



وفي يوم ٥/٩/١٩٩٦م اجتمع نتنياهو بحزب الليكود، وقال لهم: يمكنكم أن تحلموا كل ليلة.. وستستيقظون كل صباح لتجدوا أنه لا وجود لدولة فلسطينية!!، لا وجود لدولة فلسطينية، ولن تقوم دولة فلسطينية [القبس،ع/٨٣٣٧، والرأي العام،ع/١٠٦٧٠ــ ٧/٩/١٩٩٦م].

٥ ــ فريح أبو مدين / وزير العدل في حديث عن المستوطنات: حين يصادرون أرضي ومستقبلي ومياهي يعتبر ذلك بمنزلة إعلان حرب، والحرب تؤدي إلى حمام دم [الأنباء،ع /٧٢٥٩ـ٣١/٧/١٩٩٦م].

٦ ــ أحمد قريع (أبو العلاء) / رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني: إنه ما لم يتم حل مشكلة القدس، وما لم يتم إعادة المدينة للفلسطينيين، فإن عملية السلام ستتوقف [الوطن ،ع/٧٣٤١ـ٢٠/٧/١٩٩٦م].

٧ ــ والآن، وأخيراً: لنرى ماذا لدى المسؤول المكلف بملف القدس:

فيصل الحسيني:

أ ــ إن الوضع في مدينة القدس كفيل بتهديد عملية السلام بالانهيار، الأمر الذي يستلزم موقفاً حازماً وحاسماً.

ب ــ إن القدس تتعرض الآن إلى عزل سياسي، وذلك من أجل شطبها من اهتمامات المواطن الفلسطيني، وإن هذا العزل أثر على الوضع الاقتصادي والتجاري [الخليج،ع/٦٢٨١ـ ٢٩/٧/١٩٩٦م] بعد السماح لليهود المتطرفين بدخول المسجد الأقصى.

ج ــ القدس لن تكون قرباناً لأي اتفاق سياسي [الاتحاد،ع/ ٧٨٠٣ ــ ٢٩/٦/١٩٩٦م].

د ــ القدس خط أحمر.. وعودتها إلى السيادة الفلسطينية حتمية. [حوار لعكاظ،ع/١٠٩٤٧ـ٣/٨/١٩٩٦م أثناء الزيارة الأخيرة للمملكة العربية السعودية].

هــ س: هل أنتم متفائلون حقيقة بإنجاز حل يعيد القدس الشرقية

المسلمون



والعالم

ويثبت حق لاجئي ٤٨ في العودة لأرضهم، ويزيل المستوطنات؟.

ج: لدينا أهداف، ويجب أن نفهم أن لدى كل شعب من الشعوب آمالاً وتقاليد وعقائد وتاريخًا طويلاً، وهي مجتمعة تمثل تطلعاته المستقبلية، وتشكل السقف العالي الذي يطمح في الوصول إليه، مع أنه ليس بالضرورة أن يصله دائمًا.. فمن حقنا العودة، ومن حق كل فلسطيني أن يعود إلى المنزل الذي يسكنه أبوه أو جده في السابق، إلا أنه ليس بالضرورة أن يكون هذا هو ما نسعى إليه أو ننجح في تحقيقه عمليًّا!!».

وحول سؤال عن **المعارضة الفلسطينية في الداخل قال**: المعارضة موجودة، فعندما أرى أمامي أحد قادة الجبهة الشعبية أو الديمقراطية فأنا ملتزم بالحديث معه... وعندما تقام مستوطنة.. نذهب «للتظاهر» معًا.

[حوار مع صحيفة الاتحاد، ع/ ٧٧٦٩-٢٠/٥/١٩٩٦م].

٨ - **صحيفة يديعوت أحرونوت**: إسرائيل تفكر بأن تقترح على الفلسطينيين بناء قدس ثانية كعاصمة لكيانهم السياسي المستقل.

[الوطن، ع/ ٧٢٨٢-٢٢/٥/١٩٩٦م].

٩ - **فيصل الحسيني**: نؤيد تحويل المدينة إلى عاصمتين، إحداهما للفلسطينيين، وأخرى لليهود، على أن تكونا مفتوحتين.

[الحياة، ع/ ١٢١٤١-٢٣/٥/١٩٩٦م].

١٠ - **مصطفى اللداوي/ ممثل حركة حماس في بيروت**: السلطة الفلسطينية وإسرائيل اتفقتا على إيجاد قدس بديلة محاذية لرام الله.

[المستقلة، ع/ ٩٤-٢٦/٢/١٩٩٦م].

وأخيرًا: فقد تتابعت الأحداث بشكل ماساوي؛ فقد أقدم «بيبي» لإرضاء صديقه «أيهودا أولمرت» رئيس بلدية القدس، وإرضاء حلفائه اليمينيين، ووافق على فتح نفق «الحشمو نائيم» نفق الأقصى، وهو عبارة عن قناة مائية اكتشفت في القرن الماضي وبقيت منسية!!، إلى أن اهتمت بتنظيمها وزارة الأديان عام ١٩٨٧م، وأوصلتها بنفق البراق الممتد نحو

المسلمون



والعالم

(٥٠٠ متر) تحت حائط المبكى، وذلك ضمن سلسلة الحفريات التي يقوم بها يهود لهدم المسجد الأقصى وإقامة هيكلهم المزعوم، وعندها هب المسلمون في أرض فلسطين: كانت مواجهة دموية توفي خلالها (٩٦) شخصاً، وجرح (١٠٨٦) آخرين ، وهذا العمل الإجرامي اليهودي كان من شأنه أن يحدث تغيّراً كبيراً في مفاهيم (القوم) وأقوالهم وأعمالهم، ولكن كالعادة: لم يكن تجاه هذا العمل إلا العادة ذاتها: الجعجعة الكلامية.

فلقد أصدرت السلطة الفلسطينية مرسوماً وزع على السفارات والبعثات الدبلوماسية الفلسطينية في الخارج، وكان مما جاء فيه:

إن الشعب الفلسطيني ـ ومنذ اليوم الأول لانطلاقة عملية السلام في المنطقة ـ اختار طريق السلام عن قناعة وإيمان، باعتبار السلام الذي اختاره « خياراً استراتيجيًّا لا رجعة فيه ».

ووضعت شروطاً لإعادة مفاوضات السلام على ضوء الاتفاقيات التي ولدت السلام الهزيل، ثم حلت قمة واشنطن، ثم فشلت القمة، وبقي النفق مفتوحاً، وأعيد التفاوض حول مسألة إعادة الانتشار في الخليل، والذي رفض في (الفقرة ثانياً) من البيان، وعادت لعبة الكراسي الموسيقية مرة أخرى، وقد سمعنا من التصريحات ما يضيق المقام عن حصره، والتي منها: « إعلان الجهاد » و« تكوين جيش إسلامي للدفاع عن الحرم المقدس » .. وإلى .. قطع المفاوضات ..!.

وهي مزايدات، أول من يعرف كذبها: الشعب الفلسطيني نفسه.

هذا ما حصدناه من تصريحات (أصحاب القضية) بعد ما رأيناه من « أفعال » أبناء القردة والخنازير .. وهو غيض من فيض، يؤلم كل مسلم أن تصير التنازلات إلى هذا الحد المرير من الذل والمهانة .. ونتسائل: بأي ثمن باعوا الأرض؟!،وما الذي بقي منها؟، وماذا نحن فاعلون ؟! .

وحسبنا الله ونعم الوكيل

المسلمون



والعالم

إشكالية التعبير العملي عن الديمقراطية

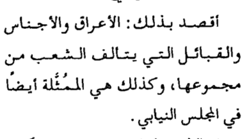
(٢)



بقلم: سامي محمد صالح الدلال

تعرض الكاتب في الحلقة الأولى بالتوضيح لإشكاليات التعبير العملي عن الديمقراطية، فعالج: إشكالية التعريف، وإشكالية البلورة الاجتماعية للديمقراطية، ملقياً الضوء على ظاهرتي التفاوت الطبقي والتنوع الديني، ويواصل في هذه الحلقة عرض جوانب أخرى من الموضوع.
- البيان -

- التعدد التكويني:



أقصد بذلك: الأعراق والأجناس والقبائل التي يتألف الشعب من مجموعها، وكذلك هي المُمَثَّلة أيضاً في المجلس النيابي.

إن الذي قلناه بخصوص التفكك الاجتماعي الناشئ من تعدد الأديان في إطار المفهوم الديمقراطي، ينطبق هنا أيضاً، مع ملاحظة التفاوت الذي يضفي مزيداً من التفتت في حالتنا هذه.

ذلك أن المنتسبين إلى كل دين، من المسلمين واليهود والنصارى يتكونون من أعراق وأجناس وقبائل شتى، ولكل عرق وجنس وقبيلة حصيلة عادات وأعراف اجتماعية في إطار المفهوم الاجتماعي لذلك الدين المنتسبين إليه.

إن السهام الديمقراطية المنطلقة من قوس مفهومها الاجتماعي المقنن والمتلون بصبغتها، إن لم تُصبْ مقتلاً في العلاقات الاجتماعية لتلك الأعراق والأجناس والقبائل، فإنها على الأقل تؤدي إلى جروح غائرة في تلك العلاقات، ليست فقط غير قابلة للاندمال، بل هي متجددة ومتفجرة دائماً!!.

وهذا يعني ـ باللغة العملية الواقعية ـ تفتيتًا شاملاً لوحدة المجتمع الإسلامي، تلك الوحدة التي أمرنا الله (تعالى) بالمحافظة عليها من خلال اعتصامنا بكتابه وسنة نبيه ﷺ ، قال (تعالى): ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فهلا انتبه الإسلاميون النيابيون إلى هذه الحقيقة؟!!.

مثال توضيحي:

أقر المجلس النيابي الاختلاط في التعليم الثانوي.

نطبق الحالة على مستوى القبيلة:

١ ـ بعض عائلات القبيلة ممن يضفون على أنفسهم صفة العصرية والتقدم سيسارعون إلى تأييد قرار المجلس النيابي، عائلات أخرى من القبيلة نفسها ممن لهم سمت التمسك بالإسلام سيسارعون إلى رفض قرار المجلس النيابي، النتيجة هي: احتدام الصراع الاجتماعي بين المؤيدين والرافضين.

٢ ـ ننتقل إلى دائرة أضيق، وهي دائرة العائلة الواحدة: الأب والأم الغيوران على بناتهما سيرفضان إرسال بناتهما إلى تلك المدارس الثانوية التي أقر فيها الاختلاط، لكنهما سيوافقان ـ في الأغلب ـ على إرسال أولادهما الذكور إلى تلك المدارس؛ لعدم توفر البديل!.

الأولاد الذكور سيتعرفون على بنات في تلك المدارس، سينشأ عنها ـ في الأغلب ـ علاقات قد تصل إلى حالة انهيار جدار العفة، مما يترتب عليه حالة من الانفصال الاجتماعي بين عائلتي الطرفين، لا يستبعد أن تتصاعد إلى مراحل التصفية الجسدية المؤطرة بالمحافظة على العرض.

النتيجة:

ـ تفتت العائلة اجتماعيًا.

ـ تفتت القبيلة اجتماعيًا.

ـ إيجاد حالة صراع اجتماعي ذي طبيعة مستغرقة في الزمن.

على نسق المثال المذكور يمكن أن تساق أمثلة أخرى تبين حالة الانفصام الاجتماعي للأعراق والأجناس التي قد تنشأ بسبب قرارات نيابية!!.

ـ التباين الثقافي:

إن التباين الثقافي بين الأفراد في إطار الدين الواحد أمر طبيعي، والخلل المؤثر اجتماعيًا الناشئ عنه يمكن احتواؤه، وليس عن هذا حديثنا.

بل حديثنا عن أثر التباين الثقافي بين المنتسبين للأديان والطوائف المختلفة على بلورة الواقع الاجتماعي في المجتمع المحكوم ديمقراطيًا.

ولا نشك أن الثقافة مهما لبست من أكسية علمانية فإن حامليها لا يستطيعون إخفاء ألوان أجسادهم ذات الألوان المصطبغة ثقافيًا بالدين أو الطائفة التي ينتسبون إليها.

إن الثقافة ليست مجرد مجموع المعارف المكتنزة ذهنيًا، بل هي أيضًا: إبراز الصياغة المعرفية العملية المجسدة والموضحة لتلك المكتنزات، ولا يختلف اثنان على أن العلاقات الاجتماعية وما يتجلى عنها من آثار نتيجة تداخلاتها أو اندماجاتها هي واحدة من تلك الصياغات المعرفية.

فالثقافة الإسلامية لها أثر معرفي في صياغة العلاقات الاجتماعية بين المسلمين، وكذلك: فإن الثقافة اليهودية، والثقافة النصرانية.. لهما أثران معرفيان في صياغة العلاقات الاجتماعية بين اليهود وبين النصارى، كلٌ على حدة.

إن هذه الصياغات المعرفية المعبِّرة عن اللون الثقافي لكلٍ من منتسبي الأديان المذكورة ليست وليدة العقود المتأخرة[1] التي سادت فيها الديمقراطية، بل هي محصلة المجموع التراكمي لحصيلة خمسة عشر قرنًا بالنسبة للمسلمين، وأكثر من ذلك بالنسبة لليهود والنصارى، وبالتالي: فإن العلاقات الاجتماعية المتأثرة بتلك الثقافات تخضع للمعادلة نفسها لذلك المجموع التراكمي.

وإننا على يقين تام بأن الديمقراطية لن تتمكن خلال عقود قليلة من الإطاحة بذلك المجموع التراكمي الممتد عبر القرون.

إن النتاج الثقافي للديمقراطية هو من لون خاص، ليس إسلاميًا ولا يهوديًا ولا نصرانيًا، بل هو مزيج من ذلك كله، إضافة لغيره من الثقافات العلمانية ذات المضامين الإلحادية والقومية والوطنية.

إن هذا النتاج الثقافي سيفرز

---

١) هذا بالنسبة للعالم الإسلامي، وأما في الدول الغربية: فالديمقراطية قديمة كما هو معلوم، لكنها تخلفت عن الحكم لقرون طويلة.

هموم ثقافية

علاقات اجتماعية جديدة، ليست مألوفة لدى أتباع الأديان الثلاثة، مما يترتب عليه اصطدام هذه العلاقات الاجتماعية الوليدة بالعلاقات الاجتماعية السائدة، وبما أن الانضباط الترابطي في العلاقات الاجتماعية لدى اليهود والنصارى مصاب بالترهل الشديد والتآكل البيِّن: فإن الثقافة الديمقراطية الناشئة ستكون أكثر قدرة على التغلغل لدى أولئك، في حين أنها ستصطدم بمعوقات كثيرة لدى محاولة التأثير على العلاقات الاجتماعية لدى المسلمين؛ بسبب ما لديهم من مضادات ثقافية ذاتية من الكتاب والسنة وتراث سلف الأمة تركت آثارها البارزة في أدق تفاصيل العلاقات الاجتماعية بين المسلمين.

إن النتيجة المتوقعة لتفاوت تأثير الثقافة الديمقراطية على منتسبي الأديان الثلاثة ستؤدي حتماً إلى تعميق العلاقات الاجتماعية بينهم.

وهذا يعني: أن البلورة الاجتماعية الناشئة عن التباين الثقافي المذكور ستكون ذات طابع تهديمي وتهشيمي في ظل الواقع الديمقراطي لنظام حاكم، وإن هذا التهديم والتهشيم سيكونان أعمق أثراً لدى المسلمين مقارنة مع غيرهم من أصحاب الأديان الأخرى.

- الاستقطاب الحزبي النوعي:

في ظل الديمقراطية: فإن حرية تشكيل الأحزاب مطلقة للجميع، وهذا يعني إنارة الضوء الأخضر لكل فئة سياسية أو طائفة دينية أو مجموعة عرقية أو فئة قبلية لأن تشكل حزباً خاصاً بها، ومن خلال هذا الحزب فإنها تدفع بأكبر عدد من مرشحيها ليكونوا نواباً في المجلس النيابي، إن النواب الفائزين بكراسي المجلس تمثل مجموعاتهم الأحزاب التي يمثلونها، وهذا يعني أنهم يعتبرون واجهة لنظرة أحزابهم لمجموع العلاقات الإنسانية، التي منها العلاقات الاجتماعية، فإذا كان نواب طائفة معينة يشكلون أغلبية المجلس النيابي - كطائفة الشيعة في إيران مثلاً - فإن الشق الاجتماعي من التشريعات والقوانين الصادرة عن المجلس ستعمم ألوان علاقاتها الاجتماعية على مجموع الشعب عن طريق القانون، وهذا ينطبق أيضاً على الفئات السياسية المعبِّرة عن نفسها

حزبيًّا، كحزب البعث مثلاً.

وهذا يعني أن تلك الطائفة أو الفئة ـ المهيمنة حزبيًّا على المجلس النيابي ـ ستسعى لبلورة الواقع الاجتماعي ليكون متماشيًا مع ما هي عليه، وهذا يدخلها في صراع اجتماعي، أحد طرفيه يملك قوة القانون وإمكانية الدولة، والآخر مجرد من هذين السلاحين معًا، وإن إيران تعتبر من أحسن الأمثلة لبيان كيفية حدوث هذا الصراع والنتائج المترتبة عليه، حيث إن الطائفة الشيعية تريد فرض علاقاتها الاجتماعية المنبثقة من العقيدة الشيعية على السّنة، وذلك عن طريق الدستور وباستعمال إمكانات الدولة الهائلة، مما ولّد صراعًا شاملاً، تضمّن فيما تضمّن صراع العلاقات الاجتماعية، وهذا لون من ألوان إشكالية البلورة الاجتماعية للديمقراطية.

إن قبول بعض الإسلاميين للديمقراطية وانخراطهم في تلافيفها يجعلهم وجهًا لوجه مع هذه الحقائق البيّنة، حيث إنهم لن يتمكنوا من بلورة اجتماعية إسلامية من خلال الديمقراطية إلا إذا كانوا أغلبية في المجالس النيابية التي لا يملكون مفاتيح التحكم في دروبها ومساراتها؛ مما يحول بينهم وبين حصولهم على الأغلبية المتمكّنة، وإن الجزائر لتعتبر خير مثال على قلب ظهر المجن على الإسلاميين؛ لأنهم شكلوا في الانتخابات النيابية أغلبية فائزة لكنها غير متمكنة، مع ملاحظة أن سبيل التمكن للإسلاميين عن طريق الديمقراطية هو طريق مسدود، إن لم يكن محليًّا فدوليًّا، لكن الواقع الحالي يبين اجتماع الاثنين معًا!!.

ولذلك: نقول للإسلاميين النيابيين: طالما أن طريق الديمقراطية الذي تسعون من خلاله ـ فيما تسعون إليه ـ إلى توطيد الاستقرار الاجتماعي هو طريق مسدود، فلماذا لا توظفون تلك الجهود المضنية ـ المبذولة في غير ما طائل ولا فائدة ـ في الإطار الصحيح الذي تبنى دعائمه على سلوك المنهج النبوي في الدعوة إلى الله (تعالى)، بما يتضمن ذلك من ملابسات منوعة لأشكال كثيرة من ألوان الصراع مع أعداء الإسلام، مهما تنوعت عقائدهم وتعددت راياتهم.

ـ نوعية الحكم السلطوي:

وأقصد بها المؤسسة الحاكمة صاحبة

السلطة، حيث إن لكل مؤسسة حاكمة نظرة معينة في صياغة البلورة الاجتماعية، وذلك بحسب الآلية الفكرية أو المنطلقات النظرية التي تشكل مرجعيتها لدى الممارسة العملية.

وفيما عدا المرجعية الإسلامية، فإن جميع المدارس السلطوية المستظلة بالديمقراطية تحاول التدرج في صياغة البلورة الاجتماعية، آخذة بيدها نحو العلمانية الإباحية.

وبما أن المجتمعات الإسلامية تملك رصيداً دينياً من التمنّع الذاتي، فإن وصول تلك المدارس عبر الديمقراطية إلى أهدافها سيستغرق زمناً طويلاً فيما يخص البلاد الإسلامية.

لقد بيّنت سابقاً أن مالكي الحكم السلطوي، سواء أكانوا حزباً، أوطائفة، أو قبيلة، أو فئة سياسية، أو طغمة عسكرية ديكتاتورية، أو أي لون آخر غير إسلامي، سيحاول كل منهم أن يصبغ العلاقات الاجتماعية بصبغته الخاصة، وأن ذلك سيقود نحو شكل أو أشكال من الصراع الاجتماعي، يحاول كل طرف من أطرافه أن يعزز فيه مواقعه من جهة، وأن يحرز إلى صفّه مواقع جديدة من جهة أخرى، مما سيؤدي بطبيعة الحال إلى الاحتكاكات الاجتماعية التي تأخذ أحياناً مسارات حادة.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن العلمانية الإباحية هي القاسم المشترك للبلورة الاجتماعية غير الإسلامية، فإن الصراع المتوقع في العالم الإسلامي على المستوى الاجتماعي سيكون بين هذه الصبغة العلمانية والصبغة الإسلامية.

إن هذا الصراع سيشمل كافة المرافق الرسمية، أي: مؤسسات الدولة، كمجلس الأمة، والوزارات، وسائر المنتميات الحكومية، ويشمل أيضاً: جميع الشرائح الشعبية على مختلف مواقعها الجغرافية والنوعية.

في المنظور الواقعي: فإن الإسلاميين النيابيين لن يشكلوا أغلبية في أي مجلس نيابي، وإذا حصل ذلك مرة في مجلس ما، فلن يكون له طابع الديمومة والاستمرار، وذلك بسبب وجهات نظر موضوعية تبرر هذه الوجهة.

وهذا يعني أن نتيجة الصراع في الساحة التشريعية على مستوى التقنين الاجتماعي محسومة سلفاً لصالح

الوجهة العلمانية، (ومثال ذلك في دولة الكويت مثلاً: فقد فشل الإسلاميون النيابيون في إقرار هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لها سلطة حكومية، تدعم عملها في إطار إرجاع مؤشر التوازن الاجتماعي إلى حالة الاستقرار وفق الشريعة الإسلامية).

وأما على الساحة الشعبية: فإن العلمانية الاجتماعية ستمارس جميع أنشطتها تحت مظلة قانونية صاغ بنودها الحكم السلطوي العلماني.

إن أبرز الانبثاقات الاجتماعية تحت تلك المظلة هي ما يلي:

١ ـ السفور ومحاربة الحجاب.

٢ ـ الاختلاط في جميع المرافق الرسمية والشعبية، في إطار غير منضبط، وجو ينعدم فيه الاحتشام.

٣ ـ التفكك الأسري بسبب الطلاق، الناشئ عن استحداث علاقات محرمة من جهة الرجال أو النساء على السواء، أو بسبب انعتاق الأبناء من ضوابط المراقبة الأسرية، مما يؤدي إلى إقامة اتصالات غير شرعية قد تصل إلى مرحلة الزنا، ينشأ عنها جيل من الأولاد غير الشرعيين، مما يجعل للإجهاض وجهاً ضاغطاً ذا تيار شعبي، يبرر إيجاد غطاء قانوني له.

وهناك أسباب أخرى كثيرة.

٤ ـ فشو الجريمة، التي يزداد أوار اضطرامها بسبب عدم الاحتكام لأحكام الحدود الشرعية.

٥ ـ استفحال ظاهرة الانتحار بسبب حالة اليأس النفسي، أو الاضطراب العاطفي.. أو غير ذلك.

٦ ـ إباحة الخمور، مع ما يتبع ذلك من سلبيات خطيرة على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع.

٧ ـ انتشار المرافق السياحية والترفيهية ذات الطابع الانفتاحي، ويدخل في ذلك: النوادي السياحية، والسواحل البحرية، والسينمات، والملاهي الليلية، وقاعات عروض الأزياء أو ملكات الجمال، وسوى ذلك.

٨ ـ المؤسسات الإعلامية، من إذاعة وتلفزيون وصحافة ونشر، وما يتخلل برامجها وصفحاتها من دعوات سافرة للتحلل الاجتماعي والفساد الاخلاقي.

٩ ـ سوء استخدام وسائل الاتصالات الحديثة، حيث أصبحت



معبراً سريعاً مُختصراً للزمن والجهد، يتم من خلالها ترتيب المواعيد المحرمة، واستشعار الحالات الجنسية المتخيلة، بما اصطلح على تسميته الزنا عبر الهاتف!!.

١٠ ـ ازدياد الفقير فقراً والغني غنًى؛ بسبب جشع الأغنياء المسيطرين على المجالس النيابية، حيث يستغلونها لصالح تشريع قوانين تدعم مصالحهم، يرتكز أكثرها على استمرار ازدياد النزف المادي من جيوب أفراد الشعب على شكل ضرائب، أو رسوم، أو مجهود حربي.. أو ما شابه ذلك، مما يعزز فشو الرشوة والمحسوبية وأمراض الجشع المالي.

وهناك انبثاقات اجتماعية أخرى سوى التي ذكرتها.

إن نوعية الحكم السلطوي لها أثر بالغ في تكريس كل ذلك، أو الحد منه، أو إلغائه، وإنني أقول باطمئنان: إن الحد من ذلك أو إلغاءه لن يتم إلا عن طريق الحكم بالإسلام.

وبما أن الإسلام لن يتم الحكم به من خلال الديمقراطية، وبما أن الإسلاميين النيابيين لا يزالون يشاركون في (اللعبة) الديمقراطية دون أي تاثير لهم يذكر في تصحيح المسار الاجتماعي: فإن جميع تلك الانبثاقات ستتوطد دعائمها وتستشري آثارها، مما يعني أن البلورة الاجتماعية الناشئة من الحكم السلطوي القائم الآن في البلاد الإسلامية على أسس ديمقراطية هي بلورة علمانية، سماتها الغالبة هي الفساد والخلاعة والبذاءة (أجَلَّكم الله).

وهكذا: يتبين لنا أن إشكالية البلورة الاجتماعية للديمقراطية من الزاوية العملية تمثلت فيما يلي:

ـ التفاوت الطبقي.

ـ التنوع الديني.

ـ التعدد التكويني.

ـ التباين الثقافي.

ـ الاستقطاب الحزبي النوعي.

ـ نوعية الحكم السلطوي.

وسنتكلم في الحلقات المقبلة ـ إن شاء الله ـ عن إشكالية البلورة الثقافية للديمقراطية، ثم البلورة الاقتصادية للديمقراطية، معقبين ذلك بالحديث عن إشكالية النتائج.

هل الإسلام دين علماني؟!!

العلمانيون .. وعلمنة الإسلام



د. محمد يحيى



أثارت الفكرَ في نفسي عبارةٌ وردت عرضاً ـ ولعلها بحسن نية ـ في مقال لكاتب يتحدث عن تشكيل الحكومة التركية برئاسة « نجم الدين أربكان » زعيم حزب الرفاه.

قال الكاتب: إن هناك حقيقة غائبة في الإعلام الإسلامي، ألا وهي: وجود تقارب بين العلمانية في رفضها للكهنوت والإسلام في رفضه المماثل لادعاء الحق الإلهي ـ كما جاء في المقال ـ.

والحق: إن القول ـ أو الزعم ـ بوجود تقارب أو تشابه بين العلمانية والإسلام ليس بجديد، لقد ذهب كثيرون غير الكاتب ـ مثلاً ـ منذ فترة إلى القول نفسه، حيث قالوا: إن الإسلام بطبعه دين علماني؛ لأنه يهتم بأمور الدنيا والحياة الحاضرة بدلاً من أمور الآخرة، وقالوا: إن الإسلام والعلمانية يلتقيان في الإيمان بالعقل وتحبيذه، وفي اعتناق الديمقراطية والليبرالية، وفي الاهتمام بالنزعات المادية، وقبل كل شيء: في الإيمان بالتوجه الإنساني (هيومانزم) وقبول مبادئ النسبية والتاريخية وما أشبهها.

وقبل الخوض في هذه الدعوى العريضة ينبغي أن نوضح سياقها: فهي تجيء في معرض محاولة اكتساب القبول للعلمانية بين الجماهير المسلمة، بتصويرها وكأنها تكاد تتفق ـ بل تتطابق ـ مع الإسلام، وهي محاولة تعمل كذلك ـ وفي الاتجاه المقابل ـ إلى تطويع الإسلام للعلمانية، بإلغاء تميزه وتفرده وهويته التشريعية والعقائدية، ولكن في كلتا الحالتين فإن الهدف واحد، سواء في أسلمة العلمانية أو علمنة الإسلام، وهو: نزع الخشية الجماهيرية من العلمانية

باعتبارها نبتًا غريبًا غريبًا، يراد فرضه على الواقع الإسلامي.

ونلاحظ في هذا الصدد أن تلك العملية مرحلية فقط، وأنها تتم في سياق تكون فيه العلمانية جديدة أو غير متمكنة إلى الحد الكامل؛ مما يستدعي القيام بالتمويه والخداع وتصوير الإسلام بأنه علمانية أو العلمانية على أنها الإسلام، ولكن ما أن تتمكن العلمانية فإن الخطاب يتغير إلى لغة الإقصاء والإبعاد والرفض، وهذا هو ما تشير إليه، ليس فقط التجارب التاريخية القديمة في تركيا أو إيران أو أفغانستان، بل التجارب الراهنة، وبالذات في الوسط الثقافي والفكري في بلدان كمصر والجزائر مثلاً.

والسؤال الذي ينبغي مواجهته رأسًا هو: هل يوجد تقارب بأي درجة بين الإسلام والعلمانية؟، وهل يكفي مجرد ذكر رؤوس مواضيع، يوحى بأن فيها تشابهًا في المواقف للقول بوجود مثل هذا التقارب؟، والأهم من هذا كله: هل يوجد تشابه أو تقارب حقيقي في المواقف، أم إن المسألة لا تعدو عملية تفسير وتأويل وتأول بارعة ماكرة توحي بوجود مثل هذا التقارب؟، ولنأخذ هذا التساؤل الأخير مدخلاً لنا، ونسأل: هل فعلاً يوجد تقارب بين العلمانية والإسلام لمجرد - مثلاً - أن هذه ترفض الكهنوت وهذا يرفضه؟، لقد ساق الكاتب المشار إليه هذا المثال باعتباره حقيقة لا يتطرق إليها الشك، وقد تكون كذلك، لكن ذكر الأمور على هذا المستوى من العمومية والتجريد يدخلنا إلى حد الإبهام والغموض، فهل حقًا ترفض العلمانية الكهنوت؟!، إننا نجد تكريسًا له في مفهوم «أوجست كومت» أحد أبرز دعاة الوضعية إلى دين صناعي فلسفي تكون له كنيسة وكهنوت خاص به؟، وهل ترفض العلمانية الكهنوت أم إنها ترفض الكنيسة كلها والدين (المسيحي والإسلامي) والعقائد والأفكار الدينية، حتى ولو كانت بدون كهنوت؟.

إن القول برفض العلمانية للكهنوت يخفي حقيقة أن العلمانية ترفض الدين نفسه وإلا فإن البروتستانتينية - وهي مذهب مسيحي كبير - ترفض الكهنوت الكنسي، حتى وهي تدعو في تجلياتها الحديثة إلى

في دائرة الضوء

أصولية مسيحية طاغية ومتطرفة.

وبالمثل: فهل عندما يرفض الإسلام الكهنوت يرفض معه الدين والعقيدة؟، لا أحد يستطيع القول بذلك؛ لأن الإسلام نفسه دين.

وإذا قلنا: إن الإسلام يرفض الكهنوت، فإن هذا يعني أنه يرفض الأسلوب الكنسي المعروف، في ضرورة وجود عناصر خاصة لا تكتمل العبادة ولا ترفع إلا بها، بل لا يكتمل الدين والإيمان نفسه إلا بمباركتها وتطويبها، لكن هذا لا يستتبع أبداً رفض وجود فئة من الفقهاء والعلماء تدرس الدين، عقيدته وشريعته، وتتخصص فيهما، وتنصح وتوجه غيرها من فئات الأمة التي لا تسمح لها ظروف الحياة وكفاحها بمثل هذا التخصص، لكن هذا لا يمنع أي فرد أو أي جماعة من الدراسة والتخصص والاطلاع على هذا النحو، فالدين مفتوح، وهذا هو معنى رفض الإسلام للكهنوت.

ونلاحظ أن العلمانيين عندما يرفعون الصوت عالياً بأن الإسلام يرفض الكهنوت، فإنهم يقصدون ـ كما تدل الأحداث ـ رفض آراء وفتاوى وشروحات الفقهاء والعلماء المسلمين التي تزعجهم؛ لقيامها على العلم الصحيح بالإسلام.

وينطبق التحليل نفسه على سائر النقاط التي يقال عادة: إن هناك تقارباً بين الإسلام والعلمانية فيها، والتي كان حظ بعضها في المعالجة وفيراً، كمفهوم الديمقراطية والليبرالية بين الإسلام والعلمانية مثلاً، أو مفهوم العقل فيهما، ولكننا هنا نضرب مثلاً لرأس موضوع آخر يقال إن فيه مثلَ هذا التقارب، ألا وهو: التركيز على النزعة الإنسانية، أو ما يعرف بـ(الهيومانزم)، لقد قيل كلام كثير عن التقاء الإسلام بالعلمانية في هذه النقطة؛ لأن الإسلام قد كرم الإنسان وأعلى من شأنه؛ بينما تدعي العلمانية في جوهرها أنها هي الفكر الذي جعل من الإنسان «معيار كل شيء»، كما يقول المثل العلماني الأشهر، ولكن: هل إعلاء الإسلام لشأن الإنسان مثل إعلاء العلمانية لشأنه؟، من الواضح أن الاتجاهين على طرفي نقيض في هذه الناحية؛ فالعلمانية تجعل الإنسان (ككائن مجرد مطلق) بديلاً عن الإله الذي رفضته أو أبعدته عن العالم، وتجعله الواضع لكل القيم والمعايير، كما تجعله

الهدف الأسمى الذي يصب كل شيء في خدمته مهما كان، أما الإسلام: فلا يجعل الإنسان على هذه الدرجة أو الكيفية من التأله والإطلاق والغائية، كما أنه ليس هو واضع القيم العليا والمبادئ الكلية، وهو يستمد تكريمه من خالقه، وليس من مجرد كينونته هو، كما أن هذا التكريم مقصور على النواحي المادية الدنيوية بالنسبة للجميع، لكنه في الآخرة يقتصر على المؤمنين المقبولين وحدهم.

إذن: نلاحظ مرة أخرى أن هناك خلطًا متعمدًا، فيكفي عند هؤلاء أن يجيء في القرآن أن الله كرم بني آدم حتى تعقد المقارنات مع العلمانية التي كرمت الإنسان كما زعمت حتى وإن كان العالم قد عرف في عهود العلمانية من الجرائم في حق الإنسانية والإنسان ما لم يعرفه في عهود الوثنية والأديان السالفة.

إن الطرح القائل بوجود تقارب بين مواقف الإسلام والعلمانية حول عدد معين من القضايا الفكرية والاجتماعية يعبر في ضحالته عن اتجاه في المحاججة، نلمسه عند بعضهم في تناولهم لشتى المسائل والأفكار، ونعني بهذا الاتجاه المعيب: الوقوف عند ظواهر المصطلحات أو على معانيها الأولية المبهمة غير الدقيقة؛ مما يسهل تمرير أي موقف، ويسهل كذلك من القول بالتقارب أو حتى التماثل بين ذلك المذهب وتلك الفلسفة، ولكن ما إن نبدأ في بحث دقيق حول نطاق المعاني والمضامين المبثوثة في مصطلحات أو مقولات معينة.. إلا ونلاحظ الفروق الجلية بين المذاهب، ومن الأمثلة على ذلك: مفهوم «الإله» في الإسلام والمسيحية، فقد درج بعض الناس على القول بتوحد الأديان السماوية ـ كما يطلق عليها ـ؛ لأنها كلها تعبد الإله نفسه!، ولكن مفهوم «الألوهية» في الإسلام يختلف اختلافًا نوعيًا وجذريًا عن مفهوم «الرب» في النصرانية المتداولة، أو في اليهودية.

وقد يكون لدعوى التقارب بين الإسلام والعلمانية مبرراتها السياسية الآنية عند بعض أولئك ممن ينشغلون بالمناورات والتحركات السياسية، لكنها غير مبررة ولا منطقية في عرف الفكر الصحيح.

الندم الفاعل

إنَّ المتأمل في أحوال معيشة النَّاس: يجدها تجيش بمعانٍ شتى ، وتفور بانفعالات متنوعة، يستطيع العاقل أن يقبس منها قبسات تعضده في سيره إلى الله (تعالى).

فثمة صور من النَّدم والتَّحسُّر تتردَّد أصداؤها في حياتنا، فنجد التاجر يعتصره الندم على فوات صفقة تجارية كانت سترفع أرصدته عاليًا، ونجد الطالب يعض أصبع الندم على ضياع درجات قليلة كانت سترفع معدله الدراسي شيئًا ما، ونجد الموظف يأكله التحسر أكلاً على فوات فرصة وظيفية كان معلقًا عليها آمالاً في تحسين حالته المادية!.. وصور وصور أخرى تضج بها حياتنا.. والصبغة العامة لها: أنها دنيوية بحتة!.

بيد أن هناك صورة مضيئة لامعة لندم مطلوب وتحسر مرغوب، ولا نعجب لذاك؛ فالأسلاف قد برعوا وبرزوا في كل أمر!.: ندم رائع!.. رائع في هدفه، رائع في مقصده، رائع في منبعه، رائع في سببه، رائع في كل شيء، وكم هو رائع أن يحدث ذلك!، ولعلنا نستمطر ذاكرة صحيح البخاري ليجود علينا بهذه اللوحة الندمية الرائعة: «قال أنس: يا رسول الله ، غبت عن أول قتال قاتلتَ فيه المشركين، والله لئن أشهدني الله قتالهم ليرين ما أفعل».. فقط هكذا!، والنتيجة: «فلم تعرفه إلا أخته ببنانه»!.. أرأيتم الروعة والجمال!.

كم هو رائع هذا الندم الفاعل الدافع للعمل، لا ذاك الندم المؤدي إلى ضرب أخماس في أسداس!، ندم دافع للمضي قدمًا في دروب الخير المعشوشبة بالأجر، لا المؤدي إلى اجترار «اللَّوَّات» (١).

ندم مبيد للتحسر والقنوط، ندم محفز للعمل، وتحسر مرغوب في عمل أعظم من العمل الفائت!، انظروا لأنس (رضي الله عنه) يمضي سراعًا للعمل المنتج المثمر لنصرة دين الله بدافع الندم على ما مضى من فوات قربة يتقرب بها للمولى، وإن كانت تلك القربى روحه التي بين جنبيه!.

فتحول عنده الندم من مجهض للإمكانات والقدرات إلى ندم حافز أو ملهم لتكرير واستغلال المهام القادمة ، وغدا ندمه مُلهبًا للحماس المطارد لكل جزئيات الدعة والسكون في نفسه.

فيا من ألِفَ العيش في فضاءات السكون والجمود، ويا مَن مضت عليه سنة الفتور والركود... قم وانفض أردية الخمول وانهض من حضيض الفتور إلى قُنَّة الفاعلية، ومن مهامة الكسل إلى صدر الإيجابية، وليكن لك من هذا الندم نصيب!.

فمتى نهب جميعًا لخدمة أمتنا على كافة الصعد ، قائلين: «ليرين الله ما أفعل».

١) قول: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا.

بقلم: عبد الهادي الحسيني

حول الوحدة الإسلامية

بقلم: علي إبراهيم محمد

يظل البحث عن الوحدة الإسلامية همًّا يؤرق الكثير من ابناء هذه الامة الغيورين على لمّ شتاتها وتوحيد صفها، فالخلافات قد شلت أياديها وأصبحت تهدد مستقبل الدعوة الإسلامية، وتشيع الكراهية والبغضاء بين المسلمين، بل قد يمتد الامر إلى ان يحمل المسلم السلاح ضد اخيه المسلم.

وإذن: فالبحث عن وحدة الصف الإسلامي لا يقل أهمية عن البحث عن مَصْل يقضي على فيروس الإيدز!، فكم من مقالات كتبت وخطب القيت تحض المسلمين على الاجتماع وعدم إتاحة الفرصة للخلافات الهامشية ان تصنع فجوات بينهم وتحيلهم إلى أشتات وشراذم، ولكنها ذهبت أدراج الرياح، فها نحن نواجه التفرق والتنازع الفكري المتواصل الذي اخذ يباعد بين أفراد المجتمع المسلم، فاصبح المسلمون عازفين عن مواجهة المحن صفًا واحدًا في أمور تتطلب التماسك وتناسي الخلافات، وقد تجلى ذلك في كثير من التجارب الجهادية، ولم ينتبه المسلمون إلى هذه القضية الخطيرة، حتى اصبحت نكسة مؤلمة افضت إلى تناحر وقتال داخلي، وأخذ بعضهم يبيح دماء بعض!!.

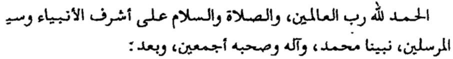
إن الاختلاف في الفقه والفهم للآيات والاحاديث امر لا مفر منه، وقد حدث ذلك في عهد الصحابة، ولكن لم يكن ذلك الاختلاف يدعوهم إلى التباغض، ولم يحاول أحدهم أن يقصر المسلمين على فهمه.

ومن حِكَم الله البالغة: الا يكون الناس أمة واحدة، ومَن رحمهم الله يجتمعون على الحق، كما ورد في قوله (تعالى): ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

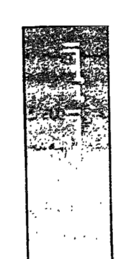
وقد قال ابن عباس في هذه الآية: إن الله خلقهم للرحمة، أي: لم يخلقهم للاختلاف، فالمسلم ملزم باتباع النبي ﷺ، ولا يجوز التعصب للعلماء والمذاهب، فمن صح دليله فهو المتبع، فهذا الإمام مالك يقول: «كل بني آدم يؤخذ من قوله ويرد، إلا صاحب هذا القبر»، واشار بيده إلى قبر النبي ﷺ.

أما في مسالة العقيدة: فقد كان الصحابة (رضوان الله عليهم) مجتمعين على عقيدة التوحيد اجتماع البنيان المرصوص.

التقرير السنوي لأنشطة







المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فيسرنا في هذا التقرير أن نقدم وصفًا شاملاً ومختصراً لأنشطة المنتدى الإسلامي في مختلف مواقع العمل، سائلين الله (تعالى) أن يبارك في جهودنا، ويسدد خطانا، ويجعلنا من المتعاونين على البر والتقوى.

ويتضح ابتداءً من خلال هذا التقرير حرص المنتدى الإسلامي على الجانب الدعوي، فهو أحد الأهداف الرئيسة التي يسعى لتحقيقها، رغبةً في نشر رسالة التوحيد، وأداءً لأمانة البلاغ، التي كلفنا الله (تعالى) بحملها إلى جميع الأمم، وجميع الأنشطة الأخرى (التعليمية، والإغاثية، والاجتماعية.. ونحوها) إنما تُسخَّر التسخير الأمثل لخدمة الهدف الدعوي الأساس.

ونتيجة لتوسع العمل وتعدد مجالاته، اتخذت إدارة المنتدى الإسلامي عدداً من الإجراءات التنظيمية التي تكفل المتابعة الدقيقة لسير البرامج وفق الأسس العلمية المتقنة، بعيداً عن الارتجال والعفوية، ومن هذه الإجراءات:

١ـ رسم خطط واضحة للعمل، حددت فيها الأهداف والوسائل، بحيث ينمو العمل نمواً صحيحاً.

٢ ـ افتتاح مكاتب فرعية للإشراف على الأنشطة ميدانيًّا، حيث بلغ

عدد مكاتب المنتدى الإسلامي ومجلة البيان (١٤) مكتباً.

٣ ـ تكوين لجنة للتقويم والتخطيط، تهدف إلى دراسة الإنجازات الماضية وتقويمها تقويمًا ميدانيًا، وتتلمس جوانب القوة لاستثمارها وتنميتها، وجوانب النقص لمعالجتها وتصحيحها بشكل مستمر.

٤ ـ تكوين لجنة علمية، تهدف إلى إعداد الدراسات الشرعية والتربوية التي تحتاجها المكاتب الميدانية واللجان الدعوية.

وفيما يلي عرض مختصر لبعض أنشطة المنتدى الإسلامي:

أولاً: برامج تعيين الدعاة والأئمة والمدرسين:

يعد برنامج تعيين الدعاة والأئمة والمدرسين من أبرز البرامج التعليمية التي يقوم بها المنتدى الإسلامي، حيث تم تعيين (٥٠٠) داعية ومدرساً، يقومون بالتعليم والدعوة والإمامة، في عدد غير قليل من الدول، مثل: كينيا، وأوغندا، والصومال، وجيبوتي، ومالي، ونيجيريا، وغانا، وبنين، وتوجو، وبنجلاديش، والحبشة... وغيرها.

وقد وضع المنتدى الإسلامي برامج دعوية وتعليمية لكل داعية ومدرس، تختلف باختلاف المناطق والقدرات.

وللرفع من كفاءة الدعاة العلمية والعملية، فقد أعد المنتدى سلسلة من الدراسات التي تعين الدعاة في تنفيذ برامجهم على الوجه الصحيح، ومنها:

١ ـ سلسلة الدراسات الشرعية المتخصصة التي تعالج بعض الانحرافات المنهجية والعقدية في مواقع العمل، مثل: (الاتباع في ضوء الوحيين ـ التوسل: المشروع والممنوع ـ آل البيت: منزلتهم، وخصائصهم، والغلو فيهم ـ محبة النبي ﷺ بين السنة والبدعة.. ونحوها).

٢ ـ سلسلة الدروس الرمضانية، وتنقسم إلى قسمين:

أ ـ الدروس الفقهية. ب ـ الدروس العقدية التربوية.

٣ ـ الرسائل الدعوية: وهي رسائل دعوية شهرية يزود بها الدعاة في الموقع، وتهدف إلى تذكيرهم بعظيم مسؤوليتهم، وتعالج المشكلات

التي تواجههم في واقعهم العملي، وتكون هذه الرسائل أوراق عمل يتذاكر فيها الدعاة وينصح بعضهم بعضاً.

ويحرص المنتدى على تزويد الدعاة بالكتب والمراجع العلمية والدعوية التي تسهل لهم العملية التعليمية والدعوية.

من ثمرات المنتدى

دورات شرعية
مدارس تحفيظ القرآن
مكتبات - ملتقيات

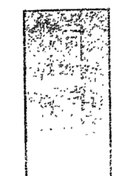
ثانياً: الأنشطة الدعوية والتربوية:

يقوم المنتدى بأنشطة دعوية وتربوية متعددة منها :

١ـ الدورات الشرعية :

تهدف هذه الدورات إلى تصحيح وترشيد العمل الإسلامي ، ورفع المستوى العلمي ، والوعي الدعوي ، لدى الدعاة ، وتأصيل ذلك تأصيلاً شرعيًا مبنيًا على الكتاب والسنة الصحيحة ومنهج السلف الصالح .

وقد بلغ عدد الدورات الشرعية (٩٢) دورة ، شارك فيها نخبة من المتخصصين والأساتذة وطلبة العلم ،وقدمت فيها دروس متخصصة في: العقيدة، والتفسير، والفقه وأصوله، والحديث وعلومه، وفقه الدعوة، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي ... وكانت الدورات موزعة كالتالي :



الدولة	عدد الدورات	الدولة	عدد الدورات
لندن	١٤	نيجيريا	١٦
السودان	٢	بنجلاديش	٨
كينيا	١٨	الحبشة	٣
تشاد	٤	مالي	٩
غانا	٧	أوغندا	٥
		الصومال	٦

وقد كان لهذه الدورات آثار علمية ودعوية كبيرة ولله الحمد والمنة.

٢ـ الملتقيات الدعوية :

تهدف هذه الملتقيات إلى معالجة مشكلات الدعوة والدعاة ، وتنمية

القدرات العلمية والدعوية لدى المشاركين .

وقد تم بحمد الله (تعالى) عقد (٣٥) ملتقى دعويًا ، في عدد من الدول ، موزعة كالتالي :

بريطانيا : (٢٢) ملتقى دَعَويًّا .

غانا : ملتقيان دعويان . كينيا : ثلاثة ملتقيات دعوية .

السنغال : ملتقى دعوي . توجو : ملتقى دعوي .

مالي : ملتقيان دعويان. الصومال : ملتقى دعوي.

أوغندا : ملتقى دعوي. نيجيريا : ملتقيان دعويان.

٣ـ المخيمات الشبابية التربوية :

يحرص المنتدى الإسلامي على إقامة المخيمات الشبابية والطلابية؛ لدورها الكبير في إيجاد المحاضن التربوية التي تربي الشباب، وتنشر الوعي الإسلامي في صفوفهم، وقد بلغ عدد المخيمات التربوية التي أقيمت (٣٥) مخيماً، وهي موزعة كالتالي :

الدولـة	عدد المخيمات
كينيا	٩
مالي	٥
الحبشة	١
السودان	٢
جامبيا	١
غانا	٢
السنغال	١
بريطانيا	٨
نيجيريا	٢
تشاد	٣
توجو	١

٤ـ الدورات الإدارية:

تهدف هذه الدورات إلى تنظيم العمل وضبطه، والارتقاء به نحو الأفضل، درءاً للفوضوية والارتجال، وقد أقيمت ست دورات متخصصة في هذا المجال، بالإضافة إلى عدد من الدروس والمحاضرات في أكثر مكاتب المنتدى، وهذه الدورات هي:

١ـ دورة في الإدارة المدرسية وطرق التدريس، أقيمت في غانا.

٢ـ دورة في الإدارة وأساليب التخطيط والتنظيم، أقيمت على هامش الملتقى الثالث في توجو.

٣ـ دورة في طرق تنظيم الدورات والأنشطة العلمية والتربوية في توجو.

٤ ـ دورة تدريبية في الإدارة العامة وشؤون المشاريع في نيروبي.

٥ ـ ورشة العمل الأولى لرؤساء الأقسام والأفرع بمكتب نيروبي.

٦ ـ دورة تدريبية لأقسام السكرتارية في كينيا.

٥ ـ المحاضرات والدروس العلمية:

يواصل المنتدى الإسلامي منذ إنشائه عقد الدروس الشرعية والمحاضرات العلمية في مركزه الرئيس في لندن، ومن هذه الدروس الأسبوعية المنتظمة:

أـ دروس في العقيدة، من كتاب: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد.

ب ـ دروس في علم الحديث، من كتاب: فتح الباري شرح صحيح البخاري.

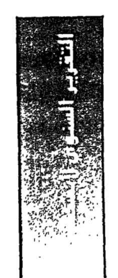
جـ ـ دروس في الفقه، من كتاب: سبل السلام (خاصة بالنساء).

د ـ دروس في التفسير، يعقبها محاضرة أسبوعية.

هـ ـ دروس مختارة للناطقين بالإنجليزية.

ـ هذا بالإضافة إلى أن كل داعية تابع للمنتدى في جميع المكاتب يكلف بالتعليم وعقد الدروس العلمية في المساجد، كما يقوم الدعاة بإلقاء الخطب والمحاضرات في شتى المعارف الإسلامية في المدارس والمعاهد والمساجد والتجمعات العامة، فدعاة مكتب مالي على سبيل المثال يلقون (٨١٦) درساً علمياً في المساجد شهرياً، و(١١٦) محاضرة عامة شهرياً،





ودعاة مكتب كينيا يلقون (٢٣٤٠) درسًا علميًا و(٤٦٨) محاضرة في مختلف العلوم الشرعية.

ثالثًا: الأنشطة التعليمية:

١ـ المدارس النظامية: ويقصد بها المدارس التي تلتزم بتدريس العلوم العصرية المقررة في البلد الذي تقام فيها ، بالإضافة إلى تدريس العلوم الشرعية المعدة من قبل المنتدى، وبهذا يجمع الطالب بين الثقافتين، ويستطيع المواصلة في الجامعات الحكومية في أي تخصص يريد، وبذلك نضمن ـ إن شاء الله ـ وجود مسلمين أكفاء في مختلف القطاعات الحكومية.

وقد بلغ إجمالي عدد المدارس (٢٠) مدرسة ، وهي موزعة كالتالي:

الدولة	عدد المدارس	ملاحظات
بريطانيا	١	
كينيا	٨	منها: (٤) روضة، و(٣) ابتدائية، و(١) ثانوية
غانا	٩	منها: (٢) روضة، و(٣) ابتدائية، و(٣) إعدادية، و(١) ثانوية
تشاد	١	
بنجلاديش	١	ابتدائية

٢ـ المدارس الشرعية: يهتم المنتدى اهتمامًا بالغًا بإنشاء وتشغيل المدارس الشرعية ؛ لنشر العلم الصحيح، ورفع الجهل عن أبناء المسلمين، وقد بلغ عدد هذه المدارس (٣٣) مدرسة ، موزعة كالتالي :

الدولة	عدد المدارس	ملاحظات
كينيا	٣١	
تشاد	١	
نيجيريا	١	للمرحلة الثانوية.

٣ـ معاهد إعداد الدعاة: الاهتمام بتنمية الطاقات وإعداد الدعاة له أهمية كبيرة جداً في إنجاح العمل الدعوي، ولهذا: سعى المنتدى الإسلامي لافتتاح عدد من المعاهد العليا لإعداد الدعاة ، واكتمل إعداد المناهج العلمية ، والخطط الدراسية ، ولكن تأخر افتتاحها بسبب بعض الإشكالات النظامية في الدول المعنية، ومن أهم هذه المعاهد:

معهدا إعداد الدعاة في مالي ونيجيريا: حيث جهزت المباني، وذللت العقبات النظامية ، وسوف يبدأ العمل في معهد مالي بداية العام القادم ـ إن شاء الله ـ.

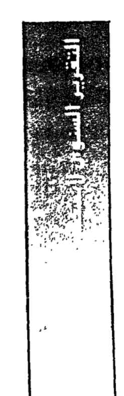
٤ـ توزيع المناهج الدراسية: تفتقر كثير من المدارس الإسلامية في إفريقيا إلى المناهج الدراسية، بسبب ضعف إمكاناتها المادية، فهذا يؤدي ـ في الغالب ـ إلى ضعف المستوى العلمي للطلاب؛ ولهذا: سعى المنتدى الإسلامي إلى توزيع المناهج الدراسية على بعض هذه المدارس ، حيث بلغ عدد الكتب الموزعة تقريبا: (٢٥٢٨٠٠) كتاب ، موزعة كالتالي:

الدولة	عدد الكتب
غانا	١١٠٨٤٤
كينيا	٥٢٢٥٠
مالي	١٧٠٠٠
السنغال	٢٥٠٠
الصومال	٣٠٠٠
أوغندا	١٠٠٠
بنين	١٨٠٠٠
توجو	٤٨٢٠٦

رابعاً: تحفيظ القرآن الكريم:

يهتم المنتدى الإسلامي اهتمامًا خاصًا بكتاب الله (عز وجل)، حفظا، وتلاوة، ودراسة، ويسعى لتربية النشء المسلم على آدابه وتوجيهاته، وذلك من خلال إقامة خلوات وحلقات لتحفيظ القرآن الكريم، ويبلغ عدد





الحلقات التي يشرف عليها المنتدى (٣٣٠) حلقة تتوزع في عدد كبير من الدول بالإضافة إلى أربعة مراكز لتحفيظ القرآن في مخيمات اللاجئين الإرتيريين في شرق السودان .

وقد أعد المنتدى الإسلامي خطه متكاملة للارتقاء بمستوى الحلقات إداريًا وتربويًا وفنيًا ، وقد دونت هذه الخطة في كتاب تحت الطبع، سوف يوزع لعموم القراء ـ إن شاء الله ـ ،.ووضع المنتدى أيضًا منهجًا علميًا رديفًا في العلوم الشرعية : التوحيد، والفقه، والتفسير، والسيرة، والآداب الإسلامية، كما يحرص المنتدى الإسلامي على الرفع من قدرات المشرفين على الحلقات والمدرسين فيها، وذلك بعقد الدورات العلمية لهم، ومنها:

١ـ دورة شرعية لمدرسي حلقات تحفيظ القرآن الكريم في توجو.

٢ـ دورة شرعية لمدرسي حلقات تحفيظ القرآن الكريم في غانا .

٣ـ دورتان تدريبيتان لمدرسي حلقات تحفيظ القرآن الكريم في مالي .

٤ ـ دورة تدريبية لمعلمي الحلقات في أوغندا.

هذا بالإضافة إلى الدورات المحلية التي يعقدها المشرفون الميدانيون مع مدرسيهم بين فترة وأخرى.

وقد وزعت مكاتب المنتدى أعدادًا كبيرة جدًا من المصاحف، بالإضافة إلى توزيع ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية والفرنسية والصومالية.

خامسا: القوافل الدعوية:

المناطق الإسلامية مناطق واسعة مترامية الأطراف ، وقد انتشر الإسلام ـ بحمد الله ـ في مختلف الأدغال والقرى النائية ، ولكن غلب الجهل في عامة المسلمين في المدن الرئيسة فضلا عن القرى والهجر النائية ، مما جعل البدع والشركيات والسحر ينتشر في أوساط الجهلة من المسلمين .

ولتعسر تعيين الدعاة في كل المناطق المحتاجة، ولصعوبة الانتقال من منطقة إلى أخرى، كلف المنتدى الإسلامي دعاته بإعداد القوافل الدعوية للوصول إلى المسلمين وغيرهم، ونشر العقيدة الصحيحة بينهم، ومحاربة البدع والخرافات.

ومن أجل أن يكون تأثير القافلة على المستوى الأمثل ، رأى المنتدى

الإسلامي أن يُرْسِل مع بعض القوافل طبيبًا لعلاج المرضى ، كما تحمل القافلة أحيانًا بعض الملابس والمواد الغذائية لتاليف الناس، وبعض الكتب باللغات المحلية .

وقد نفّذت (ولله الحمد)(٩٠) قافلة دعوية موزعة كالتالي :



الدولة	عدد القوافل
كينيا	١٦
غانا	١١
الصومال وجيبوتي	١١
مالي	١٦
السودان	٣
تشاد	٢
أوغندا	٣
الحبشة	٢
بنجلاديش	٥
نيجيريا	٢١

وقد كان لهذه القوافل (والحمد لله) أثر محمود ، ونتائج إيجابية كبيرة، لعل من أبرزها إسلام (٦٢) وثنيًا ، في قافلة واحدة قام بتنفيذها مكتب مالي ، وفي كينيا أسلم (ولله الحمد) فيَ عام ١٤١٦هـ-١٤١٧هـ: (٣٥٠٠) شخصاً، وفي نيجيريا أسلم (١٦٤) شخصاً.

ونتيجة لهذا الإقبال العظيم للدخول في الإسلام، فقد حرص المنتدى الإسلامي على متابعة هؤلاء المهتدين بطرائق مختلفة، منها:

١ - إنشاء مركز محو الأمية للمهتدين الجدد في منطقة (كسومو) في كينيا.

٢ - في كل قرية يكثر فيها المهتدون يعين عندهم داعية يجيد لغتهم المحلية؛ ليتابع تعليمهم.

٣ - الجولات الدعوية الدورية للدعاة في مختلف المناطق والقرى .



سادساً: بناء المساجد:

قام المنتدى ببناء (٢٤٦) مَسجداً وجامعًا في دول مختلفة، منها (٣٧) مسجداً تحت التنفيذ، وهي كالتالي:

الدولـة	عدد المساجد التي تم تنفيذها	عدد المساجد التي تحت التنفيذ	المجموع
الحبشة	١٧	٣	٢٠
إريتريا	٢	٢	٤
أوغندا	٨	١	٩
باكستان	٤١	-	٤١
أفغانستان	١	-	١
بنجلاديش	٨٠	٦	٨٦
تشاد	١٢	-	١٢
توجو	٣	-	٣
بنين	١	-	١
الجمهوريات الإسلامية	٤	-	٤
السنغال	١	١	٢
السودان	٨	٤	١٢
الصومال	١٦	-	١٦
غانا	١٩	٦	٢٥
الفلبين	٥	١	٦
كينيا	١٧	٢	١٩
مالي	٧	٥	١٢
نيجيريا	٣	٨	١١
الهند	٣	٢	٥
جيبوتي	-	١	١
تنزانيا	٢	-	٢
المجموع	٢٥٠	٤٢	٢٩٢

ويحرص المنتدى الإسلامي على الاختيار الأمثل لموقع المسجد، وتسجيل ملكيته رسميًا، كما يسعى كذلك لإحياء رسالة المسجد، وتنشيطه دعويًا، بتعيين داعية مؤهل في كل مسجد يقوم المنتدى ببنائه، ليتولى إمامة المسلمين، وإقامة الدروس الشرعية، والمواعظ، وحلقات تحفيظ القرآن .

سابعًا: المراكز الإسلامية:

رغبة من المنتدى الإسلامي في تركيز العمل الدعوي، وبنائه بناءً متينًا: فقد وافقت الإدارة على إقامة أربعة مراكز إسلامية، وهي :

١ ـ المركز الإسلامي في نيجيريا ـ كانو : وقد بدأ البناء منذ مدة، وسوف يفتتح المسجد ومصلى النساء في شهر رمضان المبارك ١٤١٧هـ.

٢ ـ المركز الإسلامي في بنجلاديش، وقد بدأ البناء فيه منذ مدة .

٣ ـ المركز الإسلامي في غانا ـ أكرا: وقد بدأت الإجراءات الأولية لشراء مبنًى كبير، وأرض مجاورة له، ليقام عليها المسجد ـ إن شاء الله (تعالى) ـ.

٤ ـ المركز الإسلامي في كينيا ـ نيروبي : تم شراء الأرض وتسجيلها رسميًا، والعمل جارٍ لإعداد المخططات الهندسية للمشروع.

٥ ـ مركز الإمام مسلم ـ فريد بور : منفّذ، ويحتوي على جامع، ومكتبة كبيرة، وقاعة لعقد الدورات الشرعية والملتقيات الدعوية.

ويحتوي كل مركز على :

١ ـ مسجد جامع كبير. ٢ ـ مصلى للنساء.

٣ ـ مكتبة باللغة العربية والإنجليزية واللغات المحلية.

٤ ـ مكتبة سمعية ومرئية . ٥ ـ فصول مدرسية . ٦ ـ مبان إدارية.

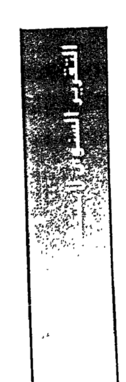
ثامنًا: المكتبات العامة ومكتبة طالب العلم :

للكتاب الإسلامي دور كبير في نشر العلم، ونشر العقيدة الإسلامية الصحيحة، وبسبب ندرة الكتاب الإسلامي وقلة المراجع العلمية في كثير من الدول، سعى المنتدى الإسلامي إلى توفير الكتب والمراجع العلمية بعدة وسائل، منها :

١ ـ المكتبات العامة : وهي نوعان :

مكتبة كبيرة: توضع في المدن الرئيسة، وفي أماكن التجمعات الكبيرة





للدعاة.

مكتبة صغيرة : توضع في المساجد والمدارس ونحوها.

وتم انتقاء الكتب بناءً على الاحتياجات الأساس للدعاة في كثير من البلاد.

وبلغ عدد المكتبات التي جهزت حتى الآن (٦٣) مكتبة، موزعة كالتالي :

الدولـة	عدد المكتبات الكبيرة	عدد المكتبات الصغيرة
بريطانيا	١	—
كينيا	٣	١٧
مالي	٤	٤
غانا	٢	—
الصومال	٧	٧
السنغال	١	١
بنجلاديش	٣	١
السودان	١	—
تشاد	١	١
توجو	—	١
أوغندا	١	—
الحبشة	—	٥ و٥ سمعية
نيجيريا	—	٢

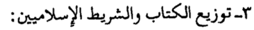
٢ـ مكتبـة طالب العلم : يحرص المنتدى الإسلامي على تنميـة قدرات الدعاة العلمية، ورفع مستوياتهم الشرعية، وذلك بتوفير مكتبة صغيرة لكل داعية، تحتوي على الأصول العلمية المهمة، ولكي يكون الاختيار متلائمًا مع قدرات الدعاة وضعت قائمتان :

الأولى : للدعاة الجامعيين.

الثانية : للدعاة غير الجامعيين .

وقد بلغ عدد مكتبات طالب العلم التي وزعت(٧١١) مكتبة، موزعة كالتالي :

الدولـة	عدد المكتبات
كينيا	١٨٨
غانا	١٤١
مالي	٥٠
بنجلاديش	١١٠
تشاد	١٥٠
الصومال	٤٥
أوغندا	٢٥
توجو	٢


٣- توزيع الكتاب والشريط الإسلاميين:

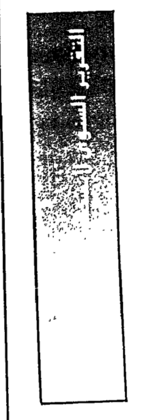
* عدد المصاحف الموزعة : ٢٨,٠٠٠ مصحف .
* عدد الكتب الإسلامية : ٢٣٩,٤٠٩ كتب .
* عدد الأشرطة : ١٠٥,٠٠٠ شريط .

تاسعاً: مطبوعات المنتدى الإسلامي:

١- مجلة البيان : بدأ المنتدى الإسلامي بإصدارها في عام ١٤٠٦هـ ، لتوزع في مختلف أنحاء العالم . وقد اعتمد المنتدى (٤٥٠٠) اشتراكًا شهريًا مجانيًا في عدد من الدول ، إسهامًا منه في إيصال كلمة الحق والهدى إلى الدعاة وطلاب العلم الذين لايستطيعون شراء المجلة ، بالإضافة إلى العديد من الجمعيات الإسلامية والمعاهد والمراكز.

٢- نشرة المنار: وهي نشرة صغيرة تصدر باللغة الإنجليزية وتوزع في





بريطانيا وأمريكا ، ومكاتب المنتدى في إفريقيا في الدول الناطقة باللغة الإنجليزية، وتتناول هذه النشرة بعض البحوث الميسرة في العلوم الإسلامية.

٣ـ مجلة النصيحة : وهي مجلة دعوية جديدة تصدر باللغة الإنجليزية والسواحيلية في كينيا، بدأ إصدارها من شهر رمضان ١٤١٥هـ ولنجاح هذه المجلة سوف تطور وتوزع ـ إن شاء الله ـ في الدول الإفريقية الناطقة بالإنجليزية.

٤ـ كتاب المنتدى :

يقوم المنتدى الإسلامي بطباعة الكتب والرسائل المفيدة مع الحرص على حسن الاختيار والالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة، ومن هذه الإصدارات:

* التجديد في الإسلام . * رؤية إسلامية للاستشراق .
* اعتقاد أهل السنة في الصحابة .
* علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام .
* الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي .
* البداوة والحضارة . * خواطر في الدعوة، جـ١، ٢ .
* الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. أصوله وضوابطه .
* تجربة المنتدى الإسلامي في العمل الدعوي .
* أيعيد التاريخ نفسه ؟!. * على من تعرض الصور ؟!.
* فن التعامل مع الناس .. وغيرها .

وسوف يصدر قريبا ـ إن شاء الله ـ كتاب : المدارس والكتاتيب القرآنية .. وقفات تربوية وإدارية .

٥ـ طباعة الكتب المترجمة :

ـ قام المنتدى الإسلامي بطباعة عدد من الكتب الإسلامية المترجمة إلى عدد من اللغات ، ووزعت في عدد من دول العالم ، ومنها :

* الأصول الثلاثة، (باللغة الفرنسية). * الأصول الثلاثة، (بلغة الهوسا).
* الخطوط العريضة، (بلغة الهوسا) .

* وجوب لزوم السنة والحذر من البدعة، للشيخ ابن باز، (بالإنجليزية).
* وجوب أداء الصلاة جماعة، لابن باز، (بالفرنسية).
* رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لابن تيمية ،(بالبنغالية) .
* عقيدة أهل السنة والجماعة، لجميل زينو، (بالبنغالية) .
* صفة صلاة النبي ﷺ ووجوب صلاة الجماعة، لابن باز، (بالسواحيلية).
* الطهارة والصلاة، لابن عثيمين، (بالسواحيلية) .
* الدروس المهمة لعامة الأمة، لابن باز، (بالسواحيلية) .
* توجيهات إسلامية، لجميل زينو، (بالبنغالية) .
* كشف الشبهات للإمام محمد بن عبد الوهاب، (بالسواحيلية)
* حصن المسلم، (بالسواحيلية).
* المرأة في الإسلام، (بالسواحيلية).
* مختصر العقيدة الإسلامية، لمحمد جميل زينو، (بالسواحيلية).

بالإضافة إلى أن المنتدى الإسلامي يسعى لتوفير الكتاب الإسلامي باللغات المختلفة من الأسواق ، ويوزعها في دول العالم .



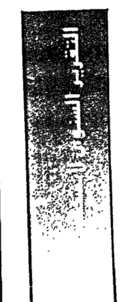
عاشراً : النشاط الإغاثي والاجتماعي :

المنتدى الإسلامي مؤسسة دعوية في الأصل، ولكنه يقدم أنشطة اجتماعية وصحية متعددة ، كما يساهم في إغاثة المنكوبين وإعانة الملهوفين من المسلمين، ومن البرامج التي تم تنفيذها :

١ـ المراكز الإغاثية :

قام المنتدى الإسلامي بإنشاء (٢٨) مركزاً إغاثيًا ، استفاد منها (١٥,٠٠٠) شخص يوميًا، موزعة كالتالي :

أـ كينيا : (٢٣) مركزا إغاثيا للاجئين الصوماليين ، واستمرت لمدة سنتين ، استفاد منها : (١١,٧٠٠) شخص يوميًا ، وقد أغلقت جميعها لنزوح اللاجئين إلى مواقع أخرى.



ويوجد الآن سبعة مراكز تغذية للطلاب في منطقة مرتي، يقدم كل منها وجبة واحدة، ما عدا مركز واحد يقدم ثلاثة وجبات يوميًا، ويستفيد

من هذه المراكز الآن (٢٠٢٠) شخصاً يوميًا.

ب ـ بنجلاديش: أقيم مركز إغاثي استمر لمدة سنتين ، وتم إغلاقه لانقضاء الحاجة منه.

جـ ـ الصومال : مركزان إغاثيان ، ثم إغلاقهما أخيراً.

د ـ الحبشة: مركزان إغاثيان ، تم إغلاقهما أخيراً .

٢ـ الأعمال الإغاثية العامة :

وتشمل توزيع المواد الغذائية واللباس والكساء والدواء ، حيث قام المنتدى الإسلامي بأعمال إغاثية متعددة في الصومال ، وبنجلاديش للمتضررين من الفيضانات والأعاصير ، والبورماويين بسبب الحروب ، وجيبوتي ، ومالي .. وغيرها.

ويصاحب هذه الأنشطة برامج دعوية مكثفة من دعاة المنتدى الإسلامي .

٣ـ برنامج إفطار صائم :

اعتاد المنتدى الإسلامي تنفيذ البرنامج سنويًا في عدد من دول العالم ، وقد بلغ عدد الوجبات التي تم توزيعها في رمضان ١٤١٣هـ (٨٤٩,١٦٨) وجبة، شملت (١٨) دولة، وأما في رمضان ١٤١٤هـ فقد بلغ عدد الوجبات (٣٢٦,٦٧٧) وجبة، شملت (١٦) دولة، وفي رمضان ١٤١٥هـ بلغ عدد الوجبات (٧٨٤,٧٠٠) وجبة، شملت (١٦) دولة، وفي رمضان ١٤١٦هـ بلغ عدد الوجبات (٣٥٠,٨٧١) وجبة، شملت (١١) دولة.

وفي الغالب: يصاحب الإفطار دروس وعظية وعلمية وتربوية يعدها دعاة المنتدى الإسلامي؛ مما يكون له أثر مبارك (ولله الحمد والشكر).

وقد بلغ عدد الدروس العلمية في إفطار عام ١٤١٦هـ (٣١٢٦) درسًا، و(٥١٠) محاضرات، و(١٠٦٧) كلمة توجيهية.

٤ ـ برنامج الأضاحي :

يقوم المنتدى الإسلامي سنويًا بتنفيذ برنامج الأضاحي في عدد من دول العالم ، وذلك لتوزيعها على فقراء المسلمين ، وقد بلغ عدد الأضاحي حتى نهاية عام ١٤١٦هـ (٢٤٣٨١) أضحية ، بالإضافة إلى

ذبح العقائق والكفارات والنذور؛ لتوزيعها على المحتاجين.

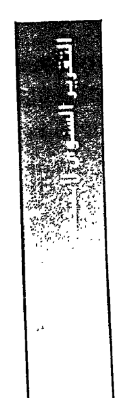
٥ـ حفر الآبار :

بسبب تتابع الجفاف ومواسم القحط التي سادت أجزاءً من القارة الإفريقية ، وزيادة حاجة المسلمين إلى مصادر نقية للمياه ، عمل المنتدى ـ ولا زال يعمل ـ على سد حاجة المسلمين في بعض المناطق من المياه الصالحة للشرب، وقد حفر المنتدى الإسلامي حتى الآن (١٧٢) بئراً في عدد من الدول، موزعة كالتالي :

الدولة	عدد الآبار	ملاحظات
غانا	٣١	ـ
مالي	٨	ـ
الحبشة	٩	ـ
كينيا	١٤	منها بئر ارتوازي واحد، بالإضافة إلى خمسة خزانات للمياه.
الصومال	١٤	ـ
توجو	١١	ـ
بنجلاديش	٣٦	منها (٤) آبار ارتوازية.
تشاد	٩	منها بئر بالطاقة الشمسية.
بنين	١١	ـ
باكستان	١٢	ـ
أوغندا	٢	ـ
جنوب شرق آسيا	٥	ـ
السنغال	١	ـ
نيجيريا	٩	ـ

وقد بدأ المنتدى بمشروع جديد لحفر الآبار الارتوازية في السودان باسم (عيون الحياة)، وجهز المشروع بمختلف التجهيزات الفنية والآليـ





اللازمة، وبناء على الخطة المرسومة فسوف يحفر (١٢) بئراً سنويًّا - إن شاء الله (تعالى) - ، تم تنفيذ (٢٤) بئراً حتى الآن، ولله الحمد .

٦ـ كفالة الأيتام :

يكفل المنتدى الإسلامي (٢٥٨) يتيماً - موزعين في عدد من الدول - كفالة تامة، تشمل الغذاء والكساء والتعليم .

وفي ختام هذا التقرير الموجز : نسأل الله (تبارك وتعالى) أن يبارك في هذه الجهود الخيرية ، وأن يخلص النيات ، وأن يتقبلها بواسع فضله ، وأن يوفقنا لإكمال هذه المسيرة على الوجه الذي يرضيه ، وأن يجعلنا من المتعاونين على البر والتقوى .

وصلِّ اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم .

بريد البيان

■ الأخ / أيمن وليد مسامح:
نشكر أخانا الكريم لمتابعة البيان، واقتراحاتك محل اهتمام أسرة التحرير، أما بالنسبة للفهرس: فما زال تحت الإعداد، وعسى أن يكون قريباً، والفتاوى: ستنشر قريباً ـ إن شاء الله ـ.

• • •

■ الأخ / محسن عايض غلام:
ملاحظتك حول أهمية عناية البيان بما يكتب حول المرأة هو محل اهتمامنا، ونحن نحرص على نشر كل ما يَردنا مناسباً ومفيداً، أما عن مشاركتيك: فنامل الاطلاع على مزيد من المصادر، ومرحباً بك في مشاركات أخرى.

• • •

■ الأخ / غازي المهر:
نشكر لك تواصلك مع البيان، وسينشر بعض ما أرسلته في منتدى القراء متى حانت الفرصة ـ بمشيئة الله ـ.

• • •

■ الأخ / محمد أحمد الفاروق:
يشوب ما كتبته عن الإسلام والعلمانية بعض العاطفية، ومثل هذه المواضيع تحتاج إلى دراسات موثقة ومؤصلة، وقد صدر في الموضوع كتب ودراسات علمية معروفة.

• • •

■ الأخ / إبراهيم بن علي الدغيري:
مشاركتك تمت إجازتها، وستنشر ـ بمشيئة الله ـ في منتدى القراء في عدد قادم تحت عنوان: (حاجتنا إلى الإيمان الصحيح).

• • •

■ الأخ / مصطفى إبراهيم مخيمر:
أرسل عرضاً مقتضباً لكتاب الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية لرجاء جارودي، وهي مجرد سطور لا تفي بالمأمول، لذا: نعتذر عن نشرها.

• • •

■ الأخ / عبد الله القحطاني:
عن إرسالك لفهرس أفكار كتاب (مقومات للنهوض بالعمل الدعوي): كنا نحبذ عرضك للكتاب وما احتواه من أفكار جميلة ومفاهيم دعوية متميزة، فذلك أولى.

• • •

■ الأخ (أبو أنس) شادي السيد:
مقالك سينشر جزء منه في منتدى القراء، أما بخصوص طلبك فستصلك رسالة خاصة.

• • •

■ الأخ / محمد نجيب لطفي:
مشاركتك في انتظار فرصتها بمنتدى القراء.

• • •

■ الأخ / سعيد بن جمهور الزهراني:
مشاركتك في طريقها للنشر بمنتدى القراء.

■ الأخت / بدرية الدوسري:
سينشر جزء من مقالتك في منتدى القراء ـ إن شاء الله ـ.



لا.. لوظيفة التزوير

بقلم : علي بن موسى

ليس غريباً أن يطفو فوق السطح بعض من امتهن تزوير وتزييف وعي القارئ، من الذين باعوا عقولهم وأفئدتهم للكفر وأهله، ليس بغريب أن يَلمَعَ هؤلاء وأن تتاح لهم فرص نشر ضلالهم وتضليلهم للأمة.

فمن ضلالات القوم: ما يحاول هؤلاء المشبوهون إشاعته بين القراء، ومن ثم بين قطاعات الأمة كافة.. من أن الإسلام لا صلة له بالسياسة ولا بالحكم، وهي شنشنة نعرفها من أخزم، وضلالتهم هذه ليست بمستغربة منهم، ومن اتخذ طريق العلمنة والإلحاد له نهجاً فلا عجب منه أن يقول: إن الإسلام لا صلة له بالسياسة، فليس بعد الكفر ذنب، لكن الذي يدفعنا إلى الكتابة عن هذا الأمر: هو حماية بعض الأغرار من الانسياق وراء فجورهم وكفرهم وضلالهم؛ درءاً للمفسدة ومنعاً للضلالة والردة من الاستشراء؛ فإن من حق الأمة على كل ذي قلم وفكر أن ينهض لحماية كافة المسلمين من هذه الشرذمة الناكصة عن دينها.

إن الإسلام دين ودنيا، دين ينظم حياة الأمة في دنياها وأخراها، دين كامل تام لا نقص فيه ولا عوجاً، قال (تعالى): ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال (تعالى): ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ

الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [آل عمران: ٨٥]، فالإسلا
إذن: منهج حياة كامل ينظم جميع جوانب الحياة بما في ذلك السياسة والحكم، يقول
(تعالى): ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك ع
بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن
من الناس لفاسقون﴾ [المائدة: ٤٩].

لقد تكرر لفظ «حكم» واشتقاقاته المختلفة كثيراً ـ وبخاصة صيغة الأمر «احك
وهذا له دلالة قطعية أن الأمر للوجوب، وقد قال (تعالى) لنبيه ﷺ: ﴿ثم جعلناك
شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ [الجاثية: ١٨]، فش
الإسلام مهيمنة هيمنة كاملة على الحياة، كلها رحمة وعدل، لا ظلم ولا جور فيها، ف
يقول أعداء الحق والحقيقة من العلمانيين ومن لف لفهم ؟!، غير أننا نذكرهم بقو
(تعالى): ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفس
حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ [النساء: ٦٥]، فهل يعقل ذلك أولئك المزو
لرسالتهم، الذين يعملون لتضليل الناس.

لكن حسبهم قوله (تعالى): ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم
لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل
أضل أولئك هم الغافلون﴾ [الأعراف: ١٧٩].


Bibliotheca Alexandrina
0535463